
المورد
ـلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع العدد الثاني ١٣٩٥ - ١٩٧٥

المورد المجلد الرابع صيف ١٩٧٥ العدد الثاني

دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م


المورد
مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

التراثيون والنقـــد

بقلم

حارث طه الراوي

ترد الى « المورد » ، بين الفينة والفينة ، ردود في غاية التشـــنج والانفعال ، لو سمحنا بنشرها كما هي ، من غير حذف وتشذيب ، لأسأنا الى أبسط قواعـــد النقد الموضوعي اساءة بالغة تخدش الذوق الرفيع وتجعل من « المورد » العذب حلبة « ملاكمة » أو ميدان « مصارعة حرة » !!

وقد لاحظنا ، ببالغ الأسف ، ان الموقف النفسي من صاحب البحث المنقود هو الذي يملي على بعض النقـــاد التراثيين نقدهم فتأتي عباراتهم جارحـــة أو لاذعة ، كأن المنقود قد ارتكب إثماً بحق الناقد يوجب هذا الهياج ويبيح هـــذا الاعتداء ويبرر هذه القسوة ٠٠٠ ، ولا اثم هناك ولا جريرة ٠ وقد لا تكون بين الناقد والمنقود معرفة سابقة لا من بعيد ولا من قريب ، ولكنه الحقد المتململـــل المتحفـــز يترصد فرصته الذهبيـــة في خطأ هذا الباحث وتوهم ذاك المحقق أو تعثر مترجم من المترجمين ، فتنطلـــق هذه المكنونات النفسية المتأججة ليرتاح صاحبها من وطأتها ، حتى ولو كان ذلك على حساب مجلة متزنة ، رزينـــة ، كالمـــورد ٠٠٠

ثم انها فرصة ذهبية للظهور على حساب الغير ٠ فمـــا دام هـــذا التراثي المغمور يستطيع أن يقدم قائمة طويلة بأخطاء ذاك التراثي المشهور ، فهو أجـــدر منه بالشهرة والتألق وهو أحق بالظهور من ذاك الذي يليق به الانزواء والابتعاد عن الأضواء ، فهو في منطلقه النفسي هذا لا يصحح خطأ في اللغـــة أو وهمـــاً في التحقيق وحسب وانما يصحح خطأ آخر في القيم يفترضه طموحه ويختلقـــه هـــواه !!

* * *

الأبحاث والدراسات

من قضايا النقــد الأدبي

في العصر العباسي

بقلـــم

الدكتور جلال الخياط

منذ ان وقف الشاعر الجاهلي يبكي على الطلل، ويفصح عن مواجده وهمومه ، في قصائد واشعار ، والدهشة تحكم ردود افعال المصغين اليه ، يتلقون انتاجه بحيرة واعجاب ، ويفسرون بواعثه بالجـن والشياطين ، ويتبعونه بتعقيب او ملاحظة سريعة . وتكثر القصائد ويزداد الشعر اهمية سنة بعد سنة ويتطور وينمو ويكتسب مواقع جديدة ، وتقـــام للشاعر في القبائل ، حين ينبغ ، طقوس واحتفالات ، وتؤطر كلماته العصر وقضاياه ، وتدور عليها حياة الجاهليين ، في حلهم وترحالهـــم ، ومفاخرهـــم وغزواتهم ، وتتمثل فيها احاسيس الفرد وتطلعاته ونوازعه الخاصة . وتبدأ احاديث عن الشـــعر واصحابه ، ويتكون لدى الناس ذوق ادبي عـــام يخشاه الشعراء ، فيبقي زهير قصائده حولا ، يغير ويحذف ويضيف ، وتستحيل ردود الافعال الى ملاحظات ادبية تأتي مجردة مطلقة حينا ومقترنة بتحليل وتعليل احيانا ، وتتضمن اعجابا واستهجانا وقبولا ورفضا ، ويتحول الذوق الفطري الى وعي ادبي يشكل النواة الاولى للنقد ، وتشيع مقاييس ، فيما تقبل وترفض قريش من اشعار ، وفي احكام النابغة بعكاظ ، وفي غير هذا وذاك .

ويولد النقد الادبي ، في اشكاله البســيطة ، ويلاحق الشعراء بالتوجيه والتفسير والموازنـــة . وينقضي العهد الجاهلي ، وتتكشف عوالم في صدر الاسلام ، ومظاهر فكرية غير معهودة . ويمر الشعر في مراحل تتفاوت فيها اهميته ، حتى اذا ما جـاء العهد الاموي كان له تأثير كبير ، يخفض ويرفـع ويدني ويبعد ، ويلعب دوره الكبير في عالم الحكم والسياسة والفكر والاجتماع . ويرث العصر العباسي العهود الثلاثة الماضية ، ويعيد النظر فيما قدمته من تراث شعري ، وينسق ويحدد ، ويجترح اقـوالا ونظريات ، ويحفظ لنا جزءا مما ابدعه رواد القرون السالفة . وهناك قضايا نقدية كثيرة يطورها او يثيرها العباسيون ، اخترت منهـــا ما يمكنني ان اتناوله تناولا معاصرا قد يكشف عن جوانب ، مـــا زالت غير واضحة ، ومن تلك القضايا :

النقــد القاعدي :

حاول النقاد القدامى والمحدثون ، قبل ارسطو وبعده ، ان يضعوا اسسا وقواعد للنقد ثابتة ، وكأن هاجسا يؤرقهم ويدفعهم الى تحديد الـــذوق الادبي بشروط ودوائر ، يلتزم بها القارىء فيمـــا يستوعب من نصوص مختلفة ، فيعطل بذلك قدرته على التذوق والفهم ، ولا يكون طرفا ثانيا متلقيا في عملية الابداع والخلق ، بحرية واختيار .

ونجد الرغبة في الحصر والتحديد تصاحـب البشر فيما يصدرون من اراء وما يقومون من اعمال لان العقل محدود مهما كشف وابدع ، ومهما قطع مراحل من الحضارة طويلة واوغل في مفـــازات واسعة ، تنحسر عنه ابعاد كثيرة ، تبقى غامضـة ومجهولة ، فتولدت في نفس الانسان تلك الرغبة في الحصر ليدرك المجهول ويوضح الغامض ويخضع مظاهر الحياة كلها للقاعدة والتعريف ، وان نجح في مجالات متنوعة كالعلوم ، فهو ما زال يتعثر في تحديده لبعض قضايا الانسان والتعبير عنه ، ومنها الادب ، ومن الادب النقد ، فليس بمقدور الناقد ، وان بذل جهدا ، ان يحول الادب الى مسألة علمية ، يمكن ان يزاولها من يتقن قوانينها ، لان التذوق الادبي جزء من ممارسيه ، يتكون طبقا لمسببات منها : البيئة والثقافة والتجربة والموهبة ، وعوامل اخرى فاعلة في حياة الانسان مؤثرة في مجراهـــا منفعلة بطاقاته واعماله .

ويدرك النقاد العباسيون صعوبة وضع قوانين

ثابتة للادب ولكنهم يحاولون مندفعين بتأثير نزعة لا تقاوم الى التحديد ، ونجدهم يعرفون الشعر ، فقدامة بن جعفر مثلا يعرفه بانه القول الموزون المقفى الدال على معنى (١) ، ويورد المرزباني بان احسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه ، واحسن منه ما اصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب ، وعدل فيه عن الافراط (٢) ، ويحدده ابن طباطبا بانه كلام منظوم ، ويرى ابن سينا انه كلام مخيل مؤلف من اقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة ، ولعل اردا ما ورد من تعريفات للشعر قول العامري : انه كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقواف متواترة ومعان معادة ومقاطع موزونة ومتون معروفة (٣) فليس الشعر كلاما ، ولا تختص الحروف الساكنة والمتحركة بالشعر ، ومعاني الشعرومضامينه ليست تكرارا واعادة ، ففي ذلك الغاء للابداع والابتكار ، وهناك من يرى ان الشعر يصدر عن عاطفة معينة مؤثرا في عاطفة ثانية ، فيعرف الشعر بكلمة غامضة غير محددة تتطلب تعريفا اخر ، ومنذ ان ابدع الشاعر الجاهلي معلقاته وقصائده ومقطوعاته الشعرية ، حاول النقاد ان يعرفوا الشعر فلم يفلحوا ، وفاتهم ان في كل قصيدة تنظم وفي كل بيت يقال تفسيرا وتعريفا له (٤) .

وحاول النقاد ان يضعوا تعريفا للنقد ايضا ، وما زالت عملية وضع ذلك التعريف مستمرة ، ويتعذر الوصول الى تعريف جامع مانع نهائي ، فمسألة نقد النصوص وادراك مدى الروعة والابداع فيها نسبية تختلف باختلاف الابداع وتلقيه ، والثقافة والظروف والعصر والحضارة ، ولا يمكن حصرها في قاعدة ثابتة لا تتغير .

وتطلع النقاد العرب الى اخضاع ما ليس من طبيعته الخضوع ، للتقنين والتحديد ، وارادوا ان يقودوا جمهور القراء الى العوالم الادبية بارشادمنهم ورعاية وتوجيه ، واسهموا في مسيرة النقاد قديما وحديثا ، للعمل من اجل النقد القاعدي ، فقد عمت النقد فوضى شاملة وتضاربت الاراء وتعددت الاهواء

فأحبوا ان تصبح المبادرة طوع أيديهم في تعليم الناس الكشف عن النصوص الجيدة، وحصر ذوقهم الادبي بما يرتأون في تلك النصوص ، من مواطن ضعف او قوة ، وما يوطئون للادباء والشعراء من اساليب ومضامين ليجودوا ويبدعوا فأثروا الحياة الادبية بما قدموا من محاولات واراء ودراسات ومصادر ولكنهم لم يتوصلوا الى قواعد ثابتة غير خاضعة للتطور والتغيير والنماء .

ويدفع النقد القاعدي ، والهاجس الذي طوح بالنقاد الى التصنيف والتحديد ، ابا عبدالله محمد ابن سلام الجمحي البصري (ت ٢٣١ هـ) الى تقسيم الشعراء طبقات ، مستوحيا المقولة المشهورة : (كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وامرؤ القيس اذا ركب) ، والملاحظات النقدية القديمة ، والمفاضلة بين الشعراء التي شاعت واتسعت في عصره وتقديم شاعر على اخر ، وما يقوم حول هذا وذاك من نقاش، فيؤلف كتابه طبقات الشعراء وقيل طبقات فحول الشعراء ، وقيل انه كتابان ضما معا (٥) ، فيأتي بأربعين شاعرا جاهليا ، يرى انهم من الفحول ، ويضعهم في عشر طبقات متتالية في المكانة ، تحظى الاولى بالتفوق والفضل ، وتتدنى الثانية عنهما وهكذا ، ولا يقوم بذلك التقسيم اعتباطا ، ولكنه يعتمد اسسا وسمات ويقدم اسبابا ويعلل نتائج ، وبهذا يفتح صفحة جديدة في المنهجية او ما يشبه الموضوعية في البحث ، ويطوى عالما من الملاحظات النقدية الشخصية التي قدمها العصر الجاهلي ، وتطورت فيما بعد بتعليل او تحليل عرفتهما الاندية والمجالس الادبية ، ويأتي ايضا باربعين شاعرا اسلاميا ويضعهم في طبقات ، ويهمل المحدثين كبشار ومسلم بن الوليد وابي نواس وغيرهم .

ومن الاسس التي وضعها ابن سلام ليتبوأ الشاعر مكانة متقدمة في طبقاته : جودة اشعاره وكثرتها وتنوع اغراضه ، ولا يضع مقاييس للجودة، يمكن ان نقتنع بها ، وكثرة الاشعار لا تصح لدينا مؤشرا حقيقيا للابداع ، فهو يقدم من له عشرون قصيدة على من له خمس قصائد مثلا ، فما ذنب الشاعر ان ضاعت قصائده ، ولم يحفظها الرواة وما ذنبه ان كان مقلا لا يصدر الا عن عاطفة حقيقية صادقة ، ولا ينظم الا بوحي منها ، ومتى كان عدد

---

(١) قدامه بن جعفر ، نقد الشعر ، بتحقيق كمال مصطفى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص١١ .

(٢) المرزباني ، الموشح ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨٠ .

(٣) ينظر : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لاحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣٤ ، ٢٣٩ .

(٤) ينظر للكاتب : الشعر العراقي الحديث ، مرحلة وتطور ، بيروت ١٩٧٠ ، ص١١٨ .

(٥) يراجع : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، لطه احمد ابراهيم ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٢١ . وتاريخ النقد الادبي ، لمحمد زغلول سلام ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ ، والفهرست لابن النديم ، ص١٦٥ .

قصائد الشاعر معيارا نقديا يومىء الى أجادتـه وابداعه ، ولو صح هذا لتفوق كثير من الشعراء المقلدين في الفترات المتأخرة بأكداس من القصائد تناولت موضوعات متنوعة ، اكثرها لا يمت الى روح الشعر بصلة ، على شعراء عباسيين كالمتنبي وابي العلاء مثلا ، وتبعا لما ارتآه في كثرة الشعر حكما على الشعراء وضع طرفة بن العبد ، وهو من اصحاب المعلقات ، في الطبقة الرابعة ، لقلة ما يروى من شعره ، ووضع الاسود بن يعفر في الطبقة الخامسة الجاهلية : « وكان الاسود شاعرا فحلا .. وله واحدة طويلة رائعة لاحقة باجود الشعر ، ولو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته وهي :

نام الخلي فما احس رقـادي
والهم محتضر لدي وسادي » (٦)

ومما يقدم الشاعر لدى ابن سلام تنوع اغراض الشعر عنده وكثرتها ، فان اقتصر على غرض واحد او غرضين ، عده متأخرا ، وهكذا فضل كثير عزة على جميل بن معمر ووضع الاول في الطبقة الثانية الاسلامية لتنوع اغراضه والثاني في الطبقة السادسة لاقتصار اكثر نماذج شعره على النسيب ، مع اعترافه بانه مقدم على كثيّر فيه ، وكان جميل قد مارس المديح ايضا (٧) ، ولا شك ان الشاعر الذي يبدع بمستوى واحد في اغراض الشعر المختلفة كالمديح والهجاء والغزل والرثاء ... الخ ، يحظى بتقدير واعجاب ، وان عرف عن شعراء انهم يجيدون في غرض واحد او غرضين ، ولكن تنوع الاغراض لا يصح مقياسا دقيقا لمعرفة مدى ما تصل اليه مواهب الشعراء ، ولا نستطيع ان نفرض عليهم مضامين اشعارهم ، باشاعة ذلك المقياس ، ولهم ان يختاروا تلك المضامين بوحي من وجدانهم وتجربتهم واحساسهم الصادق ، ولا يعاب على شعراء انهم لم يهجوا او لم يرثوا او لم يمدحوا ، والمديح والتكسب بالشعر ، مثلا ، يحط من قيمة الشاعر في الجاهلية وعند بعض الشعراء في العصور الاخرى ، فترفع عنه كثيرون (٨) ، أيعني ذلك طبقا لمقاييس ابن سلام عجزا عن النظم في اغراض الشعر المختلفة يضعهم دون غيرهم مكانة ومنزلة ؟ ويعتمد ابن سلام أسسا اخرى ، في طبقاته ، غير هذه وتلك ،

(٦) ابن سلام ، طبقات الشعراء اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي ، بيروت بلا تاريخ ، ص ٣٣ .

(٧) ينظر : وفيات الاعيان لابن خلكان ، ج١ ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص٣٢١ .

(٨) ينظر للكاتب : التكسب بالشعر ، بيروت ١٩٧٠ ، ص١١ وما بعدها .

ولا يهمنا مدى توفيقه وأصابته فيها ، بقدر ما نعنى بانه في طليعة الكتاب الذين اختاروا منهجا معينا ، او ما يشبه المنهج فيما يكتبون ويصدرون من احكام .

ويرفض ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تقسيم الشعراء الى طبقات ويرى ان الشعر انواع واضرب، منها ما حسن لفظه وجاد معناه ، ومنها ما حسن لفظه وحلا فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ، ومنها ما جاد معناه وقصرت الفاظه عنه ، ومنها ما تأخر معناه ولفظه(٩) ، ونلاحظ في هذه الاضرب ان ابن قتيبة يفصل الشكل عن المضمون « وان احكامه ذوقية بدليل قوله حسن وجاد وحلا وقصر وتأخر ، وهي احكام مطلقة اذ لم يعلقها على توافق بين لفظ ومعنى او بين قائل ومقول او بين

(٩) يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، ج١ ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٤ وما بعدها : تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب :

أ ــ ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه ويستشهد بابيات منها :

يغضي حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم الا حين يبتسم

ومنها :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع

ب ــ وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ويستشهد بأبيات منها :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهاري رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رايح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح

والابيات التالية :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل اقرانا
ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

ج ــ وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول القائل :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

د ــ وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه ويستشهد بابيات منها :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني
شاو مشل شلول شلشل شول

الشاعر وعصره » (١٠) ، وانه يحاول ان يضع مقاييس للجودة والرداءة في الشعر معتمدا رايه المنطقي الصرف ، باجتهاد شخصي خاص ، فلا يمكننا ان نقسم الشعر الى تلك الاضرب ، لانه اوسع واشمل من انواع واشكال محددة معينة ، والابيات التي اوردها تختلف فيها الاذواق ، فالبيت الثاني « والنفس راغبة .... » حكمة تافهة لا تصح في كل الاحوال ، فالنفس قد تقنع او لا تقنع اذا رددتها الى قليل ولا هي راغبة واقعة تحت طائلة الاغراء دائما ، وهناك من يرفض ويزهد وينحسر عما يرغب فيه ، ولنفرض صحة مضمونه ، فأية قيمة شعرية ابداعية يحملها في غضونه؟ وهو لا يرقى تحت ضوابط اي متذوق ، الى مستوى الابيات الواردة في الضرب الثاني ومن عجب ان يعتبر ابدع بيت قالته العرب (١١) ، وتقسيم ابن قتيبة ، اولا واخيرا ، محاولة لوضع قواعد ثابتة للنقد ، «وظاهر ان هذه الاضرب الاربعة نتيجة حصر علمي ، فالشعر عنصران اثنان عند ابن قتيبة : لفظ ومعنى. وكلاهما يجيء حسنا حينا ، ورديئا حينا ، وتأتلف هذه النعوت بعضها مع بعض فتتوافر عنها في الشعر هذه الاضرب » (١٢) .

ولا يكتفي ابن قتيبة بتقسيم الشعر الى اضرب ولكنه يحصر اغراضه بأطر معينة ويذكر البواعث التي تدفع الشاعر الى نظم قصائده : « وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب » (١٣) ، الا ان الشعر اعمق واغزر واوسع واشمل من هذه الدواعي التي يذكرها ابن قتيبة ، حين يعبر الشاعر عن تجربته واحساسه ومواجده وتطلعاته ، وموقفه ازاء الموت والحياة ، وتمثله وتمثيله للانسانية ، كفرد من خلال النوع ، ولا يليق به ان ينبعث فيما ينظم ويبدع عن طمع ، وان افتعل بعض الشعراء الاماديح ليحصلوا على المال (١٤) ، ولكن القياس هنا خاطيء ، او انه يصدر فيما ينظم عن حالات الشرب والطرب والغضب ، بعيدا عن التأملات الفكرية الهادئة ، وكأنه يستجدي الحالات النفسية المؤدية الى مضامين يفرغها في قوالب تستقيم عنده قصائد وابياتا ، وان ذهب بعض الشعراء الى ان هذه الدواعي هي التي تبعث حقا فيهم الرغبة في النظم وتحثهم عليه (١٥) .

ويشتد تأثير المنطق عند قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ويحاول ان يطور اضرب الشعر التي جاء بها ابن قتيبة الى تقسيمات اخرى تقوم على الانسجام بين عناصر الشعر : اللفظ والوزن والقافية والمعنى ، بائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ والوزن ، وائتلاف المعنى والوزن ، وائتلاف المعنى والقافية (١٦) ، ومتى يحسن ذلك ومتى يتم ، وكيف يضعف وينفرط ، وفي كل هذا وذاك يصدر عن عقلية منطقية ، تحاول مرة اخرى ، اخضاع الذوق للقاعدة وتحليل الشعر الى عناصر ، وتقسيمه الى اصناف بتوافق تلك العناصر ، وبادراك ذلك التقسيم يستطيع القاريء ان يكشف عن مواطن الابداع ، كما يرى قدامة الذي يضيف اسهاما جديدا الى تلك المحاولات التاريخية المستمرة الدائمة التي يسعى اليها النقاد ، مرتدين مسوح المعلمين والمرشدين يعوضون ، بما يضعون من قواعد ، عن ضعفهم ازاء الاستحواذ التام على عملية التذوق الادبي وتوجيهها .

وان كان ابن قتيبة قد ذكر دواعي للشعر وبين قسما منها تحث الشاعر على النظم ، فان قدامة بن جعفر قد ارجع الاغراض جميعا ، ما عدا الوصف ، الى المديح (١٧) ، فهو القطب الذي تدور عليه رحى الشعر ، فالرثاء مديح الهالكين ، والغزل مديح النساء ، والهجاء مديح معكوس : « رأى قدامة ان اغراض الشعر اما ان يكون موضوعها الانسان الممدوح ــ المهجو ــ المرثي ــ المتغزل به ــ الموصوف ، واما ان يكون موضوعها الشيء الموصوف ، وقد يجيء موضوع سادس يجمع بين هذين بالرابطة الصورية ، التشبيه ، وفكر قدامة اننا اذا استثنينا الوصف وهو موضوع مشترك بين الناس والاشياء فان الاربعة الاولى ليست الا منحا للصفات او سلبا لها ، فالمدح يتطلب صفات ايجابية تسلب في الهجاء ، وتحول الى المضي في حال الرثاء ، وتحور عن قاعدتها الاصلية في الحديث عن النساء » (١٨) .

---

(١٠) محمد مندر ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٩ .

(١١) حدث الرياشي عن الاصمعي قال : « هذا ابدع بيت قالته العرب » ، ينظر : الشعر والشعراء ، ص ٦٥ ، والرياشي هو العباس بن الفرج اللغوي النحوي ، قتله الزنج بالبصرة سنة ٢٥٧ هـ .

(١٢) طه احمد ابراهيم ، ص ١٢٤ .

(١٣) الشعر والشعراء ، ص ٧٨ .

(١٤) ينظر : التكسب بالشعر ، ص ١٨ وما بعدها .

(١٥) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ . وينظر : الموشح للمرزباني ، ص ٣٧٧ .

(١٦) ينظر : قدامة بن جعفر ، ص ١٤٨ وما بعدها .

(١٧) المصدر السابق ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٨) احسان عباس ، ص ١٩٥ .

ونجد الرغبة في النقد القاعدي قد ادت بقدامة ، كما فعلت بابن قتيبة ، ان يلغي ، باعتباره المديح اساس الشعر ، موقف الشاعر وشخصيته ومكوناته الثقافية والحضارية ، ويمكننا ان ندرك بسهولة ان التجربة الشعرية تختلف في حالةالمديح الحقيقي ، اي الاعجاب بعمل بطولي او انجاز عظيم يقوم به شخص يستأهل الاشادة والاطراء ، عن الغزل وموقف الشاعر من امراة احبها ، ووصف الاحاسيس التي اثارتها في نفسه ، ومدى الاندماج الروحي والنفسي بينهما ، ومعنى الوحدة والتفرد .. الخ ، وبين المديح والرثاء بون شاسع ، فحزن الشاعر لان الموت طوى انسانا احبه يختلف عن اعجابه بشخص معين ، لعمل جيد قام به ، وقد يتطور الرثاء الى تأمل فلسفي في قضايا الموت والحياة والفناء والخلود ، والهجاء الذي تحتمه طبيعة الدفاع عن النفس او القبيلة او الامة او المعتقد يتحول الى سلاح ماض يدفع به الشاعر غائلة المناوئين والاعداء ويوطد عن طريقه دعائم ما آمن به فرديا او جماعيا ، اليس من السذاجة والرغبة العارمة في التحديد ان يذهب ناقد كقدامة بأن المديح اساس الشعر ؟ فاذا ذكر شاعر بأن فلانا عظيم ، فهذا مديح ، وان قال بانه كان عظيما ، فذاك هو الرثاء ، وان حور المعنى ووجهه الى امراة فقد تغزل ، وان سلب احدا صفة ايجابية فقد هجاه (١٩) ، الا نجد في هذا الراي تعنتا وحصرا واصرارا على النقد القاعدي « ولو صح ما يقوله قدامة لنضب الشعر في جيل واحد ، ولاستحال نظما ، ولو صح لخاض الشعراء جميعا في كل الاغراض ، ولما كان من تعليل ممكن لان يجيد شاعر كالفرزدق المديح ، ويتخلف تخلفا زريا في الرثاءولان يتأخر زهير والبحتري في الهجاء ويأتيا بالمدائح الفاخرة ، ولو صح لكان الهجاء صورة واحدة في كل العصور ، واحدة عند كل الشعراء ، ولكن تاريخ الادب يفند ذلك ويقرر ان لكل عصر في الهجاء معاني ومناحي واساليب خاصة ، فالهجاء في العصر الاسلامي غيره عند المحدثين ، والهجاء عند جرير غيره عند بشار ... » (٢٠) .

ويوغل قدامة في غرابة آرائه فيصنف المديح ، أساس الشعر وقطبه الاكبر كما يرى ، الى معان للخلفاء والملوك والوزراء والكتاب وغيرهم ، فما يصح لهذا لا يصح لذاك ... الخ (٢١) ، ويحدد للشعراء مضامين قصائدهم وابياتهم ، وليس لهم سوى ان يستمدوا منه تلك المعاني وان يضعوا لها الكلام الموزون المقفى لتستقيم شعرا ، ويلغي ، في عمله هذا ، شخصية الشاعر والفروق بين المواهب الشعرية ، ولا يعترف بالتجربة الخاصة ، ويحصر المعاني ويشجع الشعراء على المديح ، وكأن الشعر وجد لخدمة الممدوحين ، ويقتل روح الابتكار والتجديد عند الشعراء ، ويعطي لنفسه دورا اكثر مما يستوعبه ناقد ، ولا يرى تفاوتا بين الممدوحين واعمالهم وانجازاتهم .

ومن اراء ابن سلام وابن قتيبة وقدامة وغيرهم نتلمس الاتجاهات الكثيرة التي سادت عالم النقد ، في العصر العباسي ، ودفعت النقاد ، تحت وطأة فوضى الاذواق ، واجتراح النظريات الادبية الثابتة، الى وضع اصول للنقد القاعدي القائم على اسس موحدة ، كالعلم ، مع معرفتهم بصعوبةالامر وتعذره، ولكن النزعة الى التحديد ما زالت تحكم اراء النقاد وتمد ، احيانا ، العوالم الادبية بفيض من الدراسات والبحوث ، ويبقى الادب يرفض جوانب من النقد القاعدي ويتأباها ولا يصدر عنها في تطوره وازدهاره .

الصراع بين القديم والحديث :

يبدو ان الصراع بين القديم والحديث والتقليد والتجديد والماضي والحاضر سمة تبرز في الحياة الفكرية حين تتطلع الامة الى انجاز حضاري جديد وتطمح الى تطوير تجارب الماضين والاستفادة من القدرات المعاصرة ، ولا تتضح تلك السمة الا في ادوار معينة تحكمها التحولات الاجتماعية والسياسية ، ويتخذ ذلك الصراع احياناجانباسلبيا سقيما ، وقد يضيع جهد وتتبدد طاقات وتهدر كلمات ، ولكن القرار يومىء في النهاية الى نواح ايجابية ودراسات جديدة وآراء مغايرة ، او الى ما هو ابعد من ذلك : بحث دائم عنعوالم غير معهودة وكشف مستمر لما يضني البشر من تساؤلات لا متناهية عن الغامض والمجهول ، وتحريك الافكار والعقول ، وفهم حديث للتراث واضافة جديدةاليه وترسيخه وامتداده الى المستقبل بشكل يبقي على تطوره وحيويته وقدرته على الصيرورة والمعاصرة .

ويتخذ الصراع بين القديم والحديث انصارا

---

(١٩) ينقل حازم القرطاجني رأيا مماثلا للجاحظ : « ليس شيء الا وله وجهان وطريقان . فاذا مدحوا ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبحهما » ، ينظر : منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس ١٩٦٦ ، ص٧٤ .

(٢٠) طه احمد ابراهيم ، ص١٣٢ .

(٢١) ويرى حازم القرطاجني الرأي نفسه فيقسم معاني المديح للخلفاءوالامراء والوزراء والقضاة ، ص١٧٠ ومابعدها.

من فريقين ، يلتزم الاول بالقديم ويهيء مواقع الدفاع المستميت عنه ، ويتجه الثاني الى الحديث ، محاولا النيل مع تلك المواقع ، مبررا الحداثة باسباب وعوامل كثيرة ، ويطلع احيانا فريق توفيقي ثالث ، يتوسط بين هؤلاء واولئك ، يظهر خير ما توصلوا اليه وما قدموه من نظريات وآراء ، وقد يقوم ذلك الصراع احيانا تحت وطأة فراغ فكري ووجداني عند جيل من الاجيال حين يشغل بالجدل تلهية وتأكيدا للذات ، ويشمل الصراع مظاهر فكرية متعددة ويتبلور في اكثرها عرضة للجدل والنقاش ، حين لا تحكمه قوانين ثابتة كالادب الذي يعتمد الموهبة والقدرة والثقافة والتذوق .

وبدأ صراع بين القديم والحديث ، في العصر العباسي ، بتأثير التحولات العامة وتبدل النمطية المتوارثة في الفكر والحياة ، ويهمنا منه الجانب الادبي الذي اثرى الاجيال المتعاقبة بمصادر ثقافية متعددة واحتدمت فيه اقوال وآراء .

ولا يعدم العصر الجاهلي ، من قبل ، لونا من الوان ذلك الصراع ، فزهير يشكو بانه ينظم معاني مكرورة معادة ، وامرؤ القيس يريد ان ينهج طريق شاعر قديم في الوقوف على الاطلال ، وعنترة يرى ان الشعراء السابقين لم يتركوا له مجالا في عالم الشعر ومضامينه يتحدث عنه (٢٢) ، وفي ذلك بحث عن معاصرة جاهلية مغايرة لما جاء به شعراء الجاهلية القدماء الذين لا نعرف عنهم شيئا ، وما مجالس الادب والنقد في سوق عكاظ وغيره الا مظهر للتفوق والمنافسة وتجاوز النموذج القديم ، وقد تجد ثورة ابي نواس ، فيما بعد ، على افتتاح القصائد بالوقوف على الطلل ، صدى صامتا في مطلع معلقة عمرو بن كلثوم : « الا هبي بصحنك فاصبحينا » وغيره من الجاهليين الذين لم يفتتحوا قصائدهم بالطلل كأمية بن ابي الصلت : (غذوتك مولودا ...) وتأبط شرا : (ان بالشعب الذي دون سلع) ، والحارث بن وعلة : (قومي هم قتلوا أميم أخي) ، والمنخل اليشكري : (ان كنت عاذلتي فسيري) وعشرات القصائد الاخرى .

وحين ظهر الاسلام وتبدل وجه الحياة واجتاحت الجزيرة العربية قيم جديدة ، ارتد بعض الناس الى الماضي مدافعين عن مواقعه متشبثين بانسيابيته ، فلخصت الاية الكريمة موقف الردة الفكرية عندهم : (بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) ، وحين توطدت اركان الاسلام وشارف العصر الثاني على الانتهاء قام العهد الاموي ، وريث العصرين السابقين ، وبدأت مظاهر الصراع تتخذ اوجها عديدة ، واتسعت المسألة في العصر العباسي ، ولو سادت فكرة ان يحيا الجديد الى جانب القديم ، وان مقومات الجدة تثبتها صفات القدم ، والا تجديد بلا تقليد ، وان لكل عصر اساليب في التعبير خاصة ، لما قام ذلك الصراع ، ولكن اسبابا اخرى ساعدت على تكوينه منها : انبهار جمهرة المتادبين بالنموذج الجاهلي ، ومكانة الرواة ، فحاكى بعض الشعراء الاساليب القديمة ، وآمنوا ان ليس بالامكان احسن منها ، والا جديد تحت الشموس الاموية والعباسية ، متطلعين الى استقطاب درجة من الاعجاب توازي ما حظيت به تلك الاساليب ، واندفع اخرون الى نحل الجاهليين قصائد ينظمونها ، مترسمين خطاهم ، حين وجدوا ان تقديس القديم ، ألغى دور الحاضر،ولم يأبه لقريحة ابنائه ، واللغويون،طليعة المدافعين عن القديم بحثا عن الشاهد ، يضعون ضوابط وقواعد للغة ، فلا يليق الاستشهاد بمحدث، ولا تقوى الحجة به .

ومما اسهم في التعصب للقديم ايثار الركود الفكري عند فريق من الناس اعتادوا انماطا من التعبير ثابتة ، وليس لهم ان يعكروا صفو امزجتهم الادبية باساليب مغايرة ومعان مبتكرة ومناخ جديدة في القول . والانسان اذا ما تلبسته مواقف فكرية معينة عدو لما يجهل ، وليست له القدرة على الكشف ، يكتفي بما عرف واتقن ، يتحصن به ، ويقيم من حوله الاسوار ، ويغلق المنافذ دون الحاضر والمستقبل ، تشبثا بمواقفه .

ومن اسباب الانتصار للقديم ، رفض الحياة القائمة ، وتمويه هذا الرفض ، في لا وعي الانسان ، بالغاء اي انجاز حديث ، والتطلع باحترام يبلغ حد التأليه ، الى النماذج القديمة ، وشل قدرات المعاصرين ، بالايماء اليها ، كنهايات لا يمكن ان يتجاوزها مهما بلغوا من ثقافة او موهبة ، وقد تكون اسباب هذا الرفض اجتماعية او سياسية او عقائدية . ولا يقر الاباء والاجداد ، احيانا ، لابنائهم واحفادهم ، مهما اوغلوا في مجالات الابداع والعبقرية ان يتفوقوا عليهم ، والغيرة والحسد من الاجيال

---

(٢٢) يقول زهير :

ما ارانا نقول الا معارا
او معادا من قولنا مكرورا

ويقول امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لاننا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم
ام هل عرفت الدار بعد توهم

الجديدة وما تحظى به من اعجاب واقبال قد يولدان موقفا سلبيا عنيفا ازاء اي تجديد وابتكار .

وحين يتأصل الفعل والامتداد الى الماضي يأتي رد الفعل والانطلاق الى المستقبل ، وهكذا قام الصراع بين القديم والحديث ، في العصر العباسي ، واغنى في اتجاهه الايجابي ، الحياة الفكرية والادبية ، فظهر من يرى ان الابناء يجب ان يؤدوا دورهم كابائهم وان يعبروا عن احاسيسهم وان يصدروا عن معطيات عصرهم ، وان يمثلوا زمنهم ، وان تشرق عليهم الشموس المتجددة كل يوم ، وكما فعلت من قبل ، وان العبقرية ليست سمة عصر بذاته ، وعوالم الابداع مشرعة ، ترحب بالقادمين الموهوبين ، وابواب الاجتهاد مفتوحة دائما امام الانسان ، ويأخذ رد الفعل قوة وتطرف الفعل فيظهر من يرفض القديم ونماذجه ، وفي ذلك قطع لسنة التطور الدائبة مع الحياة ، والغاء لفضل الاباء والاجداد في الريادة والكشف ، وفي الرأيين حدة وخطل ، وانكار للذوق الادبي وللنوازع الخاصة ، ولدور القارىء والمتلقي في عالم الادب ، يمكن ان يعجب بقديم وحديث ويطرب لجاهلي وعباسي ، ويجمع بين هذا وذاك ، ايعني قيام ابي تمام والمتنبي الا فضل للنابغة ولبيد؟ اليس التعصب لشاعر او عصر مردودا ومرفوضا طبقا لابسط القيم الحضارية والادبية ؟

والجاحظ من الكتاب العباسيين الذين حاولوا التوفيق بين القديم والحديث ، وفضل قصيدة لابي نواس على اخرى جاهلية ، وقال عن احد الرواة : « ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي أي زمن كان » (٢٣) ، ووقف ابن قتيبة موقفا وسطا بين القديم والحديث : « ... ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين واعطيت كلا حظه ، ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته » (٢٤) ، فقد رأى ابن قتيبة طغيان التعصب للقديم على بعض المظاهر الادبية ، فابن سلام الجمحي ، يولي اهتماما كبيرا بالشعراء الجاهليين والاسلاميين دون المحدثين ، وتشيع اراء وتطفى مواقف ، ويصبح القدم معيارا نقديا وتستحيل الحداثة مقياسا للحكم على النص بالرداءة ، وكأن الادب اثر من الاثار ، تزداد قيمته بتقادمه ، وليس تعبيرا عن الانسان في كل العصور ، يبقى الخالد منه حديثا في كل الازمنة والعهود .

ويمكن ان نشير الى بدايات المحدثين ببعض الامويين وبشار ورهطه من الشعراء العباسيين الذين حاولوا ان يخرجوا قليلا على التأثير الكلي للقدماء ، ولكنهم جوبهوا برفض وصل حد الازدراء والتجريح والاهمال ، في بعض الاحيان ، فأبو عمرو بن العلاء يقول « او ادرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه احدا » (٢٥) ، ويرى ابن الاعرابي : « انما اشعار هؤلاء المحدثين ـ كأبي نواس وغيره ـ مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيرمى به ، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا وانشده رجل شعرا لابي نواس احسن فيه، فسكت، فقال له الرجل : اما هذا من احسن الشعر ؟ قال بلى : ولكن القديم احب الي »(٢٦) ، وذكر الاصمعي: « حضرنا مأدبة وابو محرز خلف الاحمر وابن مناذر معنا ، فقال له ابن مناذر : يا ابا محرز ، ان يكن امرؤ القيس والنابغة وزهير ماتوا فهذه اشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقا فرمى بها عليه »(٢٧) ، وغير الاصمعي رايه في هذين البيتين :

هل الى نظرة اليك سبيل
فيروى الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي
وكثير ممن تحب القليل

عندما قال لراويهما : لمن تنشدني فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا الديباج الخسرواني ،

---

(٢٣) احسان عباس ، ص٩٥ .

(٢٤) ابن قتيبة ، ص٦٢،٦٣ . ولحازم القرطاجني راي مماثل ايضا : « فأما من يذهب الى تفضيل المتقدمين على المتاخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة ، لانه قد يتاخر اهل زمان عن اهل زمان ثم يكونون اشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من اقتناص المعاني بسفوره لهم عن اشياء لم تكن في الزمان الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له » ، ص ٣٧٨ .

(٢٥) طه احمد ابراهيم ، ص١٠٢ .

(٢٦) المرزباني ، ص٣٨٤ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص٤٥٣ .

فقال الراوي انهما لليلتهما فرد عليه الاصمعي : لا جرم والله ان أثر الصنعة والتكلف بين عليهما(٢٨).

وقيل لابي تمام : يا فتى ما اشد ما تتكيء على نفسك ، فليس للموهبة ان تبدع بحريةدون اقتباس ومحاكاة وتقليد ، وخاطب شاعر راوية : « اتق الله واحكم بين شعري وشعر عدي بن زيد ، ولا تقل ذاك جاهلي وهذا اسلامي ، وذاك قديم وهذا محدث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ودع العصبية » (٢٩) .

ولكن ما الذي فعله اولئك المحدثون ، ليثيروا نقمة المتعصبين للقديم ، وليكونوا موضع رفض وازدراء ، هل استطاعوا ان يغيروا من اساليب الشعر واوزانه وقوافيه ، وهل تخلصوا من المعاني والاخيلة القديمة ، وتمكنوا من ابتكار اشكال ومضامين مغايرة ؟ حين نستعرض هذا الصراع بين القديم والجديد والخصومة التي قامت حوله والنصوص الادبية المختلفة ، لا نجد شيئا من ذلك ، والمسألة لا تعدو ضرورة لغوية حتمت الاستشهاد بالقديم وانبهارا بالنموذج الجاهلي لم يترك ، عند بعض الناس ، مجالا لابداع اخر ، وتغييرا في بعض الموضوعات ، تبعا لمتطلبات العصر ، واغراقا في المحسنات البديعية والاغراض البلاغية احيانا ، محاكاة للقديم وتفوقا عليه وتأثرا بالمنطق والفلسفة.

ووجد بعض الشعراء العباسيين ، ومنهم ابو نواس ، ان الوقوف على الاطلال امر لا ينسجم وحياتهم المتحضرة الجديدة ، فحاولوا ان يتخلصوا من هذا التقليد لانهم لا يستطيعون ان يستوعبوا مشاعر الجاهلي واحاسيسه الصادقة الحقيقية حين يمر بالطلل ، تحت تأثير تنقله الدائم في الصحراء وحنينه الى وطن ثابت وشوقه الى ذكريات ذاهبة وازمنة ضائعة ، فاختص بذلك الغرض الانساني الرائع وانفرد به الادب العربي دون اداب الامم الاخرى ، ولكن هذا لا يعني أن يشوهه الشاعر العباسي او المتأخر بالمتابعة والمحاكاة ، والمسألة طبيعية ، ولكن المتعصبين للقديم ، وجدوا فيافتتاح القصيدة بغير الطلل امتهانا للنموذج المألوف ، وان كان التغيير الذي طرأ على افتتاح القصائد ضئيلا ، فأبو نواس نفسه الذي هاجم بعنف افتتاح القصائد بالوقوف على الاطلال يعود فيبدا به اماديحه ، ويسير على ذلك التقليد احيانا تحت تأثير طلب لا يستطيع الا تلبيته :

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا
فقد طالما أزرى بـه نعتك الخمـرا
دعـاني الى نعـت الطلـول مسـلط
تضـيق ذراعي ان أرد لـه أمـرا
فسـمعا أمـير المـؤمنين ، وطاعـة
وأن كنت قـد جشمتني مركبا وعـرا

فهل نعتبر ابا نواس في افتتاح بعض قصائده بالخمريات وغيرها مجددا ؟ لقد حاول ان يجري تغييرا على مطالع بعض القصائد ، لا يستتبع صراعا ورفضا واصرارا وانكارا .

وبقي افتتاح القصيدة بالطلل سائدا ، في اكثر النماذج ، ولم يستطع الشعراء التخلص منه حتى في الاندلس فترسم كثير من الشعراء الخطى التي داب عليها زملاؤهم في المشرق ، فهلال البياني ، احد شعراء غرناطة ، مدح ابن حمدين ، قاضي قرطبة ، بقصيدة اولها :

عرج على ذاك الجنـاب العـالي
واحكـم علـى الامـوال بالآمـال
فيـه ابن حمدين الذي لنوالـه
من كـل ارض شد كـل رحـال

فقال له القاضي : « ما هذا الوثوب الى المدح من اول وهلة ! الا تدري انهم عابوا ذلك كما عابوا الطول ايضا ، وان الاولى التوسط » (٣٠) .

والشعر الجاهلي الذي عبر بقوة وصلابة ووضوح وروح بدوية عن احداث وتجارب معينة لا يمكن ان يأتي باسر جملته الشعرية العباسيالمترف الذي اعتاد حياة جديدة ومارس تجارب مغايرة ، فلانت عبارته وتبدل شظف العيش عنده نعيما والتنقل في الصحراء ، تحت ظروف صعبة ، سكنا وارفا ، لا يضنيه بحث عن ماء او كلأ ، ولا يدفع عن نفسه غزوا او غارة او وحوشا ضارية ، فكيف يتأتى للشاعر العباسي ان يحتفظ بالروح الجاهلية في قصائده ؟ ولا نرى غرابة ان كان قد خرج عن هذا وذاك قليلا .

واكثر شعراء عباسيون منالمحسنات البديعية والاغراض البلاغية الاخرى ، بشكل يوحي انها الغاية المتوخاة من نظم الشعر ، تحت تأثير الدراسات العقلية والتفوق على النماذج القديمة ، ابتداءا من بشار وانتهاء بأبي تمام وامتدادا الى العصور المتأخرة ، فقد بحثوا عن اسرار الابداع في

(٢٨) الامدي ، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق احمد صقر ، ج١ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٣ .

(٢٩) طه احمد ابراهيم ، ص١٠٣ .

(٣٠) بطرس البستاني ، ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بيروت ١٩٥٨ ، ص٤١ .

النص القديم ، واسباب الاعجاب والانبهار به ، ولم يدركوا الا جزءا يسيرا منه منحصرا بالاغــراض البلاغية ، وحين يؤدي الشاعر معنى بطريقة مغايرة، فارادوا المحاكاة ، واحبوا لاشعارهم ان يكون لهــا الاسر القديم ، فتطرفوا ، ولقي عملهم نفــورا من المتعصبين للقديم ، وكأن البلاغة وقف على عصر دون آخر ، وبرزت مسألة نقدية جديدة هي الطبــع والتكلف في الشعر ، وادى اغراقهم في استعمــال المحسنات البلاغية الى ان يكون للقضية وجهان ، اولهما : مبعثه محاكاة اسرار الابداع في النــص القديم ، للوصول الى اعجاب مماثل ، وثانيهما : اندهاشهم بما فعلوا فتوهموا انهم جددوا وابتكروا وجاءوا بما لم تعهده اصول الشعر القديمة الثابتة، وانبرى اخرون يسفهون ما يعملون ، وألف ابــن المعتز كتاب البديع ليجرد ابا تمام من فضل ابتكار المعاني والاخيلة والتعبير عنها بالاساليب البلاغية ، لانها وجدت قبل ابي تمام في الشعر الجاهلــي والاسلامي ، والغى ابن الاعرابي شعر ابي تمــام كله بقوله : « ان كان هذا شعرا فما قالته العرب باطــل » (٣١) .

واذا عدنا ندرس ذلك الصراع بين القــديم والحديث بتفصيلاته الدقيقة لا نخرج بسوى اثارة للحياة الادبية واراء واقوال ، ونقاش دائم ، فليس هناك تجديد تام ، ولا نجد اساليب خاصة ولا اوزانا وقوافي مغايرة ، ولا معاني تنفصل ، الانفصــال الكلي ، عما اتى به الجاهلي بالرغم من محاولات ابي العتاهيــة وابي نواس وغيرهمــا في الاوزان والقوافي ، وبالرغم من الجملة الشــعرية التــي انسجمت والحياة الجديدة وعبرت عنها .

وما لبث جديد العباسيين ان اصبح قديما ، وقام الصراع حول ما استجدت عليه من محاولات، لا تحاكيه ، وليست المسألة قدما وحداثة ، في عالم الادب والنقد ، فالنص الجيد الرائع يثبت وجوده ويفرض نفسه على المتذوقين ، سواء أكان جديدا ام قديما ، فان اقتصرت الروعة على الجديد ، فمــا معنى الخلود الادبي ، وان كان الابداع حكرا عــلى القديم ، ففي ذلك تعطيل لقابليات ومواهب الاجيال المتعاقبة ، واي معنى يبقى للمثابرة الانســانية والكشف والريادة .

الطبع والتكلف :

مهما اوغلنا في النقد القاعدي ، بحثا عــن القيم الثابتة ، ومهما اشتد الصراع بين قــديم متوارث وحديث متجدد ، اثراءا واثارة للحيــاة الادبية ، يظل الشعر ، في اروع نماذجه فوق هــذا وذاك ، ضربا من ابداع متغير مع الزمن ، باستمرارية وتطور وتنويع . ولكن طبيعة الشعر المتمردة على القاعدة الثابتة لا تبرر ركودا في دنيا النقد ، ولا تستقيم حجة لمن يؤثر الصمت ويبتعد عن الروح النقدية التي تحاول دائما الكشــــف والتحليل والاستيعاب .

وقامت في العصر العباسي ، وفي العصــور الاخرى ، مناقشات دائبة ، ومحاولات مستمرة ، لتقسيم الشعر الى اضرب وانواع ، بسمات خاصة، وكان من نتيجة الصراع بين القديم والحديث ان ظهرت قضية نقدية اثارت نقاشا طويلا وسفح الادباء فيها محابر وسودوا صفحات ، حين رأوا ان من الشعر : المتكلف ومنه المطبوع ، ووضعوا لهذا وذاك دلائل وعلامات ، واتبعوا في محاولة وضع قواعــد للذوق الادبي طريقة التحديد والتصنيف واقحام الروح العلمية على الادب والشعر .

وقضية الشعر المتكلف والمطبوع تبدأ منــذ العصر الجاهلي ، وتبرز عند زهير بن ابي سلمى ورهطه ، ويثيرها الاصمعي ، فيما بعد ، حــين يصفهم بانهم عبيد الشعر (٣٢) ، فقد تدارســوه وبحثوا فيه وعنوا باخراجه وخافوا من الخطأ ، وابقوا القصيدة مدة طويلة ينقحــون ويعــدلون ، ويعيدون النظر ويتأملون ، فاتهموا بالتكلف ووصموا بالافتعال . واول ما يلاحظ في هذا الامر غرابة النقد الذي ينصب على طريقة نظم الشعر والوقت الذي يستغرقه ، دون النظر في الشعر نفسه وفي قيمتــه ومدى ابداعه ، وزهير نفسه يخبرنا عن طريقته في نظم الشعر ، ولو لم يكشفها لما عرفنا عنها شيئا ، ولما قام ذلك النقاش الذي ادى الى الاعتقاد بانــه متكلف في شعره ، وماذا نعرف عن الشــعراء الجاهليين الاخرين وغير الجاهليين ؟ هل اذاعــوا اشعارهم بين الناس بعد نظمها مباشرة ، ام اعــادوا النظر فيها واضافوا وعدلوا وغيروا ؟ ايبعدهم جهلنا بطريقة نظمهم الشعر عن التكلف ؟ وفي هذه المسألة بالذات ، وبحدود زهير ورهطه ، وحكم الاصمعي الصارم ، هل يمكن ان نحتج على الشاعر الذي يهدف الى ان يكون شعره اقرب الى الجودة والكمــال فنتهمه بانه عبد لموهبته وانها ليست طوع بنانه ، يوجهها كيف يشاء ، وفي اي موضوع يريد ؟

لم يخرج زهير عن كونه شاعرا اراد ان يدرس

(٣١) اخبار ابي تمام للصولي ، تحقيق خليل عساكر وجماعته، القاهرة ١٩٣٧ ، ص٢٤٤ .

(٣٢) ابن قتيبة ، ص ١٤٤ .

الشعر وان يكون ناقدا له ، بحدود معرفة ومعطيات عصره ، وعلينا ان ننسى كيف نظم الشعر وان نحكم على قصائده بما تحويه من قوة وشاعرية وابداع ، فمن الناس من يعجب بابياته ويراه اشعر الجاهليين، وهناك من يعجب بشاعر اخر دون ان يدري كيف نظم الشعر وهل اعاد فيه النظر « ومايقال عن طفيل الغنوي وزهير بن ابي سلمى والحطيئة من انهم كانوا اصحاب اناة وروية في الشعر ، وانهم كانوا عبيدا له ، وانهم شقوا به ، ليس معناه التكلف او الصنعة . كان زهير حريصا على الا يخرج شعره للناس الا بعد تهذيبه ، وما كان هذا التهذيب الا ابعاد ما لا يحتاج اليه المعنى ، او ابعاد معنى لاجلال له ، او تغيير عبارة بأختها او لفظة بغيرها اتم واكمل » (٣٣) .

ولكن القضية تتطور في العصر الاموي والعباسي وتتشعب الى مسارب نقدية متنوعة ، ويعني الطبع عند بعض النقاد والشعراء القدرة على الارتجال ونظم الشعر عفويا دون اطالة تأمل او تفكير واشاعته بين الناس دون اعادة نظر او تعديل ، فهل يهمنا كيف ينظم الشاعر قصيدته والوقت الذي يستغرقه ذلك النظم ، وهل له قدرة على الارتجال ؟ ام اننا نعنى بقيمة القصيدة الجمالية وشاعريتها وابتعادها عن التقليد وابتكارها للمعاني ، والقصيدة الرائعة تحمل معها عناصر جودتها وبقائها وخلودها ولا قيمة للوقت الذي تم فيه نظمها ، يقول ابن قتيبة : « ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة . وكان الاصمعي يقول زهير والحطيئة واشباههما عبيد الشعر لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وكان زهير يسمي كبر قصائده الحوليات ... والمتكلف من الشعر وان كان جيدا محكما فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه ... » (٣٤) ، فلم اعتبر ابن قتيبة تقويم الشعر وتنقيحه واعادة النظر فيه عيبا ؟ وهل يمكن ان نرى في شعر زهير والحطيئة كثرة الضرورات ؟ وما الامثلة الدالة على ذلك ؟ وهل حذف هذان الشاعران ومن شابههما ما بالمعاني حاجة اليه ؟ واين الابيات التي نجد فيها زيادة ما بالمعاني غنى عنه ؟ ولم نمنع عن الشعراء طول التفكر والتأمل ، وننشد في النظم السهولة واليسر ؟ وقد تعتري الشاعر معاناة في تمثله التجربة والتعبير عنها ، ولا يهمنا رشح جبينه بقدر ما يرفض عنه ذلك الجبين من اشعاع وابداع . ويقول ابن قتيبة : « والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي واراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر » (٣٥) فهل ان زهيرا ورهطه لم يقتدروا على القوافي ... الخ ، واي تحديد للشاعر المبدع ان يسمح بالشعر واي مقياس يمكن ان نضع لذلك السماح ؟ ولم يكون مكمن الروعة في البيت ان يرينا صدره عجزه وندرك قافيته من فاتحته ؟ وما ذنب الشعراء الذين لا يستجيبون لاهواء الناس في نظم الشعر الفوري المرتجل ، ويصدرون في نظمهم عن تجارب حقيقية مروا بها واحسوا بابعادها ؟ ولنفرض ان شاعرا لا يقدر على الارتجال ، ولنتصور اخر اصيب بلثغة في لسانه ، ايعيب هذا وذاك الشعر الرائع الذي يتقدمان به ؟

وتتخذ القضية شكلا مغايرا حين يقترن التكلف بالمحسنات البديعية والتطرف في استعمالها بكد وعناء ، ولان بعض النقاد يتقبلون ما جاء منها عفو الخاطر وفيض القريحة مالوا الى اعتبار البديعيين من الشعراء متكلفين : « وقد نجد في كلام المتأخرين كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ما له اسم في البديع الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع بين اقسام البديع في بيت فلا ضير ان يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده ، كمن ثقل العروس بأصناف الحلي ، حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها»(٣٦) ، وهنا تبرز امامنا حقيقة ان شعر شاعر لم يخل من البديع والاغراض البلاغية المتنوعة ، ولكن تفاوتت النسب بما جاء عرضا وما افتعل واصطنع ، وقارئو الشعر ومتذوقوه يختلفون في رؤيتهم للاصطناع والعفوية في المعاني التي تضمنتها القصائد . وقامت في العصر العباسي ، نتيجة ثنائية الطبع والتكلف ، مدرستان، اولاهما : مدرسة المطبوعين ، وعلى راسهم البحتري، والاخرى ، مدرسة المتكلفين ، وفي مقدمتهم ابو

---

(٣٣) طه احمد ابراهيم ، ص٩٩ .
(٣٤) ابن قتيبة ، ص٧٨، ٨٨ .
(٣٥) المصدر السابق ، ص٩٠ .
(٣٦) عبدالقاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ، ص٦ .

تمام ، وطال النقاش حول الشاعرين واتجاههما ، وعناصر الطبع والعفوية عند البحتري ، واسباب التكلف وادخال المنطق والاقيسة العقلية في الشعر عند ابي تمام ، وقامت الدراسات وألف الامدي كتاب الموازنة بين الطائيين ، ومما قاله فيه : « انا أذكر باذن الله الان في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر في ذلك المعنى بعينه ، فلا تطلبني ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندي على الاطلاق فاني غير فاعل ذلك ... وانا ابتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم في تفضيل احدهما على الاخر » (٣٧) ، ومما قاله ايضا: « فان كنت – ادام الله سلامتك – ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحتري اشعر عندك ضرورة . وان كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على ما سوى ذلك ، فأبو تمام عندك اشعر لا محالة » (٣٨) ، وبالرغم من منهجية الامدي وموضوعيته (٣٩) ، وان اتهم بميله الى البحتري (٤٠)، استمر النقاش حول التكلف والطبع في الشعر ، ومهما اوغلنا فيه ، تبقى لابي تمام والبحتري قصائد جيدة واخرى لا تماثلها مستوى وثالثة ما بين بين ، ويقرأ الناس لهذا وذاك ويعجبون ويرفضون ، ولم يتغير الذوق الادبي والمفاهيم الشعرية السائدة ايام المعتصم عنها ، في ايام المتوكل ، والقضية نوع من التقسيم والتصنيف والتحديد ، وهيمنة النقاد على الذوق الادبي ، وهناك شعر جيد صادر عن تجربة وتأثر وصدق وموهبة عالية ، لا تملك الا ان تعجب به وتطرب ، وهناك شعر اخر مصطنع بارد ، عوامل الضعف فيه لا تخفى على القارىء ، ولا يخلو شعر شاعر من قوة وضعف ، وصدق وافتعال ، وهذا ينسحب على ابي تمام والبحتري والشعراء الذين وصفوا بالمطبوعين والمتكلفين ، وكان البحتري نفسه يسقط من شعره ما يراه ضعيفا فيعيد سيرة زهير ويلغي رأي النقاد في الطبع والتكلف ، يقول العسكري : انه « كان يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به » (٤١) ، فمسألة الطبع والتكلف مصطنعة لاثارة المعارك الادبية وهي متكلفة اصلا ولا تستدعي عناءا كبيرا وان استمر الحديث عنها احقابا طويلة .

وحدة الموضوع :

كثر الحديث عن وحدة الموضوع ووحدة البيت في القصيدة العربية وعن الوحدة العضوية في النص الادبي ، كمصطلح نقدي حديث ، وعن شروط تلك الوحدة (٤٢) ، وظهرت كتب تناولت الموضوع بالتفصيل (٤٣) ، ونشرت بحوث ومقالات (٤٤) ، ولعل كثرة ما كتب يوميء الى صعوبة ايجاد رأي ثابت لاختلاف النصوص الشعرية في ابتعادها واقترابها من وحدة الموضوع وتماسكها وتفككها في موضوعها الواحد او موضوعاتها المتعددة ، وعدم وضوح الوحدة احيانا في روابط خفية بين الموضوعات المتنوعة في القصيدة لا ندركها الا بعد الكشف عن تجربة الشاعر والاطار الذي تدور فيه ، وكأن القصيدة لوحة ذات الوان متباينة تتداخل فيها مشاهد عديدة ، تبدو متنافرة ، ولا يتسنى لنا بسهولة فهم مراميها وتوضيح الصلة الوثيقة بين اجزائها وعلاقتها بظروف قائلها ومعطيات حياته ومفاهيم عصره والذوق الادبي السائد فيه .

واختلفت اراء الباحثين المحدثين من عرب ومستشرقين في وحدة الموضوع ، فمنهم من ينفي وجودها في القصيدة العربية القديمة ، يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « فليست القصيدة الجاهلية وحدة عضوية في شكل من الاشكال لانه لا صلة فكرية بين اجزائها فالوحدة فيها خارجية

---

(٣٧) الامدي ، ص٧ .

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) مندور ، ص٩٣ وما بعدها .

(٤٠) احسان عباس ، ص١٦٢ وما بعدها .

(٤١) ابو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق البجاوي وابراهيم ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص١٤١ . وتنظر : مصطلحات نقدية ، رسالة ماجستير لخيرالله علي السعداني ، تقدم بها الى جامعة بغداد ، اذار ١٩٧٤ ، ص٤٤ وما بعدها .

(٤٢) مما دعاني في دراسات سابقة الى تجاوز وحدة الموضوع والتأكيد على وحدة التكامل الادبي في دراسة ونقد النصوص الادبية القديمة والتطلع الى ذلك التكامل في ابداع ادباء هذا العصر والعصور المقبلة ، تنظر مقالة الاداب : « الاداء المسرحي والعمل المتكامل » ، العدد ١، بيروت ١٩٦٨ ، ص١٨ وما بعدها . والشعر والزمن ، سلسلة الكتب الحديثة ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥ .

(٤٣) منها : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، للدكتور نوري القيسي ، الموصل ١٩٧٤ . ووحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، للسيدة حياة جاسم ، وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٢ ، ووحدة القصيدة في الشعر العربي ، للدكتور محمد عبدالمنعم الخفاجي ، القاهرة ١٩٥٢ .

(٤٤) احصت السيدة حياة جاسم قسما كبيرا من تلك البحوث والمقالات ، ينظر كتابها ، ص٩٣ وما بعدها .

لا رباط فيها الا من ناحية خيال الجاهلي وحالته النفسية في وصف الرحلة لمدح الممدوح » (٤٥) ، وبما ان التماسك العضوي او الدرامي في النص الشعري مفهوم حديث فاننا نثقل على الشاعر الجاهلي حين نطالبه به ، ونرى بالرغم من ذلك الصلة الفكرية قوية بين اجزاء القصيدة الجاهلية، وخيال الشاعر وحالته النفسية لا تنبهان في وصف الرحلة الى الممدوح فقط ، لان قصائد المديح لا تشكل الا جزءا يسيرا من الشعر الجاهلي (٤٦) ، وهناك قصائد جاهلية كثيرة فيها وحدة موضوع (٤٧)، ويبقى التماسك العضوي امرا تتباين وتختلف فيه الاراء بالنسبة الى الشعر الجاهلي . ويرى الدكتور محمد مندور : « ان الادب العربي ادب جزئيات ، وحدتها البيت لا الفكرة ولا الاسطورة ولا الموقعة التاريخية » (٤٨) ، ولا ننكر ان تجزئة في فهم النص الشعري وفي نظمه ايضا وردت عند فريق من الشعراء ومتلقي الشعر (٤٩) ، فوحدة الموضوع يجب ان تتوافر في النص الادبي وفي ذهن من يقرأ ذلك النص لتتم عملية فهمه بصورة متكاملة ، وان من شروط هذه الوحدة عند الشاعر ان يعبر عن تجربة معينة او موقف محدد وعند القارىء ان يلم بالظروف النفسية التي احاطت بالشاعر حين نظم قصيدته ، ووحدة البيت لا تعني انفراط الصلة مع البيت الذي يليه ، ولم تنعدم الافكار المتتابعة في ابيات تصف طللا او خمرة او تمدح شخصا او ترثي اخر ، وقد نجد شيئا من الاسطورة والموقعة التاريخية في شعر ابي تمام مثلا ، ونرى العلاقة واضحة بين ابيات قصيدة للمتنبي (٥٠) ، او لابي العلاء او لغيرهم من الشعراء .

وللمستشرقين اراء في وحدة الموضوع تميل الى افتقار القصيدة العربية اليها ، يقول ديزموند ستيورت : « في اللغة العربية ، الوحدة ليست للقصيدة ككل ولكن للبيت . كل بيت قائم بذاته ، القافية واحدة في الابيات جميعا ، هذا صحيح ولكن تبقى القصيدة اجزاء متفرقة كحبات الخرز ، ينتظمها سلك واحد ، يمكن ان نرفع ايا منها ونضعه في مكان الاخر » (٥١) ، ويصح طبقا لذلك ان نضع بيت امرىء القيس : « وان تك قد ساءتك مني خليقة » مكان مطلع قصيدته : « قفا نبك ... » ، وهذا راي تعوزه الدقة والتركيز ، ويرى اخر : « ان القصيدة التي تعد نموذج الشعر القديم خالية تماما من الوحدة وتسير من غير نظام لانها تتكون من الاطالات والتوسعات المقرون بعضها ببعض من غير رابطة منطقية » (٥٢) ، ولا اود ان اناقش هذا الراي باستعراض القصائد التي تتناول موضوعا واحدا ، وقد ذكرت قسما منها ، ولكنني اريد ان استشهد بقصيدة معروفة قال اكثر دارسيها انها تضم موضوعات عديدة وهي معلقة امرىء القيس : الا نجد فيها شيئا يشبه تداعي المعاني ، فالوقوف على الاطلال يجر الى الغزل ، والغزل يثير موقف الحبيبة وجفاءها ، فيطول الليل على الشاعر وتنتابه هموم العاشقين ولا يستطيع بلوغ نهايته فيخرج « والطير في وكناتها » قبيل الفجر الى الصحراء ، فيصف الصيد والوحش ... الخ . ان القصيدة التي تفتقد وحدة الموضوع حقا ، ان كانت من الشعر الجيد ، ينتظمها اطار من مشاعر صاحبها ومن نوازعه ودوافعه وتطلعاته وحالته النفسية ، وفهم هذا الاطار يعوض عن تلك الوحدة ، وما ذنب الشاعر اذا لم تبتعث قصيدته في ذهن الناقد وحدة ما فيجزئها ابياتا ويفهمها كما يشاء ، ولايكون بمقدوره ان يستوعب رؤيا الشاعر كاملة على الاطلاق .

ومن الباحثين من يثبت الوحدة الموضوعية في القصيدة العربية ، ويرى الدكتور طه حسين ان دراسة الابيات منفردة والاهتمام بوحدة البيت دون وحدة القصيدة امر حتمته نزعة بعض النقاد الى فهم القصيدة بيتا بيتا : « ومن اخص العيوب التي يؤخذ بها النقاد الذين نقدوا ابا تمام والبحتري والمتنبي انكم لا تجدون احدا من هؤلاء النقاد ينقد القصيدة من حيث هي قصيدة ، فهم اذا قرأوا اجمل قصائد ابي تمام والبحتري والمتنبي لاينظرون اليها جملة ، كيف استقامت الفاظها ومعانيها واسلوبها ، وانما يقفون عند البيت او البيتين ، اجاد الشاعر في هذا التشبيه ام لم يجد ؟ أوفق في

(٤٥) محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، بيروت ١٩٧٣ ، ص٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٤٦) ينظر : التكسب بالشعر ، ص١٠ وما بعدها .

(٤٧) منها ما ذكرت في معرض حديثي عن الصراع بين القديم والحديث ، ومنها ما تدرجه السيدة حياة جاسم في كتابها ، ص٢٥٩ وما بعدها .

(٤٨) مندور ، ص١٤٩ .

(٤٩) تنظر للكاتب مقالته في الاداب : « الادب العربي ليس مقروءا » ، العدد ٦ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص١١ وما بعدها. وللدكتور حسام الالوسي : « طبيعة القصيدة العربية الكلاسيكية ومسائل اخرى » الاداب ، العدد ٩ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص٦٥ وما بعدها .

(٥٠) ينظر للكاتب : بحثه في مجلة الجامعة المستنصرية عن حكم المتنبىء ، العدد ٢ ، بغداد ١٩٧١ .

(٥١) ديزموند ستيورت ، بابل الجديدة (بالانجليزية) ، لندن ١٩٥٦ ، ص ١٢٦ .

(٥٢) جوتيه ، ينظر : حسام الالوسي ، ص٦٨ ومصادره .

هذا التعبير ام لم يوفق ؟ وما هكذا نتصور المثل الاعلى للنقد الادبي » (٥٣) ، فبعض النقاد كانوا يفتحون جزءا ضئيلا من الضوء على النص الادبي ويدرسون فقط ذلك الجزء المضاء ثم ينتهون منه فيسلطون الضوء على جزء اخر وهكذا .

ان اعتبار وحدة الموضوع شرطا من شروط نجاح النص الشعري في العصور المتعاقبة يستدعي وقفة قد تطول ، فاذا تجاوزنا سمات الابداع في النصوص الادبية وعلاقتها الوثقى بالوحدة العضوية في القصيدة نجد ظروفا تحتم وجود هذه الوحدة او انحسارها او اختفاءها ، منها طبيعة الموضوع وظرف الشاعر النفسي ومفهوم العصر للوحدة الموضوعية ، ففي العصر الجاهلي كانت احسن القصائد ما تناولت موضوعات متعددة ، وابن سلام ، كما مر بنا ، يضع تعدد الموضوعات واجادة الشاعر الجاهلي فيها اساسا للتقدم على اقرانه ، سواء اكان ذلك في قصيدة ام في اثار الشاعر كلها ، والقاء الشعر في محفل او مجلس يستدعي التوطئة بابيات تمهد للغرض الرئيس ، ولكن هذا لا يعني ان القصائد جميعا فيها مقدمات تفقدها وحدة الموضوع ، ودرج شعراء الا يبدأوا قصائدهم بالمديح ، قبل التمهيد له بأبيات تتناول غرضا اخر ، وان كان بعض الشعراء قد قلدوا الجاهليين في الوقوف على الاطلال ليصلوا بعد ذلك الى الغرض المراد فلا يمكننا ان نعتبر الطلل دائما مقدمة لغيره من الاغراض ، وقد يكون اروع ما تأتي به قصيدة جاهلية من صور شعرية ومعان عميقة (٥٤) .

ان النقاد العباسيين بالرغم من رأي الدكتور طه حسين اولوا وحدة الموضوع في القصيدة العربية اهتماما كبيرا ولكنهم لم يستطيعوا ان يبعدوا سيطرة الشراح على الاذهان في تناول القصائد مجزأة بيتا بعد بيت (٥٥) ، فالجاحظ يقول : « ... اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لايقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات ، واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا ، كان على اللسان عند انشاد ذلك مؤونة . واجود الشعر ما رايته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان » (٥٦) ، ويذكر شاعر انه قال لاخر : « انا اشعر منك ، قال : بم ذلك ؟ قال : لاني اقول البيت واخاه وانت تقول البيت وابن عمه » (٥٧) ، ويدعو ابن طباطبا الى وحدة الموضوع : « ينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاورها او قبحه فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها » (٥٨) . ومن نصوص شعرية كثيرة ذات موضوع واحد ، ومن اراء هؤلاء النقاد وغيرهم ندرك ان وحدة الموضوع لم تغب عن ذهن الشاعر والناقد العباسيين ، وانما ساعدت عوامل على تفككها منها القاء الشعر في محفل وما يستتبع ذلك من روح خطابية مباشرة ، والطقوس التي فرضها الممدوحون على قصائد المديح والتوطئة لها بمقدمات ، ونظم الشاعر لقصيدته في اوقات متفاوتة وتحت تأثير تجارب عديدة وشعور مغاير .

وهناك من يدعو الى استقلال البيت الشعري ، فابن سلام يرى انه : « المستغني بنفسه ، المشهور ، الذي يضرب به المثل » (٥٩) ، ويمكننا ان ندرك بسهولة انه يعني الحكمة والامثال السائرة ، وليس الشعر جميعا حكمة او مثلا سائرا ، وليست الشهرة معيارا نقديا للحكم على الابيات ، « وقيل لابي المهوش : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : لم اجد المثل النادر الا بيتا واحدا ، ولم أجد الشعر السائر الا بيتا واحدا » (٦٠) ، ويقول ابن رشيق : « انا استحسن ان يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده » (٦١) ، ولعله يقصد الاستقلال اللغوي او التركيبي ، فلا يصح في القصيدة القديمة ان ينتهي بيت بمبتدأ او فاعل ، خبره او مفعوله في البيت التالي ، ولكن يجب ان ينسجم والابيات الاخرى لتتم وحدة الموضوع ويجب ان يفهم البيت من خلال القصيدة والاستعانة بظروف واحاسيس صاحبها وقت ابداعها ليتضح

---

(٥٣) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص١٧٨ .

(٥٤) تنظر للكاتب مقالته في الاداب : « الغربة بين الشاعرين الجاهلي والمعاصر » ، العدد ٣ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص٢٩ وما بعدها .

(٥٥) درست في البحث المنشور في مجلة الجامعة المستنصرية قصيدة للمتنبي وخطل فهم الشراح لها بينا بينا كالعكبري والبرقوقي وغيرهما .

(٥٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ج١ ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص٦٦،٦٧ . واولاد علة بنو رجل واحد من امهات شتى .

(٥٧) ينظر : الكامل للمبرد ، ج٢ ، القاهرة ١٩٣٧، ص٥٠٧ .

(٥٨) المرزباني ، ص٣٠٧ .

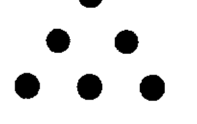
(٥٩) طبقات الشعراء ، ص١٢١ .

(٦٠) الجاحظ ، ص٢٠٧ . وابو المهوش شاعر مخضرم .

(٦١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج١ ، القاهرة ١٩٠٧ ، ص١٧٥ .

معناه فيها ، لا ان تعتبر القصيدة دوما مجموعة حكم او حقائق او صور منفصلة او تجاريب مختصرة ، نجزئها كما نشاء ، فابن رشيق نفسه يرى في موضع اخر ان ابيات القصيدة يجب ان تكون متماسكة كأعضاء الانسان في ترابطها وتكاملها: « ان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الاخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة ... » (٦٢) ، ويعود المرزباني فيرى : « خير الشعر ما لم يحتج بيت فيه الى بيت اخر » (٦٣) ، ولو طبقنا هذا الراي تطبيقا علميا دقيقا على الشعر العربي لرأينا معظمه ليس من خير الشعر ، ولا اظن ان المرزباني ذهب الى ذلك ، وانما هو تأثير وجناية الشراح والفهم السريع للنص الشعري وطبيعة القرار الذي تنتهي به القوافي ، فان كان كل بيت منفردا لا يحتاج الى البيت التالي ، فما الذي دعا الشعراء ان يجمعوا ابياتهم في قصائد ؟ وهل يمكن ان ينطبق هذا الحكم على الشعر العربي ، على معلقة لبيد مثلا ، او قصائد العذريين ، او اشعار عمر بن ابي ربيعة ، او اهاجي جرير ، او انتاج بشار وابي نواس وابي تمام وابن الرومي والمتنبي المعري ... الخ .

ادى شرح الشراح للقصيدة بيتا بيتا دون اكتشاف الرابط بين الابيات ومحبة فريق من الناس للايجاز واختصار التجارب بكلمات قليلة ورأي بعض النقاد في استقلال البيت الواحد الى فهم النص الشعري المتكامل مجزأ الى قطع مبعثرة تمثلها الابيات التي تستقل في الاذهان قائمة بذاتها في حين انها متماسكة مع الابيات الاخرى . ان وحدة الموضوع تتمثل بوضوح في بعض النصوص القديمة والحديثة او تنحسر في قسم اخر منها لاضطراب يصيب الشاعر وقت النظم ، ولها علاقة كبرى بمدى واتساع التجربة والموهبة ، تتناسب معها طرديا ، وتتوقف اولا واخيرا على ارادة الشاعر وطبيعة موضوعه وظروفه وقدرته على التماسك الدرامي في النظم .



---

(٦٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٤ .
(٦٣) المرزباني ، ص٣٦ .

تاريخ فن العمارة العربيــة الاسلامية

مدارس هــذا الفن والفترات الكبرى لتطوره

بقلم
شريف يوسف

المقــــدمة :

من المعلوم ان العرب الذين اندفعوا من الجزيرة العربيــة حاملين راية الاسلام استطاعوا في خلال نصف قرن ان يفتحــوا ممالك كانت لها حضارة راسخة ومدنية عريقة ، وقد اسسوا خلال هذه الفترة القصيرة امبراطورية تزيد في سعتها على ســعة الامبراطورية الرومانية في ايام عظمتها واتساعها .

لقد احتوت هذه الامبراطورية العربية امما كثيرة ، وقــد شملت كلا منسوريا وجزءا من ارمينية وشــــمال افريقــــة واسبانيا من الجهتين الشمالية والغربية ، كما شملت العراق وايران وتركستان وافغانستان والهند من الجهة الشــرقية . وكانت المسيحية والوثنية منتشرة في هذه البلاد ، فوجـــد المسلمون فيها كنائس ومعابد عامرة عديدة وابنية وقصور ذات طراز واسلوب متقدم في فن العمارة ، ووجدوا من اهل هــذه البلاد رجالات ذوي خبرة ومهارة فائقة في فن البناء والانشــاء والزخرفة ، كما وجدوا مواد انشائية وافرة فيها ، فليس من العسير عليهم بعد هذا ان يبدؤا في اقامة المباني التي تلائــم طبيعة معاشهم وتتفق مع متطلبات شعائرهم الدينية .

وبعد ان تم للعرب الاستقرار في البلاد التي رفعوا فوقهــا رايتهم توجهوا بكل همة ونشاط الى الناحية العمرانيــــة ، فاستعانوا برجال الفن والصنعة من أهل البلاد التي خضعت لحكمهم وبرجال فنيين من البلاد التي بقيت خارج هذا الحكم ، وبدات عماراتهم تظهر للعيان هنا وهناك ، واصبح لهذه العمارات شخصية معروفة ظاهرة ، تختلف كل الاختــلاف مــن حيث الاسلوب والطراز عن تلك التي وجدوها قائمة في البلاد التي تم لهم فتحها . ان معظم العمارات والمنشآءات التي شــــادها المسلمون في بداية حكمهم كانت في الغالب مساجد او قصور « دور امارة » ، ثم توسعوا في البناء واخذوا يشيدون المدارس والتكايا والجسور والقناطر ، ويتفننون في تخطيط مدن جديدة فيها الشوارع الواسعة والبرك الجميلة والحدائق الغناء التي تشهد بتقدمهم الفني واتساع خيالهم وتذوقهم لكل شيء جميل .

لقد كان للفنون بصورة عامة وللفن المعماري بصورة خاصة مكانة كبيرة عند حكام المسلمين وامرائهم وملوكهم ، وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بالتقدير والمكافاة من الحــكام الذين يحلو لهم استغلال مواهب هؤلاء الفنانين في تشــــييد المباني وتزيينها وزخرفتها وتاثيثها ، منفقين عليها المال بــكل سخاء وكرم ، يدفعهم الى ذلك طلب رضى الله سبحانه وتعالى عند بناء المساجد والجوامع ، او رغبة في التفاخر وتخليد مآثرهم وامجادهم . فالمساجد والقصور والمدارس ودور الشفاء والقلاع الحصينة وغيرها كانت كلها تشيد بامر هؤلاء الحكام وتحــت اشرافهم . فيعنى بزخرفتها وجمالها لتحمل اسمهم في الحياة وتضم رفاتهم بعد الممات احيانا . وهكذا كان فن البناء دومــا في خدمة الامراء والسلاطين وحاشيتهم المقربين ، وتبعا لمستوى ثقافتهم كان هذا الفن ياخذ اتجاهه ، وتتطور اساليبه ، وتتنوع زينته وزخرفته .

تطور فن العمــارة العربيــة الاســلامية :

حين بدا العرب حياتهم الحافلة بعظائم الامــور وجلائــل الاحداث كان فن البناء عندهم لم يزل وليدا ، فلم يكن في بلادهم اي فن في ذلك الوقت خلا اثر مجدب تخلف عن الماضي السحيق ، ولم يظهر في شبه الجزيرة العربية فن بناء قومي ظاهر الا في البقاع الخصبة التي كان يسكنها شعب يعيش في رخاء واستقرار كاليمن التي تختلف ظروفها كل الاختلاف عن تلك الظروف التي تضطر القوم الرحــــل الذين يضربون في الصحراء ويعيشون في عزلة وركود .

لقد نشا فن العمارة العربية الاسلامية في المساجد اولا وفيها ولد وفي رحابها نما وترعرع ، فكانت المساجد والجوامع الاولى ابنية عادية اقيمت للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ، وليس فيها نزوع الى اتقان في العمارة ، فاول مسجد بني في الاسلام مسجد المدينة المنورة ، بناه الرسول الاعظم (ص) ووضع حجر أساسه بيده الكريمة سنة ٦٢٢م . ويعتبر النموذج الاول لسائر المساجد الاخرى . وكان هذا المسجد مساحة من الارض مربعة الشكل ، تحيط بها جدران من الآجر والحجر ، وكان هناك سقف على جزء من أجزاء هذا المربع سقيفة صنعت من جريد النخل .

في مثل هذا البناء البدائي لم تكن ثم ضرورة الى استعارة اساليب معمارية من مكان ما ، اذ لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الاساليب ، وقد ظلت المساجد بالرغم من التغييرات التي طرات على بنائها بيتا للعبادة ورمزا للوحدة الدينية والدنيوية .

انتقل العرب بعد ذلك من القناعة بالضروري اللازم الى الابنية الضخمة الفاخرة انتقالا سريعا ، فلم يمض على وفــاة النبي الكريم (ص) عشرون سنة حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة ، واقيمت له جدران ودعائم من الحجر . وبعد سنين قليــلة

ادخلت المقصورة في عمارة المساجد ، وظهرت المآذن ، ودخلت زيادات ثانوية كالايوانات والاروقة التي تحيط بصحن المسجد ، رفعت فوقها أقواس وعقود متنوعة الاشكال من مدببة الاطراف الى مسطحة الى مفصصة وغيرها من الاشكال ، وقد رفعت السقوف على أعمدة او دعائم من الرخام والحجر او الآجر ، واستخدم المحراب في تحديد اتجاه القبلة ، وهكذا نرى عمارة المساجد تتطور في زمن قصيرة حتى أصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسة الهامة في بناء المساجد .

لقد اظهر المسلمون رأيا صائبا في اتخاذ القبـة عنصرا مميزا لابنية المساجد ، وان كان بناء القبة معروف عند اليونان والرومان من قبل ، ففي سنة ٦٩١م . شيد الخليفة عبدالملك ابن مروان الاموي قبة الصخرة في بيت المقدس وجعلها من أروع الابنية الاسلامية وأضخمها ، ويأتي بعدها من حيث الاهمية والترتيب التاريخي المسجد الجامع الاموي في دمشق . ومما يمتاز به هذا المسجد من حيث الفن المعماري الاقواس التي تشبه حدوة الفرس والذي قدر له ان يكون مميزا لفن العمارة العربية في سوريا والمغرب ، ثم بنيت المآذن ، وكان أول مثال لاستعمالها في الاسلام في دمشق ، والغرض من بنائها غير غامض ، اذ انها بنيت لتكون مكانا مشرفا يدعو منه المؤذن المؤمنين الى الصلاة ، ولعل المسلمين عمدوا الى استحداث هذا ليكون مقابلا لعادة المسيحيين في الدعوة الى العبادة بدق القرعة وذلك قبـل استخدام النواقيس .

وهناك فوق الظواهر المعمارية التي ذكرناها عناصر أخرى مميزة للفن المعماري الاسلامي يمكن اعتبرها كزخرفة او زينة في البناء ، منها الكتابات بمختلف أنواع الخط العربي وحفرها في الخشب أو الحجر أو الآجر ، ففي هذه الكتابات يتجـلى الذوق والمهارة والجمال في استخدام الحروف لاغراض الزينة . ومن العناصر الجديدة ايضا الزجارف الملونة والبارزة ، كما ذاعت طريقة الزخرفة بالقاشاني المزجج البراق المختلف الالوان والنقوش . ومن عناصر البناء الاسلامي أيضا المقرنصات تلك الظاهرة المعمارية العربية الفريدة التي تبعت المسـلمين أنى ذهبوا ، واصبحت طابعا يميز عماراتهم من الهند الى اسبانيا ، وقد فاق العراقيون غيرهم في هذا النوع من الزخرفة حتى ان العلماء يعتقدون ان أصلها عراقي محض ، وكذلك الشـرفات المسننة او المضرسة التي يرجع أصلها الى طراز البناء العراقي الآشوري والبابلي .

تأثر العرب بالمدنيات والحضارات القديمة :

قلنا ان العرب قد تأثروا بحضارات ومدنيات البلاد التي اكتسحتها جيوشهم الظافرة ، وكان تأثرهم بالاساليب الفنيـة التي كانت زاهرة في كل من سورية ومصر والعراق وايـران والهند وغيرها من البلاد شيئا واضحا وجليا،ولكنهم ما لبثوا ان افرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسـبة لها طابع خاص وميزة بارزة ، فاظهروا للعالم فنونا اثرت بدورها في فنون الغرب بعد ذلك تأثيرا ظاهرا حتى اليوم . فاذا قارنـا الفنون العربية بالفنون التي سبقتها لوجدنا ان هذه يعوزهـا التنوع والابتكار ، وان العالم كان قد سئمها فتطلع الى تقاليد واساليب فنية أعظم ابهة واكثر حرية في الزخارف والموضوعات، لا يعدل ما فيها من خيال وجاذبية الا ما تمتاز به من اسـرار في مزج الالوان وجعلها تملأ البصر وتبهج النفس ، تلك الاسـاليب الفنية المنشودة التي وجدها العالم في الفنون الاسلامية بعـد ان امتدت امبراطوريتهم واتسعت وشملت جميع البلاد المعمورة في العالم اذ ذاك .

وليس باستطاعتنا أيضا نكران مقدار استعانة العرب في أوائل نهضتهم برجال الفن والصناعة من أهل البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة في ذلك العهد ، فالعمـارات الاسلامية القائمة في العالم الاسلامي الممتد من الصين شرقا الى الاندلس غربا اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم التي اتخذت الاسـلام دينا وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود واتراك ونصارى ومغول وبربر .

الادوار التاريخية التي مرّ بها فن العمارة الاسلامية :

بدأ الطراز الاسلامي يظهر عندما أخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديـد ويظهرونها للعالم فنا معماريا جديدا متميزا عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم . فالطراز الاموي الذي هو اقدم الطرز الاسلامية جمع بين الطراز والاساليب المعمارية الهلنستية والمسيحية الشرقية (البيزنطية) وبين المقاصد التي توخاهـا المسلمون لابنيتهم ومنشاءاتهم ، ومن هذا الامتزاج ظهر طـراز أموي بديع انتشر في شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

وعندما دالت دولة الامويين وآلت الخلافة الى العباسيين وانتقلت العاصمة الاسلامية من دمشق الى بغداد ظهر طـراز جديد كان فيه لاساليب الفن المعماري الساساني تأثير كبير ، كما انه تأثر بالاساليب الفنية الموروثة عن البابليين والآشوريين والبارثيين وشيء من الفن الاغريقي الذي جاء الى الشرق عند فتح الاسكندر لهذه البلاد . ولما ضعفت الدولة العباسـية وأخذت الاقاليم الاسلامية تستقل عن عاصمة الخلافة العباسية ظهرت في كل اقليم صور واساليب جديدة للفن المعمـاري الاسلامي مع المحافظة على الروح الاسلامية الاصيلة .

ان أكبر دولة قامت في الشرق في ظل الدولة العباسـية هي الدولة البويهية التي أسسها (بويـه) الملقب ب (آل شجاع) ، ولما آلت السلطنة الى (عضد الدولة) لقب بالملك ، وهو أول من لقب بهذا الاسم ، ودامت السلطنة البويهية من سنة ٣٢٠هـ الى ٤٢٧هـ . وكانت معاصرة للدولة الفاطميـة في مصر .

وعندما قويت شوكة الاتراك في الدولة العباسية طمع بعض قوادها في الولايات وظهرت فروع تركية عديدة للدولة العباسية منها الطولونية في مصر والايلكية في تركستان والاخشيدية في مصر والغزنوية في افغانستان والهند . ثم ظهرت الدولة التركيـة الكبرى (السلجوقية) في أواسط القرن الخامس الهجري ودام حكمها نحو ثلاثة قرون . ثم جاء المغول الى غرب آسيا واكتسحوا الدولة السلجوقية ، ما عدا السلجوقيين في بلاد الروم الذين ظلوا سائدين في سلطة الامراء حتى مجيء العثمانيين الـذين استولوا على دولتهم واسسوا الدولة العثمانية في أوائل القرن الثامن . اسس المغول في العراق الدولة (الايلخانية) التـي استمر حكمها حتى سنة ١٣٣٦م ، ثم جاءت الموجة المغوليـة الثانية بقيادة (تيمورلنك) بعد القضاء على حكم خلفاء (هولاكو) في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي .

أما في ايران فقد ظهرت الدولة الصفوية وحكمت مـن سنة ١٥٠٢ الى سنة ١٧٢٦م . وعندما دب الضعف في هـذه

الدولة ثار عليها الافغان وظلوا يحكمون في مازندران نحو عشرين عاما . وبعده ظهر (نادر شاه) وطرد الافغان من ايران ولكنه قتل سنة ١٧٤٧م . وفي الاقاليم الواقعة غرب ايران نجد السيادة العثمانية اصبحت تشمل آسيا الصغرى وقسم من شمال افريقية .

هذا ما كان في الشرق الادنى ، اما في شمال افريقية فان الفاطميين تم لهم فتح مصر سنة ٩٦٩م . وبنوا القاهرة ، وعلى انقاض الدولة الفاطمية أسس صلاح الدين الايوبي الدولة الايوبية واستمر حكمها من سنة ٥٦٤ الى سنة ٦٤٨هـ حين غلبهم مماليكهم الاتراك .

وفي المغرب الاقصى تم للعرب فتح جميع اسبانيا تقريبا سنة ٧١١م ، وظلت الاندلس تابعة للخلافة الاموية مدة تسعا وثلاثين سنة . وقد بلغت الاندلس في أيام (عبدالرحمن الناصر) وابنه (الحكم) أوج مجدها . وبعدها اضمحلت الدولة واخذت بالانحلال حتى اقتسمها الولاة البربر وصاروا دولا صغيرة متفرقة وسموا ب (ملوك الطوائف) . اتحد المغرب والاندلس تحت حكم المرابطين ، وعندما خلفهم الموحدون سنة ١١٤٧م . بسطوا نفوذهم على الاندلس وظلوا يدافعون عنهما تجاه حملات الاسبان حتى سنة ١٢٢٥م . ولما حكم (بنونصر) الاندلس اقتصر حكمهم على مملكة غرناطة ، وهذه استطاعت ان تقاوم الاسبان حتى سنة ١٤٩٢م وبعدها سقطت وبسقوطها زال حكم العرب من الاندلس ولكن آثارهم المعمارية ظلت شاخصة فيها تدل على مقدار ما بلغه الفن المعماري العربي الاسلامي من رفعة وعظمة .

لقد حصل نتيجة تبدل الحكم هذا وانتقال السلطة من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد من البلدان الاسلامية العديدة شيء كثير من التطور في فن العمارة ، الا انه ظل محافظا على الاسس العامة لهذا الفن في كل دور من تلك الادوار التي بيناها بصورة مختصرة ، ونحن حين نتتبع تاريخ الاقطار الاسلامية حسب تسلسلها التاريخي نلمس بوضوح آثار وحدة حضارية قديمة تمتد من أقصى المغرب العربي الى أقصى بلاد الهند .

مدارس الفن المعماري الاسلامي :

بالرغم من وحدة الفن المعماري الاسلامي النسبية في كل دور من الادوار التاريخية السالفة الذكر فان هذا الفن تأثر بتغييرات محلية مرتبطة بتقاليد الشعوب التي دخلت الاسلام وتنوع بتنوع المواد الانشائية الموجودة في كل بلد من البلدان الاسلامية ، كما تأثر بعدوى الجوار للامم التي لم يستطع الاسلام السيطرة عليهم . ولهذا نرى هناك بعض الاختلاف في المظاهر العامة للمنشاءات الاسلامية بين بلد وآخر مما حدى بالعلماء الى تقسيم الفن المعماري الاسلامي الى عدة مدارس . وقد حدد العالم (هـ . سلادان) هذه المدارس بماياتي :ـ

ـ المدرسة السورية ـ المصرية .
ـ المدرسة المغربية وتشمل تونس والجزائر والمغرب واسبانيا وصقلية .
ـ المدرسة الفارسية وتضم بلاد الرافدين وايران .
ـ المدرسة العثمانية .
ـ المدرسة الهندية .

ان هذا التقسم لا يعني وجود حدود حقيقية بين مدرسة واخرى ، وعلينا الا ننخدع بالاطار الظاهري لكل مدرسة من هذه المدارس ، بل الافضل ان نجعل هذا التصنيف أكثر مرونة وان نزيح كثيرا من الفروق الظاهرية الموجودة بينهما ، فالبلاد الاسلامية التي تربطها علاقات روحية ثابتة لم تقف المسافات الشاسعة التي تبعدها بعضها عن بعض حائلا دون تبادل الافكار وسريان الازدهار الفني الذي قد يظهر في احداها الى الاطراف الاخرى من البعثات الاسلامية ، وطالما ظهرت ضرورات سياسية كثيرة اوجبت التضامن بين الحكام المسلمين المتباعدين ، فقد تبادل هؤلاء البعثات الثقافية وسعوا لتوثيق عرى الروابط بالمصاهرة والتعامل ، كل ذلك ساعد رجال الفن على الانتقال من بلد الى آخر لتبادل الصيغ الفنية والتباهي في التفوق الفني عند كل منها .

لهذه الاسباب يجب علينا عدم اعطاء أهمية كبرى لمفهوم المدرسة حسب التقسيم الجغرافي المار الذكر ، بل يجب ان يكون اهتمامنا بالتقسيم التاريخي للتطور الطويل لهذا الفن .

الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي :

لقد قسم العلماء الادوار التي مر بها الفن المعماري الاسلامي الى اربع فترات أساسية كبرى فجعلوا الفترة الاولى تبدأ منذ انتشار الاسلام وتاسيس الامبراطورية العربية الى زمن ضعف الدولة العباسية ، أي من منتصف القرن السابع للميلاد الى نهاية القرن التاسع . ففي هذه الفترة انتقلت عاصمة الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى دمشق ، ومن دمشق الى بغداد . وقد أصبحت الامبراطورية العربية تشمل بلاد الرافدين وفارس وسوريا وقسم من البلدان التي تحيط بالبحر الابيض المتوسط ومصر وشمال افريقية والاندلس . ثم امتد حكم العرب شرقا ووصل كاشغر في الصين الغربية كما وصل قلب فرنسا الى بواتية غربا .

أما الفترة الثانية فقد بدات من بداية القرن العاشر واستمرت زهاء مائتين وخمسين سنة ، وفيها كانت الخلافة الاموية في الاندلس والخلافة الفاطمية في مصر في أوج عظمتهما ، كما قامت في العراق الدولة البويهية ثم الدولة السلجوقية . وقد خرج الفن المعماري في هذه الفترة من مرحلة التقليد واغتنى بتاثيرات جديدة ، فتنوعت اتجاهاته واساليبه مع المحافظة على الروابط الاساسية التي تربطه بمصادره الاصلية .

والفترة الثالثة امتدت من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وفيها انحلت سلطة الخلفاء في بغداد واخذت الممالك الاسلامية تنسلخ الواحدة بعد الاخرى عن الامبراطورية مما ادى الى تعرضها الى أخطار خارجية عنيفة . أضاع المسلمون في هذه الفترة الاندلس واشتعلت الحروب الصليبية وأخذ المغول يعبثون في البلاد الاسلامية فتعددت العروش وكان هذا التعدد من الاسباب الداعية لزيادة التنافس والتفاخر في المباني والمنشئات واساليب تنسيقها وزخرفتها .

والفترة الرابعة التي دامت نحو أربعة قرون توحدت فيها البلاد الاسلامية تحت الحكم العثماني وأصبحت القسطنطينية عاصمة الخلافة الاسلامية وامتد نفوذ الاتراك على جميع البلاد العربية من المغرب الى الخليج العربي ، وعلى بلاد البلقان وجزر اليونان فبرز في هذه الفترة طراز بناء تركي استوحى اسلوبه من الطراز البيزنطي والسلجوقي . الا ان ايران في هذه الفترة تابعت تطورها المعماري القومي ولم تتأثر كثيرا بالطراز العثماني ومثلها بلاد الهند .

دراسة فن العمارة الاسلامية :

ان كل منصف لا يستطيع ان ينكر فضل علماء الغرب في دراسة الفن العربي الاسلامي ، فقد عنى الغربيون عناية كبيرة في دراسة آثار هذا الفن في مختلف الادوار التاريخية وفي مختلف الاقطار الاسلامية ولم يتركوا زاوية من الزوايا الاثرية الا وتناولوها بحثا وتنقيبا ودونوا نتائج دراساتهم هذه في كتب واسفار عدة . ونحن أصحاب هذا التراث مدينون لهؤلاء العلماء بما اخرجوه لنا من أبحاث ودراسات وما جمعوه من وثائق وما نشروه من صور ومخططات ورسومات . فمن الواجب الاعتراف بفضلهم وتقدير مجهودهم الضانك وتضحيتهم من مال ووقت في التاليف والتنقيح والاخراج والطبع ، ولاشك ان كل ما نشروه يعتبر ذخرا ثمينا في هذا الباب .

اما نحن العرب فعنايتنا في هذا الموضوع لاتزال قليلة نسبيا وان كانت هنالك بوادر مفرحة للنهوض في هذا البحث اخذت تظهر بوادرها عند المثقفين من الجيل الجديد ، فقد صار البعض منهم يترجم بعض المؤلفات الاجنبية أو يدون ما يعثر عليه من معلومات في مصادر عربية قديمة وينشرها بشكل مقالات في الصحف والمجلات ، كما انه من دواعي الفخر ان نرى دوائر الآثار القديمة والجامعات في مختلف البلاد العربية قد نشطت نشاطا ملحوظا في هذا المضمار ، وصار الاهتمام بما بقي من الآثار الاسلامية من واجبات هذه الدوائر وشعرت الجامعات بضرورة التوسع في دراسة التراث العربي الاسلامي والكشف عن جوانبه الغامضة المتعددة الفروع والشعب .

ان العمارات الاسلامية التي لايزال بعضها قائما والمنتشرة من الصين الى بلاد المغرب والتي اشترك في اظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صناع ومهندسون من مختلف الجنسيات والامم كلها تحتاج الى دراسة واكتشاف ما فيها من دقة وجمال، فهذه العمارات هي احدى الشواهد الدالة على مقدار ما وصلت اليه الحضارة المستفيضة على يد العرب في مختلف البلاد التي مرت بها او استقرت فيها الحضارة والمدنية العربية . هذا وساحاول الآن استعراض اهم الآثار العمرانية في كل قطر من الاقطار الاسلامية حسب الفترات الكبرى التي ذكرناها .

الفترة الاولى لتطور فن العمارة العربية الاسلامية :

في هذه الفترة نرى الابنية والمنشاءات العربية الاسلامية في عهد الراشدين تتمثل فيها كل البساطة المعبرة عن بساطة الدين الاسلامي الحنيف ، فقد امتنع هؤلاء الخلفاء عن البذخ والاسراف في اموال المسلمين وتقيدوا كثيرا في الصرف لهذه الاغراض ، وانحصر همهم في تقوية جيوشهم الظافرة وتاسيس مدن جديدة بسيطة البناء في البلاد التي تم لهم فتحها لتكون معسكرات لجنودهم .

بنى العرب (البصرة) سنة ١٦هـ / ٦٣٥م بعد فتح العراق وكان مؤسسها الاول (عتبة بن غزوان المازني) عامل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . خططها وفقا للقبائل التي سكنتها وجعل فيها الشوارع الرئيسة والفرعية ورحبات فسيحة لمرابط الخيل ، وكانت المنازل متلاصقة فيها ، وجعل المسجد الجامع ودار الامارة وبيت المال في وسط المدينة وانتشرت الاسواق حولها .

ثم بنى العرب (الكوفة) بعد عامين او ثلاثة من بناء البصرة وجاء بناؤها على غرار مدينة البصرة . اسسها (سعد بن أبي وقاص) على الجانب الغربي من نهر الفرات بالقرب من الحيرة ، وأول ما اختط فيها المسجد ودار الامارة .

وعندما فتح (عمرو بن العاص) مصر سنة ٦٤١م اختط مدينة (الفسطاط) وجعلها معسكرا لجنوده ، وتقاسمت القبائل خططها وبنى مسجدها ودار الامارة في وسطها .

لقد كان البناء بسيطا في جميع هذه المدن واغلب موادها الطين والقصب والمواد الاولية المتوفرة محليا ، وكانت البساطة ظاهرة في البناء ولم يحاول الولات والحكام الاسراف على الزخرفة والبذخ على الرياش والاثاث .

كان مسجد الرسول الاعظم (ص) في المدينة المنورة النموذج الاول لبناء المساجد في المدن الاسلامية الجديدة ، وهي عبارة عن مساحة من الارض مربعة الشكل تقريبا . مسورة بسور من الطين والحجارة ، اقيمت ظلة للمصلين في الضلع المتجه الى القبلة وخلفها صحن مكشوف واسع .

اما الكعبة الشريفة في مكة المكرمة فبعد ان نزع منها المسلمون ما يحيط بها من أصنام وحطموها بقيت قائمة في وسط ساحة تسمى (براحا) خال من كل بناء ، وكانت دور قريش متواضعة البناء شيدت من حجارة مكة (الدبش) ذات دور واحد ، وابوابها شارعة الى الكعبة . وفي زمن عمر بن الخطاب (رض) توسع الحرم الشريف واحيط بجدار يزيد ارتفاعه عن قامة الرجل ، وجعل له أبواب . وقد زادت مساحة هذا الحرم مرة اخرى في زمن عثمان بن عفان (رض) ، وجعل له أروقة يستظل بها المسلمون .

فتح المسلمون بلاد الشام على يد (خالد بن الوليد) ورفاقه الميامين ودخلوا دمشق فوجدوا انفسهم في مدينة عامرة جامعة ، ولاداء فريضة الصلاة شاركوا النصارى كنائسهم او قسموها الى قسمين قسم لاقامة الصلاة للنصارى والقسم الآخر للمسلمين .

وعندما توجهت جيوش المسلمين بقيادة (عمرو بن العاص) لفتح بيت المقدس لم تستسلم حاميتها الا بعد وصول عمر بن الخطاب (رض) اليها . سار عمر (رض) ودخل كنيسة القيامة وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة لكي لا ياخذ المسلمون هذه الكنيسة من بعده ، ثم انطلق الى الصخرة التي اشار عليه البطريق ان يجعلها مسجدا للمسلمين واخذ يرفع ما عليها من ردم وهرع المسلمون الى الاقتداء به وتم بناء المسجد حولها .

تطور البناء في العهد الاموي :

انتقلت الخلافة الى الامويين سنة ٦٥٨م واصبحت دمشق عاصمة الامبراطورية العربية الكبرى ، وعندما اخذت الدولة بحظها الوافر من الترف والرفاه نرى المسلمين قد انتقلوا من القناعة بالضروري اللازم للحياة البسيطة التي كانوا يحيونها الى الترف والبذخ في سبيل اقامة اجمل المباني الفخمة التي تتفق ومركز امبراطوريتهم العظيمة ، وبداوا في بناء المساجد والجوامع فاختاروا كنيسة (القديس يوحنا) وحولوها الى مسجد جامع بعد ان اشتراها الوليد بن عبدالملك من النصارى ، وجاء بناء هذا الجامع آية في الفن وروعة في الزخرفة والجمال . ففي هذا المسجد الجامع تتمثل ظواهر معمارية اسلامية عديدة منها ترتيب الاروقة والبلاطات في الحرم وادخال المحراب

في جدار القبلة وبناء المئذنة واستعمال العقود والاقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك الزخارف والفسيفساء التي تزين الجدران والعقود التي لا يضاهيها اي عمل مماثل عند الرومان .

ثم انتقل عبدالملك بن مروان الى المسجد الاقصى في القدس فاعاد بناء مسجد الصخرة ورصد لنفقاتها خراج مصر لسبع سنوات ، فامر أن تكون الصخرة في وسط المسجد وتهييء مساحة مناسبة تحيط بالصخرة لطواف أكبر عدد ممكن من الحجاج حولها ، وجعل فوق الصخرة قبة ذات اسطوانة قطرها ٢٠.٤٤ مترا وارتفاع أعلى القبة عن الارض ٣٠.٦٠ مترا ، ويحيط بالصخرة رواقان بشكل مثمن عدد العقود فيها ٢٤ عقدا ، وفي حلب اسس الامويون الجامع الاموي الكبير (مسجد زكريا) سنة ٧١٥م واشتهر هذا المسجد بمئذنته المربعة الشكل ذات الهندسة السلجوقية البديعة .

وبنى الخليفة سليمان بن عبدالملك مدينة الرملة في فلسطين وجعلها مركزا له ، وان مئذنة مسجدها الابيض لاتزال قائمة حتى الآن .

واتخذ مروان الثاني مدينة حران سكنا له وبنى المسجد الكبير فيها .

اما في مصر فقد أمر معاوية بن أبي سفيان عامله مسلمة بن مخلد بتوسيع مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط فاضيفت له مساحة من الارض وأصبح له صحن واسع . كما ان الخليفة عبدالعزيز بن مروان قام بتوسيع هذا المسجد من الجهتين الشمالية والغربية . وفي سنة ٧١٠م أمر الوليد بن عبدالملك بهدم جميع البناء القديم حتى الاسس واقام مكانه بناء جديدا بعد ضم دار عمرو بن العاص والطريق الى مساحة المسجد .

وقام الامويون باعادة بناء الكعبة المشرفة عندما استولى الحجاج على مكة بعد مقتل عبدالله بن الزبير ، فامر عبدالملك بن مروان بتوسيع الحرم وتجديد السقوف وجعلها من خشب الساج ، واقامة السواري المحلاة رؤوسها بالذهب ، وزخرفة العقود بالفسيفساء فكانت أول زينة استعملت في المقام الشريف .

وفي المدينة امر الوليد بن عبدالملك باعادة بناء المسجد وتوسيعه ، وضم منزل الرسول (ص) اليه ، واستعمل الرخام للاعمدة والفسيفساء في تزيين الجدران ، واقيمت اربع مآذن في الاركان ، وادخل المحراب في جدار القبلة .

وقام زياد بن ابيه عامل معاوية على العراق باعادة بناء مسجد البصرة واستبدل السقف القديم بسقف من خشب الساج وبنى منارة للمسجد . كما قام بتوسيع مسجد الكوفة بحيث صار يتسع لستين الف مصلٍ ، وبنى الجدران بالآجر والجص ، ورفع السقوف على أعمدة حجرية جلبها من الحيرة ، وأصبح المسجد اشبه بقاعة الاعمدة في قصور الفرس .

وبنى عتبة بن فرقد الجامع الاموي الكبير في الموصل ، وقد توسع هذا الجامع في ولاية هرثمة بن عرفجه البارقي وأصبح مسجدا جامعا وبنى مروان بن محمد منارة ومقصورة يصلى بها في هذا الجامع .

وعندما تم فتح تونس سنة ٦٧٠م اسس القائد عقبة بن نافع مدينة القيروان وجعلها معسكرا لجنوده ، وبنى جامعها الشهير سنة ٦٧٥م فكان آية في الروعة ، واختط دار الامارة وجعل الدور من حولها . وقد اشتهر جامع القيروان بمئذنته ذات القاعدة المربعة والتي يبلغ ارتفاعها ٣٢ مترا ، كما ان طراز القباب ذات المقرنصات في هذا المسجد آية في الفن والروعة .

واشتهر في المغرب مسجد مدينة تونس ويعتبر المسجد الثالث من حيث السعة والاتقان في البناء .

ومن آثار العرب في شمال افريقية رباط سوسه ويعرف بـ (قصر الرباط) ، بناه ابراهيم بن الاغلب سنة ٢٠٦هـ ـ ٨٢١م ، وهو بناء حصين مربع التخطيط ٣٩×٣٩ مترا ، في سوره الخارجي أبراج عالية ، والبناء بطابقين ، ويعلو البناء قبة تمتاز بخصائص معمارية لها أهمية كبرى في بناء القباب الاسلامية ، وقد جعلت هذه القبة مئذنة ومنارة لحراسة البحر ومرقبا لحراس القصر .

القصور والقلاع الاموية في بادية الشام :

لم يقتصر اهتمام الخلفاء الامويين على بناء المساجد والجوامع في مختلف المدن الاسلامية بل أراد بعضهم ان ينعم بحياة البادية الملائمة لطبيعة نشأتهم العربية الاصيلة ، فانشؤا عددا من القصور التي هي اشبه بالقلاع في بادية الشام أهمها (قصر المشتى) الذي يعتقد بانه بني قصرا للخليفة يزيد الثاني ٧٢٠ـ٧٢٤م الذي كان يفضل السكن البعيد عن المدينة مع (حبابة) احب نسائه . يقع هذا القصر الجميل في الاردن على بعد عشرين ميلا جنوب عمان ، وهو الآن في حالة متهدمة ، نقلت معظم زخارفه المحفورة في الحجر الى متحف برلين سنة ١٩٠٣ . ويتكون القصر من ثلاثة اقسام رئيسية ، يحيط بها سو ر ذات ابراج ضخمة من جهاته الاربع .

وعلى بعد ستين ميلا جنوب شرقي عمان بناء آخر أشبه بقلعة ذات أبراج عالية وسط الصحراء يعرف بـ (قصر الطوبة) بناه الخليفة الوليد الثاني سنة ٧٤٤م ، ويتألف القصر من دارين وفي كل دار أربعة بيوت متناظرة من حيث توزيع الغرف والقاعات فيها ، وهناك شبه كبير بين هذا القصر وقصر المشتى مما يدل على انهما شيدا في وقت واحد تقريبا .

وهناك قصر آخر في الاردن يسمى (قصير عمره) يقع على بعد خمسين ميلا شرق عمان ، ويتكون القصر من قسمين هما قاعة الاستقبال ثم الحمام الساخن الذي يقع خلف هذه القاعة . والحمام مقسم الى ثلاثة غرف متصلة ببعضها الاولى الغرفة الباردة ثم الغرفة الدافئة وبعدها الغرفة الساخنة ، ويحلى جدران القصر واقبيته من الداخل صور من النوع المعروف باسم (فريسكو) ذات الالوان المختلفة .

وعلى مقربة من قصير عمره قصر يعرف (بقصر خرانه) شيد بطابقين ولايزال محافظا على اقسام عديدة من بنائه ، وتشير الكتابة على احدى الجدران انه بني سنة ٧١١م ، وتوجد في الطابقين عدة غرف كل مجموعة منها تشكل بيتا مستقلا .

وبنى الامويون قصرا آخر في البادية يسمى (قصر الصرح) يرجع تاريخه الى ٧٢٥ـ٧٣٠م لما بينه وبين قصير عمره من شبه كبير ، فلهذا القصر حمام ساخن كما في قصير عمره .

وللخليفة هشام بن عبدالملك قصر عظيم في (خربة المفجر) في (اريحا) في فلسطين . في هذا القصر مسجد وحمام مبلط بالفسيفساء وساحة كبيرة فيها نافورة أو بركة ماء مثمنة الشكل .

وفي الجهة الشرقية من ساحل بحيرة طبرية في فلسطين

يقع (قصر المنيا) ، وتذكر الكتابة الكوفية التي اكتشفت فيه اسم الوليد بن عبدالملك ، وللقصر مسجد يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منه ، وفي القصر قاعات خصصت للاستقبال واقامة الاحتفالات لما فيها من زخرفة رائعة ونقوش جميلة ، وارضية هذه القاعات كلها مبلطة بالفسيفساء بأشكال هندسية بديعة .

والى الجهة الشمالية من تدمر وعلى بعد ستين ميلا عنها بنى هشام بن عبدالملك ٧٢٨م قصرا في الصحراء يسمى قصر (الحير الشرقي) ، تتالف بقايا هذا القصر من سورين محصنين بشكل مربع ذات أبراج نصف دائرية ، وفي الزاوية الجنوبية يقع مسجد القصر .

اما (قصر الحير الغربي) فقد نقلت انقاضه الى المتحف الوطني بدمشق واعيد بناؤه فيه .

وبنى الخليفة الوليد بن عبدالملك في مدينة (عنجر) الواقعة في وسط سهل البقاع في لبنان قصرا وجعله المقر الصيفي له لقربه من احدى منابع الليطاني . ومدينة عنجر بنيت على شكل قلعة مربعة تشبه القلاع الرومانية ، لها سور ضخم ذات أبراج ، وفي منتصف كل ضلع من اضلاع السور مدخل كبير للمدينة ، ويتصل بين الابواب الاربعة شوارع صفت على جانبيها اعمدة اسطوانية نقلت معظمها من ابنية رومانية قديمة ، وفي أحدى الارباع من ساحة هذه المدينة يقع قصر الخليفة بثلاثة طوابق ، وعلى الجدران نحتت صور شبيهة بتلك التي وجدت في قصر المشتى ، اما تخطيط القصر فهو اشبه بمخطط قصر المنيا .

مدينة واسط :

وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٧٥هـ - ٦٩٤م في زمن خلافة عبدالملك بن مروان شيد على ضفة دجلة الغربية بلدة سماها واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وجعلها مقرا لحكمه . توسعت هذه المدينة واصبحت تشغل ضفتي النهر يربط بينهما جسر ، وبنى الحجاج مسجدا جامعا في الضفة الغربية وجعل دار الامارة وراء الجدار القبلي للجامع . ويشغل الجامع ارضا مساحتها ١٠٤٫٣٠ × ١٠٢٫٥٠ مترا تحيط به بلاطات من جوانبه الاربعة ترتفع سقوفها على اسطوانات حجرية منحوتة .

اما قصر الحجاج فان أسسه تكاد تكون معدومة ولكن (ابن رسته) ذكر بأن لهذا القصر قبة مشرفة عالية خضراء ترى من بعد سبع فراسخ (٣٥ كيلو مترا) ، وقد ظل هذا القصر ماثلا الى الربع الاخير من القرن السادس الهجري ، وقد جعل الحجاج الى مقربة من القصر سوقا عامرة كان التجار يتعاطون فيه مختلف البضاعة في تجاراتهم .

عصر الدولة العباسية :

ثار العباسيون على الامويين واستولوا على الحكم سنة ٧٥٠م وانتقلت الخلافة اليهم فاتخذ (أبو العباس السفاح) اول خلفاء العباسيين قصر بن هبيرة الواقع بين الكوفة وموقع بغداد مقرا له وسماه (الهاشمية) وعندما تولى الخلافة اخوه (أبو جعفر المنصور) ٧٥٤م ، ترك الهاشمية وخرج بنفسه ليختار مكانا يتوسط اقاليم دولته ويشرف على اطرافها ليتخذه عاصمة للمملكة . وعندما استقر رأيه على موقع بغداد الذي كان معروفا ايام الدولة الساسانية ، بدأ في تخطيط المدينة المدورة سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م .

قسم المنصور المدينة المدورة (دار السلام) على شوارع محدودة سماها السكك وأسكنها الموظفين والموالين له ، وكان لهذه السكك أبواب وثيقة من طرفيها ، وجعل قصره ذي القبة الخضراء والمسجد الجامع في الرحبة الوسطى من المدينة ، وأحاط المدينة بسورين عظيمين فيه أربعة أبواب أو مداخل رئيسة محورية ، وجعل بين كل بابين ٢٨ برجا ما عدا جهة واحدة فيها ٢٩ برجا ، ويقدر طول قطر المدينة المدورة بـ ٥٠٩٣ ذراعا اي ٢٥١٢ مترا .

كان في صدر قصر المنصور المسمى بقصر الذهب ايوان طوله ٣٠ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعا ، وفي صدر هذا الايوان مجلس الخليفة مساحته ٢٠×٢٠ ذراعا وعلى سطح الايوان مجلس مثله وفوقه القبة الخضراء . وكان المسجد الجامع ملاصقا للقصر بامتداد الضلع الشمالية لبناية القصر ، وكان للجامع منارة . وقد أعاد هارون الرشيد بناء الجامع بالآجر والجص سنة ١٩٢هـ - ٨٠٧م . وفي زمن المعتضد ٢٠٦هـ أضيف الى الجامع ديوان المنصور المعروف بـ (دار القطان) لتوسيعه . وزاد (بدر) مولى المعتضد في الجامع جزءا من قصر المنصور يسمى (المسقطات) ، ولم يكتف المعتضد بهذه الاضافات فقرر اقطاع مساحة كبيرة من القصر وضمها الى الجامع أيضا وأصبح ما الحق بالجامع مساويا الى مساحة الجامع الاول .

وبالنظر لمساحة الارض المحددة داخل المدينة المدورة فقد أمر المنصور ببناء حارة للتجار في جنوب المدينة سميت بـ (الكرخ) ، ثم اقطع المنصور قواد جيشه وأرباب الحظوة الجانب الاكبر من الاراضي المحيطة بالمدينة . وسمح المنصور لابنه المهدي ان ينتقل بجنده الى الضفة الشرقية من النهر المقابلة للمدينة المدورة ، وبنى فيها دورا وسميت هذه المحلة بـ (الرصافة) ، واتصلت بالجانب الغربي بجسر اقيم عند باب الشعرية .

ثم توسع الجانب الشرقي من المدينة وبنيت فيه قصور عديدة وأسواق كثيرة وكان الامتداد الى جنوب معسكر المهدي فاحيطت كل هذه المباني بسور عظيم واسع في نهاية القرن الخامس الهجري ، واصبح لهذا السور اربعة ابواب في الشمال (باب السلطان) ، باب المعظم ، وفي الشرق بابان (الظفرية) أو ما يسمى الباب الوسطاني ، وباب الحلبة أو (باب الطلسم) وفي الجنوب (باب كلواذا) ، وقد شرع في بناء هذا السور المستظهر بالله سنة ٤٨٨هـ - ١٠٣٥م عندما اصبحت دار الخلافة في وسطه ، ثم أكمل بناء السور المسترشد بالله سنة ٥١٧هـ - ١١٢٣م ، وجدد بناءه الناصر لدين الله .

ومن اعمال المنصور انشاء (مدينة الرقة) على نهر الفرات واقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين ، وجعل سورها مزدوجا بشكل حدوة الفرس ، وفيها أبراج مستديرة ، وجعل مسجدها الكبير في النصف الشمالي من المدينة . ويجمع هذا المسجد بين طراز الفن المعماري العراقي والفن المعماري السوري ولايزال (باب بغداد) في سور المدينة محافظا على شكله القديم وهذا الباب اشبه ببرج طويل مستطيل الشكل في وسطه فتحة المدخل ، وتعلو واجهته زخرفة آجرية مكونة من سلسلة محاريب ثلاثية الفلقة يحيط بها اطارات ذات عقود متوجة تستند فوق اعمدة صغيرة متصلة بالبناء .

مدينة سامراء :

كانت سامراء أيام ازدهارها سيدة مدن العالم ، وهي اليوم اطلال تمتد مسافة ٣٥ كيلومترا على شاطيء دجلة الشرقي ، من

متوكلية المتوكل على الله في الشمال الى قادسية المعتصم بالله في الجنوب .

وتقع سامراء على بعد ١٣٠ كيلومترا شمال بغداد ، بناها المعتصم سنة ٨٣٦م بعد ان اقلقته الاقامة في بغداد لاسباب سياسية واجتماعية . وتلاه سبعة من الخلفاء توسعوا في اعمارها وتجميل قصورها ومساجدها ، وبعد خمسين سنة على تأسيسها هجرها المعتمد على الله سنة ٨٩٢م ورجع الى بغداد فاستحالة سامراء الى اطلال كما يشاهدها الزائر اليوم .

ويدل تخطيط هذه المدينة على براعة فائقة في هندسة المدن وتخطيطها ، ففيه الكثير من الابتكارات ويتجلى ذلك في تنظيم الشوارع وتوزيع المساكن وتنسيق الابنية العامة والاسواق والمتاجر والمساجد والحدائق وغيرها .

ويعد المسجد الجامع في سامراء اكبر المساجد في العالم حيث تبلغ مساحته ٤٥٥٠٠ مترا مربعا ، شيده المعتصم وعندما ضاقت سعته بالمصلين هدمه المتوكل وشيد محله المسجد الجامع الكبير القائم الآن سنة ٨٤٩-٨٥٢م ، ولهذا الجامع مئذنة ضخمة تعرف ب (الملوية) ، يبلغ طول ضلع قاعدتها المربعة ٢٢ مترا تعلوها القسم الحلزوني الذي يدور في اتجاه معاكس لعقرب الساعة حتى تتم دورات خمس ينتهي بالقمة التي هي بشكل اسطواني قطره ٦ امتار وارتفاعه ٦ امتار ايضا ، وهذه ترتفع عن القاعدة بمقدار ٥٠ مترا .

ثم بنى المتوكل مدينة شمال سامراء جعلها تتصل بالقسم الجنوبي من المدينة بشارع عظيم ، وسميت هذه المدينة (المتوكلية) أو (الجعفرية) ، وقد نقل المتوكل جميع الدواوين اليها وبنى مسجدا جامعا فيها سمي ب (جامع أبي دلف) . وتبلغ مساحة هذا الجامع ٣٠٠٠٠ مترا مربعا ، تحيط بصحنه أروقة بنيت جدرانها وعقودها ودعاماتها بالآجر والجص . ولهذا الجامع مئذنة ملوية الشكل ايضا ولكنها أصغر حجما من ملوية الجامع الكبير في سامراء ، قاعدتها مربعة طول كل ضلع فيها ١١٫٢٠ مترا وارتفاعها ٢٫٥٠ مترا ، فوقها القسم الحلزوني الذي يدور عكس دوران عقرب الساعة ثلاث دورات ، ويبلغ ارتفاع المئذنة من القمة الى سطح القاعدة ١٦ مترا .

القصور العباسية :

كان من نتائج اتساع الدولة العباسية وامتداد نفوذها الى اغلب بقاع المعمورة ان تدفقت الخيرات على بغداد مقر الخلافة من هذه الامصار ، وقد عم اليسر فيها وساد الرخاء ، وتضاعفت الثروات ، وامتلأت الخزائن بالمال الوافر . وكان ينفق القليل منها على تسيير أمور الدولة ، والكثير منها كان يذهب الى خزائن الخلفاء والامراء وأعيال الدولة ومنهم ينساب الى التجار والصناع والزراع وغيرهم من صنوف الناس ، وبنتيجة نمو المال عند هذه الطبقات أقبل الكثير منهم الى حياة البذخ والترف ، وعمدوا الى الاسراف في العيش ، وانصرفوا الى تشييد الدور الجميلة والقصور المنمقة ، وبالغوا في تجميلها وتزيينها بكل ما وهبوا من ذوق وما أوتي الصناع من حذق ومهارة وذكاء ، وكان الخلفاء ومن دونهم من أمراء ووزراء وغيرهم يتنافسون في جعل قصورهم ودورهم آية في الفن ومثلا في روعة البناء وجمال المنظر .

من هذه القصور الفخمة في بغداد قصر التاج (دار الخلافة) أسس هذا القصر في أرض (القصر الحسني) على الضفة الشرقية من نهر دجلة قبل نهاية عهد المعتضد ، وأكمل بناءه المكتفي بالله وجعل له مسناة ناتئة على النهر ، وزين واجهته بمعاقل نقلت من المدائن ، وشيد في بستانه قاعات عدة وبيوت صيفية وقبة عرفت ب (قبة الحمار) مدرجة اشبه بمنارة الملوية يصعد الى قمتها على حمار صغير . وقد أعاد بناء القصر المستضيء سنة ٥٧٤هـ – ١١٧٨م . وكانت الدار اشبه ببلدة فيها مجاميع لقصور وأبنية ، وكان مركزها القصر الحسني ثم قصر الفردوس وقصر التاج ، وكان يحيط بكل هذه المباني سور بهيئة نصف دائرة فيه تسعة أبواب رئيسة ويمتد الى مسافة كيلومتر واحد على ضفة دجلة .

وكان (قصر الحسني) في الاصل قصرا لجعفر بن يحيى البرمكي ، فيه ٣٦٠ مرفقا مابين مجلس ومستشرف وحجرة وموضع تبريد بالصيف وخزانة ، وقد بالغ في الانفاق عليه فكان من أجمل قصور بغداد . ولما فتك الرشيد بالبرامكة صار هذا القصر الى المأمون فطابت له سكناه واتخذه منتزها ، وانشا فيه حديقة حيوانات ، وبنى منازل لخاصته واصحابه وحاشيته ، فسمي (القصر المأموني) . وعندما تولى المأمون الخلافة انتقل الى (قصر الخلد) الذي بناه ابوه في الجانب الغربي من دجلة وترك القصر المأموني الى وزيره الحسن بن سهل وسمي (القصر الحسني) . ابتاع هذا القصر بعد ذلك الموفق بالله بن المتوكل ونزل فيه وصار بعده الى ابنه المعتضد ، فهدمه وأعاد انشائه وزاد فيه واتخذه مقرا للخلافة ، وبنى عليه سورا وحصنه وامر ان يبنى فيه مطامير وهي سجون في سراديب عميقة مظلمة . وعندما تولى الخلافة ابنه المكتفي بالله ٢٨٩هـ – ٩٠١م أمر بهدم المطامير وبنى مسجدا جامعا وهو أصل المسجد الذي عرف باسم (جامع القصر أو جامع الخليفة) الذي بنيت فيه في أيام المغول الايلخانيين المنارة الفخمة المعروفة بمنارة (سوق الغزل) .

قصر الاخيضر :

يعتبر قصر الاخيضر من احسن القصور العباسية التي بقيت محافظة على هيئتها العامة ولم يصبها الا الشيء الطفيف من الخراب ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن بنائه ، فحدد الاستاذ (كريسول) زمن تشييده تحديدا دقيقا وجعله بين سنة ٧٢٠ وسنة ٨٠٠م وعزا بناءه الى (عيسى بن موسى) العباسي أمير الكوفة زمن المنصور . يقع القصر بالقرب من وادي الابيض ، وعلى بعد ٥٠ ميلا شمال غربي الكوفة ، والقصر حصن شامخ مستطيل التخطيط أبعاده ١٧٥×١٩٦ مترا ، تتوسط كل واجهة من واجهاته الاربع بوابة عظيمة ، وقد بني القصر ملاصقا للسور من الجهة الشمالية . وجعل مركز هذا البناء (البهو الكبير) المغطى بقبو عال ، والى يمين مدخل القصر من الجهة الغربية من البهو نجد مسجد القصر بينما في الجهة الشرقية من هذا البهو مجموعة من الغرف مغطاة باقبية عالية . ويلي البهو الكبير جنوبا دهليز يجري حول الفناء الاوسط أو ما يسمى ب (ساحة الشرف) وكذلك حول مجموعة غرف (قاعة العرش) ، وقاعة العرش هذه تقع على محور مدخل القصر تحيط بها عدة غرف وقاعات .

ويوجد حول الدهليز الكبير شرقا وغربا أربعة بيوت مستقلة ، كل اثنين منها متشابهة من حيث النظام والترتيب ، ويعتبر هذا القصر من أجمل القصور العباسية المحصنة لما فيه من تصميم بديع سواء في التخطيط أو في دراسة الواجهات والتفاصيل الهندسية الاخرى في البيوت أو في القصر نفسه .

دار الخلافة في سامراء (الجوسق الخاقاني) :

يعد الجوسق الخاقاني من أهم القصور التي انشئت في عهد المعتصم ، وكان قد أعده لسكناه ، يمتد هذا القصر على ضفة دجلة الشرقية جنوب (دار العامة) مطلا على الحير . وكانت أرض القصر ومشتملاته تشغل كل المساحة بين شاطيء دجلة والحير . وقد سكن القصر بعد المعتصم اخلافه من الخلفاء باستثناء الواثق والمتوكل . فالواثق سكن في (القصر الهاروني) والمتوكل انتقل الى (القصر الجعفري) بالمتوكلية ، ولقرب هذا القصر من مدينة سامراء الحديثة هدم وزالت معالمه واخذ الناس كل ما فيه من آجر .

أما (دار العامة) فهي من أهم العمارات التي شيدت في سامراء ولاتزال بعض أقسامها شاخصة حتى الآن . بناها المعتصم وكان يجلس فيها أيام الاثنين والخميس . ويقع القصر على هضبة عالية ، وتبلغ مساحته نصف مليون متر مربع تقريبا، ويمتد على طول ضفة دجلة اليسرى الى مسافة ٧٠٠ متر تقريبا، والمسافة بين واجهته ومنتهى بناياته الخلفية من جهة الشرق لا تقل عن ٨٠٠ متر . ويسمى مدخل القصر الذي يشرف على النهر (باب العامة) وهو اقل الاقسام تعرضا للتلف . أما المشتملات الاخرى فقد اقتلع الاهلون آجرها ولم يبق من الغرف والقاعات غير بقايا الاسس .

اهتمام العباسيين بالاماكن المقدسة وبناء الجوامع :

كان اهتمام المنصور كبيرا في تعمير المسجد الحرام ، فقد أمر بشراء الدور المحيط بالمسجد وادخل ارضها في المسجد وبنى روافا حول الرحبة ، واتخذ الاساطين من الرخام له ، وبذلك تضاعفت مساحة المسجد عما كانت عليه في عهد الامويين ، وقد انتهى هذا التوسع سنة ١٤٠هـ . وبنى المنصور مئذنة (بني سهم) ، وزين الجدران بزخارف الفسيفساء والذهب وقد سار ابنه المهدي على خطاه في الاهتمام بالمسجد الحرام حيث اشترى دورا اخرى ضمها الى ساحة المسجد واتخذ للمسجد اروقة جديدة سقفها بخشب الساج ، وبلغ عدد أساطين المسجد في زمنه ٤٨٤ اسطوانة منها ٣٢١ اسطوانة مذهبة الكراسي .

وقام المهدي ايضا بتوسيع المسجد النبوي الشريف وأصبحت المساحة ٢٠٠×٣٠٠ ذراعا ، وادخلت اضافات اخرى على المسجد في زمن المأمون ، ووزرت الجدران بالواح من الرخام وفوقها زخرفة من الفسيفساء بشكل اشجار ذات ثمار متنوعة ، وأصبح للمسجد تسعة أبواب .

وعندما تهدم (مسجد الصخرة) الذي بناه عبدالملك بسبب الزلزال الذي حدث سنة ٧٨٠م قام المهدي باعادة بناء المسجد بصورة أمتن مع المحافظة على ما بقي من القسم القديم ، وجعل الاعمدة من حجر . ثم رمم المسجد في عهد المأمون ٨٣١م ولكن يظهر ان المأمون عند قيامه باصلاح القبة حذف اسم الخليفة عبدالملك وحشر اسمه في موضعه ولم يغير تاريخ بناء القبة .

انشاء المدارس والمراقد والمارستانات والربط في العهد العباسي :

ان فكرة انشاء المدارس بصورة مستقل كانت تراود أفكار العباسيين في زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، ولهذا انشؤا (دور العلم) و (بيوت الحكمة) لترجمة علوم الاقدمين ، وقد حفلت بغداد منذ اواسط القرن الخامس للهجرة بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها والمستقلة عن الجوامع . لقد كانت هذه المدارس أماكن للدرس ، يعيش فيها الطلاب وتتولى الدولة الانفاق عليها . واشتهر من المدارس في بغداد (مدرسة أبي حنيفة) و (المدرسة النظامية) و (مدرسة زمرد خاتون) والدة الخليفة الناصر لدين الله ، و (مدرسة السيدة بنفشه) حظية الخليفة المستضيء ، و (المدرسة البهائية) و (المدرسة التاجية) و (الكمالية) و (مدرسة المخرمي) أي مدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلي ، و (المدرسة المستنصرية) .

ان هذه المدارس تكاد تكون جميعها متشابهة من حيث التخطيط والتصميم الهندسي ، فبوجه عام كانت المدارس تحتوي على ساحة أو رحبة تعرف بالصحن ، تحيط بها حجرات في الطابق الاسفل ، وغرف في الطابق الاعلى احيانا ، وكان لاغلبها أروقة امام الغرف ، وقد تكون هذه الاروقة ذات زخارف ومقرنصات جميلة الصنع دقيقة الزخرفة كما نشاهدها في البناء المعروف بـ (القصر العباسي) في بغداد .

أما الربط فهي من المنشاءات الخيرية الاجتماعية . انشاها الخلفاء والامراء لايواء العلماء الراحلين من قطر الى آخر طلبا للعلم ، ثم آلت الى دور يعيش فيها جماعة من الصوفيين المنصرفين للعبادة . ومن اقدم الربط الرباط الذي شيد مقابل جامع المنصور في مدينة السلام ، ثم بنيت عدة ربط في العصور العباسية المتاخرة لم يبق منها مايشير الى نظام تخطيطها وتكوينها المعماري .

اما المارستانات في بغداد فقد ذكر المؤرخون ان الرشيد انشا مارستانا في بغداد كما انشا البرامكة مارستانا اخر فيها . ومن المارستانات المعروفة (مارستان الامير بدر المعتضدي) احد مماليك الخليفة المعتضد ، و (مارستان الوزير علي بن عيسى الجراح) بمحلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد ، و (مارستان السيدة شغب) والدة الخليفة المقتدر بالله على شاطيء دجلة الشرقي ، واتخذ المقتدر مارستانا بباب الشام بالجانب الغربي أيضا ، وانشا (الوزير ابو الحسن علي بن الفرات) مارستانا في درب الفضل ، وقد زالت معالم هذه المارستانات بعد زوال اصحابها . ثم انشا المستنصر بناية خاصة مقابل باب المدرسة المستنصرية الرئيس لمدرسة الطب ، وكانت صفة فاخرة تحت الايوان والذي تكامل بناؤه سنة ١٢٣٥م لتدريس الطب ومداواة المرضى على اختلاف مرضهم ، وفي المدرسة مخزن لانواع الاشربة والادوية والعقاقير ، وقد زالت هذه المدرسة وأصبحت أسواقا . وكان فوق ايوان المدرسة ساعة عجيبة الصنع فيها بازان وطاستان من الذهب ولها اثنى عشر بابا تعلن اوقات النهار والليل .

الجوامع العباسية القديمة في بغداد :

من الجوامع القديمة في بغداد جامع (زمرد خاتون) زوجة الخليفة المستضيء ووالدة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ لم يبق من هذا الجامع غير منارته القائمة في الجانب الشرقي من بغداد على ساحل دجلة . وفي الجانب الغربي من بغداد انشا في زمن المستنصر (جامع قمرية) على شاطيء النهر وأصبح مدرسة للحديث والقرآن ، وتعد المئذنة في هذا الجامع من أجمل المآذن من حيث التناسب والتناسق ، كما ان قبلة هذا الجامع أصح اتجاها من غيرها من القبلات في المساجد الاخرى .

وفي جانب الكرخ بنى الخليفة الناصر لدين الله مرقـــدا الشيخ معروف الكرخي سنة ٦١٢هـ – ١٢١٥م ، وفي منـــارة المسجد الملاصق للمرقد زخارف ومقرنصات تعد آية من آيـات الزخرفة الاسلامية .

وفي الموصل أمر المهدي عامله فيها ان يقوم بتوسيع الجامع الاموي وذلك بضم الاسواق التي تحيط به ومواضع المطبخ التي بناها مروان الى مساحة المسجد ، فاتسعت المساحة وأصبحت ٢٥٠×١٥٠ مترا . وفي هذا الجامع محراب آية في الفن والابداع لما يحويه من كتابات كوفية مشجرة ونقوش وزخارف متناظـرة وتعرف منارة هذا المسجد اليوم بـ (منارة الكوازين) .

الدولة الطولونية في مصر :

عندما أصبح الاتراك أصحاب السطوة في الدولة العباسية ، يعينون من شاؤا ومن يعتمدون عليه ولاة على مختلف الاقطـار الاسلامية اختاروا (احمد بن طولون) لولاية مصر ، فذهب اليها ودخل الفسطاط في سنة ٨٦٨م ، وهنا اخذت تظهر أطماعه ، وكانت ثروة مصر وغناها تساعدان على تنفيذ ما يطمح اليه من تأسيس مملكة لها شخصيتها ومكانتها بين الممالك الاسلامية .

بدأ ابن طولون أولا في تخطيط حاضرة جديدة تمـــاثل سامراء ، تلك العاصمة التي ترعرع فيها وأعجب بجمالها ورحابة ميادينها وعظمة قصورها ومســـاجدها ، فكان له ما أراد ، وأسماها (القطائع) ، وشيد فيها قصرا وساحة أو ميدانـــا للفروسية ، موقعها كما يصفها المقريزي ينطبق على (ميــدان رميله) في القلعة . أما المسجد فقد سمي بـ (جامع ابن طولون) وهو مازال قائما في القاهرة وبقي خالدا الى يومنـــا هـــذا . باشر ابن طولون في بناء الجامع سنة ٢٦٥هـ – ٨٧٧ واتمه بعـد سنتين وصار درة فريدة بين الجوامع في مصر ، ويعتقد المؤرخون ان ابن طولون قد تأثر بطراز بناء الجوامع الكبيرة في ســـامراء وزخارفها عند بناء جامعه هذا .

يشغل الجامع أرضا مساحتها ٢٦٣١٨ مترا مربعا ، وفي حرمه خمسة أروقة موازية لجدار القبلة تنقسم الى سبع عشرة بلاطة ، وحول صحن الجامع المربع الشكل بلاطتان في كل جهة من الجهات الثلاث . ولهذا الجامع مئذنة اقرب في مظهرهـــا من مئذنة الملوية في سامراء وان اختلفت عنها بالمظهر والبنيان . ترتفع هذه المئذنة بأربع دورات فوق قاعدة حجرية مربعة ارتفاعها ٢١ر٣٥ مترا ، وارتفاع المئذنة الكامل ٤٠ر٤٤ مترا .

لقد تعددت العناصر الزخرفية في هذا الجامـــع وتنوعت تنوعا كبيرا في مواضيعها وأساليبها وأشكالها ، وأكثر الزخارف تنوعا تلك التي نراها على بواطن العقود ، ففيها مجموعات من أشكال التوريق التي تتكون من عناصرها لآليء وزهيرات وأوراق العنب وأشرطة وأسنة مثلثة وخطوط لولبية وأخرى معقوفـة متداخلة ودوائر مقصوصة .

الخلاصـــــة :

مما تقدم نرى ان العرب خلال هذه الفترة قد ادخـــلوا تطورا كبيرا في فن العمارة الاسلامية ، فساد فيها مدرســـتان للفن المعماري – المدرسة السورية المتأثرة لحد ما بالاســاليب المعمارية الهلنستية المسيحية (البيزنطية) ، وقد انتشر هذا الطراز في بلاد الشام أولا ثم انتقل الى شمال افريقية حتى وصل الى الاندلس .

والمدرسة الثانية المدرسة العراقية التي كان للأساليب المعمارية الساسانية المعمارية العراقية القديمة ، البابليـــة والآشورية وغيرهما بعض التأثير فيها . ولكن مهما كانت هـــذه التأثيرات بادية في الطراز العربي الاسلامي فان العرب خلال هذه الفترة القصيرة التي لا تتجاوز القرن ونصف القرن قدموا للعالم فنا متميزا عن غيره من الفنون ، وجعلوا هذا الفن يتمشى مع مقاصدهم الدينية والدنيوية .

ومع اعترافنا بان أهل الفن من العرب قد تعلموا الشـــيء الكثير ممن سبقهم في هذا المضمار الا انهم عندما مرنت أيديهم على الانتاج والعمل أخذوا يبدعون في البناء والزخرفة وغيرهما من الفنون فتجلت في اعمالهم روح جديدة وبرزت لها خصائص باهرة غير مسبوقة .

هذا وفي بحثنا القادم سنتناول دراسة الفترة الثانية من الفترات الكبرى للفن المعماري الاسلامي ونبين ما انتجه العرب خلالها انشاء الله .

فن السخرية
في شعر الكتاب في العراق
في القرن الثالث الهجري

بقلم
حسين العلاّق

ان بحث اية ظاهرة فنية جديدة او مجددة في الشعر العباسي ، كالسخرية مثلا ، لا يمكن ان يتم بمعزل عن الكلام على التحولات الحضارية التي ألمت بالمجتمع العربي في هذه الحقبة ، لان الفن ، والشعر احدى صوره ، هو تعبير العصر ، ونتاج قيمه الفنية السائدة التي لم تكن غير انعكاس صادق لمعطيات الواقع المادي والفكري والنفسي للمجتمع ، وعلى أساس من هذه العلاقة تفقد تلك القيم صفة الثبوت وتصبح في حال من التغير الدائم ، المنظور حينا ، وغير المنظور احيانا اخرى وفقا لوتائر التحولات الحضارية المادية والمعنوية التي تلم بالمجتمع ، وعلى اساس من هذه العلاقة — ايضا — يمكن القول : بان ليس ثمة جديد محض في الشعر ، لان الشعر ، ظاهرة حية من ظواهر الابداع الانساني ، انما يتطور بتطور المجتمع الذي ينشأ فيه ، وبالقدر الذي تسمح به تقاليد العصر الادبية ، فما كان جنينا في رحم حقبة ادبية سابقة قد ينمو غرضا شعريا متفردا في حقبة ادبية لاحقة .

واننا اذ نقرر اطمئناننا الى امكانية اعتماد هذا المنظور الفكري العلمي الجدلي اداة لتفسير ظواهر الابداع الفني ، والشعري خاصة ، لم نشأ ان نجعله افتراضا نظريا محضا ، ولذلك كان هذا الموضوع . اما مدى ما قد بلغناه من توفيق في تفسير ظاهر نمو فن السخرية وتطوره في شعر هذه الفئة المتفردة من ادباء العصر العباسي في القرن الثالث ، فذلك هو ما ستكشف عنه الصفحات التالية .

* * *

ان فن السخرية حين يعني الاسلوب الذي « يراد به كل نتاج يعمد الى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة او الغلو بالتصوير والعرض » (١) ويتميز عن الهجاء التقليدي بدوافعه ومراميه التي تسمو به فوق الحزازات الشخصية الى حال من النقد للاوضاع العامة ، وحال اخرى من الاضحاك قصدا للتسلية والترفيه ، وطلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة (٢) ، فان السخرية في الشعر العربي تكون من الفنون التي انضجتها عوامل التطور والتجديد في العصر العباسي ، لا من الفنون الجديدة المحض التي عرفتها الكوفة منذ اواسط القرن الثاني كما يرى الاعرجي (٣) ، ولا من الاتجاهات الجديدة في القرن الثالث كما يقول النجدي (٤) .

واذ نقول هذا ، فلان السخرية كانت قد ولدت في احضان الهجاء في العصر الادبي السابق ، وعاشت في كنفه حقبا طويلة قبل ان تنمو وتتطور غرضا مستقلا في القرن الثالث الهجري .

لقد توسل الهجاء في العصر الادبي السابق باكثر من صيغة للوصول الى هدفه . فكما توسل بابراز المثالب ونفي المحاسن ، وبلغ في كثير من نماذجه حد الاقذاع والفحش الرخيص ، فانه توسل بالسخر والتهكم والهزء في نماذج اخرى ليحقق بها ومن خلالها ذلك النوع من التسامي الذي ميزه من نماذج الهجاء التقليدية .

ان الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) — مثلا — قد نبه الى وجود ظاهرة السخر والتهكم في الشعر الجاهلي ، في شرحه لاختيارات المفضل بن محمد الضبي (ت ١٦٨ هـ) ، وفي شرحه لقصيدة سلمة بن الخرشب الانماري (٥) خاصة . فهو عندما يتصدى للبيت الاول من هذه القصيدة :

اذا ما غدرتم عامدين لارضنا
بني عامر ، فاستظهروا بالمرائر

يقول : « وقيل : معناه تهكم وسخرية . اي : خذو معكم عدة تاسروننا فيها . ويجوز ان يكون المعنى : استظهروا بها ، لنتخذكم فيها اذا أسرناكم » (٦) .

---

(١) المصطلح في الادب الغربي : ٧٤ .

(٢) ينظر الشعر والشعراء في البصرة — النجدي ، رسالة ماجستير بالالة الكاتبة ، ١٠٨ .

(٣) ينظر الشعر في الكوفة — الاعرجي ، رسالة ماجستير بالالة الكاتبة ، ٩٧ .

(٤) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(٥) سلمة بن الخرشب الانماري : شاعر مقل من بني أنمار ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، عاصر عروة بن الورد ، وسلمة يذكر في قصيدته هذه يوم الارقم الذي كان اواخر القرن السادس الميلادي . ينظر شرح اختيار المفضل — التبريزي ، تحقيق فخرالدين قباوة ١٦٤/١ ، هامش ١ .

(٦) ينظر شرح اختيارات المفضل — التبريزي : ١٦٤/١—١٦٥ .

وفي شرحه للبيت السابع من القصيدة ذاتها :

فأثن عليهـا بالـذي هـي أهلـه
ولا تكفرنهـــا ، لا فـــلاح لـكافر

يقول : « هذا الكلام تهكم وسخرية .. والمراد : اشكر نعمة فرسك عليك حين خلصتك ، ولا تجحد يدها وصنيعتهـا عندك ، فان جاحد النعمة لا فلاح له ، ولا يستحق مزيـــدا بعده .. » (٧)

وعندما نأتي الى الحقبة الاموية تتطور السخرية وتدخل نسيج النقائض لتكون معلما من معالم التطور الفني الذي حققته هذه النقائض (٨) ، ونجد شاعرا مثل الحطيئة (ت٥٤هـ) يتطور الهجاء عنده الى شعر ساخر « لا يخلو من نكتة لاذعة وانتقاد اجتماعي دقيق لبعض ملامح الحياة الاجتماعية » (٩) ، ويقارب بعض تصوراتنا للخصائص الفنية للسخرية في القرن الثالث .

ففي ابياته الاربعة التي هجا فيها بخيلا يقول : « لقـد بذلت ما استطيع من جهد ومشقة في استمالة هذا البخيـل فلـم أوفـق . انني امـام صـخرة صـماء ، لا تعي معنى وجودي ولا تسمع كلماتي ورجائي ، فتشاغل عن حاجتي ورجائي، وراح مطرقا حتى خيل الي بانه قد مات او كاد .. واوشكت ان أنعاه عندما لمحته يسترجع شهقته العالية بعد الاحتضـار ، فادركت انه حي ، فتركته بعد ان قلت له : اني لست عائدك بعد اليوم حيث هدأت روحه وبدأت نفسه ترجع اليه :

كدحت باظفـــاري وأعملت معـــولي
فصادفت جلمـودا من الصخر أملسا
تشاغل لما جئت في وجــه حــاجتي
وأطرق حتى قلت قد مـات او عســى
وأجـمعت ان انعـاه حـين رأيتـــه
يفـوق فـواق المـوت حتـى تنفســا
فقلت لـه لا بأس لســت بعـــائد
فافـرخ تعلـــوه الســمادير ملبسـا

ان هذه الصورة الهجائية الساخرة تجعل من الحطيئة رائدا لهذا الفن في الادب العربي . وقد تطور هـــذا الفن في العصر العباسي على يد شاعر ساخر مبدع الا وهو ابن الرومي ، ابو الحسن علي بن العباس (٢٢١هـ ـ ٢٨٣هـ) (١٠) ، وعدد من الشعراء والشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري .

* * *

هذا ما كان من حال السخرية في شعر العصر الســابق كما دلت عليها تلك النماذج الساخرة الملتمعة بين أبيات الهجاء في قصيدة ذلك العصر ، وظلت كذلك خيطا زاهيا ضئيلا في نسيجه التقليدي القاسي الكدر . ولم يقدر لها ان تنمو وتتطور غرضا مستقلا قائما بنفسه الا في العصر الادبي اللاحق ، العصـــر العباسـي .

وان كان ثمة ما يبيح لدارسي ادب العصر السابق انينوهوا بالسخرية من خلال دراستهم فن الهجاء ، على انها بعض من مضامينه وادواته ، وانه لا ياتي الا اعرضا ، ولا يملك انيستطيل، بفعل ضغط القيم الفنية لقصيدة ذلك العصر ، فان الاصرار على هذا النهج في الدراسات اللاحقة التي تعرضت لشـــعر العصر العباسي ، موقف ليس له ما يسوغه باية حال .

ان التطورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التـــي نشطت في هذه الحقبة الحضارية و « قضت بنشـــوء فنـــون جديدة ... وتطوير اغراض كانت قبل صغيرة وضيقة الى فنون مهمة ذات نفوذ شعري كبير » (١١) ، بفعل ما رافق تلـــك التطورات من تغير في ذوق العصر وتجدد في قيمه الفنية ، هي نفسها التي قضت بتطور فن الهجاء ، والسير ببعض نماذجه الساخرة باتجاه مفارقته ، مضامين وصياغات ، ومن ثـــم استوائها فنا شعريا مستقلا ، هو فن السخرية ، حين بـــدا الهجاء بمراميه وصياغاته ومضامينه البدوية عاجزا عن تمثل قيم الحضارة الجديدة ، ومضامينها .

* * *

واذا كانت دراسة النجدي قد عنيت بشعر السخرية في القرن الثالث وفي حاضرة البصرة خاصة لتتدارك ما فـــات الدراسات السابقة التي كانت قد انبرت له من خلال الهجـــاء مرة (١٢) ومن خلال ادب الفكاهة مرة اخرى (١٣) ، وتوصلت الى انه من نتاج الحياة في العصر العباسي ، ورجحت « ان العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية هي العـــوامل الاساسية التي أدت الى ظهور هذا الاتجاه الادبي ، اضافة الى ما للمعتزلة من اثر في ظهوره » (١٤) ، ومن ثم ميل المجتمـــع الى الفكاهة وسيلة لمواجهة ضغوط الاوضاع القاسية التي كانت تكتنف حياتهم في هذا العصر (١٥) ، فان ثمة دراسة اخـــرى لاحقة ـ اعني دراسة الاعرجي عن شعر الكوفة ـ كانت قـــد اهتدت بهذا المنهج لتوثقه من جهة ، ولتستدرك عليه من جهة اخرى . فهو حين يرى ان « المعقول ان تكون كل هذه العوامل مجتمعة هي التي تبنت هذا الغرض حتى ربي بين احضانها .. »(١٦) يضيف ، بان « هذه الاسباب كلها تبقى عقيمة اذا لم تصادف روحا ميالة بطبعها الى الفكاهة واختلاق النادرة ، والا فان هذه العوامل التي خلقت من ابي علي البصير وابي العنبس وابي حكيمة .. شعراء ساخرين لم تخلق من ابن كناسة والحمـــاني اللذين هما اولى بها لما يعانون شاعرين ساخرين كما لم تخلق سواهما » (١٧) .

وقد حاولت هاتان الدراستان ، بعـــد ذلك ، ان تعللا

---

(٧) المصدر نفسه .
(٨) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموي : ١٧٤ .
(٩) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة ـ مستل من مجلة البلاغ عدد ٣/السنة ٤/ص١٤ بقلم الدكتور عنـاد غـزوان .
(١٠) المصدر نفسه ، وينظر الشعر في ديوان الحطيئـــة (ط صادر) : ٢٦٢ ، والسمادير ما يتراءى للانسان عند السكر .

(١١) محاضرات عن الشعر العباسي ـ بالالة الكاتبة ـ د . علي الزبيدي : ٢٧ .
(١٢) اعني بذلك دراسة الدكتور محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، وينظر فصل الهجاء فيها : ص ٤٣٢ وما بعدها .
(١٣) اعني بذلك دراسة الدكتور احمد الحوفي « الفكاهة في الادب » ، ودراسة الدكتور شوقي ضيف « الفكاهة في مصـر » .
(١٤) الشعر والشعراء في البصرة : ١١٠ .
(١٥) المصدر نفسه : ١١٠ .
(١٦) الشعر في الكوفة : ٩٨ .
(١٧) المصدر نفسه : ٩٩ .

الاسباب التي حالت دون حضور السخرية غرضا مستقلا في الدراسات المحدثة التي تصدت للشعر العباسي استقراء ودراسة وتقويما . لقد اكتفت رسالة النجدي بالاشارة الى ان ظاهرة السخرية في شعر ابن الرومي كانت قد الفتت نظر بعض الدارسين المحدثين لشعر القرن الثالث ، وانهم ظلو « ينتبهون الى هذه الظاهرة في ابسط صورها ومراميها كما تتمثل في بعض اشعار ابن الرومي التي لا تتعدى في معظمها الهجاء الساخر ، ولم ينتبهوا الى ما في شعر غيره من شعراء القرن الثالث من اتجاه ساخر ذي مرام عميقة سامية » (١٨) ، اما رسالة الاعرجي فقد عزت اغفال تلك الدراسات امر السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الى ان السخرية لم تكن من الاغراض الرسمية التي كانت موضع عناية تلك الدراسات (١٩) ، و « ان الادب العربي درس في العموميات دون الخصوصيات » (٢٠)، والى قلة نماذج السخرية في شعر الكوفة (٢١) .

واذا كانت هاتان الدراستان قد وفقتا في طرح بعض الاسباب المنهجية التي حالت دون عناية الدراسات السابقة عليهما بالسخرية فنا شعريا طوره مناخ الحياة الجديدة في هذا العصر ، فان ثمة قصورا منهجيا كان يقعد بتلك الدراسات عن تمثل المنطق « الجدلي » القائم بين الظاهرة الادبية واسبابها ، وان ثمة علاقة متينة ودائمة بين التحولات المادية التي يشهدها عصر ما ، ومجتمع ما ، وبين ما يجد فيهما من تحولات نوعية ، فكرية وفنية ، وان الادب ، شعرا كان او نثرا ، كائن حي يتطور بتطور البيئة التي ينشا فيها ، وبالقدر الذي تبيحه له التقاليد الفنية السائدة فيها .

* * *

وقبل ان نتحدث عن ضروب السخرية ومضامينها ووسائلها الفنية ، نرى ان نفصل الكلام على ما كنا اجملناه في الفقرات السابقة ، وان نربط بين السخرية ظاهرة شعرية وبين ظروفها الموضوعية التي كان من اسباب استوائها غرضا شعريا قائما بنفسه ، مضامين وصياغات ووسائل فنية تميزه من الهجاء ، لانه « اذا كان الهجاء اسلوبا بدويا في مجتمع اولي فالسخرية اولى ان تكون في مجتمع متحضر اذ هي تحتاج النظر العقلي في الساخر والمسخور به » (٢٢) ، وبعبارة اخرى ، هي هجاء العصر الحضاري المهذب السامي الى صعيد النقد الذاتي والاجتماعي والسياسي ، والملبي حاجة نفسية كان المجتمع العباسي بأمس الحاجة اليها للتنفيس عما كان يعانية من ضغوط الاوضاع الحياتية المعقدة .

لقد كان لاضطراب الحياة السياسية ، وفقدان العدالة الاجتماعية في هذا القرن اثر غلبة العنصر التركي على شؤون الخلافة والرعية ، اثره في حمل كثير من المفكرين والادباء على النقد السياسي الصريح الساخر ، كما ان اضطراب الحياة الاقتصادية تبعا لتردي المؤسسات الادارية والاقتصادية ، وما رافق ذلك من شيوع المصادرات المالية ، وظاهرة الارتشاء والارتفاق على حساب الرعية ، وانكفاء الموسرين على ذواتهم بغية الحفاظ على ما اكتنزوه من اموال ، وبروز ظاهرة البخل ، وتردي القيم الاجتماعية ، وانتكاس القيم التي تقاس بها اقدار الناس على اختلاف كفاءاتهم ونوازعهم وطبقاتهم ، وتعقد الحياة الاجتماعية قد ادى الى شيوع السخرية الاجتماعية نقدا لهذه الظواهر المدانة ، والى ظهور السخرية الفكاهية – ايضا – يواجهون بها ما في حياتهم من قسوة وحرمان .

واذا كانت هذه العوامل – اصلا – سببا في ظهور السخرية حسا نقديا في نفوس المفكرين والادباء في القرن الثالث ، فان ما وجد فيه من قيم فنية جديدة تمثلت باحتياز الشاعر حريته الذاتية والفنية ، والخروج على كثير من القيم الفنية لقصيدة العصر الادبي السابق ، أي الخروج على القيم الفنية لعمود الشعر ، كان وراء تحول هذا الحس النقدي الساخر الى شعر ساخر عند كثير من الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن .

* * *

لقد اصطلحت دراستا النجدي والاعرجي على تسمية ثلاثة انواع من فن السخرية الشعرية هي : السخرية السياسية والسخرية الاجتماعية وسخرية غرضها الفكاهة والتندر ، وهي مسميات محكومة – كما يبدو – بالموضوعات التي تناولتها . ولما كانت هذه التسميات قاصرة عن استيعاب جميع الموضوعات التي يمكن ان يستمد منها فن السخرية من ناحية ، ولان كثيرا ما كان هذا التقسيم سببا في قسر المتون الشعرية الساخرة ، وتوجيهها الى غير وجهتها حين يعز المتن على الباحث ، ارتأينا ان نصطلح على تسمية نوعين من فن السخرية هما : السخرية الانتقادية والسخرية الفكاهية ، ونضف الى ذلك « السخرية العقلية » وهي تسميات مستمدة مما يهدف اليه هذا الفن في شعر هذه الحقبة ، لا الموضوع ، ليستقيم لنا المنهج ، ولنتجنب الدراسة المزلق الذي عانته هاتان الدراستان .

ان النجدي عندما حاول أن يلم بالعوامل التي دعت الى ظهور فن السخرية في شعر البصرة في القرن الثالث ، افترض – كما افترضنا – ان الحالة السياسية تستدعي بالضرورة شعر السخرية السياسية ، وان تعقد الحياة الاجتماعية يستدعي شعر السخرية الاجتماعية ، وهكذا ، وهو افتراض له ما يسوغه لو كان الباحث قد توفر على دراسة شعر اقليم العراق ، لا على دراسة شعر حاضرة من حواضره . وحينئذ ليس ما يضير المنهج المحكوم بهذا الافتراض ان افتقد شعر السخرية السياسية في شعر البصرة مثلا ، لانه سيجده في شعر بغداد او الكوفة او سامراء ، وحينئذ فقط يزول ما يستدعي قسر المتون الشعرية ، وتحميلها من المعاني ما لم تحمله . ولكن الذي حدث ان النجدي حين اخضع المنهج الى الافتراض النظري السابق ، ولم يجد من المتون الشعرية ما ينسجم مع ذلك الافتراض ، في موضوع السخرية السياسية خاصة ، اضطر الى ان يجور على الشعر ، وينجر الى منزلق خطير ، هو قسر المتون الشعرية على اداء ما يريده هو لا مايريده المتن حين جعل من رسالة « صناعة القواد » للجاحظ (٢٣) رسالة في السخرية السياسية، معتمدا راي الدكتور محمد مهدي البصير في هذه الرسالة المتمثل في ان الجاحظ « اول من صنع المقامة في الادب العربي اذ لا جدال في ان رسالته التي يتحدث فيها عن صنائع القواد مقامة رائعة يديرها بطلان هما الجاحظ والمعتصم . وموضوعها سياسي خطير لانها تهدف الى نقد سياسة المعتصم في اختيار

(١٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٠٨ .

(١٩) ، (٢٠) ، (٢١) – الشعر في الكوفة ٩٧ .

(٢٢) نفسه : ٩٨ . وفي مختار الصحاح : ٣١١ « سخر منه .. ومكي ابو زيد سخر به وهو أردأ اللغتين ، وقال الاخفش سخر منه وبه .. كل يقال .

(٢٣) رسائل الجاحظ – تحقيق هارون : ١/٣٧٥ – ٣٩٣ .

قواده من بين الخياطين والخبازين والطباخين وامثالهم من ارباب الحرف والاعمال التي لا تتطلب ثقافة سامية ومدارك ممتازة » (٢٤) . ولعل افتقار شعر البصرة الى السخرية السياسية التي افترضها النجدي افتراضا نظريا هو الذي جعله يتشبث بما كان قد وهم فيه الدكتور البصير ذلك الوهم كله على حد تعبير الدكتور محسن غياض (٢٥) ، بدليل ان النجدي لم يوفق الى غير هذا المتن ، اذ « ليس في تلك الرسالة ما يمت بصلة الى القواد وصناعاتهم ولعل عنوان الرسالة هو الذي اوقع الاستاذ في ذلك الوهم وحمله عليه . وعنوان الرسالة وهو (صناعات القواد) لا ينطبق على ما بداخلها ولعله قد وضع على الرسالة خطأ وسهوا . ومن يقرأ الرسالة بامعان يحس ذلك ويؤمن به . فالجاحظ لم يتحدث فيها عن القواد ولا عن مؤهلاتهم وحروبهم والمشهورين منهم ، وانما اراد في رسالته تلك ان يوضح ظاهرة معروفة وهي اثر المهنة في حديث صاحبها وظهور الفاظها ومصطلحاتها في كلامه واراد ان يشرح هذه الظاهرة بامثلة نثرية وشعرية وضعها على السنة اناس اختار لهم مهنا مختلفة . وقد جعل الامثلة النثرية اجابات لهؤلاء عن سؤاله لهم كيف الحرب ؟ بعد رجوعهم مع جيش المعتصم من بلاد الروم . وكان الذين سألهم طباخ الجيش وسائس خيله وطبيبه وبعض المحاربين ممن كانوا مزارعين ومعلمين وخياطين وفراشين وكناسين .

ولم يقل الجاحظ ان هؤلاء كانوا قادة الجيش . وانما هم جنود يوجد مثلهم في كل جيش من جيوش الدنيا . ولهذا اختار الجاحظ شخصيات رسالته هذه من بين جيش عائد من الحرب ليستطيع ان يسألهم جميعا سؤالا واحدا وهو كيف كانت الحرب ؟ وليستطيع ان يضع على السنتهم جوابا واحدا في سطرين يغير في بعض كلماته لتعبر عن مهنة صاحبه ... ثم انه جعل كل واحد ممن سألهم يقول شعرا في الغزل . وجعل في شعر كل منهم ايضا ما يدل على مهنة صاحبه من الاصطلاحات والكلمات .

وكانت خلاصة ما يريده الرجل ان للمهنة اثرا في كلام صاحبها وحديثه . وقد بدأ الجاحظ رسالته تلك بشرح فضائل اللسان وما يدل عليه من علم صاحبه او جهله ثم طلب الى المعتصم ان يعلم اولاده من كل ادب ولا يقتصروا على علم واحد » (٢٦) .

وعلى هذا الاساس فرسالة « صناعات القواد » رسالة في السخرية من ظاهرة التخصص في المعرفة التي بدأت تترسخ في هذا العصر ، ومن ثم فهي اقرب الى النقد الادبي الساخر منها الى السخرية السياسية ، وهذا الضرب هو ما لم تتسع له مسميات النجدي ، ولو قدر له ان يركن الى مصطلح « السخرية الانتقادية » وهو ما ارتأيناه ووضعناه موضع التطبيق في دراستنا ، لكان بامكانه استيعاب كل انواع السخرية التي تهدف الى النقد مهما كان موضوعها ، ولنأى برسالته عن مثل هذا المنزلق ، لان هذه التسمية بشموليتها تمنحه حرية اختيار النص الساخر الناقد ايا كان موضوعه من غير حاجة الى اكراه النفس والقلم على تناول المتون الشعرية بشيء من العسف والمجاز البعيد الى حد المحال كما رأينا .

والاعرجي ـ ايضا ـ لم ينج من مثل هذا المنزلق ، منزلق قسر المتن الشعري وتحميله من المعاني ما لا يحمله ، ولكن في حال تغاير ما كنا وقفنا عليه عند النجدي ، حين نقل متناشعريا لابي علي البصير في وصف طير « القبج » من مجاله الوصفي المحض الى مجال السخرية الاجتماعية (٢٧) .

ولعل السهو في النقل من المصدر ، وتمكن ابي علي البصير من الوصف وبراعته فيه واستعانته بـ « التشخيص » اسلوبا بلاغيا لاحكام صنعة هذا الوصف ، وذلك باضفاء الافعال والصفات الانسانية على هذا الطير ، هو الذي اوقع الاعرجي في هذا الوهم .

* * *

وقبل ان نتوفر على دراسة السخرية في شعر الشعراء الكتاب بضروبها الثلاثة التي اصطلحنا على تسميتها بالسخرية الانتقادية ، والسخرية العقلية ، والسخرية الفكاهية ، نرى ان نعلل لظاهرة شيوع السخرية في شعر الشعراء الكتاب الذين ضج شعرهم بالشكوى ، مثل الجاحظ وابي العيناء والحمدوي وابي علي البصير وابن بسام والمفجع البصري وابن زريق الكوفي وابي حكيمة وآخرين ، اذ قد ينصرف الذهن في مثل هذه الحال الى ان ثمة تناقضا بين روح الشكوى التي كانت ترين على نفوس هؤلاء وبين نزوعهم الى السخرية .

ان ميل هؤلاء الشعراء الكتاب الشاكين الى السخرية لم يكن الا مجرد صدى لما حفلت به حياتهم من آلام ومحن ومصائب. وليس من شك في ان النفوس المعذبة كثيرا ما تلتمس في السخرية ملاذا للترويح عنها ، فلا تكون السخرية عندهم سوى منفذ للتنفيس عن آلامها ، واداة للتهرب من الواقع المؤلم الذي يرين على كواهلها ، ولهذا لم يكن الانسان « حيوانا ضاحكا » ومضحكا الا لانه اكثر الموجودات على الارض شقاء واعمقها ألما (٢٨) . وعلى هذا الاساس فالسخرية عند الشعراء الكتاب المتألمين الشاكين « اداة دفاعية » لمواجهة ما في حياتهم من قسوة وحرمان وشقاء ، و « اداة تطهيرية » تبدد ما ترسب في اعماق نفوسهم من الهواجس الكئيبة ، وتعتقها مما يغلها من قيود الفقر والفشل (٢٩) .

١ ـ السخرية الانتقادية

السخرية الانتقادية ، مصطلح اصطلحنا به على تسمية ضروب من الشعر الساخر على أساس الغاية لا الموضوع ، لاسباب منهجية كنا قد عرضنا لها قليل ، وليكون على حظ من الشمولية يستوعب معها كل انواع الشعر الساخر الذي يهدف الى السخر من الظواهر المدانة في الحياة ونقدها من خلال افراد بعينهم ، او جماعة بعينها ، او تقليد بعينه ، سواء أكانت هذه

---

(٢٤) في الادب العباسي ـ البصير : ٥٣ـ٥٤ .

(٢٥) الخلاف في نشأة المقامات ـ كراس ، ص ٩ ، بقلم الدكتور محسن غياض .

(٢٦) المصدر نفسه : ٩ـ١١ ، وفي جمع الجواهر ١٤١ وما بعدها عقد الحصري فصلا بعنوان : « كلام مستطرف لاهل الصناعات من طريق صناعتهم اشار فيه الى المعنى الذي قصده الجاحظ من رسالته هذه ، فقد ذكرها بأكملها كما استشهد له بنصوص اخرى غير هذه الرسالة ، ولاخرين في الموضوع نفسه .

(٢٧) ينظر الشعر في الكوفة : ١٠٥ .

(٢٨) ينظر ابو حيان التوحيدي ـ زكريا ابراهيم : ٢٤٧ .

(٢٩) نفس المصدر : ٢٥٠ .

الظواهر المنقودة ، المسخور منها ، اجتماعية ام سياسية ام ادبية ام سلوكية شخصانية .

ومهما بدت السخرية الانتقادية هادئة في بعض نماذجها ، فهي عملية تأديب مؤلمة مخزية ، لانها ما وجدت واتسمت بسمة النقد الا لتخزي وتؤلم في آن واحد ، ولهذا كان لابد من ان يشعر الشخص المسخور منه ، المنقود ، بالخزي والالم . والشاعر الساخر اذ يعمد الى هذا فانما يريد من خلال الشخص موضوع النقد والسخرية ، نقد ظاهرة مدانة بنظره على صعيد الحياة الاجتماعية او السياسية ... وان كان ثمة ما يشير الى ان الشخص نفسه كان منقودا بهذه السخرية، فان الشاعر الساخر كان يريد ان ينتقم منه وامثاله الذين يريدون التطاول على المجتمع ، وحينئذ تكون سخريته بهم ـ اشخاصا فرادى ـ هو كون عيوبهم غير اجتماعية ، لا لكونها غير اخلاقية . وسخرية كهذه لا يمكن ان تكون عادلة في تناولها ، وليست طيبة في كل الاحيان ، ولكنها مقبولة على كل حال لانها ما استخدمت الشر الا من اجل الخير (٣٠) .

* * *

ان استقراء الشعر الساخر الذي يمكن ان يندرج تحت هذا العنوان من دون عسف او قسر ، يمكننا من الوقوف على ثلاثة انماط من الشعر الساخر الناقد : نمط يتكفل بالسخر من ظواهر اجتماعية معينة ، واخر يعني بالسخر من ظواهر سياسية مختلفة ، وثالث يتوجه الى السخر من ظواهر ادبية . وكل هذه الانماط التي عالجها الشاعر الساخر الناقد انما عالجها من خلال التوجه الى السخرية من اشخاص بعينهم ومواضيع بعينها ، ليخلص منها الى نقد تلك الظواهر بهدوء مرة، وبلا طيبة ولا عدالة مرات ، لا لغرض شخصي ، وانما دعوة الى الخلاص وتطهير المجتمع من كل ما من شانه طعن نضارته ، وتشويه انسجامه ، وبلبلة طمانينته ، وخلخلة تماسكه .

فمن النمط الذي تكفل بالسخرية من الظواهر الاجتماعية تلك النماذج التي قالها الشعراء الكتاب في السخر من ظاهرة البخل والحرص التي شاعت في القرن الثالث . ومن الشعراء الكتاب الذين شهروا بهذا اللون ، الحمدوي وابن بسام العبرتائي البغدادي .

لقد استفرغ الحمدوي اغلب شعره الساخر في موضوعين اثنين ، طيلسان ابن حرب ، وشاة ابن سعيد . وليس الحمدوي في هذا الا سائرا على قافية من سبقوه في هذا اللون .

ففي موضوع « طيلسان ابن حرب » الذي ينصب على الطيلسان الخلق الذي اهداه اليه محمد بن حرب احد الموسرين في البصرة ، كان يحلو حذو احد شعراء عصره، « فقد كان الحمدوني (كذا) يحفظ قول ابي حمران السلمي في طيلسانه ، وهو :

(٣٠) ينظر الضحك ـ برجسون : ١١٤ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، علما باننا كيفنا ما ورد في هذه الصفحات حول الوظيفة الاجتماعية للضحك وفقا للوظيفة الاجتماعية للسخرية الانتقادية لان ثمة اكثر من أصرة حميمة بين السخرية الانتقادية والضحك ، بل ان الاضحاك والضحك اداة من ادواتها .

يا طيلسان ابي حمران قد برمت
بك الحياة فما تلتذ بالعمر
في كل يوم له رفا يجدده
هيهات ينفع تجديد مع الكبر
اذا ارتداه لعيد او لجمعته
تنكب الناس لا يبلى من النظر

فاحتذى حذوه ، وانثالت عليه المعاني ، حتى قال في وصف الطيلسان قرابة مائتي مقطوعة ، ولا تخلو واحدة منها من معنى بديع ، وصار الطيلسان عرضة لشعره ومثلا في البلى والخلوقة .. (٣١) . ولا شك ان ثمة وهما في عدد المقطوعات التي ذكرها الثعالبي ، ونرى ان الاقرب الى الصحة هو ما ذكره ابن المعتز : « وله فيه قريب من مائتي بيت في خمسين قطعة تفنن معانيها » (٣٢) ، يوثق هذا ما كان الحصري قد ذكره في كتابه « جمع الجواهر » (٣٣) .

« وكان المثل يضرب بشاة منيع ، ثم تحول المثل الى « شاة سعيد » لكثرة ما قاله الحمدوني فيها » ، وتسييره الملح في وصف هزالها » (٣٤) . وهكذا فالحمدوي في شعره الساخر يكون قد متح من المحاولات الجديدة التي بدأت تنمو في هذه الحقبة لتستقل عنده فنا قائما بنفسه بعد ان اغناها بتفننه وصياغاته واساليبه الفنية التي بلغ فيها حدا من الابداع جعله نسيج وحده ، ومثالا يحتذيه من جاء بعده من الشعراء (٣٥) .

وقد نوه القدامى بطبيعة الوسائل الفنية التي هيأت لاشعار الحمدوي الشيوع والسيرورة على لسان . فقد قال ابو العباس المبرد وهو يتحدث عن الحمدوي واشعاره في طيلسان ابن حرب : « فانشدنا فيه عشر مقطعات ضمن اواخرها ابيات اغان ملاحا فاستحلينا مذهبه فيها فجعلها خمسين شعرا فطارت كل مطير ، وسارت كل مسير » (٣٦) .

ومن طريف شعره فيه :

كساني ابن حرب طيلسانا كأنه
فتى عاشق بال من الوجد كالشن
يغني لابراهيم حين لبسته
« ذهبت من الدنيا وما ذهبت مني » (٣٧)

ونقرا هذين البيتين ، ونضحك في اعماقنا ، وترتسم البسمة العريضة على وجوهنا ، ويعمر نفوسنا الاشفاق على ابن حرب من هذه السخرية ، كما قراها اناس القرن الثالث ، وارتسمت البسمات على وجوههم ، وعمر الاشفاق نفوسهم عليه من هذه السخرية من قبل ايضا . لا شك ان ثمة شيئا في هذين

(٣١) ثمار القلوب : ٦٠١-٦٠٢ .
(٣٢) طبقات الشعراء ـ ابن المعتز : ٣٧٢ .
(٣٣) ينظر جمع الجواهر : ١٥٣ .
(٣٤) ثمار القلوب : ٣٧٥-٣٧٦ .
(٣٥) المصدر نفسه : ٦٠٣-٦٠٤ . وفيه : « والشك في ان ابن الرومي تعقبه ، فقال على لسانه ما لا يقصر عن ابداعه » .
(٣٦) جمع الجواهر : ١٥٣ .
(٣٧) ديوان الحمدوي ، جمع وتحقيق احمد النجدي نشر في مجلة المورد م ٢ ع ٣/١٩٧٢ ص ٨٧ قطعة ٦٩ ، والشن : القربة الخلق .

البيتين هو ما يثير كل هذه الاحاسيس فينا بما فيها الضحك ، ولكن اين يكمن هذا الشيء المضحك ؟ ، الذي لا اشك فيه ان الحمدوي قد وفق الى ابرع اساليب الاضحاك التي كشف عنها التفسير الفني المعاصر ، اعني اسلوب « التشخيص » الذي استخدمه الحمدوي من خلال تضمين بيت ابراهيم بن المهدي ، واضفاء الاعمال الانسانية ـ كالغناء ـ على طيلسان ابن حرب ، لانه ـ كما يقول برجسون ـ : « لا مضحك الا فيما هو « انساني » فالمنظر قد يكون جميلا لطيفا رائعا ، وقد يكون تافها او قبيحا ، ولكنه لا يكون مضحكا ابدا ، واذا ضحكنا من حيوان فلاننا لقينا عنده وضع انسان او تعبيرا انسانيا » (٣٨) وعلى هذا ما ضحكنا من طيلسان ابن حرب من خلال تشبيهه بالقربة الخلق ، ولكننا ضحكنا منه لاننا لقينا فيه وضع انسان عندما شبهه بالعاشق الناحل ، ضحكنا منه لاننا وجدنا فيه تعبيرا انسانيا حين جعله يغني بيتا لابراهيم بن المهدي الذي ذهبت عنه الدنيا بذهاب الخلافة .

ويدرك الحمدوي هذا السر فيديره في اغلب مقطعاته ، ولا ينجح عنده كما ينجح في موضوع « شاة سعيد » ، حين يلح في استخدام اسلوب « التشخيص » من خلال تضمين الابيات من القصائد المغناة المشهورة ، ليقف بنا على الوضع الانساني البائس ، او التعبير الانساني البائس في مثل حال « شاة سعيد » الهزيلة الجائعة . فمما قاله الحمدوي في الاضحية التي اهداها له سعيد بن احمد بن سبنداد ، هذه المقطوعة الساخرة :

ابا سعيد لنا في شاتك العبر
جاءت وما ان لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت
طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو انها ابصرت في نومها علفا
غنت له ودموع العين تنحدر
« يامانعي لذة الدنيا باجمعها
اني ليفتنني من وجهك النظر » (٣٩)

ان هذه القطعة تثير فينا من الضحك ما اثارته قطعته السابقة في طيلسان ابن حرب ، والذي يضحكنا فيها ، ويثير اشفاقنا على صاحبها من هول هذه السخرية البارعة ، ليس وصف هزال هذه الشاة وجوعها ، ولا الكناية البارعةالتي عبر بها عن هذه الحال التي تعانيها هذه الشاة المهداة ، بقوله « طعامها الابيضان الشمس والقمر » ، ليس هذا ما يضحكنا ، ولكن الذي يضحكنا هو اضفاء الافعال الانسانية عليها ، البكاء والغناء ، هذه الافعال التي وقفت بنا عند « شاة سعيد » على وضع انسان وتعبير انساني ، باستخدامه اسلوبي التشخيص والتضمين .

وكلما امعن الحمدوي في اضفاء المزيد من الافعال الانسانية والصفات الانسانية على « شاة سعيد » كلما تعمقت السخرية في نماذجه ، وزادت قدرتها على الاضحاك كما في قوله :

لسعيد شويهة	نالها الضر والعجف
فتغنت وابصرت	رجلا حاملا علف
« بابي من بكفه	برء دائي من الدنف »
فاتاها مطعما	واتته لتعتلف
ثم ولى فاقبلت	تتغنى من الأسف
« ليته لم يكن وقف	عذب القلب وانصرف » (٤٠)

ان ما زاد في قدرة هذه المقطوعة على السخرية والاضحاك ، هو هذا السرد القصصي ، اضافة الى استخدام الحمدوي اسلوبي التشخيص والتضمين في حالين ، لقد جعلها تتغنى في حالتي الامل والفشل ، كما يتغنى اي انسان يعيش املا قريبا ، ثم لا يلبث عندما يخيب امله ، ان يغني خيبته شعرا اسيفا .

ولعل هذا النجاح الذي تحقق في موضوع « شاة سعيد » يعود الى ان الحمدوي ادرك ما ندركه الان من ان اضفاء فعل الغناء ، وهو فعل انساني ، على الطيلسان او الشاة ، هو اكثر اثارة للسخرية وابعث على الضحك ، مما لو اضفاه الحمدوي على نفسه ، كما فعل ذلك مرات كثيرة في مقطوعاته عن الطيلسان ، لان في مثل هذه الحال ليست ثمة مفارقة صارخة تبعث على الضحك ، فمن الطبيعي جدا ان يتغنى شاعر ببيت شعر لشاعر اخر ، ولانه في مثل حاله ليس ثمة حضور لوضع انساني او تعبير انساني في ما ليس انسانيا كما هو الشان مع الطيلسان او الشاة .

ولم يقتصر الحمدوي على استخدام اسلوب التشخيص من خلال تضمين بيت من الاشعار الشهيرة المغناة ، وانما تجاوزه الى استخدامه من خلال الاقتباس من القرآن ، فمن نوادر ماقاله مقتبسا من القرآن :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا
امرضته الاوجاع فهو سقيم
واذا ما رفوته قال سبحا
نك محيي العظام وهي رميم

... المقطوعة (٤١)

ولم يقتصر الحمدوي على الاستفادة من اساليب التشخيص والتضمين والاقتباس والسرد القصصي فحسب ، بل تجاوزها الى الاستفادة من اساليب فنية اخرى كالاقتباس من الحديث الشريف (٤٢) ، والاستمداد من القصص السائرة التي يتناقلها الرواة (٤٣) ، ومن العلوم الفلسفية والكلامية (٤٤) ، وكذلك من الغلو والافراط في استخدام المفارقات والتشبيهات والكنايات (٤٥) ، واننا اذ نكتفي بهذه الاشارات فلان النجدي كان قد توفر على كل هذه الانواع (٤٦) .

ومن كل ما توسل به الحمدوي من اساليب فنية فيموضوعي « طيلسان ابن حرب » ، و « شاة سعيد » يتضح لنا ان الطيلسان غير مقصود لنفسه ، كما ان الشاة غير مقصودة لنفسها ، كما ان من اهداهما غير مقصود وحده اذ لو كان هذا هو قصده لاكتفى ببضع مقطوعات لكل منهما ، ولما نظم في موضوع الطيلسان

---

(٣٨) الضحك ـ برجسون : ٦ـ٧ .
(٣٩) ديوان الحمدوي : ص ٨٠ قطعة ٢٥ .
(٤٠) المصدر نفسه : ص ٨٢ قطعة ٤٠ .
(٤١) المصدر نفسه : ص ٨٥ قطعة ٥٨ .
(٤٢) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٣٢ .
(٤٣) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٥ .
(٤٤) المصدر نفسه : ص ٨١ قطعة ٢٨ ، ٣١ .
(٤٥) المصدر نفسه : ص ٧٨ ، ٧٩ قطعة ٩ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ومقطوعات كثيرة اخرى لا تخفى عن حس الباحث .
(٤٦) ينظر الشعر والشعراء في البصرة ، فصل السخرية : ١١٨ـ١٣٢ .

مثلا خمسين مقطوعة ، وفي موضوع الشاة اقل من هذا العدد(٤٧)، وهذا « مما يدل على انه كان يقصد الى معنى ابعد مما يشير اليه المعنى الظاهري لشعره ، الا وهو مهاجمة البخل الذي ادى الى اهداء مثل هذه الهدية البالية . ولعله عبر بهذا عما يحس به افراد مجتمعه وما يعانونه من عادة سادت مجتمعهم ، ومن ثم كان تقبل الكثيرين لاشعاره هذه » (٤٨) . وهكذا فشعر الحمدوي الساخر « يمثل نقدا اجتماعيا اتخذ من السخرية مادة له » (٤٩) . وقد حقق الحمدوي كثيرا مما قصد له ، فبعد ان طارت مقطعاته كل مطير وسارت كل مسير ، وغدت لعنة تؤرق ابن حرب وغيره من بخلاء الموسرين ، وتفزعهم ، قال :

طيلسان لابن حرب ذو أياد ليس تحصى
أنا فيه أشعر النا س اذا ما الشعر نصا
واراني صرت أدنى بعدما كنت أقصى
واتقاني الناس وازدا دوا على شعري حرصا
ولكم قد حاز لي أر دية تترى وقمصا
كان دهرا طيلسانا ثم قد اصبح شصا (٥٠)

ان رحلة الحمدوي مع طيلسان ابن حرب على طولها لم تستطع ان تستنفد المخزون من طاقة السخرية عنده ، ان نغمة السخر ما زالت على عنفوانها في هذه المقطوعة ، فطيلسان ابن حرب الذي كان مبعث شكواه وسخريته صار مبعث انتفاعه، يحوز له الاردية تلو الاردية ، والقمص تلو القمص ، وهو ان كان لدهر طويل طيلسانا خلقا ، فها قد اصبح شصا . وهنا تكمن المفارقة الكبيرة ، فاية علاقة هذه التي تجمع بين الطيلسان والشص ؟ انها العلاقة غير المنطقية التي تصدمنا ، وتمنح هذه الابيات القدرة على زرع البسمة على اغلظ الشفاه قسوة ، واكثر الوجوه عبوسا .

* * *

واراد بعض الشعراء الكتاب مجاراة الحمدوي في فنه هذا فما قاربوه الا بقدر ، وممن تصدى منهم للسخرية من بعض مظاهر الحرص على ما ملكت اليمين في المجتمع العباسي ، ابن بسام العبرتائي البغدادي ، هجاء العصر العباسي الجريء . ولكنه على جلالة قدره في فن الهجاء ، فانه لم يبلغ منزلة الحمدوي في فن السخرية ، كما وكيفا ، ولكن هذا لا يعني انه لم تكن لابن بسام نماذجه الشعرية الساخرة البارعة ، ووسائله الفنية الخاصة في التصوير « الكاريكاتوري » الذي لم نقف له على ملامح واضحة في سخرية الحمدوي . فمن جيد نوادر ابن بسام الساخرة قوله في ابيه :

بعثت لاستهديه عيرا ولم اكن
لاعلم ان العير صار لنا صهرا
فوجه لي كي نستوي (كذا) في ركوبه
فيركبه بطنا واركبه ظهرا (٥١)

ان ما يدفعنا على الضحك في هذا النموذج الساخر البارع هو هذه « المفارقة » الصارخة الكامنة في اسلوب « التشخيص » الذي تضمنه البيت الاول ، فقد اسهم هذا الاسلوب في خلق وضع انساني فيما هو حيواني ، حين ربط بين العير وبين عائلته برابط المصاهرة ، وكانه كان يدرك ، ان لا مضحك الا الانسان . وربما قوى نزعة السخرية في هذا النموذج هو استخدام ابن بسام اسلوب التصوير « الكاريكاتوري » ، في هذه الصورة المضحكة البارعة الباعثة على السخرية القاسية ، وكأني بابن بسام يدرك للمرة الثانية بحسه النقدي المرهف الحاد بان للشعر الساخر وظيفته الاجتماعية ، وانه لا يتمكن من اداء هذه الوظيفة اذا كان على قدر من الطيبة والعدالة ، لان مهمته تاديبية ، ولابد له من ان يؤلم ويخزي (٥٢) ، وهذا ما كان قد تحقق له في هذا النموذج الساخر . ولا يتضح ما في الصورة من سخرية قاسية مخزية الا حين ندرك خوف هذا الانسان وحرصه في آن واحد ، فهاتان الحالان اللتان كانتا وراء حضور هذا التشكل « الكاريكاتوري » الساخر الرائع الذي وفق فيه ابن بسام ، الى حد جد بعيد ، للسخر من ظاهرة الحرص في ابيه . فاينما كان مكان ابيه من هذا الحمار ، البطن ام الظهر ، على اساس قبول كلتا الروايتين ، فهو في حال لا يمكن ان يحسد عليها ، لانها حال لا تثير الا الضحك والسخر منه . وليس لنا ان نأخذ سخرية ابن بسام على انها سخرية من ابيه وحده ، لان سخريته شانها شان هجائه لا يصدر الا عن موقف نقدي عقيدي يشمل كل جوانب الحياة العباسية ، السياسية والاجتماعية والادبية ، كما دلت على ذلك هجائياته (٥٣) .

وهذا سهل بن هارون بعث الى جار لهم ليستعير منه بغلا فزعم له انه مبطون ، فلم يملك الا ان يسخر من حرص جاره ، فكتب اليه بعد ايام :

نبئت بغلك مبطونا فزعت له
فهل تماثل او نأتيه عوادا ؟ (٥٤)

ان محاولة سهل بن هارون في خلق وضع انساني فيما هو حيواني هو الذي يثير فينا الضحك من صاحب البغل ، والسخر منه ، وهو في هذا يترسم اسلوب التشخيص الذي عرفناه عند الحمدوي وابن بسام .

* * *

وبخل الموسرين المتمثل بقلة ما يقدمونه على موائدهم ، او بضنهم بالخبز على الاخرين كان – ايضا – من موضوعات السخرية عند الشعراء الكتاب. ومن الذين تعاطوا هذا الموضوع، ابن بسام والحمدوي وعصابة الجرجرائي ، لقد سخر ابن بسام بخبز ابيه ومطبخه باكثر من مقطوعة واحدة . فمما قاله في احداها :

---

(٤٧) ان ما وصل الينا من مقطوعات الحمدوي في الطيلسان ٣١ مقطوعة ، وفي شاة سعيد ٨ مقطوعات ، ينظر الديوان .

(٤٨) ينظر الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٥–١٢٦ .

(٤٩) المصدر نفسه : ١٣١ .

(٥٠) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٣٠ .

(٥١) مروج الذهب (ط دار الاندلس) – تحقيق يوسف اسعد داغر : ٢٠٨/٤ ، وشرح مقامات الحريري – الشريشي : ٢٢٦/٣ وفيه :
١ – بعثت لاستهديك عيرا ولم اكن علمت ...
٢ – فوجه بي كي نشترك (كذا) في ركوبه فتركبه ...

(٥٢) ينظر الضحك – برجسون ١٦٠ .

(٥٣) ينظر الفصل الثالث من الباب الثاني من رسالتنا الموسومة بـ «الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري» .

(٥٤) رسائل الجاحظ – « كتاب البغال » – هارون : ٣٠٣/٢–٣٠٤ .

دار أبي جعفر مفروشة
ما شئت من بسط وأسماط
وبعد ما بينك من خبزه
كبعد بلخ من سميساط
مطبخه قفر وطباخه
أفرغ من حجام ساباط (٥٥)

ان ما يثير ضحكنا في هذه السخرية ليس هو الجمع بين المتناقضات ، بين الثراء والشحة ، بين كثرة الاسماط وبعد الخبز عنا بعد ما بين بلخ وسميساط ، ولا بهذه التقريرية المباشرة في الشطر الاول من البيت الثالث وانما في تضمين هذا المثل المولد « حجام ساباط » ولا نصل الى مدى هذه السخرية الا بعد ان نقف على قصة هذا المثل . ان « حجام ساباط » : يضرب به المثل في الفراغ يقال : افرغ من حجام ساباط .. ومن خبره انه كان حجاما ملازما لساباط المدائن ، فاذا مر به جند ، وقد ضرب عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد الى وقت قفولهم ، وكان مع ذلك يمر به الاسبوع والاسبوعان ولا يدنو منه احد ، فعندها يخرج امه فيحجمها ليرى الناس انه غير فارغ ، فما زال ذلك دأبه حتى نزف دم امه ، فماتت فجاة ، وسار فراغ الحجام مثلا » (٥٦) ، وضمن ابن بسام هذا المثل سخريته هذه التسير مثلا ــ ايضا ــ في فراغ طباخ ابيه ، ومن ثم ليشهر بخله بفعل هذه السخرية .

وفي مقطوعة ثانية يقول في خبز ابيه ، ابي جعفر :

خبز ابي جعفر طباشير
فيه الأفاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة
للبطن والصدر والبواسير
وقصعة مثل مدهن صغرا
تزعق من حوله النواظير
ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجري به المقادير(٥٧)

الواضح في هذه المقطوعة ان ابن بسام يريد ان يشهر بخل ابيه ، ولكنه يريد في الوقت نفسه ان يحتال على هذا الامر احتيالا لطيفا يخرجه من الهجاء الى السخرية ، ليكون تأثيره في نفوسنا اكثر وادعى للضحك . ولهذا أخر ابن بسام حكمه على أبيه بالبخل الى البيت الاخير من المقطوعة ، وبدأها ب «مفارقة» مثيرة للضحك والسخرية ، شئنا ام ابينا ، لقد افقد خبز ابيه صفته الحقيقية ، وحوله وقصعة الطعام معه الى واجهة في صيدلية عطار من عطاري العصر العباسي ، فالخبز له لون الطباشير ، لانه دواء مركب يصلح لاكثر من مرض واحد ، للبطن والصدر والبواسير ، والقصعة صغيرة صغر المدهن الذي يداف فيه الدواء ويسحق ، وهي بعد هذا محاطة بعيون النواظير ، فنحن لسنا امام خبز وقصعة ، وانما امام مواد صيدلانية ومدهن لدواء محذور ، لا يصلح ان يستعمل الا بقدر ما يستعمل الدواء وباشارة صيدلي ، وهل الصيدلي الا ابو جعفر ؟ وهل الدواء الا خبزه ؟ وهكذا نصل مع ابن بسام الى خاتمة هذا التصور ، ونحن ماخوذون بهذه السخرية ، ليلقي في سمعنا حكمه على ابيه بالبخل وشحة اليد ، انها شحة الصيدلي في الدواء :

ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجري به المقادير

وعندما نأتي الى الحمدوي وخبز الموسرين البخلاء ، نقف على اساليب فنية اخرى في السخرية هي غير ما كنا وقفنا عليه عند ابن بسام . ولعل ابرع هذه الاساليب واكثرها اثارةللضحك هو الاسلوب « الدرامي » بما يقتضيه من راو ، وممثلين ، وحوار ، وحركة ، ومسرح ، و « ديكور » زمني ومكاني ، وحضور . وهذا ما يمكن تمثله من خلال هذا النص :

رايت أبا زرارة قال يوما
لحاجبه وفي يده الحسام :
لئن وضع الخوان ولاح شخص
لأختطفن رأسك والسلام
فقال : سوى أبيك فذاك شيخ
بقيض ليس يردعه الكلام
فقام ، وقال من حنق ، اليه
ببيت لم يرد فيه القيام :
أبي وابنا أبي والكلب عندي
بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له : ابن لي يا ابن كلب
على خبزي أصادر ام اضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق
علي لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام(٥٧)

فالمقطوعة ــ كما اراد لها الحمدوي ــ تبدو وكأنها « ملهاة » حوارية ساخرة مضحكة ، مفعمة بالحركة والصور ، راويها الحمدوي نفسه ، وبطلاها ابو زرارة الموسر البخيل ، وحاجبه الذي يبدو على شيء من الشيطانية ، ومسرحها بيت ابي زرارة نفسه ، وزمنها الساعة التي تسبق ساعة الغداء ، وهي ساعة الترقب والتوقع المضنية التي يخشى الشحيح فيها طرقة على الباب من زائر ، أي زائر ، والحضور هم اناس القرن الثالث ، ومن قرأها من ابناء القرون التالية حتى القرن العشرين ، فملهاة كهذه تملك حضورها في الاذهان على امتداد الزمان ، وقدرتها على انتزاع البسمة الساخرة من شفاه ابناء القرن الثالث وابناء القرون التالية ، لان البخل صفة مدانة على امتداد العصور وتعدد الامكنة .

ان الحمدوي ينقل مشاهدي ملهاته الىمسرحها بلا مقدمات ولا ستارة ، لانه لا يريد ان يكلفهم الانتظار ، انه يقف بهم امام المشهد الاول من هذه الملهاة ، حيث يفاجأ المشاهدون بابي زرارة الموسر الذي تتناقض علائم ثرائه مع شحته وبخله ، في وضع لا يمكن الا ان يسخروا منه ، ويضحكوا .

لقد نجح الحمدوي في ان يمنح ملهاته ما تنتزع به ضحك الحضور من ابي زرارة انتزاعا . ان الهيأة المضحكة التي اظهر بها ابا زرارة ، والشيطانية التي اضفاها على الحاجب واستخدمها من اجل ان يجر أبا زرارة الى مضايق الحوار الذي يكشف ابعاد بخله ، المصحوب بالتصرفات الحنقة ، ومن ثم اعادته الى نوع من العقلانية ، وهي عقلانية مضحكة ايضا

(٥٥) ثمار القلوب ٢٣٥ .
(٥٦) نفسه .
(٥٧) مروج الذهب : ٢٠٩/٤ .

(٥٧) ديوان الحمدوني : ص ٨٥ قطعة ٥٧ .

حين ينطقه بهذه الحكمة التي لا رواج لها الا في بيئات البخلاء من الموسرين :

فمـا في الارض أقبـح من خـوان
عليـه الخبز يحضـره الزحـام

وللحمدوي غير هذه المقطوعة مقطوعتان اخريان ، في السخر من خبز البخلاء ، توسل في الاولى بالمغالاة في نعته ، فهو من حموضته يضرس الاسنان ، ومن خشونته يتشبث باللهاة ، وهو بعد هذا كالدراهم في حجمه ، ومن الخفة بحيث يتطاير من انفاس الحاضرين ، وتزداد سخريته من هذا البخيل ومن خبزه حين يصور لنا الحضور وهم يدارون التنفس خشية طيرانه من بين ايديهم (٥٨) .

اما الثانية فهي في خبز ابي نوح ، وعول فيها على اسلوب السرد القصصي والاقتباس من القرآن (٥٩) .

* * *

والشعراء الكتاب ان عنوا بالسخر من ظاهرة البخل والحرص ، وقالوا فيها شعرا ملك القدرة على السيرورة على شفاه الناس جيلا بعد جيل ، فان جوانب اخرى من الحياة الاجتماعية كانت قد امدت ملكتهم الشعرية الساخرة بموضوعات اخرى .

ان ابراهيم الصولي الذي عانى جفاء الاخوان بفعل انتكاس احواله ، وكان في ذلك اشكى اقرانه لهذه الظاهرة ، فاننا لا نعدم له الاشعار التي جمع فيها بين الشكوى والسخرية و « قد احسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها احد » (٦٠) . ومن هذه الاشعار قوله :

ولما رأيتك لا فاسقا
تهاب ولا انت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي
وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الرقيق
فناديت هل فيك من زائد
على رجل غادر بالصديق
كفور لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد
يزيد على درهم واحد
سوى رجل حار منه الشقا
وحلت به دعوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهد
مخافة أدرك بالشاهد
وابت الى منزلي سالما
وحل البلاء على الناقد (٦١)

لقد حاول ابراهيم الصولي ان يسخر في هذه المقطوعة بعد ان لم تجده الشكوى . واذا نحن فتشنا عن مواطن السخر فيها لوجدناها تكمن في الصورة الخلقية الشوهاء التي مسخ فيها هذا الصديق الكفور بالنعماء الجاحد لها . فهل ادعى للسخر من

(٥٨) المصدر نفسه : ص ٧٨ قطعة ١١ .
(٥٩) المصدر نفسه : ص ٨٨ قطعة ٧٦ .
(٦٠) ديوان المعاني ١/١٨٣ .
(٦١) المصدر نفسه .

رجل بلا لون ، من رجل لا هو بالفاسق الذي يهاب ولا هو بالزاهد الذي يجل ؟ وهل ابعث على الضحك من رجل لا يتقيه العدو ولا يحمده الصديق ؟ وهل هذه الا صفات واحد من الرقيق بمقياس ذلك العصر الذي اهار العصبية القبلية واضعف من تاثيرها ، ومنح كل فرد حريته الذاتية على مختلف صعد الحياة الا الرقيق ؟ هذا ما اراد ابراهيم ان يقوله لنا ، وقد قاله . ولكن من اجل ان يصل بعملية المسخ الى مداها يعمد الى معاملته وكأنه قد غدا حقا احد من ملكته يمينه من الرقيق ، فيذهب به الى سوق النخاسة ليبيعه ، وذلك جانب من عملية طويلة بدأها ابراهيم اولا بان زهدنا فيه انسانا بلا لون، وها هو يحاول من جديد ان يزهدنا فيه رقيقا بلا قيمة ، فيقول لنا بانه لم يأته رجل واحد يزيد في قيمته على درهم واحد غير رجل كانت قد حلت به دعوة والده ، وشقاوة حظه . ويواصل ابراهيم سخريته منه استجابة لعاطفة جريحة أثقلتها خيانة الاصدقاء وجفاؤهم وتلونهم حين اعلن بانه باعه بلا شاهد لئلا يدرك به ، وعاد الى منزله سالما ليحل البلاء على من نقد ثمن هذا الصديق ـ الرقيق .

* * *

وكما وجدنا من الشعراء الكتاب من يتجه بشعره الى الفئات الدنيا من المجتمع في هذا القرن يمدحهم ويهجوهم ، وجدنا كذلك من يتوجه اليهم بسخريته .

فابن زريق الكوفي ، وقد تهيأ له ان يحضر مجلسا للقصف واللذة والشرب والغناء ، ويلتقي فيه ب « قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر » (٦٢) قال يسخر منها :

أبا سعيد أصغ لي ... يا سيدي ونديمي
منيت أمس بأمر ... من الامور عظيم
حصلت عند صديق ... حر ظريف كريم
أسقى على شدو دبسيـ ... ـة فتنفي همومي
فكنت حين تغني ... لدى جنان النعيم
وان نظرت اليها ... ففي العذاب الاليم
وان شربت بصوت ... فالراح بالتسنيم
وان شربت بلحظ ... فالمهل بالزقوم
فكان سمعي بخير ... ومقلتي في الجحيم (٦٣)

ومن الدواعي التي دفعت ابن زريق الكوفي الى السخرية بهذه المغنية هو ان « الشاعر الذي يحضر مجلسا تحييه هذه القينة او تلك لا يريد ان يتمتع بعذوبة غنائها وحده دون ان يجمع الى لذة السماع افتتان النظر » (٦٤) واذ تكون القينة « حسنة المخبر قبيحة المنظر » ، فتلك هي المفارقة الحادة التي تدعو الى السخرية حين يحاول الشاعر ان يبعد في تصويرها . وابن زريق الكوفي « في سبيل تجسيدها استعمل كلمات ذات ايحاء خاص اشاعها القرآن الكريم وظلت مغيبات لا تنتهي عند حد مثل « العذاب الاليم » و « جنات النعيم » و « الزقوم » و « الجحيم » كما انه لجأ الى السرد القصصي الذي يهتم بحاله

(٦٢) يتيمة الدهر : ٢/٢٧٧ .
(٦٣) المصدر نفسه : ٢/٢٧٧ـ٢٧٨ . والتسنيم : من قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » ، قالوا هو ماء في الجنة . مختار الصحاح ٣٢٨ .
(٦٤) الشعر في الكوفة : ١٠٣ .

هو والذي نستشف من ورائه ما اتصفت به هذه القينة من قبح المنظر وجمال الصوت » (٦٥) .

* * *

ولم تقتصر السخرية عند الشعراء الكتاب على نقد بعض المظاهر الاجتماعية المدانة في المجتمع العباسي في هذا القرن ، بل جاوزته الى السخر من بعض المظاهر السلبية في الحياة السياسية وبدأ هذا الضرب من السخرية الانتقادية ينمو مع بداية الاضطراب السياسي والاقتصادي الذي شهدته الخلافة العباسية اثر مقتل المتوكل ٢٤٧هـ ، وسيطرة العنصر التركي على الخلافة ، وتطور وازداد حدة بعد ان ذهبت هيبة الخلفاء ، وغدوا ألعوبة بأيدي هؤلاء الموالي يحركونهم كيفما وأنى ووفقا لرغائبهم دون اعارة اية اهمية لمشاعر الرعية ومصالحها .

ف « لما غلب وصيف وبغا على امر المستعين كله حتى كان لا يصدر الا عن رأيهما قال في ذلك جنبذ الكاتب :

خـلافـة جائـــرة فاســـدة ما تبتغـي
صاحبهـــا محتجـب يفـرق من حـر الوغـى
مقتســـم معتبــــد بـين وصيــف وبغـــا
يقـول ما قــالا لــــه كمـا تقــول الببغا » (٦٦)

وقد بلغ الشاعر غاية السخرية عندما وفق الى خلق تلك المفارقة الصارخة بين ما يجب ان يكون عليه المستعين الخليفة وما آل اليه من حال هي حال الببغاء . ولم يتهيأ له هـذا لو لم يضمن معنى المثل المولد « كلام الببغاء » الذي « يضرب مثلا لمن يقول ما يقول بغير علم ولا معرفة ، وانما يؤدي شيئا سمعه بحكي ما يلقنه » (٦٧) ، وهو تضمين ذكي وبارع ، كثف المسألة واعطاها بعدها الساخر من دون حاجة الى الاطالة ، مما كتب لها السيرورة على الافواه سريان النار في الهشيم .

ولعل ابن بسام العبرتاني البغدادي هو اكثر الشعراء الكتاب تعاطيا لهذا الضرب من الشعر الساخر ، فقد كان ــ كما نعته ياقوت ــ شاعرا ماضيا لا يسلم من لسانه احد وقد استفرغ شعره في هجاء ابيه والخلفاء والوزراء (٦٨) . وهو في هذا يصدر عن موقف مذهبي سياسي معارض ، ومعارضته تأتي من كونه شيعي المعتقد اولا ، ولانه على جلال قدره في الكتابة والادب والشعر لم يكن ينال ما ينال اقرانه ثانيا ، ولهذا أشعلها نار حرب لم تنطفىء ضد الخلفاء والوزراء والكتاب حتى توفي عام ٣٠٢ هـ . وقد اوضحنا جانبا من هذا في دراستنا هجائياته السياسية حين تعرضنا لهجاء الشعراء الكتاب (٦٩) .

(٦٥) المصدر نفسه : ١٠٤ .

(٦٦) ، (٦٧) ثمار القلوب : ٤٨٨ . وفي جمع الجواهر : ١٥٨ « وكان المعتضد مضعوفا ، وكان أمره قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتب :

يادولـة بائـــرة كاسـفة ما تبتغي
خليفة مستضعف بين وصيف وبغـا
يقول ما قالا لـه كمـا تقول الببغا

وعندنا ان الرواية الاولى اقرب الى الوقائع التأريخية ، ينظر محاضرات الخضري ــ الدولـة العباسـية : ٢٧٣ـ٢٧٤ .

(٦٨) معجم الادباء (ط مرجليوث) : ٣١٨/٥ .

(٦٩) ينظر الفصل الثاني من الباب الثاني من رسالتنا .

واذ يحاول ابن بسام تنويع وسائله الفنية في نقداته السياسية الساخرة ، كان يستخدم التضمين والاقتباس والمغالاة في اضفاء النعوت ، فانه لم يوفق فيها كما وفق في تعاطيه أسلوب التصوير « الكاريكاتوري » . هذا الاسلوب الذي عرضنا له نموذجا في السخرية من حرص ابيه في الصفحات السابقة . ومن امثلته ما قاله في العباس بن الحسن لما وزر للمكتفي سنة ٢٩١هـ :

وزارة العبـــاس من نحسهـــا
ســـتقلع الدولـــة من أســـها
شبهتـــــه لمــا بدا مقبــلا
في خلـع يخجــل من لبســـها
جاريـــة رعنـــاء قـــد قــدرت
ثيــاب مولاهـا على نفســـها (٧٠)

ان الصورة الساخرة التي حاول ابن بسام ان يظهر بها الوزير وان جاءت باسلوب بلاغي ، هو اسلوب التشبيه التمثيلي ، وهو تشبيه صورة بصورة ، فان صورة الجارية الرعناء التي ابدع باخراجها هي التي منحت هذه القطعة بعدا « كاريكاتوريا » ساخرا . واذ نقول هذا فلاننا نتطوي على فهم لاسلوب التصوير « الكاريكوتوري » سنكشف عنه عندما نعرض لنماذج من السخرية الشعرية الفكاهية من شعر ابن الزيات التي تعد اكمل النماذج له .

وفي المقطوعة التالية التي سخر فيها ابن بسام من الوزير نفسه ، اتبع الاسلوب نفسه ، ولكنه كان هذه المرة اقرب فيه من مفهوم التصوير « الكاريكاتوري » الذي نعنيه ، حين حاول ان يضخم بعض عيوب الوزير الجسمانية في قوله :

فوزيـــــر شــــنج الوجـــ
ـــه بطـــــين كالغـــراره
وقفـــا فيـــه سنامـــا
ن وراس كالخيـــــــاره

. . . المقطوعة (٧١) .

وهو ان هجا المعتضد هجاء سياسيا مرتين (٧٢) ، واستطرد به في مقطوعة ثالثة (٧٣) ، فقد سخر من بخله في مقطوعة رابعة اذ قال :

انصـــرف النـاس من ختـــان
يدعـــون من جوعهـــم حزامـــا
فقلـــت لا تعجبـــوا لهـــذا
فهكـــذا تختن اليتـامى (٧٤)

وظل ابن بسام يواصل سخريته من خلفاء بني العبـــاس

(٧٠) زهر الاداب : ٢/٦٧٠ـ٦٧١ . وفي جمع الجواهر : ٢٢٣ مع اختلاف في الرواية :
١ ــ ... ... تســـتقلع ... ...
٢ ــ خازنـة الكسـوة ... ...

(٧١) مروج الذهب : ٢٠٨/٤ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء : ٣٢٠/٥ .

(٧٣) ينظر جمع الجواهر : ٢٢٣ .

(٧٤) مروج الذهب : ٢٠٨/٤ ، وفي جمع الجواهر : ٢٢٢ـ٢٢٣ مع اختلاف في رواية البيت الاول ... يرعون من جوعهم خزامى .

ووزرائهم (٧٥) كما واصل من قبل هجاءهم ، وهو في هجائياته تلك ونقداته الساخرة هذه ينطلق من موقف عقائدي معارض واضح تدل عليه هذه المطاولة والاستمرارية التي لم تعرف المهادنة او النكوص يوما .

وتردي الحالة الادارية في هذا القرن كان من موضوعات سخرية الشعراء الكتاب ، ومثال ذلك ان المتوكل عندما عزم على بناء « الجعفري » تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقلد الاسواق والمستغلات فيه قبل ان يبنى ، واخراج فضول ما بناه الناس من المنازل ، فسمى له أبا الخطاب الحسن بن محمد الكاتب ، فكتب هذا الى ابي عون لما دعي الى هذا العمل ، يسخر :

انى خرجت اليك من اعجوبة
مما سمعت به ولما تسمع
سميت للاسواق قبل بنائها
ووليت فضل قطائع لم تقطع (٧٦)

وعندما بدأت القيم تنتكس بالنابهين من الكتاب ، وتشهر الخاملين منهم ، لم يجد عيسى الفاسي الكاتب ، وقد نمي اليه ان صاعدا قرأ كتابا على الموفق فلم يفهم بعض ما فيه ، وفهمه الموفق ، الا ان يسخر من ذلك قائلا :

ارى الدهر يمنع من جانبه
ويهدي الحظوظ الى عائبه
ومن عجب الدهر ان الامير
ر اصبح اكتب من كاتبه (٧٧)

والسخرية تكمن في هذه المفارقة : « ان الامير اصبح اكتب من كاتبه » وكان العكس هو الصحيح دائما .

وسخر ابو علي البصير من « ابن سعدان » عامل الكوفة فقال :

يا ابن سعد ان اجلح الرزق في ام
رك واستحسن القبيح بمره
نلت ما لم تكن تمنى اذا ما
أسرفت غاية الاماني عشره
ليس فيما اظن الا لكيلا
ينكر المنكرون لله قدره (٧٨)

« وموطن الهزء في البيت الاخير ، وهو ـ بتعبير ادق ـ في هذا الظن الذي لا ترقى الى قوته عبارة اخرى تستبدل منه. اذ ان لله ـ فيما يظن ابو علي ـ ان يثبت قدرته بوسائل شتى ، ومنها المعجزات التي لا تتحقق الا بالقدرة الخارقة ، والا فكيف يفسر الشاعر تولي ابن سعدان زمام الامور ؟ وهذا الاسلوب الذي يصطنع الشاعر فيه الجد هو الذي اعطى الابيات ما اناط بها من سخرية » (٧٩) .

وقريب من هذا ما قاله الحمدوي في سعيد بن حميد حينما صير اليه ديوان الرسائل في عهد المستعين :

(٧٥) ينظر مروج الذهب : ٢٠٩/٤ـ٢١٠ ، ومعجم الادباء : ٣٢٥/٥ـ٣٢٦ .
(٧٦) معجم البلدان : ٨٦/٢ـ٨٧ الشعر والخبز .
(٧٧) اغتاب الكتاب : ١٧١ .
(٧٨) شرح نهج البلاغة : م ٤ جـ ٥١٦/٢٠ .
(٧٩) الشعر في الكوفة : ١١٦ .

لبس السيف سعيد بعد ما
كان ذا طمرين لا نوبة له
ان لله لآيات وذا
آية لله فينا نزله (٨٠)

ويطول الحديث بنا ان نحن واصلنا الاستشهاد بالنصوص الشعرية الساخرة ذات النزوع النقدي السياسي عند الشعراء الكتاب ، وحسبنا ما قدمناه من نصوص كشفنا من خلالها عن المضامين السياسية في شعرهم الساخر ، والوسائل الفنية التي توسلوا بها لبلوغ الهدف الذي كانوا ينشدونه .

* * *

وقد عني الشعراء الكتاب بالسخرية الانتقادية ذات النزوع الادبي ، كما عنوا بالسخرية الانتقادية ذات المضمون الاجتماعي والسياسي من قبل . ولعل ذلك يعود الى ان عددا من الشعراء الكتاب كانوا من نقاد القرن الثالث كما مر بنا في التمهيد .

وهذه النقدات الادبية الساخرة وان كان بالامكان حملها على محمل الدعابة والتظرف والتنادر ، الا انها بما تحمله من تصورات نقدية لمفهوم الشعر ، وتقويم لمكانة ادباء العصر ، يمكن ان تدرج من غير تعسف تحت عنوان هذا اللون من السخرية ، اعني « السخرية الانتقادية » .

فاذا كان من المعروف « ان البرودة في الشعر تعني فتور العاطفة فيه » (٨١) ، وان الشعراء الكتاب في سخريتهم الانتقادية الادبية من شعر بعضهم او من شعر شعراء القرن الثالث ، كانوا يعتمدون « توهم الحقيقة في المجاز الشائع » (٨٢) الذي اشرنا اليه .

ومن هذا المنطلق وجدنا احمد بن ابي طاهر يقول في الفتح بن خاقان ، وقد اعتل من حرارة :

ما دواء الامير فتح بن خاقا
ن سوى شعر هذا الزمان
ودواء الامير ان ينشدوه
بعض ما قاله ابو هفان (٨٣)

ومن المنطلق نفسه يسخر ابن زريق الكوفي من شعر ابي بكر الصولي حين قال :

داري بلا خيش ولكنني
اعقد من خيشي طاقين
دار اذا ما اشتد حرى بها
انشدت للصولي بيتين (٨٤)

وفي قول ابي العيناء في علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) :

اراد علي ان يقول قصيدة
بمدح امير المؤمنين فاذنا
فقلت له : لا تعجلن باقامة
فلست على طهر ، فقال : ولا انا (٨٥)

(٨٠) ديوان الحمدوي ص ٨٣ قطعة ٤٩ ، تاريخ الطبري ٢٦٤/٩ .
(٨١) الشعر في الكوفة : ١١١ .
(٨٢) المصدر نفسه .
(٨٣) الكناية والتعريض : ٤٢ .
(٨٤) المصدر نفسه ، وفيه ابن وريق وهو تصحيف لكلمة « ابن زريق » .
(٨٥) الديارات : ٨٦ .

ثمة سخرية من ابن الجهم وشعره ، ولكنها سخرية ذات مسار نقدي آخر غير الذي ذكرناه ، فابو العيناء توسل بالمفارقة المضحكة حين حاول ان يخلق علاقة غير منطقية بين ابن الجهم الشاعر ، وبين ابن الجهم المؤذن ، وذلك على سبيل المجاز حين حاول ان يربط بين انشاده القصيدة واقامته الاذان . ويتضح هذا حين غلب ابن الجهم المؤذن على ابن الجهم الشاعر ...

اراد علي ان يقـــول قصـيدة
بمـدح امـير المؤمنـين فاذنـــا

ولعل ابا العيناء كان يريد من وراء هذه السخرية انيخلص الى نقده ادبيا واجتماعيا ، وذلك بان وصمه بمخالفته قواعد المنادمة والبلاغة في آن واحد ، لان قواعد كلا هذين الفنينتفترض تطبيقا دقيقا للقاعدة البلاغية « مطابقـة الكلام لمقتضـى الحال » وهذا يقودنا بالضرورة الى ان ابا العيناء اراد ان يقول لابن الجهم : ان شعرك ليس مما يمكن ان ينشد في مجالس الخلفاء حين يخلون الى نفوسهم وجلسائهم وندمائهم طلبا للاستجمـام والترويح عن النفـس .

ومن اجل ان يصل ابو العيناء الى الغاية في سخريتـه من ابن الجهم الشاعر المؤذن ، يتوسل بالقاعدة الفقهية التي تقف بالمؤذن عند التكبير ولا تتعدى به الى اقامة الصلاة ، ليقف بابن الجهم عند مطلع القصيدة ويحول بينه وبـين اتمـام انشادها ، والقاعدة الفقهية المعنية هي اشتراط الطهـر في المؤذن ومن يؤذن فيهم لاقامة الصلاة ، ولذلك قال لابن الجهم المؤذن ـ الشاعر « لا تعجلن باقامة فلست على طهر » . وتبلغ سخرية ابي العيناء غايتها حين ينطق ابن الجهم بـ « ولا انا » ليقيم عليه الحجة بالا ينشد شيئا غير المطلع ، كما تقوم عـلى المؤذن فلا يتجاوز التكبير الى اقامة الصلاة بعد ان يتذكر عدم طهارته .

والجمع بين المتناقضات وحشدها هي وسيلة المفجع في السخر من بعض ادباء زمانه ، فمما يؤثر عنه انه « دخل .. يوما الى القاضي ابي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده يقرأ معاني الشعر على العبيسي ، فانشد :

قـد قدم العجب على الرويس
وشـــارف الوهـــد أبا قبيـس
وطـاول البقـل فـروع الميــس
وهبـت العنـز لقــرع التيس
وادعـت الـروم ابا في قيـــس
واختلط الناس اختلاط الحيس
اذ قرأ القاضـي حليـف الكيس
معاني الشعر على العبيســي (٨٦)

ان سخرية المفجـع من التنوخي القاضي والعبيسي الاديب لا تكمن في جمعه بين المتناقضات الكثيرة في ثلاثة أبيات ، ولا في مجافاة منطق الامور بقلبه الوقائع وتقليبه صغير هذه المتناقضات على كبيرها فحسب ، بل في جعله ذلك نتيجة طبيعية لانتكاس القيم التي تقوّم بها اقدار الناس ومنازلهم ممثلة بقراءةالتنوخي القاضي حليف العقل والظرف والفطنة على العبيسي الاديـب الغمر ، لانه ان قدر للامور ان ترتكس بهذا الاتجاه ، وهو ارتكاس غير طبيعي ، فالاحرى بمنطق الحياة ان ينقلب رأسا على عقب .

٢ ـ السخرية العقليـــة

ان ظهور ما يمكن ان يسمى بالسخرية العقلية لا يمكن عزله بحال عن البيئة الفكرية في هذا القرن ، الاعتزال ومنهجيـه العقلي ، و « لقد كان المعتزلة يحسون بانهم من طبقة اخرى غير طبقات الناس العادية ، وقد كان هذا الاحساس يدفعهم في كثير من الاحوال الى السخرية من الناس والتهكم بهم ، ولكنهـم كانوا حينما يسخرون او يتهكمون ، لا يصدرون في ذلك عن احقاد شخصية ، او ضغائن ذاتية ، على نحو ما كان الامر في ظاهرة الهجاء في الادب العربي ، ولكنهم كانوا يصدرون في ذلك عـن فلسفة خاصة ، قوامها العطف على الناس ، وتوجيههم الىعيوبهم حتى يصلحوها ، فالتهكم عند المعتزلة هو نوع من الترقية لفن الهجاء في الادب العربي ، والتسامي به عن ان يكون صـدى لعداوات شخصية ووسيلة الى التشفي والانتقام ، فهم حينما يتهكمون ينتقدون ويضحكون ، ولكنهـم لا يحقـدون ولا يكرهون » (٨٧) ، ولهذا فـ « قد كان البخل والبخلاء مجالا من مجالات التهكم والسخريـة التي افتـن فيهـا المعتزلة وابدعوا ، فالجاحظ في بخلائه يتعقب حياة البخلاء ، ويكشف خبايـا نفوسهم ، ويصور حيلهم واخلاقهم ، ويسـرد طرائفهـم ونوادرهم ، ويستبطن ما وراء حياتهم الظاهرة التي يحاولون فيها ان يخدعوا الناس عن باطنهم ، ويوهموهم بانهم كرماء يجودون بالطعام والمال ، ولكنه يظل بهم حتى يضيق عليهم ويسد في وجوههم الطرق فلم يلبثوا ان ينموا عن بخلهم ، ويكشـفوا حقيقة نفوسهم بكلمة يقولونها او تصرف يعملونه ، فلا يسعهم في اخر الامر الا ان يعترفوا ببخلهم » (٨٨) .

وعلى هذا الاساس تكون المعتزلة قد ادركت بحسها النقدي الاجتماعي قبل الف عام ويزيد ما ادركه « برجسون » بعد الف عام ويزيد ، من ان « للضحك دلالة اجتماعية ، وأثرا اجتماعيا ، وان المضحك يعبر قبل كل شيء عن حالة من عدم تلاؤم الشخص مع المجتمع .. » (٨٩) ، وكان اساليب المعتزلة في السخرية من ابناء زمانهم ، ومقاصدهم من هذه السخرية كانتحاضرة ـايضاـ في ذهن « برجسون » ، وهو ينظر لوظيفة الضحك الاجتماعية ، ويؤكد بانه اداة للتاديب قبل كل شيء ، وانه وجد ليخـزي ويؤلم ، وان هذا الضحك ليس عادلا عدلا مطلقا ، وليس طيبا في كل الاحيان، وانه ما كان ليظفر فيمهمته لو لم يكن هكذا (٩٠). وهذا هو مقصد المعتزلة من السخرية التي عرفوا بها ، وتوفروا عليها في كثير مما انتجوا من ادب ، وهذا هو السر في القسوة التي اتسمت بها سخريتهم ، لانهم كانوا يدركون انه بغير هذا لا يمكن ان يؤدوا رسالتهم الاصلاحية ، وان لابد من توظيف الشر من اجل الخير . وهذا ما يمكن ان نلمسه بوضوح في ادبالجاحظ المعتزلي الكبير ، « ان الجاحظ يسخر من بخلائه سخرية لاذعة ،

---

(٨٦) معجم الادباء : ٣١٩\٦ ، العجب : اصل الذنب في الحيوان . الرويس : تصغير الرأس . الوهد : الارض المنخفضة . ابو قبيس : الجبل المعروف بمكة . البقل : النبات العشبي . الميس : شجر من اشجار الاحراش . العنز : الانثى من العنز . التيس : ذكر المعز . القراع : الضـراب . الحيس : طعام منالسمن والتمر والدقيق . الكيس : العقل والظرف والفطنة .

(٨٧) أدب المعتزلة : ٢٩٥-٢٩٦ .

(٨٨) المصدر نفسه : ٢٩٨ .

(٨٩) الضحك ـ برجسون : ١٠

(٩٠) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٠ .

ولكنه لا يضيق بهم ولا يحقد عليهم ، بل انه ينقدهم ويكشف حيلهم ، وهو في الوقت نفسه يضحك منهم ويعطف عليهم بطريقة نحس معها نوعا من السيطرة العقلية والنفسية على هؤلاء الذين كانهم بين يديه دمى يحركها ذات اليمين وذات الشمال ، وهي طيعة منقادة لا تملك من امرها شيئا ، انظر الى اية قصة من قصص البخلاء ، فان الاعجاب سيغمر نفسك حينما ترى هذه الصور المختلفة من التصوير النفسي السافر الذي افتن فيه الجاحظ ، ودل على عظمة عقله وروعة فنه وقدرته على الحوار ، ومعرفته باحوالها واسرارها . » (٩١)

وهذا هو الذي جعل من الجاحظ اماما للساخرين ، ومن كتبه مدرسة كبيرة للسخرية في القرن الثالث وما تلاه من القرون ، وكان لها تلامذتها من كبار ادباء العربية ، ولو لم يكن غير ابي حيان التوحيدي تلميذا لهذه المدرسة ، لكفاها .

ولو بحثنا اثر هذه المدرسة الساخرة في أدب القرن الثالث لوجدناه يتمثل في نثره اكثر ما يتمثل في شعره ، لانها قدمت كثيرا من النماذج النثرية التي يمكن ان تحتذى ، ولم تقدم الا القليل من الشعر الذي لا يشكل قيمة فنية يمكن ان تترك طابعها على شعر السخرية في القرن الثالث ، « وكل ما وجدنا لهم من شعر لا يعدو ان يكون مقطعات وابياتا يسيرة متناثرة في ثنايا كتب الادب واللغة والتاريخ ، فلم نعثر لاحدهم مثلا على ديوان يستوعب عددا من القصائد في مختلف الفنون والموضوعات ، بل لم نعثر لاحدهم مجموعة من القصائد المكتملة التي يمكن ان تكون في مجموعها صورة واضحة عن نمط شعري معين نستطيع ان نستخلص منه خصائص مدرسة ، او اتجاه ، او مذهب » (٩٢)

ولعل ذلك يعود الى ان « طبيعة التكوين الثقافي للمعتزلة ، وطبيعة المهمة التي كرسوا جهودهم في سبيلها وهي الدفاع عن دينهم ومبادئهم ، ومقارعة خصومهم بالحجة والبرهان لم تكن تسمح لهم بالاكثار من قرض الشعر والافتنان فيه ، لان الشعر له مجال خاص هو التعبير عن التجارب النفسية التي ينفعل بها الشاعر انفعالا خاصا . اما المناظرة والمناقشة واستخدام الادلة المنطقية والبراهين العقلية ، فليس ذلك مما يستطيع الشعر ان يعبر عنه » (٩٣) ، يضاف الى هذا ان مذهب المعتزلة كان « قد قام في معظم امره على تيارات فكرية عقلية ، والثقافة التي اعتمد عليها او على اصول كثيرة منها هي الثقافة العقلية اليونانية ، وهذا كله مما يجعل النثر اكثر طواعية وافسح مجالا للتعبير عنه دون الشعر (٩٤) .

ومن هذا نخلص الى ان اثر السخرية العقلية في شعر الكتاب لا يتمثل الا بما كان استمده الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة ، وما عدا هذا فنثرهم هو الاغنى من دون شك ، وهذا ما كنا صفحنا عنه صفحا جميلا ، لان شعر الكتاب هو موضوع دراستنا .

ان اقتباس الشعراء الكتاب من الفاظ المعتزلة ومصطلحاتهم واساليبهم في الجدل والحوار والمناظرة في شتى فنونهم الشعرية انما كان بسبب تأثرهم ببيئاتها المنتشرة في حواضر العراق ، وبفعل ما ملكته من قوة التأثير بسبب سيطرتها على سياسة الخلافة العباسية ومجالس الجدل حقبة طويلة من القرن الثالث ، الى ان انتقض امر عزتها على يد المتوكل ، وهي مدة كفيلة بغلغلة افكارها واساليبها ولغتها ومصطلحاتها الى بيئات الكتاب والشعراء ، والشعراء الكتاب في هذا القرن . وهذا ما نحاول ان نقف عليه في بعض النماذج الساخرة من شعر الكتاب .

ان الحمدوي احد الشعراء الكتاب الساخرين الذين استمدوا من العلوم الفلسفية والكلامية ، بما نقله من الفاظها ومصطلحاتها وطرائقها في الحوار ، مادة لتعميق سخريته وزيادة تأثيرها في النفوس لا لـ « يحيل اشعاره الى قطع غامضة كما هو الشأن في الشعر الذي يتكلف اصحابه الاساليب والالفاظ الكلامية ، بل نراها واضحة ، اذ ان الشاعر يأخذ ما هو مشهور من هذه المصطلحات والالفاظ وهو لا يقصد من هذه الاساليب الى غير السخرية » (٩٥) ، ومثال ذلك قوله :

ولي طيلسان ان تأملت شخصه
تيقنت ان الدهر يفنى وينقرض
تصدع حتى امنت انصداعه
واظهرت الايام من عمره الغرض
كأني لاشفاقي عليه ممرض
اخا سقم ممن تمادى به المرض
فلو ان اصحاب الكلام يرونه
لماروك فيه وادعوا انه عرض (٩٦)

ويتضح من هذه المقطوعة ان الحمدوي اعتمد اسلوب المبالغة ليخلص الى ان طيلسانه قد بلغ غاية التصدع حتى أمن من اي تصدع له جديد (٩٧) . ومن اجل ان يعمق الحمدوي مغالاته هذه استمد من الفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم ما يبلغ به الغاية التي ينشدها فيقول : لو ان اصحاب الكلام يرون هذا الطيلسان لجادلوك فيه وادعوا انه عرض . « ومعروف ان العرض هو الصورة الخارجية للشكل ، وليس هو الجوهر الذي هو اصل المادة ، ومعنى هذا ان الطيلسان اصبح صورة لا حقيقة مادية » (٩٨) .

وللحمدوي مقطوعة اخرى ينحو فيها هذا المنحى (٩٩) . ولعصابة الجرجرائي مقطوعة يسخر بها من الحسن بن رجاء كان قد استمد فيها بعض المصطلحات العقلية وهي مما كان يدور في بيئات الفلاسفة والمتكلمين . قال عصابة :

خوان الامير معمى المكان
لـه شبـع ليس بالمستبان
يرى بالتوهم لا بالمجس
وبالخبر الفذ لا بالعيان
دعـا بالخوان على لؤمه
لكيما يقال دعا بالخوان

---

(٩١) أدب المعتزلة : ٢٩٨–٢٩٩ .
(٩٢) المصدر نفسه : ٣٢٨–٣٢٩ .
(٩٣) أدب المعتزلة : ٣٢٨ .
(٩٤) المصدر نفسه : ٣٢٩ ، هامش (٢) .

(٩٥) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٢–١٢٣ .
(٩٦) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٣١ .
(٩٧) ، (٩٨) الشعر والشعراء في البصرة : ١٢٣–١٢٤ .
(٩٩) ديوان الحمدوي : ص ٨١ قطعة ٢٨ .

فأمــا غضــائره الــواردات

فاسمــاء ليسـت لها من معـان

وأمـا غضــائره الصــادرات

فقـد أعلمـت في مـكان مــكان

ونقـط منهـا عــراق عــراق

كم (كذا) تعجم الصحف بالزعفران(١٠٠)

ويتضح من هذه المقطوعة ان عصابة الجرجرائي اذ ألح على نعت خوان الامير الحسن ابن رجاء بمعان عقلية كان قـد استمدها من البيئات العقلية التي تعمر الحواضر في العراق يوم ذاك ، فانما كان يريد تعميق سخريته من بخل‌الامير وشحةخوانه، وهل اعمق سخرية من أن يكون الخوان معنى عقليا ؟ (١٠١)

وتوسل الشعراء الكتاب بالحوار اسلوبا فنيا في اشعارهم الساخرة ، كما هو في فنونهم الشعرية الاخرى ، يمثل صورة من صور السخرية العقلية ، فالحوار في قصيدة القرن الثالث اثر من اثار البيئات العقلية في هذه الحقبة ، ولم يشع اسلوبا فنيا الا بعد ان تعرف شعراء القرن ، كتابا وغير كتاب ، على انماط من اساليب المتفلسفة والمتكلمين في الجدل والمناظرة ، ومنها الحوار ، وحسبنا ان نشير الى هذا ، ففي الحواريات التي مرت بنا في الصفحات السابقة ما يغني عن ايراد امثلة جديدة ، دفعا لتكرار لا يضيف جديدا .

٣ ـ السخرية الفكاهية

وهي السخرية التي قصدها التندر والاضحاك والتفكه ترويحا عن النفوس المتعبة ، وتنفيسا عن آلامها ، وليس لها بعد هذا قصد آخر ، وهي بهذا اقرب الى المزاح الذي ينفي عن النفس ما طرأ عليها من سأم ، ويزيل ما علق بالقلب من هم (١٠٢) . وقد أكد ابو حيان التوحيدي قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس ، وضرورة تذوق النفس لفرح الهزل والتندر والهزل اذا ما علق بها غم الجد وأرمضتها متاعب الحياة ، فقال : « اياك ان تعاف سماع هذه الاشياء المضروبة بالهزل ، الجارية على السخف ، فانك لو اضربت عنها جملة لنقص فهمك ، وتبلد طبعك .. واجعل الاسترسال بها ذريعة الى احماضك ، والانبساط فيها سلما الى جدك ، فانك متى لم تذق نفسك فرح الهزل ، كربها غم الجد ، وقد طبعت في اصل تركيبها على الترجيح بين الامور المتفاوتة ، فلا تحمل في شيء من الاشياء عليها ، فتكون في ذلك مسيئا لها .. » (١٠٣) .

لقد قال الشعراء الكتاب اشعارا في اغراض مختلفة ولكنها اذا ما تبيناها وجدنا ان الاغراض التي قيلت فيها غير مقصودة لذاتها ، وانما المقصود هو ما تضمنته من سخر وهزل ونادرةلاجل الاضحاك والتسلية والترفيه .

---

(١٠٠) ادب الكتاب : ٦٠ ، وفيه « كم تعجم » وهو تصحيف ، والصواب « كما تعجم » .

(١٠١) الشعر في الكوفة : ١٢٢ .

(١٠٢) ابو حيان التوحيدي ـ زكريا ابراهيم : ٢٤٩ .

(١٠٣) البصائر والذخائر ـ احمد امين ، سيد صقر : ٤٩ـ٥٠ .

فأبو العيناء حين يقول :

حمـدت الهي اذ منيـت بحبهـا

على حول يغني عن النظر الشزر

نظـرت اليهـا والرقيب يظننـي

نظرت اليه فاسترحت من الغدر (١٠٤)

لا يريد ان يسخر من نفسه بقدر ما يريد ان يثير في نفوس سامعيه الضحك ، والضحك وحده ، حين يحمد لحول عينه ما اصبح فيه من امن الرقيب .

وللجاحظ نصيبه من السخرية الفكاهية ، نثرا وشعرا ، بما اصطنعه من اقاصيص هازلة ونوادر مضكة ، ومن ذلـك قولــه :

مـر غــراب البين من حــالق

لـــه نعيـب فرشــقناه

عن قـوس وصل بسـهام الهوى

فلـم نـزل حـتى صرعنــاه

وباشــق الحـب نصبنـا لـه

ببلبـل الصـدق فصدنــاه

واضـطرب الباشـق مستوحشـا

فخيطـت بالوصـل عينــاه

ففـر واسـتأنس حـتى اذا

اجابنـا حـين دعونـاه

ونقـت بالصيـد فارسلتـه

فصاد لي من كنـت اهـواه (١٠٥)

فالمقطوعة كما تبدو ليست استهزاء بالحب واصحابه ، وليست غزلا قيل للاستهزاء والتفكه (١٠٦) وانما اقصوصة هازلة ونادرة مضحكة . ابطالها غراب البين وباشق الحب وبلبل الصدق . ووسائلها : قوس الوصل وسهام الهوى وخيوط الوصل . واحداثها مصرع غراب البين وصيد باشق الحب بخديعة بطلها بلبل الصدق . وختامها استجابة باشق الحب الى دعوة الجاحظ لصيد من كان يهواه ، فصاده ، وهكذا تنتهي‌هذه الاقصوصة الهازلة لنضحك بعدها مع الجاحظ حيث لم يكن قصده الا الاضحاك ، وليس غيره .

وفي مجالس الشعراء الكتاب الخاصة التي تعقد للشراب والسماع ، كان الشعر يقال في بعض الاحيان لا لشيء الا للتفكه والسخر . « ذكر الصولي في كتاب « الوزراء » قال : حدثني محمد بن يحيى قال : قدم اعرابي اسمه عتبة يقول الشعر ، وكان ظريفا من الاعراب ، فضمه الحسن بن وهب اليه ، فاجتمع الحسن يوما وابراهيم بن العباس ، فقال لهما عتبة هذا : ان كنتما تقولان الشعر بالعجلة ، فاهجواني ، فقال الحسن :

لمن طلل في راس عتبة مقمـل

---

(١٠٤) الوافي بالوفيات : ٢٤٣/٤ .

(١٠٥) البديع في نقد الشعر : ١٥٣ـ١٥٤ .

(١٠٦) الشعر والشعراء في البصرة : ١١١ .

فقال ابراهيم :

عفتـه ريـــاح الصفـع تعلو وتسفل

فقال الحسن :

شـكا ما يلاقيـه من الصفـع رأسه

فقال ابراهيم :

تناوبـــه منـــه جنـوب وشـــمال

فقال الاعرابي : « والله لئن لم تمسكا لاخـــرجن مـــن البلد » (١٠٧)

وتفنن الشعراء الكتاب في التندر والمداعبة المقصود لذاتها ، ومن ذلك اعتماد اسلوب الايحاء كما فعل ابو علي البصير في قوله يداعب صديقه ابا هفان :

لي صـــديق في خلقـة الشيطان

وعقـول النســاء والصبيـــان

من تظنونه ؟ فقـــالوا جميعـــا

ليـس هذا الا ابا هفـان (١٠٨)

« وبراعة البصير تظهر في هذا الايحاء الذي اخرجه مخرج اللغز . فهو اذ يسأل الناس عن صديقه الذي يتصف بهـذه الصفات ويجيبونه بهذا الحصر وكأن ابا هفان متفرد فيها فانما يهيىء الاذهان الى ان اتصافه بها مسألة مفروغ منها .. والصفات التي خلعها عليه من صميم الحياة العباسية التي يتنافى تانقها مع خلقة الشيطان التي تأخذ بعنان الخيال في مهاوى القبح ، كما تبتعد حياتها العقلية عن عقول النساء والصبيان »(١٠٩) .

ولاسلوب التصوير « الكاريكاتوري » بالكلمات نصيب وفير من شعر السخرية الفكاهية عند الشعراء الكتاب ، ولكنهـم لم يبلغوا في هذا الفن ما بلغه محمد بن عبدالملك الزيات من كمال. ولهذا سيكون فن ابن الزيات هذا هو وكدنا ، فنقف عنـده وقفة قد تطول ، ولكنها وقفة لابد منها لتقويمه وفق احـدث التصورات لفن التصوير « الكاريكاتوري » .

ولكن قبل ان نتحدث عن قدرة محمـــد بن عبد الملك الزيات في حوز زمام هذا الفن والتمكن فيه ، نرى ان نجيب على هذا السؤال : ما هو المضحك في فن « الكاريكاتور » ، وما هي مقوماته الفنية ؟

لكي نفهم المضحك في « الكاريكاتور » يجب ان نعرف « ان الهيئة مهما انتظمت ، ومهما انسجمت خطوطها ومرنت حركاتها ، لا يمكن ان يكون التوازن فيها تاما تماما مطلقا ، ففيها ابدا نذير باعوجاج ، وايذان بجعدة ، اي فيها تشوه ما ، كان يمكن ان يعيب الطبيعة » (١١٠) .

اذن ما يعيب الطبيعة البشرية هو ما يضحك في فـن « الكاريكاتور » . وهذا هو ما يبحث عنه الفنان رساما كـان ام اديبا ، لان فن « الكاريكاتوري » انما يقوم على ادراك هذه الحركة التي قد لا تدرك ، يضخمها ويجعلها مرئية لكل الناس . انه يشوه نماذجه على نحو ما كان يمكن ان تتشوه من تلقـاء ذاتها لو ذهبت بتجعدها الى اقصاه . وهو يستشف ، فيما وراء انسجام الصورة الظاهري ، عصيان المادة العميق ، فيرسـم لنا تنافرا وتشوها موجودين في الطبيعة على حال الشروع ، ولكنهما لم يكتملا لان ثمة قوة اسمى قد كبحتهما .. وهذا الفن فن مبالغة من غير شك .. ولكننا نسيىء تعريفه ايما اسـاءة اذا زعمنا ان المبالغة غايته ، فرب صورة « كاريكاتورية » اكثر شبها بصاحبها من صورة « فوتوغرافية » . فلكي تكون المبالغـة مضحكة ينبغي الا تبدو غاية بل مجرد وسيلة يستخدمها الفنان في ابراز هذا العجو الذي يراه في الطبيعة على حال التحفز ، والمهم انما هو العجو نفسه ، ولذلك نرى الفنان يبحث عنه حتى في الاجزاء غير المتحركة من الوجه ، كانحناءة الانف او شكل الاذن ، ذلك ان الشكل هو في نظرنا صورة حركة ، والرسـام « الكاريكاتوري » الذي يفسد طول الانف من غير ان يبدل شكله كأن يطيله في نفس اتجاهه الطبيعي ـ انما يجعل هذا الانف يتشوه حقا ، فنرى الشيء الاصلي كأنما اراد هو ايضا ان يستطيل ويتشوه (١١١) .

والان اين يقع فن ابي الزيات من هذا الفهم لفن التصوير « الكاريكاتور » ؟

لا نغالي اذا قلنا : ان ابن الزيات ادرك بحسه الفنـي المرهف ما هو المضحك في هذا الفن ومقوماته حين صب اغلب نماذجه الشعرية الساخرة على انف عيسى بن زينب (١١) ، فمما قاله في ذلك :

قـــل لعيســى أنـف انفـــه

انفــــه ضعـــف لضعفـــــه

لـــم ينـــم مـــذ كـــان الا

الصـــق الانـــف بسقفـــه

فتـــرى الســـقف وقـــد اخـ

ربـــــه منـــــه بحرفـــــه

ان مـــن عـــــاداك يا عيـــ

ـــسى لمقـــرون بحتفـــه

انت لـــو تستنشـــق الشور

د بقرنيـــــــه وظلفـــــه

لهــــوى في منخـــر يســـ

ـتغرق الخلــق بنصفـــــه

لـــو تـــراه راكبـــا والتيـــ

ـــه قـــد مـــال بعطفـــه

لـــرايت الانـــف في الســر

ج ، وعيســى ردف انفــه (١١٢)

---

(١٠٧) بدائع البدائه : ١٧٦-١٧٧ .

(١٠٨) اشعار ابي علي البصير ، جمع وتحقيق يونس احمد السامرائي ، المـورد م ١ ع ٣-١٩٧٢/٤ ، ص ١٦٨ قطعة ٥٦ .

(١٠٩) الشعر في الكوفة : ١٠٨ .

(١١٠) الضحك ـ برجسون : ٢٣-٢٤ .

(١١١) المصدر نفسه : ٢٣ .

(١١٢) لعله عيسى بن زينب المراكبي الذي ترجم له ابن المعتز في كتابه : طبقات الشعراء : ٣٢٦-٣٢٧ .

(١١٣) ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات : ٨٧-٨٨ .

ان هذه المقطوعة تشير الى ان ابن الزيات كان قد ادرك في وجه عيسى بن زينب الحركة التي لا يدركها الاخرون ، طول انفه ، والشكل كما مر بنا صورة حركة على حال تحفز ، ثم اخذ بافساد طول هذا الانف من غير ان يبدل شكله بان اطاله في نفس اتجاهه . وابن الزيات وان بالغ في ذلك ، فلم تكن المبالغة غايته وانما مجرد وسيلة استخدمها لابراز هذه الحركة في الوجه « الانف » وهي على حال المشروع في الحركة والاستطالة باتجاهها الطبيعي ، على سبيل المبالغة المضحكة ، وقد بلغ الغاية في ذلك في البيتين الاخيرين حين صور عيسى بن زينب راكبا ، فجعل الانف ، وقد استطال ، في السرج ، وجعل عيسى ردف هذا الانف بعد ان تضاءل حجمه بالقياس الى استطالة الانف .

ولابن الزيات قصيدة طويلة في انف عيسى بن زينب انطلق فيها من هذا المنطلق ذاته ، ولكنه جمع فيها بين التصوير « الكاريكاتوري » والحوار والسرد القصصي مما منحها قيمة اخرى في فن السخرية الشعرية الفكاهية (١١٤) .

* * *

هذا هو فن السخرية عند الشعراء الكتاب كما مثلته لنا المتون الشعبية الكثيرة التي حفل بها ديوان شعرهم الكبير . وان كانت ثمة اطالة فمبعثها الرغبة المخلصة في استيعاب موضوعات هذا الفن ومضامينه ، وتمثل اساليبه الفنية التي ميزته من الهجاء ، وافردته فنا قائما بذاته في هذا القرن .

---

(١١٤) تنظر القصيدة في ديوانه : ٤٢-٤٣ .

★

طب العيون عند العرب

الدكتــور

محمود الحاج قاسم محمد

اذا كان الوقوف في وجه التطور الطبي تأباه طبيعة العلوم الطبية لكونها مبنية على التجربة ، واذا كان كل محاولة لتجميد تقدمه لابد ان ينسخه البحث العلمي فليس يجوز ايضا ان نجمد قانون الوراثة في العلوم الطبية ويضل ضلالا بعيدا من يتصور ، امكان الاستغناء عن دراسة تراثنا الماضي في الطب ، وذلك لان اي جديد في الطب شأنه شأن بقية العلوم لا يمكن ان يقوم على هباء . ومثل من يتوهم ان تطورنا في الطب يمكن ان يبدأ منطلقه بمعزل عن ميراثنا الماضي منه كمثل من يتوهم ان البشرية اليوم تتطور من نقطة الصفر ضاربة في فراغ لا اثر فيه من تجارب ماضيها الطويل .

لذلك يجب ان نعد قضية التراث الطبي بين القديم والجديد مفروغا منه لاننا كما تقول الدكتورة بنت الشاطي (نعيش يومنا بالامس الذي يعيش فينا) ، وتاريخ الحضارة الطبية ليس الا مراحل تنتفع كل منها بتجارب ما قبلها وتضيف ما هو ميراث لما بعدها واليك عزيزي القارىء ميراث الاطباء العرب في طب العيون .

يبتدا تاريخ طب العيون عند العرب بمعناه الشامل بنشوئه خلال ايام الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري بترجمة كتب اليونان الى العربية وفي سنة ٤٠٠ هجرية بلغ طب العيون مرتبة رفيعة باضافة ما جادت به عبقرية اطباء العيون العرب امثال علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

لقد ذكر لنا ابن ابي اصيبعة في طبقاته اسماء اكثر من ثلاثين كتابا عربيا في امراض العيون واسماء مؤلفيها من اطباء العيون العرب والمسلمين ، كما ذكر ستة اقسام في طب العيون تشتمل عليها الموسوعات الطبية العربية كالقانون لابن سينا ، والحاوي للرازي والتصريف للزهراوي وغيرهم لقد ذكر ماكس مايدهوف قائمة بالمصنفات العربية الاولى في امراض العيون وتشمل القائمة (١٧) كتابا (١) سوف نذكر فيما يلي اشهر هذه الكتب واهمها .

١ ــ كتاب العشر مقالات في العين وهو من تصنيف حنين بن اسحاق (١٩٤ــ٢٦٤هـ) وهذا الكتاب هو اقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون واقدم كتاب مدرسي منتظم عرفه البشر في امراض العيون كما يقول الدكتور ماكس مايرهوف محقق الكتاب .

٢ ــ الحاوي في الطب : لابي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ويحتوي هذا الكتاب على قسم مطول في امراض العيون وهو الجزء الثاني من الكتاب المطبوع وهو يتضمن مقتطفات من كتاب حنين السابق ومن كتب اليونان الا ان الكتاب يحوي افكارا جديدة للرازي اكتسبها بالتجربة سواء على مرضاه الخاصين او نتيجة لتجاربه في البيمارستان . كما ونجده في بعض الاحيان ينتقد آراء جالينوس او غيره بطريقة علمية واسلوب في غاية الادب والاحترام .

٣ ــ تذكرة الكحالين : لعلي بن عيسى البغدادي صنفه حوالي سنة ٤٠٠هـ وهو الى حد كبير احسن واوفى كتاب في طب العيون ويتضمن ما كتبه السابقون في طب العيون مع اضافات علمية كثيرة وافكار جديدة .

٤ ــ كتاب المنتخب في علاج امراض العين لعمار بن علي الموصلي (صنفه حوالي ٤٠٠هـ) وهو كتاب اقصر من سابقه لكنه يماثله جودة مع كثير من الملاحظات والارشادات المبتكرة حيث يعتبر بحق اكثر اطباء العيون ابتكارا واصالة اتخذ كتابه هذا للتعليم في طب العيون في جامعات الغرب

(١) راجع القائمة في كتاب العشر مقالات في العين ــ لحنين بن اسحاق ــ تحقيق الدكتور ماكس ماير هوف ص ٦ــ١٤ .

من القرن الثالث عشر الى القرن الثامن عشر واهم اقسام الكتاب القسم الخاص بالجراحة الذي يحتوي على ست عمليات لقدح العين المصابة بالساد احداها المص .

٥ ـ صلاح الدين بن يوسف الكحال : عاش في مدينة حماة في الربع الاخير من القرن الثالث عشر وله مؤلف سماه (نور العيون وجامع الفنون) (٢) وهو اكبر مؤلف جامع لامراض العيون كما يقول الدكتور امين اسعد خير الله(٣) المؤلف يشير الى اسماء المصادر التي اخذ عنها ويتكلم عن آداب الطب وواجبات الممارس لامراض العيون وهو ينقسم الى عشرة فصول :

الفصل الاول : في وصف العين .

الفصل الثاني : في وصف البصر .

الفصل الثالث : في امراض العين واسبابها واعراضا .

الفصل الرابع : في حفظ صحة العين وفي امراض الجفون .

الفصل السادس : في امراض الملتحمة

الفصل الخامس : في زاوية العين .

الفصل السابع : في امراض القرنية

الفصل الثامن : في امراض الحدقة

الفصل التاسع : في امراض العين التي لا تقع تحت الحواس

الفصل العاشر : جدول ادوية العين .

وفضل الاطباء العرب في مؤلفاتهم في طب العيون يشمل ما يلي :

١ ـ الاطباء العرب اول من الف كتابا في طب العيون بطريقة علمية (٤) وكان ذلك كتاب ـ (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق .

٢ ـ الاطباء العرب هم اول من سلك الطريقة الاكاديمية الصحيحة عند التكلم عن الامراض : ونعني بهذه الطريقة وصف وتشخيص المرض واعراضه وعلاجه في الفصل الواحد كما هو الحال في كتب عصرنا الحاضر (٥) خلافا لمن سبقوهم حيث كانوا يذكرون اعراض الامراض كلها في فصل والتشخيص في فصل والعلاج في فصل آخر .

كان ابتكار هذه الطريقة الصحيحة في التأليف من قبل علي بن عيسى البغدادي وعمار بن علي الموصلي .

٣ ـ تأليفهم اول اكبر مؤلف جامع لامراض العيون Text Book والكتاب هو (نور العيون وجامع الفنون) لصلاح الدين بن يوسف الكحال .

تشريح العين :

لقد اهتم الاطباء العرب اهتماما شديدا في دراسة تشريح العين واعتبروا ذلك من المبادي التي لا يسمح لاحد ممارسة طب العيون اذا كان جاهلا بالتشريح كما وانهم قاموا بتشريح عيون الحيوانات ودرسوا ذلك دراسة دقيقة وافية فتوصلوا الى كثير من الحقائق التي لم يذكرها الاطباء اليونان فمثلا يقول حنين بن اسحق ان العضلة الثلاثية الخلفية الموجودة في مؤخرة عين الحيوانات لا توجد عند البشر . يقول بورتال ان اطباء اليونان لم يشيروا الى ذلك (٦) وقد جاء في كتاب المنصوري للرازي وصف هيئة العين كما يلي : (العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات وترتيبها على ما اصف ان العصبة المجوفة التي هي اول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى مقر العين وعليها غشاءاته ، غشاء الدماغ .. ويسميه المشرحون الطبقة الصلبة ... والغشاء الدقيق ويسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة .. ويتكون في وسط الغشاء الشبكي قسم لين رطب في لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية وفي وسطه الرطوبة الجليدية) وقد كان اطباء العرب يعلمون جيدا بان حركات الحدقة ناتجة عن انقباض القزحية (٧)

وقد وصف ابن سينا عضلات العين وصفا صحيحا حين قال :

« واما العضل المحركة للمقلة فهي ست عضلات اربع منها في جوانبها الاربع فوق واسفل المأقتين . كل واحد منها يحرك العين الى جهته وعضلتان الى التوريب ما هما يحركان الى الاستدارة ووراء المقلة عضلة تدعم العصبة المجوفة التي يذكر شأنها بعد لتشبثها بها وما معها فيثقلها ويمنعها الاسترخاء المجمظ ويضبطها عند التحديق .

وهذه العضلة قد عرض لاغشيتها الرباطية من

---

(٢) هذا الكتاب لم يذكره ماكس مايرهوف في القائمة .
(٣) الطب العربي : الدكتور امين اسعد خير الله ص ١٨١
(٤) العشر مقالات : ماكس مايرهوف
(٥) العشر مقالات : ماكس مايرهوف
(٦) الطب العربي : خير الله ص١٦٩
(٧) المصدر السابق ص١٦٩

التشعب ما شكك في امرها . فهي عند بعض المشرحين عضلة واحدة وعند بعضهم عضلتان وعند بعضهم ثلاث وعلى كل حال فراسها رأس واحد (٨) وكان للاطباء العرب الفضل الاكبر في عمل الرسوم التوضيحية لمعرفة تشريح العين ومع كون قسم من تلك الرسوم مقتبسة عن اليونان الا انهم رسموها بشكل واضح واضافوا اليها اضافات مما جعل الكثيرين اعتبار هذه الرسوم اول رسوم معروفة لتشريح العين .

فسلجة العين والنظر

تقول سيغريد هونكه (لقد بلغ العرب في فرع العيون شأوا عظيما تفوقوا فيه على اليونان وساعدهم في هذا اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات (Optik) الذي يعد علما عربيا دون اية مبالغة) اجل لقد احدث العرب ثورة في علم الضوء عند ما اعلن ابن الهيثم آراءه ومنذ النظرية القديمة في كيفية الابصار كانت الفكرة القديمة المتوارثة عند الاغارقة تتمثل في ان الابصار يكون عن طريق خروج شعاع من العين حين يقع على المبصر بسبب الاحساس بالابصار ، شعاع له ارادة موجهة عنيدة تريد مستقرا ، جاء ابن الهيثم واثبت ان الضوء مجموعه من احداث وان له وجودا في ذاته وانه ينتقل طبقا لنظام ثابت ذي نموذج آلي مسبق في كل زمان وفي كل مكان والاضواء كلها من مبنى واحد ، سواء كانت اضواء ذاتية من الشمس او الكواكب او اضواء عرضية او اضواء صادرة من فتيلة مشتعلة ، كلها تخضع لنظام واحد من المبصر الى البصر على سموت خطوط مستقيمة (٩) وهو الذي قال ان شبكية العين هي مركز المرئيات وان هذه المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر من الباصرتين عائدة الى تماثل الصور على الشبكتين (١٠)

يقول الدوميلي « تقدم ابن الهيثم في كتاب (المناظير) تقدما ملحوظا وبقطع النظر عن تأكيده ان الضوء ينشأ من المرئيات وليس كما ظنه اكثر القدماء من ان الضوء يخرج من العين ليلمس المرئيات بطريقة ما ، نجد في كتاب المناظير وصفا للعين وادراكا للرؤية ادق كثيرا واكثر تجديدا من جميع من تقدموه ، ونجد وصفا لظاهرة الانكسار الجوي ، ومحاولات الرؤية المزدوجة بالعينين واول استعمال عرف للغرفة المظلمة ، الخ » (١١)

يقول الدكتور الشطي (وبحث في كتابه ايضا عن قوى تكبير العدسات وقد تكون كتاباته هذه هي التي أومت اختراع النظارات (١٢) .

وكان الرازي اول طبيب لاحظ تجاوب بؤبؤ العين مع النور ضيقا واتساعا وسجل ملاحظته هذه (١٣) وروى ان بعض الكحالين العرب مال الى التنويم المغناطيسي بحكم صنعته فقد ذكر داود الانطاكي في تذكرته في مادة مغنطيس ما يلي « يصنع من المغنطيس كحل ومن الحديد كحل اخر ، وتكحل من شئت من الحديد وتتكحل انت من المغناطيس فاذا اطلت النظر اليه فانه ينقاد اليك وقد جربه ابن سينا (١٤) »

جراحة العين

عملية الساد (الماء الابيض) (١٥)

كانت العملية السائدة عند البابليين والمصريين هي دفع العدسة المعتمة الى داخل العين بواسطة ادخال ابرة حادة في العين وعند وصولها الى العدسة ترفع الاخيرة بلطف الى الاسفل لتستقر داخل كرة العين بعيدة عن منطقة البؤبؤ وتسمى هذه العملية في الوقت الحاضر (Couching) او قدح العدسة واستمرت هذه الطريقة في الحضارة اليونانية واستعملها ابو قراط وجالينوس . جاءت الحضارة العربية وترجمت الكتب اليونانية ولم يكتف العرب في العصر العباسي بذلك بل اضافوا وسعوا الى التطوير .

ذكر الطبيب الرازي انه من الممكن استخراج الماء الابيض من العين بعد قص قسم من قزحية العين . وعملية قص القزحية لتوسيع البؤبؤ هي الخطوة الاولى في العمليات الحديثة لهذا المرض والتي تعرف بـ (Iridectomy) وجاء بعده عمار بن علي الموصلي وذهب الى ابعد من ذلك بكثير بان استعمل انبوبا زجاجيا دقيقا ليدخله في مقدمة العين ويفتت العدسة المعتمة ثم تمتص هذه العدسة

---

(٨) القانون : ابن سينا جزء ١ ص ٤٠ .

(٩) ابن الهيثم : احمد سعيد الدمرداش ، ص ٩٠ .

(١٠) الطب العربي : امين اسعد خيرالله ، ص ١٨٠ .

(١١) العلم عند العرب ـ الدوميلي ص٢٠٦

(١٢) مجموعة ابحاث في تاريخ العلوم الطبيعية الدكتور احمد الشطي ص٤

(١٣) فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم زكريا هاشم ص٤١٤

(١٤) تاريخ العلوم في الاسلام : انور الرفاعي ص١١٢

(١٥) ملخصة عن الدكتور عبدالمنعم عبدالحميد ص٦٧ـ٦٩ مجلة الجامعة عدد ٥ السنة الثانية .

المعتمة وكانت هذه العملية هي اول عملية حديثة للساد وظلت هذه العملية سائدة في الشرق ولم تنتشر في الغرب في القرون الوسطى .

كانت الالتهابات التي تصيب العين بعد هذه العملية اهم عائق لاستخراج العدسة بعد فتح مقدمة العين . الا ان تقدم العلم واكتشاف التعقيم والمعقمات وبالتالي اكتشاف مبيدات الحياة سهلت هذه العملية كثيرا .

وتطورت هذه العملية كثيرا وباشكال مختلفة .

كان آخر مقال في مجلة الجمعية الطبية العينية البريطانية للدكتور جارلس كليمان من الولايات المتحدة الذي قام باجراء ما يزيد على ١٥٠ عملية في عام ١٩٧٠ بواسطة ادخال ابرة داخل العين بقطر ١ ملم تتحرك بذبذبة عالية جدا (٤٠,٠٠٠ ذبذبة في الثانية) بواسطة الامواج فوق الصوتية (Ultra - Sonic) ضمن مسافة ١/١٠٠٠ من الانج لتعمل على تفتيت العدسة واستحلابها كما نستحلب اللبن بخلطه بقوة ، ومن ثم سحبها بواسطة جهاز ماص متصل بجوف الابرة الدقيقة . وبذلك يمكن تجنب احداث فتحة كبيرة بالعين ويغادر المريض المستشفى في اليوم الثاني وقد كانت نسبة نجاح هذه العملية اكثر من ٩٨٪ .

واذا رجعنا الى محاولة عمار بن علي رأينا الشبه بينهما وبين اخر ما توصل الطب الحديث كبيرا وعلى نفس القاعدة ولكن بالات حديثة جدا . فالفكرة القديمة هي لب العملية والتقنية هي عائدية العصر لاعادة اجمل واروع ما في الانسان عينيه .

مقدمات جديدة

لقراءة الشعر الجاهلي

بقلم

خالد محي الدين البرادعي

حرية الاختيار :

بعد مرور خمسة عشر قرنا – بالتقريب – على تلك الطلائع الابداعية الشاهقة التي غسلتها شمس صحرائنا الخالدة ، ونمنمتها عرائس عبقر بين قبلة حب ولمسة انملة كانها ورق العنم. ونقلتها افواه الراحلين بين نجد والحجاز ووادي اليمن السعيد. لتزين نجوم الصحراء وتؤنس وحشة المتوحدين بين الحيرة والشام والانبار . وبين غزة والبحرين ، وفي مناطق اخرى لامست ترابها قدم انساننا المتطلع الى حجب الغيب يود اجتيازها – حتى ولو بالاحلام – . قد يخطر لانسان ما يعيش في عصر الغيت فيه الحدود بين الارض والسماء ، وربما بين كوكب وكوكب ان يسال . كيف استطاع راعي الشياه وحادي العيس . والباحث عن اسباب البقاء في تلك الدوائر البيض التي تغيب فيها الاتجاهات ان يحول الوجود الى لغة ؟ ثم يحتمل هذه اللغة اعتصارا ومخاضات .. ينفخ منها فيما بعد شحنات ملئت بزخم ما فوق زخم الكلام العادي . تتصادم اعناقها باعناقها متولدة من جديد في متحرك وساكن . يترك عند السماع بوحا منغما يرتفع بسامعه الى كون من القوة الخارقة غير المنظورة .. ويكون الشعر الوجه المشرق الذي شد اليه انساننا عبر التاريخ ؟

تشير اشراقات الذهن التي اقبلت من هناك ان الشعر ضرورة . لم تولد كما عرفناها . بل ثمة ضرورات اخرى ، كانت هي رحيقها المصفى وسلافها المسكر . وليس بدعا ان يكون الشعر احدى ولادات السحر .. تلك اللفتة التي حاول الانسان تسلية وحشته عن طريقها . واذا كان لكل شعب من شعوب هذا الكوكب طريقته الخاصة في التعبير عن وجوده في مجالات السحر ، فيكون الانسان العربي قد اهتدى الى مسلاته الساحرة عن طريق الابجدية واذا استطاع علماء « الانتربولوجيا » ان يكتشفوا خصائص الشعوب ، ويدرجوها كلا الى فصيلته من حيث التعبير عن وجوده وتطوير ذاته من اجل البقاء الافضل، فانهم لن يتعبوا طويلا ليكتشفوا ان من اعظم الخصائص التي امتاز بها انساننا العربي ايجاده واحدة من اهم المعادلات الكبرى وهي – لغة الشعر – طبيعة هي نمت لدى انساننا المتطور . فاهتزت وربت واتت تلك الثمار اليانعة التي نقف بين يديها مبهوتين « لا علم لدينا ولا نكر » عاجزين – الا من رجم بالغيب – عن تتبع نشأتها الاولى بشكل علمي يدعو الى الاطمئنان . خلف لنا الاوائل رجزا . وقال القائلون . منه فتق القريض .

كانت تلك المحاولة الانسانية الخالدة – الشعر – لدى انساننا الجاهلي تدور في فلك المحسوس والملموس من عالمه المترامي الاطراف . وقبل المضي في هذا البحث اود ان الفت النظر الى ببغائية بعض المحققين من مستشرقين وعرب حول ضيق خيال الانسان العربي والتصاقه بالارض . مقارنة بما اوجده انسان الاغريق مثلا من مخلوقات اسطورية شاركت في صنع الغيب وصنع الواقع . وهي ان المفاضلة بين الشعوب لا تقاس بالمقارنة . بل بما ابدع كل شعب على حدة . مع التاكيد الجازم على الطبيعة الجغرافية التي وجد هذا الشعب في احضانها . والتي كانت العلة الاولى لميلاد الخصائص البيئية من سلوك فكري وسلوك عملي لدى كل شعب . ويجدر التاكيد على ان حديثنا هنا ينطبق على الحالة المتطورة التي وصل اليها الشعب العربي بعد المرور بعدة مراحل بدائية كما هي الحال لدى كافة شعوب العالم .

اجل ان الشعر العربي الجاهلي الذي قراناه يدور في فلك المحسوس والملموس انطلاقا من بساطة الحياة الصحراوية الجافة الموشاة بين الان والان بتطريز جميل من موجة تداعب الساحل وشجرة نخيل ودالية .

ويسرح العربي بصره في الافق بين رحابة الصحراء والسماء الصافية لينطبع في اعماقه الصفاء والوضوح والبساطة . وتتمازج في وجدانه اشتات الصور منقولة عن واقع هو في احشائه . النجوم . الشمس . القمر مسايل الامطار . النسيم . الرياح . الجفاف . الكلاء . احجار الموقد . الظباء . حيوانات الصحراء المألوفة لديه . ادوات بقائه وتاكيد ذاته . السيف الرمح . الخمر ذات الطبيعة السحرية التي الهمت انساننا الجاهلي الكثير . يضاف هذا كله الى المراة التي لم يرسمها الشعر القديم كما هي – قط – .

وعندما نؤكد على ظاهرة تنمية اللغة وتطويرها لدى العربي حتى لكانها الوجود كله ، منطلقين من قراءة تلك الجداول اللغوية الصافية التي تكونت من خلال احساس العربي بقيمة الحركة والنمو . فليس ترفا ان يكون للاسد مئات « الصفات » والتي نقلت الينا على انها « اسماء » وهي في الحقيقة مرافقة لحركة الاسد وليست اثوابا البسه اياها الشعر القديم . وصفات الناقة او الجمل تراكمت في قواميسنا من جراء احساس ابن الصحراء بقيمة وقدرة هذا الحيوان الذي وصلنا بالشعر كما الاسطورة التي لا حدود لابعادها . واذا قدر من خلال ضغط عوامل

البيئة ان يكون السيف رفيق انساننا ندرك بالتاكيد قيمة الصفات التي تعد بالمئات لهذا الصديق الذي طالما جلى الكرب عن وجه انساننا في رحلة الحياة الطويلة . وقدر لتلك الحياة الزاخرة بالحركة ان تكون المعين الثر لشاعرنا الجاهلي يغرف منه غرفا على مدار العصور .

وثمة وجه داخلي للحياة العربية في الشعر هو العمق الانساني الذي ترجمه شاعرنا رجزا وقصيدا . احساساته ونوازعه ونزواته . خيرها وشرها بلا قصد ومواربة . والتي ما كان يكتفي بترجمتها الى لغة الشعر بقدر ما كان يوالم اعظم المواءمة بين اللفظة والحركة . بين التصور والحياة . بين القول والفعل . لم يكن الكرم كاعظم خاصة تمتع بها انساننا الجاهلي لفظة شاعرية . بقدر ما كان الواقع التطبيقي لها يعكسها في الشعر . ولم يتغن بالشجاعة لانها كلمة تعكس مدلولا انسانا نبيلا بقدر ما كانت الشجاعة جزءا لا ينفصم عن كيانه الانساني العام . ولم يتغزل الجاهلي بالمراة وهو بعيد عن ممارسة الحب . بل لم يصف المراة كما هي ابدا . بقدر ما كان يصفها كما يحبها .

كان الشاعر الجاهلي اذن مخلوقا . فارسا . كريما . عاشقا . نبيلا . يحتضن هذه الخصائص السامية التي تمثل تطور المخلوق البشري كما يحاول الخيال الانساني الراقي ان يصوره .

اما التصاق الارض والمراة بتكوين القصيدة الجاهلية . فانما يحملان لنا الجانب الاهم من خصائص الشعر الجاهلي الذي علينا ان نتعمقه بوضوح .

البيئة :

الجاهلي الشاعر الف نفسه كما قلنا في بيئة ذات خصائص معينة . هي التي ساعدت على تكوين شعره والوصول به الى مراقي الكمال ممثلا بتلك القصائد الجياد التي قراناها للفحول منهم . ولا نبالغ اذا اعتبرنا ان الشاعر الجاهلي كان يكشف وجوده بكافة جوانبه في قصيدة واحدة . ولان الطبيعة متقاربة الابعاد في انساننا الشاعر . تشابهت القصائد من حيث مسرحها الفكري . واشعاعاتها الذاتية والموضوعية ـ الامر الذي دعا النقاد فيما بعد ليعتبروا القصيدة الجاهلية كتابا مقدسا لا يجوز الخروج على نصوصه ـ وحرية الجاهلي الشاعر وبلا حدود تبرز في كل اثر شعري وصلنا . صارخا ناطقا بان الشعر الجاهلي هو التجربة الانسانية الحية التي ارتادها شاعرناعذراء. مستودعا لديها كا نوازعه واحلامه وتطلعاته ونظرته في ذاته ـ واهله ـ ووجوده .

والشعر الجاهلي هو الطفل الاسطوري الذي عانق الحياة كاعظم ابنائها المخلوقين الخالقين دون وصاية من ناقد او لغوي او رجل تاريخ او عروضي . نما كما استطاعت طبيعته ان تمنحه عوامل النماء . بلا تاثير من مربين وحملة اختام وسدنات عروش . ووصل بالنمو والتطور الى اعلى درجات الكمال التي ان لم تتصل بالمطلق فلان طبيعة الكمال الشعري تقف هناك .

شعر راى الواقع وعاشره وعاناه . ثم انعكس واقعا اخر منقى صافيا اسقط الدرن ليصبح نموذجا لواقع افضل .

ولا ينبغي ان يشحط بنا الخيال الى مزار بعيد . فنفهم ان الشعر الجاهلي هو النموذج الذي علينا ان نصوغ شعرناالان على مثاله . ومن هذا الفهم الخاطىء لطبيعة الشعر وعلاقته بتكوين الشاعر العقلي والخيالي . وارتباطه بالبيئة . حاول المعنيون رسم حدود للشعر لا ينبغي تجاوزها ولم يعلموا انهم بذلك قيدوا خطوات هذا الطفل الاسطوري الذي كان بامكانه الوصول الى معارج الكمال المطلق . وكانوا اوصياء بذلك عوقوا حركة الشعر . والانفجارات التي كانت تظهر بين الحين والحين في تاريخنا الشعري . كانت تمردا على قوانين الوصاية وتجاوزا لعقلية الاوصياء . وتحطيما لقضبان سجون سجنه بها الرسميون بعد نزول القران بقليل . وهذا القليل يتمدد ليصبح مائة وثلاثين او اربعين سنة . اي منذ انتشار التدوين في بداية الحضارة الاسلامية .

لكننا ننظر الى القصيدة الجاهلية كمثل اعلى لحرية الشاعر في صوغ تجربته الشعرية . ومن ضمنها الادوات التي حملها احاسيسه وخطرات وجدانه .

الشاعر الجاهلي انسان الفى نفسه وحيدا في الصحراء . بين نجمة تبتسم له على خد السماء البعيد . وخيمة ترافقه في حله وترحاله . وناقة ينظر اليها كما ننظر اليوم الى طائرة نفاثة او قطار متقن الصنع والحركة . ووجد بين يديه حواء رفيقته وملهمته . ومستودع الجمال المحسوس الذي اضفى عليه الكثير من تطلعاته الذكية والمثلى .

وازاء وحدته بين ثنائية الارض والسماء كان عليه ان يفعل ويتكلم فماذا يقول ؟

سمع السيمفونية الطويلة المهمة الالحان . تعزفها قدرة لابد من وجودها . بعضها في بكاء الغيم وضربات الرعد الرعناء . وبعضها في عويل الرياح ذات المصدر الخفي البعيد ، وبعضها في حسيس النار الباهرة ، وبعضها في حفيف النسمة الباردة في جمود الصقيع المحرق . والبعض الاخر كان ينبع من طنين اذنيه وهو ينظر الى امواج السراب تهتز كاعمدة من ماء على مرمى البصر في الحر اللافح المحرق في ثغر الافق وكان لابد له من ان يتكلم .. فغنى .. مؤنسا وحدته . وتلذذ في الغناء وهو يبصر الناقة الامينة الذلول تنصت لهذا الغناء الشجي فاستمر . يصفها ويستوحي من خطواتها . اي ان الشاعر الجاهلي كان بينه وبين حيوانه واشيائه علاقة اخذ وعطاء ، وتفاعل في سبيل البقاء . ونظر الى حواء الملهمة التي انتصبت امامه رمزا لاستمرار الحياة . واكتشف تلك العلاقة الحميمة بين الارض والمراة من حيث هما سببا الوجود والتوالد والاستمرار . الارض تنبت له الكلا ، وحواء تنبت له الانسان فيبقى . فكل ما في المراة شهي ولذيذ وجميل . وكل ما في الارض شهي ولذيذ وجميل . فكانت حواء مدخله الى محراب الشعر وكانت الارض محرابا لهذا الشعر باحجارها . وكثبان رمالها ، ومسايلها وشعابها واسماء ابارها .. كانت الارض جسد القصيدة الجاهلية يطرح عليها انساننا الشاعر كل بضاعته . حتى خفقات قلبه . وكانت المراة المخلوق الشهي اللذيذ . باب الشعر الذي يفتحه برفق لدخول الهيكل . وتتنوع لدى شاعرنا الخالد عملية الدخول . فهي قبلة حينا ، ودمعة حينا . ولمحة من ذاكرته حينا اخر . وقد تكون رسما لاحدى لوحات الخيال البرىء بين الحين والحين . اما جسد القصيدة الذي يعج بالنشاط فهو مستودع هائل لتلك اللباقة التعبيرية النادرة المثال . البارعة في التوافق المدهش بين توظيف اللغة لرفع المحسوس . وبين الاشياء الخام التي كانت تتشكل منها القصيدة الجاهلية .

واذا توصلنا الى ان اللغة هي المعادلة الطبيعية التي استطاع الانسان الجاهلي الحياة عن طريق حلها . نصل الى عدة نتائج هامة . منها او من اهمها ان الشعر ضرورة للانسان الجاهلي . مع تاكيدنا على ان الشعر رفيق الانسانية منذ اكتشاف خفقات القلب وخطرات الوجدان اينما وجد الانسان مما حدا بانسان كهامان ان يقول «الشعر هو اللغة الام للبشرية». لكنها ضرورة اكتشفها انساننا الجاهلي وعاشها ونما بها ونمت به دونما وصاية او اكراه .

المعاناة :

الانسان الجاهلي سائر . او قل هو يدور في مزالق الصحراء لا يكاد يستقر بمطرح . وقراءة واعية للاثار الشعرية الجاهلية تطلعنا على ان الرؤية الشعرية للجاهليين ، بما فيها من حركة ونمو هي ترجمة هذا الانسان الى شعر . الشعر لدى الجاهلي . هو الانسان الجاهلي نفسه . واذا وجد في هذا العصر من يصف الحضارة الجاهلية بانها حضارة لغة . يحق لنا كخلفاء لذلك الانسان العظيم ان نفخر بهذه الخاصة ، لا ان نقلدها بخطو ببغاوي ارعن ، بل توصلا الى ان الدفع الزاخر الذي حملته اللغة العربية قبل القرآن كان اصدق ظاهرة لاثبات الانسان العربي ذاته في مجال الحركة والتطوير وتوكيد نفسه في الوجود عن طريق اللغة ذاتها . حيث استطاع رسم وجهه الثاني في مجالي الفعل والاختبار . وكان الشعر عملا منغما حمله الجاهلي نسخة ثانية من كيانه . وحركة الانسان الدائبة في الصحراء عكستها لغته بشكل تصورها حركات الاعراب نفسها . لا يبدا كلام العربي بساكن ، لا يلتقي في اللغة ساكنان. معظم القصائد الجاهلية التي وصلتنا تبدا بفعل . « قفا نبك » « صحا القلب .. » « ودع هريرة » « سائل معدا » .. الخ

معظم القصائد الجاهلية تبدا هذه البدايات التي تنم عن الحركة ــ والمسير ــ والرغبة في الاستمرار وما تبقى من القصائد وهي قليلة ، لا تبدا بفعل تبدا باحرف استفهام . من ؟ لمن ؟ اين ؟ هل ؟ او تنبيه . الا . ا . او نداء . يا . ايا . أ . ونتساءل بعد هذا الكشف عن احد جوانب التجربة الشعرية الجاهلية . هل جاءت الحركة الى مطلع القصيدة مصادفة دون اختيار من قبل الشاعر الجاهلي ؟ وهل كانت حواء التي احتلت مدخل التجربة الشعرية حلية او زخرفا في القصيدة ؟ وهل أقحم الشاعر الجاهلي الدمن والاطلال في قصيدته بلا معنى ؟

ان الحركة . والمراة . والطلل كثالوث مقدس في الشعر الجاهلي ، يعكس لنا بشكل خفي وربما لم ينتبه له دارس او محقق حتى الان طبيعة المعاناة وتشخيص الصدق في العمل الفني الانساني الخالد .

ان الثالوث هذا ترجمة للفعل ــ والحب ــ والتعلق بالارض. كوجه خلفي او عمقي لشكل الانسان العربي الذي كشف ذاته في لغته ومنحها ما يريد ان تمنحه اياه الطبيعة من طول وعمق وحركة واستمرار . مما يدعونا الى التاكيد على ان الشعر الجاهلي كان معاناة من قبل الانسان لرسم انسانيته فيه . وعندما نصف هذا القدر الذي وصل الينا من شعر اسلافنا الخالدين . بانه ديوانهم . ومرآة وجودهم . وحامل حركتهم والمعبر عن تواجدهم في هذه البقعة من العالم . علينا ان نضيف لكل ذلك ان الشعر الجاهلي بما حمل من فخر ذاتي ، وقوة انتماء قبلي ، ووصف حي للطبيعة والحياة ورسم دقيق لم ينس خطا واحدا من خطوط الحياة العربية في فترة ما من

التاريخ . كان هو الانسان الجاهلي نفسه بمعاناته وتركيبه النفسي والفكري ــ ونزعة تطلعه ، او ملكة تشبثه في الحياة ومواجهة همومها . او بتعبير وجودي كان يختار مصيره وينقله بالشعر . واذا كانت كل « حقيقة لا تكون الا بفعل عاملين ، عامل البيئة وعامل الذاتية الانسانية » كما قال سارتر فالشعر الجاهلي هو الاثر الاعظم الذي حمل في طياته هذه المعادلة بكل صدق . فنجد في لغته الجزلة المنسوجة على نول الجمال العبقري الباذخ روح ذلك الانسان وموقفه من الحياة والاخرين متغلغلا في البيئة ، ومتغلغلة فيه البيئة كاكمل ما يكون التداخل والاعتناق والالتحام . حتى كان القارىء في كثير جدا من هذه القصائد لا يستطيع ان يسال عن مفردة لا لزوم لها في الشعر . اي انه شعر ليس فيه « حشو » تلك الخاصة التي انزلقت الى الشعر العربي فيما بعد وشوهت الكثير من معالمه وعندما ضاقت نصوص القوانين بتمدد الانسان وسعته .

كانت التجربة الشعرية الجاهلية كما نفهمها تجربة خاضها الانسان الجاهلي مختارا شكلها ، وارضها وخلفيتها وعمقها . فمن حيث اللغة كان الشاعر حرا في اختيار الفاظه بما يتلاءم مع مستواه الفكري ، ومظاهر حياته وخصائص بيئته . ومن حيث الموسيقى فقد ظلت الفترة الزمنية التي وصل الينا جزء من نتاجها الشعري فترة مخاضات ايقاعية ، وولادات موسيقية لم تحصرها القوانين ، ولم تقيدها الاقياد ولم يخنقها الاوصياء والنقاد . كان الشاعر لا يهتصر قافيته ويشدها او يمطها حتى تخضع للقالب « الاعرابي » وظهرت في الشعر الجاهلي الحركة المختلفة عن حركات السياق والتي سميت فيما بعد « بالاقواء » . وكان الشاعر الجاهلي يتحرر من دقات الايقاع الذي سحرنا بالضجيج الموسيقى الصاخب ويختار كلمات تظن انها حطمت وزن البيت ، كان حرا في اختيارها . لكن الاوصياء بعد العصر الجاهلي وجدوا لها وعاء خاصا اسموه « بالاشباع » . وكان الشاعر الجاهلي يخرج نهائيا عن الاوزان المالوفة لدى معاصريه وسابقيه . ويصنع لنفسه عملا شعريا تتخلق فيه الموسيقى بشكل نطلع عليه الان فنحسبه مليئا بضربات وايقاعات غير متجانسة ، كما هي الحال في البحور العروضية السليمة . وهذه الظاهرة شملت شعرنا الجاهلي بشقيه ــ الرجز ــ والقصيد ــ . وابرز من هذا كله ان البيئة الجاهلية بكل ما فيها وذاتية الانسان الجاهلي بكل ما فيها ، كانتا ميدان الشعر الفسيح ومسرح تجارب الشاعر الخلاقة . لم يكن في الشعر الجاهلي غزل . وفخر . وهجاء . ونسيب . ووصف . والى هذه المرقعات التي حبل النقاد زمنه طويلا وتمخضت عنها ارحامهم الفارغة . كل هذه الخصائص كانت دفعة واحدة بالقصيدة الجاهلية . البكاء على الاطلال كان واقعا ملموسا ولم يكن زخرفا جماليا في الشعر ، المطلع الغزلي كان الشحنة الاولى التي تتفجر من ورائها مخزونات النفس الشاعرة. الرحيل على الناقة والجمل ، والصيد والرعي .ونصب الخيام. وصليل السيوف وكرع الخمر والانتماء القبلي . والاشارة بعظمة القبيلة . كانت هذه المظاهر التي عرفناها ميدانا للشعر . كانت جزءا او أجزاء من صميم تكوين الانسان الجاهلي وقراءة المعلقات فقط كمنصر بارز من عناصر هذا الشعر مع الاطلاع المبدئي على حياة اصحابها ، تقدم لنا الدليل على ان الشاعر الجاهلي لم يكن زائغا في انتقاء مسرحه الشعري وقاموسه وجوه الموسيقى ، بقدر ما كان ممارسا لهذا الانتقاء . وحرا في ممارسته وقد يسال سائل ونحن نتعمق جذور الكمال في الشعر الجاهلي سؤالين لا انكر انهما طرحا في معظم الدراسات التي تناولت هذا الشعر العظيم . وقد مرا بذهني منذ عشرين

سنة ، عندما كنت اقرأ الشعر الجاهلي . واراء اللاحقين به من عرب ومستشرقين . وهذان السؤالان هما .

١ ـ اين وحدة العمل الشعري في القصيدة الجاهلية ؟

٢ ـ لماذا طغى عنصر الوصف على هذا الشعر حتى كاد يستهلكه؟

ولا اظن مبدئيا ان السؤالين خطرا للشاعر الجاهلي نفسه. اي اننا نسالهما من خلال احساسنا بقيمة الشعر وتنوعه واتساع حدوده وافاقه . ونحن في القرن العشرين . بزمان غير الزمان . ومكان ان لم يكن قد تغير فلا شك انه طرأ عليه الكثير من التعديل والتبديل .

وبالتالي هل من المنطق ان نسأل الشاعر الجاهلي ان يكون ترجمانا امينا لذاتية الانسان في القرن العشرين ؟ بل المنطق ان نعيش قدرة ذلك الانسان وتكوينه العقلي ، ثم نعكف على دراسة منجزاته فان تفوق الانجاز على امكانية متاحة للمنجز نقول على الفور انه تجاوز عصره . وان تفوقت امكاناته المتاحة على حجم ونووع انجازه اتهمناه على الاقل بالخور والجمود . وهذا ما لا يوافق مفكر او مثقف على الصاقه بانساننا العربي الجاهلي الشاعر .

قلت في سطور سابقة ان الحركة الناتجة عن سرعة التنقل هي التي طبعت الجاهليين بطابعها . وانعكست هذه الحركة على لغته وشعره فكلامه يبدأ بمتحرك كانما اللغة تتململ .. لتنطلق في رحاب العالم غير المنظور تكتشفه . وشعره في الغالب يبدأ بالفعل الذي يعبر عن تلك الحركة . واسبغ هذه الخاصة نفسها على كل ظاهرة تبرز له في ثنايا رحلته الحياتية المعطاء . اسبغ على كثير من الاسماء صفات تحول هذه الاشياء الى اساطير .. الى شحنات تنفجر طاقات الشعر منها جميعا . حتى كفاحه من اجل البقاء كان ـ سيرا ـ فتحا ـ تحركا ـ تموجا في وديان الحياة . ارايته بعد نزول القرآن مباشرة كيف انزرع في رحاب العالم من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه ؟ وكانه المارد تفجر عنه القمقم ليملأ الحياة البشرية بالعطاءات والهبات وتأكيد الذات في الارض ؟ اما قرات تاريخ هذا النفر الطائر في الفتوحات العربية في القادسية ، في دمشق ، في حمص، في اسبانية في مصر في افريقيا ، في فارس ، في الهند ؟ الم تحس بان هذا العربي المسافر في خياله وعينيه وقدميه ويديه وشعره .. اراد ان يتجاوز الكوكب . الارض ، الى سدرة المنتهى ، ودوحات عليين لدى الملأ الاعلى ؟ الم تر الغافقي الذي هجم على البحر بحوافر مهره يود ان يتقحمه ؟ لن استرسل في ضرب الامثلة لانها كثيرة .. وجزء منها ينبئك اليقين . ولماذا نريد ـ الان ـ ونحن نقرأ التاريخ والادب والفلسفة وعلم النفس، وشذرات من العلم المنظور ان نقيم الجاهلين بنفسية انساننا المعاصر القلقة التي ازدحمت في ظلماتها من الثقافات والعلوم ، ونطالب شاعرنا الجاهلي بان يكتب قصيدة وحدة البناء الذي ـ اصبحنا الان نفهمه ـ واذا ما تهدم بيت منها تنهار كما لو كانت حائطا منسوجا ؟

في واقع الامر ان القصيدة الجاهلية لم تعتمد البناء الكلي المتسق للعمل الفني بحيث لا تخلخلها الزيادة والانقصان. ولكن طبيعة البيئة الجاهلية المتحركة السائرة . والتي كانت التجربة الشعرية نقلا « مثاليا » لها فرضت على الانسان الجاهلي النسق الشعري الخاص ، محمولا في شحنة وجدانية تغلي وتتصبب قطعا قطعا كانها جمال القافلة او خراف القطيع اسميت كل شحنة منها بيتا ولم تكن القافية الرنانة الا

الخيط الذي يربط البيت والبيت . وكان من اختيارات الجاهلي لفنه ـ وربما عن تصميم وتصور مسبقين ـ ان تكون كل شحنة شعرية مستقلة ببنائها المحكم المتقن . بحيث اذا ضاع من القافلة جمل لا تضيع القافلة ، واذا ضاع من القطيع حمل لا يضيع القطيع ولكن ابتعد بهذا التحليل عن تلك البيئة الجاهلية نفسها ، قلت القافلة ، وقلت القطيع . كظاهرتين من تلك البيئة . تتوافر فيهما ـ الحركة ـ واسرار البقاء ـ .

وقراءة متانية للقصائد الجياد الجاهليات ترينا ان الابيات لو زادت او نقصت تظل بين ايدينا روح الشاعر وجو القصيدة العام ، وقسط وفير من الخصائص الفنية السامية التي عانى شاعرنا الجاهلي وجاهد في سبيل خلقها .

اضيف الى هذا التحليل ملاحظة لم يشر اليها قط دارس لهذا الشعر خلال مئات السنين الماضيات بمن فيهم نقادنا المعاصرون الذي منحوا هذا الشعر حياة جديدة من خلال قراءته وتعريفنا به . هي فقدان النهاية من العمل الشعري الجاهلي . وحيث ينتهي الشاعر الجاهلي من انشاد قصيدته يدفعنا لنتساءل . وبعد ؟ . القصيدة ذات مطلع بالتاكيد . حتم عليه الشاعر ان يكون مدخلا الى محراب شعره . واما من بين آثار مضارب خيامها واطلال اهليها . ولكن الباب الثاني لهذا المحراب المقدس يظل مفتوحا على مصراعيه ، حتى لتحس بان الشاعر الجاهلي عائد اليك يستانف رحيله الشعري مرة اخرى ، فهل نضيف هذه الخصيصة الى طبيعة الحركة لا طبيعة الرحيل ؟ طبيعة السير الذي اراده الجاهلي لنفسه ؟ وان شاعرنا ما دام ينقل لنا وجودها شعرا يريد لهذا الوجود ان يستمر . وانه لا يريد ابدا ان يضع الخاتمة لعمله الشعري ؟ من يدري ربما يكون ذلك تعبيرا عن اختياره وحريته . وسمة خاصة في شعره العظيم .

ثم لماذا طغى الوصف على تجربة الشعر الجاهلي ، اليس هذا هو السؤال الثاني الذي طرحناه ؟ اجل . قلت ان الانسان الجاهلي يسير وكل ما بين يديه من مقومات حياته سائر . سد مأرب التاريخي الذي كان سببا لبناء حضارة عظيمة من حضارات الامم . هو الآخر سار . الحبيبة تنزلق من امام ناظريه . ولا يراها الا محمولة في هودج على ناقة في قافلة تبحث عن الكلأ .. حامل اكسير الحياة . في خضرته الزاهية ، البيوت التي يتبطنها .. هربا من حرارة الشمس الحارقة ، وصقيع الشتاء الكالح .. وبها يلوذ الى نفسه بين الحين والحين . هي الاخرى تسير .. تترحل .. تتنقل مع القبيلة او مع فخذ من افخاذها . الخرفان تركض .. وعيون الماعز الزئبقية تنفض غشاء الصمت والسكون ، وتسير هي الاخرى . الظباء التي طالما سرق منها العين الساحرة واللفتة الباهرة ، والخطوة الراقصة .. هي الاخرى لا تقف قط امام عينيه في مكان ما . وحياته اذن رحلة .. مسير لا وقفة بعده . ترحل مستمر منذ كان جنينا حتى يستل عنقه سيف او يغتاله الموت في ساعة غفلة .

اما كان ذلك الانسان يحن لاستجماع اشياء لا تستقر بها ارض ولا ينعم بها نظر طويلا . في ذاكرته على الاقل . في وجدانه المرهف وفي فؤاده الذكي . بالتاكيد ما دام وجد السبيل الى ذلك متاحا له في كشفه السحري الباهر الممتع المدهش ، الشعر .

الشاعر الجاهلي رسام . لم تسعفه العين المجردة على رسم صوره فاستعان بعين خياله . لينفذ منها شعاع سحري

انيق . يحيل حياته الى لوحة بارعة لها مطلع وليس لهـــا نهاية . ذات الوان ليس قوس قزح احلى ، وذات حياة ليست الطبيعة اكمل . حسناء عذراء . نحتت من مقاطع الضوء في ساعات الصفاء الملهم ، عليها ثياب من سندس ، واستبرق يطوف بها ولدان مخلدون .

الانسان الجاهلي شاعر عانى الحياة رحلة بلا توقف . هو على صهوة جواده الذي احبه . وكان له صديقا وفيا . فاقسم ان يخلده ومنحه الكثير . وامامه ناقته الـــذلول . وبعيره السفينة ، يتهدجان على شوك البادية او رمال الصحراء. اليسا صديقيه في رحلته ؟ ويمر ظبي فقد اقرانه . اللهفة ملء قفزاته . والحنان ملء نظراته . والبحث عن امه او حبيبته ، شنقه في اشرئباب عنق آتلع لن ينحني .. اليس جديرا بهذا الشاعر ان يلتقط له صورا عديدة في طريقه ، يعيد النظر فيها ويمنحها بالشعر حياة اخرى ؟ كان الشاعر الجاهلي في رحلته الشعرية ، سابحا فوق المحسوسات والموصوفات يحط حينـا ويحلق حينا . يختطف مشهدا خطف الطائر شربته انا ، ويقف وقفات قصارا ليتمحص المشهد الذي ينقله آنا آخر ، ويلح بين الحين والحين على التعمق في خطوط المشهد وجزئياته . حتى اذا نقله وفرده بين يدي حبيبته الملهمة لا يترك لها مجالا لسؤال عن جزء من اجزائه .

كانت الصورة في قصيدة صورتين ، صورة المشبه ، وصورة المشبه به . وكثيرا ما كان يمحو الفرق الزماني والمكاني بـين المشبه به ليحتل الاثنان حيزين متكافئين في قصيدته . مضيفا عليهما لمسات من روحه الشفافة وخياله ــ الخالي من التعقيد ــ وقليلا ما كان يلجأ الى تصوير غير المرئي . لكان ذاكرته فيرحلته كانت وعاء حشرت فيه اشتات من الصور .. ولم يبق فيها مكان الا لما يوحيه قلب العاشق ، وتصور الفارس لباسه وشجاعته وكرمه وعفته وحفاظه على فضائله المثلى بالنسبة الى مجتمعه القبلـي .

وكثيرا ما كانت صور الشاعر الجاهلي ملتصقة بذكرياته الماضية قريبها وبعيدها . واثناء التصوير يعن له ان يسرد قصة من قصصه الماضية . كرحلة صيد ، او رحلة حرب . او مغامرة مع الانسان المعبود حواء الخالدة .

الوصف اذن من طبيعة التركيب الاصيل للتجربة الشعرية في الصحراء . كانت الصورة في القصيدة المفاعل الشعريالذي يحفظ توازنها . ويركز اجزاءها من جهة . وعن طريق الوصف كان الانسان الجاهلي يؤكد وجوده كناقل ومضيف ورابط بين الترحل بالحبل الشعري المدهش الريشة واللوحات .

ان احساسا ساحرا اخاذا كان يلاحق الانسان الشاعر في تلك الفترة من تاريخه ان يحتفظ باكبر قدر من الصـــور في محرابه الشعري العبق الموشى بزخرف الجمال والبراءة . وهو لهذا ماضن على شيء رآه في رحلته دونما احتفاظ بتوقيعه . من عزيف الجن في الصحراء الناتج عن اشتباك الريح بالرمل . حتى رسم الصورة الدقيقة لدبيب النمل في مفاصله بعـــد احتساء الخمر . وشكل الحياة المنزلقة امامه بكل ما فيها . حتى جبال الرمال التي يراها في بعض مناطق الجزيرة العربية. كانت تتحرك منزلقة من مكانها . هو الذي املى عليه ان يكون المصور البارع الانامل . والدقيق الخطوط . والقوي الملاحظة. لكانه بمجموع ملكاته . عين ترى . وريشة ترسم . ليخـــرج عن هذا التلاحم البصري اللمي ضجيج موسيقى يكتمل كل يوم بل لدى كل شاعر .
مفرقا فيه ذاته الهادئة الخالية من العقد .

الواقع والفن :

الاكتفاء بالقول ، ان الشاعر الجاهلي رسام مدهش ، لا يفي ذلك الانسان الفنان حقه من الوصف . وان هو كفـــاه فسيظل سؤال يلح علينا ، وقد ظل موضع اخذ ورد بين النقاد العالميين حول الادب الكلاسيكي . هو : هل الشاعر رسام فقط ؟ اذا كان الامر كذلك فهو لم يشعر حتى وان نقل خطرات الوجدان من حزن وفرح وتطلع وتذكر ، لان النقل الامين لما في الطبيعة هو احد جوانب العمل الفني . وتظل هناك رؤية الفنان نفسه . وتدخله في صنع الطبيعة كشريك صانع في عمليةاكتمالهاوتطويرها، اليس كذلك ؟

وقراءة الشعر الجاهلي الدقيقة المتأنية تطلعنا على اكثر من وجه مشرق لهذا الفن الخالد . من هذه الوجوه تنميه الحركة الطبيعية الموصوفة في التكوين الموسيقي الذي فتح ابوابــه الشعراء الجاهليون ، وتركوا الشعر العربي منذ نزول القرآن حتى منتصف القرن العشرين عالة عليهم . وعلى كشوفهم المهمة. ومن هذه الوجوه نحت الظواهر الموصوفة وتهذيبها ونقلها الى الشعر كما يتمنى الشاعر لا كما هي في موضعها من الواقع . ومن هذه الوجوه رفع حواء عن مرتبة المخلوق البشري القائم على اساس الوظائف العضوية الى جعلها نموذجا مثاليا للجمال الانثوي المشتهى . ولم تكن المرأة في الشعر الجاهلي الا هذا المثال .

من هنا نرى ، ومن خلال نصوص الشـــعر الجاهلي ان الاشياء التي احبها الشاعر احببناها نحن بمجرد عرضها على الاذن او العين بعد تلك القرون الطوال التي تعاقبت علىوجود هذا الشعر . فمن منا لا يحب الكرم ؟ ومن منا لم يمر الخمـر بباله ــ حتى ان لم يشربه ــ ومن منا لم يتمن رؤية الظباء وهي تسبح على رمال البيد ؟ ومن منا لم تعجبه تلك المنـــاقب والخصائص التي حملها الشاعر للجواد ؟ ومن هو الانسان الذي قرأ شعر الصعاليك ولم يحب عروة بن الورد مثلا ؟ مع العلم بان جانبا من حياة الصعاليك وسلوكهم كان شـــرا كله . ان الشاعر الجاهلي حدثنا عن احجار الموقد فاحببناها . وارتسمت في اذهاننا دون ان نراها . وحدثنا عن ركوب الابل وامتطـــاء الجياد ، فالفينا بانفسنا حنينا مسرفا الى ممارسة ولو للحظات تلك الحياة على سذاجتها وبداوتها وخشونتها المسرفة . الا ترى معي ان السيف . المهند . الفيصل . العضب . الحسام . عندما نستخدمها الآن في شعرنا ونثرنا جميعا نستشعر امامها العمق التاريخي والشحنة الشاعرية التي اكتسبتها من خلال مرورها في ذاكرة الانسان العربي جيلا بعد جيل ؟ وهي مرتاد نرتاده في كل استخدام فكري او فني كاحدى خلايا الرمزية اللغوية في ادبنا . نتكلم كثيرا عن السيف ونحن في عصر الذرة . اترانا نقصد السيف الذي رسمه الجاهلي كاداة للقتل ، او هو رمز خصب في ذاكرتنا الجماعية . ينبهنا فورا الى الشجاعة . الاقـدام . الحفاظ على البقاء . الانتقام . هذه صورة واحدة كانت لهـــا وجوه وخطوط في المحراب الشعري الجاهلي . واذا تركنـــا الاشياء التي لا نزال نشارك الشاعر الجاهلي في استخدامها من الكلمات المألوفة في اللغة . نرانا منشدين تلقائيا الى صور لا تربطنا بها رابطة من حيث ممارسة الحياة . واصبحت لدينا رموزا شعرية او اساطير شعرية . كلما زاد استخدامها اتسعت اعماقها وتمددت ابعادها . لقد ظل الشاعر الجاهلي بمغامرتـه الشعرية مولدا شعريا يمدنا بالطاقة والحركة . حتى ونحن مبتعدون جدا عن طريقة نظمه . وعن قاموسه الشعري . واذا

ابتعدنا عن صور الشاعر التي امدتنا بهذا المعين نجد أن حياة نفر من هؤلاء الشعراء وحكايا مقتلهم او معاركهم . عنترة . امرؤ القيس . طرفة . الخنساء . لبيد . الاعشى . معسود الحكماء . النابغة ... نجد ان حيوياتهم . او سلوكياتهم . غدت ذخيرة للرمز في ادبنا . كلما اغرقنا بالرحيل الى المستقبل ، تبدت لنا منها اساطير ملهمة ورموز شعرية .

اما حواء فطالما الهمت وفعلت وتفاعلت . واثرت في هذا الشعر العظيم . ان قارىء الجاهليين لا يزال يحتفظ باسماء لحواء ان تذكرها فرموزا . وان استخدمها فرموزا . وما كان الا من خلال التعاطف والحب . فكافة الهندسات النسوية التي خلفها الجاهليون حبيبة الى قلوبنا .

انتساءل لم كان هذا كله ؟

الجاهلي – الا في القليل النادر – لم تكن حواء بين يديه الا ملكا كريما في محراب الشعر . ولم يتناولها في ريشتهالساحرة الشاعرة كما هي قط . المراة لديه ملاذ . وبداية رحلة . وحضن دافىء ، وصنم مرمري مقدس ، واله ملهم . ومحاور ومستفهم . ومستودع ذكريات . رسم كل شيء بالمراة ابعد من عمقه ، واطهر من وضعه . واكثر شفافية من سماكته . لم يصور لناالجاهليون امراة شرسة نكدة . ولم يوصلوها الى جناح الشعر مثقلة بوظائفها المضوية – الا في حالات الهجاء القليلة – . وفي الغالب الاعم كانت مولدا شعريا لشاعرنا الفارس النبيل،ترحالها يلهمه، ونظرتها تنطقه ، وهجرانها يفرد له المغلق من سراديب ذكرياته ، وهي بعيدة جدا عن تكوين الانسان البيولوجي ، فهل قرانا لشاعر جاهلي دون ان نحتفظ بهذه الصورة . ان المراة وهي نائمة تنشر المسك والزعفران وكافة اصناف الطيوب . وان الانثى الجاهلية دائما عطرة ينضح من فمها الطيب . ودائما جميلة وساحرة وفتانة لكان الشاعر البسها غلالة مسحورة لا يريد ان يراها الا من خلالها . وكان خياله الرسام يمده بالكثير من الصور الخلابة المتدفقة بالسحر والجمال والصفاء والطهر . فالرسوم الطبيعية المنتزعة من البيئة الجاهلية ، والتي رصف بها جسد حواء وجوارحها ، كانت كلها شهية الطعم ، لذيذة المذاق ، محببة الى النفس ، لونا وشكلا وشذى .

عنق المراة كجيد الغزال وشفتاها كاوراق الـورد . وعيناها كعيني البقرة الوحشية . تجمع بين سواد الليل ونقاء الفجر بسمتها تغريك دائما باستجداء اللذة . وحديثها يوحي اليك بطعم فمها العسلي واسنانها كاوراق الاقحوان . وشعرها جدول من جداول الليل يتيه المشط فيه . ونهداها جامدان متماسكان دائما . وبطنها قطعة من نسيج فضي املس . وهي دقيقة الخصر ابدا حتى لكانها قطعتان التحمتا بعنق دقيق . وكان يخشى الشاعر عليها من ان تتقصف اثناء المسير . ولرقتها لا تكاد تلامس قدماها الارض بل تكاد ترقص كالحجال . ويرق فارس كامرىء القيس فيدعي ان النملة الصغيرة لو سارت على بشرتها لاذتها او جرحتها . واخشن ما عليها ان تستر به هذا الجمال الباذخ وهذه الرقة المفرطة ، الخز . اما السوار والدملج والقرط فقد بثها الشاعر الروح ونفخ فيها فاذا هي تتحسس مواضع الجمال من هذا الجسد المثير . واذا اعتصر الشاعر ثوبا لامس جسمها لقطر منه المسك والكافور والطيب . والاثر الاوحد الذي تفرزه جوارح المراة هو دمعها . ولم يبخل الشاعر على هذا الاثر فاكسبه الكثير من الرونق .

والمراة لا تبرح ذهن الشاعر الجاهلي . ولا تفارق خياله .

واننا نحس الان ان الجاهلي كان ينظر الى هذا المخلوق الساحر – المراة – نظرة فيها الكثير من التقديس والتاليه والعطاء والخير . فهو اذا فرد ذكريات الامس يدخل حتى الى ذاكراته من خلال حواء ، واثار اقدامها وصورة هو دجها ، ووسوسة حليها ، ومن وراء نظراتها الذابلة الهادئة . وكان التجربة الشعرية الجاهلية مرتبطة بالتكوين الانثوي الذي يذكر شاعرنا الجاهلي بسر مغلق من اسرار التوالد والبقاء . وعنصر الانوثة كان لديه او في غمرة شاعريته الفياضة الانبوب الذي يتدفق منه جدول الشعر الطيفي التركيب . وتركيزنا على هذه الخاصة جاء من الالتحام الوثيق الذي كان بين القصيدة وبين حواء . فدريد بن الصمة يرثي اخاه متوجعا متفجعا ولكنه يصل الى احزانه من خلال « ام معبد » . وزهير بن ابي سلمى ينشر حكمه التي حملت مثالية المجتمع الجاهلي . ويطرق باب الحكمة في معلقته بيد « ام اوفى » وقيس بن الخطيم يسرد تاريخ حرب بين الاوس والخزرج اسرتي المدينة ، وهي الحرب المعروفة بيوم حاطب . وقبل وصوله الى صليل السيوف وقراع الكتائب والجيش الذي رآه موجا آتيا متراكبا ، وقبل الفخر في ذاته التي تقدم طائفة على السلم والحرب والحياة والموت جميعا . قبل كل ذلك يتقدم من بين يدي الحبيبة التي عرفها صغيرة غرا ذات ذوائب ، الى ان نمت ورآها تحج وتنشر الفتنة فيالبيتالحرام. وليس هذا فقط انما هي من الرقة والرهافة والوضاءة بحيث لو بدا نصف وجهها فقط ، تبدت لقيس كنصف الشمس . ونصفها الثاني تغشته سحابة . انظر اين المراة لدى ابن الخطيم – الشمس – الغيم – البيت الحرام – منى – اترى هل اختار هذه الظواهر مجازفة وقذف بها المراة ؟

على انه لا ينبغي ان يذهب بنا الظن الى اعتبار كل الشعر الجاهلي يتميز بهذه الخصائص الجمالية الباهرة . وجزء غير قليل من هذا الشعر لا يحمل من رونق التعبير، وحسن المداخل، ورواء التصوير ، ودقة التشبيه . واصابة النفس . وهناك مقطعات سردية مسطحة لا تصوير فيها ولا فن . وليست اكثر من مجرد كلام موقع على اعاريض الشعر . ويقع هذا الجانب ضمن الاراجيز . ثم في بعض المقطعات القصيرة التي نحس بارتجالها وطفوها على سطح الشعر . وكذلك نجد بعض الابيات تقع تحت هذا الصنف في القصائد الطوال الجياد . لكانها اقحمت اقحاما على العمل الفني . ومن يدري ان يكون من طبيعة النبت الطيب الكريم ، اتاحة الفرصة للاعشاب الخالية من نكهة الارض وبهاء السماء ان تنمو حوله ؟ وتحدثنا عن محراب الشعر الذي تحتل حواء مدخله ، باثر خلفته ، ونظرة اصابت بها ذاكرة الشاعر ، وهودج رآه يتمايل من بعيد مخلفا لديه الحسرة والاسى . وكثير من القصائد الجاهلية وصلتنا ناقصة المطالع ، ولم يعد يخفى على عربي مدى ما تعرض له الشعر الجاهلي من نسيان وضياع وحذف وانتحال . ولا ادل على ذلك من وجود قصائد يتيمة في كتب الادب القديم ، وابيات مفردة . واسماء بلا شعر . وتعرفنا – عن طريق التذوق – بين الجيد من هذا الشعر العظيم الذي حمل بين طياته مغامرة التجربة ، وصدق المعاناة ، وحرارة الجهد المبذول وبين قليله الذي يعتمد على الود اللغوي . هذه التفرقة تؤكد لنا ما كان يبذله اسلافنا الجاهليون من جهد وحرارة وداب وسهر على اخراج هذه الروائع الخالدة . فمنهم من نوه بالجهد والسهر كما فعل زهير واصحابه . ومنهم من لم ينوه به . بل يشا اطلاع الجماهير على اسرار التكوين ، والمودات الجنينية سواء كانت على الجلود والعظام او على دفتر الذاكرة .

ومن هذه الناحية اراني وبكل جراة ارفض الرفض المطلق المدارس الشعرية في العصر الجاهلي ، واستبدالها بالافراد الشعراء ، ولكل واحد من اولئك الخالدين كان له نهجه الشخصي الخاص في معاناته الشعرية ، دون ان ينفصل عن بيئته التي طالما احبها واوجد لها الفضائل والاستمرار .

والمعاناة ، والجهد المبذول في اخراج تلك الروائع، يدفعاني وعلى استحياء وخجل ان اقف مشدوها مبهوتا امام الورطة الرهيبة التي تورط بها الجاحظ ، المفكر المثقف المجدد ، عندما اعتبر ان كل شيء للعرب بديهة وارتجالا – بما في ذلك الشعر – ولم يكلف نفسه عناء البحث والتمحيص في اعماق العصر الجاهلي فاعتبر ان الشعر « حديث الميلاد صغير السن ، اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعـــة ... » وهذه الاقوال التي ارتجلها الجاحظ لا تستقيم بالتاكيد مع طبيعة الشعر كفن صعب ، ولا مع طبيعة الفن من حيث نشاته وطفولته والمراحل التي مر بها حتى وصل الـى هذه الدرجة المدهشة عند من قرانا لهم من فحول الشعر الجاهلي – المتاخرين – زمنيا .

متى توقفت التجربة الجاهلية ؟

ترى من هو الانسان الفنان ، الذي نستطيع اعتباره خاتمة للشعراء الجاهليين ؟ مدارات الزمن الغابر ؟ والى متى استمرت التجربة الشعرية الجاهلية في النمو ، وكيف حدث التحول ؟

اطلق على الفترة الزمنية التي سبقت نزول القرآن ، والتي تضرب عمقا الى حدود المئتي سنة بالعصر الجاهلي ، واما الفترة التي قبلها فهي فترة غامضة لم يخلف لنا اهلها شيئا من شعرهم او ان الرواية في الشعر العربي تقف عندها فقط . ونعلم ان الانسان العربي الذي عاصر هذه الفترة الممتدة من نزول القرآن وانتشاره الى ما قبل القرن السادس للميلاد ، كان يتمتع بخصائص معينة يتقارب فيها ابن الجزيرة ، وابن الشام وابن العراق ، وهي البيئات التي انتشر الشعر فيهـا ، او هي البيئات التي كانت مسرحا لتجربتنا الشعرية الناضجة ، من هـذه الخصـائص اعتـداد الانســان بذاتـــه ، ذوده عن شـرفه ، حبه للضيف ، كرمه ، حبـه للمـراة واعتبارهـا مخلوقا غامضا – كما رأينا في شعره – تزجية وقته بين الرعي والصيد وشرب الخمر ، الاسراف في الحب ، الاسراف في الكره ، الخاصتان اللتان نتج عنهما في كثير من الاحيان حساسية متحفزة تنزلق الى السفه والطيش ، وفخره في الموت قعصا عـلى اسنة الرمـاح .

ونلاحظ ان كل هذه الخصائص انعكست بشكل – مثالي – في شعره الجيد ، حتى ليستطيع قارىء هـذا الشعر ان يرسم صورة دقيقة واضحة لذلك الانسان من خلال اثره الادبي الذي طالما اعتز به ومنحه الكثير من ذاته .

فقارىء شعر الصعاليك لا تغيب عن ادراكه صورة الصعلوك الذي اطلع على التوزيع السيء للثروة الجاهلية ، فثار وتمرد وضاع هدفه النبيل امام سرعة غضبه واختلاط الامور عليـــه فانقلب الى لص يبعد قليلا او كثير عن غايته الانسانية السامية .

وقارىء شعر طرفة ، ينهض امام بصره ذلك الانسان المتمرد اللامبالي واللامنتمي ، والذي ادرك عبثية الحياة فعكف على شرب الخمر ، ومعاقرة اللذة بين ذراعي المراة ، ووجد لعبة وجود المجهول في المقامرة عن طريق القداح .

وقارىء شعر عنترة يلمس روح الانسان الشفافة ، وعاطفته النبيلة وعفته المتعالية ، وحبه الذي لا حدود له ، وشجاعته التي تفوق الاساطير ، وقاري شعر اي واحد من هؤلاء النابغة، زهير، الاعشى ، لبيد ، يرى بوضوح مجموعة من القيم حرص الشاعر العربي الجاهلي على تنميتها وصقلها ورفعها الى مدارج الكمال ، حتى خاصة القوة ، فلسفها زهير في معلقته الى جانب ايمانـــه بالسماحة ، والكرم ، والحب ، والاستسلام للقدر المجهول .

اذن هؤلاء وغيرهم كثير ، خلفوا لنا قيما كانت برايهم هي الانسان الفاضل في العالم ، ولو قمنا بتلخيصها او بايجاد مفردات لها لكانت او كان معظمها على الشكل التالي .

الكرم – التسامح – البحث عن اللذة – الاخذ بالثار – حب القتال – تفضيل الموت قتلا – عدم الايمــان بالبعث – الشجاعة – النجدة – الاحساس بالرحيل –

وكل هذه الخصائص استخلصناها من الشعر نفسه ، وهنا نسال اين يقف او ينتهي الانسان الشاعر الذي الح على ابرز هذه الخصائص وتنميتها ؟ والجواب بالجزم عندما تتوقف في شعره ، او تمحى لتحل محلها قيم اخرى جديدة او بمعنى ادق عندما يعثر على فلسفة خاصة في الحياة ، فتتحول مفاهيمه بشكل جذري .

اما اذا استمر بتنميتها وتهذيبها وابرازها كمثل اعلى للانسان المتكامل ، فليس ما يدفعنا على الاطلاق الى اعتباره توقف او نضب .

نهض محمد «ص» في اعماق الجزيرة العربية وبين يديه قيم تختلف كثيرا عما الف الانسان الجاهلي ، من ابرزها ، تمزيق التشكيل القبلي ، تحطيم الشخصية المفردة ، وهاتان الخاصتان كانتا جزءين هامين في وجود المجتمع الجاهلي، وكان عليه من جهة اخرى ان يضيف الى كيانه قيما جديدة كل الجدة ، ولان انشاء الكيان الانساني لم يكن يتم بهذه السهولة وهذا اليسر ، كان من الطبيعي والمالوف ان يظل الانسان العربي متعلقا بانسانـــه الماضي لصيقا به مهما حاول الفكاك من اسره والتخلص من ربقته .

والآيـــات الاولـــى المكيـــة ، كـانت بمثابـــة ناقوس الخطر المرعب الذي اعقبــــه الصـــراع العنيـــف بين انسانين انسان يؤمن بعالم الروح ، وتفتح على فضائل انسانية كريمة ، وانسان يدور في فلك القبيلة وحول محور الذات ، ولم يكن الشعر بعيدا عن تلك المعركة الحاسمة في تجذير الانسان وتغييره . – الانسان العربي بوجه خاص ، الذي عنى بهـــذا الشــــعر ونمـــاه – .

القرآن كتاب جديد ، ولغة جديدة ، وفكر جديد تتدفق البلاغة من آياته كانها الامواج ، قرا الانسان الجاهلي بعضـه ورسم صورتين اثنتين له ، صورة شعر لم يالفه ، وصورة من صور البلاغة الشاهقة ، اتت على بنائه البلاغي فامسى قزما ، وعليه ان يختار وكيف يختار ؟ هل يتخلى عن الشعر ؟ وهـل تظل للشعر قيمته ويظل له كيانه الشاهق بعد « طه .. ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » ؟ ودوت في مسامع الانسان الجاهلي صور لم يكن قد الفها لا في قلب الصحراء ولا بين سلاسل الجبال ، وهضاب الارض من حول الجزيرة ، صور عن عالم اسمه : الجنة تجري من تحتها الانهار ، وسرح بخياله في هذا العالم المنقى المصفى ، ليرى فيه حواء اكثر صفاء مما رسمها ، واتم حسنا مما صورها ، واحب اليه مما ارادها او الفها ، سمع بالخيرات الحسان ، حور : مقصورات في الخيام ، وسمع كلاما كانه البرق

يعصف به يستحثه ليرى اناسا آمنوا بالاخرة . وحق الوعد . ونالوا ما املوا . وراهم متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان . في جنة ذات فاكهة ونخل ورمان . سمعباللؤلؤوالمرجان. وانهار من عسل مصفى . وكائنات اجسامها من نور . ودنيا من العذاب فيها ماء من يحموم . وشجر من زقوم . ومرت امامه صور عن اقوام غابرة ، وحضارات دائرة . وعصور دائرة . وسمع قصصا مفصلا عن عدد لا يحصى من الانبياء . واذا به في عالم كانه الحلم يعصف به عصفا .

وتتصدع الابنية الجاهلية التي آثرها واحبها وصرف لها بناءه الشعري كله . ويتصدع بهذا التصدع الشعر انذاك الى اقسام . او قل يتقسم الشعراء انذاك الى اقسام .

اما قسم منهم فظلوا على ما هم عليه يطورون الشعرضمن خصائصه الاولى . وقد امتد الشعر بين ايديهم الى ان تمانتشار الفكر الاسلامي وغرس تياره في الانسان الجديد . مضافا اليه الثقافات الانسانية الكبرى التي ترعرعت من جديد في غير اوطانها . من فارسية ويونانية ورومانية . وهندية . ونعلم انها لم تنصب فجاة في الارض العربية ، وقسم من الشعراء استجابوا بسرعة مذهلة للفكر الاسلامي الجديد وكانت قراءتهم للقرآن . وصحبتهم لمحمد ((ص)) بمثابة شرارات حركت تلك الطاقات المكنوزة في اعماقهم والتي تدل على استجابة الانسان العربي للتجديد والتطوير . وحبه للانطلاق الفكري . وهذا ما اثبتته الانفجارات الفكرية التي رافقت العصر العباسي .

وقسم منهم استجاب للدعوة دون ان يدخل شعره معركتها. وهذا ما نخالف فيه معظم الذين ارخوا لادبنا .

وقسم رابع اقام بينه وبين الشعر سدا . واختار موقف التخلي عن هذا الطفل الاسطوري . ليتفرغ نهائيا الى الذوبان في ماء القرآن وفصاحة محمد .

ولاني ما قصدت التاريخ للشعر في هذا الحديث اكتفي بالتقسيم الذي ارتايته دون الخوض فيه . حتى لا اخرج عن الغرض . الا ان من يقرا على سبيل المثال يائيه مالك بن الريب . تلك القصيدة الاسطورة التي عرفت بعد نزول القرآن بعشرات السنين هل يرى فيها اي اثر للاسلام ؟ وهل يرى فيها اكثر من البناء الشعري الجاهلي بكل عباراته وموسيقاه وصوره وتشبيهاته ومعاناته ؟ بل هل يستطيع ان يرسم من خلال قراءتها اكثر من صورة الانسان الجاهلي الذي حددنا له خصائصه الفكرية والجمالية في شعره ؟

ومن يقرأ شعر متمم بن نويرة – وهذا صحابي – وقصة مقتل اخيه مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد مشهورة . ومرثيته التي انشدها بين يدي ابي بكر مشهورة ايضا . هل يرى في هذا الشعر غير البناء الشعري الجاهلي بكل قيمه وخصائصه ؟ وان هذه المرثية التي تقع في الغر الجياد السامقات من قصائدنا الخالدة . قطعة من النار تنصب حمما . فيها فخر الجاهلي بسيفه وخمره . وكرمه وقماره . وغربته امام ظاهرة الموت . ولاخيه مالك شعر لا يقل روعة عن شعره . ومن يقرأ شعر عبدالله بن عنمة الضبي وهو صحابي شهد فتح القادسية وشارك فيها ، هل يستطيع ادراج شعره الا في الديوان الجاهلي ؟

ومن يقرأ شعر المرار بن منقذ . وهو اسلامي عاصر جرير وبينهما مهاجاة . بماذا يقتنع بعد قراءة شعره حتى يدرجهتحت اسماء الشعراء الذين غزا الاسلام شعرهم وتاثروا فيه . وقد رويت له واحدة من غرره في المفضليات تصح ان تكون انموذجا مثاليا للشعر الجاهلي .

ساقتصر على ذكر هذه الاسماء وهي كثيرة جدا وجاء تصنيفها في سجل الشعر الاسلامي تاريخيا فقط . معنى هذا ان الشعر الجاهلي ظل متغلغلا الى ما بعد سقوط العرش الاموي . واذا كنا نتحدث عن الشعر الجاهلي وخصائصه علينا ان لا نقف ابدا عند نزول القرآن لنقصر شعرنا الجاهلي على الفترة الزمنية السابقة لنزوله . بل علينا ان نتغلغل مائة سنة اخرى على الاقل ونجمع قسما كبيرا من القصائد المتكاملة ونعتبرها شعرا جاهليا بكل خصائصه .

وهذا القسم من شعرنا الذي اصطلح على تسميته شعرا جاهليا يشمل نتاج الشعراء الذين لم يتاثروا بالاسلام لا من بعيد ولا من قريب . ونتاج الشعراء الذين اسلموا دون ان يطوعوا شعرهم لمفهوم الفكر الاسلامي .

حدثنا رواة ومؤرخون . ان رجلا طلب من لبيد بن ربيعة كتابة قصيدة من شعره فكتب له سورة البقرة . وقال . استبدلني الله الشعر بهذا .

وهذه القصة تدلنا على قسم من الشعراء بهرهم القرآن بلغته . وشدهم الاسلام الى حومته فتخلوا عن كتابة الشعر .

والكميت بن زيد الاسدي يمثل احد عباقرة شعرنا الذين كان القرآن شرارة فجرت فيهم طاقات هائلة من الشعر . فهو شاعر في جاهلياته . وشاعر في هاشمياته . وشاعر في كل ما كتب . وحسان بن ثابت يمثل جانبا من الشعراء الذين لم يتمثلوا الفكر الاسلامي ويعانقوا الشعر من خلاله . وملاحظة الاصمعي على شعره ذات قيمة عظمى في ان شعره سقط في الاسلام .

اذن نافذة الشعر الجاهلي ظلت مفتوحة للتجارب الخصبة زمنا طويلا بعد الاسلام . وعندما اقول الشعر الجاهلي اعني فترة تمتد من قبل نزول القرآن بمائة وخمسين عاما الى ما بعد نزول القرآن بمائة عام تقريبا ولكنها لا تشمل شعرنا كله .

الهيثم بن عدي

بقلم

هادي حسين حمود

« تعتبر دراسة المؤرخين الاوائل للتاريخ الاسلامي مهمة جدا ، وذلك لاعتماد جمهور المؤرخين الذين جاءوا من بعدهم عليهم من جهة ، ولضياع اثار هؤلاء المؤرخين من جهة اخرى بسبب عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا . اما ما عرفناه عن هؤلاء ومؤلفاتهم فلا تتعدى النتف القليلة التي وردت في مصنفات الاخرين الذين جاءوا من بعدهم . وعلى هذا الاساس فان دراسة هؤلاء المؤرخين تعتبر شاقة ، ذلك لاننا نستطيع تقييم المؤرخ صاحب التصانيف الموجودة المنتشرة من خلال دراسة مؤلفاته . اما المؤرخ الذي فقدت آثاره فنحن لا نستطيع تقييمه بصورة صحيحة وعندئذ نضطر الى دراسة النتف الباقية من مؤلفاته تلك التي وردت عند غيره من المؤرخين الذين اخذوا عنه » (١) . ومهما يقال عن مثل هذه الدراسات التي قد تتصف بعدم الاحاطة والشمول ، فهي في اعتقادي الطريقة الوحيدة الممكنة في الوقت الحاضر لدراسة مثل هؤلاء المؤرخين .

سنحاول في هذه الدراسة القصيرة للهيثم بن عدي ، ان نتعرف على حياته ومؤلفاته ، ومدى مساهمته في تدوين التاريخ الاسلامي ، كما اننا سندرس طريقة بحثه في هذا التاريخ وذلك من خلال النصوص الباقية له في المؤلفات التي اخذت عنه ولا سيما في تاريخ الطبري . وهذه النصوص الباقية هي من القلة بمكان لا يسمح للباحث ان يكون صورة واضحة نهائية عنه من خلالها من ناحية الاسلوب او العرض . وعلى كل حال فمن هو الهيثم بن عدي ؟ ومن هم اساتذته ؟ وما مدى استفادة المؤرخين منه ؟ وما هي كتبه ومؤلفاته ؟ وما هو منهجه في البحث التاريخي ؟ تلك امور سأتحدث عنها في هذه المقالة ، وانا مشدود الى مصادري القليلة عنه .

ولد الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن الطائي في الكوفة في او قبيل سنة ١٣٠هـ (٢) . وابوه عدي « ... صحيح النسب من طي ، من ثعل ، وكان نازلا بواسط من خير الناس » . (٣)

(١) قلت ذلك في حديثي عن « ابي مخنف » و « المدائني » المنشورين في مجلة البلاغ عددي (نيسان ١٩٦٩) ، و (كانون الثاني ١٩٧١) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ١٥٨ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج١٩ ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص٣٠٤ .

(٣) القفطي ، انباه الرواة على انباه النحاة ، ج٣ ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص ٣٦٥

اما امه فكانت من سبي منبج (٤) . وقد ولد الهيثم في الكوفة ، ونشا فيها ، ثم انتقل الى بغداد وحدث بها ، وقد اختص بمجالسة خلفاء بني العباس مثل المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم (٥) . وقيل ، وقد تكون هذه تهمة ، انه كان على رأي الخوارج (٦) . كما كان له علم واشتغال بالحديث النبوي (٧) . وفي بغداد حدثت له حادثة مهمة ، وهي ان بني الحارث بن كعب صاهروه ، والظاهر ان العلاقات لم تكن حسنة بينه وبينهم فاتهمه هؤلاء بانه كان قد تحدث بشيء غير حسن عن العباس بن عبدالمطلب جد العباسيين ، وشكوه الى الخليفة الرشيد ، فحبس لعدة سنوات ولم يزل القوم به حتى طلق زوجته (٨) . وكان للهيثم بن عدي مجلس علم في بغداد يجتمع فيه طلاب العلم والمعرفة ويتدارسون على الهيثم، وقد حضر هذا المجلس مرة في المرات الشاعر الشهير ابو نؤاس فلم يجد عناية من الهيثم او ربما كان الهيثم لايعرف هذا الشاعر، فترك ابو نؤاس المجلس غاضبا ، فلما عرف الهيثم بالامر اسرع يعتذر من ابي نؤاس الذي كان قد نظم شعرا في هجائه (٩) . والظاهر ان الهيثم لم يكن شخصا محبوبا في بغداد ، لان حب الاستطلاع لديه كان كثيرا . وكانت رغبته في جمع الاخبار تصل به الى حد التجسس على الناس ، ومحاولة معرفة كثير من اسرارهم الخاصة وعيوبهم الشخصية « .. وكان الهيثم يروي تلك الاخبار على وجوهها ويشيع ما كتموا ، فكرهه الناس من اجل ذلك ، ووشوا به الى الولاة ، واغروا به الشعراء فاوسعوه هجوا ... » (١٠) .

توفي الهيثم بن عدي سنة ٢٠٧هـ بفم الصلح عند الحسن بن سهل (١١) . وقد بلغ من العمر -٧٣- سنة . هذا مجمل ما تحدث به المؤرخون عن الهيثم اما علاقته باولي الامر فالظاهر

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، (بيروت ، بدون تاريخ) ، ص ٥١

(٥) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص١٥٨

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ، ص٢٣٤

(٧) القفطي ، المصدر السابق ، ص٣٦٨

(٨) ياقوت ، المصدر السابق ، ص٣٠٥-٦

(٩) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤

(١٠) ادهم ، علي ، بعض مؤرخي الاسلام ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص١٩

(١١) ابن النديم ، الفهرست ، (القاهرة ، بدون تأريخ) ، ص ١٥١ . اما فم الصلح فهو نهر كبير فوق واسط

انها كانت سطحية ، ولا تظهر لنا النصوص التي بايدينا ما يفيد بان الرجل كان مادحا للخلفاء الذين عاصرهم بالشكل الـذي يجعله يزيف التاريخ اكراما لهم ، وان كان الطبري قد روى عنه قليلا من اخبار الخليفة المنصور فيها شيء من المدح .

شيوخ الهيثم :

تتلمذ الهيثم بن عدي على جماعة من علماء عصره منهـم هشام بن عروة ومحمد بن اسحق صاحب السيرة النبويـة ومجالد بن سعيد ومحمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن ابي عروبة وشعبة بن الحجاج وعبدالله بن عياش وعوانـة بن الحكم (١٢) . وما دامت النصوص التي بايدينا من مرويات الهيثم تأتي عن طريق ثلاثة من هؤلاء الرواة وهم : مجالد بن سعيد وعبدالله بن عياش وعوانه بن الحكم ، سنحاول ان نتعرف على قيمة اختصاصات هؤلاء وما اخذه الهيثم عنهم .

اما عوانه بن الحكم فهو « .. من علماء الكوفة راويـة للاخبار عالما بالشعر والنسب ، وكان فصيحا ضريرا ... » (١٣) وقد ظهر هذا « .. قبل شيوع الكتب المدونة ... » (١٤) واذا ما عرفنا ان عوانة هذا قد توفى سنة ١٤٧هـ (١٥) ، يتضـح لنا ان الهيثم اخذ عنه وهو في بداية مراحله الدراسية الاولى ولربما في الكوفـة .

اما مجالد بن سعيد فكان الهيثم « ... يروي عنه ويكثر وكان راوية للاخبار وقد سمع الحديث وكان ضعيفا عند المحدثين وتوفى سنة اربع واربعين ومائة . » (١٦) و « كان نسابا والاغلب عليه رواية الاخبار ... » (١٧) والظاهر انه كان من اوائل شيوخ الهيثم ايضا . اما عبدالله بن عياش المعروف بالمنتوف الهمداني فكان « ... صاحب رواية للاخبار ، والاداب ، وكان من صحابة ابي جعفر المنصور ... » (١٨) والظاهر انه كان جريئا في كلامه حتى مع المنصور ، توفى سنة ١٥٨هـ وحدث عن عامر بن شراحبيل الشعبي (١٩) .

يتضح لنا من هذا العرض البسيط لشيوخ الهيثم انه اعتمد في مروياته على رجال عرفوا بروايـة الاخبار والاشعار والنسب وقد اشتهروا في ذلك الاختصاص . هذا من جهة ، واما من جهة اخرى فان وفيات هؤلاء في السنين الاولى مـن تكوين الهيثم الثقافي يبين لنا انه ربما اعتمدهم في مسائل قد لا تأتي بالدرجة الاولى بالنسبة لما رواه عن غيرهم ولو اننا لا نستطيع اثبات او نفي ذلك لفقدان اثار الهيثم في الوقت الحاضر . هذا ومن العبث ان نتحدث عن بقية شيوخ الهيثم ، لاننا بصدد دراسة النصوص المتوفرة لدينا حاليا والتي جاءت عن طريق الشيوخ الذين ذكرناهم آنفا .

---

(١٢) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ص٥٠-٥١

(١٣) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠

(١٤) مرغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، (بيروت ، بدون تأريخ) ، ص٩٧

(١٥) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٤٠

(١٦) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٣٩

(١٧) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص٢٣٤

(١٨) الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص١٥

(١٩) الخطيب ، ج١٠ ، ص١٦

روى عن الهيثم كثير من العلماء فهم : العلاء بن موسى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات وكاتب الواقدي ، والقاسم بن سعيد بن المسيب ، وعلي بن عمر الانصاري ، واحمد بن عبيد بن ناصح وغيرهم (٢٠) .

مؤلفات الهيثم ومدى استفادة المؤرخين منها :

ذكر ياقوت الحموي (٢١) وابن النديم (٢٢) مؤلفات الهيثم بن عدي حينما ترجما لحياته . ويمكن تقسيم هذه المؤلفـات بحسب المواضيع التي تناولتها الى الاقسام التالية :

١ ـ الكتب التاريخية :

ويمكن ان ندرج من هذا النوع الكتب التالية :

تاريخ العجم وبني امية ، اخبار زياد بن ابيه ، الوفود ، الصوائف ، الخوارج ، طبقات من روى عن النبي (ص) مـن الصحابة ، الحسن بن علي ووفاته ، اخبار الفرس ، مقتـل خالد بن عبدالله القسري ، اما كتابه المسمى ب « التاريخ على السنين » فهو كما يرى روزنثال من المحاولات الاولـى لتـدوين التاريخ الاسلامي على طريق الحوليات ، والتي سبق فيها الهيثم المؤرخ الشهير الطبري في هذا المجال (٢٣) . ويقول الدوري ان الهيثم اكد في هذا الكتاب على « ... فكرة وحـدة تجـارب الامة » (٢٤) .

٢ ـ كتب المفاخرات والصراع القبلي والانساب واخبار القبائل :

تحت هذا العنوان ندرج الكتب التالية : ـ

كتاب المثالب ، مديح اهل الشام ، حلف كلب وتميم وحلف دهبل وحلف طي واسد ، المثالب الصغير ، المثالب الكبير ، مثالب ربيعة ، تاريخ الاشراف الصغير ، بيوتات العرب ، بيوتات قريش ، اخبار طي ونزولها الجبلين ، فخر اهل الكوفة على اهل البصرة ، مداعي اهل الشام ، اما كتابه المسمى (كتاب الاشراف الكبير) فيقول الدوري عنه انه يعبر « .. عن نظرة الارستقراطية العربية الى مكانها في المجتمع الاسلامي ويعبر عن فكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب » (٥) .

٣ ـ كتب الخطط والبلدان والادارة :

وقد الف الهيثم فيها الكتب التالية :

كتاب الدولة ، هبوط آدم وافتراق العرب في نزولها منازلها ، نزول العرب بخراسان والسواد ، الجامع ، ولاة الكوفة ، شرط الخلفاء ، قضاة الكوفة والبصرة ، عمال الشرط لامراء العراق ،

---

(٢٠) الخطيب ، ج١٤ ، ص٥١

(٢١) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٠٩-٣١٠

(٢٢) الفهرست ، ص١٥١-٥٢

(٢٣) روزنثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، (بغـداد ، ١٩٦٣) ، ص١٠٤-٥

(٢٤) الدوري ، عبدالعزيز ، بحث في نشأة علم التاريخ عنـد العرب ، (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص١٣٤

(٢٥) الدوري ، نفس المصدر ، ص١٣٤

اما كتابه المعروف باسم خطط الكوفة فقد اهتم فيه بالشؤون المحلية كما يقول الدوري (٢٦) .

٤ ـ كتب مختلفة :

وهي كتب متنوعة المواضيع عالج فيها الهيثم بعض المسائل في التاريخ العربي والاسلامي ويمكن ان ندرج منها ما يلي :

المعمرين ، النوافل ، من تزوج من الموالي من العرب ، اسماء بغايا قريش في الجاهلية واسماء من ولدن ، النكد ، تسمية الفقهاء والمحدثين ، منتخل الجواهر ، المحبر ، خطب المفرس بمكة والمدينة . خواتيم الخلفاء .

هذا ويمكن ملاحظة ما يلي على هذه المؤلفات :

١ ـ ان هذه الكتب ، في اعتقادي ، ما هي الا كراريس صغيرة تناولت موضوعات تاريخية ذات وحدة موضوعية قائمة بذاتها ، وهي لا ترقى ، باي حال من الاحوال ، الى مرتبه الكتب الضخمة التي الفت فيما بعد . واذا جاز لنا ان نجعل الهيثم من طبقه المدائني مثلا ، فيمكن القول ان مؤلفات هذه الطبقة كانت لمساعدة الذاكرةوعدم النسيان ، وليست هي مؤلفات بالمعنى الصحيح (٢٧) .

٢ ـ ان مؤلفات الهيثم هذه مفقودة كلها عدا كتاب المثالب الموجود في مكتبه كرنكو (٢٨) .

٣ ـ يذكر بروكلمان (٢٩) ان الهيثم الف بسبب تنافس القبائل وصراعها ، وفي هذا القول شيء من التعميم غير الصحيح اذ ان كثيرا من هذه المؤلفات كانت تنطوي على مواضيع تاريخية لا علاقة لها بصراع القبائل ، وان كان جزءا منها قد مثل هذه الناحية .

٤ ـ استفاد كثير من المؤرخين من مؤلفات الهيثم ، ومن هؤلاء الطبري والبلاذري والمسعودي ووكيع وابن قتيبه في كتابه « عيون الاخبار » وغيرهم .

فالطبري اخذ عن الهيثم اخبار هشام بن عبدالملك وخالد القسري وثورة زيد بن علي ومقتله واحداث سنة ١٢٩هـ ، وخروج عبدالله بن علي على المنصور واحداث سنة ١٣٧هـ وقدوم ابي مسلم الخراساني على السفاح ووفاة السفاح ، وبناء بغداد وغيرها (٣٠) . كما كان الهيثم مصدرا مهما للطبري في احاديثه عن عصر الخليفة المنصور بشكل واسع وكبير (٣١) .

وقد استفاد البلاذري من الهيثم في كتابه «فتوح البلدان»، فذكر عنه اخبار البصرة ، وفتح شراحبيل ابن حسنه الاردن ، ومصالحه المسلمين اهل دمشق ، وفتح وادارة المسلمين للمدائن، وبعض اخبار سجستان واخبار الخوارج فيها ، وفتح بلاد الشاش ، واسكان قتيبة بن مسلم العرب في فرغانه والشاش (٣٢). كما استفاد منه في الجزء الخامس من كتابه « انساب الاشراف » حيث روى عنه اخبار عبدالملك بن مروان والمختار ، وحركة التوابين ، واخبار مصعب بن الزبير ومقتله وغيرها من الاحداث (٣٣) .

وقد اخذ المسعودي قليلا من مرويات الهيثم حيث روى عنه بعض اخبار السفاح والمهدي وبني امية (٣٤) .

اما محمد بن خلف بن حيان المسمى « وكيع » فقد كان الهيثم مصدرا مهما له في اخباره عن قضاة الكوفة (٣٥) وقد اورد ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد بعض الاخبار عن الهيثم(٣٦) . كما استفاد من الهيثم قليلا ابن قتيبة الدينوري في كتابه « عيون الاخبار » .

ان المتتبع لاخبار وآراء الهيثم التي وردت في كتب التاريخ والادب يجدها كثيرة متفرقة في اجزاء كثيرة من الكتب ، ولكن السمة العامة لهذه الاخبار تكون عادة قصيرة وفي بعض الاحيان غير هامة .

واذا ما قورن الهيثم بن عدي مثلا بابي مخنف والمدائني وسيف بن عمر وغيرهم من رواة الطبري فلا تكون مروياته شيئا مذكورا بالنسبة الى هؤلاء المؤرخين .

مناهج البحث عند الهيثم بن عدي :

قد يكون من التجوز بمكان ان نقول انه كان للهيثم مناهج بحث كما هو معروف في الدراسات التاريخية الحديثة . والذي نقصده هنا هو ايضاح طريقة الهيثم في عرض الاحداثالتاريخية من ناحية الاعتماد على السند او عدمه ، او استخدام الشعر ، او الآيات القرآنية ، او الوثائق او غيرها . وقبل التحدث عن هذه الامور لابد من التاكيد على ناحية هامة في هذا المجال ، وهي اسلوب الهيثم في الكتابة التاريخية .

ان الهيثم ليس هو الراوي الاصلي للاحداث التي وردت عنه ، وانما كان بينه وبين الاحداث التي كان يرويها اكثر من راو . هذا وقد استعمل طريقة الاخذ عن الرواة حتى في الاحداث المعاصرة له الامر الذي يجعل من الصعوبة حقا التعرف على اسلوب خاص للهيثم . واذا جاز لنا ان نستشف من هذه الروايات اسلوبا خاصا يمكن ان يميز الهيثم عن غيره فيمكن

---

(٢٦) الدوري ، نفس المصدر ، ص٤١

(٢٧) مرغوليوث ، المصدر السابق ، ص٩٩

(٢٨) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص٣٣-٤

(٢٩) بروكلمان ، نفس المصدر ، ص٣٤

(٣٠) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، (القاهرة ، ١٩٦٦) صفحات : ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ٢٥٥ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦١٥

(٣١) الطبري ج٨ ، صفحات : ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٧٦

(٣٢) البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (بيروت ١٩٥٧) صفحات ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ٣٩٠ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦

(٣٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، (القدس ، ١٩٣٦) صفحات : ١٣٦ ، ٢٣١ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٣٤٠

(٣٤) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، ج٣ ، (القاهرة ، ١٩٤٨) صفحات : ٢٢٣ ، ٢٥٨ ، ٣٣١

(٣٥) وكيع ، محمد بن خلف ، اخبار القضاة ، ج٢ ، (القاهرة، ١٩٤٧) ، صفحات ٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤-٢٢١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٨-٩ ، ٤١٣ .

(٣٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٦٧) صفحات ١٥٨ ، ١٤٨ ، ٤٠١ ، ٤٢٩

القول ان اغلب الروايات التي رواها كانت تاخذ شكل محاورات بين المشتركين في الاحداث التاريخية (٣٧) . كما ان اسلوب الهيثم في عرض الاحداث التاريخية كان قصيرا ، وكانت الروايات التي ترد عنه مختصرة بشكل عام (٣٨) . هذا من ناحية الاسلوب . اما من ناحية مناهج البحث الاخرى فيمكن ان تجمل ما يلي :

اولا : ان الهيثم بن عدي كان يستخدم السند في رواياته التاريخية ، وكانت اغلب الروايات ترد عن طريق الشيوخ الثلاثة الذين اخذ عنهم ، فهي اما ان تاتي عن طريق الهيثم عن مجالد ، عن الشعبي وتصل الى ابن عباس في بعض الاحيان (٣٩) . او تاتي عن طريق عبدالله بن عياش الهمداني (٤٠) . وقد تأتي عن طريق ابن الكلبي (٤١) ، وهي قليلة جدا . هذا وقد استخدم الهيثم احيانا قليلة اخبارا رواها عن بعض اهل الكتاب (٤٢) . ولم ياخذ الهيثم عن شيخه عوانه بن الحكم الا قليلا من الروايات حسب ما توفر لدينا من النصوص الباقية (٤٣) . وعموما يمكن القول بان الرجل استخدم السند كثيرا ، الامر الذي يجعل من تهمه الدوري له في التساهل باستعمال السند (٤٤) لا تقوم على اساس واقعي .

ثانيا : وردت في تاريخ الطبري وغيره كثير من الروايات التي تحدث بها الهيثم مباشرة عن احداث تاريخية خاصة ، واغلب هذه الروايات كانت من الاحداث المعاصرة ، ولا سيما من عصر المنصور ، وحتى من عصور بعيدة عن عصر المؤلف (٤٥) .

ثالثا : استخدم الهيثم قليلا من الشعر في مروياته (٤٦) .

رابعا : لم يستخدم الهيثم ، وهو المؤرخ المعاصر لبعض الاحداث التي كان يرويها ، الوثائق ، كما انه لم يستعمل الآيات القرآنية المناسبة .

خامسا : اهتم الهيثم بصورة عامة في احداث العراق وخراسان في عصر عبدالملك وثورات العراقيين على الخلافة الاموية ، كما انه اهتم بالصدر الاول من تاريخ الدولة العباسية ولا سيما عصر المنصور .

سادسا : يذكر الدكتور الدوري ان الهيثم يجمع في دراساته بين الدراسة التاريخية ودراسة الانساب وذلك نتيجة وجهات نظر مختلفة في هذه الدراسات (٤٧) . وهذه ملاحظة لم نجدها في النصوص المتوفرة من روايات الهيثم .

سابعا : يذكر بروكلمان (٤٨) ان الهيثم كان يهتم فيما يرويه بصراع القبائل . وهذه ملاحظة صحيحة حيث ان الهيثم الف كتبا في هذه المسائل ، وان كان قد الف في مواضيع اخرى كما ذكرنا سابقا . وفي ايدينا بعض النصوص التي ربما تؤيد اتجاه الهيثم الى مسالة الصراع القبائلي ، فقد ذكر هو عن بعض الرواة قوله « ... كنت كثيرا ما اقول لاصحابي : اني احسب هذا الرجل (خالد القسري) قد تخلى منه ، ان قريشا لا تحتمل هذا او نحوه ، وهم اهل حسد ... » (٤٩) . وفي اخبار خالد القسري ايضا يروي الطبري نصوصا اخرى عن هذه المسائل القبلية كقول الوليد بن يزيد بعض الشعر « يوبخ به اهل اليمن في تركهم نصرة خالد بن عبدالله » (٥٠) والرواية منقولة هنا عن الهيثم . وفي نص اخر يورد الهيثم بن عدي رأي يوسف بن عمر ، وهو والي الكوفة الذي تولى امرها بعد خالد القسري ، الذي يبين فيه ان « .. بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا ، حتى كانت همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الاموال فقووا بها حتى تاقت انفسهم الى طلب الخلافة ... » (٥١) . هذه بعض النصوص التي ربما تعين على ايضاح اهتمام الرجل في ذلك الصراع القبلي العنيف ، والتي حفظت لنا في تاريخ الطبري مروية عن الهيثم .

تقييم مرويات الهيثم :

تحدث كثير من المؤرخين وعلماء الحديث عن قيمة مرويات الهيثم بن عدي ومدى صحتها . وسنحاول فيما يلي ان نبين اهم الاراء التي قيلت في هذا الرجل ، وفي مروياته ، محاولين ان نكون من خلال هذه الاراء صورة صادقة عنه .

اورد الخطيب البغدادي كثيرا من الاحاديث حول كذب الهيثم ، وعدم الوثوق في مروياته ، ولا سيما فيما يتعلق بالانساب والحديث ، ولكنه بين ان الهيثم كان عارفا باخبار الناس (٥٢) . وذكر الذهبي ايضا احاديث عن كذب الهيثم ، ونقل روايات عن البخاري والنسائي حول كذبه ، وبانه متروك الحديث ، كما اورد نصا عن احد العلماء قال فيه « ما اقل ما له (للهيثم) من المسند ، انما هو صاحب اخبار » . وقد علق الذهبي على هذه الاحاديث بقوله « كان اخباريا علامة » (٥٣) . وذكر ابن ابي حاتم الرازي مجموعة من الروايات عن كذب الهيثم ، وعدم

---

(٣٧) انظر مثلا ، الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢ ، ٣٤٩ ، ٦١٥ ، ج٨ ، ص٧٨ ، ٨٤ ، ١١٣-١٤ ، ١٧٦

(٣٨) يلاحظ ذلك في مروياته التي اوردها الطبري في الجزئين السابع والثامن من تأريخه ، وكذلك في عيون الاخبار لابن قتيبة ، وانساب الاشراف للبلاذري ، وغيرها من الكتب

(٣٩) انظر سبيل المثال ، الطبري ، ج٢ ، ص٣١٥ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص٣١١

(٤٠) تكاد تكون كافة الروايات التي وردت عن الهيثم في تأريخ الطبري والبلاذري في الانساب وابن قتيبه في عيون الاخبار مأخوذة عن شيخ الهيثم ابن عياش

(٤١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٩٠

(٤٢) محمد بن حبيب ، المحبر ، (حيدر آباد ، ١٩٤٢) ، ص٢ ، الطبري ، ج٢ ، ص٢٣٨

(٤٣) العقد الفريد ، ج٢ ، ص٤٠١ ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٤) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢-٤٣

(٤٥) الطبري ، ج٧ ، ٣٤٩ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ج٨ ، ١٠٢ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١١٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣

(٤٦) الطبري ، ج٨ ، ص٩٨ ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص١٤٠

(٤٧) الدوري ، المصدر السابق ، ص٤٢

(٤٨) تاريخ الادب العربي ، ج٣ ، ص٣٣

(٤٩) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢

(٥٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص٢٤٣

(٥١) الطبري ، ج٧ ، ص٢٥٥

(٥٢) تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٥٢-٣

(٥٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، القسم الرابع ، (القاهرة . بدون تاريخ) ، ص٣٢٤

الثقة فيما يقول ، وقال ابن ابي حاتم انه سال والده عن الهيثم فقال له « متروك الحديث ... » (٥٤) . واورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان (٥٥) ، ولعل احدهما اخذ عن الاخر ، نصا بينا فيه ان الهيثم كان « راوية ، اخباريا ، نقل من كلام العرب وعلومها واشعارها ولغاتها الكثير ... » (٥٦) . وقال ابن النديم في الهيثم « ... عالم بالشعر والاخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب ... » (٥٧) .

اذا نحن امام روايات مختلفة حول قيمة مرويات الرجل ، تمثل المجموعة الاولى منها ، وهي التي ترمي الهيثم بالكذب ، موقف رجال الحديث من الهيثم . ولو نظرنا الى بعض هذه الروايات لوجدناها لا تبخس الرجل حقه في مجال رواية الاخبار. اما المجموعة الثانية من هذه الروايات فهي اراء المؤرخين ، وقد بينت هذه الروايات قيمة الهيثم ومروياته في مجال التاريخ والانساب ووثقته فيهما لقد بين الاستاذ احمد زكي طبيعة هذه المشكلة حيثما تحدث عن هشام الكلبي (٥٨) . فقال ان هشام وممن هم على شاكلته ، ومنهم الهيثم بن عدي في اعتقاد كاتب هذه المقالة ، قد « تعرضوا لرواية الاثار دون ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لاملاء الحديث ... » وهذا الامر هو الذي دعا رواة الحديث الى « ... الطفى على امثال اولئك المصنفين والتحذير من الاخذ باقوالهم » (٥٩) والظاهر ان هذه المشكلة قد ابتلى بها اكثرية المؤرخين الاوائل ومنهم هشام الكلبي والهيثم بن عدي وغيرهم .

لقد اتهم رجال الحديث مثل هؤلاء المؤرخين بالكذب في قضايا الاحاديث ، وامتدت هذه التهمة الى كتابات هؤلاءالمؤرخين التاريخيـــة .

لقد استفاد كشرف المؤرخين من مرويات الهيثم ، وان كانت هذه الاستفادة قليلة ، فقد كان ، كما ذكرنا ، احد رواة الطبري . ومصدرا من مصادر البلاذري في كتابيه « فتوح البلدان » و « انساب الاشراف » ، كما اعتمده ابو حنيفة الدنيوي في كتابه « الاخبار الطوال » ، كما اخذ عنه ابن قتيبة الذي كان يتشدد كثيرا في قبول الروايات . ولم يشر المسعودي في مقدمة كتابه « مروج الذهب » الى الهيثم حينما تحدث عن ضعاف المؤرخين (٦٠) .

هذه الامور وغيرها تؤكد مكانة الهيثم فيالدراساتالتاريخية، وان كانت هذه المكانة لا تصل به الى مرتبة المدائني وابي مخنف وابن الكلبي وغيرهم (٦١) . واذا كان لنا ان نقول شيئا عما اورده هذا المؤرخ عن الذين عاصرهم ، الامر الذي قد يؤدي الى تحيزه لهم ، فيمكن القول بان ما رواه عنهم ما كان ليخالف بقية الروايات الاخرى المروية عن غيره عنهم .

وبعـــد :

فهل استطعنا ان نقيم الهيثم بن عدي حقا ؟

في اعتقادي ان الهيثم سوف لن يقيم بصورة صحيحة ما دامت مؤلفاته مفقودة ، ذلك لان النصوص الواردة عنه في تاريخ الطبري وغيره غير كافية لاظهار ارائه ومناهجه بصورة واضحة، اضافة الى انها لا ترد عنه مباشرة حيث ان بينها وبين راوي الحادثة المباشر اكثر من راو ، وعندئذ لا نستطيع ان نتعرف من خلالها ـ بصورة اكيدة ـ على اسلوب الهيثم ولا على ارائه ونوازعه السياسية والمذهبية ، وهي امور لابد من التعرف عليها واظهارها ونحن في مجال مثل هذه الدراسات النقدية . وما هذه الدراسة الا محاولة بسيطة للتعرف على بعض جهوده في مجال التـــاريخ .

---

(٥٤) الرازي ، ابن ابي حاتم ، الجـــرح والتعـــديل ، ج٤ ، (حيدر آباد ، ١٩٥٣) ، ص٨٥

(٥٥) معجم الادباء ، ج١٩ ، ص٣٠٤ ، ابن خلكان ، وفيـــات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٧ .

(٥٦) اورد كل من ياقوت الحموي وابن خلكان هذا النـــص في كتابيهما مع فارق بسيط جدا

(٥٧) الفهرست ، ص١٥١

(٥٨) مقدمة الاستاذ احمد زكي لكتاب « الاصنام » لابن الكلبي، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص١٣

(٥٩) نفس المصدر ، ص١٣

(٦٠) مروج الذهب ، ج١ ، ص١٢ــ١٧

(٦١) درس كاتب هذه المقالة هؤلاء المؤرخين وكتب عنهم فياجزاء متعددة من مجلة البلاغ .

علاقـــة المندائيـــة بالعربيـــة

بقلــم
اديبة الخميسي

لا يختلف اثنان حول سيطرة البيئة على اللغة المحكية وقد أخذت مسلماتها ذريعة للتقاعس في البحث . فالكتب المحفوظة ليست بمنأى عن الدخيل نظرا لحركة الاقتبـاس والنقــل والاستنساخ المقصود مقابل ذلك تنمو فعاليات غير مقصودة على أصعدة مختلفة ، فما يجري بين الدول من تنافس وغزو على المواقع العسكرية والسياسية يحصـل بـين اللغـات ، فالغزو اللغوي او الفكري يتبع الغزو السياسي ، وربما يحدث العكس ، ولو نقبنا بين الكتب عن مدى الامتزاج بين اللغة العربية واللغة الارامية او احد فروعها وهو ما نعنيه بهذه المقالة اي اشتباك الارامية ـ المندائية بالعربية لما عثرنا على ادلة واضحة تقرب للافهام الازدواج اللغوي الذي حدث بالفعل اثناء انتقال السيادة من الارامية الى العربية ، وتبقى المسألة صامدة امام أي فاتح لغوي لا يجيد الغوص في خفاياها ودقائقها ، وان مايدرج هنا مجردهيكل يمكن المتابع للموضوع حسب خبرته ان يجد في اطاره مكانا منطقيا يسهل له معرفة عموميات الظاهرة اذا ما حاول دراستها

كان الاولون يفخرون بلغتهم الى حد المبالغة والتباهــي وصدرت عنهم احكام عاطفية بحتة ، وفي تصورهم ان الارامية تبوأت أعلى مكانة يمكن ان تبلغها لغة على وجه البسيطة ، وعلى هذا الاساس الفوقي الواهي كتبوا فيها ، وعلى سـبيل الاستشهاد نورد قول ابي الفداء ونناقشه : ـ « .. امة السريان هي اقدم الامم وكلام آدم وبنيه بالسرياني وملتهم هي ملـة الصابئين » (١) . وهكذا شأن جميع علماء السامية والـكتاب الاوائل فهو يمثل شعور التعصب الذي كانوا يحملونه للغتهم حتى جعلوها لغة آدم التي نطق بها ووجدوه قليلا بحقها ايضا فصارت لغة ادم في الجنة ولغة السماء ولغة البشر بعد الموت (٢) . ولعل ابا الفداء كان مؤيدا للكلام بحذافيره لما دونه بالنص عن احدهم ولم يدحضه بحجة ولربما تأثر برأي اليونانيين الـذين سموا اللغة العربية ـ ليست العربية الحالية ـ باللغةالسريانية خطأ ، وهي اللغة التي كانت تتداولها الاقوام القديمة خاصة تلك التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة ، وهي لغة واحدة من اليمن الى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء (٣) . ولكنه غطى على التعميم بالتخصيص ، وكما هو معروف ان لغـات عديدة كانت تنضوي تحت جنح السامية من بينها الارامية والعربية ، والسريانية تسميـة أعقبت دعوة المسيح اطلقها الكلدان والآثوريون (الاراميــون الذين كانوا يسكنون سوريا وفلسطين) على انفسهم ليتميزوا

(١) المختصر في أخبار البشر لابي الفداء (مصر ١٣٢٥) ص ٨١.
(٢) اللسان العربي (الرباط ١٩٧٢) ج ٩ / الجزء الاول ، ص ٧٠ .
(٣) نفس المصدر السابق .

عن الوثنيين وليظهروا تمسكهم واعتزازهم بالدين المسيحي (٤) . وملة الصابئة لا تنتمي الى ملة المسيحيين او غيرها من الملل فهي خاصة باصحابها بصرف النظر عن القرابة العائلية التي تربط يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وكذلك تعاقبهما على الرسالة السماوية مما يبعث على الظن بالتشابه واستمرار المبادىء الدينية وهو ما لم يحصل ، والصفة التاريخية بقيت كما هي لان كلا منهما سار على نهج خاص به ، واقصد بالصفة التاريخية ما اعتمدت عليه اوليات الدين المسيحي حينما عمد يحيى المسيح وباركه وبشر به نبيا ومنقذا للبشرية من الظلم والاستبداد ، فملة السريان مسيحية بحتة ولا علاقة للـدين المسيحي بالدين الصابئي الذي يختلف عنه جملة وتفصيلا .

ولو فسرنا القول من وجهة اخرى كان يفترض انالاراميين كانوا يعتقدون ان آدم وبنيه منهم ، كما يوحي به النـص ويحتمله ، فهو قول أوحد لم يعزز بغيره او لم يقل أحد ـ لا قبل أبي الفداء ولا بعده ـ ان لسانهم بالسرياني لان كلمةالسريان مأخوذة من كلمة (سوريا) الارامية أي نصراني (٥) ، وان الاراميين كما في المدونات الاثارية لم يكونوا اقدم الامم لان هناك من سبقهم بالوجود والحضارة كالمصريين والسومريين والاكديين والاشوريين والكنعانيين والحثيين ، وانهم خلافا لهذه الاقوام جميعا كانوا بدوا اميين (٦) ، ولحد الان لم يهتد الى اصلهم وكأن تاريخهم بدأ حينما هجروا موطنهم الجزيـرة العربيـة وظهروا على مسرح الاحداث في منطقة الهلال الخصيب حتى ذاك التاريخ كانت دياناتهم السابقة مجهولة وكل ما قيل عنهـا محض افتراض (٧) . فان كان يقصد بالصابئة من كلامه السابق معتنقي الوثنية فدونه جميع الاقوام القديمة التي كانت تدين بها قبل مجيء الرسل والانبياء ، وليس الاراميون فقط ، ان غرضنا من طرح المثال هو استطلاع رأي أحد مفكري العرب القدماء حول لغة الديانات القديمة المشهورة انذاك وموقع اللغة الارامية بينها ، فاذا تغلب الهوى على الاجداد فما احوجنا الى رأي علمي مجرد ينتزع الحقيقة وأن كانت مبطنة بالصعاب . فمن هم الاراميون اذن ، وما هي لغتهم ؟ يؤكد المؤرخون ان الاراميين قوم عرفوا في الهلال الخصيب لاول مرة اي عندما تعاقبوا عليه في هجرات متتابعة لا يعرف زمنها بالضبط ويعتقد انها كـانت بين القرنين الرابع عشر والثاني قبل الميلاد (٨) . وذلك عندما

(٤) دليل الراغبين في لغة الاراميين (الموصل ١٩٠٠) ص ٩ـ١١ .
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) مجلة سومر ١٩ (بغداد ١٩٦٢) ص ١٣٢ .
(٧) نفس المصدر السابق ص١٤٧ .
(٨) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح (بيروت ١٩٦٨) ص ٥١ .

عمّ القحط الجزيرة العربية فهربوا منها طلبا لحياة اكثر رخاء ووجدوا في موطنهم الجديد ما افتقدوه هناك لكنهم اخطأوا الموقع والسياسة الداخلية ، اذ اختاروا بقعة أرض تقع على طريق الفتوحات فكانت مطمح الدول المجاورة الطامعة في الاستيلاء عليها ، وما لبثت الاطراف المتحاربة تثير الفتن والثورات ثم وحدت قواها ضدهم ، وكانت تتحين الفرص وتترقب السوانح للاطاحة بهم ، واخيرا شكلت طوقا محكما حولهم من جميع الجهات ، وما كان لهذه الدولة الممزقة ذات الامارات المتنافرة الا ان تسقط ، فالاراميون على ذكائهم وبراعتهم في العلوم والتجارة كانوا يجهلون لعبة السياسة وقد أدت وطأة الحروب الى زعزعة كيانهم واستهلكت قواهم التي كانت في حالة استنزاف داخلي لتفرقهم وفشلهم المتواصل في تكوين دولة موحدة قوية مستعدة لصد الاعداء ومحق الطامعين ، فرجحت كفة الطرف الاخر وازالوهم من الحكم ، ولم يحالفهم السعد اكثر من اربعة او خمسة قرون (٩) ، استطاعوا خلالها ان يؤثروا في المنطقة وينشئوا نهضة ثقافية استهدفت العلوم اليونانية الناضجة لتبحرهم في لغة اهلها ، فكانت معينا علميا كبيرا فقد قلبت الاوضاع لصالح المعارف الجديدة وانتشارها لسنوات عديدة ، ولا زالت لحد الان تحظى بالتقدير والاهتمام وتعد اللبنةالاولى للعلوم الحديثة . اما لغتهم فقد رفعت هامتها على منطقة شاسعة وكانت اللغة الوحيدة المرغوبة والمتداولة . وكما خبا نجمهم السياسي تضاءل المد اللغوي تدريجيا بعد الفتح الاسلامي وفرض العربية لغة دين ودنيا ، وبقي للارامية المخلفات الثقافية والمترجمات ، وبعد ان استأثرت العربية بالسلطان وجاءتها العلوم اليونانية متكاملة ترجمت الى العربية دون جهد كبير اعتمادا على الاصول السامية المشتركة .

من المناسب ان نذكر ان الارامية لم تسلم من التداخل اللغوي فاندفعت بعض لهجاتها نحو اليونانية كالسريانية مثلا، واخرى واجهت التيار بتحفظ شديد ساعدها على هذا السلوك الحصار الديني الذي تمنطقت به وفرضته على نفسها او فرضته الظروف عليها ، كالفئات الدينية الصغيرة التي انطوت وتكورت على ذاتها خشية التشتت والضياع حيث عالم النسيان ، وكان خوفها المشروع على قيمها يدفعها الى المزيد من التكتم ، ونجحت في هواجسها حتى طواها الصمت قرونا تتداول موروثاتها الدينية والادبية في توحد ذاتي قلق هدفه الاكتفاء بما خلفه السلف ، فاكسبتها الحالة صلابة وشدة تحمل ، وتحت سياط الاعداء والضغط الخارجي كانت تداعب المحيط بالتأقلم الفوقاني المتسم الحذر راضية وبمرور الزمن اضحت تلك اللغات قليلة الشأن وسرية حتى طمست معالمها الا ما ندر عندما تستدعي المناسبة ، وفي العصر الحديث انبرى عشاق اللغات القديمة لازالة الغبار عنها ومنها المندائية فكافأوا اصحابها بالثناء لانهم صانوها من الدخيل وابقوها كما هي ، وتصاعد شأنها نسبيا لانهم اعتبروها الطريق الوحيد المؤدي الى اللغات الاخرى (اللهجات الارامية) في الدراسات المقارنة وهو ما تتمثل فيه المندائية تماما ، فبعد ظلام السنين اخرجت الى النور وارتفع رصيدها التاريخي ، بينما كانت قبلا ولوقت قريب جدا تصنف مع اللغات الميتة وفي التعداد اللغوي للارامية فقط ، يجهل عنها كل شيء والمؤرخون يعلمون ان مخلفاتها الادبية قد سطت عليها الكوارث المتلاحقة الا القليل الذي لا يعتد به ، والكتب الدينية (عشرون كتابا) تتطلب دراية باللغة الارامية لفهمها اولا وترجمتها ثانيا ، وهي بحد ذاتها سفر تاريخي مهم ، تدور حوادثها على جميع العصور التي عرفتها البشرية منذ تكوينها ، ولم تستقر على زمن بعينه ، وقد جاء في الانسكلوبيديا البريطانية انها وليدة القرن السادس عشر (١٠) وهو ليس اكثر من ظن يعوزه الدليل ، ومما يجعل الاحتراز في محله غلبة الافكار الدينية فيها . والتي آمن بها الانسان في بداية تطوره الفكري يقابلها كل مراحل عباداته السابقة واللاحقة حتى المستقر الديني الاخير (الاسلام) واختلاط العربية بالمندائية بارز في الفاظ لا تحصى يدل على اللقاء الاكيد بينهما في عمق زمني غير معلوم ، والراجح ان بعض المأثورات المندائية المنسوجة على شكل أساطير كغيرها اضافها انتساخ في عصور متأخرة على الاصل حسبما تمليه معرفتهم واجتهاداتهم الخاصة بتعاليم الدين الاسلامي لذا لم تسلم من التحوير والتبديل .

اجتمعت في المندائية خصائص امها الارامية الشرقية وهذه الخصائص مفتقدة في اللهجات الارامية الاخرى ، وكما قرر علماء اللغات ان اصل جميع اللهجات الارامية هي الارامية الشرقية(١١)، والمندائية صورة حقيقية لها في قواعدها واصولها لانها والارامية اليهودية – البابلية قد تنازعتا البنوة وسحبتا جميع موروثات الام اليهما ، ما عدا ذلك تبلورت المندائية واستقرت على خصائص الام مصفاة من الشوائب التي لحقت اخواتها وللعلماء مذاهب في مدى نقاوتها ، فمنهم من يعتقد انها امينة على مبادىء الوراثة الجوهرية الا انها انحرفت عن بعض المظاهر كاختفاء الاصوات والحروف الحنجرية والتي كانت ميزة اللغة السامية ، وشمل الانحراف ايضا حروف العلة وطريقة رسمها (١٢) . ومنهم من يورد رأيا معاكسا تماما فالاصوات لم تختف وانما صارت اكثر بساطة من جميع اللغات السامية الاخرى ، والنظام الصوتي احد العلائم الهامة والفريدة بنفس الوقت (١٣) ، والذين استحوذت النقاوة على مشاعرهم اساسا لا يشيرون لا من قريب ولا من بعيد الى مكانة العربية وتواجدها لفظا بكثرة بين ثنايا المندائية !! انما انصبت الجهود وعقدت المقارنات على الالفاظ العبرية واليونانية وتجرد المندائية منها ! لكون اليونانية كانت ذات تماس مباشر مع الارامية أبان ازدهار الترجمة ، والعبرية كانت تحتل مساحة بشرية واسعة في زمن غير معروف ، وامتزجت فيها عدة لهجات ارامية ، ولابد من التنويه ان العبرية قد عرفت قبل ظهور اليهود الديني كما تشير اليه بوضوح كتب التاريخ واللغة .

ابحاث المستشرقين لم تقف عند هذا الحد بل شملت التسمية ايضا فتدخلت اهواؤهم فيها وطغى سوء الفهم على الحياد المفترض فيهم فحولوا ابسط المعاني الى مذاهب غريبة مثلما فعل سفن داك بلاس SVEN DAAG PALLIS حينما عزا معنى كلمة (مندائية) الى ان جماعة المندائيين هم فرع من الاوفيت (١٤) . والمسألة بعيدة عن هذا التأويل الغريب

(٩) مجلة سومر ص٦٦ .

(١٠) Encyc. Bri. (1968) Vol. 14, p. 787

(١١) دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد١٩٦١) ص٢١١ .

(١٢) Encyc. Bri. Vol. 14, p. 787.

(١٣) Rudolf Macuch : Hand Book of Classical and Modern Mandaic, Berlin 1965, p. 1.

(١٤) Seve Doage Pallis : Mandean Studies, London 1919, p. 151.

ولا تحتمل كد الذهن او تصعيد الوهم . فالصابئة يعتقدون ان التسمية تيمنا ب (مندا اد هيي) وهو كبير الملائكة ولـــه سلطة وجبروت كبيران كما تنص عليه الاساطير الصابئية ، امـا التفسير السابق وغيره فلا يابهون به ، و (منداني) في لغتهم ـ المعرفة الروحية ، فما نصيب العربية في المندائية ، وما مدى التجاذب بينهما ؟ ان تحديد قضية التداخل من منطلق علمي دقيق غاية في الصعوبة في الوقت الحاضر على الاقل . وبعيدا عن التفرعات الكيفية ومن منطق العموميات يمكن القول ان لقاء اللغتين قد تم منذ آماد بعيدة ، وقد تسربت العربية تلقائيـــا بالاحتكاك اليومي دون تقصد ، واخذتمسرى لفظيا امتزجباللفظ المندائي توضحت معالمه بالتكرار والنقل المستمر ، وصار لا يختلف كثيرا عن اللفظ العربي وبما ان اللغتين العربية والارامية تنتميان الى اصل واحد هو الاصل السامي فهما متقاربتان في وجـوه لغويـة عديدة ، وقد جاء انفصال العربية عن السامية متاخرا بينما سبقتها اليه العبرية والسريانية بشوط بعيـد فاستطاعت ان تتجنب المزالق اللغوية التي وقعت فيها اللغتان المذكورتان ، ومن مظاهر التقارب بين الارامية والعربية الماثلة الى يومنا هذا ، القلم الكوفي الذي انحدر من القلم الفينيقي والذي وجدت له بقايا في مناطق اثرية يرقى عهدها الى القرن الثامن قبل الميلاد ، ثم تطور حتى صار لكل منطقة قلم خـــاص باهلها ، ومن اشهرها القلم الرهاوي (في منطقة الرها) ومنه اخذ العرب الخط الكوفي (١٥) . وان شئنا الدقة في مسالة شيوع العربية في المندائية ، فمن الصحيح ان لا يبت فيها الان ويترك الامر للكشوفات اللغوية القادمة المدعومةبالنصوصالمحققة، وبالتالي لا يبقى امامنا الان الا الافتراض المطروح وهو استقرار الصابئة في البلاد العربية خاصة في العراق ، فتقـادم الزمن او العامل الزمني فعل فعله في تغيير كثير من المفاهيم اللغويـة (اللفظية) . لما فقدت الاجيال المتعاقبة اللسان القـــديم صار من الطبيعي ان تكتسب من العربية الفاظها مع شيء من التحوير ، ثم تعاظم المنقول في الـكتب المستنسخة الخاصة ، وتفشت الى حد ملحوظ ، والواقع اللفظي لا يناقض الحقيقة المستنتجة بالبحوث الطويلة ، والتي تقول ان المندائية هي الوجه المشرق للارامية الشرقية (الام) في قواعدها واصولها ، ومـع ذلك فواقع اللفظ العربي يطفح على النطق المندائي ويمكن تبيانه بسهولة حتى للذين يجهلون المندائية وان ما يقدم ادناه ليس الاحصاء النهائي للالفاظ ، انما هو بعض ما عثرت عليه وغيره كثير لا ادري سبب اهمال الكتاب المعاصرين له لما تحدثوا عـن المندائية باسهاب ما عدا تنويه بعضهم عن ذلك (١٦) ، وكانهم افترضوا سلفا وجود العربية متذرعين بالبيئة متناسين العوامل الضرورية الاخرى وذلك لا ينفي دراسة الظاهرة وتحليلها ولا يتعارض البتة مع من يريد التقصي المستند على الاثار المكتوبة ، وعلى هذا فالموضوع كما قلت ليس اكثر من تمهيد عسى ان تلحقه بادرة جادة من لدن محبي اللغات القديمة .. واليك بعض الامثلة الدالة التي توضح الترابط الوثيق بـين العربيـة والمندائيـة : ـ

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
الـرب	ربـي
الحـي	هيي (الرب)
العلـي	ايلايا (الرب)
الحكيم	حكيما (الرب)
العـزيز	أزيزا (الرب)
العالـم	آله (الرب)
روح	روهـه
عالم الانوار	آله دنهورا
المطهـر	المطرائي
يحيى	يهيه (يحيى بن زكريا أو يوحنا المعمدان)
نـور	نهورا (تذكر في حاله التبرك باسم الالـه وعندما يوصف الشيء بالجودة)
رئيـس	ريش (رئيس ديني)
تلميـذ	ترميدا (درجة دينية متوسطة يتمكـن الحاصل عليها من ممارسة بعـض الطقوس الدينية البسيطة في حالات خاصة)
دراسة ، تعاليم يحيى	دراشه اديهيه (كتاب ديني خاص بتعاليم يحيى المعمدان)
تفسير الالف سؤال	ترسر الف شياله (عنوان لكتاب ديني)
سفر النجوم	اسفر ملواشا (كتاب ديني مختص بطوالع الافراد تلفظه العامة خطا اصفـر ملواشا)
صدر آدم	سدرا اد آدم (اقدس كتب الصابئة) ويقال انه أول ما نزل على صدر آدم
كنز الرب	كنزه ربه (اسم ثان لنفس الكتاب السابق)
الاغـاني	الانياني (كتاب ديني قيم خاص بالاغاني الدينية)
التوبـة	تيابـه
الخطايـا	هطايي
مذكور علي	مدخرالي
النار الموقدة	نوره أد ياقده
الرحمـة	مرحمانه
الاب	الآب
الام	الآيم
تـاج	تاغه (جزء من اللباس الديني ـ أصغر جزء فيه ـ يضعه الكاهن تحت عمته)
الرسـم	رشما (رسم ديني او تقليد ديني)

(١٥) دراسات في اللغة ، ص٢١١ .

(١٦) مجلة المشرق ٤ (بيروت ١٩٠١) ص ١١٢٦ .

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
الشمس	شامش
النفس	نشما
ذكرى	دخرانه
اكليل	كليله (خاتم يصنع من غصن الآس الطري لاغراض دينية مختلفة)
مسلم	مشماني
اسم	اشمت (اشمت هيي : باسم الحي) يطلق القول اثناء الصلاة او عند البدء بالطعام أو اي عمل مهم تبركا
قديم	قدمايي
الثاني	ثنياني
الثالث	تلثاني
لسان	لشان
خمره	همره

اللفظ العربي	اللفظ المندائي
لكن	آلخن
اذناي	ادني
فمي	پمي
الزوجة	الزوي
الذي ربى	الربى
الارض	أرآ
كلهم	كلهون
نهر	نهره
يوم	يومه
اسق	اشق
شهادة	شهدوثه
صدقة	زدقه
عين	أينه

• • •

ما يتعلق بالعـــراق
من [كتاب الصعود](*) لزينوفون

ترجمة

يعقوب افرام منصور

كان لداريوس و (باريزاتس) نجـــلان ، أكبرهمـــا (أرتاكسركسس)(١) وأصغرهما (كورش)(٢) . وعنـدما بلـغ داريوس حد الوهن ، وأخذ يشعر بدنو أجله ، رغب أن يكون نجلاه دانيين منه . واتفق أن كان الاكبر هناك ، فكان عليـــه ان يرسل في طلب (كورش) من المحافظة التي قد عينـه عليهـا حاكما ، كما كان قد عينه قائدا عاما على سائر القوات المحتشدة في سهل (كاستولس) — Castolus

عندئذ ، رحل (كورش) الى العاصمة برفقة (تيسافرنوس) Tissaphernes الذي كان (كورش) يعده صديقـــا ، مستصحبا معه ثلاثمئة جندي يوناني من مشاة الاسلحة الثقيـلة تحت امرة (زينياس) Xenias الذي من (پارهاسيا) . لكنه ، غب وفاة (داريوس) ، وعندما ارتقى (ارتاكسركسس) العرش ، قدح (تيسافرنوس) في كورش لدى شقيقه ، واتهمه بالتآمر عليه(٣) . وصدق النجل الاكبر الوشاية ، فاعتقـــل (كورش) بقصد القضاء عليه . لكن والدته انقذت حيـــاته بتوسلاتها ، وأعادته الى محافظته . غير أن كورش ، بعد نجاته من الخطـر والفضـيحة ، اتخـذ الاحتياطات التي تضمن عدم وقوعه ثانية في قبضة أخيه ، بل حاول بديلا ، لو استطاع ، أن يغدو عاهلا مكان أخيه . كانت أمه (باريزاتس) الى جانبه ، لانها كانت محبة له أكثر من الملك الحاكم (أرتاكسركسس) . ولقد استغل نفوذه على أولئك الذين قصدوه من البلاط الى حد غدوا معه ، لما عادوا ، أكثر تعلقا به من الملك . كما اهتم بمواطني منطقته ليراهم في حال ملائمة لتجريد حملة ، وقـــد استمالهم اليه جيدا . وجمع عساكره الاغريق بكتمان متناه ، هادفا الى مداهمة الملك بصورة مباغتة بقدر الامكان .

بهذه الطريقة كون جيشه . لقد أنفذ أوامره الى قواد الحاميات في مختلف المدن باكتتـاب المحـــاربين من اقليـــم (پيلوبونيز) Peloponese بأوفر وأجود عدد ممكن ، بباعث ظاهره أن (تيسافرنوس) مبيت النية على القيام بعمل ما تجاه المدن . والحقيقة ان المدن (الايونية) كانت بالاصـل تابعة لتيسافرنوس لانها قد أعطيت اليه من قبل الملك ، أمـا الان ، فقد غدت بأجمعها تؤول الى (كورش) باستثناء ميليطوس (Miletus) (٤) . أحس (تيسافرنوس) في (ميليطوس) أن ثمة مؤامرة تحاك ، نظير انحياز الولايات الاخرى الى (كورش) فاعدم حياة بعض المتآمرين ، وأقصى آخرين . لقد استـقبل (كورش) المنفيين ، وألف جيشا ، وعزل (ميليطوس) بـــرا وبحرا ، وحاول ارجاع الزمرة المنفية . فاتخذ ذلك ذريعـــة أخرى لتجميع الجيش وأرسل طلبه الى الملك ، باعتباره شقيقه راجيا تسليم المدن اليه بدلا من حكمها من قبل (تيسافرنوس) . أما والدته ، فقد لعبت دورها كذلك في هذا المجال . ونتيجة لذلك ، لم تحصل للعاهل فكرة عن المؤامرة التي كانت بيتت ضده ، بل ظن أن (كورش) كان ينفق أمواله ويكون جيشـــا لمحاربة (تيسافرنوس) . وهكذا ، ولما كان من خصومة دائرة بين ذينك الاثنين ، يقلق الملك ، خصوصا وان (كورش) كـان يزوده بالخـراج من المـدن التي كـانت ســـابقا في قبضـة (تيسافرنوس) .

وكانت هناك قـوة أخـرى ، في طـــور التـــكوين ، في (شرسونيز)(٥) المواجهة (آبيدوس)(٦) . وقد تم ذلك على هذا النحو : كان (كليرخوس) Clearchus الاسپرطي مقصيا . فواجهه (كورش) ، وحصل لديه انطباع قـوي الاثـــر عـــن

(*) اشتهر كتاب (الصعود) Anabasis للمؤرخ الاغريقي زينوفون باسم (الحملة على فـارس) أو (الحمـــلة الفارسية) .. وقد آثرنا الاكتفاء بما يتعلق بالعـــراق على الصعيد البلداني ، صافحين عما عقد على كردستان لعلمنا بان صلاح سعدالله قد ترجمه الى العربية ونشره في بغداد عام ١٩٧٣ بعنوان : مسيرة العشرة آلاف عبـــر كردستان والجدير بالتنويه ان الاستاذ يعقوب منصـور قد اعتمد طبعة Penguin لسنة ١٩٦١ في ترجمته لهذا الاثر .

(١) Artaxerxes هو (أرتحششتا) الثاني المعروف بالمدبر .

(٢) بالانكليزية يكتب (Cyrus) ويلفظ (سايروس) ، وكذلك بالاغريقية .

(٣) أورد الاستاذ (طه باقر) في كتابه (مقدمة في تاريـــخ الحضارات القديمة) — الجزء الثاني ص ٤١١ و ٤١٢ مايلي : « وقد بديء حكمه بمحاولة فاشلة لاخيه المسمى كورش الاصغر لاغتياله بطعنة خنجر في أثناء الاحتفـــال بالتتويج في المعبد الذي في (بزرگادة) ولكن نجا كورش من العقاب بتوسلات أمه وتضرعها » .

(٤) هي (ملاطيه) الحالية في تركيا .

(٥) The Chersonese يرجح أنها جزر في بحر (ايجه) بالابيض المتوسط أو عند مدخل مضيق الدردنيل .

(٦) مدينة (Abydus) على ساحل بحر (ايجه) .

امكانياته . وزوده بعشرة آلاف جنيه(٧) . فانفق (كليرخوس) الدراهم في تأليف جيش . بعد ذلك ، وقد كانت (شيرسونيز) قاعدته ، شن الغارة على (التراشيين) شمالي (هيليزبونت)(٨) وكان ذلك لمنفعة الاغريق ، ونتج أن مزيدا من المال تدفق عليه طوعا من قبل حواضر (هيليزبونت) لدعم عساكره . وهكذا بات لكورش جيش آخر لم يسترع الريبة لتاليفه على هذا النمط .

ثم كان هناك (أريستيبوس) ــ الذي من (تساليا) صديق (كورش) ، الذي أحاقت به صعوبات سياسية في موطنه من قبل الحزب المناوىء . لقد أقبل على (كورش) ، يرجو تزويده بالفين من الجنود المرتزقة ، وجعالة ثلاثة شهور لاجلهم ، قائلا ان ذلك يعينه في الغلبة على مناوئيه . فأمده (كورش) بأربعة آلاف رجل ، وجعالة ستة شهور ، وطلب منه ألا يعقد أي اتفاق مع مناهضيه قبل استشارته أولا . وهكذا بات له جيش آخر في (تساليا) دون اثارة شك .

كما أنفذ ايعازا الى (بروكسينوس) البيوطي(٩) صاحبه ، بالتوجه شطره بمعية أكبر عدد مستطاع من الرجال ، اذ انه رغب في تجريد حملة على (البيزيديين) الذين كانوا يثيرون القلاقل في محافظته . واوعز الى (سوفاينتوس)(١٠) الذي من (ستيمفاليا) و (سقراط) الذي من (آشاي) ، وهما صديقاه كذلك ، بجلب ما يسعهما من الرجال ، لانه كان سيشن الحرب على (تيسافرنوس) ، وذلك دعما منه للمبعدين عن (ميليطوس) وقد نفذ (سوفاينتوس) و (سقراط) تعليماته .

ولما قرر أن قد آن أوان الزحف على العاصمة ، زعم أن غايته كانت تجريد منطقته من (البيزيديين)(١١) نهائيا ، وهو كانه يستهدفهم ، حشد المغارز الفارسية واليونانية من جيشه سوية . عندئذ أمر (كليرخوس) بالتقدم مع كامل قوته ، وأوعز الى (أريستيبوس) أن يتوصل الى وفاق مع أعدائه في الوطن ، ويعيد اليه العساكر التي معه . وأمر (زينياس) الاركادي ، الذي انيطت به قيادة مرتزقته في المدن ، بالمجيء مع جميع قواته الفائضة عن العدد الواجب لحماية الحصون . كما استدعى اولئك الذين كانوا قد احاطوا (ميليطوس) وحث المنفيين على الالتحاق به في تجريدته ، واعدا اياهم انه ، اذا ختمت حملته بالظفر ، لن يقر له قرار حتى يعيدهم الى أوطانهم وقد ارتضوا ذلك مبتهجين لثقتهم به . فوفدوا الى (سرديس)(١٢) مع أسلحتهم .

بعد ذلك ، وصل (زينياس) الى (سرديس) مع رجاله من المدن ، وكانوا زهاء أربعة آلاف راجل من المشاة الثقيلة ، كما قدم (بروكسينوس) برفقة ما يقارب ألفا وخمسمئة من مشاة الاسلحة الثقيلة ، وخمسمئة من مشاة الاسلحة الخفيفة . اما (سوفاينتوس) الستيمفالي ، فقد وصل بالف راجل من ذوي الاسلحة الثقيلة ، و (سقراط) الآشي جاء بحوالي خمسمئة راجل من حَمَلَة الاسلحة الثقيلة . وكان لدى (بازيون المجاري) ثلاثمئة راجل من الصنف الثقيل وثلاثمئة من مشاة الصنف الخفيف . كان سقراط وبازيون من ضمن القوة العاملة ضد (ميليطوس) .

ثم توجهت هذه القوى الى (كورش) في سرديس ، لكن تيسافرنوس عندما علم الامر ، أدرك أن القوة كانت من الضخامة بشكل لا يعقل اعدادها لمقاتلة (البيزيديين) ، فتوجه بأقصى السرعة الممكنة ، مع خمسمئة فارس ، الى العاهل . فلما وقف العاهل على جلية الامر ، اتخذ التدابير لمجابهة كورش .

لقد انطلق كورش ، مع من ذكرت ، من سرديس ، وقد استغرق ثلاثة أيام في قطع (٦٦) ميلا داخل (ليديا) حتى بلغ نهر (مياندر)(١٣) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، وفوقه جسر عائم على سبعة قوارب . بعد اجتياز النهر ، ومسيرة (٢٤) ميلا خلال يوم واحد ، داخل (فريجيا) ، أشرف على مدينة (كولوساي) الواسعة الماهولة ، ذات الخيرات الغزيرة . فمكث هناك سبعة أيام ، ووصل (مينون) الذي من (تساليا) مع ألف من المشاة الثقيلة ، وخمسمئة من المشاة الخفيفة(١٤) . من ثم ، وغب مسيرة (٦٠) ميلا خلال ثلاثة أيام ، بلغ (سيلانياي) وهي مدينة واسعة مقطونة واقعة في منطقة (فريجيا) . وكان لكورش ثمة قصر وحديقة شاسعة مليئة بالحيوانات البرية التي اعتاد اقتناصها ، وهو على ظهر جواده ، متى رغب في تدريب نفسه وخيوله . وكان نهر (مياندر) يخترق وسط الحديقة ، وكانت ينابيعه تتدفق خارجة من القصر ، كما انه يجري مخترقا مدينة (سيلايناي) . وكان للعاهل العظيم أيضا قصر في (سيلانياي) في موقع منيع عند منابع نهر (مارسياس) تحت القلعة . وهذا النهر كذلك يخترق المدينة ويلتئم بنهر (مياندر) . ان سعة مارسياس تبلغ (٢٥) قدما . وههنا مسرح الحكاية القائلة بأن (أبولو)(١٥) سلخ جلد (مارسياس) عند انحداره في الرهان بانه الغالب عليه في الحكمة ، وعلق اهابه في المغارة التي منها تتفجر المياه ، ولهذا دُعي النهر (مارسياس) . والمقول بان (زركسس) هو الذي شيد القصر وقلعة (سيلايناي) اثر عودته من اليونان مقهورا .

لقد اقام كورش في هذا الموضع ثلاثين يوما ، حيث وصل (كليرخوس) المنفي الاسبرطي مع ألف من المشاة الثقيلة ، وثمانمئة جندي (ثراشي) من المشاة الخفيفة ، ومئتي نبّال (كريتي) . في نفس الحين ، لاح (سوسيس) السيراقوسي مع ثلاثمئة من المشاة الثقيلة و (سوفاينتوس) الاركادي بصحبة ألف من المشاة الثقيلة . وهنا استعرض كورش اليونانيين في حديقته ، وأحصاهم . فبلغ عددهم احد عشر الفا من مشاة الصنف الثقيل ، وحوالي ألفين من مشاة الصنف الخفيف .

وبعد أن قطع (٣٠) ميلا من هنا خلال يومين ، أدرك المدينة الآهلة (بلطاي) ، فمكث فيها ثلاثة أيام ، احتفل خلالها (زينياس) الاركادي بالعيد الليكي(١٦) ، ونظم العاب الفتوة . وكانت الجوائز تيجانا ذهبية ، وقد شهد الالعاب كورش نفسه .

---

(٧) Daric عملة فارسية نسبة الى (دارا) ــ داريوس ــ الملك وقيمتها زهاء جنيه واحد .

(٨) التراشيون الشعب القاطن (ثراشيا) وهي حاليا (بلغاريا) والهيليزبونت واقعة في مدخل الدردنيل The Hellespont

(٩) Proxenus the Boeotian

(١٠) Sophaenetus .

(١١) قوم منسوبون الى (بيزيديا) يقطنون شمالي جبال طوروس .

(١٢) الارجح أنها (مانيسا) الحالية شمال شرقي أزمير .

(١٣) هو النهر المسمى (بوك مندرس) حاليا ويصب في بحر ايجه .

(١٤) من التساليين واليونانيين .

(١٥) هو اله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى عند الرومان وقد طغى على الاسم الاغريقي (فوبوس) .

(١٦) Lycaen Festival

وبعد مسيرة (٣٦) ميلا خلال يومين ، بلغ آخر مدينة آهلة قبل حدود (ميسيا) ، يطلق عليها (سوق الفخارين) ومن هناك ، بعد ان قطع (٦٠) ميلا في ثلاثة ايام ، وصل (سهل كايستر) وهي مدينة آهلة .

وظل هناك خمسة ايام . ولما كانت جعائل الجنود ، لما ينوف على ثلاثة شهور لم تسدد فان الجنود غالبا ما توجهوا نحو فسطاطه ، وطالبوه بالجعائل . وكان عليه أن يقصيهم عنه بالوعود المستمرة ، وغير خاف أن ذلك قد اقلقه ، اذ أن رجلا مثل كورش ما كان ليحتجز الجعائل لو توفرت لديه . عندئذ ، وفدت أبياكسا Epyaxa قرينة (سينسيس) عاهل (كيليكيا) لزيارة كورش ، وقيل انها وهبته مبلغا وافرا من المال . ومهما يكن من أمر ، فان كورش عند ذاك فقط ، وزع رواتب الجند المستحقة لاربعة شهور . كان برفقة ملكة (كيليكيا) حرس (كيليكيون) و (أسپنديون) . كما قيل انها رقدت وكورش سوية .

وبعد مسيرة (٣٠) ميلا من هنا ، خلال يومين ، ادرك المدينة الآهلة (ثيمبريون) . وكان هنا على جانب الطريق العين التي الحق بها اسم (ميداس) Midas ملك فريجيا ، اذ يقال ان (ميداس) قد أسر الشخص الخرافي(١٧) — الذي نصفه الاعلى بصورة بشري وشطره الاسفل بشكل ماعز — وذلك بمزج النبيذ مع الماء . ومن هنا سار قاطعا (٣٠) ميلا خلال يومين ، فوصل (تيراون) وهي مدينة ماهولة . فاقام هناك ثلاثة ايام ، ويقال ان ملكة (كيليكيا) طلبت منه ان يريها عسكره . فشاء أن يقيم عرضا من اجلها . واستعرض في السهل جيشه اليوناني والوطني (الفارسي) . لقد اوعز الى اليونانيين بالاصطفاف واتخاذ مواضعهم الحربية المعتادة ، على ان يهتم كل ضابط بنظام رجاله ، فاصطفوا للعرض اربعة اربعة ، وكان (مينون) ومحاربوه على الميمنة ، و (كليرخوس) ورجاله على الميسرة ، والقادة الآخرون في القلب . فتفقد كورش جيشه الفارسي أولا ، متقدمين بهيئة زمر وبتشكيلات ايضا ، ثم تفقد اليونانيين ، وهو بمركبة على طول جبهتهم ، والملكة في عربة مغطاة . وكانوا جميعا يرتدون الدروع البرونزية والقمصان الحمراء والدروع لوقاية الساقين ، وقد ازاحوا عنهم تروسهم . وحين اتى على نهاية العرض ، أوقف مركبته مقابل وسط الفيلق ، وأنفذ ترجمانه (بيجرس) نحو القادة اليونانيين مع ايعاز بأمر جنودهم بتجريد رماحهم للتاهب ولحركة الفيلق باكمله . فبلّغ القادة الجنود أوامرهم ، ونفخ في النفير ، ورماحهم مجردة ، فتقدموا نحو الامام . فلما أسرع الجنود الخطى ، وأطلقوا صراخهم ، وجدوا أنهم في الحقيقة يهرولون نحو خيامهم . فاصاب الذعر المواطنين كافة ، وانهزمت ملكة (كيليكيا) بعربتها المغطاة ، وغادر الناس في السوق مصطباتهم ، بينما انطلق اليونانيون الى خيامهم ضاحكين . اما ملكة (كيليكيا) ، فقد اعتراها الذهول وهي تنظر العرض الرائع الذي قام به الجيش ونظامه ، ولقد اغتبط كورش بما لاحظ من وقوع الهلع الذي احدثه اليونانيون في صفوف الاهالي .

وبعد ان اجتاز مسافة (٦٠) ميلا في بحر ثلاثة ايام ، وصل (ايقونية)(١٨) وهي آخر مدينة في (فريجيا) . فمكث هناك ثلاثة ايام ، ثم تابع التقدم خلال (ليكاونيا) ، فاستغرق ذلك خمسة ايام ، قطع أثناءها (٩٠) ميلا . ولما كانت هذه المنطقة معادية ، عهد الى اليونانيين بغزوها ، وأعاد من هنا ملكة (كيليكيا) ، عن اقصر مسلك ، الى بلدها بحماية (مينون) نفسه ورجاله . اما كورش ومن معه ، فقد تقدموا خلال (كبدوكية) ، فوصل مدينة (دانا)(١٩) الواسعة الآهلة الغنية بعد ان قطع (٧٥) ميلا في أربعة أيام . وظل فيها ثلاثة ايام ، اعدم خلالها فارسيا يدعى (ميجافرنوس) الذي كان يحق له ارتداء الحلة الارجوانية السلطانية ، وشخصا آخر ذا صولة من الفئة الحاكمة ، وذلك بتهمة التآمر .

من هنا ، حاولوا اجتياز الحدود نحو (كيليكيا) . وكان المجاز عبارة عن مسلك عجلة واحدة ، شديد الانحدار ، يتعذر على جيش عبوره لو تعرض لادنى مقاومة . ولقد تواتر أن (سينيسيس) كان يراقب ذلك الممر من نقطة سامقة في المرتفعات وعليه انتظر كورش يوما واحدا في السهل . وفي اليوم التالي ، ورد مخبر فافاد ان (سينيسيس) قد هجر المرتفعات بعد علمه أن عسكر (مينون) سبق أن اجتاز جبال (كيليكيا)(٢٠) ، ولانه سمع أن بعض السفن الحربية تحت امرة (تاموس) وبعض السفن الاسبرطية وغيرها من أسطول كورش بالذات ، كانت ماخرة حول الساحل من (أيونيا)(٢١) باتجاه (كيليكيا) .

على كل حال ، بلغ كورش قنن الجبال من غير مقاومة ، ولمح مخيم الحامية الكيليكية . فانحدر من هناك الى سهل فسيح خلاب ، غزير المياه ، حافل بصنوف شتى من الشجر والاعناب ، وينتج كميات من السمسم والذرة والحنطة والشعير . ان الجبال الشاهقة المحدقة به من كل صوب ، والممتدة من البحر الى البحر ، جعلت منها حوله موقعا منيعا . وبعد الانحدار من الجبال ، أدرك (طرسوس) بعد قطعه (٧٥) ميلا في بحر اربعة أيام خلال هذا السهل ، وهي مدينة واسعة وغنية في (كيليكيا) حيث قام قصر (سينيسيس) عاهل (كيليكيا) . وكان نهر (سيدنوس)(٢٢) الذي عرضه (٢٠٠) قدم ، يشطر المدينة الى شطرين . ان السكان ، باستثناء أصحاب الحوانيت، هجروا المدينة ورافقوا (سينيسيس) الى موقع منيع محصن في الجبال . كما تخلف عنهم القاطنون عند ساحل البحر في (سولي)(٢٣) و (ايسس)(٢٤) .

لقد وصلت (ابياكسا) قرينة (سينيسيس) طرسوس قبل كورش بخمسة أيام . وفقدت جماعتان من عسكر (مينون) أثناء اجتياز الجبال نحو السهل . واستنادا الى بعض التقديرات يقال ان (الكيليكيين) قد أبادوا هاتين الجماعتين أثناء قيامهما

---

(١٧) Satyr : شخص خرافي في أساطير الاغريق . وشبه الجملة المعترضة من (الذي) الى (ماعز) اضافة من المعرب .

(١٨) Iconium وهي (قونية) الحديثة .

(١٩) Dana وهي (أظنه) الحالية في تركيا .

(٢٠) تدعى اليوم (كولاك بوغاز) — مجلة (سومر) العدد (٢٠) ص ٢٢٨ .

(٢١) Ionia : الجزء الغربي من آسيا الصغرى المطل على بحر ايجه والجزر التي فيه .

(٢٢) قد يكون هذا النهر هو سيحون او احد روافده لقربه جدا من طرسوس .

(٢٣) ارجح انها (ايشيل) أو (مرسين) حاليا .

(٢٤) Issus — المشهورة في التاريخ القديم بموقع المعركة التي وقعت عندها بين دارا الفارسي والاسكندر المقدوني .

بحملة سلب ، واستنادا الى غيرها ، لقد تركنا في المؤخرة ، فلم تتمكنا من العثور على بقية العسكر ، أو اقتفاء الاثـــر الصحيح ، فتاهتا وابيدتا . ومهما كانت الحقيقة ، فالقـــوة كانت مئة جندي من المشاة الثقيلة . ولما وصلت البقية مـن عسكر (مينون) ، سلبوا مدينة (طرسوس) وقصرها الملـــكي لحنقهم من جراء فقدان رفاقهم .

بعد دخول كورش المدينة ، انفذ في طلب (سينيسيس) للحضور لديه . فكان رد (سينيسيس) انه لم يُمس بعـد في حوزة اي فرد أقوى من ذاتـه ، وظل مصرا على رفضـه زيـارة كورش في هذه المناسبة حتى تمكنت عقيلته من اقناعه بالذهاب ، وحتى ضُمنت له السلامة . بعد ذلك ، جرى لقاء بين الاثنين ، ووهب (سينيسيس) كورش مبلغا كبيرا من المال من اجـــل الجيش ، في حين منحه كورش اشياء تعتبر من هدايا الشرف في البلاط ــ جوادا مزودا بلجام ذهبي ، ورباطا وسوارا ذهبيين ومهندا ذهبيا أحدب ، وحلة فارسية . وضمن له عدم اغتصاب ارضه ، وقطع له وعدا ان رعاياه سيستعيدون العبيد الذيـن أسروا حيثما صادفوهم .

مكث كورش والجيش هنا مدة عشرين يوما ، لان الجنود أبوا متابعة المسير . فقد ارتابوا بانهم انما يزحفون ضد العاهل ، وقالوا بانهم لم يُستخدموا من اجل ذلك . حاول (كليرخوس) ، أول الامر ، ارغام الجنود التابعين له للمضي قدما ، بيد أنهـم رجموه بالحجارة ، ورجموا حيواناته ، ناقلة الامتعة والحقائب ، حالما حاولوا الشروع في الحركة . وكاد (كليرخوس) أن يموت رجما في هذه الحادثة ، لكنه بعد أن أدرك انه لن يفلح في قصده عنوة ، نادى باجتماع الجنود التابعين له . فانتصب باديء الامر أمامهم دون حراك لفترة طويلة وهو ينتحب ، فتعجبوا لمرآه ، وظلوا صامتين . ثم خاطبهـــم قائـلا : « زملائي الجنـــود ، لا تستغربوا اضطرابي من جراء ما يجري . لقد أضحى كورش صديقي ، وعندما كنت منفيا عن تربتي ، لم يعاملني باحترام كبير فحسب ، بل وهبني عشرة آلاف جنيه . وعندما حصل المال لدي ، لم احتفظ به جانبـا لذاتي ، ولم انفقـه على ملذاتي الخاصة ، بل صرفته عليكم . لقد حاربت (التراشيين) اولا ، وانتم وانا وجهنا ضربة لصالح اليونان ، وذلك باكتساحهم من (شيرسونيز)(٢٥) حيث أرادوا اغتصاب الارض من مستوطنيها اليونانيين هناك . فلما دعاني كورش ، توجهت نحوه معكم ، بقصد أن ارد صنيعه ، اذا احتاج الى معاضدتي ، تعويضا لكل ما حبانيه من لطف . على اية حال ، ما دمتم غير راغبيـــن في الزحف معه ، فينبغي علي تخير احد امرين : اما يتحتم علي أن أنبذكم واحافظ على صداقة كورش ، واما أن انقض وعدي له ، وأنطلق معكم . فلا أدري الآن ان كنت اتصرف تصرفا سـليما أم لا ، ومهما يكن ، فاني سافضلكم ، وساتحمل تبعة ما سيكون لئلا يقال ابدا باني قد اقتدت اليونانيين الى بلد أجنبي ، ثم تخليت عنهم ، وفضلت مصادقة اهل البلاد ، كلا بما أنكم لـن تطيعوني ، فانا تابعكم واتحمل المغبة ، ذلك لاني اعدكم بـــلدي واصدقائي وحلفائي ، حينما اكون بين ظهرانيكم ، اعتقـد أن الشرف سيلازمني حيثما كنت ، ولكن من دونكم لا اعتقد انـه سيكون في وسعي فعل الخير من اجل صديق ما أو الحاق الاذى بعدو ما . لذا تســـتطيعون الوثوق اني ذاهب الى حيـــث تذهبون » .

ذلك ما تفوه به . فصفق له الجنود قاطبة ــ تابعـــوه وغيرهم أيضا ــ وذلك عندما أصغوا الى عزوفه عن الزحف ضد العاهل . فانحاز اليه ما يربـو على الفي مقـاتل من رجـال (زينياس) و (بازيون) ، آخذين أسلحتهم وحقائبهم وخيمـوا بجوار (كليرخوس) . لقد اقلق هذا كورش واحزنه ، فارسـل في طلب (كليرخوس) ، فلم يشأ (كليرخوس) الذهاب ، بـل بعث رسولا الى كورش من غير معرفة الجنود ، واخبــره أن يتمسك بشجاعته لان الامور ستجري بصورة افضل . وقال له أن يطلبه ثانية ، لكن (كليرخوس) رفض الذهاب ايضا . بعـد ذلك جمع الجنود من تابعيه والذين التحقوا به وكل من شـاء الاستماع . وخطبهم قائلا : « زملائي الجنود : من الواضح أن نظرة كورش عنا قد تبدلت ، مثلماتبدلت فكرتنا عنه تماما . لاننا لم نعد جنوده (اذ كيف نكون كذلك ان نتخلف عن اللحاق به ؟) كمـا انه لم يعد مستخدمنا . على كل حال ، اني موقن انـه يعتقد باننا قد أسانا معاملته ، فعليه ــ حتى حينما يرسل في طلبي ــ لا أرغب في المضي اليه . ومرد ذلك ، بصورة رئيسية ، هـــو الشعور بالخجل ، لادراكي باني قد خيبت أمله في كل وسـيلة ، لكنني أخشى ، كذلك ، أن يعتقلني ويعاقبني على معاملتـــي الخاطئة التي يحسب صدورها مني نحوه . فرأيي لذلك ، أن ليس هذا أوان الذهاب للنوم ، واهمال مصلحتنا الذاتية . بل حري بنا أن نتدبر ما ينبغي علينا عمله كخطوة ثانية . فطالما نحن نقيم هنا ، أعتقد أنه يجب علينا اعتبار أفضل طريقـــة نستطيع بها أن نجعل بقاءنا مأمونا جهد الطاقة . فان كان قد تقرر الذهاب ، فعلينا أن نفكر في كيفية ذلك باقصى درجة من السلامة ، وفي كيفية تمكننا من الحصول على الميرة ، اذ بدونها لا يصلح قائد ولا جندي بسيط لاي شيء . ان الشخص الـذي يهمنا امره ، عظيم الفضل عند اولئك الذين يحبهم ، لكنـه عدو بالغ الخطورة عند مناوئيه ، والقوة التي في حوزته مـــن مشاة وفرسان وسفن مرئية ومعلومة لدى كل فرد منـــا . في الحقيقة ، أعتقد أن معسكرنا لا يبعد عنه كثيرا . لذا ، فـــقد آن الاوان ليقول الناس ما هو افضل شـــيء يجب عمـــله في اعتقادهم » .

لقد توقف عن النطق بعد قوله ذلك ، فنهض بعضهـــم ليقولوا ما يدور في خَلَدهم ، بيد ان آخرين ممن ألقى عليهم (كليرخوس) ذات المسالة ، اوضحوا الصعوبة الجسيمة في مكوثهم هناك ، أو الرجوع من غير موافقة كورش . وتكلم احـد هؤلاء ، زاعما انه مشتاق الى العودة الى الوطن (اليونان) باسرع ما يمكن ، وطلب أن ينتخبوا قادة آخرين في الحال ، اذا عارض (كليرخوس) قيادتهم أثناء الرجوع وأن يبتاعـوا الميرة (وكانت السوق في معسكر الجيش الوطني)(٢٦) ، وأن يحزموا امتعتهم ، ويتحتم عليهم اللجوء الى كورش برجـــاء تزويدهم بالسفن ليتمكنوا من الرحيل بحرا ، فان احجم عن تزويد السفن ، وجب عليهم أن يسالوه تزويد الدليل لمرافقتهم خلال تغلغلهم في قطر صديق . فان لم يشأ حتى تزويد هـذا المرشد ، وجب عليهم التجمع تأهبا للمعركة بالسرعة المستطاعة وارسال مفرزة لتحتل المرتفعات للحيلولة دون وصول كورش هناك أولا أو (الكيليكيين) الذين منهم اغتصب اليونانيون ــ وما زالوا كذلك ــ عددا جما من الرجال ، ومبالغ طائلة من المال .

---

(٢٥) Chersonese ويجوز أن تلفظ (خيرسونيز) أيضا . ويغلب أنها الآن ضمن حدود (بلغاريا) أو عند مدخل الدردنيل .

(٢٦) يقصد الجيش الفارسي .

بعد أن تكلم هذا على ذاك النحو اقتصر (كليرخوس) على القول : « لا يتوهم أحدكم ابدا باني قائدكم في حملة من هذا الطراز . استطيع رؤية عدة عوامل في الموقف من شانها أن تجعل ذلك مستحيلا علي . لكنكم تاكدوا اني سأساند مخلصا ذلك الشخص الذي تنتخبون ليحل محلي ، لتعلموا أن في مقدوري الاذعان للنظام على أحسن وجه يستطيعه غيري بالضبط » .

ثم نهض رجل آخر ، وبين خطل رأي المتكلم الذي اوصاهم بمطالبة كورش بتزويد المراكب ، كان كورش هو الذي يعيد جيشه القهقرى ، وقال : « ما اسخف ان نطلب الدليل من نفس الرجل الذي انهار مشروعه بسببنا ! فان كنا حقيقة سنضع ثقتنا في الدليل الذي يزودنا به كورش ، فينبغي علينا ، كذلك ، أن نطالب كورش باحتلال المرتفعات من أجلنا . اني بالتوكيد ساحجم عن ركوب السفن التي يجهزها (كورش) ، فهو قد يغرقنا بزوارقه ، واني اخشى اتباع الدليل الذي يعطينا ، فلربما يقتادنا الى موضع ، لا سبيل للنجاة منه . فان كان لي أن أقفل راجعا ضد رغبة كورش ، تمنيت الاياب دون علمه ـ وهذا ليس بالمستطاع . لكن الحقيقة هي ان كل هذا هراء . رأيي انه يتحتم ذهاب فئة ملائمة من الرجال مع (كليرخوس) الى كورش للوقوف على ما ينوي استخدامنا من أجله . فان كان المشروع ، على وجه التقريب ، نظير المشاريع التي استخدم فيها جنود المرتزقة ، وجب علينا كذلك المضي معه وان نكون بواسل كاولئك الذين عملوا بمعيته في الداخل سابقا . أما اذا لاح المشروع أوسع نطاقا مما سلف ، وأن اخطارا وصعوبات أكثر ستكتنفه ، فيلزم أن يسألوه ، على أساس من اتفاق الطرفين ، اما أن يقودنا قدما ، واما أن يدعنا نغادر بسلام . بهذا النحو ، اذا رافقناه ، فسنمضي معه بعلاقات أطيب وبرغبة اعظم ، وان غادرناه ، فعلنا ذلك بشكل مامون العاقبة . على مبعوثينا أن يعودوا لاعلامنا بجوابه ، وسنتخذ التدابير على ضوء ما نسمع منهم » .

هذا هو النهج الذي عزموا عليه . فانتخبوا مندوبين عنهم ، وأوفدوهم مع (كليرخوس) ليعرضوا على كورش المسائل التي اتفق عليها الجيش . فرد كورش انه قد انبيء ، بأن خصمه (أبروكوماس) بات عند الفرات وعلى مسيرة اثني عشر يوما من هذا الموضع . وقال انما اراد الزحف عليه ، وانه لو كان هناك ، لانتقم منه . أما اذا شاء الفرار ، فعندئذ قال « يتحتم علينا فورا أن نرسم الخطط لمجابهة الوضع » .

فعندما أصغى الموفدون الى ذلك ، نقلوه الى الجنود الذين بينما ارتابوا في أنه كان يقودهم ضد العاهل ، قرروا ـ مع ذلك ـ الذهاب معه . الا انهم طلبوا مزيدا من الجعائل ، فوعدهم كورش جميعا نصف ما استلموا سابقا ، اي جنيها ونصف جنيه عن الشهر لكل جندي بدلا من جنيه واحد . اما فيما يتعلق باقتيادهم ضد العاهل ، فلم يخبره أي واحد منهم بذلك ، حتى في هذه المناسبة ، اقلها ليس جهرا .

من ثم ، بلغ نهر (بساروس)(٢٧) بعد قطعه (٣٠) ميلا في يومين ، وكان عرض النهر (٣٠٠) قدم . وبعد ان سار (١٥) ميلا في يوم واحد ، وصل النهر المدعو (بيراموس)(٢٨) الذي عرضه (٦٠٠) قدم ، فبلغ (ايسس) . الآهلة الزاهرة بعد مسيرة (٤٥) ميلا خلال يومين . انها اقصى مدينة في (كيليكيا) وتشرف على البحر .

هنا ، مكث كورش ثلاثة ايام ، فانضمت اليه السفن القادمة من (البيلوبونيز) والمؤلفة من خمس وثلاثين قطعة منها تحت أمرة أمير البحر (بيثاغوراس) الاسپرطي ، وقد قادها من (افسس) تاموس الفرعوني الذي كان آمرا على خمس وعشرين سفينة أخرى عائدة لكورش ، بها كان قد عزل (ملاطية) حينما كانت منحازه الى (تيسافرنوس) . كما كان على ظهر السفن (خريسوفوس) الاسپرطي الذي طلبه كورش ، فقدم بصحبة سبعمئة راجل من الصنف الثقيل ، قادهم بنفسه ضمن جيش كورش . وقد رست السفن مقابل فسطاط كورش وهنا ايضا ، تمرد اربعمئة راجل من الصنف الثقيل ومن مرتزقة (ابروكوماس) والتحقوا بكورش للزحف على العاهل .

فانطلق من هنا نحو أبواب (كيليكيا) وسورية ، وادركها بعد قطعه (١٥) ميلا في يوم واحد . وكان هنالك حصنان : داخلي يقي كيليكيا وكان تحت سيطرة (سينيسيس) وحامية من الكيليكيين ، وخارجي يصون سورية ، قيل انه بيد حامية من جنود العاهل . كان نهر (كارسوس)(٢٩) ، الذي عرضه (١٠٠) قدم يجري بين الحصنين ، والفسحة بينهما (٦٠٠) ياردة . لذا كان شق الطريق بينهما لا يصح ذكره نظرا لضيق الممر وامتداد الاسوار حتى البحر ، تعلوها أجرف قائمة . وكان ثمة أبواب في كل من الحصنين . وقد حدت بكورش رغبة الاحاطة بهذا الموقع ، أن يستدعي أسطوله ، اذ كانت الخطة انزال المشاة الثقيلة على جانبي الابواب ، ولشق الطريق عبر صفوف العدو في حال حراسته الابواب السورية ، كما توقع كورش أن يفعل (أبروكوماس) لان القوة التي كانت معه لا يستهان بها . على كل حال ، لم يقدم (أبروكوماس) على ذلك ، لكنه غادر (فينيقيا) ، وتقدم للالتحاق بالملك مع جيش ، قيل انه كان مؤلفا من ثلاثمئة الف مقاتل ، وذلك حالما بلغه وجود كورش في كيليكيا .

وبعد أن سار كورش يوما واحدا من هذا الموضع ، مجتازا (١٥) ميلا ، أشرف على (مرياندروس)(٣٠) وهي مدينة تطل على البحر ، يقطنها الفينيقيون . كان هذا المكان مركزا تجاريا ، وكانت سفن تجارية عديدة راسية هناك . فاقام هنا سبعة أيام ، صعد أثناءها (زينياس) الاركادي و (بازيون) الميجاري ظهر سفينة واحدة ، ضمت أثمن مقتناهما ، وأقلعا . لقد ظن أغلب الناس ان الحسد كان دافع ذلك لان كورش سمح لكليرخوس أن يضع تحت امرته جنودهما الذين انضموا اليه عندما عرضت لهم فكرة الرجوع الى اليونان وعدم الزحف على العاهل . بعد اختفائهما اشيع أن كورش يتعقبهما بالزوارق ، وأن البعض ، وقد نعتوهما بالجبن آملوا انهما سيمسكان ، بينما شعر آخرون بالحزن عليهما لو قبض عليهما . بيد ان كورش جمع قادته ، وقال : « لقد تخلى عنا (زينياس) و (بازيون) ، لكنهما ان يكونا فوّت الادراك . اني اعرف الطريق التي سلكا ، ولم يفلتا مني مازلت أمتلك الزوارق التي في مقدورها ان تباغت مراكبهما . لكني قسما بالسماء ، لن اتعقبهما بالتاكيد ، لئلا يقول عني احد باني انتفع بالرجل مادام في خدمتي ، لكني اعتقله واسيء

(٢٧) Psarus يرجح انه نهر (سيحان) حاليا .
(٢٨) يرجح انه نهر (جيحان) حاليا Pyramus

(٢٩) Carsus يرجح انه نهر (الاسود) حاليا .
(٣٠) Myriandrus

معاملته واستحوذ على ما يقتني ، عندما يشاء المبارحة . كلا ، ليذهبا مع العلم انهما قد سلكا معنا اسوأ مما سلكنا معهما . اقر اني قد وضعت الحجر على اولادهما ونسائهما تحت الحراسة في (ترالس)(٣١) لكنهما لن يحرماهم . كلا ، بل سيستعيدانهم مقابل ما اسدياني من العمل الصالح في الماضي »

ذلك ما قال . اما الاغريق ، فحتى اولئك الذين لم يكونوا في غاية الحماس للتغلغل نحو الداخل ، اضحوا اكثر اغتباطا ورغبة في الانطلاق معه ، عندما سمعوا كيف تصرف كورش تصرفا حسنا .

بعدئذ ، تابع المسير قاطعا (٦٠) ميلا خلال اربعة ايام ، فوصل (خالوس)(٣٢) وهو النهر الذي سعته (١٠٠) قدم عرضا ، وكان مليئا بالاسماك الاليفة التي عدها السوريون آلهة لا يجيزون احدا بايذائها (وهم يعتقدون ذات الاعتقاد في طيور الحمام) . ان القرى ، حيث عسكروا ، تؤول ملكيتها الى (باريزاتس) وقد وهبتها لتدر نفقة لجيبها الخاص .

وبعد اجتياز (٩٠) ميلا في خمسة ايام ، اشرف على منبع نهر (داردیس)(٣٣) الذي عرضه (١٠٠) قدم . هنا قام قصر (بلسيس) – حاكم سورية – وحديقة مترامية جدا وجميلة ، ضمت جميع النباتات القابلة للنماء . لكن كورش عاث في الارض ، واحرق القصر .

ثم واصل الزحف من هنا ، قاطعا (٤٥) ميلا خلال ثلاثة ايام ، فبلغ نهر (الفرات) الذي كان عرضه (٨٠٠) ياردة ، وهنالك قامت على ضفتيه مدينة عظيمة ثرية تدعى (ثابساكوس)(٣٤) حيث مكث خمسة ايام .

عند هذا الموضع ، ارسل كورش في طلب القادة اليونانيين وابلغهم بزحفه ضد العاهل العظيم نحو مدينة (بابل) . وطلب منهم اعلام الجنود بذلك واقناعهم بالمضي معه . فالتأم القادة وبلغوا بلاغ كورش . لكن الجنود كانوا ساخطين ، وقالوا ان القادة على علم سابق منذ البداءة ، لكنهم حجبوا ذلك ، فابوا الذهاب ابعد من ذلك ، الا اذا منحوا مزيدا من المال . كما اعطي قبلهم الذين رافقوا كورش الى العاصمة حيث والده ، علما ان المسالة اذ ذاك لم تكن مسالة قتال ، بل مجرد دعوة (كورش) من قبل والده الى البلاط .

فاخبر القادة كورش بكل ذلك ، فوعدهم باعطاء كل فرد منهم عشرين جنيها(٣٥) من الفضة حين وصوله الى بابل مع راتب كامل حتى العودة باليونانيين الى (آيونيا) . لقد استميل اغلب الجيش اليوناني بهذه الشروط ، لكن (مينون) قبل التاكد من عزم باقي الجيش على ما سيقدم عليه ، وفيما اذا كان سيتبع كورش ام لا ، دعا الى اجتماع المقاتلين التابعين له قصيا عن البقية ، وخاطبهم قائلا : « أيها الجنود : ان تتقبلوا نصيحتي ، فانكم – دونما خطر او صعوبة مطلقا – ستحصلون على مزيد من تقدير كورش دون سائر البقية . وهذا ما اوصى به : ان كورش ، في هذه اللحظة ، يرجو اليونانيين ان يلتحقوا به ضد العاهل . فاقول : يتحتم عليكم اجتياز الفرات قبل ان يبدو اكيدا نوع الجواب الذي سيوجهه اليونانيون الاخرون الى كورش . اذ عندئذ ، ان يحبذوا مرافقته ، فانتم – بصفتكم اول الذين سيجتازون النهر – سيكون لكم الفضل في اتخاذ القرار ، وسيغدو كورش ممتنا لكم لانكم اشد مناصريه تحمسا ، وسيظهر شكرانه . صدقوني انه يعلم كيف يفعل ذلك . وان يصوت الاخرون ضد الفكرة ، فسنقفل راجعين ، لكن نظرته اليكم ستكون انكم وحدكم الذين تطيعون اوامره ، وافضل من يعتمدهم في تادية واجبات الحراسة وترقية في الرتب ، وكل ما رغبتم في ما عدا ذلك ، فانا واثق من نوالكم اياه عن سبيل صداقة كورش » .

بعد سماعهم هذا ، تقبلوا مشورته ، وعبروا الفرات قبل ان يبعث الاخرون بردهم . فاغتبط كورش باجتيازهم ، وانفذ (جلاوس) الى عسكر (مينون) مع البلاغ التالي : « أيها الجنود ، اني لمسرور بكم الآن . لكني ساضمن مسرتكم بي كذلك ، والا فلست ادعى كورش » .

ان الجنود من جانبهم ، وهم بآمالهم العظام ، ابتهلوا من اجل فوزه ، وقيل انه قد ارسل هدايا سخية الى (مينون) . بعدئذ ، عبر هو النهر ولحق به الجيش الباقي باكمله . واثناء العبور ، لم يبتل احدهم من ماء النهر فوق مستوى الاثداء . وقال سكان (ثابساكوس) انها المرة الوحيدة التي غدا فيها من الميسور عبور النهر خوضا لتعذر ذلك بدون زوارق ، وقد احرق (ابروكوماس) الزوارق في هذه المناسبة ليعيق كورش عن العبور . بدا مؤكدا انه قد كان ثمة شيء يفوق المعتاد بهذا الشان ، وان النهر ، من غير شك ، قد يسر العبور لكورش ، مادام قد قدر له ان يغدو ملكا .

من هنا ، واصلوا التغلغل في سورية ، فقطعوا (١٥٠) ميلا خلال تسعة ايام ، حتى ادركوا نهر (اراكسس)(٣٦) ، حيث القرى العديدة الزاخرة بالغلال والنبيذ . فمكثوا ثلاثة ايام وتزودوا اثناءها بالقوت .

من هنا ، والفرات عن يمينهم ، واصل (كورش) التقدم داخل شبه الجزيرة العربية . فتغلغلوا عبر الصحراء ، قاطعين (١٠٥) اميال خلال خمسة ايام . في هذا الشطر من العالم ، كانت البسيطة سهلا على مستوى واحد كالدأماء . كان الشيح وفيرا ، وكان القصب وجميع الشجيرات النامية هنالك ذات

---

(٣١) Tralles هي مدينة آيدين (Aydin) الحالية في تركيا .

(٣٢) Chalus يرجح الرحالة المستشرق الجيكي (الويز موسيل) مؤلف كتاب (الفرات الاوسط) أن هذا النهر هو عفرين الحالي .

(٣٣) يرجح المستشرق (موسيل) ان Dardes نهر (الذهب) شرقي حلب . يبعد عن (ثابساكوس) مسيرة ثلاثة أيام .

(٣٤) Thapsacus تعني المخاضة وهي التي وردت في (التوراة) باسم (تفساح) التي فتحها الملك سليمان ، ويعينها (موسيل) الى الشمال من مدينة (بالس) التي هي قنسرين . انظر ص ٢٢٩ من المجلد (٢٠) من مجلة (سومر) .

(٣٥) Five Minae والمفرد (Mina) عملة فضية تعادل زهاء اربعة جنيهات .

(٣٦) Araxes هو نهر الخابور ويدعى كذلك (خابوراس) Chaboras . والملاحظ ان (زينوفون) لم يذكر نهر (البلخ) بعد اجتياز الفرات حيث مدينة الرقة التي كانت تعرف آنذاك أو في عهد الاسكندر باسم نيسيفوريوم (Nicephoriom) ويجوز ان هذا النهر كان جافا آنذاك .

رائحة ذكية كالعطر(٣٧) . لم تكن ثمة اشجار ، بل كانت هنالك حياة حيوانية منوعة . كانت الحمر الوحشية بوفرة ، كما كان النعام والحبارى والغزلان بكثرة . لقد تصيد الفرسان كل هذه الحيوانات مرات عديدة . اما الحمر الوحشية ، فكانت ـ عند ملاحقتها من قبل احد ـ تعدو قدما ثم تقف ساكنة ، فقد كانت في عدوها أسرع بكثير من الخيول ، وعند دنو الخيول منها ثانية ، تفعل ذات الشيء ، وكان من المتعذر امساكها الا بوساطة وضع الفرسان على مسافات متتابعة والقنص على مراحل . وكان لحم الحمر التي اقتنصت اشبه بلحم الظباء ، الا انه اكثر طراوة . لم يفلح فرد في اقتناص النعامة . والحقيقة ان الفرسان الذين حاولوا ذلك ، سرعان ما عدلوا عن اقتفائها ، اذ اوجب عليهم تغلغل مسافات سحيقة جدا عند هروبها منهم . كانت تستخدم قدميها للجري ، وتستعين باجنحتها كما لو كانت تستعمل الشراع ، لكن المرء يستطيع اصطياد الحبارى اذا حملها على التحليق بسرعة ، لانها لا تطير الا قليلا حتى يعتريها الاجهاد سريعا نظير الحجل . وكان لحمها لذيذا .

بعد التغلغل داخل هذه البلاد ، بلغوا نهر (ماسكاس)(٣٨) الذي عرضه (١٠٠) قدم . كانت هنا مدينة مهجورة ، واسعة الرقعة ، تدعى (كورسوت)(٣٩) ، وكان نهر (ماسكاس) يجري متعرجا حولها ، فبقوا هناك ثلاثة أيام ، وتزودوا بالطعام . بعدها ، ساروا ثلاثة عشر يوما ، قطعوا اثناءها (٢٧٠) ميلا عبر الصحراء ، والفرات مازال عن يمينهم ، حتى وصولهم الموضع الذي يطلق عليه (الابواب)(٤٠) . لقد مات جوعا عدد وافر من حيوانات نقل الامتعة لانعدام الحشائش وأي نبت نام . كانت الارض جرداء تماما . واعتاد السكان اقتلاع الاحجار عند ساحل النهر لصنع احجار الرحى لطحن الحبوب ، فياخذونها الى بابل بقصد بيعها ، وتعيشوا على القوت الذي ابتاعوا بالايراد .

لقد نضبت الغلال التي حملها العسكر اثناء هذه المسيرة ، ولم يكن في الامكان ابتياع اية كمية الا في سوق (ليديا) بين جند كورش الفرس ، حيث كان من الميسور حصول الفرد على زهاء نصف كيلوغرام(٤١) من دقيق الحنطة أو من الشعير المقشور مقابل اربعين فلسا تقريبا(٤٢) . لذلك عاش الجنود على اللحم فحسب .

وقد جعل كورش بعض هذه المسيرات طويلة جدا وذلك في حالة احتياج الى بلوغ الماء والعليق . وفي احدى المرات ، كان الطريق ضيقا موحلا ، يصعب على قافلة العربات عبوره ، عندما توقف كورش مع انبل واغنى مرافقيه ، واوعز الى (جلاوس)(٤٣) و (بيجرس)(٤٣) باتخاذ مفرزة من الجيش الفارسي للاسهام في انتشال العربات من الوحل ، وعندما حسب انهم جادون في ذلك ببطء ، بدا عليه السخط ، واوعز الى ابرز الفارسيين في حاشيته ، ليسهموا في انهاض العربات . اذ ذاك حقا ، راي الفرد شيئا من نظام . فحيثما اتفق أن كانوا واقفين ، القوا عنهم ارديتهم الارجوانية ، وخفوا نحو الامام كانهم في سباق ـ منحدرين من تل شديد الانحدار أيضا ، ومرتدين القمصان الغالية والسراويل المطرزة . كما كانت لبعضهم سلاسل حول اعناقهم واسورة حول معاصمهم . لكنهم مع كل ما عليهم ، قفزوا نحو الطين راسا ، وازاحوا العربات نحو اليابسة باسرع مما لاح ممكنا لاي فرد .

كان جليا ، بصورة عامة ، ان كورش كان مسرعا طوال الطريق ، دون توقف ، الا حينما حط من اجل التجهيزات أو ضرورة اخرى . لقد حسب انه كلما عجل الوصول ، كان العاهل اقل تأهبا اذا اشتبك معه ، وكلما ابطأ السير ، تضاعف الجيش الذي كان في وسع العاهل تجميعه . في الحقيقة ، ان المراقب اللبيب لامبراطورية العاهل ، سيتوصل الى هذا التقدير : انها قوية بالنسبة الى اتساع رقعتها وعدد سكانها ، لكنها واهنة فيما يخص مواصلاتها الطويلة ، وتفرق قواها ، وذلك اذا استطاع احد الهجوم بسرعة .

على الجانب الآخر من نهر الفرات ، مقابل الصحراء التي كانوا يسلكون ، كانت ثمة مدينة واسعة غنية ، تدعى (خارماند)(٤٤) ، فابتاع الجنود ما احتاجوا اليه من هنا ، وعبروا النهر فوق اطواف بالنحو الآتي : لقد حشوا الجلود ، التي استعملوها اغطية لخيامهم ، بالحشيش اليابس ، ثم ضموا بعضها الى بعض ، ورتقوها كي لا يصل الماء الى الحشيش

---

(٣٧) يؤيد هذا حتى الآن الشيخ محمد رضا الشبيبي في بحثه (رحلة في بادية السماوة) المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ـ مجلد ١١ .

(٣٨) للاستزادة حول Mascas راجع ص ٢٣٢ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٣٩) ارجح ان Corsote في موضع قريب من مدينة (البو كمال) الحالية في سورية . ويرجح المستشرق الجيكي (موسيل) انها خرائب (التاوي) . واغلب الظن انه يعني (الطاوي) التي لم اعثر عليها في الخرائط للاستزادة راجع ص ٢٣١ من مجلة (سومر) ع ٢٠ .

(٤٠) اورد الاستاذ طه باقر في ص (٤١٣) من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) ما يلي : « ويصل الجيش اخيرا الى موقع شمالي الرمادي بنحو خمسين ميلا ذكره زينوفون باسم (الابواب) . ولا يُعلم موضع هذا الممر ... » وخريطة الكتاب تدعوه (Pylae) ويعينها (موسيل) عند (تل الاسود) ويحدد المسافة بينها وبين (كورسوت) بـ (٢٦٥) كيلومترا .

(٤١) لقد توصلت الى هذا المقدار بدليل نص في الكتاب يشرح ذلك ، قائلا
(The Capithe is Equal to Three Pints)
أي أن الكابيث يعادل ٣ باينتات . وبما ان (الباينت) مكيال سعته زهاء نصف لترة ، فقدرت أن (الكابيث) الواحد من الدقيق يعادل وزنا زهاء نصف كيلوغرام .

(٤٢) يذكر النص الانكليزي (Four Sigli) . مفرد هذه العملة (سيجلوس) Siglus تعادل ٧ (أوبولات) ونصف الاوبول (Obol) وهو عملة تساوي (٦) فلوس تقريبا . وأرجح أن (الشاقل) قريب من هذه الكلمة مبنى ومعنى .

(٤٣) أحد مترجمي كورش .

(٤٤) ارجح انها في موضع قريب من هيت أو حديثة الحاليتين على الضفة اليسرى من الفرات . ويعينها المستشرق الجيكي (موسيل) في جنوب غربي (تل الاسود) حاليا . ولقد جاء ذكر هذه المدينة في ص ٢٣٢ و ٢٣٣ من ع ٢٠ من مجلة (سومر) بهذا الشكل (شارمانده) . وقد تكون ـ في ترجيحي ـ في موضع قريب من الرمادي الحالية .

الجاف ، فاجتازوا النهر عليها ، وحصلوا على الميرة والخمرة المستخرجة من التمر و (نوع من الغلال)(٤٥) المبذولين في تلك الديار بكثرة .

في هذا الموضع ، حدث شجار حول امر ما بين عسكر (مينون) وعسكر (كليرخوس) . ولما حكم (كليرخوس) ان جندي (مينون) كان المخطيء ، أمر بضربه . وعند أوبة ذلك الجندي الى جماعته ، انباهم بذلك ، فباتوا بعد سماعهم الحكاية ، في اقصى حال من السخط والصرامة تجاه (كليرخوس) . وفي ذات اليوم ، عند زيارة الموضع الذي عبروا عنده النهر ، وتفتيش السوق التي كانت هناك ، كان (كليرخوس) يعود راكبا الى خيمته برفقة بعض الخدم عن طريق معسكر (مينون) . وكان كورش لايزال يتابع المسير هناك ، ولم يدرك الموضع بعد . ولما كان فرد من جيش (مينون) يقطع الخشب ، ولمح (كليرخوس) راكبا يخترق المعسكر ، رماه بالفاس ، لكنه اخطأ الهدف ، فرماه جندي آخر بحجر ، وتبعه آخر ثم آخرون عديدون ، فسادت جلبة شاملة . فاعتصم (كليرخوس) بجنوده ، ونادى حالا باتخاذ الاجراء . لقد امر افراد المشاة الثقيلة بملازمة موضعهم ، ودروعهم على رُكَبهم ، بينما هو ذاته تحرك باتجاه رجال (مينون) مع رجاله (التراشيين) ومع فرسانه الذين يملك منهم في معسكره أكثر من أربعين رجلا ، اغلبهم من التراشيين . ونجم عن ذلك ، حلول الذعر بمينون ذاته وبرجاله ، فهرعوا الى اسلحتهم ، ولو ان بعضهم ظلوا حيث كانوا ، عاجزين عن العمل لمعالجة الوضع . في هذه اللحظة بالذات ، قدم (بروكسينوس) في المؤخرة ، يقود ثلة من المشاة الثقيلة . لذلك جلب رجاله فورا نحو موقع بين الفريقين ، والتمس (كليرخوس) بالكف عن فعله . بيد ان كليرخوس تميز غيظا اذ تكلم (بروكسينوس) دونما تأسف على ما تعرض له كليرخوس وقد اوشك فعلا على الموت رجما ، فقال له الا يعترض السبيل . عندئذ ، قدم كورش ، والفى ما يدور ، فتناول رماحه فورا وركب منطلقا نحو وسط الاغريق برفقة حراسه الحاضرين ، وخاطبهم قائلا :

« أيا كليرخوس وبروكسينوس ، وانتم جميع اليونانيين الآخرين هنا : انكم لا تعلمون ما انتم فاعلون . لئن تشرعوا في الاقتتال فيما بينكم ، فتأكدوا باني مقضي علي للحال ، وعليكم أيضا بعد أمد قصير . فان ساءت الاحوال بيننا ، فجميع هؤلاء الوطنيين (الفرس) الذين تشاهدون سيصبحون اشد خطرا علينا من أولئك الذين بجانب العاهل » .

فعاد (كليرخوس) الى صوابه اثر سماعه ذلك . واسترخى الطرفان ، وأعادا الاسلحة الى مواضعها .

وبينا هم منطلقون في السير من هنا ، صادفوا روث وآثار سنابك الخيل ، فقدر احدهم أن فرسانا يعدون زهاء الالفين ، قد تركوا تلك الآثار ، وانهم قد مضوا قدما لاحراق كل العليق وكل ما عداه مما قد يستفاد منه .

وكان رجل فارسي ، يدعى (أورونتاس) تنتسب عائلته الى العاهل — حائزا على أبرز صيت عسكري بين الفرس ، ويتآمر على (كورش) . والحقيقة انه كان في حرب معه سابقا ، لكنهما توصلا الى تسوية . أما الآن ، فقال لكورش انه اذا زوده بالف فارس ، فاما سيكمن فيبيد الفرسان الذين داسوا التربة أمامهم ، واما سيأخذ فئة منهم أسرى ، وبذا يضع حدا لاتلاف الارض التي يسلكون ، ويعيقهم عن الحصول على فرصة لاخبار العاهل انهم قد شاهدوا جيش كورش .

وعندما استوعب كورش الخطة ، خالها جيدة ، واعلم (أورونتاس) باخذ مفرزة من كل قائد من قواده . فلما ايقن (أورونتاس) من حصوله على الفرسان ، حرر خطابا الى العاهل يعلمه بالتوجه اليه مع أكثر ما يستطيع اصطحابه من الفرسان ، ويسأله اعلام الفرسان الخاصين به أن يستقبلوه كصديق . كما ذكره ، في الخطاب ، بصداقته السالفة وباخلاصه له . فدفع الخطاب الى شخص يعتمده — أو كذلك ظن . والحقيقة أن الرجل تناول الكتاب ، واعطاه الى كورش .

ولما وقف كورش على محتواه ، القى القبض على (أورونتاس) ، واستدعى الى خيمته الخاصة السبعة المتازين جدا من مساعديه الفرس . وأوعز الى القادة اليونانيين بجلب مشاة ثقيلة ، واتخاذ موقف الحراسة حول الخيمة ، فامتثلوا أوامره ، وجلبوا ما يقرب من ثلاثة آلاف راجل من الصنف الثقيل . واستدعى كورش القائد (كليرخوس) داخل خيمته رأسا للاسهام في الاجتماع ، لأن كورش ذاته والفارسيين الآخرين عدوا (كليرخوس) بصورة عامة افضل اليونانيين منزلة . وبعد مغادرة (كليرخوس) الاجتماع ، اخبر اصدقاءه كيف جرت محاكمة (أورونتاس) ، اذ لم يكن ثمة مانع من الاخبار بذلك . فقال : (ان كورش استهل القضية بالكلام التالي : « أصدقائي ، لقد استدعيتكم للاجتماع هاهنا بقصد البت في الاجراء اللازم بخصوص (أورونتاس) كي — بعد المشاورة معكم — نقرر النهج المصيب كما تراه الآلهة والناس . كان هذا الرجل ، أول الامر ، قد عُيِّن من قبل والدي ليكون تحت امرتي ، ثم بموجب تعليمات شقيقي ، كما يقول ، اغتصب حصن (سرديس) ، وشهر الحرب علي . فقاتلته وحملته على أن يقرر ايقاف القتال ضدي . ثم مد كل منا للآخر يمين الصداقة . منذ ذلك الحين ، يا أورونتاس استمر كورش ، هل آذيتك باي شكل كان ؟ » فاجاب أورونتاس بالنفي . ثم وجه سؤالا آخر : « أليس يقينا ، مع انك لم تلق مني أي ضرر فيما بعد ، كما تعترف بنفسك ، قد تحولت الى (الميسيين)(٤٦) ، والحقت بمنطقتي كل ما تمكنت عليه من الضرر ؟ » فاعترف أورونتاس انه قد فعل ذلك . وقال كورش : « أليس صحيحا انك ، عندما عدت فاكتشفت حقيقة قوتك ، قصدت هيكل أرتاميس(٤٧) وقلت انك قد ندمت ، ونتيجة لتوسلاتك ، عدنا فتبادلنا العهد على الصداقة ؟ » فسلم أورونتاس بصحة ذلك ايضا . فقال كورش : « اذن ما هو الأذى الذي بدر مني تجاهك هذه المرة الثالثة ، لتبرر خيانتك الجلية فيها ؟ » اجاب أورونتاس انه لم يُصَب بأي أذى . فساله كورش : « اذن ، اتسلم ان تصرفك نحوي كان خاطئا ؟ » فقال أورونتاس : « فعلا . اني مضطر ان اعترف بذلك » . ثم ساله كورش سؤالا آخر : « أمازلت في مقدورك أن تكون خصما لشقيقي ، وصديقا صدوقا لي ؟ » : فرد قائلا : « حتى وان

(٤٥) يذكر النص الانكليزي (Panic Corn) ولم استطع الوقوف على مدلول لها في القواميس التي في حوزتي .

(٤٦) ذكر الاستاذ فؤاد جميل في ص ٢٣٤ من مجلة سومر — ع (٢٠) أن (الميسنيين) هم قوم من العرب ، وأعتقد أن ثمة فرقا بين (الميسنيين) وبين (الميسيين) الذين هم سكان ميسيا (Mysia) الواقعة غربي الاناضول حيث استبعد أن تكون قد قطنت من قبل أقوام عربية قديما .

(٤٧) الاهة القنص والقمر وشقيقة (أبولو) عند الاغريق .

كنت سأفعل ذلك ، فانت – ياكورش – لم تعد قـــادرا على تصديقه » .

(بعد ذلك ، خاطب كورش الآخرين هنـــاك : « هاهي تصرفات الرجل وكلماته امامـــكم . هل لك ، ياكليرخوس ، أن تبدي رأيك أولا ، وتفصـح عمـا تفـكر ؟ » فقال كليرخـوس : « نصيحتي هي ازاحة الرجل من السبيل باسرع ما يمكن ، لئلا نضطر ثانية الى الاحتراس منه ، بل سنكون طليقي الايـدي ، بقدر ما يتعلق الامر به ، لنسدي الخير الى الآخرين الذيـن يرومون ابداء العون حقا . ») .

واستطرد كليرخوس قائلا : « لقد وافقوا على فكرتي ، ثم وقفوا جميعا ، حتى اقرباء اورونتاس ، وامسكوه من زنـــاره كعلامة على الحكم عليه بالموت . ثم اقتاده الذين عهدت اليهم المهمة ، بعيدا ، واولئك الذين قد اعتادوا الانحناء له سابقا ، انحنوا له آنذاك أيضا ، ولو انهم علموا بانه كان يقاد الى حتفه. فجيء به الى خيمة (ارتاپاتاس) وهو افضل ثقات كورش مـن حملة صولجانه . غب ذلك ، لم يلمح أحد مطلقا اورونتاس حيا أو ميتا ، ولا استطاع أي فرد ان يتكلم ، عن دراية ، كيـف لقي منيته . » لقد أثيرت عدة ظنون ، بيد أنه لم يهتد الى أي ضريح يضمه .

من هنا ، واصل التقدم نحو (بابل) ، فاجتاز (٣٦) ميلا خلال ثلاثة ايام . وعند ختام مسيرة اليوم الثالث ، استعرض كورش عساكره اليونانية والوطنية (الفارسية) في البـراح حوالي منتصف الليل ، اذ حسب أن العاهل سيبرز فجر الغد بجيشه للقتال . فامر (كليرخوس) بقيادة الميمنة ، وميـنون (الثسالي) بقيادة الميسرة ، بينما هو نفسه اهتم بتنسـيق عسكره الخاص .

مع انبلاج الصبح ، وبعد العرض ، قدم بعض الهاربين من العاهل العظيم ، وزودوا كورش بمعلومات عن جيش العاهل . فجمع كورش القادة وضباط المئة الاغريق لبحث كيفية خوض المعركة ، ثم خطب بنفسه يستحثهم لبذل المزيد من الجهود : « أيها الجنود الاغريق : لست قائدكم معي في المعركة لقـلة في جنودي الوطنيين . كلا ، ان الباعث على نشدناي معاضدتكم ، لهو اعتباري أنكم أكثر كفاءة ومهابة من اعداد هائلة من الوطنيين. لذا أود أن تبرهنوا أنكم أهل للحرية التي ظفرتم بها ، والتي أظنكم سعداء في امتلاكها . لكم أن تتأكدوا أني افضل احراز تلك الحرية على كافة ما اقتني وزيادة على ذلك بكثير . لكن ، لاعرفكم أيضا ، نوع القتال الذي ستخوضون ، ساخبركم عن ذلك من تجاربي الخاصة . أعداد العدو ضخمة جدا ، وهم يغـيرون بصراخ كثير ، لكنكم ان صمدتم تجاه ذلك ، فانا اخجل حقـا أن أقول أي صنف من الناس ستجدون رجال هذه البلاد في كل ناحية من النواحي الاخرى . لكنكم ان برهنتم على كونكم رجالا ، واذا كنت موفق الجدود ، فساضمن لكم ان الذين يرومون منكم العودة الى الوطن ، سيحسدون من رفاقهم عند وصولهم هناك ، ولو احسب أني ساجعل العديد منكم يفضلون ما سينالون مني هنا على ما سيحصلون عليه في الوطن » .

ثم تكلم (جوليتيس) الذي حضر الاجتماع ، وهو أحـد المبعدين من (ساموس)(٤٨) وكان موضع ثقة كورش ، فقـال : « ومع ذلك ، ياكورش ، بعض الناس يقولون ، انك الآن تمنع الوعود الكثيرة بسبب من حراجة موقفك واعتراض الخطر سبيلك

(٤٨) Samos جزيرة اغريقية في بحر (ايجه) .

وبالنسبة اليهم ، ان جرت الامور جريا حسنا ، فسوف لـن تتذكر . ويقول بعضهم ، حتى اذا توفرت لديك الذاكرة والارادة فسوف لن تملك الطاقة على تنفيذ جميع الوعود التي قطعتها » .

فلما وعى كورش ذلك ، قال : « لكن ، ايها الجنود ، هاهي امبراطورية والدي تمتد امامنا . انها ممتدة جنوبا حيث الحر ، وشمالا حيث البرد حائل دون عيش البشـر . ان اصدقاء شقيقي يحكمون كولاة على كل الارض المحصورة بـين الحدين . اما اذا ربحنا ، فسينبغي ان نجعل من اصدقائنـا سادة على كل هذا . ونتيجة لذلك ، ان خشيتي من عـدم حصولي على عدد واف من الاصدقاء لاعطائهم ما أتمكن منـه ، تفوق عدم حوزتي على ما امنح رفاقي قاطبة ، اذا سارت الامور سيرا حسنا . كما أني ساخلع على كل يوناني فيكم خلعـة اضافية من تاج ذهبي » .

عندما أصغى اليونانيون الى ذلك ، غدوا اشد حماسـا بكثير ، وبلغوا الآخرين ذلك . فالقادة وعداهم من اليونانيين الذين ودوا معرفة ما سينالون ان كسبوا ، قصدوا كورش بصورة خصوصية ، فارضى كل آمالهم قبل أن سمح لهـم بالخروج . ان جميع الذين بحثوا الامور معه ، حثوه على عدم الاسهام في المعركة شخصيا ، بل على اتخاذ موضع في المؤخرة . عند ذاك سأله (كليرخوس) سؤالا كهذا : « هل تحسـب – ياكورش – أن اخاك سيتقدم الى المعركة ؟ » فاجاب كورش : « حتما ، ان كان هو شقيقي ونجل (داريوس) و (پاريزاتس) فسوف لن أحصل على السلطان ، من غير القتال في سبيله » .

ثم أحصي المدججون ، فكان في الجيش اليوناني عشـرة الاف واربعمئة من مشاة الصنف الثقيل ، والفان وخمسمئة من مشاة الصنف الخفيف . وكان لدى كورش مئة ألف جندي فارسي ، وما يقرب من عشرين عجلة مسننة ، وقيل ان بجانب العدو مليونا ومئتي الف رجل ، ومئتي عجلة حربية مسننة ، وعلاوة على ذلك ، كان هناك ستة آلاف فارس تحت امـرة (أرتاجرسس) وقد اتخذوا مواضعهم لحماية شخص الملك ذاته . كانت قيادة جيش الملك بيد أربعة قواد أو زعمـاء : (أبروكوماس) ، (تيسافرنوس) ، (جوبرياس) و (أرباكس) – لدى كل منهم ثلاثمئة الف جندي تحت امرته . لقد اشترك في المعركة ، من مجموع هذه القوة ، تسعمئة الف جندي ومئة وخمسون عجلة حربية مسننة فقط ، اذ ان (ابروكوماس) الذي كان يزحف من (فينيقيا) وصل متأخرا خمسة أيام . لقد تلقى كورش هذه المعلومات من الهاربين من جانب العاهل العظيم قبل المعركة ، وافاد الاسرى الاعداء ، الذين أخـذوا بعد المعركة ، عين الخبر .

لقد سار كورش بكامل جيشه اليوناني والفارسي مسافة تسعة أميال من هذا الموضع ، خلال يوم واحد بنظام حربي ، وتوقع من العاهل ان يشتبك معه ذلك اليوم ، اذ أثنـاء منتصف مسيرة النهار تقريبا ، كان ثمة خندق عميق ، عرضه (٣٠)(٤٩) قدما وعمقه (١٨)(٤٩) قدما . وكان امتداد الخندق نحو الداخل على السهل حتى يبلغ السور المادي . امـا بجوار الفرات ، فكان ثمة مجاز ضيق عرضه حوالي (٢٠)

(٤٩) يذكر النص الانكليزي (5 Fathoms) (3 Fathoms) والفاثوم الواحد يعادل (٦) أقدام . وأعتقد أن هـذا الخندق هو خندق (الوشاش) المعروف أيضا بنهـر الصقلاوية .

قدما بين النهر والخندق ، ولقد احتفر العاهل العظيم ذلك الخندق كعقبة ، عندما بلغه تقدم كورش . فاجتاز كورش ذلك المجاز بجيشه ، وبات فيما وراء الخندق .

عندئذ ، اخفق العاهل ذلك اليوم في الشروع في المعركة ، لكن علامات عديدة قد شوهدت تدل على تراجع الرجال والخيول . اذ ذاك ، استدعى كورش العراف (سيلانوس الامبراسي) واعطاه ثلاثة آلاف جنيه . ولقد انبأ كورش قبل احد عشر يوما ، اثناء تقدمه القربان ، أن العاهل لن يشرع في المعركة خلال الايام العشرة المقبلة ، فقال له كورش : « اذن ان هو لا يحارب خلال تلك الفترة ، فلن يحارب مطلقا . اما اذا تحقق قولك ، فاعدك عشر وزنات من الفضة »(٥٠) ولما انصرمت الايام العشرة ، دفع له المال .

وبما ان العاهل لم يقم ، عند الخندق ، بمحاولة للحيلولة دون عبور عسكر كورش ، اعتقد كورش والباقون ان العاهل قد عدل عن فكرة القتال . ونتيجة لهذا الاعتقاد ، زحف كورش في اليوم التالي قدما باحتراس اقل من السابق . وفي اليوم الثالث ، تابع المسير وهو في عجلته الحربية ، تتقدمه تشكيلات نظامية اعتيادية قليلة فقط . كان معظم جيشه سائرا بدون شكل نظامي ، وكان الكثير من معدات الجنود محمولا على العربات وحيوانات نقل الامتعة .

كان الوقت ضحى ، واوشكوا ان يبلغوا الموضع الذي صمم كورش على التوقف عنده ، عندما برز (باتجياس) للعيان ، وهو فارسي وصديق حميم لكورش ، راكبا بسرعة ، وحصانه ينضح عرقا . وشرع في الحال يصيح عاليا بالفارسية واليونانية ، على كل من اجتاز به ، ان العاهل متقدم بجيش جرار بنظام حربي . اذ ذاك ، وقع بينهم فعلا ارتباك جسيم ، لان اليونانيين ، وكل من عداهم ، ظنوا أن العاهل سينقض عليهم قبل ان يستطيعوا اتخاذ مواضعهم . فقفز كورش من عجلته ، ووضع عليه الدرع ، وامتطى جواده ، وقبض على رماحه . واوعز الى الباقين قاطبة ، أن يتدججوا بالسلاح ويتخذوا اماكنهم الصحيحة . فتم ذلك بسرعة كافية . كان (كليرخوس) على الميمنة يحاذيه الفرات ، والى جانبه (بروكسينوس) ثم اليونانيون الاخرون مع (مينون) على ميسرة الجيش اليوناني . اما الجيش الفارسي ، فكان يضم زهاء الف فارس (بافلاجوني) (٥١) اخذوا مواضعهم في جناح (كليرخوس) وكذلك مع مشاة الصنف الخفيف على الميمنة . اما (آريوس) — نائب كورش — فكان على الميسرة مع بقية الجيش الفارسي . كان كورش وستمئة من فرسانه الخاصين به في القلب ، مزودين بالدروع ، وبالزرود لوقاية افخاذهم . لقد وضع جميعهم الخوذ على هاماتهم ، خلا كورش الذي دخل المعركة حاسر الرأس . وكانت كل خيولهم مزودة بالزرود لصيانة الجباه والصدور ، كمل حمل الفرسان السيوف اليونانية .

فحان الظهر ، والعدو ما برح غير بادٍ للعيان ، لكن في اول العصر ، لاح النقع كسحابة بيضاء ، وبعد فترة ، شوهد شيء كالسواد يمتد نحو مسافة طويلة على السهل . ولما ازدادوا دنوا ، لمحت فجاة ومضات برونزية ، وبدت رؤوس الحراب وتشكيلات العدو مرئية . كانت ثمة خيالة بزرود بيضاء على الميسرة قيل انها تحت امرة (تيسافرنوس) والى جوارهم جنود يرتدون التروس المعمولة من الاغصان المجدولة ، يليهم مشاة من الصنف الثقيل بتروس خشبية حتى القدمين ، وقيل عن هؤلاء انهم فرعونيون . ثم كان هناك المزيد من الخيالة ورماة السهام . هؤلاء كلهم كانوا يتقدمون بشكل فصائل ، كل فصيلة على هيئة مستطيل كثيف ، تتقدمهم على مسافات متباعدة عن بعضها عجلات حربية مسننة ، مزودة باسنة رقيقة تمتد بشكل مائل من المحورين الموصلين بين العجلات وكذلك من اسفل مقعد السائق منكسة نحو الارض ، وذلك لبتر كل ما يعترض طريقها ، وكانت النية تسييرها لتخترق صفوف اليونانيين وتشق الطريق .

لكن كورش كان مخطئا عندما أوصى اليونانيين ، أثناء اجتماعهم به ، بالثبات في مواضعهم تجاه صراخ الجنود الفارسيين . اذ على العكس ، تقدموا باقصى السكون والهدوء وبسير وئيد ثابت .

هنا توجه كورش نفسه راكبا مع ترجمانه (بيجرس) وثلاثة او اربعة آخرين ، ونادوا (كليرخوس) واخبروه أن يقتاد عسكره باتجاه قلب العدو ، اذ ان العاهل كان هناك . وقال : « وان نفز هناك ، يتم كل شيء » . لاحظ (كليرخوس) ان الوحدات في القلب متراصة ، وسمع من كورش أن العاهل اقصى من ميسرة اليونانيين ، فقد كان تفوق العاهل في العدد عظيما الى حد غدا العاهل معه ، وهو يقود قلب جيشه ، أبعد من ميسرة كورش ، لكنه بالرغم من ذلك (أي كليرخوس) كان مترددا بسحب جناحه الايمن من ناحية النهر ، خشية التطويق . فرد على كورش عندئذ أنه سيضمن سير الامور سيرا حسنا .

واذ كان ذلك يجري ، واصل الجيش الفارسي (٥٢) تقدمه برسوخ ، وظل الاغريق ملازمين مواقعهم ، وازدحمت صفوفهم باولئك الذين ما انفكوا يتوافدون باستمرار . فبرز كورش راكبا أمام الجيش ، وتطلع نحو خطوط الفريقين . فلمحه (زينوفون) الاثيني من موضعه في الخط اليوناني ، وتقدم نحو مواجهته ، واستفسره ان كان يعتزم توجيه أية أوامر . فجذب كورش جواده ، وقال : « الفال حسن والقرابين جيدة » واخبره بتبليغ ذلك كل فرد ، وبينما كان هو يتكلم ، سمع صوتا على طول الصفوف ، فاستعلم عنه ، فاخبره (زينوفون) انها كلمة السر المرسلة عبر الصفوف للمرة الثانية . فتعجب كورش من يكون مطلق الكلمة ، وسأل عن ماهيتها ، فاجاب (زينوفون) انها كانت (زيوس المنقذ ، والظفر) . عند سماع كورش ذلك ، قال : « اذن اتقبل الكلمة . فلتكن كذلك . » ومع هذه الكلمات ، غادر راكبا نحو مركزه في الميدان .

ساعتئذٍ ، لم تكن الشقة بين الجيشين تعدو ستمئة — ثمانمئة ياردة ، فشرع الاغريق الآن ينشدون نشيد الحرب . واخذوا في التقدم صوب العدو . واذ هم يتقدمون ، جاشت موجة من الفيلق نحو الامام ، وبرزت أمام البقية ، وشرع الشطر المتخلف في التقدم بهيئة ازدواجية . وفي ذات الحين ، اطلقوا جميعهم صرخة كصرخة (اليلو) (٥٣) التي يوجهها الناس

---

(٥٠) يذكر النص الانكليزي (Ten Talents) و (التالنت) عيار نقدي يعادل حوالي (٢٤٤) جنيها استرلينيا .

(٥١) نسبة الى (بافلاجونيا) اقليم في شمال الاناضول (آسيا الصغرى) يطل على البحر الاسود .

(٥٢) جيش العاهل .

(٥٣) "Eleleu" ضرب من الهتاف اما لبث الرعب في قلوب الاعداء أو لشحذ الهمم لدى المحاربين .

الى الاه الحرب ، ثم اخذوا يعدون نحو الامام . ويقول البعض انهم ، كي يبثوا الرعب في الخيل ، شرعوا يصدمون تروسهم بحرابهم . اما الفرس ، فقبل ان باتوا على مرمى السهام ، تذبذبوا وولوا الادبار . وبعد ذلك جد اليونانيون حقا في ملاحقتهم بعزم ، لكنهم تنادوا فيما بينهم بعدم الركض ، بل أن يتتبعوا العدو متراصين ، دون تباعد في الصفوف ، فبادرت العجلات الحربية بالهجوم ، وتغلغل بعضها داخل صفوف العدو ، مع ان بعضها ، وقد هجرها سائقوها ، اخترقت جموع اليونانيين . عندما شاهد اليونانيون قدومها ، انفرجوا ، ولو ان جنديا ، وقف راسخا في موضعه وكانه في حلبة سباق ، ثم تدحرج . على كل حال ، حتى هذا الشخص، قيل انه لم يصب باذى ، كما لم تقع اية اصابات بين اليونانيين اثناء هذه المعركة ، باستثناء جندي واحد في الجناح الايسر ، قيل انه رشق بسهم .

لقد سر كورش تماما اذ لاحظ غلبة اليونانيين ، واكتساحهم العدو من امامهم ، وتمت المناداة به ملكا من قبل أولئك الذين كانوا بمعيته ، لكنه لم ينجرف الى درجة الاشتراك في المطاردة . لقد حافظ على الفرسان الستمئة من حرسه الخاص بهيئة متراصة ، وارتقب ينظر ما سيقدم عليه العاهل ، لانه كان موقنا ان موضعه وسط الجيش الفارسي . والحقيقة ، ان القادة الفرس كافة ، يتخلون اماكنهم وسط وحداتهم عند اشتراكهم في المعمعة ، والقصد من ذلك ، انهم بهذه الطريقة يمسون في اسلم موضع ، مع قواتهم على كل جوانبهم ، وان اعتزموا اصدار الايعازات ، وصلت جيشهم في نصف المدة . وفي هذه المرة ، كان العاهل كذلك في قلب عسكره ، لكنه كان ، مع ذلك ، ابعد من جناح كورش الايسر . ولما لم يلاحظ ، عندئذ ، هجوما جبهويا عليه ، أو على الوحدات الحائلة دونه ، استدار ميمما شطر اليمين بحركة مثنية .

ثم ان كورش ، اذ خشي ان يصبح العاهل خلف اليونانيين فيمزقهم ، تحرك نحوه راسا . فاغار مع الستمئة الذين معه ، واخترق ستار الجند امام العاهل ، ودحر الستة الاف ، واشيع انه قتل بيده آمرهم (ارتاجرسس) ، لكن عندما لاذوا بالفرار ، فقد الستمئة ، التابعون لكورش ، ترابطهم اثناء اندفاعهم المتحمس في مواصلة الملاحقة ، وتخلف معه عدد قليل جدا ، اغلبهم أولئك الذين اطلق عليهم « رفاق المائدة » . وعندما بقي مع هذا العدد الضئيل ، لمح العاهل والصفوف المتراصة حوله ، ودون ان يتردد لحظة ، صاح :« أرى الرجل » ، وهجم عليه ، ووجه نحو صدره طعنة اخترقت درعه فجرحته ، كما يقول (تسياس) الطبيب ، وقال ايضا انه ضمد الجرح بنفسه . لكنه في ذات اللحظة التي كان يوجه اثناءها الطعنة ، نَجَلَه احدهم برمح اسفل ناظره بشدة . ويقول الطبيب (تسياس) ـ الذي كان مع العاهل ـ انه قد سقط العديد من جنود العاهل اثناء اقتتال العاهل وكورش . لكن كورش نفسه قد قتل ، وارتمى على جثمانه بلا حراك ثمانية من انبل حاشيته . لقد قيل ان (ارتاپاتاس) اوثق خادم من حملة صولجانه ـ اذ لمح (كورش) صريعا ، قفز عن جواده ، ورمى نفسه عليه . ويقول البعض ان العاهل امر من يقتله وهو مسجى على كورش ، ويقول آخرون انه سحب سيفه ، وقتل نفسه هناك . كان لديه سيف ذهبي ، وقد اعتاد ان يضع عليه سلسلة وقلادة والحلى الاخرى نظير انبل الفرس ، لانه كان يعد من قبل كورش صديقا صدوقا ، وخادما مؤتمنا (٥٤) .

ثم حز راس كورش وكذلك يمينه ، وانقلب الملك ملاحقا ، واخترق معسكر كورش . فلم يلبث رجال (آريوس) بعدئذ ، بل ركنوا الى الفرار خلال معسكرهم حتى بلغوا آخر مرحلة توقفوا عندها قبل أن تحركوا . وقيل ان ذلك الشوط يبلغ (١٢) ميلا .

ضمن الاسلاب العديدة التي استحوذ عليها العاهل واصحابه ، حظية كورش ، وهي فتاة من (فوسيا)(٥٥) ، قيل انها خلوب وفهيمه في آن معا . اما حظيته الصغرى ، وهي غادة من (ملاطية) ، فقد اسرها جنود العاهل ، لكنها افلتت منهم نصف عارية ، ولجأت الى اليونانيين الذين اتفق ان كانوا هنالك ، شكاك السلاح ، يحرسون المتاع . فاخذوا مواضعهم ، وافنوا عددا من السالبين ، ولو ان قسما منهم قد قتل أيضا . الا انهم ، لم ينهزموا ، بل انقذوا الفتاة وكذلك جميع الممتلكات من أموال وعبيد ، كانت في معسكرهم .

في هذه المرحلة ، بات جيش العاهل وصلب العسكر اليوناني على مسافة ثلاثة أميال من بعضهما . كان اليونانيون يطاردون القوات المجابهة لهم ، وكانهم قد احرزوا نصرا ناجزا ، وكان الفرس منهمكين في السلب ، وكان فوزهم بات كاملا كذلك . بيد ان اليونانيين اكتشفوا ، غب ذلك ، ان العاهل وجنوده اضحوا بين امتعتهم ، وسمع العاهل من (تيسافرنوس) أن اليونانيين قد دحروا الوحدات المجابهة لهم ، وانهم مندفعون قدما يواصلون الملاحقة . عندئذ استجمع قواته وهياها بنسق حربي ، بينما استدعى (كليرخوس) القائد (پروكسينوس) الذي كان يليه ، وبحث معه ان كان ينبغي ارسال مفرزة لانجاد المعسكر ، أم أن يسير الجميع الى هناك سوية .

في نفس الحين ، تجلى ان العاهل أيضا ، عاد يتقدم نحوهم مجددا ، كما ظنوا ، من المؤخرة . اذ ذاك ، واليونانيون يفترضون قدومه من هناك ، استداروا وتهيأوا لمناوشته . بيد أن العاهل لم يتقدم بجيشه من تلك الجهة ، بل ـ كما فعل سابقا بالضبط بان اجتاز ميسرة اليونانيين ـ اقتاد الآن جيشه عائدا بنفس الطريق ، آخذا معه من فر الى اليونانيين اثناء المعركة ، وكذلك (تيسافرنوس) والجنود الذين تحت امرته .

ان (تيسافرنوس) لم ينهزم اثناء الغارة الاولى ، لكنه تقدم شطر مشاة الاغريق من الصنف الخفيف بحذاء النهر ، واخترق صفوفهم . بيد انه لم يقتل شخصا واحدا ، فقد

---

(٥٤) يعتقد الاستاذ طه باقر أن موضع هذه المعركة قريب من (المسيب) الحالية ، استنادا الى ما ورد في ص ٤١٣ من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني) ، بينما يعتقد الدكتور أحمد سوسه (استنادا الى رسالة شخصية الى المترجم مؤرخة في ٦٥/٨/٢١) أن موقع هذه المعركة قريب من (الانبار) لكنني أعتقد أن موقعها قريب من (تل كنيسة) القريب جدا من الفرات وجدول (الرضوانية) وربما يكون موقعها قريب من (اليوسفية) .

(٥٥) اما انها مستعمرة أيونية ـ وهي ميناء اغريقي قديم في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) ـ أو انها ولاية اغريقية قديما في شرقي (بيوطيا) شمالي خليج كورنث .

أفرج اليونانيون صفوفهم ، واعملوا في رجاله السيوف والرماح . كان (أبيستنيز) الذي من (أمفيبوليس)(٥٦) آمرا على مشاة الصنف الخفيف ، وقيل انه قد أبدى مهارة فائقة . ولما ألفى (تيسافرنوس) أنه المتضرر من جراء الاشتباك ، لم يعد الكرة بهجوم آخر ، بل توجه نحو المعسكر اليوناني حيث التقى العاهل ، وهناك التأمت قواتهما ، وسارا عائدين بنظام حربي . وبما أنهم كانوا مقابل ميسرة اليونانيين ، خشي اليونانيون أن يداهم الفرس هذا الجناح ، ويطبقوا عليهم من الجانبين فيمزقوهم تمزيقا . لذا بدت لهم أفضلية تمديد الجناح المذكور ، تاركين النهر خلفهم . لكنهم بينما كانوا يبحثون هذه المناورة ، غير العاهل الاتجاه على حين غرة ، ومضى مجتازا بهم بأن جعل خطه يواجه جبهتهم بنفس الهيئة التي برز فيها لمقاتلتهم في الجولة الاولى .

فعندما لاحظ اليونانيون اصطفافهم تجاههم متكاثفين ، أنشدوا نشيد القتال ثانية ، وحملوا عليهم بروح عدائية أقوى من السابق . فأخفق الفرس في الصمود بوجه الغارة ، والحقيقة أنهم ركنوا الى الفرار ، حتى عندما بات اليونانيون على مسافة أبعد مما كانوا عليه في الجولة السابقة . فتعقبهم اليونانيون حتى أدركوا قرية ، فتوقفوا هناك لوجود رابية فوق القرية ، وانثنى رجال العاهل على هذه الرابية لمعاودة القتال . لقد كان المشاة ، في الحقيقة ، يواصلون الانهزام ، لكن الرابية قد اكتظت بالفرسان ، فلم يعد من الميسور رؤية ما يدور . وقالوا انهم شاهدوا شعار العاهل بشكل نسر ذهبي ، على حربة ، منشور الجناحين .

كان اليونانيون ، في الواقع ، يزحفون نحو هذا الموضع عندما كانت الخيالة أيضا تغادر الربوة لا بشكل وحدة متراصة ، بل فصائل مختلفة باتجاهات متغايرة ، حتى تجردت الرابية من الخيالة تدريجا ، وانزاحوا نهائيا . ولم يرق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، وأنفذ (ليسيوس) السيراقوسي(٥٧) وفردا آخر نحو القمة ، يرتق (كليرخوس) التل ، بل أوقف جيشه عند سفحه ، هنالك . فارتقى (ليسيوس) راكبا ، وبعد استطلاعه ، عاد مخبرا بتقهقر العدو التام .

وحينما كان هذا يجري ، كانت الشمس آخذة في الغروب ، فتوقف اليونانيون حيث كانوا ، وجمعوا السلاح ، وأخلدوا الى الراحة . في ذات الحين ، تعجبوا لعدم ظهور كورش في أي موضع ، ولعدم ورود مخبر منه . اذ لم يعلموا أنه قد قضى ، بل خيّل اليهم اما أنه قد انطلق لمسافة في اثر العدو ، أو قد واصل السير لاحتلال مركز ما . أما هم ، فبعد أن تشاوروا في أمر مكوثهم حيث كانوا ، وجلب أمتعتهم اليهم ، أو عودتهم الى معسكرهم ، قرروا الأوبة . فوصلوا خيامهم أوان العشاء ، وتلك كانت خاتمة ذلك النهار . لقد اكتشفوا أن جميع أمتعتهم تقريبا ، ومنها أرزاقهم وشرابهم ، قد انتهبت . كما كانت هنالك بعض عربات ـ قدرت بأربعمئة ، مزودة بالشعير والنبيذ ، هيأها كورش لمد اليونانيين بها اذا حدث نقص كبير في ميرة الجيش . لقد نهب رجال العاهل هذه العربات كذلك ، حتى بات أكثر اليونانيين بلا عشاء . فالحقيقة أنهم لم يتناولوا وجبة الظهيرة ، لأن العاهل برز اليهم قبل توقف الجيش لتناول الغداء . وهكذا أمضوا تلك الليلة .

عند الفجر ، التأم القادة ، مستغربين عدم أوبة (كورش) ذاته ، وعدم ايفاده مخبرا يعلمهم ما ينبغي أن يفعلوا . وبحكم الظروف ، عزموا على حزم حاجياتهم ، ومواصلة التقدم ، مدججين ومتأهبين للقتال ، حتى يتسنى لهم الالتحاق بكورش. لكن ، مع بزوغ الشمس في الفضاء ، تماما ، وهم على وشك التحرك ، وصل (بروكلس) ـ Procles ـ حاكم (يتوثرانيا) ـ سليل (داماراتوس) ـ Damaratus الأسبرطي ومعه « جلوس » نجل « تاموس » بنبأ مفاده أن (كورش) ميت ، وأن (آريوس) قد ركن الى الفرار ، وأنه الآن مع بقية القوات الوطنية(٥٨) ، عند آخر مرحلة توقفوا عندها وتحركوا منها في اليوم المنصرم . كانت الرسالة من (آريوس) تفيد أنه سينتظر سحابة النهار ليرى ان كانوا(٥٩) سيلحقون به ، لأنه قد ارتأى أن ينطلق في الغد الى (أيونيا)(٦٠) التي توجه منها .

عندما سمع القادة هذا النبأ ، وعلم به اليونانيون الآخرون ، ألم بهم قنوط شديد . فتكلم (كليرخوس) قائلا : « تمنيت أن يكون (كورش) حيا يرزق . على كل حال ، لما كان قد قضى ، فيجب أن تخبروا (آريوس) أننا قد قهرنا العاهل ، وكما ترون ليس ثمة عقبة دوننا الآن . في الحقيقة ، لولا قدومكم ، لكنا الآن زاحفين عليه . اننا نعد (آريوس) ان أتانا ، فسنجلسه على عرش الملك . وأولئك الذين يربحون المعركة ، لهم كذلك الحق في السلطة العليا » .

بهذه الكلمات أعاد الرسولين ، وأوفد معهما (خريسوفوس) الاسبرطي و (مينون) الثسالي(٦١) . كان مينون يتشوق الى الذهاب تلقائيا ، اذ كان خليل (آريوس) وكان له نصيب من حسن ضيافته .

فذهبوا وتخلف (كليرخوس) . وتزود الجيش بالطعام بأحسن ما تيسر من دواب نقل الامتعة ، وذلك بنحر الثيران والحمير . واستحصلوا الوقود بالتقدم قليلا ، بعيدا عن الخط ، باتجاه ميدان المعركة التي خاضوا ، مستعملين السهام الوفيرة التي ألقاها على الارض الفارون من جانب العاهل ، عندما أرغمهم اليونانيون على ذلك في ساحة المعركة بالأمس ، والدروع المجدولة من أغصان الشجر ، ودروع الفرعونيين الخشبية . كما كان عدد من التروس الخفيفة والمركبات التي هجرها سائقها . فاستعملوا كل هذه المواد لانضاج اللحم، فتناولوا وجبة ذلك النهار .

---

(٥٦) مدينة تفيد معنى المدينة المدورة في (مقدونيا) .

(٥٧) نسبة الى سيراقوس (Syracuse) ثغر قديم في طرف الجنوب الشرقي من جزيرة (صقليا) ، حاصرها الاثينيون حصارا فاشلا بين عامي ٤١٤ و ٤١٣ قبل الميلاد .

(٥٨) يقصد جيش كورش الفارسي .

(٥٩) يقصد اليونانيين .

(٦٠) Ionia ـ المنطقة الساحلية من غرب آسيا الصغرى والجزائر المحاذية لها وكانت مستعمرات اغريقية .

(٦١) من منطقة (ثساليا) في شمالي اليونان ، مشهورة بسهولها التي تنتج الحبوب ، أهم مدنها (لاريسا) ـ Larissa .

كان الوقت قد ناهز الضحى عندما وفد المخبرون من لدن العاهل ، ومن (تيسافرنوس) . كانوا من الفرس بأجمعهم ، خلال واحدا يدعى (فالينوس) ، فكان هذا يونانيا في خدمة تيسافرنوس الذي كان يعتد به كثيرا ، اذ ادعى البراعة في التدريب وفنون المشاة الحربية . جاء هؤلاء راكبين ، وطلبوا الكلام مع القادة اليونانيين ، فقالوا بما أن العاهل قد أحرز النصر وقضى على (كورش) ، أمر اليونانيين بالقاء أسلحتهم، وبالمثول في البلاط ، وباستحصال الحظوة الملكية لأنفسهم ، ان استطاعوا .

هذا ما قال مخبرو العاهل ، فحنق اليونانيون اذ سمعوه بيد أن (كليرخوس) لم يزد على القول : « ليس للظافرين أن يسلموا أسلحتهم ، لكن ــ أنتم القادة الآخرون ــ عليكم ان تعدوا ما يلوح لكم افضل وأنبل رد على هؤلاء الرجال . سأعود حالا . » فقد استدعاه أحد ضباطه لفحص الاحشاء المستخرجة من الضحية ، وهو يؤدي الشعائر القربانية .

عندئذ أجاب (كلينور) الاركادي[٦٢] ، الذي كان أكبرهم سنا ، انهم سيموتون قبل القاء أسلحتهم . وقال (بروكسينوس) الثيبي[٦٣] : « ان ما يحيرني ، يافالينوس ، هو فيما اذا كان العاهل يطالب بأسلحتنا بحق من الظفر ، أم كهدايا للاعراب عن صداقتنا . ان كان بحق الظفر ، فلِمَ يطالبنا بها دون القدوم لأخذها ؟ وان كان يبغي الحصول عليها نتيجة اتفاق ، فليقل ما الذي سيكسبه الجنود ، اذا كانوا على استعداد أن يسدوا اليه هذا الفضل » .

أجاب (فالينوس) على هذا بالقول : « يعتبر العاهل النصر له ، مادام قد قتل (كورش) . اذ ، في الحقيقة ، من تبقى لينازعه الامبراطورية ؟ كما يعتقد أنكم في قبضته كذلك ، مازلتم في أصقاعه المحاطة بأنهر لا يستطاع عبورها ، وهو قادر على اجتلاب الحشود العظيمة من الرجال ، لا قبل لكم بافنائها قاطبة ، حتى لو أتاح لكم الفرصة لتفعلوا ذلك » .

بعدئذ ، تكلم (ثيوبومپوس) الاثيني قائلا : « كما ترى ، يا فالينوس ، ان الاشياء الوحيدة ، التي بقيت لدينا حاليا ، ذات قيمة : أسلحتنا وشجاعتنا . مادمنا مالكين السلاح ، نتصور بمقدورنا استخدام بسالتنا جيدا . أما اذا ألقينا السلاح ، فسنفقد حياتنا كذلك . لذلك لا تتوهم أننا سنسلمكم الاشياء الثمينة الوحيدة في حوزتنا . على النقيض من ذلك ، سنقاتل مستعينين بها ، في سبيل ما تثمنون أنتم كذلك » .

فلما وعى (فالينوس) هذا ابتسم وقال : « انك أيها الشاب ، كفيلسوف تماما . قد أجدت الافصاح ! مع كل ذلك ، دعني أفدك أنك مجنون لو فكرت أن بسالتكم تستطيع النيل من قدرة العاهل . »

ان الذين حضروا هناك ، أفادوا بوجود آخرين طفقوا يفقدون عزيمتهم ، ويقولون انهم كما كانوا مخلصين لكورش ، ستكون لهم قيمة كبيرة عند العاهل كذلك ، اذا ابتغى كسب صداقتهم ، ومن جملة ما أبدوا أنه قد يرغب في استخدامهم في تجريدة على مصر ، واذا كان الامر كذلك ، فهم يودون الانخراط معه لفتحها .

لحظئنئذ ، وصل (كليرخوس) عائدا ، واستفهم ان هم قد أعطوا الجواب ، بعد . فتدخل (فالينوس) قائلا : « ان هؤلاء الرجال هنا ، ياكليرخوس ، قد أجابوا اجابات متباينة . فاخبرنا الآن ما تقول أنت » .

قال كليرخوس : « سرني أن أراك يافالينوس ، وأرجح أن هذا هو شعور الآخرين كافة ، لأنك اغريقي كجميع من تشاهد هنا . في ظرفنا الراهن ، نريد مشورتك بشأن ماينبغي علينا فعله بخصوص رسالتك . لذا أرجوك ان تزودنا بنصيحة هي الافضل والاشرف ، في اعتقادك ، ومن النوع الذي يجتلب لك التكريم في المستقبل ، عندما يخبر الناس عنها قائلين : (ان فالينوس قد ارسل ، ذات مرة ، من لدن العاهل ، يطالب اليونانيين بالقاء أسلحتهم . وعندما سألوه النصح ، كانت نصيحته بأن قال كذا ... وكذا ...) لانك تعلم أن المشورة ، التي أنت مبديها ، سيفشو خبرها في اليونان ، لامحالة » .

لقد نطق كليرخوس بذلك تلميحا ، وفكرته أن يحمل رسول الملك ذاته على نصحهم بعدم القاء السلاح ، كي بهذا يكتسب اليونانيون الثقة . بيد أن (فالينوس) تخلص من ذلك بمهارة ، وتكلم عكس مأمول كليرخوس ، قائلا : « مشورتي الا تلقوا أسلحتكم ، ان كانت لكم فرصة واحدة من عشرة آلاف بانقاذ أنفسكم عن طريق محاربة العاهل . أما اذا لم يكن لكم مجال واحد في النجاة عن سبيل مناهضة العاهل ، فانصحكم اذ ذاك باتخاذ الخطوات الوحيدة التي في مقدوركم أن تصونوا بها ذواتكم » .

فرد (كليرخوس) على ذلك قائلا : « حسن اذن ، الى هذا القدر من مشورتك . تستطيع الآن أخذ جوابنا ، وهو أننا نعتبر اذا كانت القضية بأن نغدو أصدقاء العاهل ، فسنكون أكثر نفعا للعاهل لو احتفظنا بأسلحتنا مما لو تركناها لغيرنا ، واذا كانت المسألة قتالا ، فسنحارب ، ونحن نمتلك السلاح ، أفضل مما لو كان في حوزة سوانا » .

فقال (فالينوس) : « اذن هذا هو الرد الذي سننقله . لكن العاهل أبلغنا أن ننقل اليكم هذه الرسالة كذلك : انه يعتبر الهدنة قائمة ما لذبتم حيث أنتم ، أما اذا تحركتم قدما أم الى الوراء ، فذلك يعني الحرب . لذا عليك ان تجيبني عن هذه النقطة كذلك ، اذا كنتم ستلذمون بهذا المكان وتعقدون المهادنة ، أم ينبغي أن أبلغه عنك بأنكم معتبروها حالة حرب ».

فأجاب كليرخوس : « قل له ، بصدد هذه النقطة ، اننا نفكر عين تفكيره » .

فقال فالينوس : « وماذا يعني ذلك ؟ »

أجاب كليرخوس : « يعني الهدنة ان مكثنا ، والحرب ان تقدمنا او تراجعنا » .

فاستفهم فالينوس ثانية : « ما الذي ساقول : هدنة أم حربا ؟ » . فأجاب كليرخوس نفس الاجابة مكررا : « هدنة أثناء مكوثنا هنا ، وحرب ان تقدمنا أم تراجعنا » . ولم يشر الى المسلك الذي ارتأى أن يتبع .

عندما غادر (فالينوس) ومن معه ، عاد (پروكلس) و (خريسوفوس) ضمن الموفدين من (آريوس) . أما (مينون) فلبث مع آريوس . فأفادوا أن آريوس قد قال بوجود عدد من الفرس ، أرفع منه منزلة لا يطيقون تنسيبه ملكا . أما ان شاء اليونانيون مرافقته في طريق العودة ، فهو يستحثهم على القدوم تلك الليلة . والا ، فانه مبارح في الغد الباكر .

---

(٦٢) من (أركاديا) وهي منطقة زاهية المناظر في اليونان ، شهيرة بكونها الموطن التقليدي للشعر الريفي .

(٦٣) من (ثيبا) وهي عاصمة (بيوطيا) قديما شرقي اليونان وقد خربها الاسكندر الكبير .

فقال كليرخوس : « حسنا . هذا ما ينبغي علينا فعله . ان نات ، فسيكون كما تقولون . ان لم نات ، فعليكم بانتهاج الخطة التي تحسبون اجدى لكم » . فلم ينبيء ، حتى هؤلاء ، ما الذي كان سيقدم عليه .

بعد ذلك ، عندما غربت الشمس ، استدعي القادة وضباط المئة للاجتماع ، وخاطبهم قائلا : « اصدقائي : عندما كنت اقدم القربان بقصد الزحف على العاهل ، لم تكن الدلائل ملائمة . وهذا طبيعي ، اذ ــ كما ادرك الآن ــ يوجد بيننا وبينه نهر صالح للملاحة ــ الدجلة . لا يسعنا عبور النهر دون زوارق ، ونحن لا نحوزها . من المؤكد لا نستطيع البقاء هنا ، لعدم توفر امكانية الحصول على التجهيزات . اما في حالة الذهاب الى اصحاب كورش ، فدلائل القرابين كانت ملائمة للغاية . اذن هذا ما يتحتم علينا ان نفعل : بعد مغادرة الاجتماع ، علينا بتناول ما توفر من العشاء ، وعندما يطلق النفير نداء الانصراف الى الرقاد ، المعتاد ، احزموا امتعتكم . وعند نداء النفير الثاني ، ضعوها على الدواب الناقلة . وعند اطلاق النداء الثالث ، اقتفوا الذين يقتادونكم ، على ان تكون الدواب بجانب النهر ، والمشاة الثقيلة خارجها » .

عند تسلم هذه الايعازات ، مضى القادة وضباط المئة ونفذوها . ومنذئذ ، اضحت القيادة لكليرخوس ، وغدوا هم مرؤوسيه . ولم يحصل هذا نتيجة انتخاب ، بل لوثوقهم انه الرجل الوحيد الذي يمتلك النوع الصحيح من عقلية القائد ، بينما كان الآخرون غير مجربين .

بعدئذ ، عندما حلت الدجنة ، فر (ميلتوسوس) التراشي نحو العاهل ، مستصحبا اربعين من افذاذ الفرسان الذين كانوا لديه ، ما يقرب من ثلاثمئة راجل تراشي . اما الباقون ، فسار بهم كليرخوس حسب تعليماته ، وتبعوه حتى ادركوا محطة التوقف الاولى حوالي منتصف الليل ، حيث اريوس وعسكره . لقد اوقف القادة وضباط المئة اليونانيون رجالهم في نسق حربي ، وانطلقوا ليواجهوا اريوس . ثم ان اليونانيين من ناحية ، واريوس مع اهم ضباطه من الناحية الاخرى ، اقسموا اليمين على عدم خيانة احدهم الآخر ، وعلى ان يكونوا حلفاء صادقين . كما ان رجال الفرس ادوا قسما آخر على اقتياد اليونانيين للعودة بهم دون اي خداع . لقد سبقت هذين القسمين ، تضحية ثور وخنزير وكبش على مجن . فغمس اليونانيون في الدم حساما ، والفرس حربة .

وعندما تم التعاهد على ذلك ، قال كليرخوس : « والآن يا اريوس ، ما دمنا سالكين نفس السبيل ، قل لنا ما وجهة نظرك بشأن الطريق التي ستسلك . هل سنعود من حيث اتينا ام ان في ذهنك مسلكا افضل ؟ » .

اجاب اريوس : « اذا كنا سنسلك في الاوبة طريق مجيئنا ، هلكنا جميعا من الجوع ، فقد امسينا الآن من غير مؤن . وحتى اثناء طريقنا الى هاهنا ، عجزنا عن استحصال اي شيء من البلاد التي اجتزنا خلال سبعة عشر يوما ــ اذ لو كان ثمة شيء ما ، لوجدناه اثناء توجهنا الى هنا . اننا الآن نرتئي الرجوع عن طريق اطول حقا ، لكن المؤن لن تعوزنا خلالها . ينبغي ان نجعل المراحل الاولى من سيرنا ابعد ما نستطيع ، لنترك اقصى مسافة ممكنة ، تفصلنا عن جيش العاهل . ان تمكنا ، لاول وهلة ، من السير مسافة يومين او ثلاثة بعيدا عنه ، فسوف لن تتوفر للعاهل فرصة اخرى لادراكنا . انه لن يجازف بان يلاحقنا بقوة ضئيلة ، واذا سار بجيش جرار ، فلا يستطيع السير حثيثا . كما يحتمل ان تنقصه التجهيزات . هذا هو رأيي حول الموقف » .

ان الامكانيات الوحيدة ، في هذه العملية الحربية ، كانت اما الابتعاد على غير مرأى من العدو ، او الانثناء عن مجال مطاردته . غير ان الحظ بات احسن دليل . اذ بطلوع النهار ، ساروا والشمس عن يمينهم ، مقدرين انهم مع صفو الشمس ، سيدركون القرى التي في بلاد بابل . ولم يخطئوا في هذا ، اذ بينما كان الوقت عصرا ، تخيلوا انهم يستطيعون مشاهدة فرسان العدو . فهرع اليونانيون السائرون بدون نظام الى اتخاذ مراكزهم . اما اريوس الذي كان في عجلته ، لاصابته بجرح ، فترجل ووضع عليه درعه كما فعل الآخرون الذين معه . لكنما اذ كانوا يتدججون بالسلاح ، عادت طليعة من الكشافة ، ارسلت للاستطلاع ، وافادت انهم ليسوا فرسانا بل دواب نقل الامتعة ، ترعى . فادرك كل فرد في الحال ان معسكر العاهل في موضع قريب ، وفي الحقيقة كان الدخان يشاهد في القرى غير البعيدة كثيرا . لكن كليرخوس لم يقد رجاله قدما ليغيروا على العدو ، لعلمه ان التعب قد انهكهم ، وانهم لم يتناولوا وجبة طعام . كما ان الوقت كان متاخرا الان . ومن ناحية اخرى ، اهتم الا يدع مجالا للانطباع عنه انه كان لائذا بالفرار ، فلم يغير وجهته ، بل استمر في السير قدما . ومع غروب الشمس ، خيم مع الطليعة في اقرب قرية ، حيث ان جيش العاهل قد اقتلع من المنازل حتى ابوابها ونوافذها الخشبية .

مع ذلك ، تمكنت الطليعة من تهيئة مخيم نوعا ما ، لكن الذين وصلوا فيما بعد اثناء العتمة ، خيموا انى وجدوا انفسهم ، واحدثوا الكثير من الجلبة اثناء مناداتهم بعضهم بعضا حتى بات في مقدور العدو ان يسمعهم . فنجم عن ذلك ، ان الاعداء الاقربين فروا فعلا من خيامهم . لقد اتضح هذا في اليوم التالي ، اذ لم يبق ، ضمن مدى البصر ، اية دابة نقل الامتعة كما انه لم يُرَ اي معسكر او خان فيما جاور . كما ظهر ان العاهل ذاته قد اصيب بالذعر عند دنو اليونانيين ، والحقيقة انه كشف عن ذلك بجلاء فيما فعل في اليوم التالي .

لكن اليونانيين انفسهم ، قاسوا من ذعر مباغت ، داهمهم ليلا ، فحدث من الضجيج والضوضاء ما يتوقع الفرد عندما تسود حال من الفزع . بيد ان كليرخوس اوعز الى (توليدس) الايلي(٦٤) الذي اتفق ان كان معه ، وكان احسن مناد في زمانه ، ان يامر بالصمت ثم بالمناداة : « يعلن القادة ان الرجل الذي ياتي بمعلومات حول الذي سمح بانفلات حماره بين الاسلحة ، سينعم عليه بوزنة فضة(٦٥) . فعندما وعى الجنود هذا النداء ، اطمانوا ان ليس لذعرهم مبرر ، وان القادة كانوا في مامن . وعند الفجر اوعز كليرخوس الى اليونانيين بجعل صفوفهم بنفس التشكيل الذي كانوا عليه اثناء المعركة .

ان ما ذكرت آنفا حول ذعر العاهل عند دنو اليونانيين ، قد ثبت بما جرى فيما بعد . فمع انه في اليوم المنصرم ، اوفد من يامر الاغريق بتسليم اسلحتهم ، لكنه الان انفذ ، مع بزوغ الشمس ، مخبرين لبحث الشروط .

---

(٦٤) نسبة الى Elea وهي من مستعمرات الاغريق في جنوبي ايطاليا المسماة ايضا Graecia Magna

(٦٥) وزنة الفضة تعادل (٢٥٠) أو (٢٤٠) جنيها .

قدم هؤلاء المخبرون الى الخفراء في المقدمة ، وطلبوا مواجهة القادة ، فابلغ الخفراء تلك الرسالة . فقال لهم كليرخوس ، وهو حينذاك يفتش المفارز ، أن يخبروا الموفدين بالانتظار ، ريثما يسنح له الوقت . ثم جعل العسكر حسب تشكيل ، بدا زاهيا للناظر ـ فيلق مرصوص من اية ناحية شوهد ، دونما فرد مجرد من السلاح . ثم استدعى كليرخوس المخبرين ، وتقدم بنفسه نحو الامام ، بصحبة احسن جنوده قيافة وسلاحا ، وأخبر القادة الآخرين ان يحذوا حذوه . وعندما وصل الى المخبرين ، استفهمهم حاجتهم ، فاجابوا انهم قد قدموا ليبحثوا الشروط ، وان لديهم من التخويل ما يكفي لتبليغ اليونانيين رغبات العاهل، أو ابلاغ العاهل برغبات اليونانيين .

فقال كليرخوس : « اذن تستطيعون ابلاغه بهذا : سينبغي أن نخوض الهيجاء اولا . لا نملك شيئا للفطور ، وما من فرد سيجرأ على أن يحادث اليونانيين بشان الشروط حتى يزودهم بالفطور » .

عند سماع ذلك ، انطلق المخبرون بخيولهم ، وآبوا مسرعين فاتضح ان العاهل ، أو غيره ممن قد عهد اليه في هذه المهمة ، كان في موقع قريب . فأفادوا ان العاهل عد قول كليرخوس معقولا، ولذا فقد استصحبوا مرشدين ، يرشدونهم الى موضع يستطيعون فيه الحصول على الذخائر ، ان تم الاتفاق على الشروط .

واستفهم كليرخوس ان كانت الهدنة ستسري فقط على الذين ذهبوا وعادوا، أم على كل فرد كذلك. فقالوا : « ان الهدنة تنطبق على كل فرد ، وستكون نافذة المفعول حتى يُبلَّغ العاهل برسالتك » .

عندئذ ، سألهم كليرخوس أن ينسحبوا ، وتداول المسألة مع الآخرين . لقد كانت الفكرة ، عامة ، تحبذ عقد الهدنة في الحال ، ثم الذهاب بيسر للحصول على الذخيرة . قال كليرخوس: « تلك هي فكرتي الخاصة كذلك . لكني لا أشاء اعطاء الجواب حالا . سأمدد الوقت حتى يتبادر الى المخبرين الوجل اننا قد نجمع لا على الهدنة » . بيد انه اضاف : « يخيل الي أن جنودنا كذلك سيعتريهم الوجل مثلهم تماما » .

ولما حسب أن الوقت الموائم قد حان ، اجاب انه سيعقد الهدنة ، وأخبرهم ان يرشدوا الى حيث المؤن في الحال . ففعلوا ذلك ، لكن كليرخوس ، بالرغم من عقد الهدنة ، سار مع الجيش بنظام حربي ، واقتاد المؤخرة بنفسه . فاعترضتهم قنوات وترع مغمورة بالمياه الى حد تعذر عليهم اجتيازها من غير جسور . بيد أنهم وضعوا العبرات باستخدام سيقان النخيل واقتطاع أخرى .

هنا تيسرت فرصة حسنة لمشاهدة الكيفية التي بها قاد كليرخوس رجاله ، بحربته في يسراه ، وقناته في يمناه . اذا ظن تهاونا من اي فرد من الرجال في عمل ما قد اوكل اليهم ، التقط الرجل المتهاون وبغزه . وفي ذات الحين ، طمس في الوحل ، وساهم في الاعانة بيده ، وبذا خجل كل فرد من عدم الاشتغال معه بجد . ان الذين اختيروا للمهمة ، كانوا ممن ناهزوا سن الثلاثين ، ولكن عندما لاحظوا كليرخوس يعمل فيها جادا ، انضم اليه من هم أكبر سنا كذلك . كان كليرخوس اكثرهم ذفافا لارتيابه ان القنوات ما كانت طافحة بالمياه الى هذا القدر دائما ، لان أوان ارواء السهل لم يكن في ذلك الفصل من السنة . فارتاب أن العاهل قد غمر السهل بالماء ، وغايته من ذلك هي أن اليونانيين قد يحصل لديهم الظن بوجود أخطار عديدة تجابههم في طريقهم حتى في هذا الحين .

وبعد التقدم ، وصلوا القرى حيث قال لهم الادلاء انهم يستطيعون الحصول على المؤن . فكانت الغلال مبذولة بوفرة وكذلك الصهباء المصنوعة من التمر ، وشراب حامض معمول من التمر المطبوخ . أما التمر ذاته ، فالصنف الذي يراه الشخص في اليونان ، كان يعزل جانبا للخدم ، بينما الانواع المخصصة للسادة ، كانت فاكهة منتقاة ، كبيرة الحجم ، رائقة المنظر ، الوانها كالعنبر تماما، واعتادوا تجفيف بعضها وحفظها كحلويات . وكان ثمة مشروب آخر ، حلو المذاق(٦٦) ، لكنه قد يصيب شاربه بالدوار . ولاول مرة ، هنا كذلك ، أكل الجنود الجمار(٦٧) المستخرج من قلب النخلة ، وكان معظمهم مفتونين جدا بمظهره ومذاقه اللذيذ الغريب ، ولو ان متناوله كان ، كذلك ، شديد التعرض للاصابة بالصداع . وكل نخلة ، استخرج منها الجمار ، ذبلت نهائيا .

فاقاموا هنا ثلاثة ايام ، ثم جاء بصفة رسل من لدن العاهل: تيسافرنوس وصهر العاهل وثلاثة آخرون من الفرس ، مع جملة من العبيد ليقفوا على خدمتهم .

فذهب القادة اليونانيون لاستقبالهم ، واستهل تيسافرنوس المباحثات بالكلام على النحو التالي بوساطة مترجم : « اني ذاتيا ، اصدقائي الاغريق ، اعيش متاخما حدود اليونان ، وعندما رأيت أنكم امسيتم في مثل هذا الوضع الحرج للغاية ، اعتبرتها فرصة موفقة لي ان تمكنت باية وسيلة من اقناع العاهل بقبول التماسي بان اعيدكم سالمين الى بلادكم بالذات . اظنه صنيعا سأحمد عليه منكم ومن بقية اليونانيين . فاعتقادا مني بذلك ، رفعت رجائي الى العاهل ، وأن من الصواب واللائم له ان يمنحني هذا المعروف ، لاني أول من انباه بزحف كورش عليه ، وعندما جلبت النبا ، استصحبت العساكر ، كما اني الوحيد الذي لم ينهزم من بين الذين جابهوا اليونانيين في المعركة بل على النقيض ، اخترقتهم واتصلت بالعاهل عندما وصل معسكركم غب مقتل كورش ، وبعد ذلك ، طاردت جيش كورش الفارسي برفقة هؤلاء الرجال الذين معي حاليا ، وهم اوفى اصدقاء العاهل . حينذاك ، وعدني العاهل النظر في مطلبي ، وفي ذات الحين ، امرني بالتوجه اليكم لاستوضحكم الغاية من زحفكم عليه . اني انصحكم باعطاء رد معقول ، كي استطيع ، بسهولة أكثر ، استحصال كل منفعة اقدر عليها من أجلكم » .

عند ذلك ، انسحب اليونانيون ، وتشاوروا فيما أبداه . فاجابوا بلسان ناطقهم كليرخوس : « لم نات ، لاول وهلة ، سوية بقصد محاربة العاهل ، وما كنا بعدئذ زاحفين على العاهل لقد كانت الحال ، بالاحرى ، كما تعلم حق العلم ، أن كورش ظل يختلق لنا الاعذار المختلفة للزحف بنية الامساك بك بمنأى عن جندك ، فيحملنا على القدوم الى هنا . بيد اننا لما لاحظنا انه غدا في وضع خطر ، شعرنا بالخجل امام السماء وتجاه اعين الملأ ان نخونه . أما الان وقد قضى كورش نحبه ، فلسنا منازعين العاهل امبراطوريته ، وليس من باعث يستوجب رغبتنا

---

(٦٦) يصعب التكهن بنوع الشراب المقصود لوجود أشربة عديدة قديما منها شراب البطيخ المسكر مثلا وغيره كثير . ولعله يقصد الدبس الحلو الذي هو عصير التمر .

(٦٧) لقد استعمل الناقل الى الانكليزية كلمة (Cabbage) التي تعني (اللهانة) بلغة العراق والكرنب أو الملفوف بلغة سورية ، ليدل بها على كلمة (جمار) وهي قلب النخلة والمدلول الصحيح الانكليزي لها هو (Spadix)

في الحاق الضرر ببلاده ، أو في قتله . ان رغبتنا الاوبة الى الوطن ، شريطة ألا يعاكسنا أحد . أما اذا أساء أحد معاملتنا ، فاننا سنبذل كل ما في وسعنا ، بعون الآلهة لأقصائه عنا . ومن جهة اخرى ، ان كان ثمة من يسدي الينا العون ، فسنعمل حتما ، غاية جهدنا ، لمنحه نفس المقدار من المساعدة تماما » .

ذلك ما قال كليرخوس . لقد اصغى اليه تيسافرنوس ، وقال : « سأنقل رسالتك الى العاهل ، ثم أعود اليك برده . اننا نعتبر الهدنة سارية المفعول حتى أعود ، وسنتيح لكم الفرص لابتياع الطعام » .

في اليوم التالي ، لم يعد تيسافرنوس ، فشعر اليونانيون ببعض القلق ، لكنه جاء في اليوم الثالث ، وقال انه قد وصل بعد فلاحه في اقناع العاهل أن يسند اليه مهمة انقاذ اليونانيين - بالرغم من وجود العديدين الذين خالفوه ، قائلين : « ليس من الصواب ان يسمح العاهل بنجاة الذين زحفوا عليه ، لذا في مقدوركم قبول ضماننا . اننا نعد أن نيسر لكم ارشادا مأمونا عبر بلادنا ، وأن نعيدكم الى اليونان من غير خداع ، ونتيح لكم فرصا لتبتاعوا الطعام ، وعند تعذر ذلك ، نسمح لكم بأخذ مؤنكم من الريف . ومن ناحيتكم ، عليكم ان تؤدوا لنا القسم وتعدون أنكم ستسيرون وكأنكم في قطر صديق ، وان أخفقنا في اتاحة الفرصة لكم أن تبتاعوا المؤن ، فستأخذون طعامكم وشرابكم من غير احداث ضرر ، وان اتحنا لكم فرصة ، فستدفعون أثمان ما تحصلون عليه من الميرة » .

لقد اتفق على هذا ، وحلف اليمين . فمد كل من تيسافرنوس وصهر العاهل يمينه نحو القادة والرؤساء اليونانيين ، وتصافحا معهم . بعد ذلك ، قال تيسافرنوس : « والان ساعود الى العاهل . سأقفل راجعا حال فراغي من انجاز ما يجب ، وأنا بكامل الاهبة لمرافقتكم في الاوبة الى اليونان ، والرجوع بنفسي الى محافظتي » .

بعد ذلك ، انتظر اليونانيون ، وعسكر(٦٨) آريوس رجعة تيسافرنوس مدة نيفت على عشرين يوما ، وكانوا قد عسكروا متلاصقين . أثناء هذه الفترة ، قدم أشقاء آريوس وأقرباء آخرون لرؤيته ، وجاء عداهم من الفرس لزيارة أصدقائه . وقد أدلوا ببيان أمور مشجعة ، وجلبوا الى بعض الافراد ضمانات من العاهل ، أنه لا يحمل نحوهم أية نية سيئة لانضوائهم تحت لواء كورش ضده ، أو لأي شيء قد حدث سابقا .

وبان بعد هذه المحادثات ان جماعة آريوس غدوا أقل اهتماما باليونانيين ، وكان هذا باعثا آخر لتمقتهم غالبية اليونانيين . والحقيقة ، لقد قصد الجنود كليرخوس والقادة الآخرين ، وقالوا : « علام انتظارنا ؟ أليس واضحا ان العاهل سيفعل أي شيء ليبيدنا ، كي يجعل بقية اليونانيين يخشون المسير ، كما فعلنا ، ضد العاهل العظيم ؟ انه الان بسبب تشتت جيشه ، ولغايات عدة ، يشجعنا على المكوث حيث نحن ، لكنه سيهاجمنا حتما حالما تتجمع قواته ثانية . أم يجوز أنه يحفر الخنادق،ويقيم القلاع في مكان ما لجعل طريقنا متعذر الاجتياز . انه حتما لا يرتضي ، اذا استطاع الى ذلك سبيلا ، رجوعنا الى اليونان لنسرد قصتنا انا ، بضآلة عددنا ، قهرنا العاهل عند أبواب جوسقه ، ثم عدنا الى الوطن سالمين ، جاعلين من شخصه أضحوكة » .

فرد كليرخوس على الذين افصحوا عن ذلك ، بالقول : « اني أشعر عين شعوركم تماما . ومن جهة أخرى ، أعتبر لو ذهبنا الان ، لعد عملنا اعلان الحرب ونقض الهدنة . ان أول شيء سيعقب ذلك هو أن ما من أحد سيتيح لنا ابتياع المؤن أو أي مجال لاطعام أنفسنا . ثم ، لن يتوفر لنا الدليل ليدلنا على الطريق . في نفس الوقت ، ان فعلنا كما تقترحون ، سيتخلى عنا آريوس في الحال ، فتغدو النتيجة أننا سوف لا نملك صديقا واحدا . وعلى النقيض من ذلك ، سيمسي أصحابنا سابقا خصوما . لا أعلم ان كنا سنجتاز أنهارا أخرى ، لكننا نعرف أن من المتعذر عبور الفرات مع مواجهة مقاومة العدو . ثم ، ليس لدينا الفرسان اذا نشبت معركة ، بينما فرسان العاهل ، أعداد هائلة وأكثر أسلحته مضاء . لذا ان أحرزنا نصرا ، صعب علينا قتل أي فرد من أعدائنا ، بينما اذا قهرنا ، فلن ينجو منا أحد . ان كان العاهل يروم تحطيمنا ، فلا علم لدي - وهو يمتلك كل هذه المزايا - بالداعي لتأديته القسم ، وتبادل يمين الصداقة ، فحنث وجعل ضماناته عديمة القيمة في عيون الاغريق والفرس » . كثيرا ما تعود كليرخوس هذا الضرب من الجدال .

في غضون ذلك ، وصل تيسافرنوس بجيشه ، ونيته - ظاهرا - الاوبة الى الوطن . كما جاء أورونتاس مع عسكره مصطحبا ابنة العاهل ، قرينة له . فساروا من ثم قدما ، وتيسافرنوس يدلهم الطريق ويتيح الفرص لابتياع الميرة . كما أن آريوس سار مع جيش كورش الفارسي بمعية تيسافرنوس وأورونتاس وعسكر معهما . فتطلع اليونانيون اليهم بارتياب ، وساروا مستقلين أثناء الطريق ، مستخدمين مرشديهم الخاصين بهم ، وعسكر الجيشان تفصلهما مسافة ثلاثة أميال على الاقل دائما . وراقب كل جانب الاخر كأنهما متعاديان ، فنجم عن ذلك، بطبيعة الحال ، مزيد من الريبة . وفي بعض الاحيان ، عندما كانوا يحتطبون في نفس الموضع ، أو يجلبون العليق وما شابه ، حدثت المشاجرات بينهم ، وهذا أيضا ، يستثير الضغينة طبعا .

بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وصلوا السور المادي ، واجتازوه نحو الطرف الاخر . كان ذلك السور مصنوعا من الطابوق الذي يتخلل القار طبقاته ، وكان سمكه عشرين قدما وارتفاعه مئة قدم وقيل ان طوله يمتد نحو ستين ميلا . انه جد قريب من بابل(٦٩).

أعقب ذلك مسيرة (٢٤) ميلا خلال يومين ، عبروا أثناءها ترعتين ، احداهما فوق جسر ثابت والاخرى فوق جسر عائم على سبعة قوارب . كان ماء الترعة يرد من دجلة ، ومنها تتفرع قنوات تمتد الى أطراف البلاد ، عريضة في البديئة ، ثم تضيق حتى تغدو في النهاية كالمجاري التي عندنا في حقول الدخن في اليونان .

ثم جاءوا دجلة حيث قامت بقربه مدينة واسعة كثيفة السكان ، تدعى (سيتاس)(٧٠) ، تبعد عن النهر ميلا ونصف

(٦٨) كلمة (عسكر) زيادة من المعرب للايضاح اذ أن النص الانكليزي يذكر « اليونانيون وآريوس » .

(٦٩) من كلام (زينوفون) يبدو أن السور المادي لا يبعد كثيرا عن (بابل) - أي مسيرة يوم أو أقل ، بينما يذهب الاستاذان طه باقر وفؤاد سفر الى ان موقع السور المذكور شمالي (بلد) وجنوبي (اصطبلات) . ولذلك أرجح أن شطرا منه قد انهدم . أو أن ما ذكره (زينوفون) ليس سوى سد خزان نبوخذنصر .

(٧٠) Sittace - أغلب الظن أنها (المدائن) التي يقوم بحذائها طاق كسرى المشهور وأطلالها حاليا قريبة جدا من نفساء سلمان پاك المطلة على دجلة أو بالاحرى موضع ←

الليل . لقد عسكر اليونانيون بجوار المدينة قرب حديقة شاسعة مكتضة بجميع أصناف الشجر . أما الجيش الوطني ، فقد اجتاز دجلة ولم يعد له أثر .

وبعد العشاء ، عندما اتفق أن كان (بروكسينوس) و (زينوفون) ماشيين أمام الموضع الذي كدست عنده الاسلحة، قدم رجل يستفهم الحراس عن المكان الذي يستطيع فيه العثور على بروكسينوس وكليرخوس . لم يستفسر عن (مينون) مع أنه قدم من قبل صديق (مينون) : آريوس . عندئذ قال بروكسينوس : « أنا هو من تطلب » . فتكلم الرجل قائلا : « لقد بعثت من لدن آريوس وأرتاوزوس المخلصين لكورش ، وهما صديقاكم . انهما يستحثانكم لتكونوا على يقظة من هجوم يشنه الجيش الوطني أثناء الليل . ثمة قوة هائلة في الحديقة المجاورة . كما يستحثانكم على اقامة حراسة على الجسر فوق دجلة ، لأن تيسافرنوس ينوي ، ان استطاع ، تحطيمه ليلا ، كي تعجزوا عن عبوره ، فتعزلوا بين النهر والقناة » .

عندما وعى بروكسينوس وزينوفون هذا ، أخذا الرجل الى كليرخوس وأخبراه بما أفاد . فاضطرب كليرخوس وانزعج كثيرا عندما سمع الحكاية . لكن شابا حاضرا هناك ، قال بعد تمعن قليل : ثمة تناقض في هاتين الخطتين : شن الهجوم وتحطيم الجسر . فجلي اما أن يكون هذا الهجوم ظافرا أم فاشلا . فان كان ظافرا ، ما قصدهم من هدم الجسر ؟ سوف لن تتوفر لدينا فرصة النجاة حتى لو تيسرت الجسور العديدة . ولنفرض من ناحية أخرى أنه فاشل ، عندئذ اذا دمر الجسر ، فلن تتوفر لديهم وسيلة النجاة . فضلا عن ذلك ، اذا هدم الجسر ، استحال على أي فرد من أصحابهم كافة ، في الطرف الآخر ، أن يخف الى نجدتهم » .

سلوقية (تلول عمر) وهذا هو نفس رأي المستشرق الجيكي موسيل في كتابه (الفرات الاوسط) — ص ٢٢٦ . وقال الدكتور أحمد سوسه في كتابه (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) — ص ٢٢ : « لقد اختلف العلماء في أمر تعيين موقع مدينة سيتاس ، فظنه بعضهم في شمال بغداد وهؤلاء ممن يعتنقون النظرية القائلة بأن سور الميديين كان يقع شمالي بغداد ، وبينهم المستر (جيزني) الذي يميل الى الظن بأنها كانت تقع في (الشريعة البيضاء) شمالي التاجي بقليل . والبعض الآخر ، ممن يرون أن سور الميديين كان يقع جنوب بغداد ، ظن أن موقع (سيتاس) يحتمل ان يكون في اماكن عدة جنوب بغداد . فالمستر (كروت) في كتابه (تاريخ اليونان) — الجزء التاسع — يرى أن مدينة سيتاس كانت تقع على بعد ثلاثة أميال من جنوب مدينة بغداد ، بينما نجد المستر (رولنسن) في كتابه (الممالك القديمة) — الجزء الاول — يميل الى تعيين موقع سيتاس على الضفة الشرقية من دجلة في مسافة تبعد (٣٢) ميلا من جنوب شرقي نهر ديالى . وهناك من يرى أن (تلول الدير) الواقعة على الضفة الشرقية من دجلة على بعد زهاء (٦٠) كم من جنوب مصب نهر ديالى هي عبارة عن اطلال سيتاس . وقد ذكر (سترابون) ان مدينة سيتاس تقع على الطريق بين بابل وسوسه وعلى بعد نحو (٥٠) ميلا من الاولى . ومهما يكن من امر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن سيتاس كانت تقع في محل ما جنوب بغداد بالقرب من نهر دجلة » .

لقد أصغى كليرخوس الى ذلك ، واستعلم المخبر عن فسحة الارض الكائنة بين دجلة والقناة . فأجاب : « انها كبيرة وفيها ضياع وعدد من المدن الكبيرة » .

عند ذلك أجمعوا ان للفرس غرضا خاصا من ارسال هذا الرجل . فهم خشوا أن يلجأ اليونانيون الى تجزئة الجسر الى أوصال ، فيمكثوا في الجزيرة ، وبهذا يشكل كل من دجلة والقناة خطي دفاع على الجانبين . انهم يستطيعون الحصول على التجهيزات من الصقع الخصيب المترامي ، الآهل بالناس العاملين . وبالتالي يغدو وضعهم كملجأ لأي فرد شاء العمل ضد العاهل .

وبعد توصلهم الى هذا الاستنتاج ، ذهبوا للرقاد . غير أنهم أقاموا الحراسة فوق الجسر ، لكن الحرس أنبأ بعدم حدوث هجوم من أي اتجاه ، ولم يدن من الجسر أي نفر من العدو .

مع بزوغ الفجر ، عبروا الجسر المشيد من سبعة وثلاثين قاربا ، واتخذوا جميع الاحتياطات الممكنة ، اذ أن بعض اليونانيين الذين في خدمة تيسافرنوس أفادوا ان الفرس مبيتين الهجوم أثناء اجتياز اليونانيين . بيد أن هذا الاخبار كان عاريا من الصحة ، ولو أن (جلوس) وآخرين برزوا للعيان أثناء عبورهم للتثبت من اجتيازهم النهر حقيقة . فعندما رآهم فاعلين ذلك ، انطلق راكبا .

تلا ذلك مسيرة (٦٠) ميلا في بحر أربعة أيام ، فوصلوا نهر (فيسكوس)(٧١) الذي عرضه (١٠٠) قدم وفوقه جسر . كانت هنا مدينة عظيمة تدعى (أوبس)(٧٢) حيث التقى بالقرب منها شقيق كورش وأرطحشست غير الشرعي باليونانيين . وكان يقود جيشا لجبا من (شوشه)(٧٣) و (أكباتانا)(٧٤) للقتال في نصرة العاهل ظاهرا . وعند مرور اليونانيين ، أوقف جيشه وراقبهم . لقد قاد كليرخوس رجاله قدما بشكل اثنين اثنين ، جنبا لجنب ، يسيرهم ويوقفهم عند مراحل . وعند توقف الطليعة ، كان الصف بطوله يتوقف طبعا ، حتى ان اليونانيين أنفسهم حسبوا أن جيشهم كان جرارا للغاية ، بينما كان الفرس في أقصى العجب لمنظرهم .

أعقب ذلك مسيرة (٩٠) ميلا خلال ستة أيام عبر الصحراء داخل (ميديا) ، فوصلوا الارياف العائدة الى (باريزاتس) والدة كورش وأرطحشست . ان تيسافرنوس ، بغية اهانة كورش ، أباحها لليونانيين لاخذ ما شاءوا منها ، خلا العبيد . كان هنالك الكثير من الغلال والضان وأشياء أخرى ذات قيمة .

ثم تلت مسيرة (٦٠) ميلا خلال أربعة أيام عبر الصحراء تاركين دجلة على اليسار . في اليوم الاول للمسير ، لاحظوا

(٧١) Physcus أرجح أنه نهر الادهم المسمى العظيم حاليا

(٧٢) Opis — المرجح أنها (بلد) الحالية والاختلاف في تعيينها يعود الى الاختلاف في تعيين السور المادي وبحث هذا الموضوع طويل . راجع ص ١١—١٢ من كتاب (وادي الفرات ومشروع سدة الهندية) للدكتور أحمد سوسة .

(٧٣) Susa — عاصمة الفرس قديما .

(٧٤) Ecbatana هي مدينة (همدان) أو (همذان) حاليا وعاصمة ميديا قديما ، اسست حوالي سنة (٧٠٠) ق.م .

مدينة كبيرة غنية تدعى (كايناي)(٧٥) مشيدة على الضفة الاخرى من النهر . لقد جلب سكان هذه المدينة ارغفة وجبنا ونبيذا ، عابرين بها النهر فوق الاطواف(٧٦) المصنوعة من الجلود .

بعدئذ ، جاءوا نهر الزاب(٧٧) الذي كان عرضه (٤٠٠) قدم ، فمكثوا هناك ثلاثة أيام ، وخلال هذه المدة ـ رغم استمرار الارتياب ـ لم تبد دلالة حقيقية على الغدر . لذا صمم كليرخوس على مواجهة تيسافرنوس والعمل ، غاية المستطاع ، لايقاف هذه الشكوك قبل ان تؤول الى خصومة سافرة . فانفذ فردا ينبيء انه شاء مواجهته ، فاستدعاه تيسافرنوس في الحال للمجيء . وعند اجتماعهما تكلم كليرخوس قائلا : « اني اعلم ، ياتيسافرنوس ، اننا قد اقسمنا اليمين ، وتبادلنا الضمانات الا يلحق أحدنا الضرر بالآخر ، بيد اني الاحظك تراقب تحركاتنا وكاننا خصوم . فنحن اذ نلاحظ هذا ، ننظر اليكم بالمثل . عند تفحص الامور ، اعجز عن ايجاد الدليل انك تحاول الاضرار بنا ، واني لموقن تماما ـ بقدر ما يتعلق الامر بنا ـ اننا لا نفكر اصلا في مثل هذا ، لذا قررت ان ابحث القضايا معك ، لارى ان كنا نستطيع وضع حد لسوء الظن المتبادل هذا . فكما اعلم من حوادث وقعت في الماضي ، نتيجة لانباء مفتراة احيانا ، ولمجرد عامل الشك احيانا اخرى ، عند توجس اناس فزعا بعضهم من بعض ، ثم في خضم تشوقهم الى انزال الضربة اولا ، قبل حدوث اي شيء لهم ، قد الحقوا ضررا لا يرجى اصلاحه باولئك الذين لم يعتزموا ، ولا أرادوا اصلا ، أن يلحقوا بهم اي اذى مطلقا . فاقتنعت عندئذ ان سوء التفاهم ، من هذا القبيل ، يسير انهاؤه على افضل وجه بالاتصال الشخصي ، وابغي أن أوضح لك ان ليس لديك ما يبرر اساءتك الظن بنا . فاول واهم سبب هو أن قسمنا قدام الآلهة يمنعنا ان نصبح اعداء بعضنا لبعض . ان الرجل الذي يمتلك ضميرا يحتمل نبذ مثل هذه اليمين ، ليس بالشخص الذي اقدر على تهنئته ابدا . ان فردا ، هو عدو الآلهة ، لا ارى كيف يستطيع الافلات العاجل ، ولا موضعا يهرب اليه للنجاة ، ولا ما سيكتنفه من الظلمة ، ولا مكانا من القوة ما يحمله على اللجوء اليه . فجميع الاشياء في كل الاماكن معرضة للآلهة ، وطاقة الآلهة تشمل جميع الاشياء على حد سواء .

« هذا اذن ، اعتقادي عن الآلهة والايمن التي اقسمنا ـ تلك الايمن التي صيانة لها ، اودعناها ايدي الآلهة حينما تحالفنا على الصداقة . والان عند بحث علاقتنا بالافراد ، اعتقد انك في هذا الظرف افضل ما نملك . بعونك كل طريق سهلة ، كل نهر ممكن العبور ، ولن يكون ثمة نقص في التجهيزات ، لكن بانعدام مساعدتك ، ستمسي رحلتنا باسرها في الظلام ، مازلنا لا نعلم عنها شيئا ، اذ سيغدو كل نهر عقبة شاقة ، وكل فئة من الخلق ستوحي الينا الخوف ، واكثر ما يرهب الاصقاع غير المأهولة ، حيث يدجر المرء في كل السبل .

« لو كنا من الجنون بان نقتلك ، ما الذي سنتوصل اليه غير القضاء على المحسن الينا ، ثم ينبغي أن نعادي العاهل الذي سيكون بالمرصاد مع كامل قوته ليثار لك . وبقدر ما يخصني الامر ، أستطيع أن اخبرك عن جميع المطامح العظيمة التي ساخسرها ان انا حاولت الاضرار بك . ان الباعث الذي رغبني أن يكون كورش صاحبي ، هو اعتقادي انه احسن معاصريه قاطبة من حيث القدرة على مساعدة الذين شاء مساعدتهم . اما الان ، فلاحظك تملك ولايات كورش وقواته ، كما تملك ما يعود اليك ، وقوة العاهل التي ناهضت كورش بجانبك كذلك . فمع كل مكاسبك هذه ، من هو ذلك المعتوه الذي لا يود أن يغدو صاحبك ؟ كما اني سانبئك عن الباعث الذي يجعلني اعقد آمالا طيبة في رغبتك لتكون صاحبنا كذلك . اولا ، هناك (الميسيون)(٧٨) الذين ، كما اعلم ، يسببون لك الاضطراب ، وانا واثق ان في مقدوري اخضاعهم بالقوة التي امتلك حاليا . كما اعرف (البيزيديين) كذلك ، وأعلم بوجود فئة من مثيري الشغب ، واعتقد ان في وسعي منع هؤلاء قاطبة من اقلاق راحة بالك باستمرار . واني لعالم بنقمتك على المصريين بصورة خاصة ، ولا ارى كيف يتسنى لك الحصول على قوة افضل مما في حوزتي الان لتعضدك في معاقبتهم . أجل ، وفيما يتعلق بالولايات على تخومك ، تستطيع ان شئت أن تغدو أجدى الاصدقاء ، أو ان اثار أحدهم الاضطراب ، استطعت ـ ونحن في عونك ـ أن تتصرف كحاكم بامره ، وسوف لن نخدمك لاجل مجرد الاجر ، بل من اجل الشكران المناسب الذي سنكنه لك لانك انقذت حياتنا . عندما أفكر في كل هذا ، يبدو لي ان انعدام ثقتك بنا غير قابل للتصديق الى حد أود كثيرا معرفة اسم الرجل الذي له من المقدرة على الاقناع ما يجعلك تعتقد تآمرنا عليك » .

هذا ما قال كليرخوس . فاجاب تيسافرنوس قائلا : « اني ياكليرخوس في الحقيقة لمغتبط ان أسمع حديثك المعقول . انك بما تمتلك من المشاعر ، يتراءى لي أنك لو كنت تفكر في ايذائي ، لكنت في الوقت عينه تتآمر على مصالحك الذاتية . أما الان فعليك أن تصغي بدورك كي تقتنع انك انت ايضا ستكون مخطئا لو خامرك اي نقص في الثقة بالعاهل أو بي .

« لو شئنا فعلا ابادتكم ، هل تعتقد أن الفرسان والمشاة تنقصنا ، أم النوع المناسب من المعدات التي نتمكن بها من اتلافكم دون تعرضنا لخطر ازهاق الارواح من جانبنا ؟ ام انك تحسب من الجائز عدم عثورنا على مبرر ملائم نهاجمكم بموجبه ؟ تذكر الاصقاع الدلصة التي تخترقون بمشقة كبيرة حتى حينما يكون القاطنون مسالمين . تامل كل الجبال التي ينبغي ان تجتازوها ، والتي نستطيع احتلالها اولا ، فنجعل عبورها من المتعذر عليكم . تصور جميع الانهار حيث نستطيع اقتطاعكم الى مفارز ، فنشاغلكم ما شئنا من الوقت . وثمة انهار لاتستطيعون عبورها مطلقا الا اذا اجتلبناكم عبرها . وحتى لو فرضنا أن حظنا من ذلك كان الاسوأ على طول هذه الجبهات ، فلك ان تتاكد ، على كل حال ، أن النار تفوق الغلال باسا ، واذا اضرمنا

---

(٧٥) Caenae التسمية يونانية معناها (المدينة الحديثة) والحديثة مدينة قديمة على دجلة غير التي على الفرات . وخارطة (تاريخ كلدو وآثور) للمطران أدي شير تبين وجود مدينة (شنا) الى الشمال من (بيجي) الحالية ، وربما هي كايناي .

(٧٦) الاطواف جمع (طوف) وهي قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض فيركب عليها في الماء .

(٧٧) Zapatas ـ اغلب الظن انه نهر الزاب الاعلى الكبير حاليا ، مع العلم أن المؤلف لم يأت على ذكر (الزاب) الاسفل الصغير مع انه قد اجتازه . وأرجح أن هذه التسمية فارسية لأن اليونانيين ، كما يقول المطران ادي شير في كتابه (تاريخ كلدو وآثور) ، يطلقون اسم (لوتوس) على الزاب الاعلى واسم (كابروس) على الزاب الاسفل .

(٧٨) القوم المنسوبون الى اقليم (ميسيا) غربي آسيا الصغرى .

النار في الغلال ، استطعنا اجتلاب المجاعة في المعركة الدائـــرة عليكم ، فلا تستطيعون مكافحة ذلك لو اوتيتم كل الشجاعة في العالم . فمع جميع هذه الوسائل التي نملكها لشن الحـــرب عليكم ، وبدون أن تجر احداها أي خطر الينا ، كيف تستطيع التصور أننا من دونها جميعا سنختار الاسلوب الذي ينطوي على الشر في نظر الآلهة ، والعار في عيون الناس ؟ بين القانطين والذين لا حيلة لهم ، ومن لا يملكون أي مخرج ، فقط ، ستجد أناسا (وحتى آنذاك يتحتم ان يكونوا اوغادا) يرغبون في تأمين غاياتهم عن سبيل تأدية اليمين الغموس أمام الآلهة ، ونكث العهود تجاه الناس . ليس ذا شأننا ياكليرخوس ، لســـنا حمقى وبُلهاً كهؤلاء .

« قد تسأل ، مازلنا نملك الطاقة على ابادتكم ، لمـــاذا لم نقدم على ذلك ؟ اسمح لي أن أقول لك ان المسؤول عـن ذلك رغبتي في كسب ثقة اليونانيين ، واني عن طريق اسدائهم الخير ، أبتغي الرجوع الى الساحل بمعاضدة جيش المرتزقة الذيـــن اعتمدهم كورش أثناء مسيرته الداخلية لسبب واحد هو انـه أعطاهم أجرهم . أما أوجه الاستفادة من مساعدتكم ، فقد ذكرت بعضها بنفسك ، وأهمها ، مع ذلك ، لا تعدو علمي . أعني ان للعاهل وحده ان يضع التاج على راسه ، لكن واحدا غير العاهل بفضل معونتك ، ربما تيسر له أن يحوز التاج في قلبه » .

فظنه كليرخوس مخلصا فيما ينطـــق ، فقال : « اذن ، فأولئك الناس الذين يحاولون بافتراءآتهم جعلنا متعادين ، في حين نملك جميع مقومات الصداقة هذه ، ألا يستحقون أسوأ مصير يلحقهم ؟ » . فقال تيسافرنوس : « أجل . وان كنتم ، أيها القادة والرؤساء ، على استعداد للقدوم الي ، فســأعلن جهارا أسماء الاشخاص الذين انبأوني أنكم كنتم تتآمرون علي وعلى عسكري » .

فقال كليرخوس : « سآتي بهم جميعا . وانا من ناحيتي ، سأدلك من أين استقيت معلوماتي عنك » .

بعد هذه المحادثة ، تصرف تيسافرنوس بتودد جم نحـــو كليرخوس ، وحثه آنذاك على البقاء ، فجعله ضيف العشاء .

في اليوم التالي ، عند عودته الى المعسكر ، أوضح كليرخوس أنه اعتبر كونه على غاية الوفاق مع تيسافرنوس ، وأن أولئك اليونانيين الذين ثبت أنهم كانوا يشيعون المفتريات ، تنبغي معاقبتهم كخونة وغير عابئين بالقضية اليونانية . لقد شك أن (مينون) يبث الاراجيف ، اذ بلغه ان مينون وآريوس قـــد اجتمعا بتيسافرنوس ، وأنه كان يعمل سرا لتشكيل حزب مناوىء ضده ، بقصد استمالة الجيش بأكمله نحوه ، فيصبح صاحبـا لتيسافرنوس . لقد ابتغى كليرخوس لذاته ولاء الجيش بأسره ، وأراد اقصاء المتذمرين عن سبيله .

لقد عارض بعض الجنود كليرخوس ، قائلين بعـدم وجوب ذهاب الرؤساء والقادةكافة ، وبانه يتحتم ألا يثقوا بتيسافرنوس لكن كليرخوس أصر بشدة حتى أفلح أخيرا في حمل خمسة قواد وعشرين رئيسا على المضي ، وانطلق معهم كذلك حوالي مئتين من الجنود الاخرين ، وكأنهم ينوون ابتياع الاطعمة .

فعندما بلغوا مدخل خيمة تيسافرنوس ، دعي القادة داخلا وهم : بروكسينوس البيوطي ، مينون الشالي ، آجيـــاس الاركادي ، كليرخوس الاسبرطي وسقراط الآشي . وانتظر ضباط المئة (الرؤساء) عند المدخل . بعد لحظات ، وباشارة واحدة ، قبض على من في الداخل ، وذبح من في الخارج . ثم انطلقت مفارز من فرسان الفرس تعدو على الارض المنبسطة ، وقتلت جميع اليونانيين في طريقها ، عبيدا واحرارا على الســـواء . فانذهل اليونانيون اذ شاهدوا من معسكرهم مناورات الفرسان هذه ، وكانوا في ريبة مما كانوا فاعلين ، حتى نجا (نيكارخوس) الاركادي وجاءهم بجرح في معدته ، ماسكا أمعاءه بيديـــه ، فانبأهم عن كل ما وقع .

نتيجة لذلك ، هرع اليونانيون نحو السلاح . فســـاد رعب عام ، وتوقعوا زحف العدو عاجلا على المعسكر . بيد أنهم لم يأتوا بكامل قوتهم ، بل كانــوا : آريـــوس وأرتـــاوزوس وميثريداتس ، وهم رجال كانوا غالبا موضع ثقة كورش . ان الترجمان الاغريقي أفاد انه لمح وميز شقيق تيسافرنوس ضمنهم كذلك . كما جاء معهم حوالي ثلاثمئة آخرون من الفرس وقـــد لبسوا الدروع .

وعندما دنوا من المعسكر ، طلبوا أن يبرز اليهم أي قائد أو رئيس يوناني هناك كي يبلغوا رسالة من العاهل . وبعد اتخاذ كل الاحتياطات ، خرج نحوهم القائدان اليونانيان (كلينـــور الاورخوميني) و (سوفانيتوس الستيمفالي) ومضى معهمـــا زينوفون الاثيني ليتحرى عما جرى لبروكسينوس . واتفق أن كان خريسوفوس خارج المعســـكر مع فئة لجمع التجهيزات في قرية ما .

وعند وقوفهم على مسافة يمكن معها سماع بعضهم البعض ، قال آريوس : « أيها اليونانيون : وجد كليرخوس مذنبـــا في حنث اليمين ونقض الهدنة ، فنال استحقاقه وقضى . أمـــا بروكسينوس ومينون ، بما أنهما أخبرا عن تآمره ، فهما في غاية التكريم . أما أنتم ، فالعاهل يطالبكم بالقاء السلاح ، اذ يقول انها عائدينه ، لانها كانت ملك كورش الذي كان خادمه » .

فكان رد اليونانيين على ذلك بلسان كلينور : « آريوس ، ياانذلا كله ، وانتم يامن كنتم أصحاب كورش : ألا تشـــعرون بالخجل أمام الآلهة والبرايا ؟ لقد أقســـمتم أن أصحابكم وخصومكم سيكونون نفس أصحابنا وخصومنا ، ثم غدرتم بنـا مع ذاك الملحد والمجرم تيسافرنوس . لقد قتلتم عين النـــاس الذين أقسمتم معهم اليمين ، والآن بعد أن خذلتم بقيتنا ، تأتون ضدنا مع أعدائنا » .

فقال آريوس : « الحقيقة ، لقد ثبت أولا أن كليرخوس كان يدبر مكيدة ضد تيسافرنوس وأورونتاس ونحن الذين معهما جميعا » .

فرد زينوفون على ذلك قائلا : « اذن ، بقدر ما يتعـلق الامر بكليرخوس ، لقد نال ما استحق اذا هو حنث اليمين ، ونقض الهدنة . انه لحق أن يمحق الحانثون . أما بروكسينوس ومينون ، اذ أنهما محسنان اليكم ، وقائدانا ، فابعثوا بهمـــا الينا . اذ يبدو جليا ، لكونهما صديقي الطرفين ، أنهمـــا سيحاولان اسداء أفضل النصح من أجل مصالحكم ومصالحنا » .

لقد استغرق الفرس وقتا طويلا للتباحث في ذلك ، ثـــم غادروا دون أن يبدوا أي رد على الاقتراح .

ان القادة الذين أسروا على هذا النحو ، اخـذوا الـى العاهل ، وضربت اعناقهم . كان كليرخوس ، أحدهم ، جنديـا حقيقيا متحمسا للحرب أكثر من المعتاد ، كما سلم بذلك كـل الذين تسنى لهم ان يتكلموا عنه بعد خبرة . ويتجلى هـــذا من هذه الحقيقة : ابان حرب اسبرطة مع أثينا ، ظل هو في اليونان ، لكنه بعد الصلح ، اقنع الســلطة الوطنيـــة أن

(التراشيين) كانوا يقومون بأعمال عدائية تجاه اليونانيين ، وغب أن وجد سبيله ـ الى حد ما ـ نحو الحكام ، أبحر من الوطن ليشن الحرب على التراشيين شمالي (شيرسونيز)(٧٩) و (پيرنثوس)(٨٠) . بيد أن الحكام ، بعد اقلاعه ، عدلوا عن رأيهم لسبب ما ، وحاولوا حمله على الرجوع من البرزخ ، لكنه لم يعد اذ ذاك يرضخ لهم ، بل مخر نحو (هيليزپونت)(٨١) . نتيجة لذلك ، حكمت عليه السلطات الاسپرطية بالموت لعصيانه. وهو كمنفي ، قصد كورش ، وقد كتبت في موضع آخر(٨٢) حول الآراء التي أبداها لكسب عطف كورش . فوهبه كورش عشرة آلاف جنيه ، لم يحيا بعد استلامها حياة رخية ، بل انفقها في انشاء جيش . بهذا الجيش،شن الحرب على التراشيين ودحرهم في معركة ضارية ، ومنذئذ غزا وخرب ديارهم ، واستمر على محاربتهم حتى احتاج كورش الى جيشه ، فغادر (تراشيا)(٨٣) بقصد الاسهام في حرب أخرى بمعية كورش .

يلوح لي أن هكذا ينبغي أن يكون سجل امرىء مخصص للحرب . كان في مقدوره العيش بسلام دون تعرضه للمثالب أو أي سوء لكنه آثر خوض الوغى . كان في استطاعته أن يحيا برخاء ، لكنه فضل حياة خشنة تصحبها الحرب . لقد تسنت له حيازة المال والامان ، لكنه تخير الاقلال من المال ، الذي أحرزه ، بالانهماك في الحرب . فقد كان ، في الحقيقة ، يهوى انفاق المال لاغراض الحرب ، تماما كمن ينفقه في شؤون الحب أم أية لذة أخرى .

كل هذا يدل الى أي مدى كان قد كرس ذاته للحرب . أما خصاله العالية كجندي ، فتبرز في الحقائق التي تشير أنه كان مولعا بالمجازفة ، ومتأهبا لقيادة الحملة على العدو نهارا أم ليلا وأنه عندما ألم به الظرف المربك ، كان يتمالك صوابه ، كما يسلم بذلك كل من وجد معه أينما كان . وقيل انه حاز جميع مؤهلات القيادة التي يمكن توفرها في رجل من طرازه . كان يملك مقدرة فائقة على تنظيم الوسائل التي تمكن الجيش من الحصول على الميرة وضمان توفرها ، كما كان ذا قدرة جيدة على أن يوحي الى من معه أن كليرخوس رجل يجب أن يطاع . لقد حقق هذه النتائج بصلابته . لقد كان ذا مظهر رادع وصوت أجش . كانت عقوباته صارمة ، وتفرض أحيانا أثناء الغيظ ، حتى انه بالذات كان يندم أحيانا على ما بدر منه . لقد كان العقاب عنده بمثابة قاعدة ، لانه كان يؤمن أن جيشا بلا انظام لا يصلح لشيء . والحقيقة ، لقد عرف أنه القائل ان على الجندي أن يرهب قائده أكثر من العدو ، اذا اريد له أن يصبح قادرا على الاحتفاظ باليقظة الوافية ، وأن يمسك عن الحاق الاذى بجانبه ، أو أن يدخل المعمعة دون تراجع . فحصل من ذلك ، أن الجنود في المواقف المحرجة كانوا يمنحونه ثقة تامة ، ولم يتمنوا أفضل منه . قالوا ان نظرته المانعة ، في تلك الاحيان ، كانت تلوح بهيجة حتما ، وصلابته ثقة في وجه الخصم ، فهي بعد ليست صلابة عندهم ، بل شيئا آخر يحملهم على الشعور

(٧٩) كان الاغريق يطلقون هذه التسمية على شبه جزيرة (غاليبوليس) قرب مضيق الدردنيل وشبه جزيرة القرم في البحر الاسود .

(٨٠) Perinthus

(٨١) مدخل مضيق الدردنيل حاليا .

(٨٢) يقصد الفصل الاول من القسم الاول .

(٨٣) اقليم في جنوب (بلغاريا) اليوم وجائز أن كان بعضها في (تراقيا) الحالية .

بالطمانينة . ومن ناحية أخرى ، عند زوال الخطر ، وسنوح فرصة الذهاب تحت خدمة غيره ، هجره العديدون ، اذ لتجرده من أي جاذب نحو شخصه ، كان صلبا وشرسا دائما ، وبهذا كانت علاقاته بجنوده كتلك التي بين التلاميذ ومعلم المدرسة .

وهكذا بات لايملك التابعين بدافع الصحبة أو الشعور الطيب نحوه . ومن ناحية أخرى ، لقد فرض الطاعة التامة على جميع الذين تحت سلطته في مدنهم ، أم العاملين معه بباعث من الفاقة أو تحت وطأة قاهر آخر . ثم حال شروعهم في احراز النصر برفقته ، استطاع الفرد ادراك أهمية العوامل التي جعلت من رجاله جنودا أكفاء . لقد تميزوا بالثبات في وجه العدو ، وكانوا منظمين خشية عقوباته . فهو كقائد ، اذن ، كان على هذه الشاكلة ، لكنه ـ كما قيل ـ لم يرغب كثيرا في الخدمة تحت امرة الآخرين . كانت سنه أثناء وفاته حوالي خمسين سنة .

أما بروكسينوس البيوطي ، فشاء منذ صباه المبكر أن رجلا يغدو رجلا قادرا على انجاز الاعمال العظيمة . وبهذا الهدف ، نصب عينيه ، أنفق المال على تهذيبه من قبل (جورجياس) الذي من (ليونتيني)(٨٤) . وبعد أن أمضى معه ردحا ، قرر أنه أضحى الان قادرا على قيادة جيش ، وأنه ان صاحب العظماء ، فما يحققه لهم من خير لن يقل عما حققوه له ، ولذلك انضم الى مجازفة كورش ، حاسبا انه سيكسب من ورائها اسما عظيما ، وقوة كبيرة ، ومالا وفيرا . بيد أنه ، مع هذه المطامح ، أوضح كذلك بقدر واف ، أنه لا ينوي الحصول على أي منها بوسائل دنيئة . بل على النقيض ، فكر بوجوب احرازها بالاعمال العظيمة المجيدة ، والا فلا قطعا . لقد كان قائدا صالحا لاناس فضلاء ، لكنه لم يكن قادرا على الزام جنوده باحساس الاحترام له والخشية منه . في الحقيقة لقد ابدى تهيبا تجاه جنوده يعدو ما أبدى مرؤوسوه نحوه ، وأكثر من ذلك جلاء كانت خشيته الا يكون محبوبا من جنوده ، تفوق خشية جنوده من عصيان أوامره . فخيل اليه أنه كي يغدو قائدا صحيحا ، ولاجل أن يكون اسمه في عدادهم ، اكتفى بكيل الثناء للذين احسنوا عملا ، وبحجبه عن المسيئين . فكان الحاصل أن الناس في حاشيته احبوه ، ولكن الامثمين،حطوا من شانه اذ ظنوا سهولة التعامل معه . كان عمره عند الوفاة حوالي ثلاثين عاما .

أما (مينون) التسالي ، فقد أوضح تماما أن مطمحه الغالب هو الاثراء . وقد ود أن يكون قائدا كي يكسب مرتبا أوفر ، وأراد الامجاد ليحصل على المزيد عن سبيلها . ان أمنيته في مصادقة اكثر الناس نفوذا ، نبعت من رغبته في تجنب العقاب لسوء تصرفاته . وخال أن أقصر سبيل ، لارضاء مطامحه ، وسائل الحنث والكذب والغش ، وعليه فقد عد الاخلاص والصدق في مستوى سذج العقول . وكان جليا أنه لم يضمر الود لاي فرد ، لكنه ان أفصح عن صداقته لاحد ما ، كاد ذلك أن يكون دليلا واضحا على تآمره عليه . لم يضحك على أعدائه مطلقا ، لكنه ابان التحادث لم يعامل أحدا من جماعته جادا . لم تكن لديه أية مقاصد تجاه ممتلكات خصومه ، لانه عد الحصول على أملاك الناس اليقظين أمرا صعبا ، أما مقتنيات أصدقائه ، التي لا رقابة عليها ، فحسب أنه كان أبرز العارفين باليسير الذي يستطيع معه ان يسطو عليها . وعند عثوره على رجل ينقض الوعود ، ويرتكب الخطأ ، عده شخصا حسن المؤهلات ، فكان

(٨٤) Leontini مدينة قديمة في جزيرة (صقليا) جنوبي ايطاليا .

يخشاه . لكنه حاول التعامل مع امرىء متحسب ويحتـرم الحقيقة كما لو كان ناقص النُهى . ومثلما كان بعـض الخلـق يفخرون بخشية الله وبصدقهم واستقامتهم ، هكذا كان (مينون) يفخر بقدرته على الغش والاختلاق والبهتان والهزء بخلانه . كان دائما ينظر الى الشخص المرتاب على أنه نصف مهذب فحسـب . وعندما شاء أن يتبوأ مكانة رفيعة في مصادقة أحدهم ، حسـب ان السبيل الى تحقيق هذا الغرض كان بتنحية الذين سبقوه في احتلال المقام الذي رنا اليه . ان وسيلته لضمان طاعة جنوده له كانت اسهامه في جرائمهم . واعتبر انه بعرض قواه العظيمة ورغبته في اساءة استعمالها ، استحق التمجيد والاكرام . وعنـد تخلي أي فرد عن العمل معه ، اعتاد القول ان استخدامه وعـدم الاستغناء عنه كانا لطفا منه . أما بخصوص المجالات الاكثـر غموضا من حياته ، فقد يدلي المرء بما كان عاريا من الصحة . لكن الحقائق الآتية معلومات عامة . فلما كان لا يزال حائزا رونق الصبا ، أقنع (أريستبوس) أن يسند اليه قيادة مرتزقته. اذ ذاك عاش على أتم الوفاق مع آريوس رغم كونه فارسيا ، لان آريوس كان مولعا بالشبان ذوي الوسامة ، وهو ذاته ، قبل أن ينبت عذاره ، احتفظ بـ (ثاريباس) المراهق كرفيق ذكر . لقد أعدم رفاقه القادة لزحفهم مع كورش ضد العاهل ، لكنه ، رغم أنه فعل كما فعلوا ، لم يمت ميتتهم . فبعد أن أعدم القـادة الآخرون ، عوقب هو من قبل العاهل ، ولم يهلك كما قضى كليرخوس والقادة الآخرون بضرب رقابهم (أسرع ميتة بـدت آنذاك) ، بل قيل انه لقي حتفه غب أن عاش حولا تحت وطأة أسوأ المعاملة كمجرم عادي .

لقد أعدم كذلك (أجياس) الاركادي وسقراط الآخي . لم يكن في وسع أحد ان يستهين بشجاعتهما في الوغى ، أو ان يتهمهما بقلة الاعتبار لاصدقائهما . وكان عمر كل منهما يناهز خمسـة وثلاثين عاما .

اثر اعتقال القادة ، والقضاء على ضباط المئة والجنـود الذين رافقوهم ، أمسى اليونانيون في وضع مرتبك للغاية . فقد عرض لهم أن كانوا بالقرب من عاصمة العاهل ، تحيطهم من كل الجوانب شعوب ومدن عديدة من خصومهم ، وكان غير متوقع أن أحدا سيزودهم بفرصة لابتياع الاطعمة في المستقبل . كانوا يبعدون عن اليونان زهاء ألف ميل على الاقل ، ولم يتوفر لديهم الرائد ليدلهم الى الطريق . لقد حجزوا بين أنهار لا يمـكن اجتيازها ، فعرقلت أوبتهم الى الوطن ، حتى الفرس الذيـن زحفوا على العاصمة برفقة كورش ، انقلبوا عليهم ، فباتـوا منفردين دونما فارس فرد في عسكرهم ، فبدا جليا انهم لو أحرزوا نصرا ، لتعذر عليهم قتل أي من أعدائهم ، وأنهم لو دحروا ، لما نجا واحد منهم بجلده . فلما تبدى لهم كل ذلك ، أضحوا في حال من القنوط العميق . قليلون تذوقوا الطعام ذلك المسـاء ، وقلة أضرمت النار . ولم يستعرض العديد منهم قرب السلاح تلك الليلة ، لكنهم استراحوا حيث اتفق أن كان كل فرد منهم ، ولم يستسلموا للكرى بسبب بؤسهم وتشوقهم الى أوطانهـم ووالديهم وأزواجهم وأطفالهم . فظنوا أنهم لن يحظوا بمشاهدتهم ثانية . في مثل هذه الحال من الفكر ، اخلدوا جميعـا الى الراحة .

كان ثمة آثيني في الجيش يدعى زينوفون ، رافـق الحملة لا كقائد ولا ضابط مئة ولا جندي عادي . ان (بروكسينوس) ، صديقه القديم ، ارسل في طلبه من موطنه ، ووعد ان يجعلـه صديق كورش الذي كان بروكسينوس يثمنه أكثر من وطنـه بالذات . عندما اطلع زينوفـون على خطاب بروكسـينوس ، استشار سقراط الآثيني(٨٥) حول التجريدة المطروحة . واذ كان سقراط في ريبة من أن مصادقة كورش قد ينجم عنها السـخط على آثينا ـ لان المعتقد أن كورش كان ذا نشاط جم في معاضدته الاسبرطيين في حربهم مع آثينا ـ أوصى زينوفون بالمضي الى (دلفي)(٨٦) لاستشارة الرب في شان الحملة . فذهب زينوفون الى هناك ، وسأل (أپولو) السؤال التالي : « لاي رب سأصلي وأضحي ، كي أستطيع الانطلاق في الرحلة التي في خلدي ، على أحسن وجه وأفضل التكريم ، فأعود الى الوطن سالما ، ظافرا ؟ » كان رد (أپولو) أن عليه وجوب التضحية للآلهة المناسبة ، وعند أوبة زينوفون الى آثينا ، أنبأ سـقراط بجواب الكاهن(٨٧) . عندما وعى سقراط ذلك ، لامه لعدم اسـتفهامه أولا ان كان الافضل له السير مع الحملة ام المكوث في الوطن ، بدلا مـن تصميمه الذاتي على وجوب الذهاب ، ثم استفساره عن أحسـن وسيلة للقيام بالرحلة . فقال : « على كل حال ، مازلت قـد صغت سؤالك على تلك الشاكلة ، تحتم عليك أن تفعل ما أمرك الرب » .

اذ ذاك ، ضحى زينوفون الضحايا كما أوعز اليه الرب ، وأبحر فالفى بروكسينوس وكورش في سرديس(٨٨) على وشـك الشروع في المسيرة الداخلية(٨٩) ، فقدم الى كورش . لقد كان بروكسينوس مشتاقا الى بقائه معهما ، وكذلك كان كورش اذ قال انه سيعيده الى الوطن حالما تنتهي التجريدة . كان المفروض أن تكون التجريدة ضد البيزيديين . وهكذا انضم زينوفون الـى الجيش عن فهم خاطىء ، ولو أن هذا لم يكن خطأ بروكسينوس ، اذ لا هو ، ولا أي فرد عداه من اليونانيين ـ باستثناء كليرخوس ـ أدرك أن التجريدة كانت سائرة على العاهل . بيد أنه ، لـمـا وصلوا (كيليكيا) ، اتضح للجميع انهم كانوا زاحفين عـلى العاهل . ومع ذلك ، فبالرغم من عدم تحمسهم للرحلة ، ومن مخاوفهم بصددها ، استمر أغلبهم على المسير كي لا يفقـدوا الاعتبار لدى بعضهم البعض وفي نظر كورش . ولم يختـلف زينوفون عن الباقين ، فأمسى الان ، مع موقفهم الصعـب ، تعسا كأي فرد منهم ، ولم يغلبه النعاس . غير أنه نال ، في الاخير ، قسطا يسيرا من النوم ، لاحت له رؤيا خلاله . لقـد حلم أن ثمة زوبعة مرعدة ، وأن صاعقة هبطت على بيت والده ، فالتهب البيت بأكمله ، واستيقظ حالا ، يسوده الذعر الشديد، وعد الرؤيا جيدة من بعض النواحي ، لانه ـ وسط مشـاقه واخطاره ـ لمح ضوءا شديد السطوع من (زيوس)(٩٠) ، لكنهـا

---

(٨٥) المقصود هنا هو الفيلسوف اليوناني الاشهر الذي يبدو أنه كان معلم زينوفون .

(٨٦) Delphi ـ مدينة في اليونان القديمة مشهورة بمعبد (أپولو) أحد الارباب واله الجمال والرجولـة والشعر والموسيقى عند الاغريق .

(٨٧) Oracle ـ هو الوسيط أو العلام أو العراف أو الوحي أو المتنبيء الذي يبلغ مقدم القربان رسالة الرب .

(٨٨) مدينة على الساحل الغربي من آسيا الصغرى وهي منطلق الحملة .

(٨٩) المقصود بالمسيرة الداخلية هو سير الحملة داخل آسيا الصغرى وأصقاع الامبراطورية الفارسية بالذات وليس على دولة أجنبية .

(٩٠) Zeus ـ هو رب الارباب عند الاغريق ويقابل (بيل) أو (بعل) عند البابليين الملقب في تراتيلهـم بالملك الجليل وبرب العباد .

ـ من نواح أخرى ـ كانت نذيرا له ، لانها بدت له صادرة من زيوس بصفته كالعاهل ، وأن النار بدت ملتهبة حول سائر أطرافه ، وهذا قد يعني انه لن يكون في مقدوره مغادرة بلاد العاهل ، بل ستنغلق عليه جميع المسالك،لصعوبة ما أو عداها. ان حقيقة تفسير رؤيا كهذه ، ستظهر مما حدث بعد الرؤيا .

هذا ما قد حدث . حالما استيقظ ، كان اول ما تبادر الى ذهنه هو هذا « علام رقادي هاهنا ؟ ان الليل ينصرم ، وقد يلوح العدو هنا فجرا . ان وقعنا في قبضة العاهل ، فليس ما يحول دون مشاهدتنا وقوع افظع الامور ، ومقاساتنا كل صنوف العذابات ، واهلاكنا ملطخين بالشنار . ومع ذلك ، ونحن في غاية البعد عن أي شخص مهتم باتخاذ أية خطوات لحمايتنا ، نرقد هاهنا وكأننا نملك فرصة الاستمتاع بوقت هاديء . وعليه ، ما هي المدينة التي انتظر منها انجاب القائد ليقدم على الخطوات الصائبة ؟ هل سأنتظر حتى اغدو اكبر سنا قليلا ؟ سوف لا انمو مطلقا ، لو سلمت العدو ذاتي هذا اليوم » .

فنهض واقفا ، وقبل كل شيء استدعى للاجتماع ضباط المئة التابعين لبروكسينوس ، وقال لهم : «اني شخصيا ، أيها الضباط ، آمل عدم استطاعتي النوم أكثر منكم ، ولست بقادر ، بعد الآن ، على الاضطجاع دون حراك عند تفكري في الوضع الذي نحن فيه ، اذ لا ريب أن العدو حاربنا بصورة سافرة فقط عندما حسب ان خططه غدت ناجزة . أما من جانبنا نحن ، فليس ثمة الآن أي فرد يفكر في احتياطات مضادة ، بها نستطيع القتال على أحسن ما يمكن . على أننا ان تراخينا ووقعنا في قبضة العاهل ، فما نوعية المعاملة التي نتوقع منه ؟ انه الرجل الذي حز يد ورأس شقيقه ، ابن أمه بالذات ، ورفعهما على وتد حتى بعد مفارقته الحياة . لذا أي طراز من المعاملة ننتظر ، نحن الذين لا تشفع لنا رابطة من دم ، وقد زحفنا عليه بغية عزله وجعله مواطنا وقتله ان تمكنا ؟ أما سيمضي الى جميع المجالات المتيسرة ليوقع بنا كل داهية دهياء قابلة للتصور ، وبذا يرهب الزحف ضده ثانية كل البرايا ؟ كلا . من الواضح مؤكدا ، أن يتحتم علينا فعل كل شيء في طاقتنا لتجنب الوقوع في قبضته .

« والآن ، أنا شخصيا ، عندما كانت الهدنة سارية ، لم أستطع التخلي عن شعوري بالغم من أجلنا ، والنظر بحسد نحو العاهل ومن بجانبه . تأملت كم واسعة وزاهية البلاد التي يمتلكون ، والاقوات التي لا تنفد ، وكم من الخدم يملكون والمواشي والعسجد والاكسية ، ومن ناحية اخرى ، تمعنت بعد ذلك في مستقبل رجالنا ، وأننا نستطيع الحصول على جزء فقط من جميع هذه الاشياء الطيبة عن سبيل الانفاق ، وأدركت أنه لم يتبق الكثير ممن يحوزون المال فيستطيعون ذلك ، وأن القسم الذي أدينا ، قد أعاقنا عن استحصال الاطعمة الا عن طريق دفع أقيامها . عندما فطنت لكل ذلك ، كنت أحيانا أشعر بهواجس حول الهدنة أكثر مما أفعل الان بشان الحرب . الا انهم ، حاليا ، قد وضعوا حدا للمهادنة ، وأحسب أن فترة غطرستهم ومشاعرنا القلقة قد ادبرت كذلك . اذ ان هذه الاشياء الطيبة باتت الان مطروحة قبالتنا كغنائم للطرف الذي يثبت انه افضل رجالا ، والآلهة هم المحكمون في النزاع،وهم بطبيعة الحال واقفون بجانبنا ، مادام خصومنا هم الذين تلفظوا أسماءهم عبثا ، بينما نحن ، مع وفرة الاشياء العديدة الطيبة امام ابصارنا ، اقصينا ايادينا عنها بثبات بسبب القسم الذي أدينا امام الآلهة . لهذا يبدو لي أننا نستطيع دخول المنازعة بثقة غالبة على ثقتهم . ثم اننا بدنيا نفضلهم قدرة على احتمال القر والحر والمشقة ، وقوتنا المعنوية ، والآلهة في جانبنا ، افضل من قوتهم ، واذا منحتنا الآلهة نصرا ، كما فعلت سابقا ، فقتلنا وجرحنا الاعداء أيسر علينا منهم .

« من المحتمل جدا ، هناك آخرون يشعرون نفس الشعور. حسنا اذن ، بحق السماء ، دعونا ألا ننتظر أناسا آخرين يقصدوننا مطالبين أن نقوم بالاعمال العظيمة . بدلا من ذلك ، فلنكن اول من يدعو الباقين نحو سبيل العزة . أثبتوا أنكم أشجع الضباط كافة ، وأنكم احق بالقيادة من أولئك الذين هم قادتنا حاليا . وفيما يخصني ، ان شئتم المبادرة على هذا النحو ، فأنا مستعد لاتبعكم ، وان عينتموني قائدكم ، فلست منتحلا الاعذار بصدد سني . فالحقيقة أحسب أني من العمر بدرجة أستطيع العمل للمدافعة عن نفسي بالذات » .

هذا ما تفوه به زينوفون ، وبعد الاصغاء اليه ، حرضه ضباط المئة جميعا أن يكون قائدهم ، خلا واحدا هناك يدعى (أبولونيدس) الذي كانت لهجته بيوطية . ان أبولونيدس هذا أعرب انه لهراء أن يقال بوجود أية فرصة للنجاة الا اذا أمكن التوصل الى الوئام مع العاهل ، وطفق في ذات الوقت يتكلم بشأن جميع مصاعبهم . غير أن زينوفون قاطعه ، قائلا : « عزيزي أيها الرجل الطيب : انك لشخص من الصنف الذي لا يدرك ما يرى ، ولا يتذكر ما يسمع . مع ذلك ، لقد كنت مع الباقين عندما أوفد العاهل رسله ، مطالبا بوجوب تسليم أسلحتنا غب وفاة كورش وهو مزهو بذلك ، ثم ـ ونحن أبعد ما نكون عن التخلي عنها ـ حينما تأهبنا للقتال ، وعسكرنا بجوار جيشه ، لم يدع وسيلة لم يلجأ اليها ـ موفدا جماعة للتفاوض ، راجيا التهادن ، مزودا ايانا بالاقوات ـ حتى حصل على هدنته . لكن عندما ذهب قادتنا ورؤساؤنا للاجتماع ، كما تقترح أنت بالضبط مخلفين أسلحتهم ، معتمدين على الهدنة ، فما الذي وقع ؟ أماهم في هذه اللحظة ، يضربون ويعذبون ويهانون ، حتى أنهم البؤساء المساكين ، لا يستطيعون الموت ـ ولو أن الموت ـ كما أتصور ـ هو ما يصبون اليه ؟ رغم كل هذه المعلومات لديك ، هل تصر أن الذين يوصون بالدفاع عن النفس ، ينطقون هراء ، فتقترح علينا الذهاب لنحاول ثانية التوصل الى مصالحة العاهل ؟ أيها الجنود ، أرى انه يتحتم علينا الا نكابد وجود هذا في معيتنا ، فينبغي أن نجرده من رتبته ، ونضع على ظهره الامتعة ، ونستخدمه كدابة . فلكونه يونانيا ، وهو ما هو ، يجتلب العار لا على موطنه بالذات فحسب ، بل على اليونان بأسرها » .

عند ذلك ، برز (آجاسياس الستيمفالي) وقال : « ليست لهذا الشخص علاقة ببيوطيا أو باليونان . لقد لاحظت وجود ثقوب في أذنيه كشخص ليدي(٩١) تماما » . وكان كذلك حقا ، فأقصوه خارجا .

لقد ذهب الباقون حول المفارز المختلفة ، فاستدعوا كل قائد تخلف حيا ، وحيث وجد مفقودا ، نادوا نائبه ، وحيث وجد رئيس ، مازال على قيد الحياة ، استدعوه . فلما التأموا جميعا ، جلسوا أمام الاسلحة . ان القادة وضباط المئة (الرؤساء) الذين اجتمعوا ثم ، عدوا قرابة مئة . وكان وقت الاجتماع حوالي منتصف الليل . لقد استهل الحديث (هيرونيموس) من (أليس)(٩٢) ـ أكبر قادة بروكسينوس سنا ،

---

(٩١) نسبة الى (ليديا) وهي مقاطعة في القسم الغربي البحري من آسيا الصغرى (تركيا اليوم) .

(٩٢) صقع في اليونان قديما يقع فيه الصيهب الذي كانت تقام فيه الالعاب الاولمبية .

فقال : « أيها القادة وضباط المئة : نظرا لوضعنا الراهن ، قررنا الاجتماع سوية ، ودعوتكم للمشاركة معنا كي نتوصل ، لو أمكن الى قرار مجد . والان أدعو زينوفون للكلام كما سبق ان كلمنا » .

وعليه ، تحدث زينوفون كما يلي : « ها هنا شيء واحد نعلمه جميعا ، وهو ان العاهل تيسافرنوس قد أسرا من عندنا جميع الذين تمكنا منهم ، وجلي أنهما مصممان ، لو تمكنا ، على ابادة البقية منا . ان دورنا ، كما اراه ، عمل كل شيء ممكن للحيلولة دون وقوعنا في قبضة الفرس ، بل احرى بنا ان نضمن كونهم في قبضتنا . اود ان أؤكد لكم هذه النقطة بانكم ــ أنتم الذين اجتمعتم هنا بعددكم الحالي ــ قد أضحيتم في مركز ذي مسؤولية فوق العادة . ان جنودنا هؤلاء ، كافة ، شاخصو الابصار نحوكم ، فان لاحظوكم مقتمين ، تخاذلوا جميعا ، بينما اذا كنتم انفسكم مستعدين تماما لمجابهة العدو ، وطالبتم الباقين بتادية الواجب عليهم ، فلكم أن تتاكدوا انهم سيترسمونكم ويحاولون الاقتداء بكم . واحسب ، يصح كذلك ، انه ينبغي عليكم ان تظهروا عليهم شيئا من الرياسة ، فانتم ــ بعد كل الاعتبارات ــ قادة ورؤساء وضباط . في وقت السلم ، نلتم مرتبات واحتراما أكثر مما نالوا ، والآن حين الحرب ، يفرض فيكم ان تثبتوا ذواتكم أشجع من الناس العاديين ، وأن تتخذوا القرارات نيابة عن الباقين ، واذا لزم ، أن تكونوا أول من يؤدي العمل الشاق . اعتقد أنكم قبل كل شيء تستطيعون أن تسدوا خدمة عظيمة الى الجيش بتعيينكم قادة ورؤساء بالسرعة الممكنة ليحلوا محل الذين فقدناهم . فحيث ينعدم المسيطر ، يتعذر تماما عمل أي شيء نافع أو بارز . انها حقيقة تشمل جميع مناحي الحياة تقريبا ، وهي حقيقة ناجزة من الوجهة العسكرية فالنظام هنا يحمل الفرد على الشعور بالطمانينة ، بينما انعدام النظام قد أهلك كثيرين من الخلق فيما سلف .

« ثم احسب انكم بعد أن تكونوا قد عينتم العدد اللازم من الضباط ، لو دعوتم لاجتماع الجنود الباقين ، فزودتموهم بقسط من الاقدام ، لكان ذلك ما يتطلب الظرف بالضبط . في هذه اللحظة ، أتوقع أنكم تدركون مثلي تماما ، كم كانوا مكتئبين وهم يحملون أسلحتهم أثناء الخفارة الليلية . فهم في مثل تلك الحال ، لا أرى أية جدوى منهم ليلا أم نهارا . لكن نهوضا عظيما سينشا في أرواحهم ، اذا استطاع أحد ابدال منهج تفكيرهم . وبذا ، بدلا من حملهم فكرة وحيدة في رؤوسهم ، وهي : « ماذا سيحدث لي ؟ » يتسنى لهم أن يفكروا : « أي اجراء سأتخذ ؟ »

« تعلمون جيدا ، ليست الاعداد أو القوى جالبة الانتصارات في الحرب . كلا ، عندما يتقدم جانب ما ضد العدو ، وقد تزود بقوة معنوية أعظم ، بهبة من الآلهة ، لا يستطيع الخصوم ، كقاعدة ، الصمود أمامه . كما قد لاحظت ، أيها الرفاق ، هذه النقطة في الاحوال العسكرية : أن الناس الذين هدفهم الوحيد هو البقاء احياء ، يلاقون عادة ميتة تعيسة مزرية ، بينما الناس الذين يدركون ان المنية نصيب يشمل جميع البرايا ، يحاولون الموت بشرف ، فيغلب ــ نوعا ما ــ ان يعمروا طويلا ويحظوا بحياة أسعد لو عاشوا . هذه حقائق يجب ان تدركوها أنتم كذلك (فوضعنا يتطلب هذا) وان تثبتوا انفسكم رجالا بواسل ، وأن تطالبوا الآخرين أن يحذوا حذوكم »

وهكذا انهى خطابه . وتكلم خريسوفوس بعده قائلا : « حتى الآن يازينوفون ، الشيء الوحيد الذي عرفت عنك هو سماعي أنك أثيني . والآن اهنئك على خطابك واجراءاتك ، وأتمنى أن يكون هاهنا أكثر ما يستطاع من أضرابك . اذ ذاك تعم الروحية الصحيحة الجيش قاطبة . والآن لا ندع الوقت ينصرم هدرا أيها الاصحاب . دعونا ننطلق ، وليختر ضباطا جددا من هم في حاجة اليهم . وعند اختياركم اياهم ، تقدموا نحو وسط المعسكر مستصحبين الذين انتخبتم . بعد ذلك سنحشد بقية الجنود هناك . الافضل ان ياتي (توليمدس) المنادي برفقتنا » .

بهذه الكلمات ، نهض على قدميه ليظهر عدم وجوب التاخير ، وأن ما هو ضروري ينبغي انجازه حالا . بعدئذ ، انتخب الآتون ضباطا : (تيماسيون) الدرديني ليحل محل كليرخوس ، (زانثيكلس) الآخي ليحل محل سقراط ، (كلينور) الاركادي لياخذ مركز (آجياس) و (فيليسيوس) الاركادي ليحل محل (مينون) و (زينوفون) الآثيني لياخذ مكان بروكسينوس .

عندما تم اختيار الضباط الجدد ، كان الفجر آنذاك قد أخذ في الانفلاق ، فجاءوا وسط المعسكر ، وقرروا اقامة الحراسة ، ودعوة الجنود للاجتماع . فلما ترتب بقية العسكر ، نهض (خريسوفوس) أولا ، وتكلم قائلا : « أيها الجنود ، ان وضعنا لعسير دون ريب . لقد خسرنا بعض القادة والرؤساء والجنود الاكفاء للغاية ، علاوة على ذلك ، حتى رجال (آريوس) الذين كانوا في جانبنا ، انقلبوا علينا غادرين . مع كل ذلك يتحتم علينا أن نستظهر على صعابنا كرجال شجعان ، وألا نستسلم بل نحاول ، ان تمكنا ، كسب الشرف والسلامة بالظفر . وان كان ذلك في غير مقدورنا ، فعلى الاقل لنمت بالعز ، ولا نقع في قبضة خصومنا ، ما دمنا أحياء . لاننا ان وقعنا ، فانصورنا حتما سنكابد ذلك المصير الذي أتضرع أن تلحقه الآلهة بمناوئينا » .

ونهض بعده (كلينور) الاورخوميني فقال : « تستطيعون أن تروا بأم أعينكم ، أيها الجنود ، ما عليه العاهل من الحنث والالحاد . تستطيعون مشاهدة غدر (تيسافرنوس) . هو الذي قال انه جار اليونان وانه سيعلق أهمية عظمى على انقاذ حياتنا . وعلى هذا الاساس ، حلف لنا اليمين بشخصه ، وبذاته مد نحونا يمينه ، وبنفسه خدع قادتنا وجعلهم أسرى ، مبديا من قلة الاجلال لزيوس ، القيم على الاكرام ، بأن شارك كليرخوس وجبة طعام بالفعل ، مستخدما ذلك بالذات وسيلة للايقاع بضباطنا في الشرك ، والقضاء عليهم . ثم هناك (آريوس) الذي تأهبنا لتنصيبه ملكا ، وتبادلنا معه الضمانات أن واحدنا لن يخون الآخر ، وهو كذلك ، دون أن يبدي خشية من الآلهة ، أو اجلالا لذكرى كورش الراحل الذي كان يعامله أفضل المعاملة عندما كان حيا يرزق ، قد تخلى عنا الآن ، والتحق بالد خصوم كورش ، وهو يحاول معهم ايذاءنا ، نحن الذين كنا اصحاب كورش . حسنا ، اني اتضرع الى الآلهة أن تلحق بهؤلاء الرجال ما يستحقون . أما نحن الذين نرى كل هذا ، فينبغي علينا الا نخدع ثانية من قبلهم ، بل أن نحارب بكل ضراوة ممكنة ، ونتحمل مشيئة السماء » .

بعده ، استقل زينوفون ، وقد ارتدى أفخر بزة عسكرية توفرت ، حاسبا ان الآلهة اذا منحت النصر ، فالنصر يستحق أفضل السلاح مظهرا ، أو ان كان سيلقى حتفه ، حق له ارتداء اجود الثياب وهي عليه ساعة مصرعه ، وشرع في خطابه كمايلي : « لقد تكلم كلينور عن لنلتة الفرس وعدوانهم ، واني متأكد أنكم تتفقون مع مقالته . لذا ان شئنا خطب ودهم ثانية من جديد ، وجب علينا ، في الحقيقة ، ان نكون في منتهى

الهوان عند اعتبارنا ما أصاب قادتنا الذين ، بسبب وثوقهم بصحة ايمانهم ، وضعوا نفوسهم بين أيدي خصومهم . اما اذا كان غرضنا اخذ السلاح بأيدينا ، وارغامهم على تادية الثمن عما اقترفت أيديهم ، وأن نحارب في المستقبل حربا ناجـزة ضدهم ، فلدينا اذ ذاك ، بعون السماء ، جملة آمال جليلة في النجاة » .

وما أن تفوه بذلك ، حتى عطس أحدهم ، وحينما سمع الجنود تلك العطسة ، خروا جميعا على ركابهم دفعة واحدة ، وسجدوا للرب الذي أطلق هذه الاشارة(٩٣) . وواصل زينوفون يقول : « أعتقد ، أيها الجنود ، مادام قد بان لنا فال حسن من (زيوس) المنقذ حالما كنا نتحدث عن السلامة ، وجب علينا أن نعطي عهدا بتقديم الشكران للرب من أجل نجاتنا في أول موضع تبلغ عنده تربة صديقة ، وعلينا نذر القـرابين للآلهة الاخرى على أحسن وجه نستطيع . فليرفع يده كل من يوافق على ذلك » فرفع الجميع أياديهم ، ثم نذروا وانشـدوا نشيد الحرب .

بعد تادية فرائض الدين على هذا النمط ، شرع زينوفون في الكلام ثانية : « سبق أن قلت الآن اننا نملك آمالا باهـرة في النجاة . أولها ، حافظنا على قسمنا تجاه الآلهة ، بينمـا اعداؤنا قد حنثوا قسمهم ، وعلاوة على ذلك ، زوروا ذواتهم في تجاوز الهدنة . لذا من المعقول ، والحال كذلك ، أن نفرض بأن الآلهة ستناوىء ، خصومنا ، لكنها ستحارب في جانبنا ، وانها قادرة عاجلا على جعل الاقوياء ضعفاء ، وانقاذ الضعفاء بيسر متى شاءت ذلك ، حتى لو كانوا وسـط الخطر . ثم ساذكركم بالمخاطر التي اعترضت آباءنا ، لتدركوا أن الجدير بكم أن تكونوا رجالا بواسل ، وأن الشجعان ـ بعون الآلهة ـ يجدون النجاة حتى من شر المشاق . تذكروا كيف تقدم الفرس وحلفاؤهم بجيش لجب ، ظانين انهم سيمسحون آثينا مـن وجه البسيطة ، لكن الاثينيين امتلكوا الشجاعة لمجابهتهـم بانفسهم فقهروهم . آنذاك نذروا ان يضحوا لارتميس عنزة عن كل فرد قتلوه من الاعداء ، بيد أنهم لعدم تمكنهم مـن الحصول على العدد الوافي من العنز ، قرروا تضحية خمسمئة عنزة سنويا ، وما برحوا يضحونها حتى هذا اليوم . بعدئذ ، عندما جمع (زرسيس)(٩٤) جيشه ، الذي لا يحصى ، وأغار على اليونان ، كانت جولة أخرى دحر فيها آباؤكم هؤلاء الخلق برا وبحرا . انكم تستطيعون العثور على ما يثبت كل هـذا في الانصاب التي لدينا ، لكن أعظم شاهد على ذلك لهو حرية المدن التي ولدتم وانشئتم فيها . فأنتم لا تعبدون انسـانا كسيد ، بل الآلهة فقط . هؤلاء هم الرجال الذين أنتم انجالهم ، واني حتما لن أقول انكم تشينون آباءكم . فمنذ أيام قليـلة فحسب ، كنتم في حرب ضد أبناء أعدائنا القدامى ، ورغم كونهم اضعافكم في العدد مرات عديدة ، فانتم ـ بمعونة الآلهة ـ قد دحرتموهم . في تلك الجولة ، أبديتم شجاعتكم كي تحرزوا مملكة لكورش ، لكن القتال الان لنجاتكم بالذات ، ولذلك فانا موقن

(٩٣) مازال فريق من الناس يؤمنون أن العطاس دلالة على الفال الحسن .

(٩٤) هو العاهل الفارسي (أحشيرش بن داريوس) اسـتولى على مصر في السنة الثانية من ملكه وهاجم آثينا في السنة التاسعة ، لكن الاغريق دحروه عند سلاميس وهو حفيـد كورش الكبير .

انه يجدر بأن أتوقع منكم مزيدا من البسالة الفائقة ، ومزيدا من العزم الفائق على الانتصار ، كما عليكم ان تشعروا بمزيـد من الثقة تجاه العدو . في المرة السـابقة ، لم تكونوا قـد اختبرتموهم بعد ، وتمكنتم من مشاهدة اعدادهم الجسـيمة ، لكنكم ـ مع كل ذلك ـ بروحيـة آبائـكم ، ملكتم الشـجاعة فنازلتموهم . غير أنكم الان ، اذ تعلمون من التجربة ، مع كونهم أضعافكم عددا ، لا يتمنون مجابهتكم ، فما هي حجتكم لتخشوهم بعد الان ؟ لا تتوهموا أننا اسوأ مما كنا سابقا لان العسـاكر الفارسية التي كانت في صفوفنا قد بارحتنا الان . انهم لأجبن من الفرس الذين قهرنا ، وقد دلوا على ذلك بانهزامهم من جانبنا نحو الجانب الآخر . انه لافضل بكثير ان يشاهد الناس ، الذين يرومون ان يكونوا اول الفارين ، واقفين ضمن صفوف العـدو بدلا من كونهم في صفوفهم بالذات .

« ان يشعر احدكم بشبوط العزيمة نظرا لعدم حيازتنـا الفرسان ، بينما العدو يملك أعدادا هائلة منهـا ، ينبغي أن تتذكروا أن عشرة آلاف فارس يعادلون عشرة آلاف رجل فقط . لم يلق احد مصرعه قط بعضة أو رفسة من حصان . فالرجال هم الذين يفعلون كل ما يحدث أثناء المعركة . اذن نحن على أساس أثبت بكثير من الفرسان الذين في الهواء على ظهور الخيل ، وهم لا يخشوننا فحسب ، بل يخافون السقوط عن صهوات جيادهم، بينما نحن ، من جهة أخرى ، نستطيع باقدامنا الراسـخة في الارض ، توجيه ضربات أقسى نحو مهاجمينا ، كما اننا اكثر قدرة على اصابة ما نستهدف . ثمة سبيل واحد فقط به تمتاز الخيالة علينا ، وهو أن الفرار أسهل لهم مما لنا . طبعـا ، يسعكم أن تكونوا على أتم الثقة بشأن القتال ، لكن قد تقلقكم الحقيقة أن (تيسافرنوس) لن يدلكم الطريق بعد الآن ، ولن يتيح لكل العاهل فرص ابتياع الطعام . ان تكن الحال كذلك ، فتأملوا ان كان الافضل أن يرشدنا (تيسافرنوس) ، وهو الرجل الذي يعمل ضدنا علانية ، أم أن يكون لدينا أسرى ، نأمرهم بارتياد الطريق لاجلنا ، وسيدركون ان يرتكبوا أية أخطـاء تصيبنا ، فستمسهم بالذات ، وتلحق حياتهم كذلك . أمـا مسألة المؤن ، فالافضل شراؤها من الاسواق التي تجهزها ، حيث علينا دفع الكثير لابتياع القليل (اذ حتى المال لم يعـد في حوزتنا) ، أم أن الافضل دحرهم في المعركة ثم الاستحواذ على أرزاقهم لانفسنا ، كل آخذ القدر الذي يشاء ؟ .

« قد تدركون أن هذه الوسائل الاخرى هي الفضـلى ، لكن لا يغرب عن بالكم أن الانهار عقبة كاداء ، واعتبروا ذواتـكم مقودين باحكام نحو الكمين باجتيازها . فان كان الامر كذلك ، سألتكم ان تعتبروا فيما اذا لم يرتكب الفرس هنا فعلا في منتهى الحمق . لان الانهار كافة ، مهما تعذر اجتيازها ، على شوط من منابعها ، ميسور خوضها دون بلوغ الماء حد الركبتين غالبـا ، لو أن الفرد يتتبعها مصعدا باتجاه المنابع . وحتى اذا عجزنـا عن عبور الانهار ، ولم يأتنا أحد ليرشدنا نحو الطريق ، فليس ما يدعو لتثبيط عزيمتنا . لن ندعو (الميسيين) أفضل منـا رجالا ، مع علمنا بامتلاكهم المدن الواسعة الغنية في اصقـاع العاهل وعكس مشيئة العاهل . ونعلم أن ذلك ينطبق عـلى (البيزيديين) كذلك ، وقـد شـاهدنا بام اعيننـا كيف أن (الليكونيين) قد ضبطوا المواقع المحصنة في السهول ، يتمتعون بما تدر عليهم ، العائدة الى هؤلاء الفرس . والان فيما يعنـي قضيتنا ، علي ان اقول : ينبغي الا نوضح أننا عائدون الى الوطن بل ان نتصرف وكأننا قد نوينا على البقاء هاهنا ، اني على يقين أن العاهل سيزود (الميسيين) بكل الادلاء الذين يحتاجون اليهم

ويعطيهم جملة من الرهائن كي يستوثق تماما من اقصائهم عن القطر ، وانه في الحقيقة سيعبد لهم الطرق حتى لو راموا الذهاب في عربات ذوات أربعة جياد . وأنا واثق أن جبوره سيكون ثلاثة أضعاف ذلك ليفعل كل هذا لاجلنا ، اذا رأى عزمنا على الاقامة هنا . كلا ، فانا أخشى بمجرد اننا تعودنا الحياة بترف ونغدو في رسلة من العيش ، متمتعين برفقة هؤلاء النساء العظيمات الفاتنات ، حليلات وبنات (الميديين) والفرس ، قد نمسي كآكلي (اللوتس)(٩٥) ، ونسلو مسلكنا نحو الوطن . لذا اعتقد أن المناسب والمعقول جعل سعينا الاول بلوغ بني جنسنا في اليونان ، وأن نكشف لليونانيين ان بؤسهم كان بمحض اختيارهم كي يتمكنوا من رؤية اناس يحيون في اقطارهم حياة بائسة ، فيضحون أثرياء بقدومهم الى هنا . أيها الجنود ، لا احتاج الى الاسهاب في هذا المجال . فجلي أن جميع هذه الطيبات تصيب الظافرين .

« غير أني يجب أن أتطرق الى هذه القضايا ــ كيف يتسنى لنا أن نجعل سيرنا مجردا من الخطر بقدر الامكان ، وكيف نخرج من القتال بافضل نتيجة اذا ارغمنا على القتال . ان اول اقتراح أبديه لكم هو أن تضرموا النار في جميع عربات النقل التي لدينا كي لا تقودنا حيواناتنا ، بل نستطيع السير حيث تملي علينا مصلحة الجيش ذلك . ثم علينا أن نحرق خيامنا كذلك ، اذ انها تخلق بعض العراقيل في النقل ، وهي بلا جدوى للقتال أو الحصول على المؤن . ولنتخلص من كل المواد غير الماسة ضمن معداتنا الاخرى ، ونبقي فقط ما نملك لغاية القتال والمأكل والمشرب ، حتى يستطيع أكبر عدد ممكن منا حمل الاسلحة وأقل ما يطاق حمل الامتعة . عندما ينحدر قوم ما ، كما تعلمون، تضحى مقتنياتهم في متناول أيدي الآخرين ، وان نغز ، فيجب أن ننظر الى أعدائنا وكأنهم حاملو أمتعتنا عنا .

« بقي علي أن أذكر ما أعتقد أهم نقطة من عداها . يمكنكم أن تروا ما الذي ظن أعداؤنا بصددها . لم يجسروا على اشهار الحرب علينا الا غب أسرهم قادتنا ، ومرد ذلك الى حسبانهم اننا مازلنا نملك قادة نوليهم طاعتنا ، كنا قادرين على الفوز في القتال ، لكنهم ما ان قبضوا على قادتنا ، خالوا اننا سننهار بسبب انعدام السيطرة والنظام . لذا من الضروري أن يكون اهتمام قادتنا الحاليين أكثر بكثير من اهتمام قادتنا السابقين ، وينبغي على الذين في الصفوف أن يكونوا أكثر تنظيما ، وأغلب بكثير من السابق استعدادا لاطاعة ضباطهم حاليا . في أحوال العصيان ، يجب أن نصوت أن أياً منكم اتفق له أن يكون في ذات المكان ، وجب عليه الاسهام مع الضباط في تطبيق العقاب . سيكون هذا أمر اخفاق لاعدائنا ، اذ في اليوم الذي نصوت على هذا ، لن يعودوا ليروا (كليرخوس) فردا فحسب ، بل عشرة آلاف ، لا يحتمل واحدهم أي تصرف غير عسكري .

« لكن حان لي أن اختتم . يجوز أن العدو سيداهمنا في الحال . اذا تقبلتم الاقتراحات التي عرضتها ، فلتبلغ رسميا بأسرع ما يمكن ، كي توضع موضع التنفيذ . ان كان هنالك من يعلم سبيلا لمعالجة الامور أمثل مما بينت ، فلتكن لديه الشجاعة ليخبرنا عنها ، ولو انه جندي عادي لا غير . ان السلامة التي ننشد ، تهم كل فرد » .

بعد ذلك ، تكلم (خريسوفوس) : « ان شئنا تبني أي حل آخر ، علاوة على ما يقترح زينوفون ، فنستطيع ذلك في لحظة أو لحظتين . أفترض أنه ، دون ابطاء ، ينبغي التصويت على أن ما اقترح زينوفون الان لهو أفضل نهج يتبع . فليرفع الموافقون أيديهم » .

فرفع الجميع ايديهم ، واستقل زينوفون ثانية ، وقال : « ايها الجنود ، اصغوا لاقتراحاتي الاخرى . من الواضح ، علينا بالمسير حيث يتسنى لنا الحصول على الميرة ، واحسب أن هناك بعض القرى الزاهية على مسافة لا تعدو الميلين من هنا . لكني لن استغرب اذا تمثل العدو بالكلاب الرعديدة التي تهر خلف أي فرد يجتازها ، فتحاول عضه ، لكنها تفر من وجه أي شخص يلاحقها . لا استغرب كذلك لو تقفوا أثرنا ونحن ننطلق . آنذاك ، ربما يكون من الاسلم ان نسير والمشاة الثقيلة على شكل مربع مفرغ ، فتكون الامتعة وما عداها من المواد الكثيفة آمن في الداخل . فان قيل لنا الان ، من يحتل الموقع الامامي من المربع، وينظم الفصائل الطليعية ، ومن ينبغي أن يكون على الجانبين ، ومن يتحتم أن يكون مسؤولا عن المؤخرة ، فعلينا الا نصم كل هذا بينما يتوجه الاعداء نحونا ، بل نستطيع حالا استخدام أولئك الذين قد اختيروا خصيصا لهذا العمل . ان كان لأي منكم اقتراح افضل ، فلنتبناه . والا فاني اقترح أن (خريسوفوس) يجب ان يقود المربع ، فهو ذو ميزة اضافية لكونه اسبرطيا . وقائدان آخران ، يكبرانه سنا ، ينبغي أن يهتما بالجانبين ، واصغرانا ، أي (تيماسيون) وأنا يلزم أن يكونا مسئولين عن المؤخرة . اقترح هذا كاجراء مؤقت . بعدئذ ، نكون قد اختبرنا هيئة المسير هذه ، فنستطيع البت في أفضل الاجراءآت على حسب اختلاف الظروف . ان كان لدى أي منكم اقتراح أمثل ، وددت أن يعرضه » .

آنذاك ، اذ لم يبد أحد أية اعتراضات ، قال زينوفون : « فليرفع أولئك الذين يرتضون ذلك أيديهم » . فنفذ الاقتراح ، وواصل يقول : « والآن ، اذن ، علينا أن نغادر الاجتماع ، وتنفيذ مقرراتنا . كل من يبغ رؤية عشيرته ثانية ، يتحتم أن يتذكر بان يكون جنديا مقداما . هذا هو الحل الوحيد . كل من ينشد البقاء حيا ، يجب أن يهدف الى النصر . ان الفائزين هم الذين يقومون بالتقتيل ، والخاسرين هم القتلى . وأولئك الناس الذين يرومون المال ، عليهم أن يحاولوا كسب المعارك . ان الرابحين لا يستطيعون الاحتفاظ بما لديهم فحسب ، بل تناول ما يعود للخاسرين » .

مع اختتام هذا الخطاب ، نهضوا وانطلقوا لاضرام النار في عربات نقلهم وخيامهم . ان شاء احد ايا من المعدات الفائضة اقتسموها بينهم ، والقوا المتبقي في الضرام . عند اتمام ذلك ، تناولوا فطورهم ، وبينما كانوا منهمكين في ذلك ، قدم (ميثرايداتس) برفقة ثلاثين فارسا ، فطلب تقدم القادة نحو مدى يستطيعون ضمنه السماع ، وقال : « اني ، اصحابي الاغريق ، كنت كما تعلمون مخلصا لكورش ، وما ازال صديقكم . واني كذلك لأجد موقفي الراهن هنا مزعجا جدا . لذا ان الفيت انكم تفكرون في أي مخرج أمين ، وددت الالتحاق بكم ، وجلب جميع تابعي معي . لذلك خبروني ما ترتأون فعله ، وعدوني صديقا في جانبكم ، ويود الانضمام اليكم في مسيركم » .

بعد المداولة ، قرر القادة أن يردوا عليه الرد الآتي ، وكان ناطقهم (خريسوفوس) الذي قال : « ما صممنا عليه ، هو هذا : اذا اتيحت لنا العودة الى الوطن ، فسنخترق القطر ،

(٩٥) اللوتس ورد من فئة الزنابق المائية ينمو في مصر واليونان والهند . وهو كذلك شجر يؤكل ثمره فيسبب لمتناوله السبات العميق والنسيان .

ملحقين اقل تلف ممكن ، لكن ان يحاول أي فرد ايقافنا ، فسنناضل في شق سبيلنا بأعنف ما نستطيع » .

عندئذ ، حاول (ميثراداتس) البرهنة على استحالة بلوغ الامان ضد ارادة العاهل ، وعند هذه النقطة ، ادرك انه قد اوفد لغرض خفي مقصود . والحقيقة ، لقد كان فعلا احد رجال (تيسافرنوس) بمعيته ليضمن الركون اليه .

غب حدوث ذلك ، أجمع القادة أن الافضل لهم ، ماداموا في بلاد العدو ، وجوب ادارة الحرب دون أية مفاوضات مع العدو ، لأن رسل الطرف الاخر جنحوا الى افساد ولاء الجند . فهم في الحقيقة أغروا أحد ضباط المئة (نيكارخوس الاركادي) الذي فر تحت جنح الظلام مع ما يناهز عشرين رجلا .

وبعد تناولهم وجبة طعام ، عبروا نهر الزاب(٩٦) ، وساروا بنظام حربي ، مع حيوانات نقل الامتعة وتابعي المعسكر داخل مربع ، وما ابتعدوا الا قليلا ، حتى لاح للعيان (ميثريداتس) مجددا ، برفقة ما يقرب من مئتي فارس وحوالي أربعمئة من رماة السهام والمقاليع ، وكان هؤلاء مدججين بأسلحة خفيفة ، ويعدون على أقدامهم بسرعة شديدة .

لقد يمم (ميثريداتس) شطر الاغريق وكأنه كان على وفاق معهم ، لكن ما ان تدانى الجمعان ، حتى شرع رجاله ، المشاة والفرسان ، فجأة في اطلاق نبالهم ، بينما قذف الاخرون مقاليعهم ، وأحدثوا بعض الاصابات . لقد كابد جند مؤخرة الاغريق كثيرا ، لكنهم لم يتمكنوا من مقابلتهم بالمثل لعدم قدرة النبالة (الكريتيين)(٩٧) على الرمي نحو اشواط تماثل مسافات الفرس ، كما أنهم نظرا لكونهم من افراد المشاة الخفيفة ، اعتصموا بقلب المربع . أما رماة الرماح ، فان مداهم لم يكن من البعد ما يكفي لاصابة رماة المقاليع الفرس .

عندئذ ، جزم (زينوفون) أن عليهم اكتساح العدو الى الخلف ، وتم ذلك على أيدي المشاة الخفيفة والثقيلة معه في المؤخرة . بيد انهم ، اثناء تعقيبهم ، اخفقوا في مسك أي نفر من العدو ، وذلك لانعدام الفرسان لدى الاغريق ، وكان مشاتهم لا يستطيعون خلال شوط قصير ، أن يدركوا مشاة العدو الذين لاذوا بالفرار ، وهم آنذاك بعيدون عنهم لمسافة ما . وكان من الطبيعي تعذر مواصلة التعقيب على مسافة قصية عن بقية الجيش . ان خيالة الفرس ، وهم يسددون نحو الخلف من فوق ظهور جيادهم ، تمكنوا من احداث الجروح حتى أثناء فرارهم ، وعندما أدركهم اليونانيون الى بعد ما ، كان عليهم أن يعودوا القهقرى الى ذات المسافة ، وهم يقاتلون على طول الطريق . فنجم عن ذلك أنهم لم يقطعوا أكثر من ميلين ونصف الميل في ذلك النهار بأكمله . لكنهم أدركوا الارياف عصرا .

هنا كذلك ، كان قنوط جم . ان (خريسوفوس) والقائدين الاكبر سنا ، مظوا (زينوفون) لقيامه بالتعقيب بعيدا عن صلب الجيش الرئيسي ، ورغما عن الاخطار التي تجشم ، كان عاجزا عن الحاق أي ضرر بالعدو . لقد أصغى زينوفون الى انتقاداتهم، وسلم انهم كانوا محقين في مظهم اياه ، وكانت الحقائق في جانبهم لتدعم دعواهم ، فقال : « غير ان الواجب علي كان ازاحتهم الى الوراء ، اذ لاحظت أننا كنا نقاسي كثيرا من جراء وقوفنا حيث كنا ، وأننا عاجزون عن اتيان أي شيء في الرد عليهم . لكن قولكم يصح حالما شرعنا في ارجاعهم القهقرى . لم نكن أكثر طاقة على الحاق الاذى بهم . ولقينا غاية المشقة في ارجاع أنفسنا . علينا اذن أن نحمد الآلهة لعدم توجههم نحونا بقوة أكبر ، بل بأعداد ضئيلة ، وخرجنا بالنتيجة انهم دون ايذائنا كثيرا ، قد أرشدونا الى مواضع عجزنا . تستطيع نبالة العدو حاليا رشقنا لمسافة أبعد مما تستطيع نبالتنا (الكريتيون) ردا عليهم ، ورماة مقاليعهم يستطيعون العمل خارج نطاق مرمى رماة رماحنا . عندما نرجعهم القهقرى ، يتعذر علينا اقتفاؤهم لمسافة تبعد كثيرا عن صلب الجيش ، وفي شوط قصير ، لا يستطيع الراجل ، مهما بلغ من السرعة في الجري ، ادراك الراجل الاخر الذي يبعد عنه مجال رمية قوس . لذلك ، ان أردنا منعهم من حيازة الطاقة على ايذائنا في المسير ، وجب علينا الحصول على رماة المقاليع والفرسان بأسرع ما يمكن . هناك ، كما بلغني ، بعض (الرودسيين)(٩٨) في عسكرنا ، ويقال ان اغلبهم يعلمون كيفية استعمال المقلاع . كما ان سلاحهم ، في الحقيقة ، ذا مدى يبلغ ضعف مدى المقلاع الفارسي . ان المقاليع الفارسية لا تقذف بعيدا ، لانها تستخدم للرمي أحجارا بحجم قبضة اليد ، لكن الرودسيين يعرفون كيف يستعملون الكرات الرصاصية كذلك . لذا ان وجدنا من الذي يحوز مقلاعا ، ودفعنا عن أية كمية متوفرة ، وأكثر مالا من ذلك لمن يتطوع بصنع المزيد من المقاليع ، ونفكر بأن نمنح امتيازات اضافية كل من يتخير العمل في صفوفنا كرامي مقلاع ، اذ ذاك ربما سيتقدم عدد واف ننتفع بهم . كما لاحظت أن في حوزتنا خيولا في الجيش ، بعضها خاصتي وبعضها خاصة (كليرخوس) التي خلفها . وثمة العديد غيرها قد استولينا عليها ، نستخدمها حاليا لحمل الامتعة . فان صنفناها بأن تحل محل بعضها بهائم نقل المتاع ، وأعددنا الخيول للفرسان فقد يسبب هؤلاء كذلك ارباكا للعدو أثناء فراره » .

لقد تم الاتفاق على هذا ، فبرز ما يقرب من مئتي رام من رماة المقاليع تلك الليلة . وفي اليوم التالي ، تم اعداد خمسين حصانا وفارسا صالحين للعمل ، وزودوا بأغطية جلدية ودروع ، وجعل (ليسيوس) الأثيني ، نجل (پوليستراتوس) آمرا على الفرسان .

توقفوا ذلك اليوم ، وتقدموا في اليوم التالي ، وقد استيقظوا مبكرين قبل المعتاد ، اذ كان عليهم أن يجتازوا جدولا ، وكانوا في خشية من مداهمة العدو أثناء عبورهم . لقد اجتازوه قبل ان ظهر (ميثريداتس) للعيان ثانية ، وكان هذه المرة بصحبة ألف فارس وحوالي أربعة آلاف من رماة السهام والمقاليع . لقد طالب بهذا العدد واستحصله من تيسافرنوس ، واعدا اياه ، ان هو حصل عليه ، أن يسلمه اليونانيين أسرى . ان استحصاره شأن اليونانيين بني على أساس من الحقيقة أنه في الغارة السابقة لم يصب بأذى ، بالرغم من ضآلة قواته ، وحسب انه قد أوقع في الاغريق خسائر فادحة .

عندما بات اليونانيون على مسافة تبعد زهاء الميل عن موقع عبورهم الجدول ، تحرك (ميثريداتس) كذلك بكامل قوته . فاصدرت الاوامر الى الاعداد اللازمة من المشاة الخفيفة والثقيلة بارجاع العدو القهقرى ، واوعز الى الفرسان أن يجدوا في

(٩٦) Zapatas — أغلب الظن أنه الزاب الاعلى الكبير .

(٩٧) نسبة الى جزيرة (كريت) اليونانية في البحر الابيض المتوسط .

(٩٨) نسبة الى جزيرة (رودس) الاغريقية في البحر الايجي جنوبي آسيا الصغرى . مساحتها (٥٦٥) ميلا مربعا ، وكانت قديما ثغرا حصينا .

التعقيب بعزم ، اذ كانت هناك قوات كافية لتدعمهم . وعندما ادركهم (ميثريداتس) واخذت تصل احجار المقاليع والسهام ، نفخ في النفير ، وللحال كرت نحو الامام كتلة واحدة من الذين أوعز اليهم بذلك ، وشن الفرسان هجومهم . ان العدو لم ينتظرهم ، بل ركن الى الفرار عائدا نحو الجدول . فقتل العديد من مشاة الفرس اثناء هذه الملاحقة ، وقبض على ما يقرب من ثمانية عشر فارسا حيا وسط المجرى المائي . فبادر الاغريق تلقائيا الى تشويه جثثهم ، كي يخلق مرآها اكثر رعب ممكن بين العـــدو .

بعد مقاساة هذه الهزيمة ، تقهقر العدو ، وواصل الاغريق سيرهم بامان لما تبقى من النهار ، ووصلوا نهر دجلة . وكانت ثم مدينة واسعة مهجورة تدعى (لاريسا)(٩٩) ، قطنها الماديون في الايام الغابرة . كانت مسورة بسور سمكه (٢٥) قدمـــا وارتفاعه (١٠٠) قدم ومحيطه ستة اميال ، مشيد من الطابوق فوق قاعدة صخرية تمتد نحو عمق (٢٠) قدما . عند استيلاء الفرس على امبراطورية الميديين ، حاصر العاهل الفارسي هذه المدينة ، لكنه عجز تماما عن احتلالها . غير أن غمامة حجبت الشمس واخفتها عن البصر ، حتى هجر السكان الموضـع ، وهكذا تم احتلال المدينة . وكان بالقرب من المدينة هـرم صخري ، عرضه (١٠٠) قدم وارتفاعه (٢٠٠) قدم ، ففـر اليه العديد من سكان الارياف المجاورة ، واعتصموا به .

من هنا ، ساروا قاطعين (١٨) ميلا في يوم واحد ، فبلغوا قلعة لا تقهر بالقرب من مدينة تدعى (مسبيلا)(١٠٠) ، التي كانت ردحا آهلة بالميديين . كان اساس هذا الحصن حجرا أملس ، يحوي كثيرا من الاصداف . كان عرض الحجر (٥٠) قدمـا وارتفاعه (٥٠) قدما ، يقوم عليه سور مشيد من طابوق ، عرضه (٥٠) قدما وارتفاعه (١٠٠) قدم ، ومحيط الحصن (١٨) ميلا(١٠١) . ان (ميدي) ــ قرينة العاهل ــ يرجح انها قد لجأت الى هذا الحصن عندما خسر (الماديون) امبراطوريتهم وتسنمها الفرس ، وحينما قصد العاهل الفارسي المدينة ، لم يستطع احتلالها ، لا بمرور الزمن ، ولا بالغارة عليها . الا ان (زيوس)(١٠٢) افقدهم رشدهم بصاعقة ، فتم احتلال المدينة .

بعد ذلك ، ساروا يوما واحدا قاطعين (١٢) ميلا ، لاح خلاله (تيسافرنوس) للعيان ، برفقة تابعيه من الفرســان بالاضافة الى القوة التي تحت قيادة (أورونتاس) الرجل الذي اقترن بابنة العاهل ، والعساكر الفارسية التي كانت بامرة كورش اثناء مسيرته ، والقوات التي رافقها شقيق العاهـل لتعضده ، وعلاوة على ذلك جميع العساكر التي زوده بهـا العاهل ، فبدا جيشه عرمرما . عند الدنو ، جلب بعضا من زمره نحو مؤخرة الاغريق ، واقتاد آخرين شطر الجانبين ، لكنه لم يجسر على شن هجوم مباشر ، أو يبد اية رغبـة في المجازفة . بدلا من ذلك ، امر رجاله باستعمال مقاليعهـم واقواسهم . ان (الرودسيين) الذين وضعوا على مسـافات معينة في صفوف اليونانيين ، استعملوا عندئذ مقاليعهـم ، وسدد النبالة سهامهم ، فلم يخفق احدهم في اصابة رجل ما (في الحقيقة استبعد ان يخطيء الهدف فرد لو حاول ذلك) ، فابتعد (تيسافرنوس) عن المجال سريعا ، ومثله فعل سائر جيشه .

فواصل اليونانيون مسيرهم لما تبقى من النهار ، والفرس يتعقبونهم . ان الفرس ، بوسائلهم القديمة المتبعة في الاقتتال من بعيد ، لم يلحقوا اية اضرار اخرى ، مادام (الرودسيون) قادرين على قذف مقاليعهم نحو مسافات ابعد من المقاليـع الفارسية ، بل ابعد كذلك من غالبية نبالتهم . ان الفـرس يستخدمون اقواسا كبيرة . لذلك غدت جميع النبال التـي التقطت نافعة للكريتيين الذين استعملوا نبال العدو باستمرار ، ومارسوا الرمي على المدى البعيد بمسار مرتفع . ولقد عثر في الارياف على كمية من اوتار القوس ، وكذلك بعض الرصاص الذي امكن استعماله للمقاليع .

بعدئذ ، غب ان وصل اليونانيون بعض القرى ، وخيموا ذلك اليوم ، ارتد الفرس وقد كابدوا أسوأ النتائج من جراء المناوشات من بعيد . في اليوم التالي ، مكث اليونانيون في موضعهم ، وتزودوا بالطعام الذي كان وفيرا في الارياف . وفي اليوم الذي اعقبه ، استانفوا ســـيرهم على الصيهب ، وتيسافرنوس في اثرهم يصوب نحوهم من بعيد . اثناء هـذه المسيرة ، استنتج اليونانيون ان هيئة المربع المتخذة كانـت رديئة حينما كان الاعداء عند المؤخرة . اذ عند تلاصق جانبي المربع ، من جراء تضايق الطريق او مجازهم عبر ممر جبلي أو عبورهم فوق جسر ، فان ما سيحدث حتما هو ان المشـاة الثقيلة ستزاح من موضعها ، وتغدو بطيئة السير ، متداكمين مع بعضهم ومرتبكين ، فتمسي النتيجة ، وهم في وضـع مشوش ، عدم الاستفادة منهم . ثم عندما ينحرف الجانبان ثانية ، سيرغم على التفرق من سبق ان ازيحوا من مواضعهم وتضحى المسافة بين الجانبين خاوية ، وعند حدوث هذا ، تخور عزائم الرجال بينما العدو في اعقابهم . وهكذا كلما استوجب عليهم العبور على جسر او اي شيء عداه ، ناضل كل فرد في

---

(٩٩) Larissa ــ عند التمعن في بعض الخرائط التي تبين المواقع الاثرية القديمة في العراق ، وتقدير المسافة التي سلكها الجيش بعد عبوره (الزاب الاعلى) ، أميل الى الاعتقاد أن هذه المدينة هي في الاصل موضع (نمرود) حاليا العاصمة الآشورية (كالح) التي قطنها الفرس الماديون ، وأرجح لذلك أن هذه التسمية فارسية بعـد اندثار الاسم الاشوري .

(١٠٠) Mescila ــ اغلب الظن انها مدينة (الموصل) حاليا وهذه التسمية مشتقة من الاشورية (مشفالو) . اما موقع الحصن الذي يذكره المؤرخ ، فأرجح انه موضع قريب من مدينة (نينوى) المندرسة أو بالأحرى (تل توبة) الذي يقوم عليه جامع (النبي يونس) حاليا وقريـة بجواره تماما المواجهة لاطلال نينوى (تل قوينجـــق) الحاليـــة .

(١٠١) اغلب الظن أن هذا المحيط هو السور الذي حول نينوى و (تل توبه) فقد شاهدته بنفسي قبل عشرين سـنة تقريبا ، وسرت فوقه ، مدركا آنذاك انه تل غير طبيعي بل سور مندرس . وكان قد انقضى على سقوط نينوى حينما اجتاز بها زينوفون زهاء مئتي سنة .

(١٠٢) Zeus ــ هو رب الاربـاب عند الاغريق وهـو في المنزلة مثل (بيل) أو (بعل) عند البابليين الذين يلقبونه بالملك .

سبيل أن يكون أول العابرين ، مما اتاح للعدو فرصة ثمينة لمهاجمتهم .

لقد لاحظ القادة هذا الوضع ، وشكلوا ستة فصائل ، كل فصيل يؤلف مئة رجل ، وعينوا قواد مئة للفصائل الستة ، وضباطا لكل خمسين رجلا ولكل خمسة وعشرين رجلا . فمتما تداكم الجانبان بعضهما نحو الآخر اثناء المسير ، انتظرت هذه الفصائل الستة خلفهما كي لا يحدثا اي تشويش في نظام الجانبين ، ثم عادت ثانية الى الجانبين الايمن والايسر . وعندما انفرج جانبا المربع ، كانت الفصائل الستة ستملأ الوسط ، سائرة نحو الانفراج ، ان كان صغيرا فبزمر مع ستة افراد في الامام ، وان كان أوسع فمع اثني عشر رجلا في الامام ، وان كان واسعا جدا . فمع خمسة وعشرين رجلا في الامام ، كي يظل قلب المربع مليئا دائما . وعندما وجب عليهم عبور أي جسر أو غيره ، حافظوا على نسقهم ، بان يقود ضباط المئة فصائلهم عبره بالتعاقب كما كانوا على اهبة العمل اذا تطلب الامر ذلك في اي شطر من صلب الجيش الرئيسي .

فتقدموا على هذه الهيئة لمدة أربعة أيام . وخلال سيرهم في اليوم الخامس ، شاهدوا طرازا من جوسق ، تتاخمه بعض الضياع ، ورأوا أن الطريق الى هذا الموضع ممتدة عبر ارض مرتفعة ، تشكل سفوح التلال المحيطة بالطود الذي قامت القرية تحته . لقد سر اليونانيون بمرآى الروابي ، وكان ذلك طبيعيا لاعتبارهم قوة عدوهم من الفرسان ، لكنهم عندما ساروا قدما ، وبعد أن ارتقوا التل الاول ، وهبطوا نحو الوادي لارتقاء الثاني ، داهمهم الفرس . وبدافع من التحريض ، أطلقوا رماحهم ومقاليعهم وسهامهم من مرتفعهم على الارض المنخفضة ، فاحدثوا عددا من الكلوم . لقد ادركوا الطرف الاعلى من عساكر اليونانيين الخفيفة ، وأرغموهم على البقاء محصورين ضمن مربع المشاة الثقيلة ، وبذا بات النبالة ورماة المقاليع دون افادة مطلقا ذلك اليوم ، لامتزاجهم بالزحام الشامل . وعندما عالج اليونانيون التخلص من صعابهم برد العدو الى الوراء ، وجدوا - لكونهم مشاة من الصنف الثقيل - صعوبة بلوغ قمة الاكمة ، حينما اندلظ العدو مبتعدا عنهم بسرعة . وعندما عادوا ثانية الى بقية الجيش ، قاسوا كالسابق تماما ، وحدث ذات الشيء على الرابية الثانية . لذا قرروا عدم السماح للجنود بالتحرك من التل الثالث حتى يكونوا قد اقتادوا نحو الجبل قوة مشاة خفيفة من الجناح الايمن من المربع . ولما ارتقت هذه المشاة الخفيفة أرضا أرفع من أرض العدو الذي كان يتعقبها ، كف الاعداء عن مهاجمة الجنود عند انحدارهم ، لانهم خافوا تشتيت شملهم وصيرورة الاعداء على طرفيهم . فساروا بهذا الشكل خلال ما تبقى من النهار ، بعضهم بمحاذاة الطريق فوق التلول ، والاخرون يواكبونهم بحذاء الجبل ، حتى وصلوا الارياف . فعينوا بعدئذ ثمانية اطباء ، لوجود العديد من الجرحى .

لقد لبثوا هنا ثلاثة أيام لسببين : أولهما من اجل الجرحى ، وثانيهما لاستطاعتهم الحصول على قوت وفير - دقيق الحنطة ونبيذ وكثير من الشعير المخزون لاجل الخيول . كل ذلك كان مذخرا لوالي الناحية .

في اليوم الرابع ، هبطوا نحو الصيهب ، لكن عندما أدركهم (تيسافرنوس) مع قوته ، اتعظوا بدرس الحقائق القاسية ، وهو ان يعسكروا في أول موضع وجدوا فيه قرية ، والا يواصلوا المسير والاقتتال في آن معا . ومرد ذلك الى وجود العديد من الرجال عاطلين عن العمل : الجرحى وحملتهم والذين استلموا أسلحة الحاملين . لكن عندما عسكروا ، واتجه الفرس صوب القرية في محاولة لمشاغلتهم في قتال عن بعد ، خرج اليونانيون بنتيجة افضل كثيرا . فكان ثمة فارق عظيم بين شروع الواحد من ارضه بالذات في صد العدو وبين المقاتلة اثناء المسير حينما يكون العدو في اعقابه .

وعند حلول العصر ، ازف وقت تراجع العدو ، لان الفرس (خشية من قيام اليونانيين بشن هجوم ليلي) عسكروا دائما على مسافة تبعد ستة اميال على الاقل عن الجيش اليوناني . ان الجيش الفارسي عديم الجدوى في الليل ، مادامت خيوله تعقل ، كما تربط اقدامها عادة ، كي لا تنهزم لو تركت سائبة . لذا ان حدث اي اضطراب ، فينبغي أن تسرج الخيول لراكبيها الفرس وتلجم ، ثم على الراكب أن يرتدي درعه ويمتطي جواده وهذه كلها امور يصعب انجازها ليلا وسط الضجيج . هذا ما حملهم على أن يعسكروا عند مسافة نائية عن اليونانيين . فلما علم اليونانيون الان عزم الفرس على التراجع ، اذ كانوا في الحقيقة يبلغون الايعازات بذلك ، اصدروا امرا لعساكرهم - على مسمع من العدو - بتجميع امتعتهم . عندئذ احجم الفرس عن الانسحاب لفترة ما ، لكنهم بعد حين عادوا ، غير محبذين السير ثم الاوبة الى المعسكر اثناء الليل .

واذ لاحظ اليونانيون انهم عائدون دون ريب ، رفعوا خيامهم ، وانطلقوا سائرين لمسافة ستة اميال تقريبا . بهذا غدت الشقة بين الجيشين حدا لم يعد معه بالامكان رؤية اي أثر للعدو ، لا في اليوم التالي ولا الذي أعقبه . في اليوم الرابع ، تقدم الفرس ليلا ، واحتلوا موقعا مطلا على يمين الطريق التي نوى اليونانيون على طرقها . كان ذلك الموقع احدى ذرى الطود المشرف على الطريق الممتدة في السهل . عندما شاهد (خريسوفوس) انهم قد سبقوا الى احتلال ذلك المرتفع ، استدعى زينوفون من المؤخرة ، وطلب منه استقدام مشاته الخفيفة والمجيء نحو المقدمة . غير ان زينوفون لاحظ (تيسافرنوس) وقد بدت كامل قوته للعيان ، فلم يقتد المشاة الخفيفة الى الامام ، بل انطلق راكبا بمفرده نحو (خريسوفوس) وسأله : « لماذا تناديني ؟ » فأجاب خريسوفوس : « تستطيع أن ترى ذلك بنفسك . ان الرابية المطلة على طريقنا في الاسفل ، قد سبقنا في ضبطها . لا يسعنا العبور الا اذا اكتسحناهم منها . لكنك لِمَ لمْ تجتلب المشاة الخفيفة ؟ » فرد زينوفون انه لم يفكر من الصواب ترك المؤخرة بلا قوة ، بينما العدو على مرآى ، وقال : « على كل حال ، لقد حان الوقت حتما أن نصمم كيف يتسنى للفرد ازاحة أولئك القوم من الاكمة » .

حينذاك ، لاحظ زينوفون أن عرعرة الجبل اعلى من الارض التي عليها الجيش اليوناني ، وان بالامكان السير منها نحو الجبل الذي صعده الاعداء ، فقال : « ان افضل ما نفعل ، يا خريسوفوس ، هو التقدم نحو القمة بأسرع ما نستطيع . ان تمكنا من ضبطها ، فسيعجز عن الاحتفاظ بموقفهم أولئك الذين يشرفون على طريقنا . اذا شئت ، فامكث هنا مع الجيش الرئيسي . سأتطوع بالمضي قدما . أم ، اذا فضلت ، فسر نحو الجبل ، وسألبث هنا » فقال خريسوفوس : « سأترك لك الخيار أن تفعل ما تشاء » .

فاعرب زينوفون بما انه الاصغر سنا ، اختار التقدم نحـو الجبل ، لكنه طلب من خريسوفوس أن يمده ببعض الرجال من المقدمة للمضي معه ، اذ ان جلب الرجال من المؤخرة كان سيستغرق وقتا . فاذن له خريسوفوس باخذ المشاة الخفيفة التي كانت في المقدمة ، والتي كانت وسط المربع ، كما امر ثلاثمئة من الرجال المختارين ، الذين كانوا تحت امرتـه الشخصية في واجهة المربع ، بالذهاب مع زينوفون .

فانطلقوا في السير باسرع ما تمكنوا ، لكن الاعداء فوق الاكمة ، اذ لاحظوا اليونانيين متوجهين صوب القمة ، هرعوا هم كذلك في الحال لينازعوهم الموقع . فكان ثمة استصراخ كثير : من الجيش الاغريقي يستحث رجاله من جانب ، ومن قوم (تيسافرنوس) يحرضون رجالهم من الجانب الاخر . لقد ركب زينوفون جوادا على طول الصفوف ، يستحثهم على الارتقاء قائلا : « ايها الجنود ، اعتبروا انكم الان تقاتلون من اجل اليونان ، وانكم تشقون الان طريقكم نحو اولادكم وحليلاتكم ، واننا بقليل من المشقة حاليا ، سنمضي في ما تبقى من طريقنا دون مقاومة » فقال (سوتريداتس) وهو رجل من (سيكون)(١٠٣) : « لسنا متعادلين يا زينوفون . انك ممتطٍ صهوة جواد ، بينما انا قد انهكني مجن احمله » .

عندما وعى زينوفون ذلك ، قفز عن صهوة جـواده ، واقصى (سوتريداتس) عن الصفوف ، وجرده من ترسه ، وتقدم راجلا باسرع ما استطاع ، حاملا الترس . واتفق انه كان متدرعا بدرع الفرسان كذلك ، فصار انطلاقه بطيئـا . لقد ظل مشجعا اولئك الذين في الطليعة على الاستمرار في السير ، واولئك الذين خلفهم على اللحاق بهم ، مع انه بالذات كان يناضل خلفهم على طول . غير ان الجنود الاخرين ، ضربوا (سوتريداتس) ورجموه بالحجارة ولعنوه حتى ارغموه على استعادة ترسه ومتابعة السير . عندئذ عاد زينوفون فاعتلى جواده ، وقادهم نحو الطريق على ظهر الحصان ، طالما كانت الطريق صالحة . ولما غدا ركوبه مستحيلا ، غادر حصانه الى الخلف ، ودلف في سيره نحو الامام على قدميه . وهـكذا بلغوا القنة قبل العدو .

وعلى ذلك ، ولى الفرس الادبار ، وهربوا في جميـع الاتجاهات ، وضبط الاغريق القنة . فحـاد جانبـا جيش تيسافرنوس وآريوس ، ومضوا في مسلك آخر ، وانحدر رجال خريسوفوس الى الصيهب ، وعسكروا في قرية حافلة بطيبـات غزيرة . في هذا السهل المحاذي دجلة ، كانت ارياف عديـدة زاخرة بالمؤن كذلك .

غير ان العدو شوهد في الصيهب بعد العصر على حين غرة ، وشتت بعض الاغريق المنتشرين هناك ، والمنهمكين في الاغتنـام ، اذ قد امسكت بعض قطعان الماشية عند جلبها لعبور النهر الى الضفة الاخرى . فحاول عندئذ تيسافرنوس ورجاله احـراق القرى ، فاغتم بعض الاغريق لذلك ، اذ قد خيل اليهم انهـم ان احرقوا القرى ، فلن يجدوا موضعا يحصلون فيه على الميرة .

(١٠٣) Sicyon — مدينة تقع الى الشـمال الشـرقي من مدينة (كورنثوس) باليونان .

كان (خريسوفوس) ورجاله قد عادوا حديثا من انقاذ الذين في الدلصة ، وعندما صادف فريق الانقاذ زينوفون عند انحداره من الاكمة ، مضى راكبا بحـذاء صفوفهم ، وقـال : « اما ترون ، ايها الاغريق ، انهم اذعنوا الان باننا مالكو ارضهم ؟ عندما مهدوا للهدنة ، ركزوا على هذه النقطة كثيرا ، وهي لاينبغي احراق أرض العاهل ، وهاهم الان يحرقونها بانفسهم وكانهـا ليست ملكه . لكننا ان توفر اي طعام لانفسهم حيثما كان ، فسيجدوننا سائرين هناك ايضا . في الحقيقة ، يا خريسوفوس ، ارى انه يستوجب علينا اعتبار هذه الملكية خاصتنا ، ونمنعهم من احراقها » فقال خريسوفوس : « لا اخال ذلك ، بل نستطيع اعانتهم في مسعاهم ، وآنذاك سيكفون سريعا » .

عندما عادوا الى مضاربهم ، التام القادة وضباط المشـاة في اجتماع ، بينما انشغل الباقون بالتجهيزات . انهم الان في وضع جد عصيب . فمن احدى الجهتين ، كانت ثمة جبـال سامقة جدا ، وعند الجهة الاخرى ، كان النهر الذي بلغ مـن العمق ، عند اختباره ، حدا غدت الرماح التي نكست فيه دون مستوى الماء ، وبينما كان القادة غير متاكدين مما سـيقدمون عليه ، برز شخص من (رودس) ، وقال : « اني اتعهد بالعبور بكم على دفعات ، اربعة آلاف من المشاة الثقيلة في كل دفعة ، اذا زودتموني بما اتطلب ، ووهبتموني وزنة(١٠٤) فضة اجرا » .

وعندما سالوه عما احتاج اليه ، اجاب : « ساحتاج الى الفي قربة من الجلد ، اذ ارى عددا من الاغنام والماعز والثيران والحمير حولنا . عند سلخنا جلودها ونفخنا فيها ، ستزودنا بوسيلة يسيرة للعبور . كما ساتطلب حبـال الحيوانات التي تحمل الحقائب . بهذه الحبال ، ساوثق القرب ببعضها ، واضع كل قربة في موضعها بربطها بحجر يتدلى في الماء كمرساة . ثم سالز القربات عبر النهر ، واشدها الى الضفتين ، واضعـا فوقها الخشب ، تعلوه طبقة من تراب . بلحظة واحدة ، ساثبت لكم الا خطر من الغرق . كل قربة ستحمل شخصين ، والخشب والتراب يمنعان انزلاقهما » . فاصغى القادة اليه ، لكنهـم فكروا ، رغم كونها فكرة حسنة ، ان من المتعذر تنفيذها ، لوجود اعداد جسيمة من الفرسان عند الضفة الاخرى لتصد تقدمهم ، وأنها للفور ستعيق الرجال الاوائل عبر النهر عن تادية مهامهم .

في اليوم التالي ، عادوا القهقرى ، سالكين طريقهـم السابقة المؤدية الى الارياف التي لم تضرم فيها النار ، فاحرقوا القرى التي شرعوا منها في الحركة كي يعيقوا دنو العدو منهم ، لكنه لاحظهم من بعيد ، حائرا في الظاهر بشان السبيل الـذي سيسلكه اليونان بعد الان ، وماهية نياتهم . عندئذ عقد القادة اجتماعا آخر ، بينما انشغل الجيش الباقي بالتجهيـزات . فاستحضروا الاسرى ، واستفسروهم مفصلا عن الاصقاع التـي تحيطهم . فكانت الردود ان الاصقاع في الجنوب متجهة نحـو

(١٠٤) الوزنة (Talent) تعادل (٢٥٠) أو (٣٤٠) جنيها . كما انها تدل على وزنة ذهب تساوي عشرة آلاف جنيـه تقريبا . والاولى اقرب الى المعقول .

(١٠٥) Susa — عاصمة فارسية قديمة .

(١٠٦) هي Ecbatana سابقا عاصمة ميديا .

بابل وميديا ، وهي في الحقيقة الطريق التي قد سلكوها . والطريق شرقا ، تتجه نحو شوشه(١٠٥) وهمدان(١٠٦) التي قيل انها مقر العاهل صيفا ، وان عبر الواحد النهر وانطلق غربا ، اتجهت به الطريق نحو (ليديا) و (ايونيا) ، والطريق المتجهة شمالا فوق الجبال ، تسلك نحو (الاكراد) . وافصحوا ان هؤلاء القوم يقطنون الجبال ، وانهم بواسل جدا ، وغير خاضعين للعاهل . والحقيقة ان جيشا ملكيا ، قوامه مئة وعشرون الفا ، غزا مرة ديارهم ، فلم يعد منهم فرد واحد بسبب وعورة الارض التي وجب عليهم أن يوغلوا فيها . لكنما في أحوال عقد المصالحة مع الوالي المسيطر على السهل ، كان ثمة تخالط متبادل بين الاكراد وبينهم . فاستوعب القادة هذه المعلومات ، وعزلوا جانبا الذين اعربوا عن المامهم بالطريق في كل اتجاه ، ولم يلمحوا باية اشارة نحو المسلك الذي سيتبعون ، غير أنهم فكروا بوجوب غزو (كردستان) عبر الجبال ، اذ أنهم – استنادا الى الاسرى – سيصلون ارمينيا حالما سيجتازون هؤلاء القوم ، وهي قطر واسع غني يحكمه (اورونتاس) ، ومن ثم – قال الاسرى – يسهل السير في اي اتجاه شاء الفرد .

فقدموا القرابين لتبريك هذا القصد ، كي يستطيعوا الشروع في المسير عندما يعتقدون ان الوقت الملائم لذلك قد حان. فقد كانوا في خشية من ان يسبقهم الفرس في احتلال الممر فوق الجبال . ثم اصدروا الاوامر ، أنهم بعد العشاء ، ينبغي على كل فرد ان يحزم عائديته فيستريح ، ويجب أن يكونوا متأهبين لاقتفاء ضباطهم عند صدور الايعاز .

● ● ●

النصُوص المحققة

كتاب الموفقي في النحو

لابن كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩

تحقيـــق

الدكتور عبدالحسين الفتلي

و

هاشم طه شلاش

مقـــــــدمة

نحمده ونستعينه

وبعد : فقد وفقنا للعثور على نسخة مخطوطة من « كتـابالموفقي في النحو » تأليف ابي الحسن احمد بن محمد كيسان ـ رحمه الله ـ وهو كتاب نحوي وصرفي جدير بالنشر للسببينالتاليين :

١ ـ ان مخطوطة هذا الكتاب لا اخت لها في المكتبات المفهرسةفي العـالم .

٢ ـ ان هذا الكتاب من الكتب المختصرة التي تضع امام القارىءالمادة النحوية الكاملة التي يستطيع الاستفادة منها في اقصر وقت دون الرجوع الى الكتب المفصلة في النحو والصرف مع ما فيها من صعوبة ومع ما يحتاجه الرجوع اليها من وقت .

ولقد اجتهدنا في ضبط نصوص هذا الكتاب على الوجهالمقنع ، وراجعنا ما يقتضي التحقيق مراجعته واثبتنا ما وجدناه نافعا في الهامش . فان وفقنا في عملنا فمن الله وله الحمد ،ونحن نشكره على كل حال .

المصنف :

اللاحظ في ترجمة ابن كيسان ان الذين ترجموا له نقل بعضهم مادة بعض ولذلك جاءت ترجمته متشابهة في الكتـــب المختلفة . اضافة الى ذلك ان المعلومات التي تقدمها لنا تلـك الكتب مجتمعة لا تضع امامنا صورة كاملة عن هذا النحوي ، وانما هي شذرات متفرقة لا تتعدى الاسم واسم الاب والكنية واللقب وشيئا قليلا عن ثقافته النحوية ومنهجه ، ويمكن للكتب التي خلفها لنا هذا الرجل ان تعطينا صورة ادق مما قدمته لنا كتب التراجـــم .

هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان(١) وقيل محمد ابن احمد(٢) وقيل محمد بن ابراهيم بن كيسان(٣) وقيل كذلك محمد بن احمد بن كيسان (٤) .

(١) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ ، هدية العارفين جـ٢ ص٢٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص٨١

(٣) بغية الوعاة السيوطي ص٨

(٤) نزهة الالباء ص١٦٢ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ وتاريخ الادب العربي بروكلمان جـ٢ ص١٧١

كان يكنى بابي الحسن (٥) ويلقب بابن كيسان . وكيسان لقب واسمه ابراهيم (٦) . وذكر ابو القاسم عبدالواحد علي ابن برهان : ان كيسان ليس اسم جده وانما هو لقب ابيه(٧) . واشار ابن النديم (٨) الى ان الكيسان بمعنى : الغدر وانه اسم لصاحب الترجمة وهي لغة سعدية .

وكان كيسان نحويا وذكر عنه انه خلط المذهبين واخـذ عن الفريقين (٩) يعني البصريين والكوفيين ـ وانه كـان يحفظ المذهب البصري والكوفي في النحو لانه اخذ عن ابي العباس المبرد

(٥) انظر معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وبغية الوعاة ص٨ ونزهة الالباء ص١٦٢ وهدية العارفين جـ٢ ص٢٣ وبروكلمان جـ٢ ص١٧١ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ .

(٦) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠

(٧) انظر تاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ ونزهة الالباء ص١٦٢

(٨) الفهرست ص٨١

(٩) الفهرست ص٨١

وابي العباس ثعلب (١٠) وانه كان انحى من الشيخين يعني المبرد وثعلبا (١١) وقد كان الى مذهب البصريين اميل (١٢) .

وحدث ابو الطيب اللغوي قال كان ابن كيسان : يسأل المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين فيقول في هذا على من يقوله كذا ويلزمه كذا فاذا رضي قال له قد بقي عليك شيء لم لا تقول كذا (١٣) .

وحدث ابو بكر محمد بن مبرمان قال قصدت ابن كيسان لاقرا عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال : اذهب الى اهله يعني الزجاج وابن السراج وكان ابو بكر بن الانباري يتعصب عليه ويقول خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئا وكان يفضل الزجاج عليه جـدا (١٤) .

توفى ابن كيسان واختلف في سنة وفاته . واشهر تاريخين لوفاته هما سنة ٢٩٩هـ(١٥) وسنة ٣٢٠هـ(١٦) .

مصنفات ابن كيسان :

خلّف ابن كيسان مجموعة من الكتب في مختلف العلوم الانسانية ان دلت على شيء فانما تدل على طول باعه وتمكنه من علوم العربية وادابها مع معرفةواسعة بعلوم القرآن والحديث. ومؤلفاته التي نذكرها هي التي اوردتها كتب التراجم في اثناء ترجمتها لمؤلف هذا الكتاب وهذه الكتب هي :

١ ـ المهذب في النحو . ذكر بول سباط ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة محمد عطية الكهربائي في القاهرة .
٢ ـ غلط أدب الكاتب
٣ ـ اللامـــات
٤ ـ كتاب البرهـان
٥ ـ غريب الحديث وقيل عنه انه في اربعمائة ورقة (١٧) .
٦ ـ معاني القرآن
٧ ـ علل النحـو
٨ ـ مصابيح الكتاب
٩ ـ ما اختلف فيه البصريون والكوفيون
١٠ ـ كتاب تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ذكـره بروكلمان (١٨) واشار الى انه توجد منه مخطوطة في ليدن ٢٦٤ وان وليم رايت نشره في Opsenla Arab من ص ٤٧ـ٧٤ ونشير الى ان الدكتور ابراهيم السامرائي اعاد نشره في مجلة الجامعة المستنصرية .
١١ ـ شرح المعلقات : ذكره بروكلمان (١٩) . وهو شرح لمعلقات امرىء القيس وطرفة ولبيد وعمرو والحارث . وتوجد منه مخطوطة في برلين ٧٤٤٠ . ويوجد شرحه لمعلقة امرىء القيس فقط في المكتب الهندي (اول ٨٠٠) ونشر شلوسنجر شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم عن مخطوط برلين .
١٢ ـ كتاب الموفقي في النحو : وهو الكتاب الـذي نقدمه للقارىء محققا عن نسخة مخطوطة فريدة موجـودة في خزانة الرباط في المغرب الاقصى تحت رقم ١٢٧ وهو نفسه المسمى بالمختصر في النحو ويظهر انه قدم الى الموفق باللـه فسمى بالموفقي كما سميت كتب اخرى بنفس التسميةللغرض نفسه ككتاب الموفقي في النحو للامام احمد بن يحيى ثعلب(٢٠) وكذلك الاخبار الموفقيات للزبير بن بكار والذي حققه ونشره الدكتور سامي مكي العاني :
١٣ ـ كتاب التصاريف
١٤ ـ كتاب الحقائق
١٥ ـ كتاب الشاداني في النحو
١٦ ـ كتاب القراءات
١٧ ـ الكتاب المختار وهو في ثلاثة مجلدات (٢١)
١٨ ـ كتاب المذكر والمؤنث
١٩ ـ كتاب المقصور والممدود
٢٠ ـ كتاب الوقف والابتداء
٢١ ـ كتاب الهجاء والخط
٢٢ ـ كتاب الفاعـل والمفعول به
٢٣ ـ كتاب المسائل على مذهب النحويين

كتاب الموفقي في النحو :

هو كتاب صغير في النحو والصرف كتبه ابن كيسـان للموفق بالله القائد العباسي بعد ان سـمع من رجل اسـمه ابن جسان ان الموفق بالله طلب شيئا من مختصرات النحـو فعمل له عدة كتب فعمل ابن كيسان كتابا مماثلا ضغط فيـه القواعد النحوية والصرفية ضغطا كبيرا ودقيقا .

ولم نجد ذكرا لاسم هذا الكتاب في طبقـات النحـويين واللغويين ولا نعلم متى سمي هذا الكتاب بالموفقي ومن الذي سماه هذه التسمية وكل الذي نعرفه ان لابن كيسان كتابا مختصرا في النحو اشار اليه الذين ذكروا كتبه ونعتقد ان المختصر هو نفسه الكتاب الموفقي .

اما نسبة هذا الكتاب لابن كيسان فمن الممكن توثيقهـا بما ياتي :

١ ـ ان هذا المصنف يبدأ بعبارة « قال ابو الحسن محمد بن احمد كيسان ... » وقد تردد ذكر عبارة « قـال كيسان » في عدة مواضع من الكتاب .

٢ ـ نقل ابن السيد البطليوسي في كتابه الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل (٢٢) تقسيم ابن كيسان للفعل قال

---

(١٠) بغية الوعاة ص٨ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠
(١١) نزهة الالباء ص١٦٢ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥ وبغية الوعاة ص٨
(١٢) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨٠ وبغية الوعاة ص٨
(١٣) مراتب النحويين ص٨٨ ومعجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٤) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٥) انظر نزهة الالباء ص١٦٢ وتاريخ بغداد جـ١ ص٣٣٥
(١٦) انظر معجم الادباء جـ٦ ص١٨١ وبغية الوعاة ص٨ ومرآة الجنان لليافعي ٢٣٦/٢ .
(١٧) معجم الادباء جـ٦ ص٢٨١
(١٨) جـ٢ ص١٧١ الترجمة العربية
(١٩) جـ١ ص٧٠

(٢٠) هدية العارفين جـ١ ص٥٤
(٢١) هدية العارفين جـ٢ ص٢٣
(٢٢) تحقيق سعيد عبدالكريم انظر النسخة المطبوعة على الالة الكاتبة في كلية الاداب ص٧٤

« قال ابو الحسن بن كيسان : الفعل ما كان مذكورا لاحد زمانين ما مضى وما يستقبل او احدهما وهو الحـــال » ويوجد في الموفقي ما يشبه هذا التقسيم قال « والفعل ما كان مشتقا من احداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل وما هو في حال الحديث به نحو قام يقوم وعلم يعلم » (٢٣)

٣ ـ ذكرت كتب الطبقات النحوية ان ابن كيسان خلط المذهبين البصري والكوفي واخذ عن الفريقين وانه كان يحفظ المذهبين لانه اخذ عن ابي العباس المبرد وابي العباس ثعلب ولو تتبعنا المصطلح النحوي الكوفي والاقوال الكوفية في هذا الكتاب لوجدنا من ذلك شيئا ليس قليلا وقد اشرنا في هوامش الكتاب الى كل مصطلح او رأي للكوفيين .

وصف المخطوطة :

النسخة المخطوطة لهذا الكتاب عثر عليها في اوائل سنة ١٩٥٨ بمدينة تمغروت في جنوب المغرب الاقصى . ويقـــع المخطوط ضمن مجموع يضم عشرة كتبمختصرة في اللغة والنحو والعروض . ويوجد هذا المجموع الان في مكتبة الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٢٧ .

وقد كتب في الصفحة الاولى من المجموع ما ياتي « في هذه المجلدة عشرة كتب مختارة في النحو » وهذه الكتب بحسب تسلسلها هي :

١ ـ الكتاب الموجز في النحو لابن الســراج
٢ ـ كتاب المــوفقي في النحو لابن كيسان
٣ ـ كتاب الكتاب لابن درستويه
٤ ـ كتاب النحو لابي علي المعروف بلغدة
٥ ـ كتاب الهجــاء لابن السراج
٦ ـ كتاب الياء على حروف الهجاء لابن درستويه
٧ ـ كتاب المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة
٨ ـ المقصور والممدود لغلام ثعلب
٩ ـ كتاب العروض لابن السراج
١٠ـ كتاب القوافي لابي القاسم التميمي

وقد كتب فوق الفهرست هذه العبارة « عورض بالفهرست سنة ٥٨١ .

وكتاب الموفقي في النحو لابن كيسان هو الكتاب الثـــاني من هذا المجموع وان ناسخ المجموع كله شخص واحد ذكـــر اسمه في الصفحة الاولى وهو « ابو محمد عبدالملك بن طاهر ».

ولم نستطع ان نحصل على تاريخ نسخ الموفقي ولـــم تسعفنا الكتابات الموجودة في الصفحة الاولى من المخطـــوط ولا الكتابات الموجودة في خاتمة كل مصنف على ضبط ذلـــك التـــاريخ .

والذي نستطيع قوله ان كتاب الموفقي نسخ قبل نهايـــة القرن الخامس الهجـــــري لاننــــا وجدنــــا في نهايـــة كتاب الياء لابن درستويه ـ وهو الكتاب السادس ـ ما نصه « كتبه في المحرم سنة احدى وخمسمائة ابو محمد عبدالملك بن طاهر . ولما كان الموفقي الكتاب الثاني من المجموع فمعنى ذلك انه نسخ قبل ذلك التاريخ .

والمجموع كله ـ بما في ذلك الموفقي ـ مكتوب على ورق ابيض يميل الى الصفرة . والخط المستعمل هو النســـخي الشرقي المشكول . وهو واضح في اغلب الاحيان الا ان الناسخ كان يهمل النقط او يسيء استعماله ، فقد لوحظ انه كثيرا ما يقلب ياء المضارعة تاءً والتاء ياءً . وقد صحف الناسخ كثيرا من الكلمات فاجتهدنا في تصحيحها وقد اشرنا الى كل ذلك في مواضعه . وقد وقع سقط ليس بالكثير ذكرناه واشرنا اليه على انه مما يقتضيه السياق معتمدين في ذلك على ما تقدم وما تاخر من الالفاظ .

وقد ذكرت على هامش الصفحات بخط مخالف لخط النص تصحيحات وزيادات يصعب قراءتها .

اما الصفحة الاولى من الموفقي فلم نجد فيها غـــير العنوان واسم المؤلف وعبارة يتيمة موجودة تحت اســـم الكتاب واسم المؤلف وهذه العبارة هي « ابن الشعار » وقد ذكرت ايضا في الصفحة الاولى من المجموع ولا ندري مــــا المقصود بها بالضبط فقد يكون هذا الرجل احد مالكي هــــذا الكتاب او احد مصححيه ولكن لا يمكن الجزم بذلك .

والمخطوطة مؤلفة من اثنتي عشرة ورقة او ثلاث وعشرين صفحة ، طول كل واحدة ٢٠ سم وعرضها ١٥ سم على وجه التقريب وعدد السطور يتراوح بين ١٨ و ٢٣ سطرا ويحتوي كل سطر على ٢٢ كلمة تقريبا .

عملنا في التحقيق :

١ ـ لما كان اعتمادنا في تحقيق هذا الكتاب على نسخة فريدة لا اخت لها في المكتبات المفهرسة في العالم ، فقد اجتهدنا في ضبط النص على الوجه الاكمل ، وصححنا الاخطاء الاملائية واشرنا الى ما سقط من الكلمات اثناء النسخ وصححنا ما وقع في الكتاب من تصحيف وقد اشرنا الى كل ذلك في هوامـــش الكتـــاب .

٢ ـ نبهنا على المصطلحات والاقوال الكوفية التي وردت في النص على اعتبار ان ابن كيسان كان ممن يميلون الـــى المذهب الكوفي .

٣ ـ قمنا بشرح قسم من المسائل النحوية او الصرفيـــة التي شعرنا بغموضها على القاريء واستدركنا شيئا يسيرا على المسائل النحوية والصرفية التي نعتقد انها تحتاج الى اضافة علمية حتى تظهر بالصورة المطلوبة .

٤ ـ خرجْنا قسما من النصوص التي نقلها ابن كيسان مع انه لم يشر الى ذلك ـ وارشدنا الى اماكنها في كتـــب الاقدمين .

٥ ـ قمنا بتقسيم الابواب الكبيرة الى ابواب فرعيـــة بحسب ما يحتويه كل باب من موضوعات .

٦ ـ وضعنا فهرسا للموضوعات في آخر الكتاب بينا فيه الابواب الرئيسة والابواب الفرعية .

---

(٢٣) انظر الصفحة الاولى من الكتاب

كتاب الموفقي في النحو

تأليـف

أبي الحسن محمد بن احمد كيسان

المتوفى سنة ٢٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو الحسن أحمد بن محمد كيسان[١] : قال لي ابن حسّان[٢] : طلب الموفق[٣] شيئا من مختصرات النحو فعمل له غير كتاب . قال ابو الحسن : فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب .

قال : الكلام[٤] ينقسم ثلاثةاقسام وهي : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل .

فالاسم ما وضع لشيء ليفصل بينه وبين غيره من المسميات ، وصلح ان يكون فاعلا ومفعولا ومضافا اليه ، وذلك نحو رجل وفرس وزيد .

والفعل ما كان مشتقا من احداث الاسماء ، مبنيا لما مضى من الزمان ، وما يستقبل ، وما هو في حال الحديث به [٥] ، نحو قام يقوم وعلم يعلم .

وحروف المعاني ما لم يكن اسما ولا فعلا ، ولكن يتعلق بأحدهما نحو . إنّ وليت وفي ومن ولم ولن وما أشبه ذلك .

وليس يعرب من الكلام شيء الا الاسم المتمكن والفعل المستقبل الذي في اوله ياء أو تاء أو نون أو الف ، نحو : أنا أذهب وانت تذهب وهو يذهب ونحن نذهب ، وسائر[٦] الكلام مبني لا تتغير حركاته ولا يزول آخره .

والاعراب يلزم اواخر الاسماء والافعال ، وهو الرفع والنصب والخفض والجزم . فاعراب الاسماء رفع ونصب وجر . واعراب الافعال نصب ورفع وجزم وليس في الاسماء جزم ولا في الافعال خفض[٧] .

باب معرفة الرفع

فالرفع في الاسماء والافعال يكون باربعة اشياء ، بالضمة والواو والالف والنون .

فأما الضمة ففي اكثر الاسماء والافعال نحو زيد وعمرو وصاحبك ورجال ويقوم ويعلم .

واما الواو فتكون في خمسة أسماء مضافة ، وفي الجمع الذي على هجائين[٨] ، ولا يكون في شيء غير ذلك .

فأما الاسماء الخمسة فهي ابو زيد واخو محمد وفو عمرو وحمو خالد وذو مال [٩] .

واما الجمع الذي على هجائين فقولك : المسلمون والزيدون والصالحون والقائمون [١٠] . وانما سمي جمعا على هجائين لانه في الرفع بالواو وفي الخفض والنصب بالياء ، تقول بنون وبنين وعشرون وعشرين .

واما الرفع في الاثنين فعلامته الألف « و »[١١] لا يكون في شيء غير ذلك نحو قولك : رجلان وغلامان والعمران والزيدان .

واما النون فيكون في خمسة امثلة من الافعال المستقبلة ، ولا يكون في شيء غير ذلك وهو قولك للمراة : أنت تفعلين وانتما تفعلان وهما يفعلان وانتم تفعلون وهم يفعلون ، علامة الرفع ثبات النون ، لا يكون الرفع بشيء غير ما ذكرنا .

---

(١) المعروف انه محمد بن احمد كيسان
(٢) لم نتوصل الى معرفة هذا الرجل
(٣) هو ابو احمد الموفق . واسمه طلحة ، اخو الخليفة المعتمد على الله وابن الخليفة المتوكل وقد عينه أخوه قائدا له لمحاربة صاحب الزنج يوم الخميس سنة ٢٥٨هـ وقد كان الموفق الحاكم الحقيقي للدولة لان امور الدولة كانت بيده بعد ان ضعف شأن أخيه فحبسه وحجر عليه ومات الموفق سنة ٢٧٨هـ عن ٤٩ سنة وخلفه ابنه المعتضد . (انظر مروج الذهب جـ٢ ص٤٧٣-٤٩٣)
(٤) في كتاب سيبويه الكلم بدل الكلام فقد جاء في الكتاب « فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » جـ١ ص٢
(٥) جاء في كتاب سيبويه جـ١ ص٢ « واما الفعل فأمثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع »
(٦) في الاصل « ساير » والصواب ما اثبتناه
(٧) الخفض مصطلح كوفي . جاء في مدرسة الكوفة ص٣٥٦ « ويريد به الكوفيون ما يريد البصريون بالجر . والخفض ليس من وضع الكوفيين ولا الجر من وضع البصريين وانما هما مقتبسان من اوضاع الخليل ومصطلحاته الا ان الكوفيين توسعوا في الخفض فاستعملوه في الكلمات المنونة وغير المنونة بعد ان كان الخليل لا يستعمله الا في المنون » وقد تكرر هذا المصطلح في هذا الكتاب في مواضع كثيرة
(٨) يقصد جمع المذكر السالم والملحق به
(٩) يضاف اسم سادس وهو « هنو »
(١٠) فيالاصل « قايمون » والصواب ما اثبتناه
(١١) زيادة يقتضيها السياق

باب معرفة النصب

وأما النصب في الاسماء والافعال فيكون خمسة أشياء ، بالفتح والالف والياء والكسر وبحذف النون .

والفتح يكون في اكثر الكلام(١٢) نحو قولك : رايت زيدا وعمرا وعبدالله .

وأما الالف ففي الاسماء الخمسة التي رفعها بالواو ، نحو (١٣) قولك رأيت أبا عمرو واخا زيد وفا محمد وحما خالد وذا مال .

وأما الياء ففي الاثنين ، والجمع الذي على هجائين نحو قولك رأيت رجلين وغلامين والزيدين والعمرين . وكذلك الجمع رايت مسلمين وقائمين (١٤) وصالحين .

وأما الكسر فيكون في جمع التأنيث اذا زيد في آخر الاسم الالف والتاء ، [و] (١٥) لا يكون الكسر علامة النصب الا في هذه التاء ، وذلك قولك رأيت مسلمات وصالحات والهندات والاخوات ، تكسر التاء في النصب .

وأما حذف النون ففي الامثلة /٣ التي علامة الرفع فيها ثبات النون (١٦) نحو قولك : لن تفعلي ولن تفعلا ولن يفعلا ولن تفعلوا ، [و] سقوط النون علامة النصب ، [و] لا يكون النصب في شيء من الكلام الا بما ذكرنا .

باب معرفة الخفض

وأما الخفض فيكون بثلاثة اشياء ، بالكسر وبالياء وبالفتح ، فالكسر في اكثر الكلام نحو قولك مررت برجل وبعمرو وبرجال .

وأما الياء ففي الاسماء الخمسة التي رفعها بالواو ونصبها بالالف وخفضها بالياء نحو قولك مررت بأبي حفص وأخي محمد وفي زيد وحمي عمرو وذي مال . ويكون في الاثنين والجمع الذي على هجائين مثل النصب سواء نحو قولك : مررت برجلين وغلامين ومسلمِين وصالحِين ، يستوى النصب والخفض في الاثنين والجمع الذي على هجائين والجمع المؤنث الذي في آخره الف وتاء . والباب للنصب والخفض مقرون اليه ليس بينهما في اللفظ فرق نحو قولك رايت رجلين ومررت برجلين ورأيت الهندات ومررت بالهندات .

وأما الفتح فيكون فيما لا ينصرف من الاسماء فان الاسماء التي لا تنصرف خفضها كنصبها بالفتح بغير تنوين وسنذكرها بعد هذا الموضع ان شاء الله ، [و] (١٧) لا يكون الخفض بغير ما ذكرنا .

باب معرفة الجزم

وأما الجزم فيكون بالتسكين ويكون بالحذف .

فأما التسكين ففيما كان آخره مضموما في الرفع نحو قولك : هو يذهب فتقول لم يذهب فتسكن الباء .

وأما الحذف فأن يكون آخر المستقبل ياء أو واوا أو الفا ، فتسكن في الرفع ويحذف في الجزم وذلك قولك يقضي ويمشي ويغزو ويدعو(١٨) ويخشى ويرضى تقول اذا جزمت لم يغز ولم يقض ولم يرض تحذف الياء والواو والالف .

ويكون الجزم ايضا بحذف النون التي تكون علامة للرفع فيستوي النصب والجزم في الافعال كما يستوي النصب والخفض في الاسماء وذلك قولك لم تفعلي ولن تفعلي ولم تفعلا ولن تفعلا ولم تفعلوا ولن تفعلوا [و] (١٩) سقوط النون علامة الجزم ولا يكون الجزم بغير ما ذكرنا .

باب ما يتبع الاعراب

يتبع اعراب الاسماء التنوين ليكون فصلا بين اعراب الاسم واعراب الفعل نحو قولك زيدٌ وزيدٍ وزيداً ، فيوقف على المنصوب اذا كان منونا(٢٠) بالالف نحو قولك رأيت زيدا ، ولا يوقف على المرفوع بالواو لثقلها ، ولا يوقف على المخفوض بالياء لئلا يلتبس بانه مضاف الى المتكلم (٢١) .

---

(١٢) في الاصل « والفتح يكون في اول الكلام واكثرها » وربما كان في هذه العبارة زيادة ليست منها في الاصل او وهم وقع فيه الناسخ ولعل العبارة هي ما اثبتناه حملا على قوله في « باب معرفة الخفض » : « فالكسر في اكثر الكلام » .

(١٣) في الاصل « ونحو » فالواو زائدة على ما نرى

(١٤) في الاصل « قايمين » والصواب ما اثبتناه

(١٥) زيادة يقتضيها السياق وقد زدنا الواو هذه في عدة مواضع ووضعناها بين قوسين معكوفين .

(١٦) وتسمى الافعال الخمسة

(١٧) زيادة يقتضيها السياق

(١٨) في الاصل « يغزوا ويدعوا »

(١٩) زيادة يقتضيها السياق

(٢٠) في الاصل « مؤنثا » والصواب ما اثبتناه

(٢١) أي أن الوقف على المرفوع بالواو – ويقصد به جمع المذكر السالم والملحق به – ثقيل لثقل الواو . وان

والنون في الاثنين والجمع الذي على هجائين عوض من التنوين الذي في الواحد ولا يسقط الا في الاضافة نحو غلاما زيد وغلاما عمرو وغلامي بكر وبنو زيد وبني عمرو .

والتنوين ايضا يسقط في الاضافة ومع الالف واللام نحو قولك عبدالله والغلام . والتنوين ساكن [و] (٢٢) نون الاثنين مكسورة ابدا لسكون ما قبلها ونون الجميع مفتوحة ابدا لئلا يشبه نون الاثنين ، فاذا كان الجمع على واحد ثبتت في كل شيء وجُرّت بالاعراب نحو البساتين والمساكين .

باب معرفة الافعال وما يعتريها

والافعال تكون ماضية فتبنى على الفتح نحو قام وذهب وعلم فاذا ثبتت (٢٣) ثبتت على الوقف (٢٤) نحو ذهبت وعلمت كرهوا كثرة الحركات فاسكنوها .

وتكون مستقبلة فتجرى بالرفع والنصب والجزم/٤ نحو يقوم ويعلم ويذهب ويقبل فهو رفع ابدا حتى يدخل عليها حروف النصب والجزم .

وحروف النصب التي تنصب الافعال المستقبلة هي ان ولن وحتى وإذن وكي وكيلا وكيما ولام كي ولام الجحد ولان ولئلا وان لا وحتى لا . وتنصب بالفاء اذا كانت جوابا للامر والنهي والدعاء والاستفهام والجحد والتمني والعرض . وتنصب بالواو وثم واو على الصرف (٢٥) .

باب الحروف التي تجزم الافعال المستقبلة(٢٦)

وهي لم ولما والامر باللام والنهي بلا وتجزم بحروف الجزاء وهي إن ومن وما واي ومهما ومهمن ومتى ومتى ما واين وأينما وحيث ما وكيفما واذ ما واي [ما] (٢٧) .

الوقف على المنصوب او المجرور بالياء يوهم بان الاسم مضاف الى ياء المتكلم لذا قرن هذا الاسم بالنون

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق

(٢٣) في الاصل « ثبت » بتاء واحدة

(٢٤) أي « بنيت » على السكون لكثرة الحركات .

(٢٥) أحرف الصرف ويطلقها الكوفيون على الواو والفاء وأو التي تنصب الفعل المضارع بعدها مسبوقة بنفي أو طلب وهي الناصبة للفعل المضارع عند جمهور الكوفيين اما عند الفراء فالناصب لهذا الفعل هو الصرف اي الخلاف ، مدرسة الكوفة ص٣٥١

(٢٦) الافعال المضارعة

(٢٧) زيادة يقتضيها السياق لانها لو لم تكن كذلك لكانت اي مكررة

وتجزم بغير حرف اذا كانت(٢٨) جوابا للجزاء وجوابا للامر والنهي والدعاء والتمني والعرض والاستفهام .

والفعل لا يثنى ولا يجمع اذا كان متقدما على الاسماء ويثنى ويجمع اذا تأخر واضمر فيه الاسم ، وانما يثنى الضمير الذي فيه ، وتثنية الضمير بالألف وجمعه بالواو في المذكر وبالنون في المؤنث وذلك قولك علما ويعلمان وعلمتا وتعلمان ، الالف علامة تثنية الاضمار ، والنون في المستقبل علامة الرفع .

وتقول في الجمع علموا ويعلمون وللنساء علمن ويعلمن [و] (٢٩) نون التأنيث لا تسقط في شيء من الاعراب تقول هن يعلمن ولم يعلمن ولن يعلمن ، تثبت النون لانها علامة الجمع وليست علامة للرفع وهذا الفعل مبني لا يتغير .

وان شئت ثنيت الفعل وجمعته مقدما فجعلت التثنية والجمع علامة لما يقع بعده وذلك يجوز في الشعر فتقول قاما اخواك وقاموا اخوتك مثل قولهم اكلوني البراغيث (٣٠) .

والاسم المبني على الفعل يجري مجرى الاسماء في الاعراب ومجرى الفعل في المعنى ويسميه الكوفيون الفعل الدائم(٣١) وذلك قولك قائم وضارب وعالم ، فمن اجراه على اللفظ فله حكم الاسماء ومن حمله على المعنى وحده قبل الاسماء وثناه وجمعه مؤخرا ، وحكمه حكم الاسماء في الاعراب على كل حال والاختيار جمعه وتثنيته في التقديم (٣٢)

باب معرفة أقسام المعاني في الكلام

الكلام ينقسم اربعة أقسام في المعاني وهي الخبر والاستخبار ، والاستخبار الاستفهام . والنداء هو الدعاء . والطلب هو (٣٣) الامر والنهي .

(٢٨) في الاصل « كان » ويقصد بها الافعال المضارعة التي قد تقع جوابا للطلب فتكون مجزومة .

(٢٩) زيادة يقتضيها السياق

(٣٠) لغة بلحرث من كعب

(٣١) ويريد به الكوفيون ما يريد به البصريون باسم الفاعل

(٣٢) اذا جمع او ثنى اسم الفاعل وقدم فانه يكون خبرا مقدما وما بعده مبتدأ مؤخرا الا اذا كان ذلك على لغة اكلوني البراغيث اذ يكون الاسم المتاخر فاعلا وما اتصل باسم الفاعل علامة له .

(٣٣) في الاصل « والامر » والصواب ما اثبتناه فلو كانت الواو في موضعها لزادت الاقسام على اربعة والكلام عنده ينقسم الى المعاني التالية « الخبر والاستخبار والنداء والطلب »

والخبر أوسعها تصرفا ولا يكون الخبر الا باسم يقرن به حديث ، وحديث الاسم أحد أربعة اشياء وهي : اسم او ظرف او فعل او جملة فيها ذكر الاسم المحدث عنه . والجملة هي اسم ثان ومعه خبره وهما جميعا خبر للاول ، فاذا كان الحديث عن الاسم اسما فالاسمان مرفوعان وبهما تقع الفائدة وذلك قولك : الله الهنا ومحمد نبينا ، وزيد اخوك ، الاول يرفع بالابتداء والثاني خبر الابتداء يرتفع بالاول ، وبعضهم يقول ارتفع هذا بهذا وهذا بهذا (٣٤) . وكذلك التثنية والجمع : الزيدان عالمان والزيدون عالمون .

واذا كان الحديث عن الاسم فعلا وجد مقدما (٣٥) وجاء على عدد الاسماء متأخراً(٣٦) وذلك قولك قام زيد وقام الزيدان وقام الزيدون ويقوم عمرو ويقوم العمران ويقوم العمرون وزيد قام والزيدان قاما والزيدون قاموا وعمرو يقوم والعمران يقومان والعمرون يقومون اذا تقدم الفعل وفيه ارتفع الاسم ولا ذكر فيه من الاسم ، واذا تأخر(٣٧) فالاسم رفع بالابتداء والفعل خبر عنه وثنّي الفعل وجمع للذكر(٣٨) الذي فيه من الاسم أي فيه ضمير الاسم .

ومالم يسمّ فاعله يجري مجرى الفاعل ويصير الفعل حديثا عنه وذلك قولك ضُرب عمرو وضُرب /٥ العمران وضُرب العمرون ويُضرب الزيدان ويُضرب الزيدون ، والزيدان ضُربا والزيدون ضُربوا والعمران يُضربان والعمرون يُضربون .

واذا كان الحديث عن الاسم ظرفا كان الاسم مرفوعا وكان الظرف منصوبا والظرف موحّد في تقدمه وتأخره وذلك قولك خلفك زيد وخلفك الزيدان وخلفك الزيدون ، والزيدان خلفك والعمران قدامك ، الاسم مرتفع بالابتداء والظرف خبره وهو نصب باضمار فعل المعنى ثبت خلفك زيد واستقر قدامك زيد (٢٩) .

---

(٣٤) هو قول الكوفيين : فقد جاء في الانصاف ــ المسألة الخامسة ــ ما يأتي « انما قلنا ان المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لانا وجدنا المبتدا لابد له من خبر والخبر لابد له من مبتدأ ولا ينفك احدهما من الاخر ولا يتم الكلام الا بهما »

(٣٥) تكون الجملة من باب الفعل والفاعل

(٣٦) تكون الجملة من باب المبتدأ والخبر

(٣٧) أي الفعل .

(٣٨) يقصد الضمير العائد

(٣٩) اذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالجملة اما اذا كان ذلك من قبيل الاخبار بالمفرد فيكون التقدير « كائن او مستقر »

واذا كان حديث الاسم جملة كان الاسم مرفوعا بالابتداء والجملة اسم مضموم اليه حديث ، وهو وحديثه حديث عن الاسم المقدم وذلك قولك : زيد ماله كثير ، فماله كثير جملة وهما جميعا خبر زيد ، وكذلك زيد قام ابوه فهذا الخبر ، ولا يكون الخبر مفيدا بأقل من هذا . ويتعلق به اشياء نذكرها في موضعها .

والاستخبار كالخبر الا انه لا يتم الا باسم وحديث وله حروف نذكرها في موضعها ان شاء الله .

والنداء يكون على أربعة أوجه ، وجهان منها مرفوعان ، ووجهان منصوبان .

فكل اسم مفرد وليس بمضاف فهو رفع بغير تنوين ، نحو يازيد ياعمرو ويازيدان ياعمران [و] (٤٠) يازيدون ياعمرون .

واذا كان قبله ياأيها فهو رفع وذلك نداء ما كانت فيه الف ولام نحو ياأيها الرجل وياأيتها المراة .

وكل مضاف فهو نصب في النداء نحو ياعبدالله وياصاحب الفرس وياغلامي زيد .

وكل(٤١) نكرة موصوفة فهي نصب بالتنوين يارجلاً عالماً ويارجلاً في الدار وياقوماً صالحين . ونعت المنادي يتبعه الا أن تنعت مفردا بمضاف فانك تنصب المضاف ولا يجوز غيره . وان شئت نصبت النعت فيه كله وذلك قولك ياعبدالله الظريفُ ويازيد الظريفُ ، وان شئت الظريف بالنصب ، ويازيد ذو الجمة (٤٢) لا غير لانه مضاف .

وفي النداء الندبة وهو قولك وازيداه واعمراه .

وفيه الترخيم وهو حذف من آخر الاسم تقول ياحارِ تريد ياحارث ، وياطلحَ تريد ياطلحة .

والطلب على ثلاثة اوجه فمنه أمر ومسألة ودعاء .

فالامر لمن هو دونك . والمسألة لمن انت دونه . والدعاء لله تبارك وتعالى تقول : ياغلام قم أمر ، وياأيها الامير اجزني وهب لي مسألة ، ويالله أغفر

---

(٤٠) زيادة يقتضيها السياق

(٤١) في الاصل « فكل » والصواب ما أثبتناه لان الفاء لا معنى لها هنا ولان المعنى جديد لا علاقة له بالكلام السابق

(٤٢) في الاصل « الجمة » فقط وهو يتحدث عن النعت اذا كان مضافا

لي ارحمني وهو جزم ، ويجمعه الطلب الا انـــه فـرّق بالاسماء لاختلافه فقيل أمرت غلامي وسألت الامير ودعوت الله وسألته ايضا جائز (٤٣) قال : « وسألوا الله من فضله » (٤٤) ، وانما سمي دعاء لانه يقال بالله أفعل واليه أدعى

باب ما يوجب الرفع

الفاعل رفع وما لم يسم فاعله رفع، والابتداء رفع وخبر الابتداء رفع اذا كان اسـما ، وخبر إنّ واخواتها رفع ، ويجمع ذلك كله ان يكون الاسـم مقرونا بحديثه فيوجب ذلك له الرفع .

والحروف التي ترفع ايضا حبذا ولولا(٤٥) ونعم وبئس ونعما وبئسما . كل شيء يقع بعد هذه الحروف رفع .

ومما يرفع وهو خبر ، الاسم اين ومتى وكم وما وكيف والظرف .

باب ما يوجب النصب

كل منصوب فهو مشبه بالمفعول به وهـو مدخل في حديث المرفوع . فالفعل اذا رفع الاسم نصب /٦ خمسة اشياء وهي : المفعول به والمصدر والوقت (٤٦) والظرف والحال .

فالمفعول نحو أخذ زيد مالا واعطى عمـرو خالدا ثوبا .

والمصدر نحو ضرب عبدالله زيداضرباً شديدا، وقام خالد قياما وجلس جلسة . المصدر ما كان الفعل مشتقا من لفظه .

والوقت نحو قامزيد يوما وسار عمرو شهرا.
والظرف نحو جلس عبدالله امامك وقـام مكانا واسعا .

والحال نحو خرج زيد راكبا وسار عمـرو متوجها ومضى الرجل ضاحكا .

وكل منصوب بالفعل (٤٧) يقع مقدما ومؤخرا قبل الفاعل وقبل الفعل كقولك اخذ المال زيـد والدار سكن عمرو .

وينتصب بغير الفعل التمييز وهو ان يكون الشيء يحتمل انواعا فتميزه بنوع منها فتجيىء به منصوبا كقولك عشرون درهما ، وعنده منوان ذهبا، وهو اكثر الناس مالا ، لان العشرين يحتمل انيكون من انواع كثيرة ، فاذا ميزت بنوع كان ذلـك منصوبا .

والاستثناء نصب وله حروف نذكرها .

والمتعجب منه منصوب وذلك قولك ما احسن زيدا وهو على هذا اللفظ ابدا .

والنداء المضاف نصب وكذلك النكرة المنعوتة منصوبة في النداء .

واسم ان واخواتها منصوب .

وخبر الظن واخواته منصوب ايضا

وما كان في موضع الفعل فهو منصوب ايضا كقولك زيد قياما وقعودا اي يقوم قيامـا ، [ويقعد قعودا] (٤٨) ، وضربا ضربا اي اضربضربا، وسقيا له يعني سقاه الله سقيا .

والنكرة تنصب(٤٩) بلا تنوين كقولك لا رجل في الـدار .

باب ما يوجب الخفض

الخفض بالاضافة وهو اضافة اسم الى اسم بمعنى اللام او من كقولك هذا غلام زيد اي غلام لزيد ، وهذا ثوب خز اي ثوب من خز ، وبختمها بالياء أن تقول غلامي وثوبي ، فاذا وضعت موضـع الياء اسما كان مخفوضا .

وللخفض حروف تحفظ ، بعضـها ظـروف وبعضها اسماء وبعضها حروف معان وذلك : من والى وعن وفي ومع(٥٠) والباء والكاف واللام وواو القسم فهذه حروف معان . والظـروف نحو ، على(٥١) ولدن ولدى وبين وسوى وخلف وقدامأمام

---

(٤٣) في الاصل « جايز » والصواب ما ذكرناه
(٤٤) سورة النساء ٣٢
(٤٥) ذهب الكوفيون الى الرفع بلولا لانهم كانوا يرون ان الاداة تعمل اذا كانت مختصة ولولا مختصة بالاسماء فينبغي اعمالها ... » مدرسة الكوفة ص٣٣٢
(٤٦) يطلق ابن كيسان الظرف على ما كان للمكان فقط لانه يسمي ظرف الزمان (الوقت)
(٤٧) في الاصل « فالفعل » والصواب ما ذكرناه
(٤٨) زيادة يقتضيها السياق
(٤٩) يقصد اسم لا النافية للجنس اذا كان مفردا ويستعمل مصطلح النصب للبناء لان « الرفع والنصب والجزم عند الكوفيين للمعرب والمبني ولحالات اواخر الكلمـات وغيرها » انظر مدرسة الكوفة ص٣٦٠
(٥٠) يعدها آخرون ظرف مكان او زمان .
(٥١) يعدها اخرون حرف جر

وفجأة وقبالة واذا وحذاء ووراء وتلقاء ووسْط ووسَط وفوق وتحت وأسفل وأعلى وقبلُ وبعدُ وبعدَ ونحو ودونَ . فهذه اسماء تسمى الظروف ، وبعضهم (٥٢) يسميها الصفات وهي منصوبة اذا كانت خبرا او متصلة بخبر (٥٣) لقولك زيد خلفك وامامك وقام زيد عندك وقدامك .

واما الاسماء التي تضاف فتعد في حروف الخفض وهي غير وكل واي ومثلُ ومَثَل وبدل وبعض وذو وذات وذوا وذواتا وذَوُو(٥٤) وذوات واولو وأولات وسنى وقُرْب وشِبه وشبيه ولدى وقَرْن وقِرْن وعِدْل وكلا وكلتا واجل واجْل وجَرّى وبيدَ بمعنى غير ومالم أكتبه فان قياسه ان يعتبره المتكلم بأن يضيفه الى نفسه فان كان له بزيادة ياء على آخره كان مما يخفض غيره كقولك هذه داري/٧ وهذه دار زيد ومثلي ومثل زيد وقعد عندي وقعد عند اخوتك وهذا صاحبي وصاحب العمرين ، يقاس على هذا الرفع والنصب والخفض في كل كلام ان شاء الله .

باب ما يتبع الاسماء فيكون معربا بمثل اعرابها تابعا لالفاظها

اعلم انه يتبع في اعرابه النعت (٥٥) والتوكيد والبدل والنسق (٥٦) .

[النعت]

فالنعت يكون على اربعة اوجه، يكون خلقة(٥٧) لازمة مثل الطويل والقصير والحسن والقبيح والاصفر والاحمر ، ويكون من فعل مشهور نحو العاقل والظريف والكريم والشريف والجاهل والغني ، ويكون نسبا نحو القرشي والعربي والاعجمي والنبطي ، ويكون حرفة وصناعة نحو الوزان والبزاز والعطار . فهذه النعوت تتبع بالالف واللام وتتبع النكرة بغير الف ولا لام نحو جاءني زيد العاقل ورأيت زيدا العاقل ، ومررت بزيد العاقل ، وجاءني رجل عاقل ورأيت رجلا عاقلا ومررت برجل عاقل. فاذا خالفت النكرة بعد المعرفة نصبته على الحال تقول جاء زيد عاقلا ومررت بزيد عاقلا ، ورأيت زيدا عاقلا .

نعت النكرة حال من المعرفة والحال في كل حال منصوبة ، وان قدمت نعت النكرة قبلها نصبته على الحال كقولك جاءني عاقلا رجل ، وان قدمت نعت المعرفة كان اسما ، وكان الاسم بدلا منه كقولك جاءني الظريف زيد .

[التوكيد]

وأما التوكيد فيكون بأربعة اشياء : النفس والعين وكل وأجمع ، تقول جاءني زيد نفسه وجاءني عمرو عينه ، وجاءني القوم كلهم وجاءني أصحابك اجمعون ، وتتبع أجمعين واكتعين أبصعون وأبتعون . وللنساء جمع وكُتع وبُصع وبُتع وفي التثنية جاءني المحمدان انفسهما وكلاهما وعينهما . وكلا في الاثنين بمنزلة كل في الجميع .

والتوكيد يتبع المعرفة ولا يتبع النكرة الا ان تكون متبعضة موقتة فتؤكد بكل واجمع نحو قمت يوما اجمع وأخذت مالا كله .

[البدل]

وأما البدل فهو اجراء الاسم على الاسم يتبع الثاني الاول ويكون على اربعة أوجه ، يكون الثاني هو الاول تقول جاءني زيد وكلمني عمرو أبو محمد(٥٨) الثاني بدل من الاول وهو هو . ويكون الثاني بعض الاول كقولك لقيني القوم بعضهم ورأيت اصحابك أكثرهم وجاءني الزيدون طائفة منهم وهو مصدر تبدله من اسم كقولك عجبت من زيد أمره وحديثه وعجبت من أصحابك مجيئهم وذهابهم .

ويكون البدل غلطا كقولك مررت بزيدٍ عمروٍ، تريد بل عمرو فعلى هذا يجري البدل ويكون بمنزلة التوكيد للاول كقولك رأيت القوم صغيرهم وكبيرهم وأسودهم وأحمرهم وأحسنهم .

[النسق]

وأما النسق فانه يعطف على ما قبله بخمسة احرف : الواو والفاء وثم وأو ولا كقولك جاءني زيد

---

(٥٢) هم الكوفيون اذ يسمون الظرف صفة سواء كان ظرفا زمانيا أم ظرفا مكانيا .

(٥٣) اي ان الظرف متعلق بمحذوف هو الخبر وهذا المحذوف اما ان يقدر بمفرد والتقدير « كائن » او بجملة والتقدير « استقر »

(٥٤) في الاصل « ذو » بواو واحدة

(٥٥) مصطلح كوفي وربما قال به بعض البصريين ويقابله عند البصريين الصفة والوصف . انظر الهوامع جـ٢ ص١١٦ ومدرسة الكوفة ص٣٥٩

(٥٦) عبارة كوفية يقابلها عند البصريين العطف بالحرف كالواو والفاء وثم وغيرهن .. انظر مدرسة الكوفة ص٣٦٠

(٥٧) اي صفة

(٥٨) في الاصل وابو محمد والصواب أبو محمد باسقاط الواو

وعمرو ، اردت اجتماعهما في المجيىء وجاءني زيد فعمرو واخبرت أن زيــدا تقــدم وان عمــرا كان في أثره ، وجاءني زيد ثم عمرو . وهو مثل الفاء الا أن بين مجيئهما مهلة ، وجاءني زيد لا عمــرو ، أوجبت للاول المجيىء ونفيت عن الثاني . فهكــذا هذه الحروف في كل الكلام .

الواو : توجب الاجتماع وليس فيها دليل على السابق .

والفاء : توجب بسبق الاول /٨ واتصال الثاني بــه .

وثم : كذلك وهي أشد تراخيا من الفاء

واو : شك او تخيير يوجب احد الشيئين .

ولا : نفي يخرج الثاني مما دخل فيه الاول وهي نسق في كل الكلام ويجري مجراها في بعض المواضــع .

ولكن : نسق في الجحد (٥٩) . وام نسق في الاستفهــام .

وحتى : بمنزلة الواو والفاء . وليس بمنزلة لا . واما بمنزلة او . وهذه الوجوه الاربعة النعت والتوكيد والبدل والنسق تتبع ما قبلها ان كان رفعا فهي رفع وان كان نصبا فهي نصب وان كــان خفضا فهي خفض .

باب معرفة الاسماء

الاسماء تنقسم قسمين معرفة ونكرة فالمعرفة منها خمسة اشياء وهي الاسماء الاعلام وما دخلته الالف واللام ، واسماء الاضمار واسماء الاشارة . وما اضيف الى احد هذه الاربعة (٦٠) فهو معرفة .

فالاعلام مثل زيد وعمرو وابي جعفر وزينب. وما دخلته الالف واللام نحو الرجل والغلام والثوب والدار .

واما اسماء (٦١) الاضــمار فهي حــروف المكني (٦٢) نحو انا وانت وهو وهي واياك واياي واياه واياهما .

واما اسماء الاشارة فهذا وهذه وذلك وتلك .

واما المضاف فغلام زيد ودار الرجل وثوبــه وثوبي ودار هذا . هذه المعارف .

والنكرات ما كان غيرها وهو الاسم الــذي يقع على امّة(٦٣) كلها فيه ســواء نحو دار وثــوب ورجــل وفــرس . وما كان نعتا للنكرة فهو نكرة .

[المنصرف وغير المنصرف من الاسماء]

فالاسماء تكون منصرفة وغــير منصــرفة ، ومبنية لا تعرب .

وما لا ينصرف لا يدخله التنوين وخفضــه كنصبه ، فمنه ما لا ينصرف في معرفة ولا نكــرة وذلك ما كان على أفعل وانثاه على فعلاء مما هو نعت ، نحو احمــر وحمــراء وأصفر وصفــراء ، وكذلك افعل من كذا نحو اطول منك وافضل من زيد واكرم من عمرو ، وكذلك كل نعت على فعلان انثاه على فَعلى نحو ســكران وســكرى وغضبان وغضبى . وكذلك كل واحد او جمع كان في آخره الف التأنيث مقصورة أو ممدودة نحو حمــراء وحُبلى وفقهاء وعلماء واولياء وأسرى وجرحى وجُمادى وحبارى . وكذلك كل جمع بعــد الفــه حرفان او ثلاثة أو حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودواب . هذه الاسماء لا تنصرف في معرفــة ولا نكرة .

واما ما ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة فكل اسم على بناء الفعل المستقبل نحــو يزيد وتغلب ونرجس ويشكر . وكل اسم كــانت فيه هاء التأنيث نحو طلحة وحمزة . وكل اسم كان مؤنثا نحو زينب وسعاد الا ان يكون على ثلاثة أحرف مسكن الوسط فانه يجوز صرفه نحو هند ودعد وجُمل(٦٤) ، وان شئت لم تصــرف شــيئا منه . وكذلك اسماء البلدان والبقاع اذا أردت بها التأنيث . وكذلك اسماء الاعاجم نحو ابراهيــم واسحق . وكل اسم كان في آخــره الف ونون

---

(٥٩) الجحد : مصطلح كوفي بمعنى النفي عند البصريين . جاء في مدرسة الكوفة ص٣٥٤ « وقد جاءت كلمة الجحد في كلام الفراء وثعلب كثيرا ولا أعلم انهما استعملا كلمة النفي »

(٦٠) لم يذكر الاسماء الموصولة ويظهر انه أدخلها في ما دخلته الالف واللام ، ولم يذكر المعرف بالنداء والذي يسمى النكرة المقصودة

(٦١) في الاصل « الاسماء » والصواب ما اثبتناه

(٦٢) يستعمل الكوفيون المكني بمعنى المضمر وهــو من الاسماء المترادفة عندهم « شرح المفصل جـ٣ ص٨٤ »

(٦٣) الامة يقصد بها الجنس

(٦٤) جُمْل اسم امراة . ولعله في الاصل جمع جمل لانها جمعت على جمال وأجمال وجمل . وقيل الجمــل السفينة « انظر القاموس المحيط مادة (جمل) »

زائدتان نحو عثمان وسفيان . وكل اسم عدل من فاعل الى فُعَل نحو عُمَر وزُهَر . وكل شيء عدل من العدد من واحد الى اربعة نحو مَوحد واحاد ومَثنى وثناء ومَثلث وثُلاث ومَربع ورُباع. وكل اسم كان في أوله همزة ووافق بناء الفعل المستقبل او بناء الامر نحو أفعَل وإفعَل وأُفعُل كقولك اربع واصبع واحمد وأيهم . هذا كله لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة تقول جاءني /٩ عُمَرُ ورايتُ عُمَرَ ومررت بعُمَرَ ، فاذا ادخلت فيه الالف واللام او اضفته صار جميع ما لا ينصرف منصرفا فقلت مررت بأحمركم يجرى مجرى المنصرف .

[المبنى من الاسماء]

واما ما بني ولا يُعرب فنحوكم ومَن واين وكيف وهؤلاء وحذام وحيثُ ومنذُ لا يتغير آخره لانه ليس بمتمكن .

واذا كان الاسم مرفوعا ثم كنيت عنه قلت زيد قام وقلت في الكناية هو قام وانا قمت وانت قمت وهي قامت . فان كان منصوبا قلت زيدا ضربت وفي الكناية اياه ضربت واياي أردت واياك طلبت واياها أخذت ، فاذا كان بعد الفعل قلت قام، اضمرت الاسم في نفسك . فاذا اردت نفسك قلت قمت . فاذا قلت ضربت زيدا قلت ضربته ، وانما يجيىء بهو اذا لم يقدر على الاضمار في الفعل وعلى الهاء كقولك ضربت زيدا واياه ، وجاءني زيد وهو ، وما قام الا هو ، ولا رايت الا اياه ، واين انت . فاذا قلت مررت بزيد قلت في الكناية مررت به . فاذا نسقت على المكنى قلت قمت أنا وزيد وقام هو وعمرو وقمت أنت ومحمد كثرت المكنى بما يكون منفصلا من الفعل ، هكذا الاختيار في المرفوع . وان شئت حذفته فقلت قام وزيد وقمت وعمرو . وفي المنصوب تقول رايتك وعمرا ورايته واياه ، لا تحتاج ان تكثره بشيء . وان شئت قلت(٦٥) رايتك اياك وزيدا . ولك ان تقول رايتك انت وزيدا . والوجه الا يكثر . واما المخفوض (٦٦) فتقول مررت به وبزيد فتعيد مع الاسم الثاني الخافض فان كان الاول في معنى نصب نصبت الثاني كقولك هذا ضاربه وزيدا وان

(٦٥) في الاصل « فقلت » والفاء زائدة على ما نرى

(٦٦) في الاصل (المخفوظ) بالظاء اخت الطاء .

كان في معنى رفع رفعت الثاني كقولك يعجبني ركوبه هو وزيد الفرس .

باب الابتداء بالاسماء

اذا ابتدات الاسم لتحدث عنه فلابد من ان تجيىء بعده بأحد اربعة اشياء : اسم أو ظرف او فعل او جملة فيها نكره (٦٧) .

فاذا كان بعده اسم فهما رفعان وذلك قولك: زيد اخوك ، واذا كان بعده فعل او ظرف او جملة فهو على ما قدمت لك لا يتغير وقد فسرت هذا الاسم المبتدأ وهو المحدث عنه ، وما بعده خبره وحديث عنه .

فالفعل والظرف والجملة لا تتغير في شيء من الكلام عن حالها بعد المبتدأ .

وقد يدخل على حروف الاسم فيغيره ويغير خبره اذا كان اسما . فمما يدخل فينصب المبتدأ ويرفع خبره اذا كان اسما إنّ وأنّ وليت ولعل وكأن ولكن ، تقول ان زيدا أخوك ، وان عمرا أبوك .

ومما يدخل على المبتدا فيرفع الاسم وينصب الخبر اذا كان اسما : كان وامسى واصبح وظل وبات ولم يزل وما زال وصار وليس وما دام وما برح وما فتىء وما يفتأ (٦٨) ، تقول كان عبدالله عالما ، يجري اسمها مجرى الفاعل وخبره مجرى المفعول به ، ويقدم كل واحد منهما على صاحبه .

ومما يدخل /١٠ على الاسم فينصبه وينصب خبره ظننت وحسبت وزعمت ورأيت وعلمت ووجدت ونبئت وانبئت وأُريت وأُعلمت وأُخبرت وحدثت ، تقول ظننت عبدالله عالما وحسبت أخاك فقيها .

ومما لا يغير ما بعده ويقع قبل المبتدأ انما وكانما ولعلما وبينا وبينما واذ واذا وهل وبل ومتى وأما وان (٦٩) ولكن اذا خففت هذه الحروف تدخل على الاسماء والاخبار .

[إن واخواتها]

فأما انّ واخواتها فان الاسم لا يفرق بينها

(٦٧) الذكر يعني « العائد »

(٦٨) وكذلك اضحى وما انفك

(٦٩) اذا خففت « ان » يجوز اعمالها وابطالها فاذا اعملت نصبت الاسم ورفعت الخبر واذا اهملت فانها تدخل على الاسم وعلى الفعل

وبينه بشيء الا بالظرف (٧٠) تقول ان زيدا قـام ويقوم وخلفك وابوه قائم ، فتجيىء بكل شيء بعـد الاسم على ما كان يكون عليه في الابتداء ، وزيد مرفوع تقول : ان خلفك زيدا اذا كان معه الظرف جاز ان يقع بينه وبين ان . فان ادخلت مع ان هاء فقلت انه ضارب ، الهاء منصوب ان ، وكان ما بعدها كالمبتدأ تقول انه زيد اخوك ، وانه قـام زيد وهذه الهاء كناية عن الحديث . وتؤنث مـع المؤنث ان شئت فقلت انها قامت هند ، وان شئت تركتها على التذكير : انه قامت هند .

[كـان واخواتهـا]

واما كان واخواتها فهن افعال تقول كان يكون وهو كائن مثل قام يقوم فهو قائم ، فترفع هـذا الاسم وتنصب خبره وتقدم احدهما على الآخر فتقول كان زيد عالما او عالما كان زيـد وكان عالمـا زيد .

فاذا كان الخبر فعلا او ظرفا او جملة تركته على حاله في الابتداء فقلت كان زيد يقوم وقام وابوه قائم لا يتغير منه شيء الا أن تقدم الى زيـد ما يصلح ان يكون خبرا له نحو قولك كـان زيد قائما أبوه .

[ظن واخواتها]

وأما ظننت واخواتها فهي افعال من المتكلـم يوقعها على الابتداء وخبره فتجيىء بالناصـبة مفعولين كقولك ظننت زيدا عالما . فان وسـطتها او اخرتها ضعف عملها فأبطلتها ان شئت وان شئت اعملتها على ضعف ، تقول زيد ظننت عالم اذا أبطلت ظننت وزيدا عالما اذا اعملتها ، والتأخير لضعف في الاعمال تقول زيد عالم ظننت . وان ادخلت فيهـا الهاء أبطلتها ايضا فقلت ظننته زيد عالم يجـري مجرى انه زيد عالم . وان أوقعت بعدها انّ كانت مفتوحة ونصبت ما بعد ان وبأنّ ورفعت الخبـر كقولك : ظننت ان زيدا عالم ، وان جئت باللام في خبر انّ لم يغير الكلام وكانت ان مكسورة ابـدا كقولك ان زيدا لعالم . يقاس على هذا .

[ما النافية]

ومما يدخل على الابتداء ما اذا كانت جحدا . تقول ما زيد عالم ، تميم ترفع الخبر ، وأهل الحجاز ينصبونه اذا كان الاسم مقدما والخبر مؤخرا .

(٧٠) لم يذكر الجار والمجرور وكأنه يعد ذلك ظرفا أيضا .

فاذا تأخر الاسم وتقدم الخبر أو وقع بعد الا رفع الاسم والخبر جميعا فقلت ما قائم زيد وما زيد الا قـائم .

[التعجب]

ومما يجرى مجرى الابتداء التعجب وذلك قولك ما أحسن زيدا ، ما اسم مبتدأ وأحسن خبر ما وزيد منصوب بالتعجب . وتقول ما كان أحسن زيدا فيدخل كان بين ما وبين أحسن(٧١) ولا يدخل من الافعال غيرها . وان جئت بها بعد فعل التعجب ادخلت ما فقلت : ما احسن ما كان زيد فترفـع زيدا . ويقع في هذا الموضع كل الافعال كقولك ما احسن ما فعل زيد ، وقـع التعجب على مـا الثانية (٧٢) وارتفع زيد بفعله .

[الاسـتفهام]

/١١ ومما يجري مجرى الابتداء وخبـره الاستفهام وله حروف : وهي : الف وهل ومن وأي ومتى وأين وكم وكيف وايان وأنى .

فالالف تدخل على كل الكلام (٧٣) ، وهـل تستعمل بها الاستفهام ولا يغيران ما بعدهما وعما كان عليه الكلام . تقول زيد أخوك فاذا استعملت قلت ازيد أخوك ؟ وهل زيد اخوك ؟ وكذلك أقام زيد ؟ وهل قام زيد ؟

أما الحروف الباقية فأسماء تبنى عليهـا الاسماء والاخبار وتكون هي معاني الاسماء والاخبار فمن سؤال عن الآدميين وما يفعل كقولك من زيد ؟ ومن قام ؟ وموضعها يكون رفعا ونصبا وخفضـا فيجيىء الجواب على ذلك كقولك من قام فتقول زيد ويقول من رأيت ؟ فتقول زيدا . وتقول بمن مررت ؟ فيقول بعمرو ، ويرد عليها بالاستفهـام بالالف وبأم كقولك من قام أزيد أم عمرو ؟ ومن رأيت أزيدا أم عمرا ؟

وأي بمنزلتها وهي بعض ما يضاف اليه

وما سؤال عن كل شيء وكذلك أي .

ومتى وقت كقولك متى قام ؟ فيقول يـوم الجمعـة .

(٧١) وتكون « كان » زائدة

(٧٢) في الاصل « التثنية »

(٧٣) اي ان همزة الاستفهام حرف غير مختص فيدخل على الاسماء والافعال

وأين ظرف كقولك أين قام ؟ فيقول خلفك وموضع كذا .

وكم سؤال عن العدد تقول كم انفقت ؟ فيقول عشرين . وتقول كم عطاؤك فيقول الفان .

وكيف سؤال عن الحال كقولك كيف زيد ؟ فيقول صالح . فان قلت : كيف كان زيد ؟ قال صالحا ، يريد كان زيد صالحا ، فالجواب على الموضع الذي وضع السائل كلامه فيه .

وأيان بمنزلة متى . وأي بمنزلة كيف وأين .

وقد تقع حروف الاستفهام في الخبر وذلك اذا اجتلبها النظر والسؤال والعلم والتسوية ، كقولك لانظرن أيهم قام ومن قام ، ومن قعد وهل قام ولأسألن ولأعلمن وسواء علي من قام ومن قعد وسواء علي أقمت ام قعدت . هذه الافعال (٧٤) كيف تصرفت وما كان في معناها يقع بعدها حروف الاستفهام ولا يعمل في الاستفهام شيء قبله وانما يجيء كالمستأنف الذي ليس قبله شيء .

وقد يحكى ببعض حروف الاستفهام كلام المتكلم وذلك اذا انكر عليه ما قال كقولك ضربت زيدا فيقول : ازيدا ؟ . وجاءني زيد فتقدل ازيد ؟ وتقول مررت بزيدٍ ، فيقول أزيدٍ ؟. وربما زادوا في آخره حرفا للمد فأتبعوا المفتوح الفا ، والمكسور ياء والمضموم واوا وكسروا الساكن فأتبعوه ياء فيقولون ، اذا قال رايت الرجل الرجلاه ؟ وجاءني الرجل الرجلوه ؟ واذا قال مررت بالرجل فيقول الرجليه ؟ . واذا قال رايت زيدا قالوا أزيدنيه ؟ لان التنوين ساكن فيكسر ويتبع الياء ويدخل للوقف الهاء وربما اقروا الشيء على هيئته ، وقالوا بعده انيه . واذا قلت رايت رجلا قالوا منا ؟ واذا قال مر رجل قالوا منو ؟(٧٥) واذا قال مررت برجل قالوا مني ؟ واذا وصلوه بشيء قالوا من يا فتى في كله . يقول وتقول في الاثنين منان وفي الجميع منون في الرفع ومنين في الخفض والنصب ، وللمرأة منه ومنت بتسكين النون ، فاذا ثنوا اسكنوا النون لا غير فقالوا منتان ومنان .

وان قال أي اجراها بالاعراب على حسب ما يتكلم المتكلم بالاسم ان رفعا فرفع وان نصبا فنصب وان خفضا فخفض ، وتثنى وتجمع اذا كانت حكاية وتوحد أي في كل موضع من الكلام سوى هذا الموضع . وان ثنيت وجمعت وانثت جاز ذلك كقولك رايت رجلا فيقول أيا ؟ ورايت رجلين فيقول ايَّيَن ؟ وايِّين في الجمع . وتقول جاءني رجل فيقول اي وايان وايّون وباي يحكي الناس وغير الناس .

واذا قال رايت زيدا قال من زيدا ؟ وان قال جاءني زيد قال من زيد ؟ وان قال /١٢ مررت بزيد قال من زيد ؟ وكذلك الكنى من ابو جعفر ؟ ومن ابا جعفر ؟ ومن ابي جعفر ؟

فاذا كان غير ذلك من الاسماء والنعوت والتثنية والجمع لم يكن فيها الا الرفع : من الزيدان ومن العمران ومن صاحبك وان شئت رفعت الكنى ، والاسماء ايضا وكذلك ان قدم الواو قبل من كقوله ومن زيد ، الاسم في كل حال رفع لا غير .

باب ما لم يسم فاعله

اذا لم يذكر الفاعل رفع المفعول ونصب ما سوى ذلك لان الفعل لابد له من أن يكون معه اسم مرفوع او ما يقوم مقامه وذلك قولك ضُربَ زيد ضربا شديدا ، وأُكرم عمرو وأُسكن زيد الدار يافتى ، وأُعطي أخوك درهما. الدرهم والدارنصب لوقوع الفعل ، وزيد رفع لانه لم يُسم فاعله ، ولا يرفع شيء بالفعل سوى المفعول به الا ان لا يكون في الكلام مفعول فيرفع المصدر او الوقت(٧٦) او المكان ولا يجوز رفع الحال وذلك قولك ضُرِبَ عبدالله ضربا ، لا يجوز رفع الضرب ، فان قلت قيم قيام حَسَنٌ وجُلِسَ في الدار جلوس كثير جاز ذلك ، وكذلك اختلف اليه شهران ، وسير عليه يومان ومشي اليه ميلان (٧٧) تنظر الى أحد ما يجيء من الفعل فترفعه وتنصب ما سواه .

باب معرفة الافعال وتصرفها

الفعل يتصرف فيكون منه الماضي والمستقبل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وله أمثلة كثيرة مبلغها تسعة عشر بناء :

(٧٤) يقصد الافعال التي تضمنت معنى السؤال والعلم والنظر

(٧٥) في الاصل « او » والصواب ما أبتناه

(٧٦) ظرف الزمان

(٧٧) لا يكون المصدر والظرف نائبي فاعل للفعل اللازم الا اذا كانا متصرفين ومختصين . والمتصرف من المصدر ما يفارق النصب على المصدرية كفتح ونصر . والمتصرف من الظرف ما يفارق النصب على الظرفية او الجر بمن كيوم وجهة والمختص من الظرف ما خصص بنوع من انواع المخصصات كالاضافة والوصفية مثلا . والمختص من المصدر ما ليس لمجرد التأكيد كأن يكون مثلا لبيان النوع او العدد .

يكون على فَعُلَ يفعل مثل كرُم يكرُم كرْما وهو كريم وهذا فعلٌ لا ينصب مفعولا فهو للفاعل في نفســه .

ويكون فَعِل يفعَل نحو علِمَ يَعلمُ علمـا وهو عالم والمفعول معلوم وربما جاءت اسماؤه على فعِل وأفعل وفعلان نحو حذِر وعطشان وأعمى ، الفعل منه حذِرَ وعطِش وعمِيَ . وفاعِلٌ فيها كلها جائز (٧٨) اذا بنيته على الفعل يكون ناصبا وغير ناصبٍ . ومستقبله مفتوح ابدا وماضيه مكسور .

ويكون على فَعَل يفعِل ويفعُل نحو ضرب يضرب ضربا وهو ضارب والمفعول مضروب وكذلك يقتل قتلا وهو قاتل والمفعول مقتول وهذا مستقبله يكون على وجهين بالضم والكسر جميعا(٧٩) وربمـا فتح اذا كانت فيه حروف الحلق وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك ان تقع في موضع اللام(٨٠) أو العين من فعل فيفتح في الاستقبال(٨١) .

ومصادر هذه الابنية الثلاثة مختلفة انما تدرك بالسماع فأما ما سواها فهو على القياس (٨٢) . فاذا لم تعرف السماع فيها بنيت على فَعْل وعلى فُعُول فَفَعَل [لما](٨٣) كان متعديا الى المفعول نحو قتـله قتلا وضربه ضربا وسجنه سجنا . وفُعول لما كان غير متعد نحو جلس جلوسا [وقعد] (٨٤) وقعودا

ويكون الفعلُ على فَعْلَلَ يفعلِلُ نحو دحرج يدحرج دحرجةودحراجا ، وهومدحرِج ، والمفعول مدحرَج وكذلك اسم الموضع والزمان والمصدر(٨٥) كله مثل المفعول(٨٦) مدحرج .

ويكون على /١٣ افعل يفعل نحو أكرم يكرم اكراما وهو مكرِم والمفعول مُكرَم . واسم المفعول في كل شيء يجيء من هذه الافعال المجاوزة للثلاثة احرف يكون للزمان والمكان والمصدر والوقت(٨٧) .

ويكون على فعّل يفعّل نحو كسَّـر يكسِّـر تكسيرا وهو مُكسِّر [واسم المفعول مُكَسَّر](٨٨) .

ويكون على فاعَلَ يفاعِلُ على مثال قاتَل يُقاتِل مقاتَلة وقتـالا وهو مقاتِل والمفعـول(٨٩) مقاتَل .

اذا جاوزتالافعال ثلاثة أحرف لم يكن بـين اسماء الفاعلين والمفعولين الا كسر الفاعـل وفتح ذلك الحرف من المفعول (٩٠) .

ويكون على تفعَّل يتفعَّل نحو تكلّم يتكلّم وهو متكلِّم والمفعول متكلَّم فيه والمصدر التكلّم .

ويكون على تفاعل يتفاعل نحو تغافل يتغافل تغافلا وهو متغافل والمفعول متغافَل عنه والمصدر التغافـل .

ويكون على تفعلل يتفعـلل نحـو تدحـرج يتدحرج تدحرجا وهو متـدحرِج ومُتَدَحرَجٌ عليـــه .

ويكون على افتعل يفتعل نحو احتقر يحتقر احتقارا وهو محتقِر والمكان محتقَرٌ .

ويكون على انفعل ينفعِل نحو انطلقَ ينطلِقُ انطلاقا وهو منطلِق ومكانٌ منطلَق فيه .

ويكون على افعلّل ثم يدغم فيه(٩١) نحو احمرَّ احمرارا وهو محمرٌ ومكان محمرٌ فيه يسـتوي فاعله ومفعوله لمكان الادغام .

ويكون على استفعل نحو استخرج يستخرج استخراجا وهو مستخرِج والمالُ مستخرَجٌ .

---

(٧٨) في الاصل « جايز » والصواب ما أثبتناه

(٧٩) قال ابو زيد الانصاري « اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي ياتي ماضيها على فعل فانت في المستقبل بالخيار ان شئت قلت يفعل بضم العين وان شئت قلت يفعِل بكسرها » مقدمة القاموس المحيط جـ١ ص٤

وانظر ما يماثل هذا القول في المصباح المنير ــ الخاتمة جـ٢ ص١٠٦٤ والمزهر جـ١ ص٢٠٧ـ٢٠٨ وجـ٢ ص٣٩

(٨٠) في الاصل « الكلام » والصحيح ما ذكرناه

(٨١) لم يذكر المؤلف البناء السادس « فعل يفعل » بكسر العين في الماضي والمضارع وكأنه يرى ان هذا البناء ليس بنـاء أصليا وانما هو من تداخل اللغات كما يرى بعضهم . الا ما جاء من هذا الباب وكان مثالا واويا ، انظر كتاب سيبويه جـ ٢ ص ٢٢٧ ، وأدب الـكاتب ص ٣٧٢ ، والمزهر جـ ١ ص ٤٠٥ والاضداد لابن الانباري ص ١٠ ، ولسان العرب م ٦ ص ٢١ ، ص ١٥٩ ، والمفصل لابن يعيش جـ٧ ص١٥٢ في الافعال ، نعم وحسب ويئس وبئس ونحت وعرش وقنط حيث جاء مضارعها بكسر العين كذلك وعد ذلك من التداخل

(٨٢) يقصد مصادر الابنية الرباعية والخماسية والسداسية

(٨٣) زيادة يقتضيها السياق

(٨٤) زيادة يقتضيها السياق

(٨٥) يقصد المصدر الميمي

(٨٦) في الاصل المفعول به

(٨٧) ذكر اسم الزمان فما المقصود بالوقت اذن

(٨٨) زيادة يقتضيها السياق .

(٨٩) في الاصل المفعول به ولفظة به زائدة

(٩٠) في الاصل المفعول به ولفظة به زائدة .

(٩١) فيكون وزنه بعد الادغام افعلّ .

ويكون على افعوعَل يفعوعِل نحو اغدودَن يغدودِن اغديدَانا وهو مغدودِن ومكان مغدودَن فيه .

ويكون على افعوّل يفعوّل نحو اخروّط يخروّط اخرواطاً وهو مخروّط ومكان مُخرَوَّط فيه .

ويكون على افعالّلَ ويدغم(٩٢) نحو اشهابَّ يشهابُّ يافتى اشهيبابا وهو مشهابٌّ فيه يستويان للادغام . يبطل الحرف الذي يُكسَر ويفتح فلا يقع به الفصل(٩٣) .

ويكون على افعنلل يفعنلل نحو احرنجم يحرنجمُ احرنجاما وهو محرنجم ومكان مُحرنجَم فيه .

ويكون على افعلَلَل يفعَلِل ويلحقه الادغام(٩٤) نحو اسجَهرَّ(٩٥) يَسجهرُّ وهو مُسْجَهِرٌّ ومكان مُسْجَهَرٌّ فيه .

فهذه أبنية الافعال ماضيها ومستقبلها ومصادرها واسماؤها . فالماضي مفتوح ابدا والمستقبل رفع ابدا الا ان تدخل عليه حروف النصب فتنصبه او حروف الجزم فتجزمه . واسماؤها ومصادرها ترفع وتنصب وتخفض على قدر ما يستحق من الاعراب .

باب الامر والنهي

اذا أمرت فالامر بالفعل، يكون مجزوما(٩٦) وهو مبني على الاستقبال . اذا كانت الياء في المستقبل مفتوحة وبعدها حرف ساكن ثم أمرت من ذلك الفعل كان بالالف وكانت الالف ألف وصل يكون في ابتدائك في الفعل وتذهب اذا تقدمها شيء من الفعل في اللفظ (٩٧) .

وتكون مكسورة ابدا الا ان تجيىء بعدها ضمة في الحرف الثالث من الفعل . ولا يكون الا والذي بعدها ساكن وذلك قولك اذهب ، اضرب /١٤ بكسر الالف وهو من يذهب ويضرب ، الذال والضاد ساكنان . وتقول اُدْخل فتضم الالف من أدخل لانه من يدخل ، الثالث مضموم وهو الخاء فيقاس على هذا .

واذا كانت الياء في المستقبل مضمومة والفعل في الماضي على أربعة احرف اوّلها الف فالالف في الامر مفتوحة ويثبّتُ في الوصل همزة منقطعة فيما قبلها فتسمى الف القطع وذلك قولك أكرم ، اتقن ، لانك تقول يُكرم فتضم الياء ، والماضي اكرم ففي اوله الف وهو على أربعة أحرف وتثنى وتجمع في الافعال الأُوَلِ فتقول اضربا ، اضربوا وللمرأة اضربي ، اضربا ، اضربن ، ولا تزاد فيه نون الا في فعل جمع المؤنث .

واذا أمرت غائبا كان باللام كقولك ليقمْ زيد ولينصرفْ عمرو وليضربا وليضربوا وليقوما وليقوموا وليضربنَ وليقمنَ ، نون المؤنث لا تسقط وسقطت نون الاثنين والجمع لانها انما تكون في الرفع وتحذف في الجزم والنصب واذا تحرك(٩٨) ما بعد الياء في الاستقبال لم تدخل في اوّله الالف في الامر وذلك قولك عُدْ وقلْ ودحرجْ لانك تقول يعود ويدحرجُ فما بعد الياء متحرك فيبتدأ به الامر ولا يحتاج الى الف الوصل يقاس على هذا كل شيء واذا نهيت كان النهي بلا كالامر .

باب معرفة الالف التي تذهب في وصل الكلام ويكون في الابتداء

قال كيسان : الف الوصل يكون في ثمانية اسماء وهي فيها مكسورة فاذا تُكُلِّمَ قبلها بشيء واتصلت به سقطت [من] (٩٩) اللفظ ، فاذا

---

(٩٢) فيكون وزنه بعد الادغام « افعالّ » .

(٩٣) اي تتشابه صورتا اسم الفاعل واسم المفعول فلا يظهر كسرها قبل الاخر في اسم الفاعل ولا فتح ما قبل الاخر في اسم المفعول بسبب الادغام . ويتضح ذلك اذا فك ادغام

(٩٤) ويكون وزنه بعد الادغام افعلل يفعلل بتشديد اللام .

(٩٥) تأتي اسجهر للمعاني التالية : اسجهر الال : ابيض ، واسجهر النبات والليل والبناء طال . واسجهر : توقد حسنا بألوان الزهر . واسجهرت الرماح : وسحابة مسجهرة : اذا كان يترقرق فيها الماء . واسجهرت النار : اتقدت والتهبت . (انظر تاج العروس مادة سجهر)

(٩٦) يرى الكوفيون ان فعل الامر مجزوم وهو معرب عندهم بخلاف البصريين الذين يرون انه مبني وبناؤه على السكون اصلا

(٩٧) يريد ان يقول ان فعل الامر مأخوذ من المضارع فاذا كان حرف المضارعة مفتوحا وبعده حرف ساكن جعلنا فعل الامر مسبوقا بهمزة وصل وهذه الهمزة تلفظ في ابتداء الكلام وتعدم في درج الكلام

(٩٨) في الاصل « تحركت » ولا معنى لوجود التاء

(٩٩) زيادة يقتضيها السياق .

ابتدأت (١٠٠) فهي بألف مكسورة وتلك الاسماء ابن وابنة واثنان واثنتان وامرؤ (١٠١) وامرأة واسم واست ، واذا صغرت ذهبت منها الالف كقولك بُنيّ وبُنيّة وثنتان وثنيتان ومُريٌّ ومريئة وسُتيّ وستيهة وتكون في تسعة افعال ماضية وفي الامر منها ، وفي مصادرها ، وهي ايضا فيها مكسورة الا ان تترك الفاعل(١٠٢) فتضم اول الفعل، وتلك الافعال افتعل وانفعل وافعلّ(١٠٣) واستفعل وافعوعل وافعوّل وافعنلل وافعللّ (١٠٤) وافعالّ (١٠٥) وقد ذكرتها في ابنية الافعال .

وقد يخرج اليها تفعّل وتفاعل اذا وجب أن تدغم فاؤه فيما بعده نحو قوله عز وجل « اطيّرنا بك وبمن معك » (١٠٦) الاصل تطيّرنا بك فلما ادغمت التاء في الطاء وجب اسكانها فادخلت الف الوصل فأشبهت الف افتعل فقلت اطيّر وإذا امرت قلت اطيّر وتقول في المصدر اطيّرا ، ومثله«ادارك علمهم»(١٠٧) « واذا اداركوا فيها»(١٠٨) الاصل تداركوا فادغمت التاء في الدال . والالف التي تدخل للتعريف الفها الف وصل ، تكون في الابتداء وتسقط في الوصل نحو قولك الرجل والغلام وهي مفتوحة .

باب تصرف الاعراب في مسائل(١٠٩) الابتداء

تقول عمرو اخوك فاذا ادخلت انّ قلت : ان عمرا اخوك فان جعلت بينهما كان ، قلت ان عمرا كان أخاك نصبت عمرا بان وتضمره في كان وتجعل الاخ خبر كان .

وان جعلت الظن بينهما لم يتغير الكلام فقلت ان عمرا اظن اخوك . الظن يكون لغوا (١١٠) اذا توسط فان اضمرت معه عمرا /١٥ نصبت الاخ فقلت ان عمرا اظنه اخاك ، عمل الظن في الهاء وفي الاخ وكذلك أخوات هذه الحروف وقد ذكرناها .

(١٠٠) في الاصل « ابتديت » بالياء
(١٠١) في الاصل وامرىء
(١٠٢) اي بعد بناء الفعل للمفعول
(١٠٣) في الاصل « افعلل» من دون ادغام
(١٠٤) في الاصل « افعللل » من دون ادغام
(١٠٥) في الاصل « افعالل » من دون ادغام
(١٠٦) سورة النحل آية ٤٧
(١٠٧) سورة النمل آية ٦٦
(١٠٨) سورة الاعراف آية ٣٨
(١٠٩) في الاصل « مسايل » والصواب ما اثبتناه
(١١٠) « لغوا » بمعنى « حشوا »

وتقول زيدا ضربتُ تنصب زيدا لانه مفعول به فان اعدت عليه الهاءفرفعته فقلت زيد ضربته رفعت زيدا بالابتداء ، لانك شغلت الفعل عنه بالهاء وموضع الهاء نصبٌ ، وكل مفعول عاد عليه ذكره رفعٌ ، فان قدمت قبله شيئا يحسن الفعل بعده نصبته ، وان شئت رفعته كقولك ان زيدا ضربته، هل زيدا ضربته ، الا زيدا ضربته ، تريد أضربت زيدا فتضمر الفعل قبل زيد . وتقول زيدا مررت به وازيدا ضربت اياه اذا أوقعت الفعل على شيء تعلق به او بشيء من سببه جاز ان يضمر قبله ما ينصبه .

وتقول عبدالله قائما أحسن منه قاعدا تنصب قائما وقاعدا على الحال وعبدالله ابتداء واحسن خبره . وتقول عبدالله قياما وقعودا ترفع عبدالله بالابتداء وتنصب قياما وقعودا تريد يقوم قياما ويقعد قعودا . وان شئت رفعتهما تريد عبدالله ذو قيام وذو قعود فتحذف ذو وترفع القيام والقعود له وتقول ما احسن ما يكون عبدالله جالسا تنصب جالسا على الحال .

باب معرفة اجزاء النعوت على الاسماء

قال كيسان النكرة يتبعها نعتها الذي يحسن ان يكون للمعرفة بالالف واللام تقول مررت برجل عاقل فتخفض عاقلا باتباعه الرجل وهو هو .

وتقول في المعرفة مررت بزيد العاقل فيكون بالالف واللام فان لم يجيء بالالف واللام في النعت مع المعرفة نصبته على الحال ويكون نعت النكرة والمعرفة ما كان فعلا لغيرهما اذا عاد بذكرهما كقولك مررت برجل عاقل ابوه(١١١) . ومررت بزيد العاقل اخوه ، العاقل نعت لزيد وكذلك عاقل نعت للرجل وهو فعل للاب وقد عاد الذكر وهو الهاء التي في الاب .

يقاس على هاتين كل شيء من النعوت ، فاذا كان بعد النكرة ظرف أو فعل او جملة فيها ذكر النكرة فما بعدها نعتها ولا يتبعها في اللفظ لانه شيء سواها ولا يكون ذلك نعتا للمعرفة الا ان تجعل قبله الذي فيكون الذي نعتها ويكون الظرف والفعل والجملة صلة الذي ، وذلك مررت برجل قام ، ويدخل ويقوم وبرجل في الدار وبرجل ابوه قائم فاذا جعلت زيدا مكان رجل قلت مررت بزيد الذي قام والذي يقوم في الدار والذي ابوه قائم ، فالذي

(١١١) يقصد النعت السببي : وهو ما كان نعتا في اللفظ لما قبله ونعتا في المعنى لما بعده

لا يتم اسما الا بصلة وصلته ابدا تكون احد ثلاثة اشياء : يكون فعلا وظرفا او جملة ويكون في صلته ذكره(١١٢) ابدا .

باب الاسماء التي توصل

وهي الذي ومن وأي فالذي لا يكون اسما الا بصلة وهو موصل بأحد ثلاثة اشياء : الافعال والظروف والجمل ، ولابد في صلته من ذكره فاذا وصل فهو بمنزلة اسم يحتاج الى مايعربه/١٦ من رافع او ناصب او خافض تقول جاءني الذي قام واللذان قاما والذين قاموا فاذا كان الفعل : جاءني الذي كلمت واللذان كلمت [والذين كلمت] (١١٣) تريد كلمته وكلمتهما وكلمتهم وكل شيء يعمل فيه الفعل الذي في الصلة فهو من تمام الذي داخل في صلته . وكذلك من وما وأي اذا كُنَّ في الخبر ويكنَّ استفهاما وجزاء فلا يوصلن .

ومما يجرى مجرى الموصول ما كان فيه الالف واللام من الاسماء (١١٤) المبنية على الافعال (١١٥) نحو قولك القائم زيد تريد الذي يقوم زيد . فما عمل فيه الفعل فهو صلته ونحو قولك الضارب زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا عمرو فكله من تمام الضارب الى عمرو وعمرو الضارب .

ومما يجري مجرى الموصول المصادر توصل بالفاعل والمفعول وجميع ما عمل فيه الفعل الذي يسبق منها فيكون ذلك تماما لها كقولك ضربعمرو" زيدا يوم الجمعة ضربا شديدا اعجبني . فكل الكلام الى اعجبني صلة للضرب ، واعجبني الخبر ، وما كان صلة شيء فلا يفرق بينه وبينه .

ومما يجري مجرى الموصول جميعا ما كان في نعت النكرة فتصيّر النكرة بمنزلة ما وصل اذا قال جاءني رجلٌ يضربُ زيدا في الدار ، فما بعد رجل نعته ، ونعته كالصلة له .

واما أن فانها توصل بالفعل فتكون هي والفعل بمنزلة المصدر تقول اعجبني ان قُمتَ ويعجبني أن تقوم بمنزلة يعجبني قيامك ، فتوقع عليها ما توقع على الاسماء . والفعل صلتها وهي تنصبه ، وما عمل فيه من شيء فهو داخل في صلتها ، وما يشتق على صلة أو كان متعلقا بها فهو في الصلة داخل فيها وهو من تمامها .

باب ما يعرض في الاسماء

[جمع التكسير]

فمنها الجمع وللجمع امثلة يراد بها قليل الجمع وهي : افعُل وافعال وافعلة وفِعْلة .

فأفعلُ لما كان على فَعْل نحو كلب واكلب وفَلْس وافلس وما كان على غير ذلك فعلى افعال نحو جَبَل واجبال وقُفْل واقفال وجذع وأجذاع. وما كان على أربعة أحرف وثالثه واو أو ياء أو الف فهو على أفعِلة نحو قفيز(١١٦) واقفزة وغراب واغربة وعمود واعمدة وغلام واغلمة وصبي واصبية هذا يراد به ما بين الثلاثة الى العشرة وربما كان اكثر من ذلك (١١٧) .

ومن اسماء الجمع نحو فُعُول وفِعال وفِعلان وفُعلان نحو فؤوس(١١٨) وكِلاب وغربان وقضبان فهذا للكثير .

وللجمع اسماء كثيرة كاسماء الواحدة. والبناء الذي هو غاية الجمع (١١٩) ان تقع الالف متوسطة الحرف فيكون بعدها حرفان او ثلاثة او حرف مشدد نحو دراهم ودنانير ودَوَابّ . وما كان من الاسماء المعارف والنعوت (١٢٠) جاز أن يجمع على هذه الوجوه وهذا الجمع يسمى جَمع التكسير وهو ما غُيِّر بناء واحده عن بنائه/١٧ .

وجُعِلَ للجمع بناء آخر ويكون ان يجمع بالواو والنون للمذكر والالف والتاء للمؤنث على واحده ، لا يغيّر اسم الواحد نحو الزيدون والزيدين والهندات والعمرات والصالحون والصالحات .

[التصغير]

ومما يعرض في الاسماء التصغير وهو على وزن فُعَيل وفُعَيعِل وا'فَيعَال وفُعَيلاء وفُعَيلان .

---

(١١٢) يطلق الذكر على العائد

(١١٣) زيادة يقتضيها السياق لدلالة ما بعدها عليها

(١١٤) في الاصل « من اسماء »

(١١٥) يريد الوصف الذي يعمل عمل الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول

(١١٦) القفيز : مكيال

(١١٧) وما جمع على فعلة صبية جمع صبي وغلمة جمع غلام

(١١٨) في الاصل « فأوس » والصواب ما كتبناه

(١١٩) يقصد صيغتي منتهى الجموع على وزن مفاعل ومفاعيل

(١٢٠) في الاصل « والمنعوت » والصواب ما ذكرناه

فأمّا فُعَيل ـ بِضَمّ أوّله وفتح ثانيــة وزيادة ياء التصغير فيه ، وكذلك أوّل كل مُصَغّرـ فما كان على ثلاثة احرف فتصغيره على فُعيل نحـو عُمير وبُكَير وصُفَير وفلَيس . واذا كان مؤنثا كان بالهاء نحو فُعيلة وعُيينة واذينة .

وما كان على اربعة أحرف كان على فعيعِل نحو جعيفر وجنيدل تصغير جعفر وجندل .

وما كان على خمسة أحرف رابعه ياء أو واو أو الف كان على فُعيعيل نحو دينار ودنينير وقنديل وقنيديل وعُصفور وعُصيفير .

وما كان على خمسة أحرف أو اكثر حذف منه حتى يبقى منه اربعة أحرف ثم يصغر على فعيعِل وان شئت على فُعيعيل نحو سفرجل تحذف اللام فتقول سفيرج وان شئت سفيريج وكذلك شمردل شميرد وشميريد .

واذا كان(١٢١) فيه حرف من حروف الزوائد جعلت الحذف لذلك الحرف نحو حبنطا ، النون والالف فيه زائدتان تقول حُبيط اذا حــذفت الالف ورايت حبيطا(١٢٢) اذا حذفت النون .

وافيعال تصغير الجمع(١٢٣) الذي على افعال نحو احمال واحيمال واعدال واعيدال .

وفُعيلاء وفُعيلان تصغير ما كان في آخـره مدّة للتأنيث أو الف ونون زائدتان نحو حميــراء وعطيشان تصغير حمراء وعطشان ، وكذلك تصــغير ما جاوز ذلك مما في آخره الف ونون أو الفممدودة للتأنيث نحو تصغير زعفران زعيفران وخنفســاء خُنيفساء .

وما كان فيه الف مقصورة للتأنيث كان على فُعيلى نحو عَطشى وعطيشى . فان جــاوز هــذا حذفت الالف .

[النســبة]

ومما (١٢٤) يعرض (١٢٥) في الاسماء النســبة اليها ، والنسبة تكون بياء (١٢٦) مشددة تقرّ الاسم على بنائه وتزيد على آخره (١٢٧) ياء مشددة كقولك عمرو . فاذا نسبت اليه قلت عمرى والى بكر بكري والى جعفر جعفري ، فان كان على فَعيل أو فَعيلة او فُعَيل او فُعَيلة نحو ثقيف وربيعة وقريش وجُهينه جاز أن تحذف الياء وان شئت أثبتّهــا كقولك قُرشي وقُريشي وثَقفي وثَقيفي ونختــار حذف ياء فعيلة واثبات ياء المذكر وهما جائزان ، الاثبات والحذف .

وقد غيروا اسماء (١٢٨) في النسب لا يقاس عليها قالوا دُهري وسُهلي في الدهر والسهل .

وان نسبت الى مضاف نسبت الى الاشهر من الاسمين ان شئت نسبت الى الاول /١٨ وان شئت الى الثاني كقولك عبدي في عبد القيس وبكري في بني بكر (١٢٩) . وان نسبت الى ما فيه الــف مقصورة ثالثة جعلتها واوا كقولك في رحى رحوي وفي قنى قنوي ، وان كانت رابعة جعلتها واوا وان شئت حذفتها كقولك حبلى حبلوي ومغزى مغزوي وان شئت قلت حبلي ومغزي ، واثبات الواو في مغزى أحسن من حذفها لانها من الاصل وحذف التي للتأنيث احسن ويجوز فيما كان للتأنيث أن يزاد عليه فيقال حبلاوي ، فاذا كانت خامسة حذفت البتة ، وان نسبت الى ما كان على حرفين جــاز ، وان شئت رددته الى ثلاثة أحرف كقولك دميّ وان شئت دمويّ وفي شفه شفي وان شئت شفهي .

بــاب الاســتثناء

الحروف التي يستثنى بها عشرة : الا وغير وسوى وما خلا وما عــدا وليس ولا يكون وحاشى وخلا وعدا .

فأما إلا فتنصب ما بعدها اذا كان الذي قبلها كلاما تاما لقولك : قام القوم الا زيدا ، نصبت زيدا على الاستثناء وكذلك رايت القوم الا زيدا ومررت بالقوم الا زيدا . واذا كان قبلها جحدٌ رُدّ الى ما قبلها نحو قولك ما قام الا زيدٌ ترفع زيدا بالفعل ، وما رايتُ احدا الا زيدا وما مررت بأحدٍ الا بزيدٍ وان شئت نصبت في هذا لان الذي قبلها يتم .

وغير تخفض ما بعدها ويكون اعرابها مثل اعراب ما بعد الا وكذلك سوى وخلا وما عدا وليس

(١٢١) في الاصل « كانت » ولا معنى لوجود التاء
(١٢٢) في الاصل « حبيطيا » والياء الثانية زائدة
(١٢٣) يستعمل لفظ الجميع كثيرا بدل الجمع
(١٢٤) فيالاصل « وربما » والصواب ما ذكرنا لدلالة ما قبله عليه اذ سبق ان قال ومما يعرض في الاسماء التصغير .
(١٢٥) في الاصل « تعرض » بالتاء المثناة والراء المشددة
(١٢٦) في الاصل (بناؤه) والصواب بياء كما ذكرنا

(١٢٧) في الاصل على « ألفه » ولا معنى لها .
(١٢٨) في الاصل « غيره اسما » والصواب ما اثبتناه
(١٢٩) في الاصل « بني أبي بكر »

ولا يكون وعدا ينصبن ما بعدهن ابدا وحاشى وخلا يخفضان ما بعدهما ويجوز النصب بهما .

باب النصب بالاغـراء وغيره

يغرى بالشيء على جهة الامر فتنصب ولـه حروف (١٣٠) من الظروف وهي : على ودون وعند كقولك عليـك عمرا ودونك زيدا وعنـدك(١٣١) خـالدا اي خـذ عمـرا (١٣٢) [وزيـدا وخـالدا] (١٣٣) ، أو تغري بالشيء فيكون منصوبا كقولك زيدا واكثر ما يقع هذا في التحذير كقولك الاسد الاسد اي احـذر ، والله الله ، ويكون اسمين احدهما معطوف على الآخر كقولك اياك وزيدا ،وماز راسك والسيف(١٣٤) ، اي احذر السيف ان يصيب راسك ، ويكون بالمصادر كقولك ضربا ضربا،وقياما وقعودا ، ويكون بمصادر لا تصرف نحو الحذرالحذر وحذارك زيدا ورويدك زيدا ، وتيد زيدا ، وتيدك زيدا ، هذا كله في معنى الامر . وتقول عمرا هـذا كله في معنى الامر ، وتيد زيدٍ ربما خفض بها(١٣٥) .

ومنه شيء يبنى على الكسر نحو حذار زيدا ودراك عمرا اي احذر وأدرك . ومن هذا ما ينصب نحو /١٩ سقيا لزيد ورعيا له وبعدا لعمروٍ وسمعا له اي سقاه الله ورعاه وابعده الله وأسحقه وتبا له وبُعدا .

ومنه ما يكون مضافا نحو ويله وعوله وويحه وويسه ومنه ما يكون اسـما نحو ترِبا(١٣٦) لـه وجندلا وكل هذا في معنى الدعاء . ومنه ما يرفع نحو الحمد لله وويل لزيدٍ وفيه تأويل ما يكون منصوبا .

باب ما ينصب على اضمار الفعل

قال كيسان كل شيء حَسُن في موضـعه الفعل واضماره فالنصب يحسن فيه اذا كان في الكلام ما يدل على الفعل وذلك سبحـان الله اي اسَبِّحُ الله ، وحمدا لله وشكرا اي احمد الله . وهنيئا ومريئاً اي هنّاك الله ومرّاك. واهلاً وسهلاً اي اهلت وأسهلت ، اصبت اهـلاً ووطئت سهلاً . ومرحباً اي رَحُبت بلادك واصبت رحباً اي سعة . ونَعَم وكرامة اي اكرمك ، وزيدٌ اخوك حقا اي احق ذلك . وكذلك يقينا وغير شك اي اتيقن ولا اشُكُ . والمال لك هبة اي اهبه هبة . واتَى بزيد سحبا اي أسحب سـحباً . وضرباً زيداً اي اضرب زيداً . والناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخيرا اي ان كان خيرا فخيرا ، ولزيدٍ عليّ الف درهم عُرفاً اي اعترف بذلك . وقتل عمرو صبراً اي صبرَ صبراً . واذا تُدُبِّر هذا عُرِفَ إن شاء الله .

وما ينصب على التمييز كقولك عنده عشرون درهما . والتمييز ما كان يكون على انواع ووجوه فذكرت احدها . فالعشرون يكون من أشياء كثيرة فاذا جئت بعدها بشيء كـان تفسيرا وتمييزا ، وكذلك امتلأتُ ماءً اي من الماء والحب ملآن ماءً وعنده رطلان زيتاً .

باب نعم وبئس

نعم وبئس ترفعان ما فيه الالـف والـلام وتنصبان ما سقطتا منه ثم ترفعان بعد ذلك الاسم الممدوح والمذموم بهما تقول نعم الرجل زيدٌ ، وبئس الرجل عمروٌ وبئس رجلا عمرو ، وكذلك ما اضيف الى ما فيه الالف واللام ، وتنصب مـا اضيف الى ما حُذِف منها (١٣٧) . وتدخل مـا فيهما فترفع ما بعدها نحو نعم ما زيدٌ وكذلـك «ان الله نعما يعظكم به»(١٣٨) . «ان تبدوا الصدقات فنعمّاهي »(١٣٩) ، وحبذا الزيدان وحبذا الزيدون وحبذا هندٌ .

باب نصب الافعـال

/٢٠ حتى اذا كانت غاية خفضت الاسـماء ونصبت الافعال المستقبلة تقول سرت حتى ادخل المدينة اي الى ان دَخَلتُها ، فان جعلت ما بعدها حالاً (١٤٠) رفعت الفعل بعدها ويكون بمنزلة كـي

(١٣٠) يسمي عمل قسم من اسماء الافعال – وهي المنقولة عن الظرف او الجار والمجرور – وكذلك المصادر النائبة عن افعالها النصب بالاغراء ويخلط ذلك بالاغراء المعروف

(١٣١) في الاصل « أو عندك » والهمزة زائدة

(١٣٢) في العبارة اشعار بوجود نقص في العبارة لان عليك بمعنى الزم ودونك بمعنى خذ

(١٣٣) زيادة يقتضيها السياق

(١٣٤) في الاصل « وما راسك والسيف » والزاي ساقطة من النص وأصلها « ياماز ق راسك واحذر السيف » .

(١٣٥) اي يعاملها معاملة المصدر المضاف الى معموله

(١٣٦) في الاصل « ترابا »

(١٣٧) في الاصل « ما حذفها منه » ولم نر لها معنى

(١٣٨) النساء آية ٥٨

(١٣٩) البقرة آية ٢٧١

(١٤٠) في الاصل « حال » والسياق يقتضي ان تكون حالا

فتنصب نحو كلمتُه حتى يعطيني وكذلك كي ولام كي .

وان نَصَبَتْ فهي مع الفعل اسم . ولن تنصب وهي للفعل .

والفاء تنصب في الجوابات التي سميناها وهي الامر والنهي تقول اضرب زيداً فيتأدب يافتى ، ولا تقرب الاسد فيأكلك وما زيد اخاك فيسرك ، وليت زيدا عندنا فنصير اليك ، وأين بيتك فنزورك .

باب العدد

من ثلاثة الى عشرة بالهاء للمذكر والمؤنث بحذف الهاء .

والعدد مضاف الى ما بعده كقولك عندي ثلاثة رجال وثلاث نسوة ، فاذا جاوزت العشرة كان العدد مبنيا على الفتح في كل حال من أحد عشر الى تسعة عشر وكان للمذكر احد عشر .

ثلاثة عشر تثبت الهاء في ثلاثة الى تسعة وتحذف من العشرة .

وتحذف من ثلاث الى تسع للمؤنث وتثبت في العشرة فتقول :

احدى عشرة ، ثلاث عشرة ، وتنصبهماجميعا لانهما اسمان جعلا اسما واحدا الا اثنى عشر واثنا عشر واثنتي عشرة(١٤١) واثنتا عشرة فان اخرهما مفتوح وهما بالالف في الرفع وبالياء في الخفض والنصب ، وما بعد أحد عشر الى تسعة عشر منصوب(١٤٢) .

وكذلك المؤنث نحو عندي احد عشر رجلا فاذا جاوزت العشرين قلت أحد وعشرون (١٤٣) في المذكر واحدى وعشرون في المؤنث ، وعشرون في الرفع بالواو [و] (١٤٤) في النصب والخفض بالياء .

فاذا بلغت مائة كانت مضافة الى ما بعدها نحو مائة درهم .

ومن ثلاث الى تسع مضافة الى المائة والمائة مضافة الى ما بعدها كذلك الى الالف . والالف مضاف الى مابعده من اسم المعدود .

ويُعَدُّ الالف كما يُعَدُّ الواحد من المذكر نحو الدرهم وما اشبه ذلك : ثلاثة آلاف وعشرة آلاف واحد وعشرون الفا كما تقول احد عشر درهماً .

باب لا

لا : يكون في كل الكلام جحدا . فيكون نسقا كقولك قام زيدٌ لا عمرو ورايت زيداً لا عمراً. وتكون نهياً فتجزم كقولك لا تقم ولا تذهب . وتكون جوابا للقسم فترفع الفعل بعدها كقولك والله لا تذهب ولا تقوم . وكذلك هي في الخبر . وتكون بمنزلة غير كقولك جئتُ بلا شيء فيعمل ما قبلها فيما بعدها . ويكون توكيدا للجحد مع واو النسق كقولك خفتُ الا يقوم ، « ولئلا يعلم اهل الكتاب » (١٤٥) ، اي ليعلم . وتكون رَدّاً كقولك في الجواب لا كما تقول نعم وبلى ، ولا في الجواب /٢١ ضدهما وتكون صلة للو وهل كقولك لولا وهلا وكذلك الا . وتكون بمنزلة ليس كقولك لا زيدٌ قائم ولا عمروٌ ، واذا وليتها النكرة(١٤٦) نصبتها بغير نون(١٤٧) كقولك لا رَجُلَ لك ، وان شئت رفعت ونونت كقولك لا رجلٌ لك . فان فَرَّقت بينهما بشيء رجعت الى الرفع فقلت لا لك رجلٌ .

باب ما

ما تكون اسماً في تسعة مواضع :

تكون بمنزلة الذي فتوصل كقولك : اعجبني ما عندك (١٤٨) أي الذي عندك .

وتكون مصدرا فتوصل بالفعل وحده كقولك اعجبني ما صنعت أي أعجبني صنيعك .

وتكون استفهاما كقولك ما صنعت ؟ اي اي شيء صنعت ؟

وتكون جزاء كقولك ما يعجبك يعجبني فتجزم أي اعجبك شيء اعجبني .

وتكون تعجبا كقولك ما احسن عمراً وتكون بمنزلة شيء اسماً نكرة فينعت بما تنعت به النكرة كقولك يعجبني ما معجب لك ، وجئت بما معجب لك اي بشيءٍ معجب لك .

وتكون اسماً مبهماً فتسمّى الصلة لانها زائدة،

---

(١٤١) زيادة يقتضيها السياق
(١٤٢) يقصد تمييز العدد
(١٤٣) أو واحد وعشرون
(١٤٤) زيادة يقتضيها السياق

(١٤٥) سورة الحديد آية ٢٩
(١٤٦) يقصد لا النافية للجنس
(١٤٧) بغير نون أي بغير تنوين .
(١٤٨) كتبت الجملة مرتين « في الاصل » وهو سهو من الناسخ

ان حذفتها لم يفسد الكلام ، وان ادخلتها كانت فضلة مؤكدة كقولك عما قليل اي عن قليل .

وتكون حرفاً تجحد به وليست في هذا باسم كقولك ما زيدٌ قائما ، يريد بقائم (١٤٩) ، فاذا تقدم وكان بعدها الا كان في الخبر الرفع لا غير كقولك ما قائم الا زيدٌ ، وما زيدٌ الا قائمٌ .

وتكون ما حرفاً يغير العامل فيسقط عمله كقولك ان زيدا قائم نصبت زيداً بأن ، فاذا قلت : انما زيدٌ قائم ابطلت ما علمت انّ . وكذلك رُبّ تخفض النكرة [و](١٥٠) زيدا ، فاذا قلت ربما يقوم زيدٌ ابطلت ما رُبّ ورُفع بعدها كل شيء أو نصبتَ بما تنصبه وكذلك لعلما وكأنما .

باب حروف الجحد

لن ولم وما ولا وليس وغير وإن

باب حروف القسم

الواو والباء والتاء وهن يخفضن كقولك والله وبالله وتالله : الواو والباء تدخلان على كل الاسماء . والتاء لا تكون الا في الله عزوجل وحدها .

وجواب القسم بأن واللام ولا وما ، والله ما زيدٌ بقائم ووالله لا قام زيدٌ ولا يقوم زيدٌ . ووالله ليقومن زيدٌ ولقائم زيدٌ /٢٢ ووالله إن زيداً لقائم، ووالله لزيدٌ خيرٌ منك .

ومما يجري مجرى الحروف وهي اسماء معروفة : لعمر الله ، وعلي عهدُالله ، وامانة الله ، ومما ينصب يمينَ الله وعَمرك الله ، وقعدَك الله، ونشدتك الله .

باب مواضع النون

تدخل النون في الفعل المستقبل مشددة ومخففةً في ستة مواضع : في الامر والنهي وفي الدعاء والاستفهام . وفي ما اذا كانت زائدة وقع اللام في جواب القسم وتلزم اللام ، ويجوز أن تحذف في كل موضع غيرها ، تقول لا تضربُنَّ زيداً ، تسقط واو الجمع معها لان الواو ساكنة والنون التي بعدها ساكنة ، ولا تسقط الف التثنية لئلا يشبه فعل الاثنين فعل الواحد . وللمراة لا تضربِنَّ زيداً

ولا تضربانٌ زيداً ، ولا تضربنانٌ زيداً ، تزيد في الجمع الفاً بعد النون لتفرق بين النونات . وتخفف النون في كل موضع الا في التثنية وجمع التأنيث ، فاذا خففت فكان قبلها فتحة ابدلِتْ الفاً في الوقف . تقول لا تضربا في الوقف . فان كان قبلها كسرة او ضمّة اخرجت الفعل في الوقف مخرج مالانون فيه . تنظر كيف كان قبل أن يدخله النون فتخرج ذلك المخرج كقولك : لا تضربي للمراة ولا تضربوا للرجال وهل يضربون وهل تضربين .

هذا باب ما يجمع مسائل(١٥١) شتى وأبواباً

اعلم أن الرفع كله من وجه واحد وهو أن تَقْرِنَ خبرا باسم ، فان كان الخبر مقدما رفعت به الاسم والخبر ابدا فيه تأويل الفعل وذلك قام زيدٌ ، ويقوم عمرو ، وخلفك زيدٌ معناه استقر خلفك زيدٌ . وقام زيدٌ بمنزلة يقوم زيدٌ ، فان تقدم الاسم رفعه الابتداء والخبر مضموم الى ضميره ، وضميره في الخبر مرفوع ، نحو زيد قام، وزيدٌ يقوم ، وزيد خلفك ، هذا معناه مثل الاول في انه اسم وحديث الا ان في الخبر ضميره ، واذا تقدم الخبر فلا ضمير فيه فالرفع اذن في اجتماع اسم وخبر وهما جميعا مستحقان للرفع لان كل واحد منهما متعلق بصاحبه مسندٌ اليه لا يقتصر على احدهما دون الاخر والنصب كله من وجه واحد ، وهو ان يجمع بين شيئين فيكون احدهما اسما والاخر خبرا عنه ، ويجيء المنصوب لما في الخبر من الدلالة عليه فيكون متعلقا بالخبر فيكون كالمفعول به ، وقد بينا وجوهه الا انه لا يكون ابدا الا وشيئان قد عمل كل واحد منهما في صاحبيه في الكلام وفي نيتك ، وذلك نحو ضرب عبدالله زيدا ، فضرب عبدالله مقرونان ، وزيدٌ مدخل في الحديث، وكذلك ان زيدا قائم ، ان وقائم مقرونان /٢٣ وزيدٌ مدخلٌ فيهما ، وكذلك ظننت زيدا عالما فالظن والتاء مقرونان وزيدٌ وعالم مدخلان فيهما .

والخفض كله من جهة الاضافة الا ان يكون بالاسماء والحروف التي سميناها ، فهذا يأتي على اعراب الاسماء كلها . وفي الاسماء ما لا اعراب له ،

---

(١٤٩) يقصد ان الخبر منصوب على نزع الخافض على راي الكوفيين لانهم يرون ان ما لا تعمل شيئا

(١٥٠) زيادة يقتضيها السياق .

(١٥١) في الاصل « مسايل » والصواب ما اثبتناه

وهو في الحكم في موضع معرب مثل أنا وانت وهو وهي واياك واياه واياها وإياي وهذا وما أشبه ذلك .

ومنها ما يستوي في كل حال مثل الاسماء المقصورة نحو عصا(١٥٢) ورحىً ، الا انه ينوّن ما كان نظيره ينصرف ، ولا ينوّن ما كان نظيره لا ينصرف وهو مسكن على كل حال .

ومنها ما يسكن في الخفض والرفع فيستويان ويكونان منونا في الاعراب وساكنا في الاضافة ويتحرك في النصب وذلك كل اسم في آخره ياء خفيفة قبلها كسرة نحو قاضٍ وجوارٍ .

ومنها ما لا ينصرف فلا يدخله التنوين .

واعلم ان حروفا تجري على وجهين : لَدُنْ غُدوةً ، وغُدوةٌ تخفض وتنصب ، وبَلْهَ كذلك وبَلْهَ يفسر على معنيين في معنى دع وفي معنى فكيف . ومُذْ ترفع ما مضى وتخفض ما انت فيه . ومنذُ تخفض كل ذلك .

والمقاديرُ كقولك عندي رطل زيتا ورطل زيت ومنوانِ عسلاً ومنوا عسلٍ .

والاضافة كلها ان يضاف الشيء الى غيره او يضاف البعض إلى الكل وهما مضارعان اللامَ ومِن كقولك ثوب خَزٍ أي ثوب من خَزٍ وغلامُ زيدٍ اي غلامٌ لزيد

تـم الكتـاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير البريَّة محمد وآله الطيبين أجمعين وحسبي الله ونعم الوكيل والمعين .

(١٥٢) كتبت في الاصل هكذا « عصى »

مراجع الدراسة والتحقيق

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ ادب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد ط٤ مصر ١٩٦٣م

٣ ـ الاضداد في اللغة لابن الانباري ـ المطبعة الحسينية مصر ١٣٢٥ هـ

٤ ـ الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ط٤ مصر ١٩٦١م

٥ ـ بغية الوعاة السيوطي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٦

٦ ـ تاج العروس الزبيدي ـ طبعة مصر ١٣٠٦ـ١٣٠٧

٧ ـ تاريخ الادب العربي بروكلمان ـ الترجمة العربية د . عبدالحليم النجار ط٢١ دار المعارف مصر ١٩٦٨

٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨

٩ ـ الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي ـ تحقيق سعيد عبدالكريم نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة ـ في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب

١٠ ـ شرح المفصل لابن يعيش

١١ ـ الفهرست لابن النديم ـ نشره غوستاف فلوجل ١٨٧١م

١٢ ـ القاموس المحيط الفيروزآبادي ط١ مصر ١٩٣٥م

١٣ ـ كتاب سيبويه ـ طبعة بولاق ـ مصر ١٣١٦هـ

١٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ طبعة بيروت ١٩٥٥

١٥ ـ مدرسة الكوفة د . مهدي المخزومي بغداد ١٩٥٥

١٦ ـ مرآة الجنان اليافعي ـ حيدر آباد ١٣٣٧ـ١٣٣٩ .

١٧ ـ مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي تحقيق ابو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٥٥

١٨ ـ مروج الذهب للمسعودي تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد جـ٢ كتاب التحرير ١٩٦٧

١٩ ـ المزهر في اللغة للسيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وجماعة من الاساتذة ـ دار احياء الكتب العربية

٢٠ ـ المصباح المنير للفيومي ط٢ ـ المطبعة الاميرية مصر ١٩٠٩م

٢١ ـ معجم الادباء لياقوت الحموي نشر مركليوث ط٢ ـ مصر ١٩٣٠

٢٢ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن‌الانباري ـ تحقيق‌ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٥٩

٢٣ ـ هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ـ استانبول ١٩٥١

٢٤ ـ همع الهوامع للسيوطي ط١ ـ مطبعة العادة مصر ١٣٢٧هـ

ديوان الشيخ كاظم الازري

١١٤٣ ـــ ١٢١٣

القسم الأول

عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه

شاكر هادي شكر

الشيخ كاظم الازري

نسبه واسرته :

هو الشيخ كاظم (١) بن الحاج محمد بن الحاج مراد بن الحاج مهدي بن ابراهيم بن عبدالصمد بن علي البغـــدادي التميمي (٢) .

قال المرحوم الحاج عبدالحسين الازري في مقال له (٣) :

« بيت الازري : بيت علم وثراء ، ويظهر من ورقة الوقف المشهورة بوقف بيت الازري ، وبعض الحجج الشرعية القديمة ان اسرة هذا البيت كانت تقطن بغداد منذ اكثر من ثلاثة قرون. اما قبل ذلك فلا نعلم عنها شيئا (٤) . وقد اشتهر من بينهـا علمان هما : الشيخ كاظم ، والشيخ محمد رضا (٥) ، وكان لهما أخ ثالث اكبر منهما سنا هو الفاضـــل الشيخ يوســف الازري (٦) ، ويوجد في مكتبة المغفور له السيد حسن صدرالدين مؤلف للشيخ يوسف المذكور في علم النحو شبيه بكتاب قطر الندى لابن هشام ، كتب على ظهره : هذا ما ألفه الشيخ يوسف بن الحاج محمد بن مراد الازري البغدادي التميمي ، ومن هذا الكتاب تأكدنا ان هذه الاسرة ترجع الى قبيلة تميم في العراق . وقد اعقب الشيخ يوسف هذا ولدين هما الشيخ مسعود ، والشيخ راضي (٧) وكان الاول منها أديبا وشاعرا ، وقفنا على بند له شبيه بالبند المعروف للشاعر ابن الخلفة (٨).»

والظاهر ان الحاج مراد هو الذي لقب بالازري ، ولعله كان يبيع الازر (٩) أو يحوكها .

مولده ، ونشاته :

اتفق مترجموه على انه ولد سنة ١١٤٣هـ ، وجاء في مقال الحاج عبدالحسين المذكور انفا ما نصه :

« لم تزل داره التي ولد فيها قائمة في محلة راس القرية من بغداد وهي من جملة اوقاف والده التي وقفها عليه وعلى اخوته (١٠) . »

ومن الجدير بالذكر ان الشاعر يصرح في احدى قصائده (١١) انه كرخي فيقول :

سلام على تلك المغـــاني التي بهـــا
نعمنـــا وحياهـــا من المـــزن صـــيب
اذ الكرخ داري والاحبـــة جـــيرتي
وقـــومي ترضى ان رضيت وتغضـــب

وذكر الشيخ حرزالدين (١٢) انه توفي في كرخ بغداد .

وبقي في طفولته مقعدا سبع سنوات ، ثم مشـــى (١٣) وهنا تنقطع اخباره عنا فلم يذكر احد عن شبابه شيئا .

---

(١) سماه بعض الذين ترجموا له (محمد كاظم) وسماه اخرون (الملا كاظم) .

(٢) كذا ورد نسبه في الكنى والالقاب ١٩/٢ ، والذريعة الى تصانيف الشـــيعة ٦٩/٩ ، وفي معـــارف الرجـــال ١٦١/٢ ، ومراقد المعارف ١٣٨/١ تقديم مهدي علي مراد .

(٣) نشر في العدد (١٤) من مجلة الغري الصادر في جمادي الثانية سنة ١٣٦٤ هـ .

(٤) لما كانت الاسرة تميمية فمن غير المستبعد انهـا جاءت من مضارب بني تميم القريبة من بغداد .

(٥) هو اصغر من الشيخ كاظم ، توفي سنة ١٢٤٠هـ بلا عقب (الذريعة ٦٩/٩) .

(٦) توفي سنة ١٢١١ ورثاه السيد محمد زيني بقصيدة جاء في تاريخها (ليوسف مكنا المنازل في الخلد) ، انظر معارف الرجال ٢٩٦/٣ .

(٧) توفيا بالطاعون سنة ١٢٤٦ هـ (تاريخ الادب العربي فـي العراق ٢٩٦/٢) .

(٨) انظر ترجمة ابن الخلفة وبنده في كتاب البند للاستـــاذ عبدالكريم الدجيلي ص/٦٧ .

(٩) الازر ، جمع الازار ، كان النساء يلبسنه كالعباءة ، وهو مؤلف من قطعتين ، تتزر المرأة بواحدة ، وتتجلبب بالثانية . وقد زال استعماله في العراق بعد زوال الحكم العثمـــاني .

(١٠) تاريخ الوقفية سنة ١١٥٩هـ ، وقد حصل نزاع بين المرتزقة نصفي الوقف حسب قانون التصفية (تاريخ الادب العربي في العراق ٢٩٦/٢)

(١١) البيتان (٤٠و٤١) من القصيدة العاشرة

(١٢) مراقد المعارف ١٣٨/١

(١٣) مقال الحاج عبدالحسين الازري المار ذكره

صفاته :

كان قصير القامة مع سمنة فيه(١٤) ، واذا صح قوله(١٥) :

ولـم الغ حـــرف الـراء الا لانني
اذا فهت بالـراوي تفوهت بالغاوي

فهو الثغ بحرف الراء . كان سريع الخاطر ، حاضرالنكتة، وقاد الذهن ، ومن ابرز صفاته الجراة ، والصراحة المتناهية ، والشواهد كثيرة . فمن ذلك انه لما قتل عبدالله الشاوي بامر من الوالي عمر باشا سنة ١١٨٨ رثاه بقصيدة ليست كالرثاء المالوف ، بل كانت ثورة عارمة على الوالي وحكومتــه ، جاء فيهـــا (١٦)

سأبكيك بالبيــض اليمانيــة التي
تهـــد من الاطــواد كــل مشيـــد
وارثيك بالطعن الــدراك كانــه
قصـــيد منـــون مردف بقصيــد

* * *

بني حمير لا تطرحوا الحــزم خلفكم
فان اطــراح الحـــزم غير ســديد
ولا تصبروا عن أخذ ثارات يومـه
الا رب صــبر لم يكن بحميــــد

* * *

قتلت على أيـــدي الاذلين عنــوة
وما ذاك من اهــل التقــى ببعيــد
فاين عـلي من مقــام ابن ملجــم
وأين حســين من مقــام يــزيد

وكان اولاده الاشاوس ، وعشيرته المغاوير استجابوا لهـذا النـداء فشنوها حربا ضروسا كادت تزعزع حكومة المماليك .

هيئته :

قال بعض مترجميه انه كان حليـــق اللحيـــة مفتــول الشاربين (١٧) يعتمر اليشماغ والعقال ، ويحتذي (اليمني) الاحمر (١٨) ، ومنهم من يقول : انه كان وقورا ذا لحية بهيـة يعتمر (الكشيدة) . وقد انبرى من قبل ، المرحوم الاســتاذ عبدالحميد الدجيلي مؤيدا اصحاب القول الاخير فقال (١٩) . « دفعني الى كتابة هذا الموضوع ما رأيته من تخـرص بعـض المتشاغلين بتاريخ الادب اندفاعا للقول وان كان جزافا . فقـد ترجم هذا للازري ، ورماه ببعض النواقص اعتمادا عـلى مـا عرف عن الازري في أوساط عوام الناس ، انه كان حليق اللحية مبروم الشاربين ، مخاصما عنيدا ...

انه كان معمما ، ومن ذوي العلم ، ورجال الفقه والادب المحترمين »

(١٤) المصدر السابق
(١٥) القطعة (١٠٩) من الديوان
(١٦) القصيدة (٣٧) من الديوان
(١٧) مقدمة القصيدة الهائية للازري بقلم المرحوم العلامة محمد رضى المظفر طبعة النجف ١٣٥٠هـ .
(١٨) هكذا عرفتهم للاستاذ الخليلي ٣٧/٣
(١٩) انظر كلمته (موازنة بين شاعرين) المنشورة في مجلة الدليل النجفية ، العدد ٦/ السنة الثانية .

ثقافته :

قال الحاج عبدالحسين الازري في مقاله المذكور « درس العلوم العربية ، ومقدارا غير قليل من الفقه والاصول على فضلاء عصره ، ولكنه ولع بالادب فانقطع عن متابعة الدروس ، واخـذ ينظم الشعر وهو لم يبلغ العشرين »

وجاء في معجم المؤلفين لكحالة (٢٠) انه « أديب شاعـــر مشارك في الحديث والتاريخ والكلام ، والتفسير والحكمة » .

ويقول العلامة المظفر في مقدمته المذكورة : انه درس في النجف ، ثم عقب على ذلك بقوله « لم يذكر عن شاعرنا ما درس في النجف ، وعلى من تلمذ ، وباية درجة كـانت ثقافتـــه ؟ غير ان الذي يقرأ شعره يرى فيه لفتات الفاضل العالم بالمعارف الاسلامية ، بل اكثر من ذلك يجد انه قد درس الفلسفة ، وفهم دقائقها ، وان كان يقول :

كفي رويــدك واقصـــري ياهــذي
هيهات ليس الفيلسوف بهاد (٢١)

والا فلا تخل غير الدارس للفلسفة المتذوق لها يتمكن ان يقــول (٢٢) :

وهــو الآيـــة المحبطــة بالكــو
ن ففــي عــين كــل شيء تراهـــا
هــو طــاووس روضــة الملك بل نا
موســـها الاكبــر الــذي يرعاهـــا
وهـــو الجوهـــر المجـرد منـــه
كــل نفـــس مليكهـــا زكاهـــا
لـم تكــن هـــذه العناصـــر الا
من هيــــولاه حيث كـــان أباهـــا

ففي هذه الابيـــات :

اولا ــ تلمح النزعة الاشراقية الى القول بوحدة الوجود ، ذلك قوله (ففي عين كل شيء تراها) ، واراد بالعين : الوجود العيني للشيء كما هو اصطلاحهم .

ثانيا ــ قوله (طاووس روضة الملك) وهو اصطلاح عرفاني المسمى عندهم ايضا بالعنقاء ، ويقصدون به الملك الروحاني المدبر ، او العقل الفعّال . وكذلك قوله (ناموسها الاكبر) من اصطلاحهم .

ثالثا ــ في البيتين الاخيرين يشير من طرف خفي الى نظرية المثل الافلاطونية في احدث تفاسيرها الدقيقة ، فيطبق المثـــال المجرد للنوع الانساني على النبي (ص) كما هو رأي بعض الفلاسفة الاشراقيين ، ولذلك هو يعبر عن النبي(ص) (٢٣) بالجوهر المجرد الذي منه اشخاص النوع تمتد في تكوينها وتزكية اخلاقها بتدابير المليك المصور تعالى شانه .

(٢٠) ج/٨ ص/١٣٩ .
(٢١) انظر القطعة (٥١) (وهي بيت واحد) وقلت في التعليق على البيت : لعل الاصل (ليس الفيلسوف بهاذ) من الهذيان، وبهذا التوجيه يزول التعارض الذي ذكره العلامة المظفر .
(٢٢) من قصيدته الهائية
(٢٣) في المصدر المذكور (الامام) مكان (النبي) في الموضعين ، وهو وهم ، لان هذه الابيات في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام وليست في مدح الامام علي (ع) .

ويشير الى نظرية السببية استطرادا ، وهي عنده بموضع الاعتبار فيقول من قصيدة (٢٤) :

هبي لـه تصـلي الى حـرم الغنى
لابـد مـن سبب لـكل مسـبب

وهكذا تجد في ابيات كثيرة (اذا تدبرتها) ان الرجل صاحب فلسفة وعلم ، فضلا عما ينطق به شعره وبراعته فيه من دراسته للعلوم العربية والاسلامية » انتهى .

واضيف الى ما تقدم بعض اقواله التي تنم عن المامه بالعلوم السائدة في عصره ، قوله وهو من اصطلاحات الفلاسفة :

كن كيـف شـئت مكوكبا او مركزا
ما الجوهر النوري كالثقل الدجي (٢٥)

* * *

ما بعـد جوهـرك المجـرد غايـــة
فضـح الجواهر غيرك التجـــريد (٢٦)

* * *

لـم تدر أنـك للمكـــارم عنصـر
وعناصـر الاشـياء لـم تتحـول (٢٧)

* * *

لك حكمـة قـام الوجـود بلطفهـا
والـروح موجبة قيام الهيكـــل (٢٨)

وله ، وفيه اشارة منطقيـة :

معـــاداة الرجـــال بغـير داع
بنـــاء للامـــور علـى فســـاد (٢٩)

ومن عرفا نياته قوله : (٣٠)

أدر الزجاجـة لا عدمت مديـــرا
واسـق النـدامى نضـرة وسـرورا
وافض علينـا من تجلي حسـنها
نـارا تدك من القلـوب الطـورا
عجبـا لهـــا باللملا ببروزهـــا
نارا وقـد حشـت العـوالم نورا
هـات اسـقنا ذات الصـفاء وخلنا
من عـين كـرم كـدرت تكـديرا
للـــه خمـر لـم يخامر جرمهـا
خبـث فكـانت للطهـور طهـورا
معصـورة بالوهـم لـم تذكـر لهـا
أهل العصـور السالفـات عصـيرا
مخبـوءة في حـانة قـد عطـرت
كـل العـوالم ريحهـــا تعطـيرا
ياصاحبـيّ ألا اعذراني بالتـــي
لطفـت فكـانت للرميـم نشـــورا
طـوت الدهور وما استحال شبابها
فكانها لـم تعـرف التغييـــرا
شـمطاء فاعجب من حـداثة سـنها
عـذراء فاغنـم وصلهـا محـذورا
ام الدهـــور وحبـــذا تاثيرهـــا
من قبـل أن يجـد الوجود أثـيرا
هـي جنـة المـاوى فقـل لأبناتها
ذوقوا عـــذابا دونهـا وسـعيرا
بـل صـورة الحسن التي مهما بدت
لعيـون قـوم كبّـروا تكبـيرا
الله أكبـــر يالهـا مـن صـورة
لا يسـتطيع لهـا امرؤ تصـويرا
فاشـرب وغنِّ على اسـمها مترنمـا
واقـض الليالي ضاحكـا مسـرورا

وله في الجاذبية (٣١)

لـولا ملاحظـة الافـلاك من صـعد
ما كان قلب الحديد الصلد ينجذب

وله في الهيئة (٣٢)

ولا تطلبن السـعد الا باسـعد
فلولا ضياء الشمس لم يشرق البدر

وله ايضا (٣٣)

واذا الهداية لـم تغب عن رايـه
فالشمس عن أهل السما لم تافل

وله في طبائع الحيوان الصامت (٣٤) :

ويعرفونك من بعـد كما عـرفت
قـرب الضياغم من أنفاسـها الحمر

ولـه ايضا (٣٥) :

كـم في بنيـه ظالمـا متظلمـا
كالذئب يقتنص الغزال ويضـلع

هذه لمح عابرة علقت بالذهن اثناء تحقيق الديوان وهـي غيض من فيض .

مكانته الاجتماعية :

نستشف من ديوانه انه كان متصلا بالوالي سليمان باشا الكبير مدة تقارب العشرين سنة ، مدحه خلالها بقصائد عامرة ، كما كان اتصاله وثيقا بالكثير من البيوتات الرفيعة في بغداد ، والموصل ، والبصرة ، والفرات الاوسط ، والنجف الاشرف ، كآل النقيب الكيلانيين ، وآل الحيدري ، وآل الفخـري ، وآل الجليلي ، وآل عبدالسلام ، وعميد اسرة آل كاشـف الغطاء (الشيخ جعفر الكبير) والشيخ حمد آل حمود رئيس الخزاعل ، وغيرهم ، ولكن انقطاعه كان الى آل الشاوي . بدأت هذه الصلة بعبدالله بن شاوي الشاهري ، وبلغت ذروتها معولده

(٢٤) البيت (٧٣) من القصيدة الثامنة .
(٢٥) البيت (١٠٢) من القصيدة (١٢)
(٢٦) البيت التاسع من القصيدة (١٧)
(٢٧) البيت (٥٦) من القصيدة (٨٦)
(٢٨) البيت (٦٢) من القصيدة المذكور
(٢٩) البيت (٢٨) من القصيدة (٤٥)
(٣٠) مطلع القصيدة الرابعة والستين

(٣١) البيت الثالث من القصيدة الثالثة
(٣٢) البيت (١٢) من القصيدة (٥٩)
(٣٣) البيت (٤٩) من القصيدة (٨٦)
(٣٤) البيت (٢٩) من القصيدة (٥٥)
(٣٥) البيت الثالث من القصيدة (١١٨)

سليمان الذي كان يقدر فضله ويرتاح لقربه ، ولم يزل يحمي جانبه ، ويدافع عنه . فلعلاقاته الواسعة هذه ، ولانه تميمي ـ وديار بني تميم مصاقبة لبغداد ـ ولذيوع صيته في العلم والادب والشعر ، ولجراته وقوة حجته ، اصبحت له في مجتمعه مكانة مرموقة .

حالته المالية :

قال مترجموه : انه من عائلة ثرية ، وان اباه وقف املاكه على اولاده ، وقيل ايضا انه حج بيت الله الحرام سنة الف ونيف ومائة وستين ، وله في حجه قصيدة مطلعها (٣٦) :

انخ المطي فقد وفدت على الحمى
والثم ثراه محييا ومسلّما

ومن موجبات الحج : الاستطاعة المالية ، غير انه كان يمدح للعطاء ، ويلح في الطلب ، وما أبدع اعتذاره عن هذا الالحاح حين يقول (٣٧) :

نذكّر بالرقاع اذا نسينا
ونطلب حين تنسانا الكرام
لان الام لم ترضع فتاها
مع الاشفاق ان سكت الغلام

ولان حجه كان في أيام شبابه ـ ولربما كان برفقة والده ـ يلوح لي انه ادركته حرفة الادب فاقعدته عن العمل المثمر ، وان حصته من عائدات الوقف ضئيلة لا تسد حاجته ، فاضطره العوز الى التكسب بالشعر ، والا كيف نعلل قوله :

ومارث مجدي حيث رثت ملابسي
وقد تودع الحق الحقير الجواهر

وفاته :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففي الكنى والالقاب ، والذريعة الى تصانيف الشيعة ، وتاريخ الادب العربي في العراق ، انه توفى سنة ١٢١١ ، وفي مقال الحاج عبدالحسين الازري ، انه توفى سنة ١٢١٢ ، وقال كاتبه « غير ان الحجر الذي وجد في داخل السرداب يدل على ان تاريخ وفاته سنة ١٢٠١ » .

ولعل طمسا حصل في الرقم الثاني للتاريخ بسبب قدم الحجر فقرىء (١٢٠١) بدلا من (١٢١١) .

وفي معارف الرجال انه توفى سنة ١٢١٣هـ . ولكنهم جميعا اتفقوا على انه دفن في الكاظمية في مقبرة تخص آل الازري تقابل الحجرة التي فيها القبر المنسوب الى علم الهدى الشريف المرتضى ويضمهما في الوقت الحاضر سقف واحد .

عقبه :

قال بعض مترجميه : المشهور انه لم يترك عقبا ، وسكت البعض الاخر عن ذلك . وقد اطلعني الاستاذ المحامي فاضل عباس العزاوي ـ مشكورا ـ على ورقة بخط والده جاء فيها ما ملخصه :

ان اسرة الازري انقرضت اعقابها الا من النساء ، وان الموجودين حاليا على قسمين :

القسم الاول ، اولاد نركز بنت فاطمة بنت الحاج يوسف بن الحاج محمد الازري ، وأولادها الذكور :

١ ـ الحاج احمد المتوفى سنة ١٣١٠ عن ولدين هما :

أ ـ عبدالكريم المتوفى سنة ١٣٢١

ب ـ حميد المتوفى سنة ١٣٣٠

٢ ـ الحاج يوسف المتوفى سنة ١٣١٤ عن ولدين هما :

أ ـ عبدالحسين المتوفى سنة (...) (٣٨)

ب ـ محمد المتوفى سنة ١٣٤١

٣ ـ الحاج علي المتوفى سنة ١٣٠٦ عن ثلاث بنات

٤ ـ الحاج حسين

القسم الثاني اولاد حسين بن آمنة بنت الشيخ كاظم بن الحاج محمد الازري ، وهم :

١ ـ الحاج حمودي المتوفى سنة ١٣٣٥ عن اربع بنات

٢ ـ علوان ، المتوفى سنة ١٣٥٨ عن خمسة اولاد ، هم :

أ ـ عبدالحسين
ب ـ عبدالمنعم
ج ـ عبدالامير
د ـ عبدالخالق
هـ ـ عبداللطيف

وثلاث بنات

٣ ـ جواد المتوفى سنة (. . . .)

٤ ـ بنت توفيت سنة (. . .) عن ذيبان وشقيقته

أدبه وشعره :

يوجد في كل عصر شعراء يسهل على المؤرخ تصنيف درجاتهم، وقد يوجد من بين كل صنف شاعر يتميز عن معاصريه بفوارق لا تكاد تحس . اما عصر الازري وقد حفل فيه العراق بطائفة كبيرة من الشعراء امثال السيد حسين بن السيد مير رشيد (ت ١١٥٦) وحسن عبدالباقي الموصلي (ت ١١٥٦) والسيد نصر الله الحائري (ت ١١٥٨) والشيخ محمد علي بشارة النجفي (ت ١١٦٠) والحاج محمد جواد عبدالرضا العواد البغدادي (ت بعد سنة ١١٦٣) والحاج احمد النحوي الحلي (ت ١١٨٣) وعثمان الدفتري العمري الموصلي (ت ١١٨٤) والشيخ محمد بن مصطفى الغلامي الموصلي (ت ١١٨٦) والسيد يحي الفخري الموصلي (ت ١١٨٧) وعبدالرحمن السويدي البغدادي (ت ١٢٠٠) والشيخ حسين العشاري (ت في حدود سنة ١٢٠٠) والسيد صادق الفحام النجفي الحلي (ت ١٢٠٤) والسيد سليمان الكبير بن السيد داود الحلي (ت ١٢١١) والشيخ محمد رضا الازري (ت ١٢٤٠) والسيد محمد جواد (سياه بوش) بن السيد محمد زيني البغدادي (ت ١٢٤٧) وغيرهم كثير ، فلا تجد فيهم من يدانيه في براعته الشعرية ، فهو وحده امة من الشعراء ، وقد صدق في قوله عن نفسه (٣٩) :

---

(٣٦) مقال الحاج عبدالحسين الازري ولا وجود لهذه القصيدة في الديوان

(٣٧) القطعة (٨٩)

(٣٨) اخاله الحاج عبدالحسين الازري الشاعر المشهور

(٣٩) البيت الاول من القطعة (١١)

يا ابـا احمـد رويـدا رويـدا
انا في الشـعر صـاحب المعجـزات

وهو القائل ايضا (٤٠) :

ابى الشعر الا ان يحل بساحتي
فياكل من زادي ويشرب من شربي
اذا انا لـم اعبـا به عمر ساعـة
توهـم هجـراني فـلاذ الى جنبي

فمن يتفحص شعره ، وشعر من جاء بعده ، يؤمن بانه صاحب مدرسة انتفع بمنهجها واسلوبها جماعة من الشـعراء خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الهجريين . بـل لا اغالي اذا قلت انه الوحيد الذي استطاع ـ من بين الشعراء ـ ان يقارب المتنبي في الحكمة وضرب المثل . ولقد احصيت لـه ما يدخل في هذا الباب فوجدته اكثر من اربعمائة بيت (٤١) ، اجتزىء منها بهذه الباقة (٤٢) :

دم في ملازمـة الغـرام فانمـا
سـبب الدخول دوام قـرع البـاب

* * *

لا تكثرن من الشـباب وذكـره
انت ابن يومـك لا ابن ماضي الاحقب
ايـام زان نتاجهـا عقـم النـوى
ومن الغنيمة عقم من لـم تنجـب

* * *

شديد عزم كان الحـزم قـال لـه
لا يصدق النيل حتى يصدق الطلب
تابوا ولكنهم من بعد مـا عطبـوا
ما استنبط الراح حتى عتّب العنب

* * *

وخلّها في سبيل المجـد مرقلـة
فكـل سعد بغير السـعي مكلوب
وانزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقـدار مغلـوب
ورب سيف يرى اوداج صيقلـه
وحافـر لقليب فيـه مقلـوب

* * *

لا تنوحـي الا علـي لديهـم
ما على كـل من يمـوت ينـاح
ومن الظلـم ان تـلام ببخـل
انمـا البخـل في المـلاح سـماح

* * *

ولسـوف يدرك كـل باغ بغيـه
المرء ينسـى والزمـان يـؤرخ

* * *

وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا ابق العبـد

* * *

وعلى اختلاف الراي كل قـائل
ضل الورى وانـا المصيب المهتدي
من امكنتـه فرصـة فاضاعهـا
واستعتب الايـام فهـو المعتـدي

* * *

والنفس لا تنفـك من خـدع المنى
العمـر يبلـى والمنـى تتجـدد

* * *

وقد تاتي الخديعـة من صـديق
كما تاتي النصيحـة من معـاد

* * *

اذا فسـدت طباع الدهر سـادت
علـى نجبـائه اهـل الفسـاد
وما اسـفي علـى الدنيـا ولـكن
علـى ابل حداهـا غـير حـاد

* * *

واين البخـل منـك فـررت منـه
فرار الحسن من صـور القـرود

* * *

ابـدوا وقائع تنسـي ذكـر غيرهـم
والوخـز بالسمر تنسي الوخز بالابر
صالوا وصلت ولكن اين منك هم
النقش بالرمل ليس النقش بالحجر
قد كنت في مشـرق الدنيا ومغربها
كالحمد لم تغن عنهـا سائر السور

* * *

ولا تياسـن من فرحة بعد شـدة
فقد يرخص الغـالي وتغلو البوائر
فـدع منظري ليس الرجال مناظـرا
وخذ مخبري ان الرجال مخابـر

* * *

تركت بك الجـدال فلذ عيشـي
ولولا الحمق لـم يكـن الجـدال

* * *

واذا الحب لـم يكن عن عفـاف
كـان كالخمر مفسـدا للعقـول
نسـال الارسم الدوارس عنهـم
رب علـم اصـبته من جهـول

* * *

كـم مدع غـير الحقيقة يدعـي
والحـق يظهـر من كـلام المبطـل

* * *

وعلى العـلى منا رواصد لـم تـزل
كالصبح مرصـودا بعـين بـلال

* * *

حسن الخلال متـم كـل صنيعة
وزكـاة كـل صنيعـة اتمامهـا

* * *

ولقد طرق شاعرنا فنون الشعر كلها فاجاد ، ولا اريد ان اثقل على القارىء بايراد الشواهد ، فالديوان بين يديه ، وفيه كل ما تشتهيه الانفس من ضروب الشعر وفنونه ، ولكن الجدير بالقول ان للشاعر قصيدة هائية طويلة تبلغ ٥٨٤ بيتا مطلعها :

---

(٤٠) البيتان الاول والثاني من القطعة العاشرة
(٤١) هذا العدد خاص بما في الديوان ولايشمل القصيدة الهائية.
(٤٢) مراعاة للاختصار لم أشر الى رقم البيت والقصيدة ، اذ من الممكن الاهتداء الى القصيدة من قافيـة البيت ، والديوان مرتب على حروف المعجم

لمن الشمس في قباب قباهـــا
شف جسم الدجى بروح ضياها

تغزل في مقدمتها بما يقارب الخمسين بيتا ، ثم مدح النبي عليه الصلاة والسلام بمائة وثلاثين بيتا ، وخص بالباقي الامام عليا ، احتوى هذه القصيدة بعض مخطوطات الديوان ، وخلا منها بعض ، فرجحت عمل الذين لم يلحقوها به ، لانها اعتبرت هي وتخميسها كتابا مستقلا ، منذ ان طبع الديوان طبعته الاولى في الهند ، وقال الناشر ـ السيد رشيد داود السعدي رحمه الله ـ في خاتمة الديوان مانصه :

« وحيث ان هذه الهائية قصيدة مستقلة بنفسها تنوف على خمسمائة بيت ، ولا يرغب في قراءتها الا القليل من الناس لم نلحقها بهذا الديوان »

وحسنا فعل . واذا كنا قد رجحنا عدم ادخال هذه القصيدة في صلب الديوان ، فلابد من ايقاف القارىء الكريم على نبذ منها ليرى من خلالها كيف بلغ الشاعر فيها ذروة النضج الشعري .

ويبدو لي انه قد تفرغ خلال السنين الثلاث او الاربع الاخيرة من حياته لنظم هذه القصيدة بدليل ان اخر قصيدة مؤرخة في ديوانه كانت سنة ١٢٠٧ (٤٣) ولو كان له شعر بعدها لبان .

فمن تغنيه في مطلعها :

مـا اراني بعد الاحبة الا
رسم دار قد انمحى سيماها
كم شجتني ذات الجناح سحيرا
حين طار الهوى بها فشجاها
ذكرتني وما نسيت عهودا
لو سلا المرء نفسه ما سلاها
يا خليلي كل باكية لم
تبك الا لعلة مقلتاها
لا تلوما الورقاء في ذلك الوجـ
ـد لعل الذي عراني عراها
كان عهدي بها قريرة عين
فاسألاها بالله مم بكاها
ليت شعري هل للحمائم نوحي
ام لديها لواعجي حاشاها
لو حوت ما حويته ما تغنت
سل عن النار جسم من عاناها
اهل نجد راعوا ذمام محب
حسب الحب روضة فرعاها
قربونا منكم لنشفي صدورا
جعل الله في الشفاه شفاها

* * *

كان انكى الخطوب لم يبك مني
مقلة لكن الهوى ابكاها
لو تاملت في مجامد دمعي
لتعجبت من اسى اجراها
انا سيارة الكواكب في الحر
ب فانى يعدو عليّ سهاها

كل يوم للحادثات عواد
ليس يقوى رضوى على ملتقاها

ثم يتخلص من الغزل الى مدح النبي (ص) فيقول :

كيف يرجى الخلاص منهن الا
بلمام من سيد الرسل طه
معقل الخائفين من كل خوف
اوفر العرب ذمة اوفاها

* * *

اي خلق لله اعظم منه
وهو الغاية التي استقصاها
قلّب الخافقين ظهرا لبطن
فرأى ذات احمد فاجتباها

* * *

نطقت يوم حمله معجزات
قصر الوهم عن بلوغ مداها
بشرت امه به الرسل طرا
طربا باسمه فيا بشراها
لم يكن اكرم النبيّين حتى
علم الله انه ازكاها

* * *

والى فارس سرى منه سر
فاستحالت نيرانها امواها
واحاطت بها البوائق حتى
فاض سلسالها وفاض ظماها
واقامت في سفح ايوان كسرى
للمة ليس يلتقي طرفاها

* * *

شمس قدس بدت فحق انشقاق (م)
البدر نصفين هيبة لبهاها
اي ارضية عصت لم يرضها
او سماوية سمت ما سماها
من تسنى متن البراق ليطوي
صحف افلاكها به فطواها
وترقى لقاب قوسين حتى
شاهد القبلة التي يرضاها
وعلى متنه يد الله شدت
فافاضت عليه روح نداها
واراه ما لا يرى من كنوز (م)
الصمدانية التي اخفاها
ليت شعري هل ارتقى ذروة (م)
الافلاك ام طاطات له فرقاها

وبعد ان يسترسل في تعداد مناقبه صلى الله عليه وآله وسلم يقول متخلصا الى مدح امير المؤمنين علي (ع) .

لا تخف من اسى القيامة هولا
كشف الله بالنبي اساها
ملك شد ازره باخيه
فاستقامت من الامور قناها
اسد الله ما رات مقلتاه
نار حرب تشب الا اصطلاها
فارس المؤمنين في كل حرب
قطب محرابها امام وغاها

---

(٤٣) انظر القصيدة (٢٧)

ذاك راس الموحدين وحامي
بيضة الدين من اكف عداها

* * *

ظهرت منه في الوغى سطوات
ما اتى القوم كلهم ما اتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود
لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى الى المدينة فردا
بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم الوف ولكن
ينظرون الذي يشب لظاها
اين انتم عن قسور عامري
تتقى الاسد باسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما
يؤجر الصابرون في اخراها
قائلا ان للجليل جنانا
ليس غير المجاهدين يراها
اين من نفسه تتوق الى (م)
الجنات او يورد الجحيم عداها
من لعمرو وقد ضمنت على (م)
الله له من جنانه اعلاها
واذا هم بفارس قرشي
ترجف الارض خيفة اذ يطاها
قائلا ما لها سواي كفيل
هذه ذمة علي وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما (م)
تمشي خماص الحشا الى مرعاها
فانتضى مشرفيه فتلقى
ساق عمرو بضربة فبراها
والى الحشر رنة السيف منه
يملأ الخافقين رجع صداها
هذه من علاه احدى المعالي
وعلى هذه فقس ما سواها

نكتفي بهذا المقدار من القصيدة ، وفيه الدليل الواضح على ان شعره يجمع بين المتانة ووضوح الديباجة ، والجزالة ورقة الاسلوب ، فتراه وهو يسرد القضايا التاريخية ينساب كالماء الزلال ، مع الدقة في التعبير . ولو حاول كاتب بليغ ان ينثر شعره لما استطاع ان ياتي باوضح وأوجز منه .

الديوان :

بحثت طويلا عن نسخة خطية بخط الشاعر ، او مقروءة عليه ، او انها منقولة عن واحدة منهما فلم اوفق ، ولكني تمكنت بعد التحري المتواصل من جمع تسع نسخ خطية ، وبعد فحصها فحصا دقيقا ، ومقارنتها مع بعضها وجدتها كلها على درجة واحدة تقريبا من حيث التصحيفات والتحريفات . واذا كان لابد من المفاضلة بينها فان النسخة الموصلية التي رمزت اليها ب خ / ٧ افضل اخواتها ، ولكنها لا تصلح لان تعتبر الاصل الذي يعتمد عليه المحقق .

ولكي لا اثقل الديوان بالهوامش عند تبيان الفوارق بين النسخ حاولت اسقاط بعضها من الحساب ، وبعد تمحيص ومقارنات وجدت من الممكن الاستغناء عن نسختين ، هما مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ، ومخطوطة المكتبة القادرية ، لاني لم اجد فيهما ما يضيف جديدا ، او يقوّم معوجا ، سوى وجود قصيدة واحدة في مخطوطة الاوقاف لا وجود لها في بقية النسخ ، ثم ظهر لي انها ليست للازري ، بل لعزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥هـ وهي قطعة من احدى قصائده العلويات السبع ، يراجع الشعر المنسوب للازري وليس له في الملحق الاول للديوان .

التعريف بالمخطوطات :

١ ــ مخطوطتي ، وقد رمزت اليها ب (خ/١) وهي أسقم النسخ من حيث رداءة الخط ، وكثرة التحريف والتصحيف لا يوجد فيها ما يشير الى اسم المالك او الناسخ ، او تاريخ النسخ .

٢ ــ مخطوطة مكتبة الآثار العراقية المسجلة برقم ١٩٨٤ ، وقد رمزت اليها ب (خ/٢) . خالية من كل شرح او تاريخ ، سوى انها مختومة بختم المكتبة الشرقية العراقية للآباء الكرمليين في بغداد ، وفي الصفحة البيضاء التي قبل الصفحة الاولى بيتان من الشعر لدرويش علي ، وتحتهما بيتان اخران للشيخ علي الخفاف ، في مدح الازري ، وخط الابيات الاربعة يختلف عن خط الديوان .

٣ ــ مخطوطة ثانية لمكتبة الآثار العراقية مسجلة برقم ١٩٢١ وقد رمزت اليها ب (خ/٣) ، وعلى الصفحة البيضاء التي قبل الصفحة الاولى تقريظ لشعر الازري نثرا ، وبيتان من الشعر في هجاء الازري ، كتب تحتهما بخط يختلف عن الخط الذي كتب فيه التقريظ والهجاء (استكتبته وانا الضعيف) ثم كتب اسمه (السيد عباس) . ثم يلي ذلك ختم مكتوب فيه (السيد عباس صبري) . وبعده ختم المكتبة الشرقية للاباء الكرمليين ، ولم يرد فيها ما يشير الى تاريخ نسخها ، او عن اية مخطوطة نسخت .

٤ ــ المخطوطة المستعارة من الاستاذ السيد عدنان طعمة (كربلاء) ، وقد رمزت اليها ب (خ/٤) . فيها نقائص كثيرة ، وقد ترك الناسخ اوراقا خالية من الكتابة بقصد اكمال تلك النقائص . لا يوجد فيها اي شرح او تاريخ عدا وقفية للكتاب مكتوبة باللغة الفارسية على هامش الصفحة (٨٥) من المخطوطة . وبطلب مني قام الصديق الكريم السيد شمس الدين القزويني (كربلاء) بترجمتها مشكورا وهذا نصها :

« هو الواقف على الضمائر ، وقف خادما الشريعة : الشيخ علي والشيخ مهدي هذا الكتاب ــ ديوان الازري ــ مع سائر كتب المكتبة التي هي من ثلث المرحوم المغفور له ساكن الجنان الشيخ عبدالحسين نور الله مضجعه ، وقفا شرعيا على كافة طلاب العلوم من سكنة العتبات المقدسة وغيرهم ، لينتفعوا بها ويحافظوا عليها ، والتولية بيد الواقفين ما وجدوا في العتبات المقدسة ، والكتب المزبورة عندهما ، واذا ارادا السفر فيضعون الكتب عند من شاءا ، وامر التولية حسب الوصاية راجع اليهما ، وبعدهما لاولادهما ، وعند وجود حضرة الاكرم مدار الشريعة السيد اسد الله في العتبات المقدسة فهو شريكنا في التولية . جرت الصيغة في شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٨ هـ » .

٥ ـ المخطوطة المستعارة من الاستاذ الكبير الشيخ صالح الجعفري ، المرموز اليها ب (خ/٥) وفي آخرها مجموعة من شعر الشيخ محمد رضا الازري ، خالية من أي شرح او تاريخ .

٦ ـ المخطوطة الثانية المستعارة من الاستاذ الجعفري وهي التي رمزت اليها ب (خ/٦) . وعلى الصفحة الرابعة والخمسين منها حاشية بخط المرحوم العلامة الجليل نعمان الالوسي هذا نصها :

« هذه القصيدة للعلامة الشهير حسين افندي محشي الحضرمية ، وهي بخطه في ديوانه ، ونسبتها الى المرقوم خطأ فلا تغفل ـ نعمان آلوسي زاده » . وفي الصفحة الاخيرة منها ما نصه « هذا آخر ما رأيناه مجموعا من شعر الاديب الكامل ، والاريب الفاضل الشيخ كاظم الازري، قد تم على يد ناقله افقر الورى الى الملك الرباني احمد بن عبدالله افندي الشهير بالداغستاني ، في قصبة بعقوبة حال نيابته في المحل المذكور . يوم الجمعة الساعة (٩)ـ٨ صفر الخير سنة ١٢٨٨هـ » . وفي نفس الصفحة كتابة ضرب عليها بالمداد الاحمر مرارا فانطمست معالمها ، ولم اتبين منها سوى « والصلاة على محمد وآله الطاهرين . حرره العبد الفقير لرحمة ربه الكريم اسد بن محمد حيدر وفقه الله لمراضيه . ذي الحجة سنة ١٣٥٥ في النجف الاشرف »

٧ ـ المخطوطة المستعارة من الاخ النبيل الدكتور محمد صديق الجليلي المرموز اليها ب (خ/٧) . وهي خالية من أي شرح او تاريخ .

تصنيف المخطوطات والنسخة المطبوعة :

من الممكن تصنيف النسخ المعتمدة في التحقيق الى ثلاث فصائل : تضم الفصيلة الاولى : النسخة المطبوعة ، والنسخ الخطية المرموز اليها ب (خ/١ و خ/٣ و خ/٦) .

والفصيلة الثانية : تضم النسخ الخطية المرموز اليها ب (خ/٢ و خ/٤ و خ/٥)

اما الفصيلة الثالثة فهي النسخة المرموز اليها ب (خ/٧) وحدها ونسخ كل فصيلة من الفصيلتين الاولى والثانية تتقارب كثيرا مع اخواتها ، ولا تتفق معها اتفاقا تاما ، لاننا نلاحظ ـ في الاغلب الاعم ـ ان الخلل الحاصل في بيت من الشعر باحدى النسخ كالتصحيف ، او سقوط كلمة نجد نفس الخلل في بقية النسخ من تلك الفصيلة . اما الاختلاف الطفيف الذي يحصل بين نسخ الفصيلة الواحدة فراجع الى اخطاء النساخ اثناء نقل نسخة عن اخرى .

جمع الديوان :

تبين لي من النسخة المطبوعة ، ومن المخطوطات التي مر ذكرها ان الديوان لم يجمع في حياة ناظمه ، وان الشاعر كان يحتفظ بمسودات مكتوبة على قصاصات من الورق ، وفيها الكثير من الابيات المنظومة بصيغتين او اكثر ، وان الذي جمع شعره من بعده لم يفطن لذلك فاثبت المكررات كما وجدها ، وان كثرة التصحيف والتحريف توحي بان الشاعر كان رديء الخط ، وان جامع الديوان كان سقيم الفهم ، فمن هذا وذاك حصل هذا الخلط الغريب العجيب . ولو حصل هذا لديوان شاعر جاهلي او اموي او عباسي لهان الامر ، ولامكن الرجوع في التصحيح الى المصادر الاخرى ، في حين لم اجد لشاعرنا في الكتب التي ترجمت له سوى مقطعات وقصائد تعد على اصابع اليدين ، ولا تقل تحريفا واخطاء عما ورد في الديوان المطبوع او النسخ المخطوطة .

تداخل الابيات في قصيدتين او اكثر :

نجد في بعض القصائد ابياتا سبق ورودها حرفيا في قصيدة اخرى ، او ان البيت المكرر قد حور تحويرا طفيفا ، او تكرر عجزه دون صدره ، ويحدث هذا ـ حصرا ـ في في القصائد المتشابهة في الوزن والقافية .

واخال ان المكرر حرفيا هو من عمل جامع الديوان ، لانه وجد قصاصات مبعثرة ـ كما اسلفنا ـ وان كل قصيدة مكتوبة على عدة اوراق ، فاذا صادف وجود قصيدتين متشابهتين في الوزن والقافية تعذر عليه الفصل بينهما .

اما الابيات المحورة ، او التي تكررت اعجازها دون صدورها فمن عمل الشاعر نفسه ، ومرد ذلك ـ على ما اظن ـ الى الظروف التي تحتم على الشاعر ـ في بعض الاحيان ـ ان ينظم قصيدة بصورة مستعجلة وهو غير متهيء لها . وقد سار على هذه الطريقة الكثير من الشعراء المحدثين قبل الازري وبعده (انظر القصائد ذوات الارقام (٨ و ١٥ و ٣٦ و ٦٢ و ٧٤ و ٩٥ و ١٠٢)

الابيات المتجاورة وهي متحدة معنى وقافية :

اعتاد الشاعر ان ينظم بعض الابيات بصيغتين ثم يختار الاجود ولا يتلف المهمل منهما ، ولم يفطن جامع الديوان لذلك فاثبت البيت بصيغتيه في القصيدة الواحدة . اما انا فقد اخترت اثناء التحقيق الاصلح فابقيته في محله ، ونقلت الثاني الى الهامش ، انظر على سبيل المثال (البيت ٨٦ من القصيدة ١٢ والبيت ٢٥ من القصيدة ١٥ والبيت ٤٦ من القصيدة ٣٦ والبيت ١٠ من القصيدة ٣٧) وغيرها كثير .

عناوين القصائد :

حدث عن الفوضى في عناوين القصائد ولا حرج ، فكل قصيدة ورد فيها اسم سليمان وسمت بانها في مدح سليمان الشاوي، وبعد التمحيص والتحقيق ظهر ان من بينها سبع قصائد في مدح سليمان باشا الكبير والي بغداد ، وقصيدة في مدح سليمان باشا الجليلي ، وامثال ذلك كثير سيجده القارىء مفصلا في التعليق على عناوين القصائد .

عملي في الديوان وطريقتي في التحقيق :

عندما لا حظت ان النسخة المطبوعة من الديوان ، وجميع النسخ المخطوطة التي تحت متناول يدي مليئة بالتصحيفات والتحريفات الفظيعة ، ولا توجد من بينها نسخة يصح الاعتماد عليها لان تكون الاصل في التحقيق ، اعتبرتها كلها اصولا معتمدة بدرجة واحدة ، وان كل واحدة منها تكمل الاخرى . فعمدت الى مقابلة كل بيت في الديوان مع ما يماثله في النسخ الاخرى ، واقفا عند كل كلمة فاحصا مدققا ، ثم اثبت ما اراه صالحا ،

معتمدا بذلك على ذوقي ، ومقدار فهمي لمعنى البيت ، مشيرا في الهامش الى الاختلافات الواردة في سائر النسخ حسب القواعد الآتيـــة :

١ ـ اذا اتفقت النسخ كلها على كلمة مصحفة او محرفة ابقيتها في محلها كما هي ، وحجزتها بين قوسين (هكذا) ثم ذكـرت الصواب الذي ارتأيته في الهامش ، ولم اشذ عن هذه القاعدة الا اذا كان البيت يتضمن تاريخا ، ففي هذه الحالة اصحح الخطا واذكر في الهامش ما كان عليـــه الاصـــل .

٢ ـ اذا اختلفت النسخ في رواية البيت اخترت من بينها اصح الروايات واحسنها ، واشرت في الهامش الى الروايـات الاخـــرى .

٣ ـ اذا اختلفت الروايات ، وكانت كلها بعيدة عن الصواب عمدت الى تقويم النص حسب اجتهادي ، ووضعته في المتن بين قوسين معقوفين [هكذا] واثبت في الهامش ما ورد في الاصول .

٤ ـ اما اذا انفردت نسخة واحدة بايراد بيت ما ، وليس له وجود في مصدر اخر ، وكان في ذلك البيت خـــلل ، اصلحته ثم وضعت الكلمة المصلحة بين قوسين معقوفين ايضا ، واثبت الاصل المغلوط في الهامش .

٥ ـ وبهذه الطريقة المضنية استطعت ان استخلص هـــذا هذا الديوان من تلك النسخ المشوهة .

بقي شيء يجب الا اغفل عن ذكره ، هو ان بعض القصائد يعوزها التنسيق ، وقد هممت ان اعيد ترتيب ابياتها ثم عدلت عن ذلك لاني محقق مكلف بتقـــويم النصوص ، وليس من شاني اعادة نسـق القصائد .

٦ ـ بعد ان اكملت التحقيق على الصورة المعروضة انفـــا قمت بضبط الكلمات ضبطا خفيفا يسهل القراءة ، ويرفع اللبس ، وبذلت وسعي في شرح الالفاظ ، وابراز معانيها، سالكا في ذلك طريقا وسطا بين الاسهاب والايجاز ليستفيد منه اكبر عدد من القراء ، وهم على ما اعتقد متفاوتون جدا في درجة ثقافتهم ، ثم عرّفت بالاعلام بتراجم مختصرة، وابرزت او صححت اسماء المدوحين التي خفي علمها على جامعي الديوان او نساخه ـ ما استطعت ـ مستندا في ذلك على ما تضمنته القصيدة من اسماء او القاب ، او كنى صريحة ، او حوادث تاريخية معينة .

٧ ـ رتبت الديوان على حروف المعجم ، مبتدئا في كل حرف بالمضموم ثم المفتوح ، ثم المكسور فالساكن . واضفت اليه كل زيادة وجدتها في احدى النسخ المتمـــدة ، وحذفت منه كل ما ثبت عندي بالدليل القطعي انه ليـس للازري ، فمن ذلك : قصيدة ليحيى بن سلامة الحصكفي المتوفى سنة ٥٥٣هـ ، واخرى لعزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ ، وقطعة لكمال الدين بن مطروح المتوفى سنة ٦٤٩ ، واخرى اوردها الابشيهي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ في كتابه المستطرف ، وقصيدة للشيخ حسين العشاري المعاصر لشاعرنا ، واخرى للشيخ محمد رضا الازري . ثم الحقت بالديوان تكملة اثبت فيها ما عثرت عليه في المصادر الاخرى منسوبا اليه ، واتبعت التكملة بملحقين ، الاول : يضم الشعر المنسوب للازري وهو ليس له ، والثاني : يضم قصيدتين وردتا مكررتين مع بعض الاختلافات ، فاثبت الاصل في الديوان ، واثبت المكرر في هذا الملحق .

طبعة الديوان السابقة :

طبع الديوان قبل طبعتنا هذه مرة واحدة في الهنـــد بالطبعة المصطفوية في (بمبي) سنة ١٣٢٠ هـ على نفقة الناشر المرحوم السيد رشيد السيد داود السعدي الموصلي ثـــم البغدادي . عدد صفحات هذه الطبعة (١٩٢) وعدد قصائدها (٩٨) بين قصيدة ومقطوعة ، تضم (٣٢٠٧) بيتا عدا المكـــرر والمنحول الذي مر ذكره . وهذه الطبعة غير مضبوطة بالشكل ، مليئة بالتصحيف والتحريف ، والاخطاء الفظيعة ، وقد جاءت فيها معظم العناوين واسماء المدوحين بعيدة عن الواقـــع . يضاف الى ذلك ان الناشر لم يشر الى المخطوطة التي طبـع عليها الديوان .

ومهما يكن في هذه الطبعة من عيوب ونواقص فان عمـل الناشر هذا قبل اكثر من سبعين سنة ، وتجشمه في سبيل ذلك مشاق السفر الى الهند ، وبذله المال اللازم ، عمل مشكور وتضحية لا يقدم عليها الا المتفاني في حب وطنه ، ولغة امته ، كيف لا وهو القائل في المقدمة :

« يقول رشيد بن سيد داود السعدي : لما رأيت ديوان فريد دهره وشمس عصره الشيخ كاظم الازري البغدادي مداح حضرة امير المؤمنين ، ويعسوب الموحدين ، الامام علي المرتضى عليه السلام تشتاق اليه الادباء لجودة شعره وسهولته وعذوبته احببت ان اتحفهم بطبعه ، وقد زاد شغفي ، وتضاعف شوقي لطبعه ونشره ما رايت فيه من المدائح ، والتهاني لاكابر بغداد الذين كانوا في القرن الثاني عشر من الهجرة ... » فجزاه الله جزاء العاملين المحسنين .

الديوان في وضعه الجديد :

اما طبعتنا هذه فقد بلغ عدد القصائد والمقطعات فيها مع التـكملة (١٤٣) تضـــم ٤٤٧١ بيتـــا ، اي بزيـــادة (٥١) قصـــيدة وقطعـــة تحتـــوي عـلى (١١٦٤) بيتا .

لا اجزم بان هذا الديوان ـ رغم كل الجهود المضنية التي بذلت في سبيل تحقيقه ـ قد خلص من الشوائب ، فليس من المستبعد انه لا يزال يضم شعرا لغير الازري (كالقصيدة ذات الرقم (٢٧) وغيرها) لم اتوصل الى معرفة أصحابه ، كما أكاد اقطع بان له شعرا كثيرا لا يزال مخبوءاً في بعض المجموعـــات الخاصة التي لم يتيسر لي الوقوف عليها ، بدليل ان لشاعرنا صلات قوية بشخصيات عراقية اخرى مرموقة لم يرد ذكرهـــا في الديوان ، وله مطارحات شعرية ومراســـلات مع الكثير من اخوانه الادباء والشعراء في بغداد والموصل والنجف وغيرهـــا . ولقد سعيت وراء هذه المجموعات بضع سـنين في عدة مـدن عراقية حتى تعبت ثم رجعت بخفي حنين ، وعسى ان يســعفني الحظ فاقف على هذه المجموعـــات كلها او بعضهـــا في الوقت المناسب .

وقبل ان اختم كلمتي عن الديوان اود التنويه باهميتـــه التاريخية بالاضافة الى قيمته الادبية .

فالشاعر ولد سنة ١١٤٣ ، وقامت دولة المماليك في العراق سنة ١١٦٢ وهو يافع ، وتوفى سنة ١٢١٣ على ارجح الروايات، أي انه عاش الحوادث الجسام في معظم ايام حكم المماليك ، ووعاها وسجلها بحكم اتصاله المباشر بالوالي سليمان باشا الكبير الذي دامت ولايته على العراق (٢٣) سنة ومدحه بالعديد من القصائد ، وكان على صلة وثيقة بالكثير من الشخصيات البارزة . ففي الديوان (١٨) قصيدة في مدح الحاج سليمان الشاوي عدا المشتبه بها و(٥) قصائد في مدح ابيه عبدالله الشاوي ، و (٥) قصائد في مدح ولده احمد ، وقصيدة في مدح اخيه محمد ، واخرى في مدح اخيه عبد العزيز . كما مدح الكثير من العلماء ، والزعماء وكبار الموظفين امثال السيد علي الاول نقيب الاشراف ، والشيخ جعفر الكبير ، والسيد صبغة الله الحيدري ، واحمد باشا كتخدا الوالي سليمان باشا الكبير والسيد يحيى الفخري ، والسيد عبدالله الفخري ، وولده السيد اسعد الفخري ، ومحمد امين باشا الجليلي وولده سليمان باشا الجليلي ، والشيخ حمود الحمود رئيس الخزاعل وعشائر الفرات الاوسط ، واحمد آل عبدالسلام البصري ، وغيرهم كثير . وفي معظم هذه القصائد سرد او اشارات عابرة لبعض الحوادث المهمة ، وتسجيل للعادات السائدة آنذاك ، تهم المعنيين بشؤون العراق الحبيب ، وتاريخه المجيد .

كلمة الختام :

لا اريد ان ابث ما عانيت وبذلت في سبيل تحقيق هذا الديوان واخراجه من العدم الى حيز الوجود ، فالجهد المبذول معوض باشباع الرغبة ، وراحة الضمير . ولكن المهم ارضاء القارىء الكريم الذي انتظر هذا الديوان اكثر من ستين سنة ، أي منذ ان نفذت الطبعة الهندية الصادرة سنة ١٣٢٠هـ ، فان تلقى الديوان بالرضا والقبول فذلك ـ بعد رضا الله ـ غاية مقصودي ، وان وجد فيه نقصا فليسعني عفوه ، وليتذكر ان العصمة والكمال لله وحده ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الاصطلاحات والرموز :

١ ـ استعملت ثلاثة انواع من العلامات لترقيم الهوامش هي :

النجمة (*) لتراجم الاعلام

الحروف الهجائية (أ ب ت) للهوامش التي لا تخص الشعر.

ارقام تسلسل ابيات الشعر للتفسير والتعليق .

٢ ـ واستعملت الرموز الآتية للاشارة الى نسخ الديوان المعتمدة في التحقيق :

ط = النسخة المطبوعة

خ/١ = المخطوطة العائدة لي

خ/٢ = مخطوطة مكتبة الاثار العراقية المسجلة برقم١٩٨٤ .

خ/٣ = مخطوطة ثانية لمكتبة الاثار مسجلة برقم ١٩٢١ .

خ/٤ = مخطوطة الاستاذ عدنان طعمة

خ/٥ = مخطوطة الاستاذ صالح الجعفري

خ/٦ = مخطوطة ثانية للاستاذ الجعفري

خ/٧ = مخطوطة الدكتور محمد صديق الجليلي

الاصول = النسخ التي اوردت القصيدة

الاصل = النسخة التي انفردت بايراد القصيدة .

● * ●

(١) قال يمدح اسعد افندي فخري زاده (*)ـ(أ)

١ ـ عبثت بلبك وجنة حمراء
أم لاعبتك ذؤابة سوداء

٢ ـ أم مرت النفحات وهي بليلة
فتحركت بحراكها الاهواء

٣ ـ أم أسهرت عينيك أخبار الألى
منعوا الرضا فتمنع الاغفاء

٤ ـ أم جاد المنام الخيال بزورة
ثم ارعوى فألمت البرحاء

٥ ـ أم جددت ذكرى الشباب لك الاسى
اين الشباب واين منه وفاء

٦ ـ كم مر في الماضين مثلك مدنف
عز الدواء له واعيا الداء

٧ ـ ولو ان دائرة النجوم تعشقت
ما دار في قطب لها ارحاء

٨ ـ ومن التعلل ان تطارحك المنى
ما في مطارحة المنى استغناء

٩ ـ يا صاحبي ما عز قط لطالب
الا الصديق واخته العنقاء

١٠ ـ هل فيك من صلة فتطرق بي الحمى
جادتك يانادي الحمى انداء

١١ ـ حي يروقك منه كيف لحظته
رشأ أغن وروضة غناء

١٢ ـ واذا سألت عن الفؤاد فانما
هتفت به يوم الحمى ورقاء

١٣ ـ تشدو فيسعدها البكاء على الاسى
ولربما نقع الغليل بكاء

١٤ ـ ولقد ذكرت بذي الاراكة منزلا
نشرت جناحيها به السراء

١٥ ـ حيث الكؤوس كأنهن حمائم
وكأن (لجلجلة) الكؤوس غناء

١٦ ـ ومذانب الغدران يطفح ماؤها
والدوح ترقص تحته الافياء

١٧ ـ واللثم يمتص الخدود كأنها
ديم الندى ظفرت به رمضاء

١٨ ـ حلت به حلل الشقيق كأنما
صبغت حواشي جانبيه دماء

١٩ ـ الراح تسكب في الزجاج كأنها
نار أحاط بجانبيها الماء

٢٠ ـ والجو وعث بالغيوم قد التقت
فيه الصفوف وضاق منه فضاء

٢١ ـ فكأن مرتكم السحاب عساكر
وكأن خافقة البروق لواء

٢٢ ـ لله من لوهم يسكب كأسها
غابت على آثاره الندماء

٢٣ ـ حتى اذا دبت بهم نشواتها
خروا لها موتى وهم احياء

٢٤ ـ من عاذري في وجنة موشية
زرت عليها اللامة الخضراء

٢٥ ـ لا تعجبن من اصفراري في رشا
حجبته عني الكلة الصفراء

٢٦ ـ علقت بأذيله النوى فكأنما
طارت بلب حشاشتي الكوماء

٢٧ ـ لم يشجني الا ترقرق مرشف
تحميه عني الطعنة النجلاء

(*) هو السيد أسعد بن السيد عبدالله الفخري من بيت علم وادب ، ومن السادة الاعرجية في الموصل . خلف والده بعد وفاته في كتابة ديوان الولاية ببغداد سنة ١١٨٨هـ . له ديوان باللغة التركية (مخطوط) . توفي في اوائل ايام سليم خان الثالث الذي تولى السلطنة سنة ١٢٠٣هـ (تاريخ الادب العربي في العراق ٢/٤٠ ضمن ترجمة عبدالله الفخري و ٢/٢٨٣) .

(أ) لا وجود لهذه القصيدة في خ/٢ وخ/٥ و خ/٦ .

(٢) في خ/٧ (النسمات) مكان (النفحات) .

(٤) ارعوى : رجع . البرحاء : شدة الاذى والمشقة

(٦) المدنف العاشق الذي اثقله المرض . عز الدواء : ندر فلا يكاد يوجد .

(٧) الارحاء ، جمع الرحى : الطاحون

(٨) طارحه الكلام : جاوبه ، والقى كل منهما الاسئلة على الآخر .

(١٤) ذو الاراكة : موضع باليمامة .

(١٥) اللجلجة : التردد في الكلام وفيها معنى . ولعل الاصوب (جلجلة) وهي شدة الصوت .

(١٦) المذانب ، جمع المذنب : مسيل الماء . الدوح ، جمع الدوحة : الشجرة العظيمة .

(١٨) الشقيق : نبات احمر الزهر مبقع بنقط سوداء ، ويسمى شقائق النعمان .

(٢٠) الجو : ما بين السماء والارض . الوعث : الشاق ، والعسر .

(٢٦) النوى : البعد . الكوماء : الناقة الضخمة السنام .

٢٨ ـ ويروقني للثم خـد مقرطـق
تنشـق عنــه شقيقـة حمراء

٢٩ ـ ويشوقني الشنب الشتيت كأنما
نفضـت عليـه صباغها الصهباء

٣٠ ـ كل المحاسـن للقلـوب جواذب
واخصـهن المقلـة الكحـلاء

٣١ ـ ياقلب جعجع عن هواك فقد ذوت
تلك الرياض وجـف ذاك المـاء

٣٢ ـ لا تطمعن من الهوى بمخـائل
هي ضـلة للدهـر واسـتهزاء

٣٣ ـ ان ضاع شعرك في الغرام فانمـا
بمديح أسـعد تسعد الشـعراء

٣٤ ـ ملك كـأن الجود أقسم باسمـه
أن لا تـرى بوجـوده فقـراء

٣٥ ـ آلاؤه مثل النجـوم سـوافرا
في كـل ناحيـة لهـا لألاء

٣٦ ـ علـم يمد العلـم من انـواره
فكأنمـا هـو للضياء ضيـاء

٣٧ ـ فلك احـاط بكل شيء وسعـه
فالبحر فيـه والخليـج سـواء

٣٨ ـ ولكل ليث من سطاه تحـذر
ولكـل غيـث في نـداه رجـاء

٣٩ ـ يرعى المعالي الغر خير رعايـة
فكأنهـن الاهـل والابنـاء

٤٠ ـ يرنو بنور الله حيث تراكمت
حجـب الغيـوب وطبق الاخفـاء

٤١ ـ متهـلل بالمكرمـات كأنمـا
غذيت نمير لبانـه الوطفـاء

٤٢ ـ صلت الجبين كأن غـر هباتـه
درر النجوم وداره الجـوزاء

٤٣ ـ في كل يوم للنضـار كتـائب
ولـه عليهـا الغـارة الشـعواء

٤٤ ـ لم يبـق باق للضـلال برشـده
ان الظـلام تميتـه الاضـواء

٤٥ ـ قد صافحت منه المكارم سيدا
بفعالـه تتـوج العليـاء

٤٦ ـ ويهزه بذل النـوال (فينثني)
فكأن راح الاريحـي عطـاء

٤٧ ـ ظفرت يد الرواد منه بمخصب
ثبتـت براحـة كفـه الآلاء

٤٨ ـ ان المنـاقب كلهـن بقيـة
من بعض ما تركت لـه الآبـاء

٤٩ ـ لم يقترن بدنيـة ومن الهـدى
والفضـل والتقـوى له قـرناء

٥٠ ـ يقضـي على المتمردين بأنمـل
للنـاس منهـا نعمـة وشـقاء

٥١ ـ وتدور شـهب المكرمـات بداره
فكأنمـا أرض الكريـم سـماء

٥٢ ـ طلق اليدين تكاد انواء الحيـا
تحكيـه لو لـم تسـقط الانـواء

٥٣ ـ تلقي الى يده الامـور عنانهـا
فيصرف الاشـياء كيـف يشـاء

٥٤ ـ كحلت به عـين السعود وركبت
في سـاعديه شجاعـة وسخـاء

٥٥ ـ وبل تسيل بل البطاح وبـارق
في كـل مقتـدح لـه ايـراء

٥٦ ـ ملك متى طلعت طـلائع رأيـه
نكصـت عـلى أعقابهـا الآراء

٥٧ ـ من آل أحمد والمقدسـة التي
للمجـد منهـا الطلعـة الزهـراء

٥٨ ـ ومطلق الدنيـا ثلاثا لـم يكن
لتغـره البيضـاء والصـفراء

---

(٢٨) المقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد (معرب). شقيقة حمراء : انظر شرح البيت (١٨) .

(٢٩) الشنب حدة في الاسنان . الشتيت : المفرق ، في ط ، و خ/٧ (الشنيب) .

(٣١) جعجع البعير : حركه للاناخة او الحبس او النهوض . في الاصول عدا خ/٧ (فانما) مكان (فقد ذوت) .

(٤١) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . اللبان : لبن الرضاع . في خ/٧ (غذت نمير لسانه الاطفاء) .

(٤٢) الجبين الصلت : الواضح ، والبـارز المسـتوى . الجوزاء : أحد ابراج السماء .

(٤٦) (فينثني) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف واضـح ، والصواب (فينتشي) .

(٥٢) الحيا : المطر . الانواء ، جمع النوء : نجم كانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منه ، فيقولون مطرنا بنوء السماك ، أو بنوء الثريا .

(٥٥) الايراء ، من أورى الزند ايراء : أخرج ناره

(٥٧) المقدسة : فاطمة الزهراء (ع) . في الاصول عـدا خ/٧ (فيها) مكان (منها) .

(٥٨) مطلق الدنيا : أمير المؤمنين علي (ع) لقوله من كلمة رواها ضرار بن ضمرة الكناني لمعاوية ـ (يادنيا غري غيري ، الي تشوقت ، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعـة فيها ... الخ) ـ الاستيعاب/١١٠٨ .

٥٩ ـ شهدت له سود الوقائع انـــه
في كلهــن لـــه اليـــد البيضـــــاء

٦٠ ـ يا ايها الهادي الى طرق التقــى
وكـــذا هـــداة العـــالم العلمـــاء

٦١ ـ اشكو اليك حـــوادثا دهريـــة
ضلت بهـــا من قبلنـــا القـــدماء

٦٢ ـ تغضي عن السفل الرعاع ومالها
عن وجه ذي الشيم العلى اغضاء

٦٣ ـ فاليك معتصـم الطريد ثوت به
لحضيضها البأســاء والضــــراء

٦٤ ـ ان الهدى علـم وانت منـــاره
ان العلـــى قمـــر وانـــت ســماء

٦٥ ـ ولانت اكرم جوهر من معشـــر
بيض اذا اعتكر الزمـــان اضــاؤا

٦٦ ـ يحمى نزيلهـــم ويأمن جارهـــم
ولو اســـتجارت فيهـــم الاعـــداء

٦٧ ـ انتم بنو المختار ليــس بمنكــر
لكم النـــدى والعفـــو والاعفـــاء

٦٨ ـ ما شأنكم نقض العهود وشأنكم
ابرام عهـــد المجـــد والايفـــاء

٦٩ ـ فاجدر ذيول الفخر ان اصوله
وفروعـــه اســــلافك النجبـــــاء

٧٠ ـ بكم تشرف جبرئيل واوجبــت
لـــكم عليـــــه مــــــودة وولاء

٧١ ـ اني [اهنئكم] بعيـــــد اكبــر
[ووجوهكم] شـــرف له وهنـــاء

٧٢ ـ بل انتم للعيـــد عيـــد اكبـــــر
بأســـاؤه بوجودكـــم ســـــــراء

٧٣ ـ لازلتم عون الضعيف [وركنه]
ما ضــــوعت بولاكـــــم النعمـــاء

---

(٦٠) في خ/١ و خ/٣ و خ/٧ (الغنى) مكان (التقى) .

(٦٣) المعتصم : الملجأ . الحضيض : القرار من الارض .

(٦٩) انفردت خ/٧ بايراد هذا البيت وما بعده الى آخـــر القصيدة .

(٧١) فيالاصل (انهيكم) مكان (اهنيكم) و (وجهكم) مكـــان (ووجوهكم) والتصحيف فيهما ظاهر .

(٧٣) الركن : العز ، والمنعة ، في الاصل (وكنهه) وهــــو تصحيـــف .

(٢) وقال يمدح سليمان بك الشاوي الشاهري الحميري (*)

١ ـ لمعت بروقهـــم عـــلى الدهنــــاء
فانحـــل عقد الدمعـــــة الحمراء

٢ ـ عرب متى انتشق العليل عرارهم
كانت رياحهـــم ريـــاح شـــــفاء

٣ ـ من كل مكحول اللحـــاظ باثمـــد
يجلـــو غشـــاء الطخيـــة العميـــاء

٤ ـ يستل من جفنيـــه ارهف صـــارم
فخـــرت بـــه الموتى على الاحيـــاء

٥ ـ واذا ذكـــرت حديث ربرب ضارج
لا تنس ذكـــر اهلـــة الـــــزوراء

٦ ـ بلد يفور الحسن من جنباتـــه
فوران غيـــث من عيـــون ســمـــاء

٧ ـ هي بلدة ام جنـــــة ام وجنـــة
شـــرقت بماء الدميـــة الادمـــــاء

٨ ـ لم انس ذكر الغيـــد اذ صارمنني
وعلمـــــن ان بقـــــاءهن بقـــــائي

٩ ـ ايـــام كـــانت للملاحـــة مـــوردا
تنشـــق عنـــه مصـــادر الاهـــواء

١٠ ـ ايام ما كـــانت تفيق من الهوى
حتى اســـتدارت دورة الاســــواء

(*) هو الحاج سليمان بن عبدالله الشاوي ، امير جليل ومن ابرز زعماء عشيرة العبيد . كان شاعرا اديبا . من اثاره : سكب الادب على لامية العرب ، وله مبرات جليلة منهـــا انشاء خان كبير بين قرية المحاويل وكربلاء يأوي اليه زوار العتبات المقدسة ، ووقف عليه اوقافا كثيرة ، كما انشـــأ مدرسة وجامعا في عانة ووقف عليهما اوقافا . اغتاله احـــد اقاربه (محمد بن يوسف الحربي واولاده) في انحاء الخابور سنة ١٢٠٩ هـ . انظر ترجمته في تاريخ الادب العربي في العراق ٤١/٢ ، وتاريخ العراق بين احتلالين (فهـــرس الجزء السادس) ، وتاريخ العصور المظلمة (الفهرس) ، ولب الالباب/١٧٨ .

(١) الدهناء : ارض واسعة من ديار بني تميم .

(٢) العرار : بهار ناعم اصفر طيب الرائحة .

(٣) الاثمد : حجر يكتحل به . الطخية : الظلمة ، والطخياء : الليلة المظلمة .

(٥) الربرب : القطيع من بقر الوحش . ضارج : موضع بين اليمن والمدينة . الزوراء : بغداد .

(٧) الدمية : الصورة المنحوتة منالرخام تضربمثلا في الحسن. الادمـــاء : السمراء .

(٩) الاهواء ، جمع الهوى : ميلان النفس الى ماتستلذ من الشـــهوات .

(١٠) في الاصول عدا خ/٦ (يضيق) مكان (تفيق) .

١١ ــ أترى الزمان درى بما أوعى لنا
ان الزمان وعاء كل بلاء

١٢ ــ ونفائس الدنيا لاهل زمانها
كالماء خانته فروج اناء

١٣ ــ لله قوم كلما غلت النوى
رخصت نفوسهم على الاهواء

١٤ ــ وجدوا بمفنية الغرام بقاءهم
فمشوا اليها مشية الغرماء

١٥ ــ فهموا اشارات الهوى قبل الهوى
ما أقنع الاكياس بالايماء

١٦ ــ اشقيتموني بعد اسعادي بكم
والمرء بين سعادة وشقاء

١٧ ــ نبهتموني للغليل وان اكن
عن لذة الاغفاء في اغفاء

١٨ ــ لي فيكم قلب يقلبه الجوى
في بردتين مودة ووفاء

١٩ ــ ومحاجر نجل الجراح كأنها
شرقت بوخز الطعنة النجلاء

٢٠ ــ يا أهل ودي هل يضيء زماننا
فيعود فيء الدوحة الخضراء

٢١ ــ حي (اللويلات) التي سلفت لنا
ما بين سالفتي سنى وسناء

٢٢ ــ حيث الصبا حالي الاديم كأنما
تلوى عليه ضفيرة الجوزاء

٢٣ ــ لا تنكروا دمع المحب فانه
كرة تدفق من كرات الماء

٢٤ ــ ودعوا حجاب البين فيما بيننا
ياشمس لا تتبرقعي (بسماء)

٢٥ ــ ياصاحبي ترفقا بي انني
كالريح قد علقت بذيل هباء

٢٦ ــ لا تطلبا مني الهدوء فانني
أعددته هديا ليوم لقائي

٢٧ ــ ومتى دعا داعي الصلاح فان لي
اذنا اليه شديدة الاصغاء

٢٨ ــ ضمنت لبارقة الفراق مفارقي
فليهنهن اليوم ري بكائي

٢٩ ــ تسقى بأدمعي الديار كأنها
غلل تبل بديمة وطفاء

٣٠ ــ يابينهم كن كيف شئت فانما
برحائي الاولى بهم برحائي

٣١ ــ هيهات توقفني على سلوانهم
سارت (مطايا) الحب في الاعضاء

٣٢ ــ يابعد ان غطى حجابك (عنهم)
فالشوق يهتك ستر كل غطاء

٣٣ ــ انا من علمت رضعت ثدي وصالهم
وعلى الولاء طبعت والايفاء

٣٤ ــ ان عيل صبري من اذاك فانما
ذاك الزناد كبا عن الايراء

٣٥ ــ كنا نشاوى اللهو قبل وداعهم
واليوم طارت نشوة الصهباء

٣٦ ــ اتروم مني اللهو صوّح عوده
هيهات أدلي في المحال دلائي

٣٧ ــ يا محدرا بالبيض دون مزاره
سيل البطاح بأنفس الامراء

٣٨ ــ لم أطو كشحا عن هواك وانما
علق الفراق بأذيل الرفقاء

---

(١١) اوعى : خبأ ، وجمع ، وحفظ .

(١٣) الاهواء ، جمع الهوى : العشق ، والمعشوق .

(١٦) في الاصول عدا خ/٥ (بعد) مكان (بين) .

(١٩) المحاجر ، جمع المحجر : ما دار بالعين . النجل ، جمع النجلاء : الواسعة . في الاصول عدا خ/٧ (تجلى الجراح) .

(٢٠) يفيء : يرجع . الفيء : الظل . الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة من اي الشجر كانت .

(٢١) (اللويلات) كذا ورد في الاصول والصواب (الليبلات) . سلفت : مضت ، وتقدمت . السالفة صفحة العنق ، وهما سالفتان .

(٢٢) اديم الصبا : أوله ، ورونقه . الجوزاء : اسم يطلق على احد البروج الاثني عشر .

(٢٤) (بسماء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بطخاء) او (بعماء) او (بطحاء) وكلها بمعنى السحاب الكثيف .

(٢٧) في ط ، و خ/١ (داعي الفلاح) .

(٢٩) الغلل ، جمع الغلة (بالضم) كالغلالة (بالكسر) : شعار يلبس تحت الثياب . الديمة : مطر يدوم في سكون . وطفاء : مسترخية لكثرة مائها .

(٣٠) البين : الفراق . البرحاء : شدة الاذى والمشقة .

(٣١) (مطايا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (طوايا) جمع طوية ، وهي الضمير والنية .

(٣٢) (عنهم) كذا ورد في الاصول . والصواب (عينهم) والعين: الانسان ، واهل البلد ، واهل الدار ، والجماعة ، وخيار الشيء ، ومعان اخرى .

(٣٣) في الاصول عدا خ/٧ (من علمة) مكان (انا من علمت) .

(٣٨) طوى الكشح عنه : اعرض عنه . الاذيل ، جمع ذيل ، وهو اخر الثوب ، والازار .

٣٩ ــ كم بت أرعى السائرات كأنني
منها اراقب أعين الرقباء

٤٠ ــ خانت بذمتي الخطوب وهل لها
الا الكريم بقية الكرماء

٤١ ــ المدرك الامد البعيد بسابق
من دون خطوته بلوغ ذكاء

٤٢ ــ الخارق النوب الشداد برايه
خرق الصباح غلالة الظلماء

٤٣ ــ شغف الصبا منه بأبلج واضح
سالت عليه غدائر العلياء

٤٤ ــ يحيي براحته السخاء وربما
تؤذي شحيح الطبع ريح سخاء

٤٥ ــ القاتل الآلاف يوم كريهة
والواهب الآلاف يوم عطاء

٤٦ ــ والطاعن البهم الكماة بنافذ
يمضي مضاء النار في الحلفاء

٤٧ ــ قناص حرب يعتري آسادها
فيصيدها بالصعدة السمراء

٤٨ ــ واخو السجايا المغدقات كأنها
(أخلاق) كل ملثة وطفاء

٤٩ ــ ريحانة الادباء بل ياقوتة (م)
الامراء بل اقليدس الحكماء

٥٠ ــ ذو راحتين يد على العادي ردى
ويد جدى وندى على الفقراء

٥١ ــ واغر في مرآة جوهر علمه
لاحت وجوه غوامض الاشياء

٥٢ ــ ينبوع روحانية الحكم التي
تنهل بالانوار والانواء

٥٣ ــ قيسي راي لا ترى آراءه
الا الملوك رعية الآراء

٥٤ ــ عبل الجلاد رقيق حاشية الندى
للمجد فيه مجامع الاهواء

٥٥ ــ لم تنكر الايام حدة عزمه
فأتته ماشية على استحياء

٥٦ ــ يا ابن الذين اذا تعطلت الوغى
كانوا حلي عواطل الهيجاء

٥٧ ــ والمرتقين الى ثنيات المنى
بسراة كل طمرة جرداء

٥٨ ــ والسائقين الى الملوك سحائبا
لا تستهل بغير ماء دماء

٥٩ ــ ان شف وصفك عن ملاحظة النهى
فالماء لا يبدو لعين الرائي

٦٠ ــ واذا اتخذت لك النوال تميمة
فالمكرمات تمائم الكرماء

٦١ ــ خفيت معانيك الحسان عن الورى
والكيمياء أحق بالاخفاء

٦٢ ــ فاسلم ودم في عيشة شرفية
تنحط عنها همة الشرفاء

٦٣ ــ للسعد في كلتا يديك ازمة
ولحادثات الدهر طوع اماء

٦٤ ــ فأنا ابن ودكم الطبيعي الذي
كانت مودته من القدماء

---

(٣٩) السائرات : يريد بها النجوم . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ (كأنما) مكان (كأنني) .

(٤٣) الابلج : المشرق . الغدائر جمع الغديرة : الذؤابة . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٤٤) في خ/٣ و خ/٥ و خ/٦ (تحييه رائحة السخاء) وفي خ/٧ (شغف لرائحة السخاء) .

(٤٦) البهم : الشجعان . الكماة ، جمع الكمي : لابس السلاح . في خ/٧ (الاعضاء) مكان (الحلفاء) .

(٤٧) يعتري الآساد : يغشاهم . في ط و خ/٣ و خ/٦ (آساده) . وفي الاصول عدا خ/٧ (فيصدها) مكان (فيصيدها) . الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى مثقف .

(٤٨) (اخلاق) كذا ورد في الاقوال والصواب اخلاف ، جمع (خلف) : حلمة ضرع الناقة ، يقال : درت اخلاف السحاب .

(٥٣) قيسي راي : نسبة الى قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، أحد السادة القادة ، وكان يلقب بقيس الراي لجودة رايه، وهو معدود في الامراء والشجعان ، والدهاة ، والخطباء ، والشعراء . (الاعلام للزركلي ٥٥/٦) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ ، وفي ط و خ/١ و خ/٢ و خ/٣ (رعية الامراء) .

(٥٤) عبل : ضخم . الندى : الجود

(٥٦) في الاصول عدا خ/٥ و خ/٦ (عواطل الاشياء) .

(٥٧) الثنيات ، جمع الثنية : العقبة ، والجبل . السراة : الظهر . الطمرة : الفرس الجواد . الجرداء : القصيرة شعر الجلد .

(٥٩) شف : رق ، وزاد ، ونقص ، والمعنى الاول او الثاني هو المقصود . النهى : العقل .

(٦٠) التميمة : العوزة . في الاصول عدا خ/٧ (السؤال) مكان النوال .

(٣) وقال يمدح سليمان (١) باشا الكبير

١ ــ حدث عن السعد لا نكر ولا عجب
فالسعد بحر من الاقدار منسكب

٢ ــ ولا تظن القنا تجدي بمفردهـــا
السعد راس واطراف القنــاذنب

٣ ــ لولا ملاحظة الافلاك من صـــعد
ما كان قلبالحديد الصلد ينجذب

٤ ــ كم فتية لحظ التأييـد قلتهـم
وغالبوا العـدد الاوفى فما غلبوا

٥ ــ والحظ يمنح لاجود ابن منجبـة
فربما لم تجـد بالقطرة السحب

٦ ــ لولا الحظوظ لما الفيت ذا بلـه
يجنيالنضـار وشهمالقوم يحتطب

٧ ــ تا لله كم قاعد يؤتى خزائنهـــا
وربمـا لا ينال القـوت مكتسب

٨ ــ اما ترى كيف قاد الحظ موكبـه
الى سليمان حتى انقــادت الرتب

٩ ــ ياأيها العـدل والجود ارقصا طربا
فما يعـاب على مثليكما الطـرب

١٠ ــ وافاكماالعادلالبر الذيانشعبت
به المظـــالم والتامت بـه الارب

١١ ــ وافى المؤدب فالدنيا وان جهلت
فاليوم يقطر من اطرافهــا الادب

١٢ ــ ابدت قوارعها الفضبىبشاشتها
من بعد ما كان يفريدرعهاالغضب

١٣ــ وافى اخـو نهز باتت تسالمـــه
خيل الليالي التي من شأنهاالحرب

١٤ ــ شديد عـزم كأن الحزم قال له
لا يصدق النيل حتىيصدقالطلب

١٥ ــ فضائل حملتهن الثـرى عجبا
وفعل هذي الليالي كلها عجـب

١٦ ــ كأنـــه وملـوك الارض في همم
خزر العواسل يومالطعن والقضب

١٧ ــ لا يقبل الفتح الا حكـم صارمـه
تلك الرحى ما لها من غيره قطب

١٨ ــ فتح يدور على حدي مخذمـه
كما يدور على مشـــمولة حبب

١٩ ــ له يد ليس يصلى نارها رجـل
وكان من طرفيهــا الماء ينســكب

٢٠ ــ وحسب جحفلـه المرعي جانبه
جياد نصـر متى هموا بها ركبوا

٢١ ــ من كل ذي شطب في متنه أسد
تنقد من لحظـــه الماذيــة اليلب

٢٢ ــ تلاعبوا بالمنــايا عــابثين بهـــا
كـأن جد المنايا عندهـم لعـــب

٢٣ ــ يؤمهـم علـم الاسـلام معلمـه
لولاه لم تصب الاوثــان والصلب

٢٤ ــ موكل بحجاب الغيب يخرقـــه
فما عليــه بحمد الله يحتجـب

٢٥ ــ اذا رمى عن قسي الرأي أسهمه
مضت تميط له ما وارت الحجب

٢٦ ــ يافارسالخيلمقريها أسود وغى
ادنى فرائســها الايام والنوب

٢٧ ــ اتعبت حزمك فارتاحت عواقبها
من الامــاني وعقبى الراحة التعب

٢٨ ــ ان المناصب لم تدرك بلا تعــب
كأنمــا ابواهــا الجد والنصـــب

---

(١) وردت هذه القصيدة في خ/١ و خ/٣ و خ/٦ بغير عنوان ، وجاء في ط و خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ و خ/٧ انها في مدح الحاج سليمان بيك الشاوي ، والصواب انها في مدح سليمان باشا الكبير ، وهو السادس من (البشوات) المماليك في العراق ، تولى بغداد سنة ١١٩٤ هـ واستمر حكمه الى ان توفى سنة ١٢١٧ (دوحة الوزراء /٧٣–٢١٨) ودليلنا على ذلك ان الشاعر تكلمفيالبيت (٢٨) ومابعده الىاخرالقصيدة عن حرب الممدوح مع خزاعه ، وكيف انهم استعملوا الخداع (محاولتهم اغراق الجيش) وانه حاربهم بسلاحهم فسد عنهم نهر الفرات حتى جاؤا اليه مستسلمين فعفى عنهم . وتلك وقعة مشهورة للباشا المذكور مع خزاعة حدثت سنة ١١٩٩هـ (انظر العراق بين احتلالين ٦/٩٤) .

(١) في خ/١ (فالسعد مجرى) وفي خ/٧ (من الاكدار منسكب) .

(٣) الافلاك ، جمع الفلك : مدار النجوم . الصعد (بالتحريك) الموضع العالي .

(٥) لا وجود لهذا البيت في ط و خ/٣ و خ/٦ .

(٦) البله : ضعف العقل . النضار : الذهب

(١٣) النهز (ككتف) : الاسد . الحرب (بالتحـــريك) : السلب . في الاصول عدا (ط) ــ (باتت مسالمة) .

(٢١) ذو شطب : سيف في نصله خطوط . في متنه : في قوته. الماذية : الدرع اللينة . اليلب : الفولاذ ، والـــدروع اليمانية . كذا ورد صدر البيت ولعل الصواب (من كل ذي شطب في كف ذي لبد) .

(٢٢) في خ/٧ (ماثلين بها) و (حب المنايا) .

(٢٥) في ط ، و خ/١ و خ/٦ (ماوارب) مكان (ماوارت) وفي الاصول عدا خ/٧ (يميط لها) .

(٢٦) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٢٨) في الاصول عدا خ/٤ (بلا نصب) مكان (بلا تعب) .

٢٩ ـ ورب عادية أخمـدت جذوتهـا
بارق المتن لـم يخمد لـه لهب

٣٠ ـ حطمتها حطمة تهني الوغى وكفى
لنـار سـيفك من آجالهـا حطب

٣١ ـ تركتهم اذ شطرت الخيل شطرهم
كاليم تضـربه ريـح فيضطـرب

٣٢ ـ حسرى على الامن قد شالت نعامته
منها وعرس في ابياتهـا الرعـب

٣٣ ـ نهضت بالجد لم تعمد على حسب
والجد ينهض بالانسان لا الحسب

٣٤ ـ انت المقدم في اولى طلائعهـا
وهي السحائب خلف الريح تنسحب

٣٥ ـ تا لله لو مطرت بالموت ديمتهـا
لاصبحوا مرتعا ترعى به القضب

٣٦ ـ رأت خزاعة من عطفيك ذا لبـد
لـه الفتـوة أم والابـاء أب

٣٧ ـ وفي أناملـك الآمـال لامعـة
كأنهن بـروج حشوهـا الشـهب

٣٨ ـ وفي جبينك من رقمي ظبى وقنا
حروف مجد خلت من مثلها الكتب

٣٩ ـ فأيقنوا انك الاوفى اذا وزنـوا
وانك الكاتب الماحي لمـا كتبـوا

٤٠ ـ قادوا نفوسا الى ناديك سامية
لـم ترضها من سماوياتها رتـب

٤١ ـ وارغموا لك اجـلالا انوفهـم
لمـا رأوا بك انف الدهر يقتضب

٤٢ ـ ولو أتـوك على رأس بلا قـدم
لما قضوا لك الا بعض ما يجـب

٤٣ ـ لم تنجهم خرزات الطعن من تلف
لـكن نجوا هربا فليحمد الهـرب

---

(٢٩) العادية : جماعة القوم يعدون للقتال ، وقيل اول من يحمل من الفرسان ، او الرجالة . في ط (عارية) مكان (عادية) ، وفيها وفي خ/٥ و خ/٦ (لها لهب) . لا وجود لهذا البيت والبيتين اللذين بعده في خ/٧ .

(٣٠) تهني الوغى : تشبعها ، يقال : اكلنا الطعام حتى هنئنا ، اي شبعنا .

(٣١) شطرت الخيل شطرهم : وجهتها قصدهم . في ط و خ/١ و خ/٣ و خ/٦ (شطرتهم اذ شطرت) .

(٣٦) خزاعة : القبيلة المشهورة وتسمى في العراق (الخزاعل) . كانت لها امارة عظيمة في الفرات الاوسط في عصر حكومة المماليك في العراق . ذو لبد : الاسد . في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٦ (وعت) مكان (رأت) .

(٤١) قضب انفه : قطعه .

(٤٣) خرزات الطعن : نظامه .

٤٤ ـ ظنوا الظنون وراحوا يخبطون بها
عشواء يركض فيها الغي والريب

٤٥ ـ أظماهم العجز فاستسقوا خداعهم
ولـم الخل لبن الشولاء يحتلـب

٤٦ ـ تابوا ولكنهم من بعد ما عطبـوا
ما استنبط الراح حتى عذب العنب

٤٧ ـ لم يسلموا رغبة بل عاينوا هِمما
بجلبها بيضـة البيضـاء تجتلب

٤٨ ـ وجحفـلا يتهـادى في أكفهـم
من المنى والمنايـا جحفـل لجب

٤٩ ـ شروا بذاك الفدا أمنا لانفسهم
والامن طورا ببذل المال يكتسب

٥٠ ـ ونازلـونا بأرمـاح مثقفـة
من السـؤال فنالوا كل ما طلبـوا

٥١ ـ فان طلبت الفدا صونا لعرضهم
فـان صون العذارى بعض ماتهب

٥٢ ـ تالله ما حكموا الا اخـا كـرم
يرضى بتحكيمه العرفان والادب

٥٣ ـ أشـف من جوهر الاكسير نائله
هـذا ومطلبه للنـاس مقتـرب

٥٤ ـ لـه من الله أسـباب تؤيـده
مهما بدا سـبب منها بدا سـبب

٥٥ ـ ألقى عصا أمره في المـاء مندفقا
فقـام بين يديـه وهو منتصـب

٥٦ ـ يبين عن معجـم العليـاء معربها
لا العجم تدرك معناه ولا العـرب

٥٧ ـ سـد سددت ثغور المفسدين به
فصار للمجد شعبا ليس ينشعب

---

(٤٥) الشولاء : الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها اصلا . في الاصول عدا : ط ، و خ/٥ و خ/٦ ورد عجز هذا البيت وعجز البيت الذي بعده كل بمحل الاخر . هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في خ/٧ .

(٤٦) (تابوا) كذا ورد في الاصول ولعلها (ثابوا) . في ط ، و خ/٢ (لم يصلح الراح حتى يفسد العنب) .

(٤٧) لم يسلموا : لم ينقادوا ، ولعلها (ما استسلموا) . الجلب : السوق ، والجمع . البيضاء : الداهية .

(٥٠) (ونازلونا) كذا ورد في الاصول ، ولعله (ونازلوك)

(٥٣) أشف : الطف ، وافضل . الاكسير : ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله الى ذهب خالص ، وهو من خرافات الاقدمين .

(٥٤) بدا (الاولى) من بداله في الامر بدوا وبداء : نشأ له فيه رأي ، و (الثانية) من بدا بدوا وبدوا : ظهر ، وبان .

(٤) وقال يمدح عبدالله بيك الشاوي الحميري (*) بعد تغلبه على بعض المتمردين في أطراف ماردين (أ)

١ ـ هي الهجائن والقب السراحيب
فاطلب بها المجد ان المجد مطلوب

٢ ـ واقدم بها غير هياب ولا وكل
فكل أمر جرى في اللوح مكتوب

٣ ـ وخلها في سبيل المجد مرقلة
فكل سعد بغير السعي مكذوب

٤ ـ ولا ترم مطلبا الا بقائمه
فما وعود المنى الا اكاذيب

٥ ـ واصحب صروف الليالي في تقلبها
فلليالي تصاريف وتقليب

٦ ـ واشرف الملك ما أرست قواعده
بيض المباتير والسمر اليعاسيب

٧ ـ وخض بها غمرات الموت مقتحما
فالدر تحت عباب اليم محجوب

٨ ـ وانزل على طاعة الاقدار محتسبا
فان من غالب الاقدار مغلوب

٩ ـ وما لأم العلى كفؤ سوى رجل
بنانه بدم الاقران مخضوب

١٠ ـ وأعلم الناس بالعلياء مطلبة
من حنكته بها منه التجاريب

١١ ـ وان تكن جاهلا في نهج مطلبها
فذاك نهج بعبدالله ملحوب

١٢ ـ القائد الفيلق الشهباء يقدمها
منه طويل نجاد السيف يعسوب

١٣ ـ كتائب مثل موج اليم ذي لجج
تسري به ولخيل النصر تسريب

١٤ ـ ورب دهياء غشى الدهر غيهبها
به انجلت عن دياجيها الجلابيب

١٥ ـ مجد سما [لذرى]العيوقممتطيا
فللمنى فيه تصعيد وتصويب

١٦ ـ فقل لمن بالعلى امسى يطاوله
لا تستوي الاكم والشم الاخاشيب

١٧ ـ تلك العلى بسواه قلما اجتمعت
مراتب زانها جمع وترتيب

١٨ ـ وان تجد عجبا منه فلا عجب
وما ببدع من البحر الاعاجيب

١٩ ـ فليهنه من سماء المجد منزلة
لها على النسر تأبيد وتطنيب

٢٠ ـ من اصيد خفقت راياته وسمت
فاهتز منها الصياصيوالاهاضيب

٢١ ـ فساق من ماردين الماردين وقد
ولى رجوما عليها ساقها الحوب

٢٢ ـ وحلها بعدما (عاد) الخلاف بها
واليوم يسرح فيها الشاء والذيب

(*) هو عبدالله بن شاوي الشاهري، ابرز زعماء عشائر العبيد. تولى ادارة شؤون العشائر في العراق. قتله الوزير عمر باشا سنة ١١٨٣هـ خوفا من اتساع نفوذه. هكذا ورد تاريخ الوفاة في (العراق بين احتلالين) ٤١/٦ و (الاعلام) للزركلي ٢٢٤/٤، غير ان الشاعر أرخ وفاة المترجم له سنة ١١٨٨ في اخر بيت من القصيدة (٣٧) التي مطلعها:
لعمري خلت تلك الديار ولم تزل   مطالع سعد او مطارح جود
ولان هذا التاريخ ورد في قصيدة اخرى في رثاء السيد عبدالله الفخري فلا يعول عليه:

(أ) ماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دارا، ونصيبين. كانت في العهد العثماني تابعة لديار بكر، وتلحق في بعض الاحيان بولاية بغداد. ولم اجد ما يلقى الضوء على وقعة ماردين هذه في المصادر التي تحت متناول يدي.

(١) الهجائن: من الابل البيض الكرام. القب، جمع الاقب: الضامر من الخيل. فرس سرحوب: طويلة، توصف به الاناث، جمعها سراحيب.

(٣) لا وجود لهذا البيت في خ/٧.

(٤) بقائمه، اي بقائم السيف.

(٦) الرماح اليعاسيب: الضامرة المثقفة.

(٩) في الاصول عدا خ/٧ (الاقدار) مكان (الاقران).

(١١) النهج: الطريق. الملحوب: الواضح.

(١٢) الفيلق الشهباء: الكتيبة الشديدة، وعبارة اساس البلاغة (رماهم بفيلق شهباء وهي الكتيبة المنكرة). اليعسوب: الرئيس الكبير. في الاصول عدا خ/٧ (يعبوب).

(١٣) التسريب: مرور الخيل سربا، اي جماعة بعد جماعة.

(١٥) العيوق: نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن. في خ/٧ (مجد معاكند العيوق)، وفي باقي الاصول (مجد سما لثرى العيوق) ولعل ما اثبته هو الصواب.

(١٦) الاخاشيب: الجبال العظيمة، في خ/٧ (الشمالاحاسيب).

(١٧) في الاصول عدا خ/٧ (قط ما اجتمعت)

(١٩) النسر: كوكب، وهما نسران: النسر الواقع، والنسر الطائر. التأبيد: الدوام الى الابد. التطنيب: شد البيت بالاطناب. في الاصول عدا خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ (تأبيد وتطييب).

(٢٠) الصياصي: الحصون. الاهاضيب، جمع الهضبة: ما ارتفع من الارض.

(٢١) ماردين: مر ذكرها انفا في الفقرة (أ). الماردون: العصاة المتمردون على الحكومة. الحوب (بالضم): الهلاك.

(٢٢) حلها: نزل بها. (عاد) كذا ورد في الاصول، والصواب (عاث). وفي الاصول ايضا عدا خ/٦ (الشاة) مكان (الشاء).

٢٣ ــ وطبق الغرب بعد الشرق نائله
وللسحائب تشريق وتغريب

٢٤ ــ فجرد القرم منه حد ذي شطب
ظام لفيض دم الاعداء شريب

٢٥ ــ والسعد مقترن والرفد مقترب
والجيش والعدل منصور ومنصوب

٢٦ ــ وكل قافية في المجد قد بهرت
له الموازين منها والتراكيب

٢٧ ــ مكارم نظمت في الشعر فابتهجت
تلك القواليب منه والاساليب

٢٨ ــ ولى الألى عقلوها في معاقلها
ضحى تظلهم الغيم الانابيب

٢٩ ــ فمن لقلبي بجمع الشمل شملهم
فيرتوي بزلال الماء ملهوب

٣٠ ــ وهل تبلغني عنهم مغلغلة
واطيب الريح ما يهدى به الطيب

٣١ ــ بمن وممن وفيمن بعدهم ولمن
نبت بأهل العلى المهرية النيب

٣٢ ــ ورب سيف برى أوداج صيقله
وحافر لقليب فيه مقلوب

٣٣ ــ فلا يهمك غيظ الحاسدين اذا
ما أبرموا أمرهم فالامر (ترتيب)

---

(٢٤) القرم : السيد ، والعظيم . الشطب ، جمع الشطبة : طريقة السيف في متنه .

(٢٦) القافية : القصيدة . في ط (شهرت) مكان (بهرت) .

(٢٧) القواليب ، جمع القالب : الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها ، وفي اساس البلاغة (يتقلب في قواليب الانتساب ، ويخبط في أساليب الاكتساب . في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٤ و خ/٦ (اقاليب) مكان (قواليب) وفي خ/٧ (المثاليب) مكان (الاساليب) .

(٢٨) الغيم (بالكسر) جمع الغيمان : العطشان . الانابيب : الرماح ، ويريد انها متعطشة للدماء . لا وجود لهذا البيت في خ/٤ .

(٣٠) المغلغلة : المطيبة ، والرسالة المحمولة من بلد الى بلد . في ط ، و خ/٣ (تبلغنني) مكان (تبلغني) ، وفيهما وفي خ/١ (وأطيب الطيب) .

(٣١) نبت : بعدت . المهرية : الابل المنسوبة الى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، يقال انها تسبق الخيل . النيب : الابل المسنة .

(٣٢) الاوداج ، جمع الودج : عرق الاخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة . في ط ، و خ/٣ وخ/٤ و خ/٦ و خ/٧ (منه) مكان (فيه) .

(٣٣) (ترتيب) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (تتبيب) من التباب ، وهو النقص والخسران .

(٥) وله (أ) في مدح أحمد بيك (*)

١ ــ هل المجد الا مرهف الحد أحدب
واتلع موار العنان مكوكب

٢ ــ ومن يدعي العلياء فيما سواهما
تجبه العلى جدعا لانفك تكذب

٣ ــ وليس يسوس الملك الا سميدع
طويل الشوى شثن البراثن اغلب

٤ ــ ومن يعشق العلياء لم يمقت الردى
ومر الاسى في المالكية يعذب

٥ ــ ورب هوان يسهل الموت عنده
وينسيك صعب الموت ما هو اصعب

٦ ــ وفي كل شيء لو تقسمت آية
واعجب ما في الدهر من ليس يعجب

٧ ــ ولم يرصفو العيش من فاته الصبا
فان القذى في آخر الكأس يرسب

٨ ــ وكم معرب اهواءه وهو معجم
وكم معجم خشناءه وهو معرب

٩ ــ ورب ثناء عند آخر سبة
وابعد من شانيك من هو اقرب

(أ) هذه القصيدة غير موجودة في خ/٥ و خ/٦ ، ولا يوجد منها في ط سوى البيتين (١٢) و (١٣) ، ووردت في خ/١ و خ/٤ بغير عنوان وفي سائر الاصول انها في مدح احمد بيك .

(*) احتمل انه احمد بن الحاج سليمان الشاوي . ورد ذكره في دوحة الوزراء/١٨٥ بان الحكومة وجهت سنة ١٢٠١ هـ حملة الى جهة الخابور للاجهاز على الحاج سليمان الشاوي ، وعشائره المتجمعة هناك ، ، ولما علم الحاج سليمان بامرها وجه معظم قواته بقيادة ولده احمد فباغت الحملة بهجوم خاطف قرب الفلوجة ، وقتل منها عددا كبيرا ، منهم (الكوى سنجقلي بكر باشا) واسر قائدها (خالد اغا) ومتصرف كويسنجق (محمود باشا آل تمر باشا) وتشتت الباقون . وورد ذكره في تاريخ العراق بين احتلالين ١٥٥/٦ في حوادث سنة ١٢١٨ هـ : ان الوزير (علي باشا) غضب على محمد بيك وعبدالعزيز بيك ولدي عبدالله الشاوي فأمر بخنقهما فخنقا ، وكان معهما احمد بيك بن الحاج سليمان فقيد وحبس (انتهى) ولم اقف على تاريخ وفاته .

(١) الاحدب : السيف . جواد أتلع : طويل العنق . موار : متحرك . مكوكب : فيه غرة وتحجيل .

(٣) السميدع : السيد الكريم الشجاع . الشوى : اليدان ، والرجلان . الشثن : الغليظ والخشن . البراثن ، جمع البرثن ، وهو من السباع بمنزلة الاصابع من الانسان .

(٦) تقسم فلان : فكر وروى بين امرين . في خ/٢ و خ/٧ (توسمت) وفي خ/٣ (قسمت) وفي خ/٤ (توسمنا) مكان (تقسمت) وما اثبته من خ/١ .

(٨) في الاصول عدا خ/٧ (اهواء) مكان (اهواءه) و (حسناء) مكان (خشناءه) .

١٠ ـ ولا يصطلي الهيجاء الا ابن امها
فما مربض الآساد للعين ملعب

١١ ـ وصمم اذا ما امكنتك مضارب
الارب خير كان بالشر يجلب

١٢ ـ ولاتحسمن حبل الوداد على النوى
فرب بعيد بالمودة يقرب

١٣ ـ ولازم ذوي الاحساب في كل حاجة
الا كل ما يبدو من الطيب طيب

١٤ ـ وماالفضل الا فضل احمدعصره
وان رغمت آناف قوم وكذبوا

١٥ ـ وراعت فؤاد الدهر منه بأروع
تناشد غسان فتسمع تغلب

١٦ ـ حليم تجلي اوجه الغيب دونما
يراه وهل يبقى مع الشمس غيهب

١٧ ـ ويفخر بالطولى من الكوم عرعر
وانجبها لوعد في البدن انخب

١٨ ـ ويهتز للعرف اهتزازا كأنه
من البيض سيال الفرند مشطب

١٩ ـ فتى طبق الآفاق (فضلا) ونائلا
فاضحى على الحالين يرجي ويرهب

٢٠ ـ من القوم جلى فعلهم عن نجارهم
وفعل الفتى عن مضمر الاصل يعرب

٢١ ـ ومن عجب في الحال تجني رضاءه
ويوشك تجني السم ان بات يغضب

٢٢ ـ وخافقة الاعلام تلهب نارها
بدا كوكب منها اذا شال كوكب

٢٣ ـ رميت بصدر ابن الوجيه فؤادها
فآبت على أعقابها تتكبكب

٢٤ ـ وجئت بقود يلمع النصر فوقه
ومن خلفه غلب الرقاب تنقب

---

(١٧) الكوم ، جمع الاكوم : البعير الضخم السنام . العرعر من الابل : السمين . انخب : اضعف .

(١٨) فرند السيف : جوهره . سيف مشطب : في متنه خطوط .

(١٩) (فضلا) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (نصلا) والاصوب (بأسا) بدليل قوله (يرجى ويرهب) .

(٢١) في خ/٤ و خ/٧ (ومن شك) مكان (ويوشك) .

(٢٢) شال : ارتفع ، وغاب . في خ/٢ و خ/٤ و خ/٧ (اذا سار منها كوكب سال كوكب) .

(٢٣) تتكبكب : تتدهور ويتساقط بعضها على بعض .

(٢٤) القود : الخيل التي تقاد ، ولعله يريد الغنائم منها . غلب الرقاب : غلاظها . تنقب : تبحث عن مهرب لها . في خ/١ وخ/٢ (وحييت بقود) وفي خ/٣ و خ/٤ (وحيت بقرد) وما أثبته عن خ/٧ .

٢٥ ـ وكم غارة أردفتها اثر غارة
مواقف فيها رابط الجأش مرعب

٢٦ ـ اليك أبا الهيجا حثثت ايانقا
بذكرك تحدوها الحداة فتطرب

٢٧ ـ نجوز بها اجواز كل تنوفة
تظل بها الحرباء للشمس ترهب

٢٨ ـ وما برح الشوق الملح يزجها
الى ان (ربى) للمجد بيت مطنب

٢٩ ـ ونار قرى للافق تعلو كأنها
بثار من (الشوس العميصاء) تطلب

٣٠ ـ فثمت القيت العصا في فنائها
وهل بعد عذب الماء للهيم مطلب

٣١ ـ ورحت على رغم (ليوم) أجرها
مطرزة فوق السماكين تسحب

٣٢ ـ وغير عجيب ان بلغت بها السها
فبالقرب حكم الشيء للشيء ينسب

٣٣ ـ وبي [نفر] قد ادلجوها عشية
فأضحت ببحر الآل تطفو وترسب

٣٤ ـ أجل قوضت بالرغم مني قبابهم
فشرقت والاحداث (شيء تغرب)

٣٥ ـ تعلمت اسباب الرضا خوف سخطها
وعلمها حبي لها كيف تغضب

٣٦ ـ أرى القرب منها وهي تنآى بجانب
وما كنت لولا الحب تنآى وأقرب

٣٧ ـ وياعز قد عز التواصل بيننا
وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب

٣٨ ـ واني على ما بي من العزم والنوى
(اغالب فيك الشوق والشوق أغلب)

---

(٢٨) (ربي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بدا) . المطنب : المشدود بالطنب وهو حبل طويل .

(٢٩) (الشوس العميصاء) كذا ورد في الاصول ، والصواب (الشعري الغميصاء) وهي كوكب معروف .

(٣٠) الهيم : العطاش . في خ/٧ (للبهم) مكان (للهيم) .

(٣١) (رغم ليوم) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (رغم اللئام) أو (رغم الحسود) . السماكان : كوكبان .

(٣٢) السها : كوكب خفي من بنات نعش . في الاصول عدا خ/١ (فبالقرب حكم الشيء بالشيء يقرب) .

(٣٣) في خ/١ (وبي نظر قد أدلجوها) وفي سائر الاصول (وفي نفرات أدلجوها) ولعل الصواب ما أثبته .

(٣٤) كذا ورد عجز البيت في الاصول ولعل الصواب (فشرقت ـ والاحداث شتى ـ وغربوا) .

(٣٧) عنقاء مغرب : طائر مجهول الجسم ، والعرب اذا اخبرت عن هلاك شيء قالت (حلقت به عنقاء مغرب) .

(٣٨) عجز هذا البيت مضمن من بيت المتنبي :
اغالب فيك الشوق والشوق أغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

٣٩ ـ فمن لي لو يجدي التمني بزورة
فيأمن مرتـــاع ويرتاح متعـــب

٤٠ ـ سلام على تلك المغـاني التي بها
نعمنــا وحياهــا من المزن صيب

٤١ ـ اذ الكرخ داري والاحبــة جيرتي
وقومي ترضى انرضيت وتغضب

٤٢ ـ ليالي اعطتني مقاليدها المنـــى
وساقية الاقـداح تملأ واشـرب

٤٣ ـ فلا تيأسن من نجدة بعد شـدة
فلـم تر ليلا ليس بالفجر يعقب

---

(٦) وقال مادحا ومؤرخا في كل شطر من القصيدة سنة ١١٨١هـ (أ)

١ ـ قم للدنان فقـدم بهجة الطـرب
وشنف الكأس في مرعى من اللعب

٢ ـ لله لطف نـديم بـات ينعشـــني
بنهلة من لعـاب الكأس والشنب

٣ ـ أيام مطربنا (كأس) وراحتنـــا
حـان سلافته من جوهر الطرب

٤ ـ راح اذا المزج حياها بصوب ندى
رأيت في بحرها فلكا من الحبب

٥ ـ كأس تطوف بها في كـل آونـة
بكـر تـروح آمـالي من النصب

٦ ـ رود سلا اليوم عناهوائها (جلدى)
في مدحبدر(حدى)منأشرفالنسب

٧ ـ علي مجـد تأمله تجـد علمـــا
لا زال يصقل خد العلم والحسب

٨ ـ ما لاح للدهر رأس من سياسته
الا وعاد جميع الناس كالـذنب

٩ ـ جلت بـه حلية الايام عن ملـك
زهت بورد نداه دوحـــة الادب

١٠ ـ قرم الاكارم فرد الدهر واحده
في مكرمـــات يديـه منزل الارب

١١ ـ ندب تبسمت الدنيـا لنايلـــه
كالخصب لاح بوجه المربع الجدب

١٢ ـ ليث يسيلالردى من سيفه وله
كفا منيل لطبع الجود منجـذب

١٣ ـ ما عيب بالبأس بدر من تكرمـه
انى يعاب قوام البيض بالحـدب

١٤ ـ اكرم به من سخي كلـه منـح
لو حـرم البـر يوما عنه لم يتب

١٥ ـ من مخبر لليـــالي أن نائلـــه
شبه اللجين بدا في وجهها الترب

١٦ ـ كم رد بالمجد عنا راحتي زمـن
ان تدعه لسوى اللأواء لم تَجِب

١٧ ـ ودك طود خطوب لـم تزل ابدا
حال الانام بهـا كالمنزل الخـرب

١٨ ـ نمت باجلالها علياؤه فطـــوت
مفازة (بسوى) الاجلال لم تَجُب

١٩ ـ (له) عوايد من بر قد اندرجت
بطيها مكرمات العجـم والعـرب

(أ) لم يرد في خ/١ و خ/٣ اسم المـمدوح ، وفي خ/٢ و خ/٤ و خ/٥ و خ/٦ الممدوح : السيد علي نقيب الاشراف ، وفي ط ، خ/٧ ، الممدوح : السيد اسعد فخري زاده . والسيد علي النقيب هذا ممن درس هو وابن اخيـه السيد عبدالرحمن النقيب علي السيد صبغة اللـه الحيدري المتوفى سنة ١١٩٠ هـ ، وهو غير السيد علي السيد سلمان النقيب المتوفى سنة ١١٩٨هـ ووالـد السيد عبدالرحمن رئيس الوزراء في الحكومة العراقيـة الموقتة المتوفى سنة ١٣٤٥هـ (عنوان المجد لابراهيـم فصيح الحيدري /١٣٩ ـ مخطوط ـ ، والبغداديـون لابراهيم الدروبي /٥و١٠) .
اما السيد اسعد فخري زاده فقد تقدم التعريف بـه في مقدمة هوامش القصيدة الاولى . ولالتزام الشاعـر بالتاريخ في كل شطر فقد جاءت القصيدة مفككة الاوصال سقيمة المعاني في معظم ابياتها .
ويلاحظ ان الشاعر اعتبر تاء التأنيث نحو قائمـة ، وشجرة (٤٠٠) ومعظم الشعراء يعتبرها (٥) .

(٣) (كاس) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مخل بالتاريخ والصواب (ساق) .

(٥) في ط ، وخ/١ و خ/٣ و خ/٦ (من التعب) مكان (من النصب) ولا يستقيم معه التاريخ .

(٦) (جلدي) و (حدى) هكذا ورد في الاصول ، والصواب الذي يستقيم به التاريخ والمعنى (خلدي) و (هدى) .

(٧) يوحي هذا البيت بان الممدوح السيد علي النقيب . انظر التعليق على البيت السادس والعشرين .

(٨) كذا ورد صدر البيت وفي تاريخه زيادة .

(٩) في تاريخ عجز البيت نقص .

(١٢) في الاصول عدا خ/١ و خ/٤ و خ/٥ (كف منيل لطبعالجود منجذب) وهو تصحيف .

(١٣) كذا ورد صدر البيت في الاصول وهو غير مستقيم من ناحيتي المعنى والتاريخ .

(١٤) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (منه) مكان (عنه) وهـو تصحيف .

(١٨) في ط ، و خ/٦ و خ/٧ (نهت) وفي خ/١ (نبهت) مكان (نمت) . (بسوى) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف مخل بالتاريخ ، صوابه (وسوى) . لم تجب ، من جابت البلاد : قطعتها .

(١٩) في الاصول (له) والصواب (لها) والضمير يعود الى عليائه في البيت السابق ، وبذلك يستقيم التاريخ .

٢٠ ــ وكم تلا ملأ عنه كتاب نـدى
باتت فوائده من أعجب العجب

٢١ ــ (ولو) سحاب عطاياه التي وكفت
دارت على دول الدنيا رحى القطب

٢٢ ــ لو رامت الشمس أدنى حسنه أفلت
واصبحت أعين الحرباء في حرب

٢٣ ــ وان جنى من نداه الخلق كل منى
مازال بالسحب يستجنى جنى العشب

٢٤ ــ لله قوم من (الانواء) منشؤه
والمجد ساق اليه انور الرتب

٢٥ ــ تهدي لنا كل مأمول سماحته
كأنها النخل أهدى يانع الرطب

٢٦ ــ لله أسعد موجود وافضله
سحت ثدي سماه أطيب الحلب

٢٧ ــ أشم لم تدرك الالباب سؤدده
هيهات يدرك وادي الشمس بالطلب

٢٨ ــ بل كيف يعصي العلى من بات يسعفه
جليل جد يذل النـار للحطب

٢٩ ــ ندب محاسنه كالشمس طالعة
وهل بمطلع نور الشمس من ريب

٣٠ ــ وكم ثنى طبعه العلوي ركب منى
يجثو لنجم (معاليه) على الركب

٣١ ــ ما حل فيض أياديه على ملأ
الا وجاء بمرعى للندى خصب

٣٢ ــ خطيب بر عزيز الدهر واحده
يمسي لسان نداه مفصح الخطب

٣٣ ــ لو كان للشمس ما تولي أنامله
لم يحتجب قط عين الشمس بالحجب

٣٤ ــ باد على المجد كم باحت سماحته
بسر جود (من) الافكار محتجب

٣٥ ــ ساق تدار لاهل الدهر من يده
كأس من البأس أو كأس من الذهب

٣٦ ــ ان تحو همة كفيه عطا وسطا
فالماء مجتمع بالنـار في السحب

٣٧ ــ الجود من كفه تهمي سحائبه
والموت من (كفها) يمسي على رعب

٣٨ ــ طاب الزمان بمسك البذل من أسد
لولا نسيم نداه العذب لم يطب

٣٩ ــ ومذ بدا في قباب المجد منه هدى
عادت بوادي السها ممدودة الطنب

٤٠ ــ وان (تقيس) بضوء الشمس جوهره
سعدا وكيف يقاس النجم بالترب

٤١ ــ قاس الورى بعطاياك الحيا خطأ
هيهات اين الحصى من لامع الشهب

٤٢ ــ ياواحدا كل عضو من عزائمه
ملك له دانت الدنيا بلا تعب

٤٣ ــ في قدس معناك أعلام مقدسة
شمس الكمال بها لم تبد عن جنب

٤٤ ــ كأن علمك اذ يهدي جواهره
أنامل السحب تجري بالحيا السرب

٤٥ ــ لله حيك حي الفضل أجمعه
من شم عطر ندى واديه لم يشب

٤٦ ــ لما ادرت على الوفاد راح ندى
أمسى فؤاد العلى في منتهى الطرب

٤٧ ــ يكفيك يافارس الدنيا بنان فتى
جياد جدواه فاتت سبق السحب

٤٨ ــ تالله ان بني اللأواء قد حييت
ببر ندب لروح العدم مستلب

---

(٢١) (ولو) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (وكم) . التاريخ غير مستقيم في الصدر والعجز .

(٢٢) في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة ، في ط ، و خ/٢ (لو رات) مكان (لو رامت) وليس بشيء .

(٢٣) في خ/٢ و خ/٦ (في السحب) . وفي ط (يستجنى اعين الشهب) . وفي خ/١ و خ/٣ (يستجنى حين الشعب) .

(٢٤) (من الانواء) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (من الانوار) . تاريخ صدر البيت غير مستقيم في كلا الحالتين .

(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (سمت) مكان (سحت) وهو تصحيف . يستشف من البيت ان الممدوح اسعد الفخري

(٣٠) في الاصول عدا ط ، و خ/٣ (يحبو) وفي خ/٧ (تحبى) مكان (يجثو) . في خ/٧ ايضا (النجوم) مكان (لنجم) . (معاليه) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه التاريخ ، والصواب (معانيه) .

(٣٢) في الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (خصيب بر) وهو تصحيف .

(٣٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، وفي تاريخه زيادة .

---

(٣٤) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . (من الافكار) كذا ورد في الاصول ، وهو تصحيف مخل بالتاريخ والمعنى ، والصواب (عن الافكار) .

(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ و خ/٦ و خ/٧ . في تاريخ صدر البيت نقص كبير بلغ (٤١٥) ولو وضعنا كلمة (سحابته) مكان (سحائبه) لانخفض النقص الى (١١) . (كفها) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف مخل بالمعنى والتاريخ ، والصواب (وكفها) .

(٣٩) في الاصول باستثناء ط (حدى) او (جدا) مكان (هدى) وعلى أي حال فتاريخ صدر البيت غير مستقيم .

(٤٠) كذا ورد البيت في الاصول ، ومع وجود اللحن في (تقيس) فان في تاريخ صدر البيت زيادة كبيرة .

(٤١) اعتبر الشاعر عدد الالف المقصورة من كلمة الورى (١) ويعتبرها معظم الشعراء (١٠) كالياء .

(٤٢) تاريخ صدر البيت غير مستقيم .

(٤٥) في ط ، و خ/١ و خ/٣ (حيا الفضل) .

٤٩ ــ ان هم يحكي اجل المجد مفخره
فأين شكل الدجى من جوهر الشهب

٥٠ ــ حوى من المجد انمـاه وافخـره
والتام بالبأس منه كل منشـعب

٥١ ــ وافى بأوفى ثمار السعد سؤدده
يحكي مباسم تجنى من جنى الشنب

٥٢ ــ ليهن بـرد معـال قد تقمصه
تقمص النجم جلباب الدجى الشحب

٥٣ ــ افدي ابا البر مذ ابدى عجائبـه
كم شاهدوا من نداه كاشف الكرب

٥٤ ــ احسن بليث ردى مازال بحر جدى
لولاه وابل نوء الخير لم يصـب

٥٥ ــ (ملك) اليه جواد العلم مفتقر
والفقر بالفئـة الانجاب لم يعـب

٥٦ ــ لله هم امرىء وافت صوارمـه
بجازر عنق الاوثـان والصـلب

٥٧ ــ امام فضل بدا للجود من يده
هادي البرايا الى الاسنى من الرتب

٥٨ ــ شهم لجود يـديه في خزاينـه
شعب من العدل امسى اي منشعب

٥٩ ــ محيي المكارم لولا وبل رافتـه
لم يبـق للمجد من اثر ولا سبب

٦٠ ــ دهر ابى العدو في اعدائه وسرت
جياد علياه سير العـدو لا الخبب

٦١ ــ أعدت [وجه] المنى واليسر في صعد
بسهم جود يرد البخل في صبب

٦٢ ــ صاحبت كل ندى لولا اصابتـه
بصـوبه حجر الايـام لـم يذب

٦٣ ــ لولا جداك لاضحى الناس كلهم
شبيه قفر بلا مـاء ولا عشـب

---

(٥٠) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (فالتام) ولا يستقيم معـه التاريخ .
(٥٣) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (سجايا) مكان (نـداه) .
(٥٤) في ح/٧ (يجدى) وفي سائر الاصول عدا خ/٥ (يجري) مكان (بحر) .
(٥٥) (ملك) كذا ورد في الاصول ولا يستقيم معه تاريخ صدر البيت ، واخال الصواب (فلك) . تاريخ عجز البيت غير مستقيم ايضا .
(٥٦) هذا البيت ، والبيتان التاليان له غير موجودة في خ/٧ .
(٥٩) اعتبر الشاعر كلمة (محيي) بياء واحدة فتم له العدد المطلوب للتاريخ ، والصواب انها بياءين .
(٦٠) تاريخ صدر البيت غير مستقيم . في ط (وهز بالعدو) .
(٦١) في خ/٤ و خ/٥ (اعدت وحي المنى واليسر في صـعد) ، وفي سائر الاصول (اعدت حبي منارا ليس في صعد)، وبما اثبته استقام التاريخ .

(٧) وقال يمدح سليمان بيك الشاوي (*)

١ ــ يابرق وجرة هـل فطنـت لما بي
فاتيت تخبرني عن الاحبـــاب

٢ ــ يابرق لولا المنجـدون عشـية
ما بل وكاف الدمـوع ثيـابي

٣ ــ ان الألى حجبتهم كلـل النـوى
ضـربوا على اللـذات كل حجاب

٤ ــ أي المعالم لم أسـلها بعـدهم
وبأي واد [ما حبست] ركابي

٥ ــ وبحي رامة معرك نصـرت بـه
عفر الكناس على اسود الغـاب

٦ ــ من آخذ بدم القتيـل اراقـه
في الترب بيض كواعب اتـراب

٧ ــ لا تطلبوا مني الهـدوء فانـه
سلب الهـدوء غـداة يوم ربـاب

٨ ــ وبمهجتي الغادون يـوم محجـر
والركب بـين تعـانق وعتـاب

٩ ــ حتى طويت بغيرهم عن ذكـرهم
كالقشر يطوى فيـه كل لبـاب

١٠ ــ ياللعجيبة كيف يخفر عندهـم
عهدي وهـم حي من الاعـراب

١١ ــ ساروا الغداة فساراثرهم الصبا
فالعيش مثل وساوس المرتـاب

١٢ ــ بأبي الشباب بليت فيه بغـائب
قد ضمه سـفر بغـير ايـاب

١٣ ــ وتولت البيض الحسان لشانها
يزهدن في صلتي وفي استصحابي

١٤ ــ انكرن لون البازحـين رأينـه
في لمتـي وبكين فقـد غـراب

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .
(١) وجرة : منزل بينه وبين البصرة اربعون ميلا ليس بينهما منزل ، فهو مربى للوحش .
(٤) في خ/٢ (ما سبحت) وفي سائر الاصول (ما سحبت) ولعل ما اثبته هو الصواب .
(٥) رامة : منزل في طريق البصرة الى مكة . العفر ، جمـع الاعفر ، وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة . الكناس : بيت الظبي .
(٦) الكواعب ، جمع الكاعب : الجارية الناهد . الاتراب ، جمع الترب (بالكسر) : من ولد معك ، واكثر مايستعمل في المؤنث ، يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سنها .
(٧) رباب : موضع عند بئر ميمون بمكة ، وجبل بين المدينـة وفيد ، واسم امراة .
(٨) محجر (بكسر الجيم المشددة) : موضع في الحجـاز ، واسم لعدة جبال في بلاد العرب .
(١٤) الباز : صقر لونه اشهب . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن ، وفي ذلك كناية عن تكاثر الشيب في لمته ،

١٥ ـ قل ياشباب متى تمن بأوبة
أم لا يحل عليك حال مـآب

١٦ ـ كن يافؤاد كما عهدتك آنفا
من ذا يلام على هوى وتصاب

١٧ ـ دم في ملازمة الغرام فانما
سبب الدخول دوام قرع الباب

١٨ ـ انسيت اياما خلون كأنها
حور الجنان تطوف بالاكواب

١٩ ـ وبذي الثوية نسمة نجدية
تهدي من النشوات كل عجاب

٢٠ ـ جاءت ممسكة كأن ذيولها
مغمورة بلطائم الاطراب

٢١ ـ جاءتك تحمل نشر كل غديرة
سوداء تسبح في غدير شباب

٢٢ ـ ومن البلية ان علقت بناعم
قيد النواظر شعة الالباب

٢٣ ـ يا مسكري بشراب كأس لحاظه
ما خلت في الالحاظ كأس شراب

٢٤ ـ هيهات ان يصحو فؤاد معربد
ذهبت به عيناك أي ذهاب

٢٥ ـ عاهدتني واخال عهدك صادقا
ما في خلال الروض لمع سراب

٢٦ ـ لم انس ليلة حط عنه لثامه
كالصبح جرد عنه كل نقاب

٢٧ ـ وسكرت من فيه بجام احمر
مرت الثنايا فيه در رضاب

٢٨ ـ لم يشجني الا نواه وانما
فقد الاحبة فوق كل مصاب

٢٩ ـ وارى الحياة لذيذة لكنها
ربما تمل لفرقة الاحباب

٣٠ ـ ذهبوا بواعية القلوب كأنما
طارت ركاب القوم بالالباب

٣١ ـ اشكو كما تشكوالكواكبمندجى
ليل اطال عذابها وعذابي

٣٢ ـ دابي مسامرة النجوم وانها
نعم المسامر لو وعت لخطابي

٣٣ ـ ياسعد ذرني من اعادة ما خلا
وتناس ذكر شبيبة وتصاب

٣٤ ـ قم ننهب الساعات في طلب العلى
وتناس ذكر سوالف الاحقاب

٣٥ ـ ذرني وبادرة المسير فقد شكا
طول الاقامة في الجفير ذبابي

٣٦ ـ ذرني انل سبب السعود فانما
دارت رحى الاشياء بالاسباب

٣٧ ـ واكلف الوجناء زورة باسل
خضل البنان مقدس الاحساب

٣٨ ـ هذا سليمان الذي فتحت به
زرق الاسنة مقفل الابواب

٣٩ ـ يرد الوغى فترى الرجال هزيمة
والخيل ناكصة على الاعقاب

٤٠ ـ مستودع في سيفه ويراعه
تنميق كل كتيبة وكتاب

٤١ ـ ملئت كنانته سهام عزائم
باتت تراش بحكمة وصواب

٤٢ ـ فالعز منعقد بيمن يمينه
كالكأس منتظم (بكأس) حباب

كما كنى بالغراب عن سواد لمته في عهد الشباب . في الاصول عدا خ/٥ و خ/٧ (النار) مكان (الباز) ،وفي ط (شبابي) مكان (غراب) .

(١٨) في الاصول عدا خ/٢ وخ/٧ (كأنما) مكان (كأنها) .

(١٩) الثوية : موضع بالكوفة ، وقيل قريب منها . في الاصول عدا خ/٧ (علدرية) مكان (نجدية) ، النشوات ، جمع النشوة : اول السكر ، والرائحة . في ط ، و خ/١ وخ/٦ وخ/٧ (النشوان) مكان (النشوات) وهو تصحيف .

(٢٠) لطائم ، جمع لطيمة : الطيب ، ووعاء المسك . الاطراب (بصيغة الجمع) : نقاوة الرياحين .

(٢١) الغديرة : الذؤابة . الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل .

(٢٢) قلب شعاع : تفرقت همه وآراؤه فلا تتجه لامر جزم . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٢٤) في ط ، و خ/٢ وخ/٣ و خ/٦ (يمناك) مكان (عيناك) .

(٢٥) في ط (صافيا) مكان (صادقا) .

(٢٦) في الاصول باستثناء ط ، وخ/٣ (حط فضل لثامه) و (مسح نقاب) .

(٢٧) الجام : اناء من فضة (عربي صحيح) . مرت الثنايا : درت . الدر : اللبن . الرضاب : الريق المرشوف . في خ/٧ (بدت) ، وفي سائر الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (مرط) مكان (مرت) .

(٢٩) ربما (المحففة) وربما (المشددة) بمعنى .

(٣٠) الواعية ، والوعى : الفهم والادراك . الالباب : القلوب.

(٣٥) الجفير : جعبة من جلد ، واراد غمد السيف . الذباب : طرف السيف ، وأراد به السيف . في ط و خ/٣ و خ/٦ (باردة المسير) .

(٣٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٣٧) الوجناء : الناقة الشديدة . الخضل:الندي الاحساب: المفاخر التي تصنعها بنفسك .

(٤١) الكنانة : جعبة تجعل فيها السهام . راش السهم : الزق عليه الريش .

(٤٢) (بكأس حباب) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (بسلك حباب) .

٤٣ ـ وتحن أعطاف الزمان لحكمه
كحنين هاجرة لوصل رباب
٤٤ ـ وترى وجوه الصيد نحو قبابه
شعثا لطول ترشف الاعتاب
٤٥ ـ وكأنما رسل المنايا نبله
تمضي فلم تقنع بغير جواب
٤٦ ـ علم العلوم يكاد سر يراعه
يستل تبرأ من حقير تراب
٤٧ ـ نشوان لم يعبث بكأس مدامة
الا مدامة حانة الآداب
٤٨ ـ مغض على ضرب الطلى لكنه
متململ كتململ الاواب
٤٩ ـ فلك يموج الدهر من حركاته
ما بين طعن [مارق] وضراب
٥٠ ـ بطل يفض ختام كل كريهة
فيعود من دمها بغير خضاب
٥١ ـ وترى صروف الدهر تصرف باسمه
كالجن تدحر بانقضاض شهاب
٥٢ ـ وسمت له الايام في جبهاتها
موشية الاحساب والانساب
٥٣ ـ لم يبق فضل قط الا ناله
سبحان من يعطي بغير حساب
٥٤ ـ لم يتخذ الا الجياد سرادقا
وكفى بتلك القب سجف قباب
٥٥ ـ أسد تملك وجه كل جميلة
اعيت مذاهبها على الخطاب
٥٦ ـ متلاطم العزمات غير مدافع
كاليم ماج بزخرة وعباب
٥٧ ـ يلقى انابيب القنا فيعيدها
من بعد حدتها لديه (بناب)
٥٨ ـ فلك على الدنيا تدير يمينه
فلكين من ذهب ومن اذهاب
٥٩ ـ واتى الزمان حذار سيفك تائبا
مما جنته سوالف الاحقاب

---

(٤٣) الهاجرة : نصف النهار في القيظ . الرباب : السحاب الابيض .
(٤٨) الطلى : الاعناق . الاواب : التائب . في خ/٧ (الواب) مكان (الاواب) .
(٤٩) في خ/٧ (مازق) وفي سائر الاصول (ماذق) والصواب ما اثبته ، يقال : مرق الرمح في الرمية ، اي نفذ فيها وخرج من الجانب الاخر فهو مارق .
(٥٢) في خ/٧ (في جلبابها) مكان (في جبهاتها) .
(٥٤) القب (بالضم) جمع الاقب ، وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .
(٥٧) (بناب) كذا ورد في الاصول ، ولا معنى لها ، والصواب (نوابي) اي كليلة .

(٨) وقال في مدحه ايضا (أ)

١ ـ ان رمت توطئة المرام الاصعب
فاركب من الاقدام أخشن مركب
٢ ـ اربا بنفسك أن تذودك شهوة
دون انتصابك فوق أشرف منصب
٣ ـ لا تكثرن من الشباب وذكره
انت ابن يومك لا ابن ماضي الاحقب
٤ ـ وتلاف من قبل الفوات فربما
أعياك غمز العود بعد تصلب
٥ ـ مالي وللنفر (الطلاح) تنافروا
عني كما نفر الغني عن مترب
٦ ـ لا تنكري حالا تغير منهم
فالكل تحت مكوكب متقلب
٧ ـ أيروم غيرهم بقلبي مسكنا
ياسرب ما هذا كناسك فاسرب
٨ ـ كم من اخ لك غير امك أمه
تنسيك سيرته اخاء المنسب
٩ ـ دارت بشملهم الليالي دورها
فتنقبوا كهلالها المتنقب
١٠ ـ اقمرت ياليل الحجون بأوجه
كانت اذا حجب الضحى لم تحجب

(أ) هذه القصيدة موجودة في جميع الاصول التي اعتمدتها في التحقيق ، وانفردت خ/٧ بايراد قصيدة اخرى مؤلفة من (٣٤) بيتا مطلعها :
يا سلم لاسلمت سهامك من دمي
كفي سلمت من العناد المعطب
وعند مطالعة ابياتها وجدت (٢٥) بيتا منها بضمنها المطلع منقولة من هذه القصيدة حرفيا او بتغيير طفيف ، ولان كلا القصيدتين في مدح الحاج سليمان الشاوي ، ولانهما على روي ووزن واحد اعتقدت جازما انهما قصيدة واحدة ، فعمدت الى ادخال الابيات التسعة الزائدة في مواقعها المناسبة من القصيدة ، فكان ترتيب ارقامها (٣١و٣٢و٩١ و٩٢و٩٥و٩٧و٩٨و١٠٧و١١٤) واهملت الابيات المكررة . غير اني (مراعاة لامانة النقل) سأثبت تلك القصيدة في الملحق الثاني للديوان ، كما وردت في خ/٧ مع زيادة في الايضاح .
(٤) غمز العود : جسه ليختبر صلابته .
(٥) (الطلاح) : الذين جهدهم السير ، ولا معنى لها هنا ، ولعل الصواب (الصباح) . المترب : المسكين اللاصق بالارض من فقره .
(٦) في الاصول عدا خ/٧ (فالعل) مكان (فالكل) . المكوكب : الفلك .
(٧) الكناس : بيت الظبي . اسرب : اذهب . في ط ، و خ/١ (ياسرب هذا من كناسك) وفي خ/٣ و خ/٦ (ياسرب هذا كناسك) .
(١٠) الحجون : جبل بمكة المكرمة .

١١ ـ لم انس ظعنهم المجد كـأنه
يسعى به السلوان سعي القطرب

١٢ ـ قف ياجهام على ديارهم ونب
عن دمع صبهم بأوطف صـيب

١٣ ـ واحفظ مغيب القوم حفظ حضورهم
انعم بهم من حاضرين وغيـب

١٤ ـ سحروا الشجي وهم رقاه فمن لنا
بالسحر يقرأ من عيون الربـرب

١٥ ـ بعثوا الخيال نديـة نفحاتـه
كالريح لم تعثر بـدو مجـدب

١٦ ـ لم انس يوم خلت بها روادهـا
تجني أسارير السرور وتجتبي

١٧ ـ وادت بشاشته بنات همومهـا
فالتام شعب القوم بعد تشـعب

١٨ ـ أيام زاد نتاجها عقم النـوى
ومن الغنيمة عقـم من لم تنجب

١٩ ـ ان اخلقت ديباجتي بسراهـم
فمن التثبت بعـدهم لم أسـلب

٢٠ ـ لم يسلني بعد الديار ولم [أصخ]
أذنا لهينمة الغـراب الانعـب

٢١ ـ يا ساقيي بم التعـلل بعـدهم
هل في الاناء بقيـة لم تشـرب

٢٢ ـ غادين لم يدعوا سهولة مغنـم
بل اعقبوا نزوان يـوم اصـعب

٢٣ ـ تلك الوجوه خلت بكل ملاحـة
أعـزز بهاتيك الوجـوه واحبب

٢٤ ـ كانوا اذا الآفاق قطـب نوؤهـا
نوءا يهلل وجـه كـل مقطـب

٢٥ ـ ياغلوة البين التي تزحمت بهـم
لو طاش سهمك لم يفتني ماربي

٢٦ ـ أفكلما فطن الزمـان لجيـرة
طارت نعامتـه بذاك الموكـب

٢٧ ـ أهذيم لا تنكر بمثل شرابهـم
طربي ومن يشرب يلذ ويطـرب

٢٨ ـ فاقدح لمحو الصحو اقداح الطلا
فالزند لولا قدحه لـم يثقـب

٢٩ ـ سفها لرأيك أي (ترتيب) على
من كان بفيته الغلام الشيرب (كذا)

٣٠ ـ ممنوع اطراف المراشف عذبها
لولاه مضمضة اللها لـم تعـذب

٣١ ـ أتلومني والنفس مولعـة بـه
أبعد خطـاك بلومـه او قـرب

٣٢ ـ واسلك من الاشياء واضح سبلها
ودع الاخير الى الطـريق المتعب

٣٣ ـ ايها فان لكل ضـيق فرجـة
والغيث تلو البـارق المتلهـب

٣٤ ـ لـم يثنني لاح الـح بذكركـم
ومن الغبـاوة ان تميل الى الغبي

٣٥ ـ اقلقتم كبدي فسامرني النوى
وصممت عن سمر النديم المطرب

٣٦ ـ من لم تؤدبـه خلائق طبعـه
الفيته بالسـيف غير مـؤدب

٣٧ ـ ورايت الحي من لحاني صاحبي
يانفس آن أوان أن لا تصحبـي

٣٨ ـ وذري العتاب فما هنالك سامع
شرع عليك عتبت أم لم تعتبـي

---

(١١) القطرب : اللص ، والذئب الامعط ، ودويبة لا تستريح من الحركة .

(١٢) الجهام : السحاب لا ماء فيه . الاوطف : الدائم السح . في ط (وبن) مكان (ونب) .

(١٥) الدو : المفازة الواسعة .

(١٧) في ط ، و خ/٣ و خ/٥ و خ/٦ (واوت) مكان (وادت) . في الاصول عدا خ/٥ و خ/٦ و خ/٧ (صعب القوم) . غب تشعب : بعد تفرق .

(١٩) اخلقت : ابليت . الديباجة : الثوب ، ونضارة الوجه . في الاصل عدا خ/٥ وخ/٧ (سراهم) مكان (بسراهم) .

(٢٠) الهينمة : الصوت الخفي . في ط ، و خ/٦ (لم أصغ) وفي سائر الاصول (لم اعر) مكان (لم أصخ) في ط ، و خ/١ و خ/٣ و خ/٦ (الايغب) مكان (الانعب) .

(٢١) في الاصول عدا خ/٤ و خ/٥ (ياساقيين) .

(٢٢) النزوان (بالتحريك) : السورة والحدة .

(٢٣) خلت الوجوه بالملاحة : انفردت بها .

(٢٤) النوء : النجم الذي هو مظنة المطر عند العرب . انفردت خ/٧ بايراد هذا البيت .

(٢٥) الغلوة : مقدار رمية ، وفي اساس البلاغة (هو مني بغلوة سهم) .

(٢٦) النعامة : طائر معروف يضرب به المثل في الاجفال ، ويقال للرجل اذا فزع او ارتحل (طارت نعامته) .

(٢٧) هذيم : اسم شائع عند العرب ، استعاره الشاعر للعاذل .

(٢٩) (ترتيب) كذا وردت الكلمة في الاصول ، والصواب (تثريب) . الشيرب : الكثير الشراب .

(٣٠) المضمضة : تحريك الماء وادارته في الفم . اللها ، جمع اللهاة : اللحمة المطبقة في اقصى سقف الفم . في خ/٢وخ/٥وخ/٧ (مضمضة الهوى) وسقطت كلمة (اللها) او (الهوى) من خ/١وخ/٣وخ/٦ .

(٣١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة الوارد ذكرها في في الفقرة (أ) .

(٣٣) في ط ، وخ/١وخ/٣وخ/٧ (تلوى) مكان (تلو) .

(٣٤) في الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (أن يميل) .

(٣٥) في خ/٢ (وسامرني الولى) وفي خ/٤وخ/٧ (وسامرني الهوى) .

٣٩ ـ وبدا التساوي في المساوي للورى
شبه الاراقم ما خلت من معطب

٤٠ ـ مه ياخلي عن الشجي ولا تسل
عن موقع الاشياء غير مجرب

٤١ ـ ضاق الخناق بهم ولكن الهوى
يرضي المحب بمثل جحر الارنب

٤٢ ـ يالاحيي الم يقل لكما الهوى
ان اكتساب اللوم الام مكسب

٤٣ ـ هل فيكما ان تنشدا لي ساعة
عقلا اضلته عقائل تغلب

٤٤ ـ او تبردا لي مهجة حرانة
الهبتها بشموس آل مهلب

٤٥ ـ ياسلم ما سلمت سهامك من دمي
فالسهم ان يك ذا نفوذ ينشب

٤٦ ـ هذي (الديار) بمقلتيك مطاحة
ان رمت تخضيب البنان فخضبي

٤٧ ـ لا تحسبي ليلي وليلك واحدا
شتان بين منعم ومعذب

٤٨ ـ بات الكرى أهدى اليك من القطا
وظلت منه ولا كخابط غيهب

٤٩ ـ انسيت يوم شجتك وعوعة الوغى
فأجبت داعيها بقلب قلب

٥٠ ـ والسمر ترسب في الكبود كعوبها
والخيل تطفح في الغدير الاصهب

---

(٣٩) في الاصول عدا خ/٣وخ/٧ (ويد التساوي) وفي خ/٤ (الاراقص) وفي سائر الاصول باستثناء خ/٧ (الاراقط) مكان (الاراقم) .

(٤٢) اللاحي : اللائم . في الاصول عدا خ/٤وخ/٥وخ/٧ (يالاحيين) مكان (يالاحيي) .

(٤٣) العقائل ، جمع العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . تغلب : الحي المنسوب الى تغلب بن وائل

(٤٤) ال مهلب : نسبة الى ابيهم المهلب بن ابي صفرة الامير المشهور المتوفى سنة ٨٣هـ . في ط،وخ/١وخ/٣ (أوبردوا) وفي سائر الاصول عدا خ/٥وخ/٧ (أوبردا) .

(٤٥) النفوذ ، من نفذ السهم في الرمية : خالط جوفها وخرج طرفه من الشق الاخر . نشب الشيء بالشيء : علق

(٤٦) (هذي الديار) كذا ورد في الاصول ، والصواب (هذي الدماء) .

(٤٨) خابط الغيهب : خابط الليل ، وهو الذي يسير فيه على غير هدى . في ط ، وخ/١وخ/٣وخ/٦ (الي) مكان (اليك) .

(٤٩) الوعوعة : الضجيج والجلبة ، في خ/٢وخ/٤وخ/٥وخ/٧ (وعوعة العدى) . القلب : البصير بتقليب الامور .

(٥٠) ترسب : تستقر . الاصهب الذي يخالط بياضه حمرة. في ط (الغرير) مكان (الغدير) .

٥١ ـ والنفس مهما عوفيت من نكبة
نسيت مرارتها كأن لم تنكب

٥٢ ـ والدهر اتاء بكل عجيبة
من يعرف الايام لم يتعجب

٥٣ ـ لم يبق للاكياس (ضرس) في فم
الا واورده مرير المشرب

٥٤ ـ لا تعجبا لفساد كل صحيحة
فالناس في زمن كجلد الاجرب

٥٥ ـ ليس الهوى مني ولست من الهوى
لولا اعتراض السرب يوم محصب

٥٦ ـ هي لحظة بين الحدوج ادرتها
يانظرة كانت خلاف الاصوب

٥٧ ـ عثر الجواد وكان مأمون الخطى
ونبا الحسام وكان صلت المضرب

٥٨ ـ أزف الرحيل فهل صديق صادق
يلقى الخليل بخلة لم تكذب

٥٩ ـ والراقصات بذي الاراك كأنها
حبب المدام تراقصت في الاكوب

٦٠ ـ لاروّعن الصحصحان بسلهب
في كل عضو منه همة سلهب

٦١ ـ اي المرام يفوتني وقعيدتي
ريح يقال لها بقية شزب

٦٢ ـ لا تحسبن الامر مزحة عابث
لاحت طلايعها فياخيل اركبي

٦٣ ـ ماضاقت الارض الوساع على امرىء
هيهات ما في فجها من مذهب

٦٤ ـ ما للمعالي حاجة في عاجز
يأبى المعرس في هجير السبسب

---

(٥١) في الاصول عدا خ/٤وخ/٥ (والشمس) مكان (والنفس) .

(٥٣) كذا ورد صدر البيت في الاصول ، ولعل الاصوب (لم يبق للاكياس ضرسا) والضمير يعود الى الدهر .

(٥٦) في خ/٥ (هي نظرة) وفي الاصول عدا خ/٧ (هي نظرة بين الحجون) والحجون : جبل في مكة المكرمة .

(٥٧) نبا الحسام عن الضريبة : كل وارتد عنها . الصلت : الصقيل الماضي . في خ/٥ (صلب المضرب) .

(٥٨) أزف الرحيل : دنا . الخلة (بالكسر) (الصداقة) و (بالفتح) : الخصلة .

(٥٩) الراقصات : الابل . ذو الاراك : يريد وادي الاراك قرب مكة المكرمة .

(٦٠) الصحصحان : الارض الجرداء المستوية . السلهب من الخيل : الطويل . في الاصول (ولاروعن) .

(٦٢) في ط ، وخ/٣ (حث) وفي خ/١ (حثة) مكان (مزحة) .

(٦٣) كذا ورد عجز البيت في الاصول ، ولعل الصواب (هيهات، ماتى فجها من مذهبي) .

(٦٤) في الاصول عدا خ/٧ (ماالليالي) مكان (ماللمعالي) . المعرس : المكان الذي يأوي اليه المسافرون اخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . السبسب : المفازة .

٦٥ ــ والحزم حيزوم الابي فخذ بـه
لا ترع شاءك في المـكان المذئب

٦٦ ــ واحذر عداوات الرجال ودارها
ان لـم تكن جدة لديك فرحب

٦٧ ــ وافطن لادوية الامور فانمـا
سـم الافاعي غير سـم العقرب

٦٨ ــ واذا تنكه من مكـان ريحـه
فتخط منه الى المـكان الاطيـب

٦٩ ــ نعم المعين على نيوب نوائـب
بحـديد ناب للشـفار ومخـلب

٧٠ ــ اني وان امسـيت صفر انامـل
فمعظم الافـلاك غـير مكـوكب

٧١ ــ ياناق ان حمى سليمان الندى
مرعى الخصيب فيمميه لتخصبي

٧٢ ــ هذي منازله فراديس المنـى
ومنابع الـكرم التي لم تنضـب

٧٣ ــ هبي له تصلي الى حـرم الغنى
لابد من سـبب لـكل مسـبب

٧٤ ــ اقليدس الحكمـاء الا انـه
ترمى العـدى منـه بداء الثعلب

٧٥ ــ متسنم من كل مجـد صهـوة
ان تركب الشهب السواري يركب

٧٦ ــ طلعت بأبهة العجائب شمسـه
بالله ياشـمس انظـري وتعجبي

٧٧ ــ حلال عقد الدهر عاقد حلـه
بالماضيين مثقـف ومشـطب

٧٨ ــ صرام ما وصل الملوك من العرى
وصال ما صرم الزمان المسـتبي

٧٩ ــ متلبب بالحـزم مدرع بـه
هتاك سجف الدارع المتلبـب

---

(٦٨) تنكه : تنفس ، ونكه الرجل : تغيرت نكهته من التخمة .

(٦٩) النيوب ، جمع ناب ، يقال : عضته انياب المصائب ونيوبها . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (وثوب) مكان (نيوب) . ارى ان محل هذا البيت بعد البيت (٧٢) .

(٧٢) في ط ، وخ/١ (هذا) وفي خ/٣ (هده) مكان (هذي) .

(٧٤) داء الثعلب : علة يتناثر منها الشعر ، والثعلب ايضا : طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٧٦) الابهة : العظمة ، والبهجة . في الاصـول عدا خ/٥ (بابهية العجائب) .

(٧٧) المثقف : المقوم ، ويريد به الرمح . المشطب : يريد به السيف الذي في متنه شطب اي طرائق . في ط ، وخ/١ وخ/٣ الحق عجز هذا البيت بصدر البيت السابق واهمل باقي البيتين .

(٧٩) المتلبب : المتحزم بالسلاح . السجف : الستر .

٨٠ ــ مختالة بدم الفوارس خيلـه
كالخود ترفل بالطـراز المذهـب

٨١ ــ ان المعـالي في سـواه معـارة
فكأنهن خضاب فـود الاشيـب

٨٢ ــ وعلى الملوك له ديـون جمـة
بضمان معتـدل الشطاط واحدب

٨٣ ــ لبس الخلاعة في الندى لايرعوي
لطنين واش او هـرير مؤنـب

٨٤ ــ يسخو بما لم يسـخ ذو كرم به
ابدا ويعتذر اعتـذار المـذنب

٨٥ ــ واذا تمردت الفـوارس راعها
بطروق أروع كانقضاض الكوكب

٨٦ ــ يفني الالوف بواحـد متنمـر
لـم يخش بائقـة ولـم يتهيـب

٨٧ ــ ذيال سـابغة يجر ذيولهـا
بين الاشـاوس كالمدل المعجـب

٨٨ ــ بابي كسوب بالقنـا لا ينثنـي
عن جيش ابرهـة اذا لم يكسـب

٨٩ ــ شـرس المراس يقوم دون محله
كسرى مقـام الخائف المتهيـب

٩٠ ــ ملك ترعرع في المحامد ناشـئا
وعلى رضاع العز والتقوى ربي

٩١ ــ ومهذب لا طعن فيـه لطـاعن
وكذاك فليك طبـع كل مهـذب

٩٢ ــ قاد المعـالي آخـذا بخطامهـا
أخذا يدين خشـونة المستصعب

---

(٨٠) الخود ، جمع الخود (بسكون الواو) : الشابة من النساء . ترفل : تخطر ، وتتبختر . الطراز : علم الثوب (فارسي معرب) .

(٨٢) معتدل الشطاط : الرمح ، والشطاط : الطول . اراد بالاحدب : السيف .

(٨٦) في الاصول عدا خ/٧ (يقلى) مكان (يفني) ولعل الاصوب (يلقى الالوف) . البائقة : الداهية ، والشر ، في ط ، وخ/١ وخ/٣ (باقية) مكان (بائقة) .

(٨٨) ابرهة : قائد حبشي اشتهر ذكره في التاريخ الاسلامي بحملته على مكة المكرمة عام ٥٧٠م وقد انتهت حملته بالفشل كما تشير الاية الكريمة (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل) .

(٨٩) الشرس المراس : الشديد المعاناة والمزاولة . كسرى : اسم يطلق على ملك الفرس .

(٩١) هذا البيت والذي بعده من الزيادة التي مر ذكرها انفا في الفقرة (أ) .

(٩٢) الخطام : كل ما يوضع في انف البعير ليقتاد به . يدين: يخضع ، ويذل (بضم أوله وكسر ثانيه) .

٩٣ ــ مه يامقل فقد ظفرت بواهب
من منفسات المال ما لم يوهب

٩٤ ــ وخذ الامان من الزمان بخادر
ذي مخلب في كل جلد منشب

٩٥ ــ متورك فوق الحوادث راكب
من مصعبات الدهر ما لم يركب

٩٦ ــ أخذ الرئاسة عن انابيب القنا
عما تدبره أنامل قعضب

٩٧ ــ وقف على اقدامه ونواله
شكر الوشيج ومشكلات المأرب

٩٨ ــ صفر من الشيم الدنايا مفعم
من كل صالحة وعز مؤشب

٩٩ ــ ثاني الاعنة من حوادث دهره
سيان ما صعبت وما لم تصعب

١٠٠ــ قرم تفرست القروم برأيه
كابن تورث ما تورث عن أب

١٠١ــ والعز طورا بالحسام وتارة
بمهند من رأي كل مهذب

١٠٢ــ لا يمتطي الا العويص قيادها
ان الابية مركب الطبع الابي

١٠٣ــ بابي الذي يلقى الكتائب باسما
والحرب تكشر عن نواجذ مغضب

١٠٤ــ والخيل راقصة على نغم القنا
والبيض معجمة لصورة معرب

١٠٥ــ وله على أهل البسيطة كلها
فضل النجوم على سواد الغيهب

١٠٦ــ واذا نشرت ذؤابة من علمه
عطرت نواحي شرقها والمغرب

١٠٧ــ فهو النهاية بالمعارف كلها
شرف به دون العوالم قد حبي

١٠٨ــ أمطوح الاراء بالحكم التي
كتبت على الالهام ما لم يكتب

١٠٩ــ عجبا لخيلك كيف تحمل فارسا
قد زاحم الفلك المحيط بمنكب

١١٠ــ كم صارم جردت منه صوارما
تفنى الشعوب بضربها المتشعب

١١١ــ وكتيبة شهباء رعت بها العدى
كالصبح غار على الظلام بأشهب

١١٢ ــ بأبيك كم تلهو سيوفك بالطلى
ملهى اصيبية بدارة ملهب

١١٣ــ نهنه ظباك عن العدى (مترفعا)
فالرفق شنشنة السري المنجب

١١٤ــ واذا الامور هفت وضل دليلها
كنت الهدوء لقلبها المتقلب

١١٥ــ انت الغياث اذا النفوس تحشرجت
بمصعد من كربها ومصوب

١١٦ــ ومتى تعذر لابن انثى مطلب
الفاك مغناطيس ذاك المطلب

١١٧ــ ياسرحة المعروف ان قلائصي
هربت اليك من الزمان المجدب

١١٨ــ حطت على رغم المحول رحالها
بأبل ناد للمكارم مخصب

---

(٩٣) في ط (براهب) مكان (بواهب) .
(٩٤) الخادر : الاسد المقيم في خدره . منشب : عالق .
(٩٥) تورك على الدابة : ثنى رجله ليستريح . هذا البيت من الزيادة التي تقدم ذكرها في الفقرة (أ) .
(٩٦) قعضب رجل كان يعمل أسنة الرماح ، وقعضب ايضا : الضخم الجريء الشديد .
(٩٧) الوشيج : الرماح . المارب : الحاجة . هذا البيت والذي بعده من الابيات التسعة التي مر ذكرها انفا في الفقرة (أ) .
(٩٨) المفعم : المملوء . المؤشب : الملتف .
(١٠٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ . اعجم الشيء : اخفاه وأبهمه . أعربه : أبانه واوضحه .
(١٠٥) في الاصول عدا خ/٧ (وله على كل البسيطة كلها) . بريد بالبسيطة : ارض العراق .
(١٠٦) ذؤابة الشيء : اعلاه ، وفي أساس البلاغة (نار ساطعة الدوائب) . في الاصول عدا خ/٧ (غطت) مكان (عطرت) .
(١٠٧) هذا البيت من الابيات التسعة التي تقدم ذكرها في الفقرة (أ) .
(١١١) اغار على القوم اغارة وغارة : دفع عليهم الخيل (لسان العرب) . ولعله يريد غار يغور بمعنى دخل ونزل .
(١١٢) اصيبية : تصغير صبية . الدارة : يريد الساحة المستديرة . الملهب : موضع ايقاد النار .
(١١٣) في الاصول عدا خ/٧ (الورى) مكان (العدى . (مترفعا) كذا ورد في الاصول ولعله تصحيف (مترفقا) . الشنشنة : العادة ، والطبيعة . في ط (البري) مكان (السري) .
(١١٤) هفت : تطايرت لخفتها وطاشت . هذا البيت من الابيات التسعة المذكورة انفا في الفقرة (أ) .
(١١٥) حشرج الصدر : غرغر عند الموت . في ط ، وخ/١وخ/٣ وخ/٦ (مصعب) مكان (مصوب) .
(١١٧) السرحة : الشجرة العظيمة . القلائص ، جمع القلوص: الشابة من اناث الابل ، والناقة الطويلة القوائم . في ط ، وخ/١ وخ/٣ وخ/٦ (المزهب) مكان (المجدب) .

(٩) وقال يمدحه ويهنيه بالعيد

١ ــ أسانح برق من روابـــي الربائب
بدالك وهنا أم مصابيح راهــــب

٢ ــ وما هــو الا السيف سل ذبابــه
فعادت به الافاق حمر الذوائــب

٣ ــ تصدى لاجفان المحبين سحــرة
فشمر عن زندين كاس وســـالب

٤ ــ عرضت له امتار ري جوانحـــي
واي سراب بل غلـة شــــارب

٥ ــ لعمر الهوى لو لم تجانب مودتي
عزيزة ذاك الحي ما ذل جـانبي

٦ ــ ولائمـة لـم تدر فيـم تقلبـي
واي نجيب تنتحيـــه نجـائبي

٧ ــ تقول انخهـا واسترح من ركوبها
فجز النواصي دون جز السباسب

٨ ــ هي النفس لا تحمل عليها فانهـا
ادق نحولا من خصور الكـواعب

٩ ــ ولست لايماض الاماني بشـــائم
كما لمعت في الليل نار الحبــاحب

١٠ ــ وما المال الا قسمة لا تفوتهـــا
ولو انها نيطت بنـاب النـوائب

١١ ــ ولا تتقاذفك الامـــاني فانهـــا
[مصاعب] لا تعطي العنان لراكب

١٢ ــ فقلت اقلي العتب يا أم مالـك
فليس المعنى للخلي بصاحـــب

١٣ ــ ذريني اقدها تمضغ اللجم شزبا
محـدقة احداقهـــا للمــآرب

١٤ ــ الم تعلمي اني امرؤ غير صـــابر
لضيم ولا راض بادنى المراتـــب

١٥ ــ اكافح خيل الدهر لا متقهقــرا
لخطب ولا مستسلما لمحـــارب

١٦ ــ أعاف من الراحات لذة راحهـا
ورب مــدام لا تلذ لشـــارب

١٧ ــ اذا قلدتني سيف حمير أينقــي
نحرت به سرح الامـاني الكواذب

١٨ ــ وسوف لعمري تعلمين بأننـــي
خفضت من الايام أعلى المناصب

١٩ ــ فتى الخيل يقربها الملوك بصارم
به كتب التأييد محو الكتــائب

٢٠ ــ قضى الله ان يأتي بكل عجيبـة
لما راق فيه من فرند العجائـــب

٢١ ــ متى امه العافون حطت رحالهم
بملتطم امواجـــه ذي غـــوارب

٢٢ ــ اذا اختلفت للماردين طـــوارق
رمى الله منه بالنجوم الثواقـب

٢٣ ــ مجربة في كـل حال فعالـــه
وما الناس الا تحت طي التجارب

٢٤ ــ ومن كان من عاداته بذل نفسه
لدى الروع لم يبخل ببذل الرغائب

٢٥ ــ فتى ترد الفتيان من فتكاتـه
ورود السواري من حياض المغارب

٢٦ ــ فتى تلقح الآمال باسم رجائـــه
لقاح بنات الاكم بابن السحائب

٢٧ ــ ابو الهندوانيات استاذها الذي
يعلمها كيف انفلال المواكـــب

٢٨ ــ اذا رنح العـود الملوك فانمــا
يرنح عطفيه (صرير) القواضـب

---

(١) السانح : الذي يأتي من جانب اليمين ، ويقابله البارح. الربائب ، جمع رباب وهو السحاب ، ورباعي مقيس على وزن (فعال) كشمال وشمائل . الوهن : نحو منتصف الليل .

(٤) امتار : اطلب . الغلة : شدة العطش .

(٦) في خ/٤ وخ/٥ (تقبلوا) مكان (تقلبي) . تنتحيه : تقصده .

(٧) الجز : القطع . النواصي ، جمع الناصية : الشعر في مقدم الراس . السباسب : المفازة .

(٩) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج. في خ/٧ (الحبائب) .

(١١) المصاعب ، جمع المصعب : الفحل الذي لا يركب . في خ/٧ (صعائب) وفي سائر الاصول (مصائب) وهو تصحيف

(١٣) تمضغ اللجم : تلوكها . الشزب من الخيل : الضامرة .

(١٧) يريد بسيف حمير : ممدوحه وهو من عليا حمير . السرح: الابل السائمة ، اي الراعية . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (نحرت بها) .

(١٨) في ط ، وخ/١ وخ/٣ وخ/٦ (المصائب) مكان (المناصب) .

(٢٠) راق : أعجب . الفرند : الوشي ، والجوهر .

(٢٢) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (للمارقين) مكان (للماردين) .

(٢٥) لعله يريد بالسواري (هنا) : السحب تأتي ليلا وبالمغارب ، جمع المغرب : الجهة التي تأتي منها السحب الممطرة ومع ذلك فالبيت مضطرب المعنى .

(٢٦) الاكم : الروابي ، ويريد ببنات الاكم : ما نبت عليها من اعشاب ، وبابن السحائب : المطر .

(٢٨) (صرير) كذا ورد في الاصول ، والصواب (صليل) القواضـب .

٢٩ _ من القوم لم تجمع عليهم رئاسة
أولئك اكفــاء لتلك المطــالب

٣٠ _ اذا ازور بأس او تنمر حـادث
فانك رام كل جــزع بثاقــب

٣١ _ تظن ملوك الارض انك كفؤهـا
ومن قال ان الشمس كفؤ الكواكب

٣٢ _ قرعتهم حتى تركت سيوفهـم
مضـاربها مفلولـة كالضـرائب

٣٣ _ طلبت العلى حتى اطمأنت نواشز
قضى في هواها طالب بعد طـالب

٣٤ _ اذا العرب العرباء طالت مناسبا
فانك منها في صميم المناسـب

٣٥ _ لعمرك كم اوردتها سورة القنا
وللطعن كـاس لا تلذ لشــارب

٣٦ _ فأطربها ذاك الـورود وما درت
أكانت وطيسا أم نـدي ملاعـب

٣٧ _ لقد صلت في سعدالسعود بذابح
هو السيف لا ينفل في كف ضارب

٣٨ _ اذا انجذبت شوقا الى قربك العلى
فانك مغناطيس طبـع المناقـب

٣٩ _ وما طيبات الفعـل الا لاهلهــا
وانت بحمد الله طيب الاطايـب

٤٠ _ اذا نحن اوردنا حياضك عيسنا
فلابد ان يصدرن بجر الحقائـب

٤١ _ ارى الدهر خفاق الجوانح كلما
اشرت بذي حدين ماضي المضارب

٤٢ _ وكم حجب للملك اوسعت خرقها
بعين ســداد لم تكفكف بحاجـب

(٢٩) في خ/١ ، وخ/٤ ، وخ/٥ ، وخ/٧ (لم تجمع) مكان (لم تجمع) مكان (لم تجمع) .
(٣٠) الجزع (بالكسر) : محلة القوم ، ومنعطف الوادي، والمكان المشرف من الارض ، و (بالفتح) : الخرز اليمـاني .
(٣٢) الضرائب ، جمع الضريبة : الرجل المضروب بالسيف ، وموضع الضربة من جسد المضروب .
(٣٣) النواشز ، جمع الناشز : المرتفع ، والمستعصية على زوجها . في خ/٧ (فوائز) وهو تصحيف .
(٣٧) سعد السعود ، وسعد الذابح : نجمان من منازل القمر ، استعار الاول لليمن والثاني للسيف . في خ/٧ (بدالج) مكان (بذابح) وهو تصحيف . في الاصول باستثناء ط ، وخ/٦ (في يد ضارب) .
(٣٨) لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .
(٣٩) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .
(٤٠) البجر (بالضم) جمع البجراء : الممتلئة . في خ/٥ (فلازود) وفي خ/٦ (فلادر) مكان (فلابد) .

٤٣ _ (حنانيك) بالعيد الذي انت عيده
ومورده الكـأس اللذيذ لشــارب

٤٤ _ تحييه باليمن الذي يلد المنــى
ويقبـل بالاقبـال من كل جـانب

٤٥ _ تناهت بك الدنيا سرورا فأرخوا
حوى منك هذا العيد اسنى المطالب

١١٣٬١٢١٬١١٥٬٧٠٦٬١١٠٬٢٤
= ١١٨٩ هـ

(٤٣) (حنانيك) كذا ورد في الاصول ولا معنى لهذه الكلمة هنا ، ولعل الصواب (أهنيك) . هذا البيت وما بعده الى اخر القصيدة غير موجود في خ/٧ .
(٤٥) اوردت الاصول عدا خ/٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولاعتقادي ان الناظم قد أسقطه وختم القصيدة بهذا البيت (بدليل احتوائه على التاريخ وتكرار القافية في البيتين) فقد رجحت نقله من المتن الى الهامش ، وهــو :
جزيت من العليـاء خيرا فانهـا
وعت بك من نـوار كل المطالب

(١٠) وقــال

١ _ ابى الشعر الا ان يحل بساحتـي
فيأكل من زادي ويشرب من شربي

٢ _ اذا انا لم أعبأ به عمر ساعــة
توهم هجراني فـلاذ الى جنبي

٣ _ ولـكنني لمــا رايـت مضـاءه
مضاء العوالي والمهنــدة القضب

٤ _ غزوت به بعض الاعادي فاصبحوا
من الطعن قتلى لا من الطعن والضرب

٥ _ ومن عادة الايام اضمار حرهــا
كما سترت بالقشر جوهرة اللب

(٤) الطعن (الاول) : القدح والذم .
(٥) في خ/٤ (اخمال) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (اخماد) مكان (اضمار) .

(١١) وقال (أ)

١ _ يا أبـا احمـد رويـدا رويـدا
انا في الشعـر صاحب المعجـزات

(أ) لا وجود لهذه القطعة في خ/٧ .
(١) يا أبا احمد : احتمل انه يخاطب الحاج سليمان الشاوي.

٢ ــ ان شعر الألى غـــريب المعـــاني
رنـــق غـــير رائـــق الكلمـــات

٣ ــ لو يريد الانسان امثـال هـــذا
لأتـــى بالالـــوف لا بالمئـــــات

٤ ــ فلهـــذا صـــددت عنــــه صـــدودا
وتعوضـــت عنــــه بالبينـــــات

٥ ــ كنقـــاخ وطحلـــب وجفـــاخ
وســـنير وشـــبرق وطخــــات

٦ ــ لا ارى مركب الجمــوح صـــوابا
ليس قـــول الفـــلاة [كالموماة]

(٣) في ط ، وخ/١ وخ/٣ (دون المئات) .

(٥) النقاخ : الماء البارد ، والعذب الصافي . الطحلب : خضرة تعلو الماء الراكد . الجفاخ : الافتخار والتكبر . السنير : السيء الخلق . الشبرق : نبات غض ، وقيل هو نبات كاظفار الهر فاذا كان رطبا فهو شبرق ، واذا يبس فهو الصريع . والشبرق ايضا : ولد الهرة . الطخات : الليالي المظلمة .

(٦) الموماة : المفازة الواسعة ، في خ/٤ (كالموميا ة) وفي خ/٥ (كالمومسا ة) وفي سائر الاصول (كالموسمات) والصواب ما اثبته .

(١٢) وقال في الغزل والحماسة

١ ــ طرقتك صاحبة المحيـــا الابلـــج
تختـــال بـــين تجعـــد وتدعـــج

٢ ــ لم أنس اذ لعب الصبا بقوامهـــا
لعب الصبي بمحجن من صولـــج

٣ ــ فأتت تهـــز معاطفا رجراجـــة
كالقضب بين تكســـر وترجـــرج

٤ ــ لم أنسها والخـــال يلثم خدهـــا
كالدر صافحـــه صـــفيح زبردج

٥ ــ لميـــاء لولا قـــدرة من قـــادر
كانت من الارحـــام لـــم تتبـــرج

(١) التجعد : تجعد الشعر . التدعج ، من الدعجة : سواد العين مع سعتها .

(٢) المحجن : العصا المنعطفة الراس كالصولجان . في الاصول عدا خ/٧ (لعب الهوى برشيقها) .

(٣) المعاطف : مواضع الانعطاف من جسم الانسان ، وهــو من قولك : انعطف فلان في مشيه ، حرك رأسه وتهادى وتبختر . التكسر : التثني .

(٤) الصفيح : كالصحيفة : وجه كل شيء عريض . الزبرجد : من الاحجار الكريمة ، معرب فارسيته (زبرجد) .

٦ ــ يا حادي اللـــذات دونك فاحدها
بسياط صـــوت للغنـــاء مهـــزج

٧ ــ اجعل معاجك للحميـــا لا الحمى
فمعـــرج الاقـــداح خـــير معـــرج

٨ ــ حسنت معاشرة الحسـان فانهـــا
مفتـــاح باب للهمـــوم مفـــرج

٩ ــ لله أيـــام خلـــون كأنهـــا
حبك النجوم منمنمات المنسج

١٠ ــ أيام سورنا الزمـــان ولفنـــا
مـــا بـــين خلخـــال أرن ودملج

١١ ــ ثلجت على رغم الشبيبة نارهـــا
ومن انزوت عنه الشبيبة يثلـــج

١٢ ــ لا ترج فائتة الصبا ان الصبـــا
وابيك يذهب مثل امس ولا يجي

١٣ ــ اسفي لما حجب السرى من جوهر
أصداف لؤلئـــه أكلة هـــودج

١٤ ــ لهجوا بخوض دمي وبين جوانحي
قلب بغـــير هواهـــم لم يلهـــج

١٥ ــ وسرى نسيمهم فقلت لصبوتي
يا نار مســـك نافـــخ فتأججي

١٦ ــ بأبي الاهلة في القباب كأنمـــا
ســـمكوا لهـــا فلكا من الفيروزج

١٧ ــ عرب تحملن الجمـــال لصونـــه
لاقدســـت حســـناء ذات تبـــرج

١٨ ــ كذب الهوى من بات ينشد دمنة
ماذا الوقوف على يباب سجســـج

(٦) المهزج : المرنم في الاصول عدا خ/١ وخ/٤ وخ/٧ (ياحادي النشوان) .

(٧) في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (للحمى) مكان (لا الحمى) .

(٩) الحبك : الطرائق . المنمنم : المزخـرف والمزين . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (منمهات المنسج) .

(١٠) سوره : جعل له سورا ، والبسه سوارا ، الارن : ذو الصوت . الدملج : حلي يلبس في المعصم .

(١٣) في الاصول عدا خ/٤ (لؤلؤة) . الاكلة ، جمع الاكليـل وهو كل ما احتف بالشيء من جوانبه .

(١٥) في خ/٤ وخ/٥ (نامخ) وفي سائر الاصول عدا خ/٧ (فافج) مكان (نافخ) .

(١٦) الفيروزج : حجر كريم (معرب بيروزة) . انفردت خ/١ وخ/٧ بايراد هذا البيت ، وكان ترتيبه في خ/٧ بعـد البيت (١٣) وروايته مغايرة لما في خ/١ كالآتي :

لـــم انسها بين القبـــاب مصـــونة
كالـــدر في حـــق من الفـــيروزج

(١٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ وخ/٧ .

(١٨) الدمنة : آثار الدار . اليباب : الخراب . السجسج : الارض ليست بصلبة ولا سهلة . في ط (سباسب) وفي خ/٧ (مآب) مكان (يباب) . وفي خ/٧ ايضـا (ذمة) مكان (دمنة) .

١٩ ـ هي شقة الوادي فما في جوهـا
نسـم ولا في طيها من مـدرج

٢٠ ـ ياصاحب الكوماء القحها السرى
بنوى سوى غلل الجوى لم تنتج

٢١ ـ هل للنواعج اوبـة فتجـد لي
ذكرى اغيلمـة بـدارة منعـج

٢٢ ـ رحلوا فلي في كل واد صرعـة
بسـلاف ذكرهـم الذي لـم يمـزج

٢٣ ـ واقول للارض التي ذكروا بهـا
هـذا النسيم نسيمهم فتـأرجي

٢٤ ـ اني لاذكركم فتعثـر لوعتـي
بالمقلة الحمراء والقلب الشـجي

٢٥ ـ لا تحسبوا مقتي يزيفها النـوى
كم خالص بين الرفـاق وبهرج

٢٦ ـ ولقد سددت على سواكم مقلتي
فالنوم ليس له بها من منهـج

٢٧ ـ فمتى يفيق من الهموم مدلـه
درج الزمان وامـره لـم يدرج

٢٨ ـ جمحت مذاكي الحادثات فهل ترى
من ملجم يومـا لهـا او مسـرج

٢٩ ـ ضاق الخناق وكل ضيق بعـده
فـرج وايـة كربـة لـم تفـرج

٣٠ ـ ولقد جريت مع الهوى وجرى معي
خلين ما قلقا لبـين مزعـج

٣١ ـ ما عز بذل النفس دون لقائكـم
والجود بذل حشاشـة لازبـرج

٣٢ ـ لله افلاك السـرور قطعتهـا
في ليلـة والصبـح لـم يتبـلج

٣٣ ـ والشهب ترفع في السماء كأنها
عانات عـين في ريـاض بنفسـج

٣٤ ـ واغن ينضح بالحميـا خـده
ويمج مسـكا من خـلال مفلـج

٣٥ ـ بأبي الصبيح تقول لي وجناتـه
انعـم صباحا بالغـلام الابلـج

٣٦ ـ ولرب منتقـب يميـط نقابـه
عن ناعـم بـدم القلوب مضـرج

٣٧ ـ لما اطل على حوانيت الطـلا
شـفت شفيف الجو عن متبلـج

٣٨ ـ وترى الكؤوس على اختلاف صباغها
كالزهر بين مـورس ومسـبج

٣٩ ـ ويصـبها ياقوتـة بمفضض
كالـدرة البيضـاء لا بمزجـج

٤٠ ـ حمراء تمشي في أكف سقاتهـا
مشي الكواكب في مجاري الابرج

٤١ ـ (ايهاً لعيشك) يانديم ادر لنـا
صرف الحميا او بريقك فامـزج

٤٢ ـ برزت اليك من الدنان مليكـة
بسوى حصى الياقوت لم تتـوج

٤٣ ـ جهمية الاخـلاق لو زوجتهـا
غير ابن نوء السحب لم تتـزوج

---

(١٩) الجو : ما بين السماء والارض . المدرج : المسلك .

(٢٠) الكوماء : الناقة الضخمة السنام . الغلل : شدة العطش . في خ/٧ (بنوى السرى غلل بدارة منعج) .

(٢١) النواعج : النساء ، والنياق البيض . أغيلمة ، تصغير اغلمة ، جمع غلام . منعج (كمجلس) : موضع . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٢٥) المقة : المحبة . في خ/٧ (حبي) مكان (مقتي) . البهرج : الرديء .

(٢٦) في الاصول عدا خ/٧ (كالنوم) مكان (فالنوم) . وفي ط ، وخ/٣ وخ/٦ (ليس بها) .

(٢٧) درج : انطوى . في ط ، وخ/٧ (موله) وفي خ/٢ (متدله) مكان (مدله) .

(٣١) الزبرج : الذهب . في خ/١ (ولقد بذلت النفس دون لقائهـم) .

(٣٣) العانات : القطعان . العين بقر الوحش . في الاصول عدا خ/٧ (في بياض) مكان (في رياض) .

(٣٥) في خ/٧ (بالصباح) مكان (بالغلام) .

(٣٦) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (من ناعم) .

(٣٨) مورس : أصفر . مسبج : أسود . في خ/٥ (مسلج) مكان (مسبج) .

(٣٩) يريد بالياقوتة : الخمرة بلون الياقوتة ، وبالمزجج : الاناء من الزجاج .

(٤١) (ايها) : بمعنى اكفف ، ولعل الاصل (ايه بعيشك) اي زدني بحق عيشك .

(٤٢) الدنان ، جمع الدن (بالفتح) : اناء كبير للخمر . يريد بحصى الياقوت : الحباب الذي يطفو على الشراب .

(٤٣) جهمية : نسبة الى الجهمة (بالفتح او الضم) : الغلظة والعبوس ، والجهمية : فرقة من الجبرية تنسب الى جهم بن صفوان المتوفى سنة ١٢٨هـ . النوء (هنا) : المطر .

٤٤ ـ وكأنها اذ يستدير حبابها
صفحات نهر بالرياض مدبج

٤٥ ـ قم هاتها من عصر عاد عصرها
لا خير في الثمرات ما لم تنضج

٤٦ ـ ولقد مننت بخلوة فجعلتها
كجمالك الفرد الذي لم يزوج

٤٧ ـ ماذا يضرك ان تمن بأختها
ان الكريم لدى رجاء المرتجي

٤٨ ـ واذا سألتك أن تمن بقبلة
فامنن علي بها ولا تتبجج

٤٩ ـ صلني بواحدة وثن بأختها
كرما لجوهرك الذي لم يزوج

٥٠ ـ لا در درك يامدام فانني
نشوان من قدح الغلام الادعج

٥١ ـ وطوارق أدلجتها لمجاشع
كانت كطارقة القضاء المدلج

٥٢ ـ لم انس صلصلة الحديد بمأزق
زجل الرعود بخرقه لم يولج

٥٣ ـ ايام تعتصر الكماة [ظباتنا]
والخمر لولا العصر لم تستخرج

٥٤ ـ والشوس تزبدوالسيوفزواخر
والخيل تسبح في القنا المتموج

٥٥ ـ وكأن طائرة النبال اذا هوت
قبسات ضوء الكوكب المتوهج

٥٦ ـ دخلت على علم مداخل حربنا
لكنها جهلت سبيل المخرج

٥٧ ـ قرنت حماقتها بجراة اسدنا
والحمق من خلق البعير الاهوج

٥٨ ـ سلبتهم الخيلاء خيل اقبلت
تختال بالخلق البهي (الاسمج)

٥٩ ـ خيل اذا ذكر الوغى طربت لها
طرب السمند بكل ذات تأجج

٦٠ ـ وانا الذي يهوى القنا فتروقه
هبوات (ليل بالقناة) مرهج

٦١ ـ جربت ايامي فلم أر صاحبا
الا يراقب فرصة او يرتجي

٦٢ ـ والحر بالجلى يزيد تحنكا
لولا احتراق العود لم يتأرج

٦٣ ـ ولرب أعزل لو دعته يد الوغى
لاجاب عن شاكي السلاح مدجج

٦٤ ـ ولقد تركناها جمادا في الفلا
والروح في سر الدم المترجرج

٦٥ ـ ثم انثنينا رابحين تراثها
الا الجسوم لناعب أو اخرج

٦٦ ـ كم من يدي أسد أطار كليهما
ضرب وهام للملوك مدحرج

٦٧ ـ ركبوا الفرار فللقنا بظهورهم
وقع كصوت البارق المتأجج

٦٨ ـ فتقطعوا مثنى هناك وموحدا
كقطيع وحش في القفار مهيج

---

(٤٥) عاد : اسم رجل من قدماء العرب ، والى قومه ارسل الله نبيه هودا عليه السلام .

(٤٦) لم يزوج (بكسر الواو) : مفرد ليس له مثيل .

(٤٨) التبجج : من البجاجة : الرديء . لا وجود لهذا البيت في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .

(٤٩) لم يزوج (بفتح الواو) : يريد لا يقبل الانقسام كالجوهر الفرد . هذا البيت مشابه للبيت (٤٦) ولعل الشاعر كان قد اسقط احدهما ، وهو ايضا غير موجود في خ/٢وخ/٤ وخ/٥ وخ/٧ .

(٥١) الطوارق : جمع الطارقة : عشيرة الرجل . أدلجتها : سيرتها في الدلجة . مجاشع : بطن من تميم . الطارقة : الداهية . في ط ، وخ/٢ (المدعج) مكان (المدلج) .

(٥٢) صلصلة الحديد : صوته . المأزق : المضيق ، وموضع الحرب . الخرق : الفرجة .

(٥٣) في خ/٧ (ظباءها)وفي سائر الاصول(ظباؤنا)والصواب ماأثبته .

(٥٦) في الاصول عدا خ/٧ (دخلت على غرر) .

(٥٨) (الاسمج) كذا وردت الكلمة في الاصول ، ولا معنى لها هنا ، ولعل الصواب (السجسج) وهو المعتدل من كل شيء .

(٥٩) السمند : طائر قيل : انه يستلذ بالنار ولا يحترق بها . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣وخ/٦ .

(٦٠) الهبوات ، جمع الهبوة : الغبرة . المرهج : المغبر . (ليل بالقناة) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (يوم بالقتال) .

(٦٤) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في خ/٧ .

(٦٥) الناعب : الغراب . الاخرج : كل ذي لونين من بياض وسواد ، كالغراب الابقع .

(٦٧) في الاصول عدا خ/٧ (كسوط) مكان (كصوت) .

٦٩ ــ ولقد أبحناها الفرار تكرما
وابن الكرام يصون كل مبهرج

٧٠ ــ والجود تمقته مشائيم الورى
مقت الخنافس كل ذات تأرج

٧١ ــ بعدا لبارقة الشحيح فانها
رحم العقيمة ما لها من منتج

٧٢ ــ كم غاظنا ملك فعاد متوجا
بحدود ضرب لا ضروب تتوج

٧٣ ــ نسج الطعان لنا بتسدية القنا
مجدا على منواله لم ينسج

٧٤ ــ طعن يسل من الملوك حقوقنا
والخمر لولا العصر لم تستخرج

٧٥ ــ تهوى مواقفنا الوغى فنقودها
قب الاياطل من عقائل اعوج

٧٦ ــ لا نستحيل عن الاسنة والندى
كالنجم عن أفلاكه لم يخرج

٧٧ ــ أو ما ترى المعتاد عودي الشذا
لا يطمئن الى دخان العرفج

٧٨ ــ جئنا من الحدب الظهور بحجة
لم تبق وجها قط للمتحجج

٧٩ ــ رنت المطامع ان تروم لحاقنا
كم غاية لا يرتجيها المرتجي

٨٠ ــ نختال في الحرب العبوس كأننا
نختال في يوم القنيص المبهج

٨١ ــ واذا القساطل زاحمت لهواتنا
كانت لنا كون اللهى للمحوج

٨٢ ــ والارض ان طابت محارث تربها
نبتت بابهى ما يكون وابهج

٨٣ ــ والضيم يأبانا ونأبى وخزه
كيف المبيت على شياك العوسج

٨٤ ــ لا تحسبوا بالغي يصفو شربكم
فمتاع اهل الغي غير مروج

٨٥ ــ كذبت عيونكم المنى بمخائل
كالآل بين تدفق وتموج

٨٦ ــ نبهتم الاسياف بعد رقودها
فعل الملح بقرع باب مرتج

٨٧ ــ وحسبتم الهيجاء مزحة عابث
لكنما الهيجاء ذات توهج

٨٨ ــ غرتكم مدح الرعاع بهجرها
من كان ممدوح الرعاع فقد هجي

٨٩ ــ او ما درى من شام فقد شموسنا
ان فارق الكون الغزالة يثلج

٩٠ ــ سفها لرأيكم الغوى اما درى
من قامر الحظ المؤيد يفلج

٩١ ــ أو لم تحدثكم مثقفة القنا
ان الاذلة بالاعزة تلتجي

---

(٦٩) المبهرج : الذي هدر دمه . في خ/٣ (مبرهج) .

(٧٠) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (والجور) مكان (والجود) . مشائيم ، جمع مشئوم ضد ميمون . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (مشائم) مكان (مشائيم) . وفي ط (للورى) وفي خ/٧ (الهوى) مكان (الورى) .

(٧٢) في خ/١ وخ/٢ (فراح متوجا) . وفي ط ، وخ/٣ وخ/٦ (مجد ويضرب لا ضروب تتوج) .

(٧٣) سقطت كلمة (لنا) من ط وخ/٣ . التسدية : مد سدى الثوب . المنوال : خشبة الحائك .

(٧٤) هذا البيت غير موجود في خ/٧ ، وقد كرر الشاعر فيه عجز البيت (٥٣) .

(٧٥) القب ، جمع الاقب : الضامر . الاياطل ، جمع الايطل : الخاصرة . أعوج : فرس أصيل لبني هلال تنسب اليه الاعوجيات . في ط ، و خ/٣ (الهوى) مكان (الوغى) .

(٧٦) لا نستحيل : لا نتحول .

(٧٧) عودي : نسبة الى العود وهو ضرب من الطيب يتبخر به. العرفج : شجر ينبت في السهل وقيل هو القتاد .

(٧٨) الحدب : السيوف . انفردت خ/١ بايراد هذا البيت والبيتين اللذين بعده .

(٨١) القساطل ، جمع القسطل : غبار الحرب . اللهوات ، جمع اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في اقصى سقف الفم . اللهى : افضل العطايا واجز لها . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٨٣) الشياك ، جمع شوك ، مقيس على وزن (فعال) كسوط وسياط . انفردت خ/١ بايراد هذا البيت .

(٨٤) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٨٦) جاء في خ/١ البيت الاتي بعد هذا البيت ، ويظهر ان الشاعر قد اسقطه .

طرقتم للحرب بابا مرتجا
بئس الصنيع لطرق باب مرتج

(٨٧) في ط (احسبتم) . في خ/٧ (مسحت) مكان (مزحة) .

(٨٩) شام : خمن ، وقدر ، ونظر . الغزالة : الشمس .

(٩٠) قامره : راهنه . يفلج : يغلب . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

٩٢ ــ لا تدعوا ما ندعيــه وايقنــوا
أن الصموت أحــق بالمســتبلج

٩٣ ــ نحن الألى لو لم تغث حركاتهــم
سكنــات عين الدهــر لم تترجرج

٩٤ ــ أفصت سماؤهم الفتوق فما ترى
للطالبين عروجهــا من معــرج

٩٥ ــ طاف الوفود بهم وزمزمت المنى
ولغير بيتهــم الحجا لــم يحجج

٩٦ ــ تهدي الرماح اليهــم مما فرت
نفحات عنبر طيبهــا المتــأرج

٩٧ ــ تترادف الطعنات من (أسلافهم)
فيقوم مفردهــا مقــام المــزوج

٩٨ ــ توج وجودك بالمــآثر والعلــى
فالمــرء بالاكليل غــير متــوج

٩٩ ــ واذا دعيت الى النهوض بحاجة
فاحجج لهــا عجــلا ولا تتحجج

١٠٠ــ والنفس جوهرة الكمال اذا خلت
من غش طبع بالبطالــة مدمــج

١٠١ــ والعلم لج لا يصيب وفــوده
ظمــأ فبــورك رأي كــل ملــجج

١٠٢ــ كن كيف شئت مكوكبا او مركزا
ما الجوهر النوري كالثقل الدجي

١٠٣ــ لا تلزمني باختــلال معاصري
فالورد ينبت في خلال العوســج

---

(٩٢) يريد بالمستبلج : الذي يدعي البلج ، أي وضوح الحجة. في ط ، وخ/١ وخ/٣ (تدعوا لنا ما ندعيه) .

(٩٣) في الاصول عدا خ/٥ وخ/٦ (تفت) مكان (تغث) .

(٩٤) أفصت (بالصاد المهملة) : سدت ، وازالت . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ (أما ترى) .

(٩٧) (اسلافهم) كذا ورد في الاصول ؛ ولعــل الصــواب (أسلاتهم) جمع أسلة : نصل الرمح ، ومستدق الذراع .

(٩٩) أجج : اقصد ، واقدم ، في خ/٧ (فاسرع) مكــان (فاحجج) . التحجج : تلفيق الحجج والاعذار .

(١٠٠) مدمج : ملفوف ، ومتداخل . لا وجود لهذا البيت في ط ، وخ/٣ وخ/٦ .

(١٠١) الملجج : راكب اللجج . في ط (العلم نور) . في الاصول عدا خ/٥ وخ/٧ (مبلج) مكان (ملجج) .

(١٠٢) المكوكب : الفلك . المركز : القطب . الجوهر : الشيء القائم بذاته ، يقابله العرض وهو ما عبر عنه بالثقــل الدجي أي المظلم .

(١٣) وقال (أ)

١ ــ هي حــزوى ونشرهــا الفيــاح
كــل قلــب لذكــرها يرتــاح

٢ ــ مرضــت ســلوتي وصح غــرامي
بلحاظ هــي المــراض الصحــاح

٣ ــ ليت شعري وللهــوى عطفــات
هل يبــاح الدنــو او لا يبــاح

٤ ــ عجبــا كيف لا يبــاح دنــوي
عند قوم وقتل مثــلي مبــاح

٥ ــ كــل ســر لهــم بقلبــي مصــون
غير ان الهــوى لــدي مبــاح

٦ ــ يانســيم الصــبا بروضة (خد)
لك منهــا اذا اعتللت ارتيــاح

٧ ــ جز بحــزوى فثــم عالم لطــف
من بقــايا أجسامــه الارواح

٨ ــ هجروا والهــوى وصال وهجــر
هكذا ســنت الغــرام المــلاح

٩ ــ ايها الورق ليس وجدك وجدي
اين من ذي الصــبابة المرتــاح

١٠ ــ بت في الروض لا محاجر قرحى
من دمــوع ولا فــؤاد متــاح

١١ ــ لك داب الفنا ولي النوح داب
أين من نشــوة الغنــاء النــواح

(أ) في ط (وقال يمدح سليمان بيك الشاوي) ، والقصيدة عارية عن المديح . وفي خ/٧ (وله في الغزل) . ووردت في سائر الاصول غير معنونة .

(١) حزوى : موضع بنجد في ديار بني تميم .

(٤) في خ/٤ (عنه) وفي سائر الاصول عدا خ/١ (منه) مكــان (عند) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٥) مباح : مذاع . انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هــذا البيت .

(٦) (خد) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (خاخ) وروضة خاخ بين مكة والمدينة وقد اكثرت الشعراء من ذكرهــا (معجم البلدان) .

(٧) في ط (اجسامها) مكان (اجسامه) .

(١٠) المتاح : الواقع في البلايا . في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (من دموعي) ، وفي خ/٧ (مراح) مكان (متاح) .

(١١) الداب : العادة ، والشأن . لا وجود لهذا البيت في ط . في خ/١ وخ/٢ وخ/٧ (نشأة) مكان (نشوة) .

١٢ ــ عرجي بالنقا على دار قـــوم
عندهم يحسـد المسـاء الصـباح

١٣ ــ وقفي منهـم بـوادي ســـلام
فيه تـأوي الارواح والاشــبـاح

١٤ ــ واذكريني بأفصح الذكـر في تل
ك المغـاني ان امكـن الافصـاح

١٥ ــ لا تنـوحي الا علـي لديهـم
ما عـلى كـل من يمـوت ينـاح

١٦ ــ ووراء الكثيب (سـرحة) عـين
ما لهـا في سوى القلوب سـراح

١٧ ــ كل قـد للفتـك فيـه مجـال
تتلوى بـه القنـــا والصـفاح

١٨ ــ قذفتهـا النوى فغابت شموس
أوجـــه العيش بعدهن قبـــاح

١٩ ــ ليت شعري مـا للفـراق وللاح
باب ان الفراق وجـه وقـــاح

٢٠ ــ وبذاك اللمـــى احـاديث ورد
شـرحها للمتيمـــين انشـــراح

٢١ ــ ان هدى (فرعه) أضل بفرع
اهو الليـل أم هـو الا صـبـاح

٢٢ ــ قمر ماس تحتـــه خيـــزران
كـــل روح اليهمـــا ترتـــاح

٢٣ ــ يا غزال الصـريم يهنيـك رقي
ولمثلي عـلى الاســـود جمـاح

٢٤ ــ لا تلمني على اباحـة ســـري
كل عشـــق لاهلـــه فضـــاح

(١٢) في ط ، وخ/٣ (عرجى بي على) وفي خ/٢ (بالنوى) مكان (بالنقا) وفي خ/٧ (واد) وفي سائرالاصول عدا خ/١ (ناد) مكان (دار) .

(١٤) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ وخ/٧ (في أفصح) .

(١٦) السرحة : الشجرة ، والعرب تكنى عن المراة بالسرحـة (اللســـان) ، ولعل الاصـــوب (مســـرح عـــين) العين (بالكسر) : بقر الوحش ، وجمع العيناء : الواسعة العين في خ/٤ وخ/٥ (ان دون الكثيب) وفي خ/١ (مراح) مكان (سراح) .

(١٧) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيت .

(١٩) في ط (ان فارقوا وجوه وقاح) .

(٢٠) في الاصول عدا خ/٤ وخ/٧ (للمتيمين فيه انشراح) .

(٢١) (فرعه) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (فرقه) ، والفرق : الطريق في شعر الرأس مابين الجبين الى الدائرة . الفرع : الشعر . في خ/١ (ان بدا فرعه أضاء بفرع) وفي الاصول عدا خ/٧ (ام هو المصباح) .

(٢٣) في ط ، وخ/٢ وخ/٣ (الرقيم) مكان (الصريم) .

٢٥ ــ ومن الظلم ان تـلام ببخـــل
انمـا البخـل في المـلاح سمـاح

٢٦ ــ غر لين القـوام منـك اناسـا
ومن البـأس ان تلين الرمـــاح

٢٧ ــ ان لله اسهما في العيـــون الـ
نجل لـم تندمل لهـن جـراح

٢٨ ــ يا ظما الوجد ما أرى لك ريـا
بعـــد ثغـر لماه للـــراح راح

٢٩ ــ ياحمام الاراك بلـغ ســـلامي
اهل ودي فما عليـك جنـــاح

٣٠ ــ كيف لا تملك الجـــآذر رقـي
وقضـاء الهـوى قضـاء متـاح

٣١ ــ قل لهم هل رأيتم الليـث ملقى
صافحته من اللحـاظ صفـــاح

٣٢ ــ تتعاطاه راحـة الوجـد حتـى
لا هدوء لـــه ولا مســـتراح

٣٣ ــ صـدني عنه من تمنطق بالاجـ
نـــاد لـكن لـه القلوب مـراح

٣٤ ــ بـين جنبيـــه للصبابـــة واد
كـــل آن حمامـــه نـــواح

٣٥ ــ لاجواه يفنى ولا الصبر بـــاق
كيف يفنـى جـد ويبقى مـزاح

٣٦ ــ ان في القلب حاجة هي في الصد
ر غليـل وفي الضلوع جـــراح

٣٧ ــ ما نعتني عنها رماح قـــدود
بعد ما صاحت الامان الرمـــاح

(٢٦) لا وجود لهذا البيت في خ/٧

(٢٧) النجل ، جمع النجلاء : الواسعة . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٢٨) في خ/٥ (ياشجى القلب) مكان (ياظما الوجد) . لا وجود لهذا البيت في خ/٤ .

(٣٢) تتعاطاه : تتناوله ، وتتنازعه . الراحة : الكف .

(٣٣) تمنطق بالاجناد : يريد أحاط نفسه بحزام من الجند . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ .

(٣٤) في الاصول عدا خ/٧ (كم بجنبيه) .

(٣٥) المزاح (بالضم) الاسم اما المزاح بالكسر فهو مصـــدر (مازحه) : داعبه . في الاصول عدا خ/١ وخ/٧ (يفنى جوى) .

(٣٦) انفردت ط ، وخ/١ وخ/٣ بايراد هذا البيت والذي بعده .

٣٨ ـ هكذا الحب ذلـــة والتيــــاع
وكـــذا الحسن غـرة ومــراح
٣٩ ـ جد مزح الهوى فاضنى وافنى
وكـذا اول الحـــروب مـــزاح
٤٠ ـ وتسلحت بالعــزاء فمــا اغـ
نى ولكن نعـم المعـين السـلاح
٤١ ـ أي عيش بغير قـربك يغنـــي
ان فضـل الكؤوس لا شــك راح
٤٢ ـ ياشجاالقلب اين‌روض [المنى‌أم]
أيــن منـــي نســـيمه الفيــاح
٤٣ ـ وعلى الابرقين معهد (صب)
ساكنوه لقتل عهـدي اباحــــوا
٤٤ ـ عذبوا مهجتي باحيــاء وجـدي
ما عليهـم بقتــــله لـو أراحـوا
٤٥ ـ ياليالي الوصال هـل من بلـوغ
فلقـــد آن منـي الافتضـــاح
٤٦ ـ اين منك الذي تمنطـق بالأبـ
صار لـكن له القلـوب وشـــاح
٤٧ ـ عللينــي بواضـــح من لمـــاه
كـان منـه لـك اللمـا الوضاح

---

(٣٨) الغرة : الغفلة . المراح : الاشر والبطر . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ وخ/٦ وخ/٧ .
(٣٩) لا وجود لهذا البيت في خ/٧ ، ولانه مماثل للبيت (٣٥) معنى وقافية ، احتمل ان الشاعر كان قد اسقط احدهما فاتبتهما النساخ معا .
(٤٠) العزاء : حسن الصبر . لا وجود لهذا البيت والذي‌بعده في خ/٧ .
(٤١) في ط (يهني) مكان (يغني) وفيها وفي خ/٥ (افضل) مكان (فضل) .
(٤٢) في الاصول (روض الثنايا) والتصويب من اعيان الشيعة ١٠٨/٤٣ . لا وجود لهذا البيت في خ/٥ وخ/٧ .
(٤٣) الابرقان : ماء لبني جعفر ، ومنزل في طرق البصرة الى مكة المكرمة . المعهد : المنزل . (صب) كذا ورد في الاصول وهو تصحيف والصواب (حب) اي محبوب . العهد : المودة ، والذمة ، والوفاء . هذا البيت والابيات الاربعة التي من بعده غير موجودة في خ/٢ وخ/٤ وخ/٥ وخ/٦ وخ/٧ .
(٤٦) تمنطق بالابصار : يريد ضربت عليه العيون نطاقا . الوشاح (بالضم ويكسر) : شبه قلادة ينسج من اديم عريض ، ويرصع بالجوهر ، تشده المراة بين عاتقها وكشحيها .

٤٨ ـ حبـذا ليلـة برامة صـــفت
(ذهب) العيش لي بهــا الافراح
٤٩ ـ ليلة كـان لي بهــا الف صـبح
يا ترى ما الذي اراد الصبــاح
٥٠ ـ نسفتها ايدي الحوادث نســفا
مثلما تنسـف الرمـال الريـاح
٥١ ـ زار افق السـماء ريحان فجر
غـاب عن افقنــا بــه التفـاح
٥٢ ـ ياغليل الفؤاد صبرا جميـــلا
ربمـــا يعقب الفســاد الصـلاح

---

(٤٨) رامة : منزل لبني تميم في طريق البصرة الى مكة . (ذهب العيش) كذا ورد في الاصول ، واخال الصواب (ضرب العيش) أي حلاوة العيش ، والضرب : العسل . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .
(٥٠) هذا البيت غير موجود ايضا في خ/٧ .
(٥١) في الاصول عدا خ/١ وخ/٧ (بها) مكان (به) .

(١٤) وقال يمدح سليمان الشاوي (*)

١ ـ نسخ العهـود وعهـده لا ينسـخ
حدث حديث الحسن عنه ينسخ
٢ ـ يا للرجال لمـن اتاح يد النــوى
وسما كوسـم النار لا يتبـوخ
٣ ـ قذفت اليه النظرة الاولى هوى
اين الرواســخ منه بل هو أرسخ
٤ ـ كم بات بالعتبى يلطـخ ثوبـــه
عتبــا ولا ذنــب بـه يتلطـــخ
٥ ـ عف على العلات لم يعلـــق بــه
ريب لارديــة العفـاف يوســخ
٦ ـ نفحات وجـرة هلممي لشجوننــا
غوثى اليك كأنهــا تستصـــرخ

(*) مرت ترجمته في مقدمة هوامش القصيدة الثانية .
(١) ينسخ (الاولى) من نسخ الشيء : ابطله ، وازاله . و (الثانية) : يكتب . في الاصول عدا خ/٤ وخ/٥ وخ/٧ (لم ينسخ) .
(٢) لا يتبوخ : لا يخمد ، لا ينطفيء . في الاصول عدا خ/٤ (وسما كرسم النار) .
(٦) وجرة : موضع في طريق البصرة الى مكة ، هلممي

٧ ـ نتنت افاويه الوداد بغيرهم
لكنها بعبيرهم تتلخلخ

٨ ـ غني بهم وتحدثي ان الهوى
قطب بغير هواهم لا يرسخ

٩ ـ ياليت شعري من اباح لهم دمي
والى متى وانا البريء أوبخ

١٠ ـ حاولت(من نحوي)ارتياد رياضكم
وهتفت بالنخوات منكم فانتخوا

١١ ـ وملكتم ملك الجمال فأنصفوا
ان الكريم بأنفه لا يشمخ

١٢ ـ ولسوف يدرك كل باغ بغيه
المرء ينسى والزمان يؤرخ

١٣ ـ ولنا على يبرين من شرقيه
يوم كقادمة الحمامة أفتخ

١٤ ـ يا منزلا كانت لنا في حانه
اكواب عيش بالبطالة تنضخ

١٥ ـ لا تعتب الايام كيف تقلبت
ماذا على الافلاك فيما ينسخ

١٦ ـ قالوا المدام فقلت حسبي ريقه
هي اخت ماء الخلد وهو لها اخ

١٧ ـ تلك العقار صفت لنا فبخ بخ
لا عيش من دون العقار يبخبخ

١٨ ـ بحياة حبك سيدي لا تسقني
الا التي بلهيب خدك تطبخ

١٩ ـ خطب الغرام بركبه حتى اذا
وجدوا مناخ الحسن عندك نوخوا

٢٠ ـ لا يطغينك ما يروق من الصبا
ان المشيب لكل راس يشدخ

٢١ ـ لي فيك برح جوى كأن رسيسه
لم يكف عذالي عليك فوبخوا

٢٢ ـ كان الزمان وكانت الدار التي
كنا لنسخة انسها نستنسخ

٢٣ ـ كنا وحاشية العناق تلفنا
والهم يسفر والاماني نوخ

٢٤ ـ والمرء كالعنقود يضحك ثغره
والعاصرات به تعج وتصرخ

٢٥ ـ عز المعين فلا معين كأنما
بين الجميل ورائديه برزخ

٢٦ ـ كبًا لوجه الدهر لولا واحد
هو للجميل بوجنتيه مؤرخ

٢٧ ـ ولقد عفوت عن الزمان لاجله
فليشكرن يدا له لا تشرخ

٢٨ ـ هذا سليمان الذي لمقامه
ريح الجبابرة الشداد تروخ

٢٩ ـ اسد اذا انفسخت عزائم غيره
كانت عزائمه التي لا تفسخ

٣٠ ـ وتحط آمال الرجال بداره
فكأنها بزل الجمال تنوخ

٣١ ـ دار بمختلفات انعم ربها
يرقى اللديغ وينجد المستصرخ

٣٢ ـ لقحت به عقم الممالك وارعوى
بعد المشيب لها الشباب الاشرخ

لشجوننا : ادعيها بهلمي ، في ط (هلممن لشجوننا) ، وفي خ/٧ (هل يلم بشجوننا) . غوثي اليك : تناديك واغوثاه .

(٧) الافاويه : انواع الطيب ، الواحد (فوه) . لخلخه : طيبه باللخلخة ، وهي ضرب من الطيوب . في الاصول عدا خ/٥ (انادية) مكان (أفاويه) .

(١٠) (من نحوي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (من وجدي) .

(١٣) يبرين : موضع بحذاء ألاحساء . افتخ : لين .

(٢١) الرسيس : الشيء الثابت ، وابتداء الحمى ، وبخوا : لاموا ، وانبوا .

(٢٦) كبا : دعاء بان يكبه الله على وجهه . في خ/٧ (تبا لوجه الدهر) وفي ط ، وخ/٢ وخ/٣ (كثبا لوجه الدهر) ، و (هذا) مكان (هو) لم يرد هذا البيت في خ/١ .

(٢٧) لا تشرخ : ليس لها شرخ ، والشرخ : المثل .

(٢٨) تروخ : تكون رخاء (بالضم) وهي الريح اللينة التي لا تحرك ساكنا .

(٣١) رب الدار : صاحبها . في ط ، وخ/١ وخ/٣ (بمختلفات الفم ودبها) . لا وجود لهذا البيت في خ/٧ .

(٣٢) ارعوى : رجع . شباب اشرخ : في اوله ، وريعانه .

٣٣ ـ اعنى المشايخ من فلاسف دهره
سن له حدث وراي اشيخ

٣٤ ـ من كان في الرتب الشوامخ صاعدا
فمكانه منها الاشم الاشمخ

٣٥ ـ لقد استخف الملك غير وقاره
واخو الكمال بزقه لا ينفخ

٣٦ ـ لم يحكه والحرب تسجر بالقنا
الا السمندل في السعير يفرخ

٣٧ ـ بابي الذي نهضت به من حمير
فئة لتاريخ المكارم ارخوا

٣٨ ـ يا باذخ الحسبين حسبك محتد
من دونه نسب السماك الابذخ

٣٩ ـ جعجعت بالطائي في حلب الندى
ونسخت ابنية (التي) لا تنسخ

٤٠ ـ وهززت (آجال) الخوارج هزه
كادت تدك لها العقول الرسخ

٤١ ـ لم يقبلوا التوبيخ الا بالظبى
ما للئام سوى الحسام موبخ

٤٢ ـ أن ضيعوا الحسنى ففير عجيبة
ربما اضاع القطر واد مسبخ

٤٣ ـ والقار قار لا يطيب نسيمه
ولو انه بالمندلي مضمخ

٤٤ ـ قرعوا قواه بضعفهم وتوهموا
ان الحجارة بالزجاجة ترضخ

٤٥ ـ صيرت هامهم وكورا للقنا
وكذا الحمام لمرهفاتك افرخ

٤٦ ـ واعدت هاتيك البقاع كانها
جلباب وشي بالخلوق ملطخ

٤٧ ـ وانساب سيفك بالعدو كأنه
سم بطابعه الحجارة تفشخ

٤٨ ـ ولقد جريت فكل شبر اذرع
لك في العلاء وكل خطو فرسخ

٤٩ ـ خاطت من الذكر الجميل لك النهى
بردا كبرد الشمس لا يتوسخ

٥٠ ـ حظ الملوك وراء حظك جازر
فليستمدوا منك وليستصرخوا

٥١ ـ أن آمنوا وان لم يؤمنوا
فبشكل بأسك كل شكل يمسخ

٥٢ ـ في كل زند غير زندك كبوة
ولكل ذكر غير ذكرك منسخ

❋

---

(٣٣) اعنى المشايخ : اخضعها لارادته وآرائه .

(٣٥) الزق : السقاء ، وقبل اسم عام للظرف . وزق الحداد : كيره .

(٣٦) السمندل ، وسماه الجوهري (السندل) بدون ميم ، وابن خلكان (السمند) بدون لام : طائر بالهند ، قيل انه يبيض ويفرخ في النار (حياة الحيوان للدميري ٢/٣٣).

(٣٧) لا وجود لهذا البيت في خ/١ .

(٣٨) المحتد : الاصل . السماك : كوكب نير ، وهما سماكان : الرامح والاعزل .

(٣٩) جعجع به : حبسه ، وكفه عن الذهاب . الطائي : حاتم ، الجواد المشهور . ابنية ، جمع بناء (التي) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (له) والضمير يعود للطائي . نسخ الشيء : ازاله وابطله . واقام شيئا اخر مقامه .

(٤٠) (آجال) كذا وردت الكلمة في الاصول ، وهي جمع (أجل) : وقت الموت ، وجمع (اجل) : القيطيع من بقر الوحش . واخالها مصحفة عن (آجام) وهي الحصون ، واحدها اجم .

(٤٣) المندلي : من اجود انواع العود الذي يتبخر به .

(٤٥) الحمام ، جمع الحمة (بالكسر) : المنية .

(٤٦) الجلباب : القميص ، وقيل هو ما تغطي المراة به ثيابها ، وفي الصحاح : الجلباب : الملحفة . في الاصول عدا خ/٧ (جلبات) وهو تصحيف . الخلوق : ضرب من الطيب اعظم اجزائه من الزعفران .

(٤٧) الطابع : كالطبيعة ، أي السجية ، وطابع السيف صانعه تفشخ : تضرب ، والعامة تقول : فشخ راسه : اذا جرحه ، ولا يقال الا في جرح الراس ، ولعل الاصل : تفضح ، او تشدخ .

(٥٠) جازر : راجع . استمد : طلب المدد .

(٥٢) الزند : العود الاعلى الذي يقتدح به النار . كبا الزند : لم يور .



(١٥) وقال (أ) مادحا القاضي أمين (*)

١ ــ هو السعد لم يصلد لقادحه الزند
فمن لم يعنه الجَد لم يغنه الجِد

٢ ــ عن السعد حدثنا وكرر حديثه
ومهما ادعى شيئا فقل صدق السعد

٣ ــ وان ناب دهر فاقتحمها عضوضة
فليس لجاني الورد من شوكه بد

٤ ــ سأركبها اما لحتف معجل
واما لعز عيش صاحبه رغد

٥ ــ واترك اخلاط الاماني لاهلها
فان التمني جهد من لا له جهد

٦ ــ والطم وجه الصحصحان بحافر
يطير جذاذا تحته الحجر الصلد

٧ ــ اذا لم اشمر زند احوس باسل
فلاضا جعتني البيض والسمر الملد

٨ ــ ذريني أقدها تمضغ اللجم شزبا
يغور بها غور وينجدها نجد

٩ ــ اذا لم اجردها ليوم كفاحها
فقل لي لماذا تربط الضمر الجرد

١٠ ــ ذريني اذق حر الزمان وبرده
فلا خير فيمن عاقه الحر والبرد

١١ ــ اذا المرء لم يترك قرارة داره
فما هو الا الميت غيبه اللحد

١٢ ــ ارى السيف لم يقطع وان كان ماضيا
اذا لم تفارقه الحمائل والغمد

١٣ ــ ولا السهم لولا رأي راميه صائب
ولا السيف يفري الهام لكنه الزند

١٤ ــ ذريني اطرّق كل حي بصاحب
ابى الله الا ان يدوم له عهد

١٥ ــ من البيض لا في نصحه الغش كامن
ولا بين جنبيه على صاحب حقد

١٦ ــ ارى العقل لم يجمعه والمال جامع
وللضد طبع لا يلائمه الضد

١٧ ــ اذا لم تجد من صاحب ماهويته
وفوق الذي تهوى فقد كذب الود

١٨ ــ ومن يسأ التجريب عن كل صاحب
يجبه جواب القبح عما هو الردُ

١٩ ــ ذريني ادرك بالمتاعب راحتي
فلا نوم الا بعد ان يفرط السهد

٢٠ ــ وما انا الا من عرفن فعاله
سل القدحة الصماء عما حوى الزند

٢١ ــ وفي العقل رشد النفس لو تقتدي به
وما يفعل المولى اذا ابق العبد

(أ) عدد ابيات هذه القصيدة في خ/٧ (٤٥) بيتا ، وفي سائر الاصول (٧٢) بيتا . اما الباقي من القصيدة بالنسبة لـ خ/٧ وهو (٢٧) بيتا فقد ورد ضمن قصيدة اخرى انفردت خ/٧ بايرادها ، سأثبتها بعد هذه مباشرة ، ومطلعها :

اذا الجد لم يسعدك لم ينفع الجد
هو السيف لا ما ارعفت حده الهند

وقد وضح لي انها في مدح حمد الحمود امير خزاعة . لذلك فقد عولت على خ/٧ في عدد ابيات هذه القصيدة ، واتبعت نسخ الديوان الاخرى في ترتيب تسلسل ابياتها لانه اكثر انسجاما .

(*) القاضي امين : كذا ورد اسم الممدوح في ط . واورد الشاعر اسمه في البيتين (٣٦) و (٤٤) ونعته بقاضي المسلمين (البيت/٣٥) ونص على كونه من آل بيت النبي (البيت/٣٨) . ولكني لم اتوصل الى معرفته . اما المخطوطات السبعة التي اعتمدتها في التحقيق فقد اغفلت اسم الممدوح .

(١) السعد : اليمن . صلد الزند : صوت ولم يور . الجد (بالفتح) : الحظ ، و (بالكسر) : الاجتهاد .

(٣) العضوضة : الداهية ، والحرب الشديدة .

(٦) الصحصحان : المستوي من الارض الجرداء . الجذاذ : القطع المكسرة . الصلد : الصلب الاملس .

(٧) الاحوس : الجريء الذي لا يهوله شيء . السمر الملد : الرماح الناعمة ، والمعتدلة القوام .

(٨) الشزب : الخيل الضامرة . الغور : ما انخفض من الارض ، وخلافه النجد .

(١٣) لا وجود لهذا البيت في خ/٢ . في خ/١ وخ/٥ (يبري) مكان (يفري) .

(١٤) اطرق كل حي : اجعله طريقا وممرا . يريد بالصاحب : سيفه .

(١٦) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٣ (للمال) مكان (والمال) .

(١٩) في ط ، وخ/٣ (أترك) مكان (ادرك) .

(٢١) أبق العبد : هرب من سيده .

٢٢ ـ وهيهات ان الهو عن المجد بالهوى
وكيف بطين القار يستبدل النـد

٢٣ ـ تعد أميم وجه رشدي ضلالـة
لعل ضـلالي ياأميم هو الرشـد

٢٤ ـ أمثلي من يخشى وان شب جمرها
وليس بضرار على الذهب الوقـد

٢٥ ـ الى المجد غيري كم تخلى سبيله
وكم عاطل يبكي على جيده العقد

٢٦ ـ ولو كان قرما من ينازع همتـي
لهونت ما القسـى ولكنـه وغـد

٢٧ ـ يرى نفسه ليث العرين (لشدة)
نزا نزوانا بـين اثوابـه القـرد

٢٨ ـ أقول لدهري حين انكر جوهري
اعد نظرا فيه فقد فاتك النقـد

٢٩ ـ اتحسب أن السيف يخترم الطلى
جهلت وايـم الله لكنـه الزنـد

٣٠ ـ وليل كيوم الصب راقبت هوله
كأن به شهب الدجى حدق رمـد

٣١ ـ اساير فيه الغول شعثا عوابسا
كأني مليك بينها وهي الجنـد

٣٢ ـ توهمتها يا سعد تدرك بالـونى
اذا كان هذا رأي سعد فلا سعد

٣٣ ـ وبين الردى والعيش والفهم والغنى
مناكرة والضد ينكـره الضـد

٣٤ ـ اشكو زمانا فيه للجـود باذل
ابى الله الا ان يدوم به (الوفد)

٣٥ ـ اذا جزرت مدا يد اليمن والمنى
فمن نوء قاضي المسلمين لهـا مد

٣٦ ـ أمين كنوز الفضل عيبة سرهـا
هو العالم العلوي والجوهر الفرد

٣٧ ـ اذا لم يفث (غيث) العلوم بكشفه
فواحيرة المشتاق عاث بـه صـد

٣٨ ـ نزاريـة أحسابـه مضريـة
يطرزها تـاج النبـوة والبـرد

٣٩ ـ ربيع من الآلاء يمطـره النهـى
فينبت في حافاتها الحمد والمجـد

٤٠ ـ فتى طبق الآفاق جـم علومـه
واوشك منها ذو الغواية ينقـد

٤١ ـ من القائدين الخيل خوصا الى الوغى
خماصا عليها الاسد أقواتها الاسد

٤٢ ـ ملوك المعالي والعـوالي كأنهـم
سهام الردى لا يسـطاع لهـا رد

٤٣ ـ أخذت بايدي العلم والحلم والحجا
وكانت عليها كل عادية تعـدو

٤٤ ـ اليك أمين الله زمت ركابنـا
وحاديك من حسن الثناء بها يحدو

٤٥ ـ اثرها ولا تسأل عن الحال مفصحا
وما حالة الحلفاء جدّ بها وقـد

---

(٢٤) ورد في ط ، وخ/٢ وخ/٧ البيت الاتي بعد هذا البيت مباشرة ، ولانه لا يختلف عن البيت (٢٥) معنى وقافيـة رجحت نقله من المتن الى الهامش على احتمال انه ممـا اسقطه الشاعر ، وهو :

يـرى نفسـه في همـة اسـدية
وكـم عنق عطلاء يشناتها العقـد

(٢٥) في ط ، وخ/١ وخ/٢ وخ/٤ وخ/٦ (لو تجلى) وفي خ/٣ (لم تجلى) مكان (كم تخلى) وما أثبته عن خ/٥ وخ/٧ .

(٢٧) (لشدة) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (لشد ما) اي (لحقا) يقال : شد ما انك ذاهب ، أي حقا انك ذاهب . نزا نزوانا : وثب وثوبا .

(٢٨) في الاصول عدا خ/٥ (لدهر) مكان (لدهري) .

(٢٩) يخترم : يستاصل . الطلى : الاعناق . الزند : موصل طرف الذراع بالكف .

(٣٤) (الوفد) كذا ورد في الاصول ، ولعل الصواب (الرفد) وهو العون ، والعطاء .

(٣٦) في خ/٧ (العالم القدسي) . الجوهر الفرد : الجزء الذي لا يقبل الانقسام .

(٣٧) (غيث) كذا ورد في الاصول ولعل الصواب (غيب) . في ط ، وخ/١ ، وخ/٣ (عاث به الضد) .

(٣٨) في الاصول باستثناء ط ، وخ/١ (يطرسها) مـكان (يطرزها) .

(٤٤) زمت الركاب : خطمت . في ط ، وخ/٣ وخ/٦ (به) مكان (بها) .

رحلة

المواطن العراقي « إلياس الموصلي »

أول سائح عربي يصل الأميركتين

اخراج

ابتهاج عمر طاهر الراضي

بينما كان زوجي الدكتور سامي سعيد الاحمد يحاضر في جامعة واشنطن بالولايات المتحدة في شباط ١٩٧٣ جلب الدكتور فرحات زيادة رئيس قسم الدراسات الشرقية بتلك الجامعة نظره ، الى حقيقة كون أول سائح وصل أميركا من الشرق (آسيا وافريقيا) هو عراقي من مدينة الموصل ، وان مذكراته عن تلك السفرة قد حققها الاب انطون رباط اليسوعي ونشرها في سلسلة مقالات بمجلة المشرق اللبنانية(١) . واهتم زوجي بالموضوع فترجم المقالات المذكورة الى اللغة الانكليزية . واسترعت ترجمته اهتمام صديقه الاستاذ المكسيكي الدكتور انطون لويرا من قسم الدراسات الاسبانية والبرتغالية بجامعة كاليفورنيا – لوس انجيلوس الذي ينكب الان على مطابقة ما جاء برحلة السائح العراقي مع جغرافية وأحوال المناطق التي زارها حاليا وما كتبه الرحالة الاسبان والبرتغال الاوائل عنها . وسوف تظهر الترجمة والدراسة في الولايات المتحدة قريبا . وولعت انا بالموضوع اشد الولع فجمعت ما تمكنت من جمعه عن السائح وعائلته وحياته واسفاره وان لم يكن كثيرا . وفي هذه الدراسة سوف اقدم ماتيسر لي الحصول عليه من معلومات تتعلق به ، مع النص الكامل لهذه الرحلة الشاقة مثقلة بالشروح والتعليقات التي تركها المحقق الأب رباط .

فالسائح نفسه خوري انحدر من عائلة دينية فقد كان والده قسيسا . وهو الياس بن حنا ويسمي نفسه الموصلي الكلداني وينحدر من عائلة بيت عمودة ويظهر ان عائلته كانت تتنقل بين الموصل وحلب حيث كان يطيب له الاقامة في حلب كثيرا وله اقارب فيها واصدقاء ، ولم اتمكن من الحصول على اية معلومات اخرى عن أفراد عائلته سوى ان له ابن اخ يدعى يونان يخبرنا هو عنه في رحلته انه قد اكمل في سنة ١٦٧٠ تحصيله الديني في روما وقفل راجعا الى حلب . ويظهر ان الياس تبوأ مركزا مرموقا في الكنيسة الكاثوليكية بدليل ما انعمت عليه من الالقاب الدينية الكثيرة امثال روتونو تاريو رسولي Protonotarius Apostolius وحامل صليب مار بطرس Staurophorus d. Petri ثم كونت بالاتينو وكاهن كنيسة ملك اسبانيا . وعينته الكنيسة مشرفا على كنيسة بغداد الكاثوليكية .

ونعرف من كتابه هذا انه كان مؤمنا حريصا على اتباع تعاليم دينه ، وذا شخصية محبوبة قليل الخبرة والمعرفة باللغة العربية ضعيف الانشاء لذا جاء اسلوبه ركيكا حافلا بالكلمات الدارجة والاصطلاحات المتعارف عليها آنذاك في اللغتين التركية والفارسية . وقد جاء في كتابه عن سياحته الكثير من الاخطاء النحوية والتي يقول المحقق انه اصلح الفاحشة منها . ونرى تدينه وتقواه ينعكس في كتاباته فهو يفسر الكثير من الاحداث تفسيرا تافها يدل على مدي بساطته وسذاجة تفكيره .

(١) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة أول سائح شرقي الى امركه ، **المشرق** ، المجلد الثامن (١٩٠٥) ص ٨٢١ – ص ٨٣٤ ، ٨٧٥–٨٨٦ ، ٩٣١–٩٤٢ ، ٩٧٤–٩٨٣ ، ١٠٢٢–١٠٣٣ ، ١٠٨٠–١٠٨٨ ، ١١١٨–١١٢٩ .

والمخطوطة الاصلية التي حققها الاب رباط بطول ٣١ سم وعرض ١٥ سم وبكل صفحة ٢١ سطرا وهي تقع في ٢٦٩ صفحة . ونحن سنكتفي بالمائة صفحة الاولى منها فقط والتي تتعلق بوصوله الى أوربا وسفرته الى الامريكتين (اميركا الجنوبية والوسطى والقسم الجنوبي من الولايات المتحدة) . أما الصفحات ١٠١ ـ ٢١٤ فيتحدث فيها المؤلف عن اكتشاف اميركا واخبار شعوبها وحكامها ثم العاديات والآثار والكنائس المسيحية فيها . والقسم الاخير من ص ٢١٤ ـ ص ٢٦٩ خصه المؤلف برحلة سعيد باشا سفير الدولة العثمانية الى فرنسا في سنة ١١٣٢هـ (١٧١٩) . علما بأن الكتابة ليست بخط المؤلف ولم يذكر ناسخها اسمه ولا تاريخ استنساخه لها من النص الاصلي للرحلة .

وبدأ الخوري الياس سفرته التي استغرقت خمس عشرة سنة في سنة ١٦٦٨ عندما غادر بغداد الى القدس للزيارة ومن ثم سافر الى حلب حيث بقي بها فترة من الزمن ثم غادرها الى الاسكندرونه التي أبحر منها الى البندقية وفرنسا واسبانيا والبرتغال وصقلية . وفي سفرته الثانية الى اسبانيا تمكن من الحصول على سماح خاص من الجهات العليا للسفر الى اميركا . ويظهر انه لم يكن ليسمح بدخول تلك المناطق(الاميركيتين) لاحد الا بأذن من ملك اسبانيا . وفي طريقه الى القارة الجديدة مر في جزر الخالدات (الكناري) ومنها سارت بهم السفن الى اميركا الجنوبية ، واستغرقت تلك الرحلة خمسة وخمسين يوما . وقد زار السائح العراقي في تلك القارة بعض أجزاء بناما وكولومبيا وبيرو وبوليفيه وشيلي . وبقي في بيرو مدة من الزمن أنهى خلالها كتابة القسم الاول من مذكراته عن سفرته ومشاهداته في اقاماته ، ثم خرج الى المكسيك (التي يسميها ينكي دنيا) مارا بالاجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة الحالية . وترك المكسيك سنة ١٦٨٠ عائدا الى اسبانيا فروما حيث قابل فيها البابا اينوسنسيوس (انوسنت) الحادي عشر (١٦٧٦ ـ ١٦٨٩) الذي أكرم وفادته[٢] . ويظهر انه قد جمع اموالا طائلة خلال سفرته هذه وسنعرف من خلال تفاصيلها انه تمكن ان يخرج كتابا وينفق على طبعه من ماله الخاص وهذا ليس بالامر الهين آنذاك دون شك نظرا لكون الطباعة في مراحلها الاولى واخراج كتاب يحتاج الى مبالغ طائلة من المال . ولا نعرف السنة التي توفي بها الخوري الياس ولكن يبدو انه كان حيا سنة ١٦٩٢ وهي السنة التي طبع بها كتابه حيث لم نقرأ فيه كون المؤلف ميتا وان كان قد وقف على طبعه صديقه عبيدالله اندروس ابن مقدسي عبدالله الكلداني الموصلي الساكن في حلب[٣] ويظهر القسم الثالث من مخطوطته بأنه بقي حيا الى ما بعد سنة ١٧١٩ بحيث كتب عن رحلة السفير العثماني الى فرنسا بتلك السنة ان لم يكن هذا القسم منسوبا الى الخوري الياس وهذا ما أرجحه انا على الاغلب وان لم يكن لدي دليل على ذلك[*] .

---

(٢) الاب انطون رباط اليسوعي ، رحلة أول سائح شرقي الى امركه ، **المشرق** ، مجلد ٨ (١٩٠٥) عدد ١٨ ص ٨٢١ ـ ص ٨٢٣ .

(٣) الاب انطون رباط اليسوعي ، اثر جديد لاول رحالة شرقي الى امركه ، **المشرق** ، مجلد ٩ العدد العاشر (٩٠٦) ص ٤٧٠ ـ ص٤٧٤ . وذكر تفاصيل عن الكتاب الاستاذ شتورر Schnurrer في كتابه **المكتبة العربية** (ببيليوثيسكا أرابيكا (Bibliotheca Arabica)) المطبوع في هالـه ـ بالمانيا سنة ١٨١١ .

(*) وهناك معلومات مستفيضة تناولت الياس الموصلي ورحلته ، يستطاع الوقوف عليها في الجزء الثاني من تاريخ الادب الجغرافي (الترجمة العربية) للمستشرق السوفيتي كراتشكوفسكي (المورد) .

ديباجة الكتاب

الحمد لله الذي خلق البرايا بحكمته . واخترع الموجودات بامره وكلمته . وصور الانسان على شبهه ومثاله وسلطه على سائر المخلوقات بفضله وانعامه . ونهاه عن ثمر لا ياكله لئلا يموت موتا . فهذا المخلوق الضعيف لما خالف أمر خالقه وأكل من المنهي عنه تجرد من النعمة التي كان متسربلا بهـا وصار مطرودا مع ذريته من فردوس عدن الى أرض الشقاء والحزن . الى ان تحنن عليه سبحانه وتعالى وشاء اعتاقه فارسل ابنه الحبيب الاقنوم الثاني وكلمته الازلية الى بتول عذراء طاهرة واشرف المخلوقات وحل في احشائها حلولا لا يدرك ولبس منها جسدا كاملا وصار انسانا ما خلا الخطيئة وتردد بين العالم وصنع الآيات بشفاء المرضى وقيام الاموات ثم اختار له تلاميذ اناسا سذجا صيادين وشرع لهم نواميس وقوانين وأمرهم أن يجولوا بكل العالم ويبشروا بكرازة الانجيل الطاهر قائلا لهم (متى ٢٨ : ١٩) : امضوا واكرزوا وعمدوا باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وقال لهم أيضا (متى ١٨ : ٥) : فمن قبلكم فقد قبلني . ووعدهم أيضا عند صعوده انه يرسل لهم الروح المعزي ليمنحهم نعمة وحكمة . فبعد صعوده وجلوسه عن يمين الاب ارسل لهم الروح البارقليط فحل عليهم كالسنة نار فصاروا يتكلمون بسائر اللغات المختلفة فانتشروا في سائر اقطار المسكونة جائلين مبشرين بالانجيل وكانت آياتهم شاهدة لاقوالهم فقوم منهم حصلت لهم بلاد الشرق والبعض ذهبوا الى الغرب والبعض الى القبلة والبعض الى الشمال فثبت بهم قول داود النبي القائل عنهم (مز ١٨ : ٥) : في كل الارض ظهرت بشارتهم وسمعت اصواتهم في اقطار المسكونة كانوا عائزين منضاقين مطرودين محقورين لابسين جلود الحملان (عبرانيين ١١ : ٣٧) وكانت اشعة انوارهم تشرق وتنير تلك الاقاليم المظلمة حتى انهم بكرازتهم طهروا المسكونة من عبادة الاوثان وارجعوهم من الضلالة والطغيان واختاروا لهم تلاميذ واخلافا وخولوهم تلك المواهب وانعام الروح القدس لكي يتولوا من بعدهم الرئاسة والتدبير جيلا بعد جيل متداومين الى انقضاء العالمين .

فاما الكنيسة المقدسة عروس السيد المسيح التي جعل مار بطرس الصخرة راسها ومدبرها من بعد صعوده المجيد . ومن بعده للذين يخلفونه فلم تزل تمتد أطنابها وتتوسع اكنافها حتى انه لم يخل مكان واقليم من اربعة اطراف المسكونة الا وتجد فيه كرازة الانجيل وصحة الايمان المستقيم بين طوائف مختلفة ولغات متفرقة . واما اللعين الثلاب . عدو الخير والثواب . فلم يزل مجتهدا ومحترسا على تزعزع ضمائر المؤمنين حتى يطغيهم ويطرحهم من احضان الكنيسة امهم . فنصب لهم شباكه وفخاخه وزرع في قلوب البعض منهم زوان الحسد والكبرياء والعصيان . حتى أن بعض طوائف الناس انكروا الطاعة للكنيسة الرومانية ولرئيسها ومدبرها الذي هو الحبر الاعظم وراعي الرعاة العام . وجعلوا لهم رؤساء مختلفين مضادين بعضهم بعضا حتى انه تبارك وتعالى سلط عليهم اعداءهم فثبت قول السيد المسيح في انجيله المقدس على لسان مار لوقا البشير في الفصل الثاني والخمسين مخاطبا اليهود قائلا[1] : اذا رأيتم ابراهيم واسحاق ويعقوب وكل الانبياء في ملكوت الله فها هوذا يكون الأولون آخرين والاخرون أولين . فلما تفرقت الطوائف المذكورة من احضان الكنيسة المقدسة شاء السيد المسيح ان يدخل عوضهم اناسا مختلفي الاجناس والطباع . غريبي الالسن واللغات قاطنين في البراري والجبال سالكين بعيشة وحشية لا فرق بينهم وبين البهايم معذبين ومنقادين بضلالة الشيطان فقوم منهم عبدوا الحجارة وطائفة عبدت الوحوش وآخرون عبدوا الاشجار وغيرهم كانوا يقدمون ذواتهم ذبيحة للشيطان اللعين وكانوا ساكنين في الاقليم الرابع الذي كان مخفيا عن الابصار ومستورا عن الافكار حتى ان القديس العظيم معلم الكنيسة المقدسة مار اغسطينوس كان يظن ان هذا الاقليم هو غير مسكون من البشريين . فسبيلنا أن نبرهن ونبين رجوع هذه الطوائف المذكورة الى الايمان الحقيقي واحتضانهم للكنيسة المقدسة حتى ان كثيرين منهم بعد دخولهم في الايمان بالمسيح حسبوا من جملة القديسين . واما هذا الاقليم الذي قصدنا التكلم عنه فهو ممتد الطول والعرض وهو اكبر من الثلاثة اقاليم الاخرى المعروفة بآسيا وافريكا واوروبا طولا وعرضا وقد جعلوا له اسما جديدا وسموه ميريكا مسلوبا[2] وسوف نتكلم عنه في مكانه ونحرر سبب كشفه وبيانه ونرقم كل شيء في حينه وأوانه . ونستعين بالله على الزيادة والنقصان والسهو والنسيان لان ذلك يوجد في كل انسان والمجد لله دائما الى الابد .

١ ـ من بغداد الى البندقية :

فاقول أنا الحقير في الكهنة اني في تاريخ سنة ألف وستماية وثمانية وستين للسيد المسيح خرجت من مدينة بغداد قاصدا زيارة قبر المسيح في رفقة الطوبجي باشي المسمى ميخائيل آغا[3]

---

(١) متى ٨ : ١١ لا كما جاء خطأ . ولا عجب من تعيينه ٥٢ فصلا في انجيل القديس لوقا لان تقسيم الفصول كان يختلف مع البلدان والازمنة الى ان انتشر التقسيم الروماني المعروف .

(٢) بقوله ان « اسم امركه مسلوب » يريد ان الاقليم الرابع الذي وصفه كان حقه أن يسمى باسم مكتشفه كريستوف كولومبس . قال في الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب حيث يذكر تاريخ الاكتشاف : « وكان في رفقة المكتشفين رجل اسمه اميريكو من ايطالية من مدينة فلورنسة وكان نوتيا في المركب ذا تدبير وعلم وعقل . فشخص تلك الارض وهنودها على ورقة (خارطة) وعرضها على ملك اسبانية فحينئذ سميت تلك الارض ميريكا ... وبالحقيقة كان الواجب ان تدعى باسم كولون (كولومب) لانه كان المبتدىء والمجتهد في هذا الامر . لكن بعدما انتشر هذا التكني في أفواه الخلائق وشاع على مسامع الناس جميعا لم يكن ممكنا ان يتغير فبقيت تسمى ميريكا » .

(٣) هو ميخائيل كوندوليو (Condoleo) طوبجي باشي أو مدبر الطوبخانات الشاهانية في الشام وحلب وبغداد ...الخ . ولد في كريت وسكن دمشق الشام وكان يجول في البلدان بأمر الحكومة السنية ليتفقد أحوال الطوبخانات وقد ذكره مرارا المرسلون في رسائلهم لما كان عليه من الثبات في الدين الكاثوليكي والعيشة المسيحية وكان لهم أعظم نصير بالمساعدة المادية والادبية وكان كثير الثروة واسع الجاه متقد الغيرة . وقد ذكره بالثناء مرارا الاب يوحنا اميو Amieu رئيس الرسالة اليسوعية سنة ١٦٤٦ وألمح الى اسفاره الى بغداد . وكان لميخائيل آغا أولاد وكل بهم الاب هيرونيموس كيرو (Queyrot) المرسل اليسوعي في دمشق ليتلقنوا منه التعليم المسيحي والعلوم الادبية ويدرسوا اللغة اليونانية

ثم اننا سرنا في درب القفر . ففي نصف الدرب خرج علينـــــا لصوص مقدار مائة نفر وصار بيننا حرب فظفرنا بهم . وكان ذلك نهار عيد القيامة . ونحن كان عددنا اثني عشر نفســـا . لكن بقوة آلات الحرب من التفنك(٤) انتصرنا عليهم . ومن هناك أخذنا دربنا وسرنا الى مدينة الشام ومن الشام قصدت القدس الشريف وتشرفت بزيارة تلك الاماكن المقدسة .

ثم ذهبت الى مدينة حلب . وبعد أيام انحدرت الى ميناء البحر الذي يسمى اسكندرونة فمن هناك ركبت في مركب انكليزي وسرنا قاصدين بلاد اوروبا . فجزنا الى جزيرة قبرص وهنـــاك زرت قبر القديس عازار واخته مريم ومرتا(٥) ومن هذه الجزيرة رحلنا . وبعد أيام جزنا على جزنا على جزيرة قريطش التي تسمى كريد . ومن هناك وصلنا الى جزيرة زانطية وهي في حكم البنادقة مع جزيرتين اخريين قريبتين منها تسميان كورفو وســافولونية وهما أيضا في حكم البندقية التي تسمي باللســـــان التركي واناديك(٦) المعروفة في كل الدنيا ومن هناك سرنا .

وبعد أيام عبرنا الى ميناء البندقية المذكورة . وكانت عــدة الايام التي بقينا فيها على وجه البحر سبعين يوما من خروجنا من اسكندرونة الى أن دخلنا الى هذا الميناء(٧) ثم اخرجونــا من المركب وجعلونا في بيت التطهير الذي يسمى نازاريت(٨) باللسان الطلياني فمكثنا هناك واحدا واربعين يوما كالمرسوم . وهـــذا نازاريت هو خارج عن المدينة وذلك عادة في بلاد النصارى خوفا من الطاعون . ففي تمام الواحد والاربعين يوما اتى الحكيم باشي لينظرنا هل بيننا احد مريض . فبعد ذلك اعطونا دستورا ان نخرج من نازاريت . فخرجنا ودخلنا الى البلدة المذكورة وبقيت هناك عشرين يوما متنزها وزرت كنائسهم والغنى الذي نظرتـه في كنيسة ما رمرقس الانجيلي(٩) هو شيء لا يوصف .

ثم من بعد تلك الايام توجهت الى مدينــة روميــة العظمى وسكنتها ستة أشهر وزرت الاماكن المقدسة خصوصا كنيسة مــار بطرس الرسول الفريدة في المسكونة لحسنها . وبعد ذلك خرجت قاصدا بلاد فرنسة فمريت على أرض أمير يسمى كران دوكــه توسكانا(١٠) وهو ويسكن بلد فلورنسة . وهذا الامير هو غني جدا ذو مال وخزائن ومن فلورنسة انحدرت الى ميناء البحر الى بلد تسمى ليغورنة من حكم هذا الامير المذكور . وبعد أيام قليـــلة سافرت الى بلد جينوا ميناء البحر وهي تحت حكم امير يحــكم على ذاته . وهذا البلد شريف بالعمارات غني بالاموال .

٢ ـ سياحته في فرنســـة :

ومن هناك أيضا سافرت في البحر فوصلت الى ميناء بــلد مرسيلية من حكم فرنسة ثم خرجنا الى الارض ومشـــينا الى مدينة اوينيون التي هي تحت حكم سيدنا البابا(١١) وهذه البلدة هي في فرنسة لكن ملوك فرنسة القدماء كانوا اهدوها مع بعـض قرى الى كنيسة مار بطرس . ومن هناك ركبنا في سفينة على النهر والخيل كانت تسحب السفينة ضد جريان الماء . فوصلنا الى بلد ليون وهذا البلد من اعظم بلاد فرنسة من بعد مدينـــة باريس بلد ملك فرنسة .

ثم اني اجتمعت هناك مع رجل قديس يسمى موســــيو

التي كان يلقنها عندئذ الاب كيرو المذكور لتلامذته العديدين من الروم الملكيين .

(٤) التفنك كلمة تركية معناها قصبة ثم جرى اســـتعمالها باللغة التركية والعربية في حلب وما بين النهرين بمعنى البارودة أو البندقية وهذا المعنى دارج في البلاد الداخلية الى الان .

(٥) يعرف القراء ان مكان قبر مريم المجدلية ومرتا ولعــازر من المشاكل التاريخية التي لا يزال المؤرخون يتباحثون في حله فالفرنساويون وسكان اقليم پروڤنسة خاصة يذهبون الى انهم عاشوا بعد قيامة المخلص وماتوا في ضـــواحي مرسيلية ودفنوا على قلة يحج اليها الزوار متبركين وهي قلة سنت بوم (Sainte-Beaume) أما ســـائر المؤرخين لاسيما المحدثين فانهم ينكرون حقيقة هذا الخبر ولا يسلمون بهذه الذخائر . ومن البراهين التي يشـــق بها الفرنسويون تقليد يعزونه الى رهبان جزيرة قبرص جاء فيه ان مسيحيي الشرق يعتقدون نقلا عن تقليد قديم ان لعازر ومرتا ومريم دفنوا في ضواحي مرسيلية وقــد ذكر العلماء البولنديون في المجلد الخامس عشر بتاريــخ ٢٢ تموز هذا الرأي استنادا الى رسالة بعث بها الاب يوسف بسون (Besson) اليسوعي بتاريخ ١٧ نيسان ١٦٦٠ الى الاب دي غوردان رئيس اليســــوعيين في اس (Aix-en-Provence) لكننا نرى رحالتنا يذهب مذهبا آخر يتناقله اليوم أهل قبرص الروم وهم يكرمون قبــــر القديس العازر في كنيســـتهم الكبرى . والله اعـــلم بالصواب .

(٦) واناديك اسم البندقية أو ڤينيسية باللغة التركية .

(٧) كانت السفن في القرن السابع عشر تقطع رأسا المسافة بين اساكل سورية والبندقية بثلاثين يوما وقد كانوا يبلغونها بخمسة عشر أو عشرين يوما اذا ساعدتهم الريح لــكن العواصف والحاجة الى الوقوف في موانيء جزائر البحر المتوسط كثيرا ما كانت تؤخر وصولهم الى شـــهرين أو أكثر .

(٨) نازاريت بالطلياني (Lazaretto) والفرنساوي (Lazaret) المكان الذي فيه يقضي القادمون من البلاد الموبؤة حجرهم الصحي مدة أربعين يوما والكلمة مشتقة من اسم لعازر (Lazare) وبه سميت في الاجيال المتوسطة مآوي المصابين بالبرص فيكون معناها الاصلي مستشفى البرص (Léproserie) وكان هذا المستشفى خارج البندقية يدعى سانت ماري دي نزارث (Ste Marie de Nazareth) ولهذا سماه المؤلف نازاريت لا لازاريت .

(٩) هي الكنيسة الكاتدرائية الشهيرة في البندقية .

(١٠) وبالفرنسية (Le Grand Duc de Toscane) وكان اسمه اذ ذاك الدوك فردينان الثـــاني (١٦٢١ ـ ١٦٩٠) وكان لامراء توسكانا قناصل في حلب والاســاكل في ذلك العهد .

(١١) مدينة اڤينيون وما حولها من القرى اشتراها البابـــا اكليمنضس السادس من حنـــة ملكة صقلية وكونتس پروڤنسة سنة ١٣٤٨ وأقام فيه الاحبار الرومانيون من سنة ١٣٠٩ قبل مشتراها الى سنة ١٣٧٧ ولبثت بعـــد ذلك تحت حكم الاحبار الرومانيين يدبر شؤونها باسمهم نائب رسولي الى زمن الثورة الافرنسية فاغتصبهـــا الثائرون سنة ١٧٨٩ وتملكوا عليها .

بيكيت(١٢) فهذا الرجل الشريف كان سابقا قنصلا في حلب وبعد رجوعه من حلب ارتسم اسقفا على مدينة بغداد وكانت وفاته في العجم في بلد امادان(١٣) . وما لنا زمان لنتكلم عن فضائله وحسن سيرته . ثم بعد أيام خرجت من ليون وسرت الى مدينة باريس تخت ملك فرنسة فدخلتها ورحت زرت الملك المنصور لويس فاكرمني ثم انني زرت أخاه أمير اورليانوس (Duc d'Orléans) واهديته سيفا وقدست له في الكنيسة التي في سرايته . فاكرمني زائد الاكرام . ثم رحت زرت أميرا يسمى سانتينيان (St Aignan) ودفعت له مكتوبا كان أعطاني اياه عمه البادري حنا الراهب الكبوجي(١٤) الصالح الذكر الذي كان رئيسا في حلب فعمل لي عزا واكراما جزيلا لاجل وصية عمه البادري المذكور .

ثم اني نزلت في المكان وبقيت اتنزه في هذه البلدة العظيمة التي لا مثيل لها في كل الدنيا بحسنها وعدالة حكمها واستقامة شرعها وزيادة محبة أهاليها للغرباء . وقد نظرت أمرا يستوجب الذكر والمدح لفعلهم هذه الخيرات والاحسان وذلك عدة نساء عددهن سبع عشرة امرأة من الاشراف بعضهن عذارى وبعضهن أرامل . أما العذارى فقد زهدن عن الدنيا وتركن كل نقدهن في الشركة المباركة وتسمى هذه الشركة باللسان الفرنساوي شاريته (charité) (١٥) اعني مجمع الخيرات . هذا قد اسسوه من القديم . وأيضا الارامل قد تركن مقتناهن في هذه الشركة . وجميع هذه الاموال التي قد اوقفنها الى هذا المجمع هي مؤمنة عند اناس الربح(١٦) وفي كل سنة تربح مليونين أي عشرين كرة من المال . ثم تجتمع هؤلاء النساء المباركات في الجمعة مرة ويقسمن هذه الدراهم المذكورة على الفقراء والمحتاجين وعلى الكنائس والاديرة وايضا على المرضى والغرباء وعلى الذين يكرزون بايمان المسيح في بلاد الشرق . وأيضا ينقدن لبعض بنات فقراء ويزوجنهن من هذه الصدقة . ونظرت أشياء كثيرة واجبة للمدح والوصف في هذه المدينة العظيمة .

ثم وفيما أنا هناك والا أقبل قاصد من عند السلطان محمد خان الى الملك لويس وهذا القاصد يسمى باللسان التركي والفارسي ايلجي(١٧) فأنا رحت زرت هذا الايلجي عدة مرار لاجل اللسان التركي ثم طلب مني ان أبقى في باريس ولا أروح فبقيت ثمانية أشهر .

٣ ــ اسبانية ايطالية :

ثم بعده خرجت من هناك قاصدا بلاد اسبانية فجزت على بلد عظيم يسمى اورليانوس (Orléans) ومن هناك رحت الى مدينة تسمى بونراس(١٨) ومن هناك الى مدينة بواتيه ومنها الى مدينة تسمى بورديوس (Bordeaux) التي هي على شاطىء نهر كبير . وقد قطع الملك لويس المذكور الجبال وخلط البحرين في بعضهما وأصبحت المراكب تسير بسهولة في هذا النهر المذكور من بحر الاوقيانوس الى بحرين ارضيين(١٩) ومن هناك سافرت الى اسبانية وجزت على بلاد وقرى لا تحصى حتى بعد اثني عشر يوما انتهيت الى نهر وهذا النهر هو الحد بين حكم فرنسة واسبانية وهناك قلعة تسمى سان جوان دي لوا (St Jean de Lux) من حكم فرنسة .

ثم جزنا النهر ووصلنا الى قلعة من حكم اسبانية تسمى

(١٢) فرنسوا بيكه (François Picquet) ولد في ليون ١٢ نيسان ١٦٢٦ وجعل قنصلا لدولة فرنسة وهولندة في حلب سنة ١٦٥٢ حيث عاش عيشة تقوية مثال الفضيلة والغيرة وخدم الدين والدولة احسن خدمة واشتهر بمساعدته للكاثوليكيين نخص بالذكر ما صنعه لاقامة اندراوس بطريركا كاثوليكيا على السريان . وقد أجمع المرسلون والشعب على حبه واكرامه لما ازدان به من السجايا . وفي سنة ١٦٦٢ عاد الى بلاده فأقام فيها ثماني سنوات ثم سيم اسقفا على سزاربوليس Césarople ثم على بابل ونائبا رسوليا على العجم واختاره لويس الرابع عشر سفيرا له لدى جلالة شاه العجم فعاد الى سورية ومنها ذهب الى العجم حيث خدم الكنيسة والشرق المسيحي خدمة مشكورة . توفاه الله في مدينة همذان بايران في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ (اطلب حياته باللغة الافرنسية
Vie de Messire F. Picquet par Mgr. d'Antelmy évêque de Grasse) اطلب أيضا كتابنا الافرنسي المعنون (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient. t.I. chez A. Picard et fils à Paris, Luzac et Co à Londres et Harrassowitz à Leipzig).
صفحة ٩٦ و ١٠٣ و ١٠٤ .. الخ) .

(١٣) يريد همذان من مدن ايران .

(١٤) هو الاب يوحنا دي سنت اينيان (Jean-Baptiste de St Aignan) الكبوشي كان مرسلا خدم الكنيسة في رسالة حلب والموصل سنين طويلة وكتب رسائل لاتزال محفوظة في مكاتب باريس وقد استنسخنا بعضها . ومن معاصريه الكبوشيين الغيورين الاب سلفستروس دي سانت اينيان ونظنه اخاه وقد وجدنا توقيعهما مرارا في الرسائل المقدمة للكرسي الرسولي وللوزارة الافرنسية مع توقيع الاب نقولا بوارسون Poirresson رئيس اليسوعيين ومع رؤساء الكرمليين الاب يوحنا بطرس والاب يوسف ملاك .

(١٥) هي جمعية راهبات المحبة التي أسسها القديس منصور دي بول فانتشرت في انحاء المسكونة معطرة الغرب والشرق بعرف فضائلها وخدمتها للمساكين .

(١٦) يريد المصارف .

(١٧) هذا السفير العثماني هو سليمان آغا سفير السلطان الاعظم محمد الرابع وصل الى طولون في ٤ آب سنة ١٦٦٩ حاملا رسائل جلالة السلطان الاعظم الى الملك لويس الرابع عشر فسار في موكب عظيم الى باريس وقابل المسيو دي ليون وزير الملك ثم حظي بمقابلة الملك في حفلة عظيمة . وبقي في باريس . مدة كان فيها المسيو دارفيه (d'Arvieux) رفيقا له .

(١٨) لا نعرف مدينة اسمها بونراس بين بوردو وبواتيه ان لم يكن تصحيف تور (Tours) او امبواز (Amboise) أو بلوا (Blois) فهذه المدن الثلاث على شاطىء نهر اللوار على طريق سائحنا من بوردو الى بواتيه .

(١٩) يشير الى الاشغال التي انجزت بأمر لويس الرابع عشر ليسهل على السفن العبور في نهر الجيروند (Gironde) وقد جمع بين ذراعي النهر المتدين حول الارض المسماة « ما بين البحرين (Entre-deux-mers) » .

فونته اربيا (Fuenterabia) وجانبها بلدة صغيرة تسمى ايرون (Irun) ومن هناك قصدت بلدة تسمى سان سبسطيان وهي ميناء في البحر الغربي ومن هناك سافرت في الارض الى مدريد تخت ملك اسبانية وعبرت على بلدة تسمى بوركوس (Burgos) ونظرت هناك ديرا لرهبان مار اوغسطينوس وكان في كنيستهم مدبح فيه صلبوت السيد المسيح الذي يسمى في اللسان السبنيولي كريستو ده بوركوس (Cristo de Burgos) (٢٠) ويظهر منه عجائب كثيرة وايضا نظرت هناك في دير الراهبات قبر ملك سيس الارمني(٢١) الذي كان يسمى اوانيسي تاكا (؟) وكتابة قبره باللسان الارمني . ثم من هناك سافرت وجزنا على مدن لا تحصى حتى اني وصلت الى مدريد تخت الملك ففي ذلك الحين كانت تحكم الملكة امراة الملك(٢٢) فيليبه الرابع لانه كان قد توفي الملك وخلف ابنا صغيرا يسمى كارلوا الثاني . ثم اني قدمت لها مكاتيب البابا اكلمندوس التاسع فامرت ان يعطوني الف غرش(٢٣) من حاكم سيسيليه والف غرش من حاكم نابولي ثم اني اخرجت من يدها امرا على تحصيل الدراهم .

فخرجت من مدريد قاصدا ارض ايطالية . فدخلت الى كورة اراكون (Aragon) ووصلت الى بلد تسمى سراكوزا (Saragosse) حيث يتوج ملوك اسبانية ... حينئذ نظرت هناك اخا الملك يسمى دون خوان ده اوستريا . وهو اخ طبيعي لهذا الملك ثم زرته فاكرمني . ومن هناك سافرت قاصدا البحر . فوصلت الى مدينة تسمى برسلونا (Barcelone) وهي من كورة كاتالونية (Catalogne) وهي ميناء البحر الشرقي فسافرت منها في البحر مع جكتريات(٢٤) ملك اسبانية وبعد يومين عبرنا الى ميناء تسمى كاتاكيس (Cadaquès) حيث يخرج وبقينا هناك خمسة وعشرين يوما بسبب العواصف الكائنة في البحر في الكولفو ده ليون (Golfe du Lion) لان المجاز من هناك خطر عظيم .

ثم بعد زمان نهار الاحد قدسنا واقلعنا وفتحنا الشراع وسافرنا . فبعد يوم وليلة جزنا ميناء طولون من حكم فرنسة ومن هناك سافرت الى رومية فنظرت ابن اخي الشماس يونان(٢٥) قد ختم قراءته في المدرسة وهو قاصد ان يخرج من رومية ويرجع الى البلاد بعد ان جهزه المجمع المقدس من كتب واشياء اخر لازمة . ومن هناك وصلت الى نابولي وقدمت امر الملكة الى وزيرها الذي كان يحكم هناك الذي يقال له وي ارلي(٢٦) فقراه وجاوبني قائلا : اذهب الى سيسيلية وحصل الالف غرش فسافرت الى جزيرة سيسيلية ودخلت مدينة تسمى بالرمو (Palerme) حيث وزير الملكة الحاكم الذي يقال له ايضا وي الري . فعرضت عليه الامر ان يعطيني الالف غرش فوعدني انه يعطيني اياها . وبعد شهرين قال لي : لا اقدر اعطيك . ثم اني ارسلت من هناك الشماس يونان ابن اخي الى حلب . وانا لما نظرت ان ليس لي رجاء من هذا القاسي القلب ان يعطيني الالف غرش بعد تعب القلب الذي حصل لي في سفرتي رجعت الى نابولي لاحصل الالف غرش الاخرى من الوزير الاول مثل ما كان وعدني فهذا ايضا جاوبني قائلا ما اعطى حاكم سيسيلية الالف غرش ولا انا اعطي شيئا ولا عندي دراهم .

ثم اني رجعت مرة اخرى الى اسبانية خائب الرجاء حتى ارجع الامر الى الملكة فرجعت الى رومية ومنها الى ميناء ليفورنة وركبت في البحر ووصلت الى مدينة برسلونة المذكورة. ومنها جئت الى سراكوزا ورايت هناك اخا الملك المذكور فاخبرته بما جرى لي من الاتعاب والخسائر لاني صرفت اربعمائة غرش في الرواح والمجيء . فشق ذلك عليه وكان صحبتي واحد رومي من اولاد حلب يخدمني اسمه يوسف القتال . ثم اني رجعت الى مدريد وعرضت حالي على الملكة فصعب عليها ذلك بسبب عدم قبول امرها ثم بعد اني ارجعت لها امرها خرجت من مدريد قاصدا بلاد البرتغال . وفي ذلك الزمان كان ملكهم موجودا في جزيرة تسمى ايزلا ترسيرا (sola Terceira) وذلك لعدم نسله بعد ان ثبتت معه امراته ثلاث سنين . واما هذه الشقية فكانت فرنساوية وزوجها الاول كان يسمى الملك دون الونصو (Alphonse VI) ولكن هذا زوجها الثاني فكان يسمى دون بيدوا فمع انه جلس في مكانه لكن لم يسموه ملكا لكن اميرا بسبب ان اخاه كان باقي في الحياة . وبعد ان تزوجها رزق بنتا . ثم اني ذهبت الى عند هذا الامير وتكلمت معه وبقيت في هذا البلد سبعة اشهر وزرت جميع كنائسها وديورتها واما سكان هذه البلدة فمنهم اناس اجواد كرماء وكاثوليكيو الايمان . وايضا يوجد هناك نصارى جدد وهم من ملة اليهود المتنصرين وهم معلومون عند الكل وما يتزوجوا من النصارى القدماء والبعض منهم بالحقيقة ناكرو دين المسيح . فلما يتحققون امرهم انهم كذلك يحكم عليهم ديوان الايمان بالحريق . واما هذه المدينة ليزبونا (Lisbonne) فهي ميناء البحر . ومنها تسافر المراكب الى هند الشرق الى بلاد كووا التي من حكم البرتكال .

٤ ــ اهبة السفر الى امركة :

وبعد ان بقيت هناك سبعة اشهر رجعت الى بلد مدريد المذكورة وسكنت في دار امير يسمى الدوكه ده اوبرو . وصار لي من هذا الرجل ومن بقية الاصحاب اكرام زائد واحدى السيدات تسمى ميركزا ده لوزوبلس التي ربت الملك عملت لي اكراما عظيما وطلبت من الملك دستورا ان اقدس له فكان معي شماس رومي وكنت علمته يخدم قداسي . فدخلت كنيسة الملك وقدست امامه وامام والدته ثم بعد ذلك امرت الملكة مربية الملك ان تسالني اي شيء اطلب حتى تهبني . فاخذت منها مهلة ورحت شاورت بعض الاصحاب فاشاروا علي ان اطلب اجازة وامرا قاطعا حتى اتوجه الى بلاد هند الغرب(٢٧) فصعب

---

(٢٠) هو الصليب المنسوب الى القديس نيقوديموس ويكرم في اسبانية من عهد قديم .

(٢١) لا نعرف عن هذا الملك شيئا .

(٢٢) اي حنة النمساوية (Marie-Anne d'Autriche) امراة فيلبس الرابع المتوفى سنة ١٦٦٥ وكان لكارلوس الثاني ابنه اربع سنوات فقط فاقيمت امه على ادارة المملكة لكن جوان (Juan d'Autriche) اغتصبها الادارة مدة ولما مات عادت الملكة الى الحكم الى ان بلغ كارلوس اشده .

(٢٣) كان الغرش عندئذ يعادل الدينار ecu قيمة .

(٢٤) جكتريه او بالحري جكدريه كلمة تركية معناها السفن .

(٢٥) لا نعرف شيئا عن هذا الشماس ونظنه درس في مدرسة البروباغندة (التبشير) .

(٢٦) وبالاسبانية (Vey El Rey) اي نائب الملك (Vice-Roi)

(٢٧) كانوا يسمون بلاد امركة الهند الغربية ليفرقوها عن الهند الشرقية .

علي هذا الامر لكن جعلت الحملة على الله واتكلت عليه وطلبت الامر . لانه لا يقدر غريب ان يجوز الى بلاد الهند ان لم يكن معه امر من الملك . وكان في ذلك الزمان النونسيو الذي هو رسول البابا في مدريد يسمى الكردينال ماريسكوتي . وهذا المبارك ساعدني بنصائح .

ثم اني أخرجت الامر من الملكة ففرح بعض الاصدقاء لهذه النعمة التي انعمت بها علي . فاما الامير الذي كنت نازلا عنده في الدار فجهزني بكل ما اعتازه في السفر واعطاني مكاتيب وصية الى بعض اصدقائه والامر الذي اخرجته من الملكة كان وصيتها علي الى الوزير والى المطارنة والاساقفة والحكام في كل بلاد الهند على مساعدتي . ثم اني تقويت بالرب واعتصمت باسم والدته مريم العذراء وخرجت من مدريد قاصدا مدينة قادس (Cadix) التي هي ميناء على البحر المحيط . فمن بعد سفر اثني عشر يوما في البر دخلت اليها فرايت مراكب الهند مهيئة ومستعدة للسفر . وفي هذه الاسكلة يقام ديوان مدبري المملكة فقدمت امر الملكة فسجلوه لي واعطوني امرا ثانيا بموجبه .

ولما كان اليوم الثاني عشر من شهر شباط سنة الف وستماية وخمس وسبعين من المسيح قدمت امري مع المكاتيب الى جنيرال الغلايين(٢٨) دون نيقلاوس ده كوردووا . فحبني واستقبلني بكرامة عظيمة واعطاني كامره أي اوضة في مركبه فادخلت حوائجي في الاوضة وقفلت الباب . وهذا الغليون هو الرئيس على سائر الغلايين . وقد اخذت معي من قادس شماسا من طائفة الروم مولودا في اتينس لاني ما وجدت احدا من ملتي ومن أولاد بلادي . فصار عندي ندم عظيم بسبب اني كنت سرحت ابن اخي الشماس يونان الى بلاد الشرق . ولكن ما عادت الندامة تفيد فنصحني البعض من الاصحاب قائلين لي ان هذا الرومي عند وصولك الى بلاد الهند سوف يتمرد عليك ويخرج من عندك . فعند وصولي جرى لي كقولهم .

ثم اننا في ذلك اليوم المذكور قلعنا ونصبنا الاقلاع وسرحنا . وكان عدد الغلايين ستة عشر غليونا . فتودعوا من الاسكلة بضرب المدافع ودق الابواق ونصبوا الاعلام والرايات .

٥ ـ السفر الى امركة الجنوبية :

سافرنا وكان المسافرون قوم منهم في فرح واناس في حزن على فرقة اهاليهم . وهذه رفقة المراكب تسافر كل ثلاث سنين مرة واحدة الى بلاد الهند التي تسمى البيروه والتي تبعد الف وخمسمائة فرسخ داخل بلاد ينكي‌دنيا لكي يحضروا من هناك خزنة الملك . وايضا التجار يوسقون الغلايين من كل أجناس البضايع ويبيعونها في تلك البلاد ولا يدعون انسانا غريبا عن الجنس السبنيولي يرافقهم لا تاجرا ولا كاهنا ان لم يكن معه امر من الملك مثل ما ذكرنا سابقا . وهذه هي الى اليوم قوانين ونواميس موضوعة من أيام كارلس الخامس من ملوك اسبانية وبلاد المجر حيث على عهده فتحوا بلاد الهند . وهذه الغلايين تعود بالغنايم الفضة والذهب بقيمة عشرين أو خمسة وعشرين مليونا وكل مليون قدره عشر كرات . وبعد خروجنا من قادس بثلاثة أيام حدث اضطراب عظيم في البحر ودام ذلك علينا ثلاث ساعات فكان برفقتنا رجل شريف يسمى دون نيقلاوس انيفانته وكيل الملك فمن كثرة الخوف الذي دخل

(٢٨) جمع غليون أي السفن (Galion)

عليه مات في تلك الليلة . فربطوا برجليه جرار مملوءة ماء وحدفوه بالبحر لكي يغطس الى اسفل ولا يعوم على وجه الماء وتاكله الحيتان . فلما حدفوه ضربوا له ثلاثة مدافع وهذا المذكور كان ذاهبا مقدم ديوان كيتو (Quito) (٢٩) ومن بعد ثلاثة أيام اشرفنا على جزيرة اسمها كناريا س Canaries (٣٠) من حكم اسبانية ولازلنا مسافرين والارياح تلعب بنا ونحن في نصف الدرب فصادفنا مركبا انكليزيا موسوقا من العبيد السود عددهم سبعمائة نفس قد جاءوا بهم من بلاد برازيل (Brésil) من حكم البورتكال حتى يبيعوهم في بعض جزائر الهند .

٦ ـ الوصول الى امركة :

وفي اليوم الرابع(٣١) كشفنا على ارض من اراضي الهند ووصلنا الى مكان أي ناحية في البحر . فتأمل النواخذة(٣٢) في الماء . فلما نظروا لونها متغيرا علموا انها ماء النهر وعرفوا في أي مكان وصلوا لانه ينحدر من تلك الارض نهر كبير واسع مقداره اربعين فرسخا ولانحداره وعزم قوته الشديدة يشق البحر ويجوز فيه نحو اربعين فرسخا . ثم الى هذا الحد تنخلط ماءه في البحر ولا يوجد مثله نهر في الدنيا(٣٣) ثم من هناك كشفنا على ارض تسمى كراكس (Caracas) (٣٤) ومن هناك جزنا في جزيرة تسمى مركاريتا (Marguerite) (٣٥) من حكم اسبانية . وذكروا لنا عن الجزيرة انها من مدة عشرين سنة كان الغطاسون في هذا البحر قرب الجزيرة وكانوا يخرجون صدف اللؤلؤ البليغ في الكبر والشريف باللون . فذات يوم بينما كانوا يستخرجونه نذروا على انفسهم ان اول شيء يخرجونه في ذلك النهار من اللؤلؤ يدفعونه الى كنيسة العذراء فلما نظروا انهم اخرجوا لؤلؤاكبيرا غالي الثمن ندموا بذاتهم وقالوا ان غدا يكون على اسم العذراء وايضا غطسوا ثاني يوم واخرجوا اللؤلؤ فوجدوه احسن وابلغ من الاول . فطمعوا كذلك وقالوا نهار غد نفي نذرنا الى العذراء . ثم في اليوم الرابع انحدر الغطاسون كعادتهم ليخرجوا اللؤلؤ فما وجدوا شيئا أبدا والى يومنا هذا ما بقيوا يجدون لؤلؤا في ذلك البحر .

(٢٩) عاصمة بلاد الاكواتور أو خط الاستواء .

(٣٠) هي الجزائر الخالدات غربي أفريقية الشمالية قبال بلاد مراكش .

(٣١) اليوم الرابع بعد التقائهم بالمركب الانكليزي ولعله اليوم الرابع والاربعين بعد سفرهم من قادس .

(٣٢) نواخذة كلمة فارسية مفردها ناخذاة ومعناها ملاك السفينة أو رئيسها .

(٣٣) هو نهر الاورينوك (Orénoque) العظيم في شمالي امركة الجنوبية لكنه ليس بأعظم من نهر الامازون .

(٣٤) كاراكاس عاصمة بلاد فنيزويلا (Vénézuéla)

(٣٥) مرغريتا جزيرة صغيرة من جزائر الانتيل الصغيرة (Petites Antilles) تجاه كاراكاس وهي شهيرة بصيد اللؤلؤ ولما حل المكتشفون في ضواحيها في أواخر سنة ١٤٩٩ اشتروا من سكانها اللؤلؤ بالكيل مقايضين عليه بابر ودبابيس وقد سمي جوارها خليج اللؤلؤ (Las Perlas)

٧ ـ السير حذاء شطوط فنيزويلا :

فنرجع الى قولنا . فمن هناك سافرنا ووصلنا الى ميناء يسمى كومانا (Cumana) من حكم اسبانية . فمن هـذا الميناء يقدرون ان يمشوا في البر الى كل بلاد البيروه . لكن المانع هو خوفهم من الجنود الجلالية(٣٦) ومن الجبال العالية والانهر والاحراش والوحوش الضارية فلاجل ذلك يسافرون في البحر . فرسينا في ذلك الميناء واكتفينا من الفواكه والهدايا التي أهداها لنا حاكم البلد . ومن بعد يومين سافرنا من تلك الاسكلة وجزنا على جزيرة تسمى كوراصـون (Curçao) وهي من حكم الاولنديز (الهولنديين) ثم ان حاكم هـذه الجزيرة أيضا أرسل لنا شختورا ملآن فواكه وبوزه لأجل المشروب وضرب لنا من القلعة سبعة مدافع ونحن أيضا ردينا عليهم السلام بسبعة مدافع . ومن هناك سرنا وجزنا على جزيرة تسمى ترتوكا (Tortuga) وهذه الجزيرة غير مسكونة لان فيها زلاحف كبيرة أزيد من ذراعين طولا وعرضا . والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لاجل زوادة(٣٧) . وفي هذه الجزيرة وجدنا مركبا صغيرا فرنساويا . وكان في ذلك الزمان حرب بين اسبانية وفرنسة ونحن كنـا سبعة عشر غليونا . ولما رأى الفرنساوية اننا أحطنا بهم هربوا للبر في الجزيرة وتركوا المركب فارغا فاخذت مراكبنا المركب فرأيناه موسوقا زلاحف مملحة . واما الناس الذين هربوا وخلوا المركب كان لهم مركب آخر في جانب آخر من الجزيرة نحو تسعة أميال فراحوا واجتمعوا بذلك المركب فمن بعد شهرين حصنوا لهم مركبا بعدة من الرجال والآلات الحربية لينتقموا من أعدائهم .

٨ ـ وصف قرطجنة :

ومن هناك سافرنا الى بلدة تسمى كرتاخينا (قرطجنة الجديدة Cartagène)(٣٨) وكان السفر الذي سـافرناه سعيدا لاننا بخمسة وخمسين يوما دخلنا الى هذه الاسـكلة حيث ترسي الغلايين . وكان وصولنا الى هذه البلدة يـوم مبارك وهو يوم خميس الفصح المقدس . ثم خرجنا ثاني يـوم للبر نهار جمعة الآلام واسترحنا من اتعابنا . وايضا تشرفنا بالزياحات المقامة يومئذ لآلام المسيح . وفي هذه البلدة قوم اكابر أغنياء جدا وديوان من ديوانات الملك وكنائس وقسوس وديورة رهبان وراهبات . وسكان هذه البلدة كاثوليكيون محبو الغرباء وهم اسبنيوليون حقيقيون وكان حاكم هذه البلدة رفيقنـا في المراكب وقد عمل لي عزا عظيما واكراما جزيلا . فرسينا في هـذه البلدة أربعين يوما حتى جاءت المكاتيب مع الاولاق(٣٨) من بلدة ليما التي هي تخت لوزير الملك وللتجار الاغنياء الذين من البـيروه فخرجنا من هذه الاسكلة وسافرنا الى اسكلة تسمى بورتوبلو(٣٩) وفي هذه الاسكلة يصير البيع والشراء لما يرجع تجار البيروه من البحر القبلي . فبقينا نستناهم نحو شهرين حتى وصلوا الى عندنا واحضروا معهم من الفضة والذهب خمسة وعشرين لكا(٤٠) وصار البيع والشراء بين التجار والهنود وبـين التجـار السبنيولية أربعين يوما . ففي ذلك الحين جاء المركب الفرنساوي السابق ذكره وقنصر(٤١) . وفي ليلة من الليـالي طف عـلى الشختورات الاسبنيولية واخذ المال الذي كان فيها وكانت عـدة المال مايتين الف غرش . فالصبح لما سمع أصحاب مراكب الحرب خرجوا وراءهم فما صادفوهم . فراحت على من راحت وراح الصيادون الفرنساوية المذكورون وهم يزمرون ويدقون بالدفوف. ويوجد في هذه الاسكلة التي تسمى بورتوبلو شـيء من جنس الدبابات أصغر من البرغوث وسمى في اللسان الهندي بنكثوا . فهذه الدبيبة اذا تغافل عنها الانسان تجوز في جسده ومن بعد أربعة او خمسة أيام تكبر وتصير قدر الحمصـة فيلتزمون ان يكشفوا بصنعة ويخرجوها بابرة من غير ان يفقئوها ويحطونها على بصة نار فتطق مثل الفرقوعة . واذا ما اخرجوها بصنعة وفقئوها فتقع مينة على لحم الانسان فيتورم ويفقع ويموت ذلك الانسان(٤٢) وأيضا في ذلك البلد يحصل خفاش الليل كبير يجي الى الانسان وهو نايم ويبدأ يفصده ويمص دمه ويستفرغه وبجناحه يهـوي على ذلك الانسان ليطيب له النوم . ولايزال يفصد ويتقيأ الدم الى ان يفيق الانسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خـرج منه(٤٣) . وقاسينا في تلك البلدة من الحر والمطر مدة أربعين يوم

---

(٣٦) الجلالية لعلها كلمة (Guérillas) ومعناها العصابات التي تقاتل قتالا غير قانوني .

(٣٧) سميت هكذا لوفرة الزلاحف التي كانت تغطي أرضهـا عندما بلغها المكتشفون سنة ١٥٠٣ .

(٣٨) قرطجنة بلدة عظيمة بسكانها وتجارتها لانها تعتبر مرفأ امركة الجنوبية اليها تأتي السفن التجارية ومنها تقلع محملة كنوزا وبضائع . وقد كانت عندئذ سوقا عامـا للرق يأتي النخاسون بالعبيد المساكين من الكونغـو والغويان وغيرهما من بلاد افريقية فيبيعونهم بيـع المواشي ولذلك سعى المرسلون ان يخففوا آلام العبيد ويفكوا قيودهم ما استطاعوا وينيروا عقولهم بنـور الانجيل ليكون صليب المسيح عزاء لهم ورجاء في حالتهم التعيسة . وقد اشتهر بين ذوي الغيرة المسيحية على هؤلاء المنكودي الحظ القديس العظيم بطرس كلافـر اليسوعي الذي قضى نحوا من نصف قرن بخدمة العبيد في قرطجنة فكان لهم أبا حنونا اكتسب منهم الى المسيح عددا لا يحصى وقد عمد بيده ثلاثمائة الف ونيف ومات سنة ١٦٥٤ .

(٣٨) اولاق كلمة تركية معناها السعاة .

(٣٩) بورتو بلو وقد كتبها سائحنا مرارا بورتو ويلو على اللفظ السبنيولي (Porto Belo) وتسمى أيضا (St. Philippe de Porto Belo) بلدة صغيرة على برزخ باناما بالقرب من نهر شاغر (Charge) وهناك ترعة باناما لتمر السفن من بحر الى بحر .

(٤٠) اللك كناية عن عشرة ملايين .

(٤١) قنصر هي كلمة (ancrer) أي ارسي وردت في رسائل بعض معاصري السائح .

(٤٢) نظنه يريد الدبيبة المعروفة عند علماء الطبيعيات باسم (Sarcopsylla penetrans) فان وصفها عندهم يطابق ما جاء به الكاتب (اطلب Traité de Parasitologie du Dr. Moniez p 612) وقد وصف دون دولوا (Dom d'Ulloa) مرضا جلديا شبيها سماه الحية الصغيرة (Culebrilla) يصيب سكان باناما قال انه دملة تداوى بالشق باخراج الجلد البالي فتيلا يشابه الحية ويزاد ان سكان قرطجنة وبورتو بلو يذهبون انـه بالحقيقة حية أو دبيبة صغيرة . وقد ثبت الان انه دبيبة تعرف باسم (Filaria Medinensis) (ibid. p 319)

(٤٣) هو وصف الخفاش المسمي Vampire

والتجار يبيعون بضائعهم . فلما ادخلوا خزينة الملك الى هـــذه الاسكلة أرسلني الجنرال حتى اتفرج عليها فرأيت شيئا لايحصى من الفضة والذهب .

٩ ــ السفر الى باناما :

ومن بعد ذلك قصدت ان اركب سفينة واتوجه الى بـــلاد صانتافه(٤٤) التي يخرجون منها هناك حجارة الزمرد لان من بلد كرتاخينا (قرطجنة Cartagène) يسافرون في النهر وهـــم صاعدون الى هذه الارض المذكورة معادن الزمرد فلكن جنـــرال الغلايين نصحني ومنعني عن ذلك قائلا ان في تلك الارض يوجـد بعض حيات مسمومة تقتل الناس وأيضا المسافة بعيدة فأنـــا اشور عليك بالمحبة الالهية ان لا تروح وتضيع وتموت في تـــلك البلاد . ثم اني طاوعت شوره وقصرت عن الرواح . ثم من بعد أربعين يوما طلعنا من بلد كرتاخينا وسافرنا صحبة الغلايين . ومن بعد عشرين يوما وصلنا الى ميناء يسمى سان فيليبه ده بورتو بلو فلما وصلنا الى هناك ورسينا في هذا الميناء مستنظرين المراكب التي تجي من بلاد البيروه في البحر القبـــلي الذي يســـمى مارسوريجوا الى اسكلة تسمى باناما وفيها حاكم رئيس عســكر واسقف وديورة رهبان وراهبات . وهذه البلدة لطيفة جـدا . ومن هذه الاسكلة المذكورة الى اسكلة بورتو بلو ثمانية عشـــر فرسخا في جبال وحرش مابين البحرين بحر القبله وبحر الشمال وهذه الارض دروبها صعبة نذكرها فيما بعد . فنزلوا خزينـة الملك محملة على بغال الى بورتو بلو وأيضا أحمال التجـــار والمسافة دون ثلاثة أيام ويأخذون الكروة ثلاثين غرشا على كل بغل ويصير موسم التجار أربعين يوما ويتسوقون البضايع التـي مع الغلايين فخزنة الملك كان عددها خمسة وعشرين مليونا وكل مليون عشر كرات وكل كرة مابة ألف غرش . فأما هذه الخزنـة ما تجي كلها الى اسبانية بل يقسمونها علايف(٤٥) على أربـاب الوظايف والى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة الى بلاد البيروه . ومن هذه الخزينة يصرفـون أيضا على الغلايين المنسوبة الى الملك وعلى جنودهم . وهـــذا الميناء هو أرض حامية جدا وكثيرة الامراض . ففي تلك الســنة ما صار مرض عظيم . فلكن مات من الطرفين مقـدار ألف نفس والباقي مرضوا وأنا مرضت لكن الرب شفاني بواسطة ملكـــة القديسين مريم العذراء ومار الياس الحي . ثم من بعد ذلك باع تجار اسبانية بضايعهم الى تجار البيروه وتسلموا الفضـــــة والذهب . فرجع تجار البيروه الى سبيلهم والغلايين أخـــذوا الفضة والذهب وبعض من البضائع مثل صوف التفتيك يسموه بيكونيا(٤٦) وأيضا كاكاو الذي يشبه القهوة بالرائحة والطعم لكن زايد الدسم(٤٧) فيخرجون من هذه الاسكلة راجعين الى كرتاخينا ومن كرتاخينا الى جزيرة لاوانا(٤٨) وهي جزيرة حصينة وفيما بعد نذكرها .

---

(٤٤) صانتافه Santa Fé de Bogota عاصمة بلاد غرناطة الجديدة وهي الان عاصمة كولمبية والنهر المذكور هو نهر (Magdalena)

(٤٥) علائف بمعنى رواتب واجور .

(٤٦) صوف التفتيك (بيكونيا) لعله يريد النبات المعـــروف باسم بينيونيا أو بيكونيا وهو أنواع ومنه نوع قطني .

(٤٧) سيأتي وصفه .

(٤٨) يريد مدينة لاهافانا(La Havana) عاصمة كوبا (Cuba)

١٠ ــ السفر الى باناما :

فاما انا الحقير قصدت مرافقة هؤلاء التجار للبــيروه . فاستكريت ثلاثة بغال بتسعين غرشا فاما الحاكم ما اراد يخليني أن أروح وحدي لسبب الجبال التي يوجد فيها نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع . فلما يمر عليه رجل أبيض عابر الطريق يرتفع من الارض مثل عود السهام ويدقر (يمس) الانسان . ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة الى الموت لكنه لا يدقر الهنـــود العبيد ولا يضرهم . فلما حكى لي الحاكم بهذا الشيء قلت له لا اصدق ان لم أر بعيني فقام ارسل معي خادمه وهو احمر حتى يريني ذلك الحشيش فلما وصلنا الى الموضع الذي يوجد فيه هذا الحشيش جاء الخادم الى جانب فرسي واختفى فما رايت هذا الحشيش وهو بعيد عشرة أذرع عن الدرب الا وارتفع وامتد ان يجي يلدغني . فخرج الاحمر صاح عليه دونك ياكلب فلمـــا صاح عليه وقع على الارض وانا شاهدت ذلك بعيني(٤٩) . وايضا في هذا الجبل رأيت أغصانا ساوية معدلة من غير ورق . وفي كل غصن ثلاثة جوزات مثل القطن . فاذا انفتح جانب الجوزة رايت داخلها حمامة بيضاء بجناحها ورجليها ومنقارها احمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس وكثـــير من حـــكام السبنيولية أرادوا أن يحضروا منها ويزرعوها في اسبانية فما قدروا(٥٠) . فمن بعد خروجنا من بورتو بلو عبرنا في نهر صغير قليل الماء لكن محجر فمشينا فيه ثلاث ساعات(٥١) . ومن بعـد ذلك صعدنا الى رأس جبل لنرقد تلك الليلة . وهذا المنـــزل سمى بوركارفون . وثاني يوم سافرنا ورقدنا في منزل آخر يسمى جاكري . ومن ذلك المنزل دخلنا الى البلدة التي تسمى بانامـا الجديدة لان من سابق عام كان قد احترقت باناما القديمـة(٥٢) ولما وصلت الى البلد رأيت كل البيوت معمرة من خشب . وثاني يوم نزلت عند اسقف هذه البلدة ورأيته رجلا قديسا فصار لي معه صداقة عظيمة حتى تخاوينا مع بعضنا البعض فهو أعطاني خاتمه وأنا أيضا أعطيته خاتمي . وهذا الاســـقف النبيل كان اسمه دون انطونيو ده ليون وأعطاني عكازته الصغيرة التي كان يمسكها في يده . وبقيت في هذه البلدة مقدار شهر .

١١ ــ من باناما الى غوايا كيل في بلاد البيرو :

ثم ركبت في مركب وسافرنا في بحر القبله الذي يســـمى البحر الازرق قاصدين بلاد البيروه وكان قبال هذه الاسكلة باناما جزيرة صغيرة مسكونة تسمى تابوكا (Taboga) قريبة مـــن الاسكلة المذكورة ثلاثة فراسخ ففي الحين صادفت برفقتنـــا في المركب رجلا خيرا يدعى قبطان فرنسيسكو من بلد طروخيليو . فلما وصلنا الى هذه الجزيرة وكان دخل من الليل ساعتان قال

---

(٤٩) نستغرب هذا الوصف فقد طالعنا رحلات معاصريه ونقرنا في كتب العلم فلم نر اثباتا لما ادعى صاحبنا انه رآه مرأى العين وقد يكون هناك خزعبلة أراد بها الحاكم أن يمنـع سائحنا عن السفر اللهم ان لم نأول كلامه فنعزوه الـى وصف الثمرة المعروفة باسم (Hura crepitans) التي اذا ما نضجت تفرقعت بدوي كدوي اطلاق بارودة .

(٥٠) لعلها الزهرة المسماة (Polygala) مع المبالغة في وصفها .

(٥١) هو نهر شاغر (Chagre)

(٥٢) أغار القراصين الانكليز بقيادة زعيمهم مورغان (Morgan) سنة ١٦٧٠ على باناما فنهبوها وأحرقوها فأعاد الاسبانيون اعمارها قبل وصول سائحنا بمدة قصيرة .

لي القبطان بان نمضي ونرقد في البر لان حاكم الجزيرة هـــو صهري فطاوعته ونزلنا على كلك صغير حتى نطلع للبر وهـــذا الكلك هو خمسة خشبات فلما اقتربنا من المركب قاصدين الارض انقلب الكلك والوقت ليل وعتمة . فانا لما نظرت روحي في الماء فخبطت وتعلقت بالكلك بتلك المكازة التي كان اعطاني اياهـــا الاسقف . وهكذا اعاننا الرب ووالدته مريم العذراء حتى اننا خرجنا ثلاثة انفار الى الارض بغير ضرر البتة وسكنا هنا ثلاثـة أيام الى ان حمل مركبنا ماء للشرب ثم بعد الايام المذكـــورة سافرنا في البحر والارض كانت قريبة من شمالنا . وايضا يوجد في هذا البحر في دربنا مكان يسمى كوركونـــا (Gorgone) يعني دوار البحر فاذا وقع مركب هناك يبقى خروجه أمر عسير الى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجه من هناك والا يهلك اناسـه من الجوع . وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شـــدة أمواجه يسمى البحر العجاج المتلاطم بالامواج لان العابر فيـــه مفقود والخارج منه مولود فلولا عناية الله الذي عاننا حتى اننا خلصنا من شر امواجه فبقينا على وجه الماء مقدار شهر الى ان سهل لنا الباري عز وجل اسمه فوصلنا الى مينا يسمى ساننا ايلينا (Hélène) يعني قديسة هيلانة . ثم رسينا هناك وكان في رفقتي ثلاثة رجال كرماء رايحين ليحكموا كل واحـــد في منصبه . فبعد ان حصلنا في الارض وبقينا خمسة أيام من خوف من شر البحر قصدنا ان نمشي في البر ولو صار لنا تعب عظيـم لبعد الدرب .

حينئذ اخبروني في هذا الميناء عن رجل من الهنود عمـــره مائة وخمسون سنة فقصدت ان اروح ازوره فنظرته صحيـــح الجسم عتيق الايام . فابتدى يحكي لنا عن الايام السالفة وذكر لنا قائلا ان بالقرب من هذا الميناء بفرسخ واحد يوجد مغـــارة كبيرة وهناك مدفونون اناس من الجبابرة وايضا اخبرني بـــأن والده كان حكى له ان لما وصلت مراكب السبنيولية الى تـــلك البلاد واكتسبوها كان الهنود يظنون ان المراكب هي حيتان البحر وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان لان الى ذلك الحين ما كانوا راوا مركبا . ولما كانوا ينظرون الى الخيل وراكبيهـــا كانوا يظنون ان الفرس وراكبها شقفة واحدة . ثم اني لما سمعت عن الذي جرى في تلك البلاد وعن الجبابرة المدفونين هناك صار لي رغبة ان انظر ذلك عيانا فاخذت معي رفقاء من الهنود اثني عشر نفرا مستعدين بالسلاح ورحنا قاصدين تلك المغارة لننظر الذي سمعناه . فعند وصولنا اليها اشعلنا الشمع الذي كان معنا لخوفنا ان نضيع داخل المغارة فعبرنا والشمع بيدنا وفي كل عشر خطوات اوقفنا رجلا في يده الضوء حتى لا نضيع درب الباب . وانا تقدمتهم وسيفي مسلول في يدي . ثم اني وصلت حيث موضوعة العظام فنظرتها ثخينة وأما الجماجم فهي كبيرة جدا فقمت قلعت من احدى الجماجم سنا اي ضرسا كان هذا قد كبره حتى انه كان يزن مائة مثقال لثقله . وايضا تأملت في عظم الساق وقست احدها فكان طوله خمسة أشبار . ففي بعـض البلاد عمل احد المصورين قياسا وتخمينا لهذا الجسم فوجـــد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرا . ثم خرجنا من المغارة متعجبين جدا مما نظرنا وانا أخذت معي الضرس المذكور(٥٣) .

١٢ـ وصف التمساح المعروف باسم قيمان (Caïman)

ومن هناك توجهنا الى الميناء واستكرينا خيلا وخرجنا مع الهند قاصدين كورة واياكيل (Guayaquil) وهي ايضـــا ميناء البحر الازرق وهي درب اربعة أيام . والدرب حـــرش واشجار وبعض انهر صغار ويوجد فيها حيوان كمثل التنـــين يسمى قيمان كالتمساح وفمه واسع وطويل مقدار خمسة أشبار وطول جسده خمسة اذرع . هذا اذا صادف انسانا يبتلعه في الحياة ولكن الانسان الميت لا ياكله فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر فاذا وجد انسانا أم حيوانا بالحياة يبتلعه ويركض على يديه ورجليه كمثل يدي السباع . فاذا جاء فرس أم ثور يشرب ماء من النهر فيطف عليه ويسحبه من مناخيره وبوديه فيجتمـع عليه البعض من هؤلاء الحيوانات ويقطعوه وياكلوه . فاذا أراد الكلاب ان يشربوا ماء ينبحون اولا على حفة النهر فيسمع هـذا الحيوان صوتهم فيخرج ليبتلعهم . فعند ذلك يرجع الكـــلاب هاربين وراكضين الى مكان آخر ليشربوا الماء لعلمهم ان القيمان هو في المكان الذي نبحوا . هكذا يتحايل الكلاب على القيمـان . واما الحيلة التي يصطاد بها الهنود هذا الحيوان فالاولى هي انهم ياخذون عودا قدره نصف ذراع وراسا العود منحوتـــان نحتا رفيعا ويربطون في نصف العود حبلا متينا . وهذا العـــود يشوونه ويصقلونه مثل السيف حتى يبقى صلبا مثل الفـــولاذ ثم يروح أحد الهنود ويجلس كامنا على جانب النهر فلما يخـرج هذا الحيوان وينظر الهندي فيقصد ابتلاعه ويفتح فـــاه ليبتلعه حينئذ يدفع الهندي ذلك العود المنحوت في فم الحيوان وهو ماسكه بيده فلما يقصد ان يطبق فاه ينغرس في فمه من الطرفين وكلما يعض عليه ينغرس في لحمه ثم يسحبونه بعزم شديد الـى الارض ويجاهدون ان يقلبوه على ظهره ليمنعوه عن المشي حينئذ يقطعونه شقفا . واما الحيلة الثانية التي يصطادونه بها فهي ان احد الهنود ينزل في النهر وفي يده حبل ويغطس تحت المـــاء ويصل الى هذا القيمان وهو طايف على وجه الماء ويرمي خربوته (كبة) الحبل على نصف ظهره وهو تحت بطنه يحكحك لــه وهو لاط الى بينما يرتبط في بطنه بالحبل من نصفه ثم الهندي يسبح هاربا منه لان هذا الحيوان لا يقدر ان يفترس شيئا تحت الماء لكن خارج الماء فاذا خرج الهندي من النهر حينئذ يجتمـع الرجال ويسحبون هذا الحيوان المربوط الى خارج الماء ويقتلونه وانا نظرت بعيني لما اصطادوا اثنين منهم بسبب ان واحدا من الحيوانات كان قد ابتلع صبيا من رفاقنا ونحن راكبون في الكلك. وهذا الصبي كان خادم خوري هذه الكورة . فصعب على الخوري وأمر ان يجتمع الهنود لصيد هذا الحيوان فاصطادوا اثنين منها فشقوا بطونها فوجدوا شقف جسد الصبي المذكور فاخرجوهـــا وأخذها الخوري فدفنها . وهؤلاء الحيوانات كثيرة العدد وفي بعض الاوقات يخرجون من النهر ويضجعون بجانبه على الارض وفمهم مفتوح الى الهواء فيأتي عصفور صغير ويدخل في فمـــه ويبدا ينقر من وسخ اسنانه فيشبع العصفور ويرجع طايـــرا والحيوان يطيب له بتنظيف أسنانه .

١٣ـ من غوايا كيل الى كيتو :

ثم وصلنا بعد اربعة أيام الى بلدة غواياكيـــل المذكورة .

(٥٣) ذكر مرارا السائحون في بيرو عظام الجبابرة القدم . قال كوربال من معاصري رحالتنا في سفرته الى ضـــواحي غوايا كيل : « وقد ذكر لنا الهنود ان قوما من الجبابرة كانوا يسكنون ارضهم فنزل شاب من السماء وابادهـــم بالنار وقد لجأ بعضهم الى المغاور والكهوف فماتوا فيها حريقا » وذكر غيره انه قاس سنا فكان عرضها ثلاث أصابع وطولها أربع أصابع . وهذا يثبت كلام سائحنا . لكنهـا عظام بعض الحيوانات القديمة لا عظام بشرية .

وهذه البلدة مسكونة من الهنود والاسبنيول وصار لنا من اناس هذه البلد اكرام زايد ولاسيما من رهبان مار عبدالاحد . وبعد ان مكثنا هناك عشرة أيام خرجنا قاصدين قرية تسمى بابـــا (Baba) مسكونة من الهنود والسبنيولية وهي ارض سخنة ويوجد هناك بساتين فيها جنس أشجار كأشجار التوت تحمــل ثمرة تسمى كاكاو (Cacao) يعملون منهـــا الجيكولاتــا (Chocolat) وهذا الثمر تراه مثل البطيخ متعلقا وملتصقـــا على جسم الشجرة . فلما يبلغ ويصفر ياخذونه ويقطعونه ففي داخله يخرج الثمر وهو حبوب أخشن من الفستق ثم ييبســونه حتى ينشف وبعد ذلك يقلونه فتراه كالقهوة في اللون والطعمة والريحة لكن كثير الدهن ومن دسامته يصير مثل العجين ويضيفون اليه من السكر على قدر الحاجة وكذلك أيضا من القرفـــة والعنبرخام ويجلبونه عجينا ويجعلونه أقراصا وينشفونه بالفيء. ومن هذه الاقراص يغلون الجيكولاتا ويشربونها مثل القهـــوة . وهذا الثمر هو سالك عند الكل في جميع بلاد النصارى يأتون به من هناك ويبيعونه .

ثم خرجنا من هذه القرية قاصدين بلدة تسمى كيتو فسرنا وجزنا على قرية اخرى تسمى بوتيكاس دي سان انطوان فيوجد بهذا الدرب جنس قصب ارتفاعه اربعون ذراعا وثخن القصبــة أغلظ من مطواية نول الحايك ومن عقدة الى عقدة ذراع . فهـذا القصب يجعلونه صواري أعني غطاء لسقف البيوت والبعض منه ممتلىء ماء أبيض وحلو وأنا شربت منه . ثم اني امرت المكاري ان يقطع منهم ست عقد تكون مملوءة ويحملها على بغــل(٥٤) . وأيضا يوجد في هذا الدرب أجناس وحوش كمثل الســـعدان والميمون ألوان وأشكال . وأيضا من قسم الطيور يوجد الفره التي تتكلم وطير اخر يسمى باكامايا وهو بقدر ديك كبير . لـكن ريشه ملون شيء عجيب . ثم جزنا على قرية تسمى كوتليو . ومن بعد أربعة فراسخ عدينا على قرية تسمى انبات وأيضـــا يوجد في هذا الدرب جبال محاطة بالثلج . ومن راس احد هذه الجبال يخرج نار بولكان(٥٥) (بركان) . ففي أحد السنين خرج من هذا الجبل نار كثيرة كرعد عظيم وصار دخان زايد ورمـــاد حتى غطى الجو وما بقي تبان السماء ولا الشمس مقدار ساعتين ومن بعد ذلك انحدر هذا الغيم وحرق كل شــــيء وجـد من الحشائش على وجه الارض وعكر الانهر ومن هذا الشيء صـار طاعون في جميع جنس الحيوان لعدم قوتهم ثم . اننا وصلنـــا الى قرية تسمى نشبت ومنها رحنا الى قرية اخرى تســـمى لاتاكونكا La Tacunga وفيها دير راهبـــات من طائفـــة الكرملتانيين قد بناه رجل صالح وهو أسقف بلد كيتو . وصرف على عمارته واقامته مايتين وخمسة وعشرين الف غرش . وهـذا الاسقف يسمى دون الونصو بينيامونته نيسكره . وبهذه القرية جاء الى ملاقاتي أربعة رهبان من رهبنة مار عبدالاحد ارســلهم رئيسهم فاخذوني الى بلد كيتو (Quito) وانزلوني في ديرهم لان رئيسهم كان سمع ان معي امر تثبيت هـذا الرئيــس من جنيرالهم الذي في رومية .

١٤ـ كيتو وضواحيها :

ثم اني استقريت في دير رهبان مار عبدالاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قدومي ونزولي في الدير فخلى سرايته

وجاء سريعا زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت له : « تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا لملاقاتي قناقين(٥٦) وأتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى ســرايتك » . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضـوا ان أكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معه وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي أنا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقا معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنت اوجبه وصرنا أصحابا بالصدق وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنية بالاموال ومزخرفـة بالكنائس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيا جدا لـــكن عديم الكرم بخيلا في العطاء . واما الماء الذي يشربونه في هــــذه البلدة فهو عاطل . فتجد أكثر الناس يصير لهم مثل غدة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضا سبنيول فبقيت فيها شهرين . واما ذلك الضرس المذكور الذي كنـــت اخرجته من عظام الجبابرة الذين بمغارة سانتا ايلينا فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل علي حتى يريـــه لبنته . فأنا طاوعته كصاحب وسلمته الضرس فلما رأته الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مضيعوه (اخفوه) وما عدت وجدته ورمى اسقف البلد حرما حتى يظهروه فما صار ذلك ممكنا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض نزيف الدم ثماني ســنين . فلما اضافني الاسقف عنده طلب مني ما هي منفعة الماء الــذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلت له : انا قرأت في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم نزيف الـــدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتهـــا وشربت منه سبعة أيام فبرئت من علتها . وأيضا رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخا مثل جوخ اللوندرا(٥٧) (لندن) . وأيضـــا حكوا لنا عن جبل عندهم ان منه خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتهـا بعيدا عن الجبل مقدار اربعين فرسخا(٥٨) .

وذكروا لنا أيضا ان من سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبـة جدا في الرؤيا . فاخذها الى بيته وأخفاها في صندوق له . فلما جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيته . فثالث يوم جاء أيضا ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدة مرار وما أمكنه أن يضبطها في بيته . ثم انه أعلم بذلك أسقف البلد فخرج حينئذ الاسقف واستقبلها باكرام وأخذهـا بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة وأسكنها هناك . وتسمى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اســـم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولما يحدث في هذه البلدة طاعون ياخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد

---

(٥٤) ذكر دولوا (d'Ulloa) هذا القصب في سفره من غواياكيل الى كيتو ووصفه موافق لما قال الكاتب .

(٥٥) هي جبال (Catoqaxi) و(Cargairaso) وفيها قمم بركانية .

(٥٦) قناق (قونق) كلمة تركية معناها نزل السفر أو المرحلة بعد قطع السفر .

(٥٧) هو الجوخ العادي المصنوع أولا في لندن ثم في جنـــوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الموانيء الشرقية في كل سنة نحوا من خمسة عشر الف قطعة أو ثوبا ثمن القطعة أو الثوب مايتا فرنك. اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

(٥٨) هو جبل بيشنشا pichincha وقد انفجر انفجـــارا مهولا سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي .

كيتو فتبقى عندهم تسعة أيام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد . ثم يرجعونها أيضا بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة .

وأيضا ذكروا لنا ان خارجا عن هذه البلدة درب أربعة وعشرين فرسخا نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الأرض من قلب الجبل رملا مخلوطا بذهب . فهناك اناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيه النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويغربلون النهر ويعزلونه من الذهب فانا نويت أن ابصره بعيني. فاشار علي اناس ان لا أروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جدا لاجل ذلك قصرت المسير اليه لكني اشتريت من ذلك الذهب في بلد كيتو .

ثم اني بعدما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجت قاصدا قرية تسمى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (٥٩) وتجد سكان هذه القرية عديمي اللون مورمي البطون وذكروا ان في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد فيء غير ظل الاشجار والشمس دائمة لا تغيب . وأيضا ذكروا لنا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخا يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر أشجار القرفة . ولكن مايوجد اناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيء من هند الشرق لانه حاد يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليه السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم . وايضا ذكروا لنا انه يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونه وهو أخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونه الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونه للانكليز والاولنديز ولا للسبنيولية . وأيضا في تلك الكورة دائما صواعق وأمطار شديدة .

١٥ــ من كيتو الى كوانكا ــ وصف عيد الثور :

ومن هناك رجعت الى بلد كيتو ومنها خرجت قاصدا القرية لاتاكونكا (La Tacunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو . ومنها الى بلد تسمى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر ولطيفة الكنائس واناسها أغنياء وأشراف فنزلت في دير مار عبدالاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام . وقدست هناك . وعوائد قداس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قداسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قداسي(٦٠) وأنا بعد ذلك بقيت هناك ثمانية أيام . ثم خرجت قاصدا بلدة تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة أيام وصلنا اليها وكان دربنا جبالا وثلوجا وتسمى هذه الجبال بارامو (Paramo) لشدة البرد الذي هناك . ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيها وانحدروا الى أن وصلوا الى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحملين قفلا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك اناس القفل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل . ثم ان الهنود فتحوا الاحمال وأخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها أقراصا من ذهب . فأتى أهل القفل وأخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم .

واما أنا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفا وبقيت مطروحا في الفراش عشرة أيام معالجا من الاطباء . لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية . وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانه كان رفيقنا في المركب لما سافرنا من اسبانية فأراد أن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمونه في بلاد اسبانية عيد الثور ويلعبون على هذا النوع : أولا يحوطون ساحة برفوف وخشب ثم يضعون خوانات شيئا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجة . وبعد ذلك يأتون الى تلك الساحة بثور من الثيران البرية الوحشية ويكون ذلك الثور مسجونا . فعندما يفلتونه على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعا وما ينظر له دربا ينفذ منه . فبعد ذلك يدخل اليه خيال وفي يده رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليه فيهرب منه وبعد ذلك يقتل الثور . والثور أيضا بعض أحيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونه ، وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوه في موسمه كل عام .

١٦ــ معادن الذهب :

ومن بعد ذلك خرجت من هناك قاصدا قرية تسمى خاوخا(٦١) فسرنا في صعوبة الامطار ليلا مع نهار مقدار ثلاثة أيام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوما وليلة من شدة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجت منها قاصدا الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمى صارونا (Zaruma) فسرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة أيام . ووصلت الى تلك القرية المذكورة وهي على رأس جبل وحولها المعادن الذهبية . فنظرت جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة . أولا يطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منه الذهب بتصويله في الماء . ثم يغوبونه ويسكبونه أقراصا . وأنا اشتريت من ذلك الذهب أربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين . وبعد عشرة أيام أردت ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو أحسن من دربك لكنه درب قفر خال من الناس والقرى فتحتاج ان تأخذ معك زوادة كفاية خمسة أيام . فوقفت لشوره وطعت لقوله وحملت معي ما احتاج من الزوادة واخذت معي رفيقين أعني مكارين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امه هندية وابوه اسبنيولي .

١٧ــ أسفار واخطار :

ثم سرنا في درب عاطل بين الجبال يوما وليلة . فأراد الشيطان ان يطغي ذلك المكاري المستيسو لانه كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيته على يد خادمي فاخذت منه السلاح وبقيت متحذرا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمى باسيليكا والثانية جونجوناماه

---

(٥٩) معنى لينيا الخط يريد به خط الاستواء .

(٦٠) لرهبان مار عبدالاحد (الدومنيكان) بعض طقوس قديمة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لاتزال مرعية عندهم الى أيامنا .

(٦١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخرائط لوخا (Loja)

والثالثة واكانا! فلما نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة اما انك نبي أو قديس . وقسوسهم أيضا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانما لاجل اني كنت رجلا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزت تلك البلاد .

ثم ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمى طايبه (Amotapé) فبينما ذاك ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورا وتدبيرا على قتلي وأنا كان معي صبي صغير من أولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فأسرع الصبي مرتعشا الي وفيقني وأعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بغل من البغال وظل هاربا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض خلفه طول الليل ورجع به عند طلوع الشمس . فذاك الوقت اخذت منهما اسلحتهما لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما أخذت السيف بيدي وناديت المستيسو وقلت له : ابرك(٦٢) على ركبتيك وأصدقني كيف خطر الشيطان على هذا الفكر اعترف أمامي بالصحيح . فاقر معترفا وطالبا مني ان أغفر له وسامحته . ثم بعد خمسة أيام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثم اني حكيت له عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاك من شرهم لان اخي هكذا قتلوه في هذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زائد وهو كنهر الدجلة . فذاك اليوم جزت هذا النهر ووصلت الى بلد يسمى كولان (Ville de Colan) كله هنود . ثم نزلت في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدس ثاني يوم وكل النذر الذي يقدم للخوري يكون لي انا . فقدست ثاني يوم وحضر جميع الهنود قداسي وكان عددهم أربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القداس جلست على كرسي وعملت بركة أعني خبزا مباركا . فبقي الناس يجيئون يبوسون يدي وياخذون البركة ويرمون النذر في الصينية . فبعد خلوص ذلك نظرت اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشا .

١٨ـ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبت الى حاكم بلد بيوره ان يرسل لي تختروان الذي يسمى بلسان السبنيولي ليتيرا(٦٣) لان هذا الحاكم كان مرافقنا من اسبانية مع عياله . ففي حال وصول مكتوبي اليه أرسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحل النهر يسمى بايتا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمى بيوره درب أربعة عشر فرسخا . فنزلت في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة .

(٦٢) أي اجلس وهي كلمة حلبية .

(٦٣) Litera وبالفرنسوية Litière وتختروان كلمة فارسية مركبة من لفظتين معناها سرير السفر .

وذكروا لنا ان من مدة خمس عشرة سنة كان رجل من أشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيا وما له سوى بنت واحدة . فيوما من الايام سافر أبوها الى غير بلد . فالبنت المذكورة نظرت رجلا لابسا ثيابا حقيرة فقالت له : ما بالك لابسا هذه الثياب الدنية . فاجابها قائلا : لشدة فقري وعازتي . فاجابته قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعدته هذه البنت ان لما يجيء الليل يجيء ينتظرها في المكان الفلاني فتاخذه الى مغارة أبيها التي هي خارج البلد ثم انها اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادته الى المغارة المذكورة كضرير . فلما وصلا الى المغارة حملته من أقراص الذهب على قدر ما يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيه واطلقته بسبيله . فلما جاء أبوها من سفره قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة أصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنته فسقاها سما وماتت وهو أيضا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها .

١٩ـ من بايتا الى طروخيليو :

وبعد أن مكثت هناك عشرة أيام خرجت قاصدا قرية تسمى ليلموا فسرنا في درب مقفر عديم الماء وكله رمل مثل أرض مصر وكل أهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقية نصارى من خوفهم . وثاني يوم خرجت قاصدا بلدة للهنود تسمى لمبايك(Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود أغنياء وبعض من السبنيولية . فعزمني وكيل الأسقف الذي هناك الى داره وطلب مني ان اقدس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسان السبنيولي . فقدست نهار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيسا ومقدار ثلاثة آلاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبت لهم مسابح وصلبانا من القدس . ثم بعد خمسة أيام خرجت من هناك قاصدا بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيولي . وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنت اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا أعني تختروانا.

فذات ليلة تغافل المكاري ونعس فضل البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين الاشجار وهذا الحرش داخله عظيم لا له أول ولا آخر . فلما فقت على ذلك أمرت خدامي ان ننزل هناك لئلا نتيه أزيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لاخرين . فلما صار الصبح قلت للمكاري الهندي ان يعمل نارا كثيرة ودخانا عظيما . فاما رفقاتنا فكانوا سبقوني الى المنزل . فلما نظروا اننا تعوقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناسا ليفتشوا علينا . فانا قلت للمكاري أن يصعد الى رأس شجرة عالية وينشر علما أبيض يعني بيرقا فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا أولئك المفتشون فرأونا هناك على نيشان ذلك البيرق واغتاظوا على المكاري كيف انه حاد عن الدرب . وأكثر أشجار ذلك الحرش من أشجار القطن ما لهم أصحاب وهو خشن جدا قدر الرمان وحبه قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح ياخذ قطنا على قدر حاجته . وينسجون منه ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمة فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنه اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى جنرال . فبقيت هناك أربعة أيام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثم خرجت من هناك

قاصدا بلدا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة أيام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنت قد أخذت معي ما اعتاز اليه من قسم الاكل والشرب وكان لي حصان وبغلة يدكُ(٦٤) لما يكون الوقت بروده كنت اركب عليهـا واذا وغلت وتعبت من الركب كنت ادخل الى التختروان . فجـزت الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليا . وفي هذه البلدة رهبـان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنة مار اينياسيوس اليسوعية وأيضا قسوس وخوارنة جميعهم مقدار ألفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائما يحكم في تشرين الاول . فرحت قدست هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس فانشرحوا كثيرا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان أنعم علي بها سيدنا البابا . وكان نيشانه وختمه مرسوما عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها .

٢٠ــ سفر الى ليما :

فمن بعد ان بقيت في هذه البلدة عشرة أيام رجعت قاصدا بلد خامار (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة أيام وأروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتله الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجت من هذا البلد قاصدا بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلت من الجبل قاصدا البلدة المذكورة ومن بعد أربعة أيام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما له مجاز فيجوزونه بشدة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئا للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكا فيجمعون قرعات يابسات ويربطونهـا ببعضها مثل كلك ثم يجعلون عليها خشبا وفوق الخشب حشيشا مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفوتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعه سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطلبات الى الله ووالدته مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على أراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة له يد . فالاول كان جنديا وانقطعت يده بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغته حية في يده فقطعوها له .

٢١ــ الاقامة في ليما :

فمن بعد ثمانية أيام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) أعني رئيس ديوان الايمان لانه كان صاحبي من اسبانية . وكنت دينته ألف واربعماية غرش في مدينة بورتوويلو فاعطاني فائدة عن كل مايـة غرش أربعين غرشا مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحت قابلت الوزير وقدمت له أمر الملك ومكاتيب الوصية التي أحضرتها معي من اسبانية. وهذا الوزير كان رجلا مباركا اسمه دون بغدسار ديلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من أكابر اسبانية . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انه يساعدني في جميع الذي اعتازه . ثم اني دخلت زرت امرأته فاقتبلتني ايضا بالاكرام . وهذا الوزير المبارك كان قد تزوج منذ أربع عشرة سنة وما رزق ولدا وسناتي بعد هذا بحكايته . ثم اني رجعت فزرت كبير الكهنة الذي يسمى ارشيدياقون مع جملة ارفاقه الكهنة لما كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خاليا من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين الف غرش وتحت يده مائة وعشرون خوريا وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتيا من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوما وقعت مريضا في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يوما بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمت ورحت عند الوزير وتلاقيت معه ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولما كنت مريضا كان يرسل عندي خزنداره يزورني مع احمال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من أصحاب المعادن وقال للوزير انه يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقا . فلما امتحنوا صنعته وجدوها اختراعا كاذبا . وانا كنت حاضرا ونظرت ذلك عيانا .

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان أحد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لما يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم. وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى دداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليع لحذف الحجارة . الحجارة . وما كان لهم مواشي أعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبته في صدره يحملون عليه ويأكلون لحمه لكنه ما يسافر بعيدا . وكل يوم قناقه أربعة فراسخ لا غير فلما يتعب ينام ويزبد ويتفل على أصحابه . وهؤلاء الهنود لما كان يموت أحد منهم كانوا يصنعون له قبرا عاليا علو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبره آلة صنعته مع شربة من خمر الذرة .

٢٢ــ وصف ليما :

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزير وعدني ان يقف بخدمتي طول ما أنا بالهند . وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمه يوصيهم علي بالاكرام . وفي ليما عدة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن ألف راهبة(٦٥) . وأيضا أربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لمداواة المرضى أي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستانا كبيرا على اسم الملك لان الملك يصرف عليه ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزموني لاقدس في الكنايس والديورة ويكرموني غاية الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديوان الايمان المذكور أعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلاكانترا يعني

---

(٦٤) يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الخيال عند الحاجة (احتياط) .

(٦٥) مبالغة او خطأ من الناقل .

يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلا كاهنا وما أراد ان أصرف شيئا على المأكول والمشروب . وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى ان الدجاجة تساوي غرشا ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabiido) (٦٦) يعني ديوان الكنيسة من حيث أخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيديافون الذي بجانب كرسي المطران اكراما لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداسا باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديوانا بآياتهم (مع بعضهم) وارسلوا الي ألف غرش وكذلك أيضا في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون الي شيئا كثيرا وأنا كان لي عجلة يعني عرباني(٦٧) بأربعة بغال مع عبد اسود خادمها .

٢٣ـ السفر الى خوان كاباليكا (Guancavalica)

ومن بعد السنة طلبت اجازة من الوزير لاروح الى جبال الفضة والذهب فاطاعني الوزير واصغى لطلبتي وكتب لي مكاتيب الى جميع حكام البلاد وابرشية القرى الذين تحت حكمه وصية علي بأن يعزوني ويكرموني وارسل رفيقا رجلا من جنوده لكي يسبقني في الدرب ويهييء لي ما احتاج من المأكول والمشروب والمنزل في بيت حاكم القرية . فخرجنا من ليما وهذا الرجل برفقتي قاصدين بلدة تسمى خوان كاباليكا Guancavalica ثم سرنا يومين بدرب سهل وصعدنا في اليوم الثالث الى جبل الثلج ولا زالت الارياح والبرد شديدا . فابتدأت تتغير امزجتنا ونقيانا من سبب اننا خرجنا من أرض شديدة السخونة وجزنا عاجلا الى أرض باردة . ثم بعدما صعدنا الى أعلى الجبل سرنا من مكان يسمى بوناده برياكاكا يعني زمهرير السكر (؟) ومن هناك سافرنا فرسخين فتلاقيت مع رئيس رهبان مار فرنسيس الذي يقال له بروبنسيال (Provincial) فسألني عن الدرب فحكيت له ما جرى علينا من تغير المزاج فعند ذلك افترق منا ورحل من درب آخر . ووصلنا في ذلك النهار الى نهر يسمى نهر بوني وعليه جسر ممتد من جانب الى جانب منسوج من حبال القنب ومربوط بالاشجار فغتنا عليه بصعوبة وأخذوا الخيل الى درب آخر مجردات وادخلوها النهر . ومن بعد عشرة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة خوان كاباليكا وهي بلدة صغيرة فنزلت في دير اليسوعية . وفي هذه البلدة تختلف الارياح ثلاثة مرات في النهار ووقت العصر دائما تمطر . وهي ارض قليلة العافية لاختلاف الاهوية ولسبب الجبل الذي فيه معدن حجر الزيبق لانه مسلط على البلد .

٢٤ـ معادن الزئبق :

ثم اني رحت لانظر المعدن مع حاكم البلد فرايت هذا المعدن وعظمته ونظرت أيضا ان الفعلة يقطعون الحجارة ويخرجونها من تحت الارض الى فوقها . ثم أروني كيف يخرجون الزيبق فادخلوني الى بيت جعلوا ارضه ابخاشا (ثقوبا) ملصوقة ببعضها موضوعا في كل منها برنج(٦٨) والبرانج مصفوفة ومنصوبة صفوفا صفوفا ولها فم واحد منصوب الى فوق والفم الاسفل مسدود وغير مفتوح كمثل اجران . فيضعون حجارة الزيبق بصنمة مصطفة فوق البرانج كمثل عمل الفاخوري في افران الخشف (الخزف) وكذلك أيضا يضعون الحجارة على البرانج . وهذا البيت له سقف مغطى لكن قوي عالي وفيه ابخاش لاجل منفذ الدخان . ثم يضعون الحطب فوق تلك الحجارة ويضرمون به النار فيشعل وتسخن الحجارة سخونة قوية ويجري منها الزيبق هاربا ومنحدرا داخل تلك البرامج . فعند ذلك يفهم معلمو الزيبق فيهدئون النار ويخلونه يوما وليلة حتى يبرد وبعده يرفعون الحجارة والرماد ويكبونه (يلقونه) خارجا ويطالعون الزيبق من تلك البرانج . وهناك وكيل من جانب الملك يضبطه للملك . وهو يوفي لاصحاب المعدن اثنين وخمسين غرشا حق كل قنطار وقنطار هذه البلاد هو ستة امنان خندكاري(٦٩) ويبيع وكيل الملك القنطار بتسعين غرشا لاصحاب معادن الفضة لاجل استخراج الفضة من الحجارة وسوف نتكلم عن ذلك أيضا . ثم اني قدست هناك على هيكل لهم في وسط المعدن وباركت عليهم وعلى معادنهم(٧٠) وقدم لي أصحاب المعادن بشكاس(٧١) مقدار خمسين قنطار من الزيبق وقالوا لي اصبر الى شهر بينما يخرجون الزيبق من الحجارة ويعطوني المبلغ المذكور . فمن سبب الاهوية المختلفة خفت فتركت هناك وكيلا ليستلم منهم الزيبق وقتما يستخرجونه لكن عليه يسق(٧٢) من الملك ان لا أحد من أصحاب المعادن يقدر يبيع زيبقا ولا أحد يقدر يشتريه . وان تجاوز أحد هذا الشرط ينهبوا ماله ويحل عليه القتل .

٢٥ـ مياه محجرة ـ وصف الصَّبِّير :

وفي هذه البلدة يوجد جنس ماء لونه أسمر يجعلونه في وسط صناديق ويبقى ثمانية أيام في الهواء فيجمد حينئذ ويصير حجرا يعمرون به البيوت وأنا نظرت ذلك عيانا . واذا وضعوا في وسط هذا الماء خشبة وبقيت أربعين يوما فيخرجونها من الماء نصفها حجر صوان والذي يبقى فوق الماء من الخشبة يبقى على حاله خشبة وأنا أهداني أحد رهبان اليسوعية صليبا من هذا الجنس(٧٣) .

---

(٦٦) وبلافرنسية (Chapitre) أي الفرع .

(٦٧) أي مركبة .

(٦٨) البرنج كلمة فارسية معناها النحاس ونظنها بمعنى الخابية والبرنية .

(٦٩) الخندكار لفظة ممالة بالفارسية معناها السلطان .

(٧٠) قرانا في كتب الاب فوليه (Feuillée) المرسل الفرنسيسي في البيرو من معاصري صاحب الرحلة وصفا مسهبا لهذه المناجم قال : ان مناجم الزيبق الشهير في كل امركة الجنوبية محفورة في جبل واسع بالقرب من غوانكافاليكا (Guancavalica) وهي ممتدة تحت الجبل حفر فيه منازل ودروب ومعبد . والمناجم مضاءة بعدد لا يحصى من الشموع . ثم وصف استخراج المعدن وصفا لا يكاد يفترق عما جاء في متن رحلتنا سوى انه قال ان سعر القنطار ثمانين غرشا .

(٧١) بشكاس لعلها باش كاس ويظهر من القرينة ان معناها الهدية أو البخشيش .

(٧٢) يسق كلمة تركية معناها مانع أو محذور .

(٧٣) ذكر الاب فوليه المذكور هذه المياه المحجرة قال : ان ماء هذا النبع غاية من السخونة حال خروجه ويتحجر سريعا اذا ما سال في الحقول . ومن حجاره يبني البناؤون

←

وبعد عشرة أيام خرجت من هذه البلد وصحبتني أربعة عشر رجلا خرجوا يودعوني الى خارج البلد ثم افترقوا مني ورجعوا . وأنا أخذت دربي قاصدا بلدة تسمى اكوامانكا (Guamanca) وفي هذا الدرب يوجد أشجار مختلفة الاجناس وأكثرها أشجار يسمونها توكال أوراقها سماك كفين وما لها أغصان لكن الاوراق مشوكة وفي طرف الورقة تصير الثمرة ويسمى في لسان الهنود تونس وهذا الثمر كقدر بيض الدجاج لكن أصلب وداخله حاو كطعم التوت وهو مسهل ومبرد فمن خارج الثمرة يصير شوك ناعم فيلتزم الانسان ان لا يمسكها بيده الا بعد ان ينظفها من الشوك وهذا ممتليء منه البرد والجبال في ذلك الاقليم(٧٤) .

٢٦ــ الوصول الى اكوامانكا :

ثم بعد أربعة أيام وصلنا الى البلدة المذكورة ونزلنا في دير اليسوعية لان رئيسهم كان رجلا صالحا وكان قد أرسل لهم مكاتيب يوصيهم على ان ينزلوني عندهم . وفي هذه البلدة كان أسقف غني جدا لانه كان أولا رئيسا لديوان الايمان ويسمى الاسقف دون كريستوفلو دي كستيلو . وبعد ان استقريت في الدير تلك الليلة جاءني في الغد قسيسان من جانب الاسقف يهنئاني بوصولي . فثاني يوم باكرا رحت أنا زرته فقام هو أيضا بنفسه والتقاني وسألني عن حالي وعزمني الى داره حتى انغدى ذلك اليوم معه فطاوعته وتغديت معه . ومن بعد المأكول أنعم علي بجنزير ذهب يسوي مايتي غرش . فلما سمع أكابر البلد بالاكرام الذي عمله لي هذا الاسقف المبارك جاءوا جميعهم زاروني . ومن بعد أربعة أيام خرجت مع راهبين يسوعيين ورحت زرتهم وأوفيتهم زيارتهم كعادة تلك البلاد . ثم الاسقف أرسل لي رفقة ليدلوني على بيوت الذين جاءوا زاروني لان اليسوعية كانوا قد كتبوا أسماء الذين زاروني واحدا واحدا . وفي هذه البلدة كنائس وديورة غنية جدا . فمن بعد ما زرتهم وارتحت ثمانية أيام رسم هذا الاسقف ان يعملوا كوميدية يعني تقليد القديس رجل الله الروماني الذي يسمى باللسان الفرنجي سان ايليسوا (Alexius) وفي العربي مار ريشا . وهذه الكوميدية هي تشخيص ما عمل هذا القديس وكيف أعطى خاتمه لعروسته وشق الخيط وطلع راح يسوح في الدنيا(٧٥) . فحضرنا هذا التقليد وانشرح خاطرنا وكان اناس هذه البلدة يكرموني للغاية بسبب ان الوزير كان قوي صاحبي وبقيت في هذه البلدة عشرين يوما في غاية ما يكون من الانشراح .

٢٧ــ السفر الى كوسكو :

ثم خرجت من هناك قاصدا بلد كوسكو (Cusco) وخرج حاكم البلد ورئيس اليسوعية مع رفقائه وغير أصحاب ليودعوني فسافرنا نصف فرسخ ثم تودعنا وافترقنا فهم رجعوا الى البلد وانا ظليت (ظلت) مسافرا . ومن بعد يومين وصلنا الى نهر يسمى بوريما (Apurimac) وكان على هذا النهر جسر ممتد منسوج من عروق الاشجار والاغصان عرضه ذراع اقل أم أزيد وطوله عشرين ذراعا . فجزناه بصناعة عظيمة مع خوف شديد لان الاحمال يحضرونها عن الابغال ويدخلها الهنود على ظهرهم الى جانب الآخر واحدا بعد واحد . واما البغال فيزلطونها من جلالاتها ويجيزونها الجسر فاذا سقطت رجل البغل بين الخشب الممتد على ذلك الجسر حينئذ يحلون رؤوس الخشب فيسقط البغل من ذلك العلو الى وسط الماء ويسبح ويفوت الى الجانب الاخر . فبهذا التعب العظيم جزنا بسبب ان الجسر يتجوجح ويهتز كالمهد لما يدوس الانسان عليه فلما حصلنا في ذلك الجانب شكرنا الباري تعالى على خلاصنا . فاما الهنود بسبب انهم يعرفون السباحة فاذا سقط احدهم في الماء يخرج سالما . ومن هناك سرنا في الدرب فوجدنا أجناسا من الحيوانات منها خيل وأفراس وحشية وبقر أيل وبغال وحمير وغير أجناس أخر وهي تعيش في تلك الجبال المقفرة وما لهما أصحاب . وجنس حيوان آخر يسمى بيكونيا وهو كصورة الغزال لكن بلا قرون . فهذا الحيوان قوي أنيس لما ينظر اناسا أو دوابا مجتازين ينحدر من الجبل ليتفرج عليهم . وعددها كثير . وأنا كان عندي كلاب للصيد وبندقية فقتلت بعضا من هذه الحيوانات ولحمها لا يأكله غير الهنود وصوفها ناعم كالحرير يصنعون منه البرانيط اي الشبقات وهو شبه التفتيك(٧٦) لكن لونه عسلي كلون الغزال(٧٧) وفي بطن هذا الحيوان يوجد حجر البازهر بين كليتيه . فيخرجونه ويبيعونه بثمن غال لانه نافع للسموم(٧٨) .

٢٨ــ السفر الى ابانكاي (Abancay)

وبعد ثلاثة أيام دخلنا الى مزرعة قصب السكر وتسمى الارض شبنكاي . وهذه الارض هي لليسوعية ويخرجون منها

المنازل جاعلين المياه في قوالب مخصوصة حسب رغبتهم وحاجة العمارة ولا يتعب الحفارون ونقاشو التماثيل اذا أرادوا نقش تمثال فاذا ما اتموا القالب وسكبوا فيه الماء جاء التمثال حجرا بديعا ينحتونه قليلا زيادة في لمعانه .

(٧٤) هو وصف شجرة الصبير المعروفة .

(٧٥) أخبار مار ريشا المشهورة .

(٧٦) الشبقة هي البرنيطة ولعلها تعريب (chapeau) اما التفتيك فهو نوع من الصوف الناعم .

(٧٧) قد جاء وصف هذا الحيوان المسمى (la Visuna) أو (le Guanaco) في كثير من الاسفار الامركية وكانوا يستخدمونه لنقل المعادن في الطرق التي يتعذر على الدواب سلوكها .

(٧٨) البازهر أو الپازهر كلمة فارسية معناها الترياق (من پاو ــ نظف ، وزهر ــ سم) وقد اشتهر هذا الدواء بين أطباء العرب وامتدت شهرته مع اسمه الى المغرب فيقال (Bezuar) باللغة البرتغالية أو (Bezoard) بالافرنسية . قال التيفاشي : هذا الحجر بأيدي الناس صنفان احدهما حيواني والآخر معدني ومعدنه بين جزيرة ابن عمر والموصل وهو هناك كثير ويوجد منه حجارة كبار وهو حجر رخو أبيض الحكاكة . وأما الحيواني فهو المقصود بالكلام في هذا الحجر والباب هو حجر خفيف هش أصفر منقط نقطا خفيفة وهو ذو طبقات بعضها على بعض وينحل سريعا اذا حك ومحكه الى البياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلثة مثاقيل يؤتى به من بلاد فارس من تخوم الصين والحيوان الذي يوجد فيه البازهر هو الايل الذي يكون بتلك البلاد واسمه عجمي أصله في لغة الفرس باكزهر أي منظف السم من الجسد وخواصه النفع من ذوات بأجمعها وهو يخرج السم بالعرق ويخلص من الموت .. الخ . وقد اعتبر في القرون الماضية كأعظم الادوية وذلك خرافة لم يثبتها العلم .

كل سنة ثلاثين ألف خندكاري من السكر . والفلاحين الذيـــن يفلحون كلهم عبيد سود ويشتغلون في عمل السكر .

ومنها سرنا الى البلدة المذكورة بعد ثلاثة أيام فوصلنــــا اليها . وهذه البلدة كان يسكنها ملك الهنود المسمى وازاواليا انيكا أخو الملك واسارينكا المذكور فلما وصلنا قريبا من البـلد وسمع الرهبان اليسوعية خرجوا أمامي وأخذوني الى ديرهم بالترحيب . وهذا الدير كان قديما قصر الملك المذكور ووســع هذا الدير مع بستانه قدر نصف بلد . ودير الراهبات أيضـا هو داخل القصر . ووجدنا هناك من الحجارة المنحوتة من الهنود القدماء بغير آلة الحجارين الحديدية . وهي مشغولة بغايـــة الرستاق(٧٩) .

وسكان هذه البلدة يومئذ أربعة آلاف بيت ســـبنيوليين وثلاثة آلاف بيت هنود ولهم أسقف رجل صالح مع بقية طوائف رهبان ومدارس لاجل أولاد السبنيولية ومدرسة أخرى بناهـــا اليسوعية لاجل أولاد الهنود . ومن قبل ان اجوز في هذه البـلد بمقدار ميل كان خرج لاستقبالي قسيسان من طرف الاســقف وحاكم البلد مع اليسوعية المذكورين وأخذوني الى البـــلد بمقدار ميل والاسقف كان قاصدا اني انزل في داره لكـــن اليسوعية ما تركوني بل انزلوني عندهم . وقصد حاكم البـلد ان ينزلني في داره لكني أبيت من الاسقف ومن الحاكم الذي كان صاحبي وجئنا من اسبانيا رفقة . وهذا الحاكم لما وصلنا الى ليما تجوز (تزوج) من بنت أعطته نقدا ماية وخمسين ألف غرش كعادة بلاد النصارى ان البنت تعطي نقدا للرجل حسب حالهـا والاشراف كشرفهم . وفي اليوم الثاني جاء أسقف البلد زارني وجاء أيضا باقي الاشراف ورؤساء الديورة . ومن بعد أربعـة أيام خرجت أنا واثنان من الرهبان اليسوعية في عربـــاني(٨٠) وأوفيت زيارتهم .

٢٩ـ وصف ابانكاي :

ثم طلبوا مني أن اقدس في الكنيســـة الكبيرة في حضرة الاسقف والقسوس والاعيان وباقي العوام فقدست لهم قداس باللسان السرياني الشرقي . وأيضا أهل الديورة والكنائس بقوا يجيئون يأخذوني حتى اقدس عندهم وكان عندي شماســـان يخدمان قداسي وكنت عندهم بعز وكرامة وكانوا يهدوني هدايا من ديورة الراهبات ومن غير أماكن وارسل لي ديوان القسوس الذي للكنيسة الكبيرة هدية لائقة وأرسل لي أيضا أسقف البلد هدية بذلك المقدار وكان بعض أصحاب أعطاني عرباني لاخرج الى خارج البلد واتفرج على عمائر الهنود القدماء . فمن جملة مـا نظرت قبور الهنود الذين في زمان كفرهم كانوا يدفنون ميتهـم على وجه الارض ويعمرون فوقه قبرا مرتفعا جدا بعلو ذراعين وعرضه ذراع ونصف وطوله ثلاثة أذرع وهذه القبور منفردة عن بعضها كل واحد على جانب .

وفي تلك الايام صار زلزلة عظيمة خارج البلد على نحـو فرسخين وكان هناك جبل منصوب على نهر جار فسقط الجبل من تلك الزلزلة في وسط النهر وسد جريان الماء فطاف ماء النهر على الارض وأهلك مزارع ثلاث قرى وفي سقطة الجبل في ذلك الحين وتلك الساعة صارت أيضا زلزلة في بلدة ليما وخـرج الناس من البلدة لخوفهم لانه سقطت منازل كثيرة مع بعضهـا كنائس .

وفي ذلك الحين جرى أمر من ملك اسبانية في عزل الوزيـر صاحبي المذكور وأنا بقيت خمسة أشهر في هذه البلد الكوسكو المذكورة وكان ذلك بسبب عرض الشتاء وزادت الانهر العديمـة المجـــاز .

٣٠ـ هنود بوقرتنبو (Paucartambo)

ثم بعد هذا الزمان المذكور خرجت من تلك البلدة متوجها الى بلدة تسمى بوقرتنبو وبعد سفر ستة أيام وصلنا اليهـــا وفي الستة الايام المذكورة كنت أنام كل ليلة في ضيعة وعنـد دخولي الى هذه البلدة خرج بعض أناس مع رهبان مار عبدالاحد وحاكم البلد للاقاتي . فأخذوني الى داخل البلد بالترحيـب فنزلت في بيت الحاكم لانه كان خادم الوزير صاحبي . وهـذه البلدة هي ستر يعني حدا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية والهنود يأخذون الرجال والنساء والاطفال الى أرضهـم ويستعبدونهم ولما يكون عندهم عيد أم عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية ويشوونه ويأكلونه . وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش اذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر يسمى ذلك الحشيش كوكا (Coca) (٨١) . وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى درر مصر (الذرة)(٨٢) ويجعلون من هذه الدرر بوزه ويشربونها فتسكرهم كالعرق . وهؤلاء الهنود كثيرو العد شـديدو القوة وما يقدر السبنيولية ان يقاوموهم لانهـم ساكنون في جبال شـامخة وعليهم أمير مدبر وهو الذي يحكم عليهم .

٣١ـ معادن اللفضة :

ثم بعد ثلاثة أيام خرجت من هذه البلدة متوجها الى معدن الفضة المسمى قندونوما (Condonoma) وبعد يومين وصلنـــا اليه . فمن زيادة البرد وشدة الزمهرير ما قدرت أمكث هنـاك غير ثلاثة أيام وبعد ذلك رحت الى معدن آخر يسمى قليوما وهو درب يوم عند جانب قرية صغيرة يخرجون هناك الفضة . وفيها تفرجنا على اخراج الفضة وكيف يطحنون الحجارة مثل التراب ويجعلونها في الماء كالطين وبعد ذلك يمزجون فيه الزيبق وطول النهار يحركونه مقدار عشرة أيام أو اثني عشر يوما والزيبـق يجمع الفضة ويلتصق بها . ومن بعد الايام المذكورة يغسلونه في حوض مجلد بجلود البقر والماء يأخذ التراب ويوديه . والفضة ترسخ (ترسب) الى أسفل . هذه الصنعة تفرجت عليها عيانا

ومن هناك خرجت الى قرية تسمى لانبـــا (Lampa) وبعد يومين وصلت اليها ونظرت هناك الهنود يعمرون كنيســـة جديدة وقسيسهم اسبنيولي له عندهم مقدار ثلاثين سنة . وهذا القسيس غني جدا فخرج (صرف) على عمارة تلك الكنيســة

---

(٧٩) الرستاق أو الرزداق السطر من النخل والصف مـن الناس معرب راست التي معناها الخط القويم بالفارسية وتأتي في اللغة العامية بمعنى ترتيب ونظام .

(٨٠) أو عربة كلمة فارسية بمعنى مركبة .

(٨١) الكوكا حشيشة لها خاصة معروفة لتقوية أعضال الجسم وقد اشتهر الان استعمالها في العقاقير . قال أحد الرحالة المعاصرين لكاتبنا : ان الوطني في ضواحي كوسكو يمتنع عن الطعام ولا يمتنع عن مضغ حشيشة الكوكا فانه يجد فيها طعاما وشرابا ودواء .

(٨٢) درر ولعلها ذرة مصر اسم للذرة على لسان العوام حتى في أيامنا ولعل ذلك لاشتهار الذرة المصرية .

مايتي الف غرش . ومكثت تلك الليلة هناك وثاني يوم رحت الى معدن آخر يسمى بونو .

٣٢ـ مقتل احد المتمولين ظلما :

وصاحب المعدن بونو رجل غني اسمه دون خوسيف سلسيدو يعني يوسف من مدينة سيويليا وكان يعطي عشور الفضة الى الملك مليونين وسبعماية الف غرش وذكروا لنا ان هذا الرجل كان يخرج من هذا المعدن كل يوم ستة الاف غرش . فحسده بعض أعدائه وأقاموا عليه بهتانا وشهدوا زورا قائلين ان هذا قد اتفق مع اناس بيض ويريد يصير حاكما في هذه البلدة فكتبوا الى الوزير عن ذلك . فقام الوزير وجاء اليه الى جبل يسمى معادن بونا حيث كان سكن هذا الرجل المذكور ومسكه وأخذه معه الى بلد ليما وشنق من أصحاب هذا الرجل بعض اناس وضبط أموالهم كما ضبط هذا المعدن للملك وضبط أيضا المعدن للملك وضبط أيضا الحجارة التي كانوا طالعوها من المعدن ليخرجوا فضتها وكان وزنها عشرة آلاف قنطار . وحبسه الوزير في السجن والزموا عليه القتل فطلب من الوزير قائلا : اعرضوا امري الى اسبانية للملك فان أمر بقتلي فاقتلوني وان أمر باعتاقي فاعتقوني وأنا أفي جميع ما قريت فيه وها أنا في حبسكم مضبوط . فلم يسمع الوزير والديوان لاقواله بل سجلوا عليه القتل من طمعهم وكانت الضيع والبلاد من الفقراء والرهبان والراهبات والايتام والارامل يستغيثون لله لاجل خلاصه لانه كان في كل عام يفرق من الحسنة ثمانين ألف غرش وأمر الوزير القاسي القلب بخنقه نصف الليل وبعد قتله أرسلوا معلمين ليذوبوا تلك الحجارة ويطالعوا منها الفضة فلما القوها في النار ظهرت اشارة الله وتحولت تلك الفضة الى رماد وصار ذلك عظيما للناظرين والسامعين . وأما المعدن الذي كان يخرج منه حجارة الفضة فطاف بالماء وغرق وعدموه . وصارت هذه اعجوبة ثانية . واما الوزير الذي قتله ظلما فبعد خمسة عشر يوما بينما هو داخل الى مخدعه تراءى له ذلك المقتول ظلما كانه واقف على الباب فلما نظره اعتراه الخوف والرجفة ودخل مرتعدا من ذلك المنظر فسألته امرأته السبب فحكى لها ما نظر ثم وقع في الفراش مريضا وبعد ستة أيام مات وصارت هذه أيضا اعجوبة ثالثة أمام الحاضرين والسامعين . والقاضي الذي سجل قتله انشلت بعد أيام قليلة يداه ورجلاه . وهذه صارت عجيبة رابعة . لان هذا الرجل المقتول كان ذا خيرات وانعام مثلما سبقنا في القول وخيراته لا توصف وكان أبا للايتام والارامل وشفوقا على الفقراء والمساكين ومفتقدا الديورة بكل الصدقات والنذورة وكان ينقد البنات الفقيرات ويزوجهن ولم يزل طول عمره في عمل الخيرات حتى انه في جمعة الآلام أرسل مع أخيه الى بلد الكوسكو سبعين ألف غرش ليقسمها على الكنائس والفقراء .

ولما كان هذا الرجل في الحياة قبلما يقتل بمدة قليلة أقبل رجل فقير ذو عيال كان قد رافقه في المركب لما جاء من اسبانية فعرفه عن اقنومه وعرض عليه حال فقره وكثرة عياله . فلما علم ان هذا كان رفيقه تحنن عليه وزعق (دعا) وكيل ماله وأعطاه مفاتيح الخزنة وقال له : خذ هذا الفقير الى الخزينة واتركه يأخذ قدر ما يريد من بارات الفضة فلما حصل ذلك المسكين في الخزينة اخذ اثني عشر بارة(٨٣) وكل بارة تسوى الف وثلاثماية غرش وأخرجها خارج المخزن وراح يستكثر بخير ذلك الغني فسأل الغني وكيل ماله قائلا : كم بارة فضة أخذ هذا الفقير . فقال له : اثنتي عشرة . فرجع وقال للفقير : يامسكين لماذا لم تأخذ أزيد من هذا العدد . ثم انه استكثر بخيره وانصرف . وله على هذا المثال عمل خيرات زائدة الوصف . وكان له أخ مختف فلما جاء وزير آخر ليحكم في ذلك البلد عرض على الملك امر الرجل المقتول ظلما . فصعب ذلك على الملك والديوان لانه كان له نجم سعيد ينفع الفقراء والمساكين وخزينة الملك . فخرج أمر من الملك بالانعام على أخيه المختفي وان يعطيه الوزير خمسين الف غرش من خزينة الملك وأمره ان يرجع يفتح معدن أخيه .

فأما أنا ما لحقت ذلك المقتول في أيام حياته لكن تصاحبت مع أخيه الذي يسمى دون كسپار دوسلسيدو . وهذا كان يجاهد مع مائة نفر ليفرغوا الماء من المعدن . وقال لي ذات يوم : يا صاحب لماذا تروح الى اسبانية بالعجل أصبر هذه السنة حتى ننظف المعدن واجهزك من الفضة بالذي يقسم الله . لكن انا ما قدرت بسبب الوزير صاحبي المعزول الذي كان راجعا الى اسبانية وهذا صار السبب المانع .

٣٣ـ سبك الفضة :

أما نحن فبعد ان خرجنا من هذا المعدن قصدنا بلدة تسمى جكويت (Chuchuito) وكان الحاكم هناك ابن اخي كاتب الملك وكان رافقنا من اسبانية وهو يسمى دون اندريس ده برناجيا من بلاد بسكايا . ومن بعد أربعة أيام وصلنا الى البلدة وفيها للملك بيت لسبك الفضة ومعلمون ووكلاء من جانبه لجمع الفضة التي تخرج من المعادن المحيطة بهذه البلدة فهم يأتون بالفضة ويذيبونها ويسكبونها ويعملونها بارات ويدمغونها بختم الملك . وان حمل احد حمل فضة رملية ما دخلت الى بيت المسبك تضبط وتودع في بيت الملك .

٣٤ـ سكان البلاد الأقدمون :

وعن جانب هذه البلدة يوجد بحيرة استدارتها ستون فرسخا(٨٤) وذكروا لنا ان الهنود القوا في هذه البحيرة جنزيرا من الذهب كان يخص الملك انيكا المذكور لما قتله السبنيولية وذلك الجنزير كان يحمله أربعة آلاف رجل . وعندما كان يعمل الملك لعبا كانوا يمدون هذا الجنزير على الارض فيحيط بالبلد فكان يدخل الاكابر ويلعبون ومن يقع منهم على الجنزير أو خارجا عنه كانوا يضحكون عليه . والان لا يعلم السبنيولية في أي جانب من البحيرة القوه .

ولم يكن لهؤلاء الهنود في ذلك الزمان دنانير لكن كانوا يتعاملون ويبدلون شيئا بشيء . وكان في هذه البحيرة جزيرة كبرها فرسخان يسكنها هنود كفرة يعبدون جبلا منصوبا امامهم يسمى الجبل الاحمر وما كان يقدر احد يجوز اليهم لان عندهم آلة الحرب كرماح وسهام ومقاليع . وكانوا يخرجون الى البر السالك ويأسرون السبنيولية ويأخذون البغال الذكورة ليذبحوها ويأكلوها . فأمر هذا الوزير المذكور صاحبي أن يجتمع حكام القرى الذين في تلك النواحي . فاجتمعوا مقدار أربعة آلاف نفس وعملوا أربعين كلكا وجعلوا فيهم أكياسا مملوءة ترابا وأيضا بعض أفراس ثم أخذوا في أيديهم الاسلحة وجازوا في البحيرة

---

(٨٣) بارة كلمة فارسية بمعنى القطع ثم جاءت بمعنى الهدية لعله أراد البدرة من المال .

(٨٤) تسمى هذه البحيرة تيتيكاكا (Titicaca)

على الكلك فلما اقتربوا من الارض وقف هنود الجزيرة مقابلهم للحرب وكانوا يرشقونهم بالسهام والجنود السبنيولية يضربونهم بالرصاص والقوا أكياس التراب على ساحل الجزيرة لتقدر الخيل تخرج الى البر لان هناك وحلا شديدا . فلما وصلوا الى الارض ركبوا خيلهم وركب أيضا الفرسان واجتمعوا على الهنود وكسروهم وقتلوا منهم كثيرا واستأسروا الباقي وعددهم ثلاثمائة هندي غير النساء والاطفال وقد مات في الحرب منهم ستمائة نفس . ثم اخرجوهم من تلك الجزيرة وأتوا بهم الى بلد الكوسكو فطلب الوزير من أسقف البلد ان يلقنوا هؤلاء الهنود ويعلموهم قواعد ايمان المسيح ويعمدوهم ويقسموهم على البلاد . اما أنا فبقيت في هذا البلد ثمانية أيام .

٣٥ـ اطلاق سبيل بعض المسجونين ـ معدن مرمر :

ثم خرجت قاصدا قرية تبعد يومين تسمى كوماتا فيها دير لرهبان مار اغسطينوس وفيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء تسمى كوباكاوانا تعمل معجزات عظيمة يأتون اليها من كل جانب ليزوروها . فرحت تباركت من تلك الملكة الجليلة وزرتها . ومن هناك خرجت قاصدا قرية تسمى بارنيكيلاوكان فتبعني أربعة لصوص ليسرقوا خيلي وبغالي فاعمت هذه العذراء بصائرهم فما قدرهم الله على قصدهم . وكان حاكم تلك القرية صديقي اسمه دون ايليا باسمي فخرج لاستقبالي مع بعض قسوس وعوام واخذوني الى بيته . فثاني يوم جاء قسيس الهنود عندي وحكي لي قائلا : ان في حبس هذا الحاكم سبعة رجال هنود محبوسين على شيء قليل . فقمت نزلت الى الحبس وفي يدي ورقة كتبت عليها اساميهم وناديت الحباس ان يفتح الباب ففتحه وناديتهم واحدا واحدا الى خارج الحبس وأعتقتهم . وفيما بعد سمع الحاكم بما صار فقال لي : يكون فدى راسك وشرفتنا بقدومك .

وقرب هذه القرية بنصف فرسخ جبل عال به معدن حجر مرمر كالبلور فقصد هذا الحاكم أن يعمل من هذا المرمر عمارة حمام كمثل قبة صغيرة مركبة من هذه الحجارة يجعلونها في صناديق ويرسلونها الى ملك اسبانية لكنه توفي قبل ما يكمل عمله .

٣٦ـ المال المجموع ظلما :

وبعد ثمانية أيام خرجت من هذه البلدة المذكورة قاصدا بلدا يسمى سيكاسيك (Sicasica) وفي ذلك الصقع كان يحكم احد غلمان الوزير صاحبي وكنت دينته الفي غرش في بلد ليما . فخرج لاستقبالي وكان في جانب الدرب بحيرة قدرها نصف فرسخ وبقينا نتصيد منها بعض أجناس الطيور الى بعد العصر . ثم اننا دخلنا الى البلدة المذكورة بغاية الاكرام ونزلنا في دار الحاكم وجاء جميع الكهنة والعوام لزيارتي . وسكان هذه البلدة هنود واسبنيولية . وذكروا لنا عن قسيس كان في تلك البلدة وكان قد مات منذ أربع سنين . فهذا القسيس كان خوريا متفردا في معبد تلك البلدة مدة اثنتين وعشرين سنة وكان قد جمع له أموالا كثيرة من الظلم . فقبل مماته اعترف الى الكاهن وعمل وصيته قائلا انه طمر تحت فرشته خابيتين مملوءتين الواحدة فضة والاخرى ذهبا . وأيضا عمل وصيته على يد القاضي ان هذا المال يكون ميراثا لاخيه واخته . وأنا كنت أعرف أخاه وهو قسيس يسمى دون خوزيف يعني يوسف واخته تسمى دونيا اينيس . فبعد ان مات اخرجوه من البيت وسكروا الباب وختموه . فبعدما دفنوه اتى أصحاب الشرع والحكام ليخرجوا المال المذكور . فلما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دما لا يوجد فيهما ولا دينار واحد . فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة لان عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلما . فلما علم بذلك مطران البلد أرسل يوصيهم ان يستروا ويخفوا هذا المثل الردي . لكن صار له اهتمام عظيم عند الناس .

٣٧ـ السفر الى اورورو وبوتوسي :

وأنا بعد ثمانية أيام خرجت متوجها الى بلدة تسمى اورورو (Oruro) وسافرنا في طريق عسر بتعب زائد . ومن بعد خمسة أيام وصلنا الى البلد وخرج لاستقبالنا الرهبان اليسوعية وانزلونا عندهم . كان حاكم البلد يسمى دون الونصو ديل كورال وهو رجل خسيس ما كان يأكل الا كروش البقر . وخارجا عن هذه البلاد ثلاثة فراسخ يوجد معدن فضة غني جدا لان هذه الفضة يستخرجونها من غير زيبق وذلك هو ضد القانون في جميع المعادن ولا يوجد أصلح من هذه الفضة . ثم اني رحت الى المعدن المذكور واشتريت من الفضة الرملية مقدار خمسمائة غرش . وبعد ثمانية أيام سافرت قاصدا بلد بوتوسي (Potosi) وبتنا أول مرحلة في قرية هنود وكان عندي أمر ان يعطوني بغالا من قرية الى قرية وكنت أغرم الكروة مثلما يغرم الملك فناديت شيخ الهنود ان يحضر لي دواب وناولته الكراء بشرط ان يحضر لي الدواب بعد نصف الليل بساعة وحان الوقت واشرق الصبح وطلع النهار وما احضر الدواب لنرحل . فأرسلت افتش عليه فأتوني به سكران فكنت اكلمه باللسان السبنيولي وهو يجاوبني باللسان الهندي . فامرت ان يشدوه بعمود البيت ويجلدوه . فمن أول ضربة السياط طلب أن يتركوه وتكلم بالسبنيولي قائلا : ان الدواب مربوطة عنده في الدار . فسألته لماذا ما تكلم في السبنيولي الى وقت ماذاق السياط . فقال لي : نحن معشر الهنود لا نطاوع السبنيولية ان لم يضربونا .

ثم رحت من هناك ووصلت الى مكان يخرج منه ماء سخن ورائحة ماء الكبريت ويأتي بعض المرضى من اماكن مختلفة ليغتسلوا فيه . وبعد اغتسالهم يشفون من دائهم . واسم هذا المكان طاراپايا . ومن بعد ستة أيام وصلنا الى بلدة برتوسي المذكورة فجاء الحاكم خارجا عن البلد نحو ميل مع عشرة رجال من جماعته واستقبلني بغاية الاكرام . وهذا الحاكم هو من أقرباء امراة الوزير اوصاه بي في مكاتيبه . فنزلت في دير اليسوعية وجاء بعض اناس زاروني وأنا أيضا رحت زرتهم .

٣٨ـ زيارة السكتخانة ومعدن الفضة :

ثم في ذات يوم رحت الى البيت الذي يضربون فيه سكة الدنانير من غروش وانصاف وارباع . وفي هذا البيت السكتخانة أربعون عبدا يشتغلون واثنا عشر رجلا اسبنيوليا فرأينا الغروش مكومة مثل التل في جانب والانصاف في جانب وانصاف الارباع في جانب مكومة على الارض ويدوسونها بارجلهم مثل ما يدوسون التراب الذي لا قيمة له .

وعن جانب هذه البلدة يوجد جبل المعدن وهذا الجبل معروف في كل الدنيا لزيادة غناه لان قد أخرجوا منه أموالا لا يحصى عددها منذ مائة واربعين عاما من اربعة اطرافه وقد

احاطوه وحفروه وانحدروا الى اسفله ليخرجوا الفضة وقد جعلوا لهذا الجبل عواميد من خشب سندا من كل جانب لئلا يسقط الجبل لانه من خارج يبان صحيحا لكنه فارغ من داخل . ويشتغل في باطنه في قطع الحجارة مقدار سبعمائة هندي لاناس اشتروا لهم حصة من الملك لان لكل معدنجي بعض هنود معينين ليشتغلوا في معدنه وفي أمر الملك مرسوم ان يعطوا من كل قرى الهنود رجالا لقطع المعادن والقانون هو من كل خمسة رجال يطلع واحد للشغل المذكور واذا لم يرض حكام القرى ارسالهم فالوزير يجرمهم ويعزلهم . ولما يجيء هؤلاء الهنود الى بلد بوتوسي يقسمهم الحاكم على المعادن .

٣٩ــ وصف استخراج الفضة :

وفي هذه البلدة سبعة وثلاثون طاحونا يطحنون فيها حجارة الفضة ليلا ونهارا ما عدا أيام الاحاد والاعياد وبعدما يطحنون الحجارة ناعما ياخذون ذلك التراب المطحون مقدار خمسين قنطارا ويجعلونه كومة ثم يجبلونه بالماء مثل ما ذكرنا سابقا ويضيفون اليه الزيبق قدر الحاجة ثم يجبلونه ويحركونه بالمجارف عدة مرات وان طلب زيبقا ازيد فيطعمونه حتى يكمل . فان كانت طبيعته باردة فيخلطون فيه نحاسا حتى يسخن وان كانت طبيعته سخنة فيضيفون اليه الرصاص حتى يبرد . والواسطة التي بها يفرقون هل هو سخن أم بارد هو انهم ياخذون منه في شقف فخار ويغسلونه بالماء حتى يروح الطين فتبقى الفضة والزيبق فيملسه (يدلكه) باصبعه على شقف الفخار المذكور فاذا تفرفط (تفرط) فهو سخن واذا انطلس (اصق) فهو بارد واذا كان مطبوخا ومعتدلا كاملا فيجيء ممتدا على الفخار ومبرقا . ثم يجعلونه في حوض ماء والماء جار عليه يحركونه بالماء بصنعة . فالفضة مع الزيبق يرسخان الى أسفل والتراب يأخذه الماء الى خارج . فلما يكملون غسل تلك الجبلة كلها يسدون ويقطعون الماء الفائض عليه وينظفون الحوض من الماء ويستخرجون تلك الفضة والزيبق الراكنين جميعا ثم يجعلونه في اكياس من جنفاص يعلقونها وتحت هذه الاكياس صناديق مجلدة من جلود البقر فيهرب الزيبق من الاكياس ويقع في تلك الصناديق الجلدة وتبقى الفضة خالصة فقط في الاكياس مثل قوالب رؤوس السكر . وجميع هذه البضايع اللازمة لعمل استخراج الفضة تدور دواليبها بالماء مثل الطواحين وغيرها .

وانا كان لي رجل صديق صاحب معدن فحكى لي عن والده قائلا انه كان لوالده معدن في هذا الجبل لكن كان قليل الفضة فامر الفعلة الهنود ان يردموه ويسدوه بتلك الحجارة التي اخرجوها منه . ففعلوا كما أمرهم وسدوه وبداوا يشتغلون في غير جانب . فمن بعد سبع وثلاثين سنة راح صاحبي هذا المذكور وفتح ذلك المعدن فوجد تلك الحجارة التي كانت غير نافعة قد تحولت وتبدلت في تلك الايام واستوت كالثمرة فاخرجوها واخذوا فضتها فاعطت كل واحد ثلاثين لان اقليم هذا الجبل الفضة مسلط عليه نجم يسمى عطارد وهذا النجم يطبخ الفضة(٨٥) .

ورايت في هذه البلدة اربعة رجال اغنياء جدا هؤلاء هم الذين يشغلون السكتخانه اقطع الدنانير وكل جمعة يشغل أحدهم الكرخانة ويقطع في الجمعة مائتي الف غرش وأزيد لانهم يشترون الفضة من اصحاب المعادن ويقطعونها غروشا وهم يشترون الفضة الوزنة التي هي مابة مثقال باثني عشر غرشا ونصف فلما يسكونها تصير ستة عشر غرشا ويعطون كل سنة من هذه المعادن عشورا للملك مليونين ونصف . وخارج هذا البلدة بحيرة ماء ذكروا ان في بعض السنين طافت على البلدة وهدمت بيوتا كثيرة لكن الناس سلموا . وأنا بقيت في هذه البلدة خمسة وأربعين يوما .

(٨٥) هذا من الخرافات القديمة .

٤٠ــ السفر الى جوكيساكا (Chuquisaca)

وخرجت من هناك متوجها الى بلدة تسمى جوكز . وفي اللسان الهندي تسمى جوكيساكا(٨٦) . فاول يوم وصلنا الى مكان فيه حمامات ماء سخن خلقة يخرج من الارض يسميه السبنيولية لوس بانيوس كالينتوس (los Bagnes Calientes) فبت هناك تلك الليلة . وثاني يوم وصلت الى البلدة المذكورة فخرج اليسوعية خارج البلد لاستقبالي واخذوني الى ديرهم . وفي هذه البلدة يوجد ديوان الملك ومدبر البلاد . لانهم تحت يد وزير ليما . وفيها مطران له معبور في كل سنة مابة وعشرين ألف غرش وهذا كان سابقا أسقفا على بلدة اكوماناكا المذكورة وكان قد أهدانا هدية في اسقفيته وبعد ذلك انعم الملك عليه وأعطاه هذه المطرانية . فثاني يوم رحت قابلته فاكرمني اكراما زايدا . وأما رئيس ديوان البلد فهو رجل كاهن وكان صاحبي فاكرمني أيضا بواسطة الوزير صاحبي لانه كان صديقه وكان يسمى دون برتلماوس ده باويدا . فارسل من قبله رجلا ليزورني . وجاء أيضا من جانب المطران قسيسان زاراني وبعد ثمانية أيام طلع برفقتي راهبان من دير اليسوعية فزرت الذين زاروني من القسوس والرهبان والعوام .

وبعد اثني عشر يوما طلب مني المطران ان اقدس في الكنيسة الكبيرة يوم عيد الرسل وكان عندي آلة القداس يعني البدلة وغير اشياء كان أنعم علي بها البابا اكليمنضوس التاسع ومن بعد ذلك عزمني رئيس ديوان الملك لاقدس في كنيسة الديوان التي هي في سراينه وأهداني هدية أزيد من هدية المطران . ومن بعد ذلك كان رؤساء الديورة يدعوني ان اقدس في كنائسهم وفي ديورة الراهبات . وكان لي هناك رجل صديق من أهل الديوان يسمى دون خوان كونصالس وهذا رافقني من اسبانية . ففي ذلك الوقت جاء أمر من الملك الى هذا الرجل المبارك ان يروح الى ليما وياخذ محاسبة من الوزير المعزول الذي هو صاحبي .

وكان لاحد الرهبان اليسوعية اخت مريضة فطلب مني أن أروح أزورها وأن كنت أعلم بشيء من أحوال الطب فاحكمها . فرحت زرتها وعالجتها ببعض أجزاء مناسبة لعلتها وسقيتها درهما من رماد العقاريق(٨٧) فبقدرة الله تعالى تعافت . وكانت أيضا راهبة أخرى في الدير مريضة فارسل الي المطران دستورا حتى اعبر اعالجها لان بغير اجازة لا يقدر أن أن يجتاز باب الدير فدخلت الدير وعالجت الراهبة فبحكمة الله وعنايته طابت وتعافت . فصار غوشة (حركة) عظيمة في البلد . وكانوا يريدون ان اسكن عندهم في البلد فارادوا أن يعطوني علوفة خمسمائة غرش في السنة فقلت لهم ليس هذا ممكنا .

(٨٦) وتسمى الان لاباز (La Paz)

(٨٧) العقاريق جمع عقروق لفظة سريانية معناها الضفادع .

٤١ـ وصف توكومان Tucuman وبونس ايرس Buenos Aires

وكان في الدير راهب يسوعي وكيل متصرف على بلاد تسمى توكمان(٨٨) ولهم هناك ديورة . واسقف تلك البلد كان صاحبي ورفيقي من اسبانية فطلب مني الراهب ان أروح الى تلك البلاد وهي بعيدة خمسمائة فرسخ عن بلد جوكز . ويروح في هذا الدرب كلكات البر وينصبون لهم اقلاع فالريح يوديهم . ووعدني ان طاوعته ورحت معه وجبرت في خاطره يعطيني ألف بغل . لان المواشي في تلك البلاد شيء كثير وعديمة القيمة في الجبال وهي وحشية . لكن امتنعت عن الرواح معه بسبب طول المسافة . وايضا في تلك الجبال يوجد هنود كفرة ولخوفي منهم قصرت عن الرواح . وهذا الاقليم واسع جدا . وهو أكبر من الثلاثة الاقاليم الاخر غني بمعادن الفضة والذهب والجواهر . لكن سكانه قليلون وفيه ناحية تسمى سانتافه (Santa Fe) ومن هناك يخرج الزمرد . وهذه الاسقفية لها أرض خمسمائة فرسخ . وعن جانب هذه البلدة يوجد كورة وهي اسكلة بوناس ايرس (Buenos Aires) وهذه البلدة هي على البحر المحيط قريبة من بلاد البرازيل التي من حكم البورتكيز . وفي هذه البلدة بوناس ايرس المذكورة يزرعون حشيشا يسمى ايربا ديال بايل كواي وجميع المتولدين في تلك البلاد يشربون من ذلك الحشيش المذكور مغليا مع سكر بماء سخن . فاذا شرب الانسان منهم فنجانا واحدا ينفعه واذا أراد أن يتقيأ يشرب منه أكثر فيدلق جميع ماعنده من العفونات . وهذا سالك بين جميع الناس في تلك البلاد كمثل القهوة في بلادنا .

وعن يمين هذه البلدة جوكز المذكورة يوجد بلد يسمى ميسكي (Misque) ويسكنها هنود مع اسبنيول وفيها حاكم واسقف . ومنها ينحدرون سائرين في البحر مقدار خمسماية فرسخ ثم يصلون الى ارض تسمى جبله وجلويه وولدبويه . وفي هذه البلدة جبلة أسقف وديوان الملك وحاكم يسمى جنيرال وهم دائما في حرب مع الهنود والكفرة لان هؤلاء الهنود من قبل ماكانوا يعلمون أحوال الحرب لكن بعدما تعاشروا مع السبنيولية تعلموا مثلهم . وما كان لهم اولا خيل ولا كانوا يعرفون ركوبها . فالان صاروا يركبون الخيل برماح شبه العرب ويتحاربون مع السبنيولية دائما واذا مسكوا احدا منهم يشوونه وياكلون لحمه وأما الرأس فيطلعون جمجمته ويعملونها طاسة ويشربون بها نبيذا من نبيذ بلادهم وهؤلاء عصاة وشديدون وقساة القلب وهم مضادون السبنيول وصية من آبائهم وأجدادهم الا البعض منهم كانوا هربوا من هذه البلاد من زمان الفتوح لما قتل ملوكهم وسكنوا في جبال عالية وعاصية .

فمن بعد خمسة واربعين يوما خرجت من هذه البلدة صحبة القاضي دون خوان المرقوم ليروح ياخذ المحاسبة من الوزير صاحبي المعزول من ليما ثم رجعت الى بوتوسي المذكورة . ولما كنت في بلد جوكز كان عندي صورة راس ووجه المسيح كنت قد جبتها (أحضرتها) معي من رومية فاهديتها الى راهب يسوعي . فلما وصلت الى بلد بوتوسي وفتحت الصندوق وجدتها عندي في الصندوق فبقيت متحيرا مع خدامي ورفقائي من هذه العجيبة فلما سمع رئيس دير رهبان المرسه التي تاويلها رهبنة مريم الموهبة طلب مني هذه الصورة فاهديته اياها على ظني انها ترجع ثاني مرة فما رجعت .

(٨٨) يريد مقاطعة توكومان وبونس ايرس التي كانت تدعى رسالة الباراغواي الشهيرة في تاريخ العالم الجديد .

٤٢ـ الوزير المعزول :

فالان نرجع نتكلم عن الوزير الذي في ليما صاحبي الذي عزلوه بغير ذنب وجاء امر من الملك الى المطران الذي في ليما ليحكم مكانه الى ان يجيء حاكم ام وزير آخر . وهذا الوزير المعزول كان سعى في هذا المطران حتى عمله مطران ليما . ولما انعزل صار المطران عدوا له كبيرا . وأما سبب عزل الوزير فهو ان تجار الهند كانوا كتبوا ضده الى الملك والى أخي الملك دون خوان اوستريا افتراء بغير حق .

فبعد وصول المعارض من الهند الى اسبانية حصلت في يد أخي الملك الذي كان عدوا كبيرا للوزير بسبب ان اخا الوزير كان من طرف الملكة فارسل عزله . وانا خرجت من بوتوسي صحبة ذلك الرجل الذي راح ليطلب المحاسبة من الوزير فوصلنا الى بلدة تسمى اوكيبا قريبة من البحر الازرق . وقبل دخولنا بليلة في نصف الليل تاهت البغال فنمنا تلك الليلة في شدة عظيمة لان كان معي حمل فضة رملية فشكرنا الله عند الصباح وجدناها لان في تلك الارض ما يوجد حراميه . وثاني يوم دخلنا الى البلدة المذكورة . فتلاقيت مع الاسقف المذكور الذي كان في باناما وانا حامل عكازته وخلصتني من الغريق في تابوكا . فترحب بي واستقبلني كاخ له بعز واكرام فهناك حكوا لي عن هندي له معدن قوي غني وما اكتشف عليه السبنيولية فكان يروح هو وابنه الى المعدن سرا في الليل ويقطعان حجارة الفضة ويأتيان بها الى داره ويصفيانها بالنار فلما حكوا لي انه أعطى حسنة قداس أربعين ألف غرش أرسلت وراءه ودعوته عندي وقلت له : اخبرني لاجل أي سبب لم تكشف هذا المعدن للملك حتى ينعم عليك وعلى أولاد أولادك من فرايض ومراتب الحكم في هذه البلدة . فاجابني قائلا : رأيت هنودا أقدم مني كشفوا حالهم للسبنيولية وماتوا أخيرا تحت العذابات . هو هو السبب فانا صدقت كلامه من جهة الظلم الذي نظرتهم يعملونه على الهنود . ومكثنا في تلك البلدة عشرة أيام الى وقت ما حصل لنا مركب .

ثم سافرنا في البحر ثمانية أيام حتى انتهينا الى ميناء ليما التي تسمى الكليا El-Callao وهي تبعد عن البلد فرسخين . والفضة الرملية التي كانت معي لو تكون بيد غيري لكانوا أخذوها للملك لكن ما أرادوا ان يفتحوا أحمالي . ثم دخلنا الى بلد ليما في عربانة صاحبي رئيس ديوان الايمان . وهذا رفيقي نزل في مكان آخر . واما المطران الموكل على الحكم صادد هذا القاضي الذي جاء ياخذ المحاسبة وحبسه في داره قائلا : أولا تنفي الوزير الى مكان بعيد مقدار مايتين فرسخ وبعد ذلك تسمع الشكاوات ودعاوى الناس فاحضروا الوزير وعرضوا عليه أمر النفي فطاع لان قوانين اسبانية لما يعزل حاكم ينفونه الى فرسخين لكن هذا الوزير عدوه دون خوان مثلما ذكرنا سابقا فامر بنفيه الى مايتين فرسخ . فطاع أمر الملك وخرج متوجها الى مكان النفي المرسوم الذي يسمى پايتا وهي أرض حامية يحضرون اليها ماء الشرب من بعد فرسخين وبقيت امرأته وخدامها خارج ليما فرسخين بسبب انهم كانوا قليلي العافية وانا طالعت في رفقة الوزير مع بعض أصحاب لنودعه الى ميناء الكليا . وهذا الرجل كانت امانته زائدة في العذراء فقال : ولو سقوني السم ما يضرني بقوة الاله ووالدته القديسة الطاهرة مريم . فخرج مركبه مسافرا ونحن رجعنا الى البلد .

فدخلت عند مطران البلد وتكلمت معه وقلت له : كيف يحل من الله ان تنفي هذا المسكين الى ذلك المكان البعيد وهو

رجل ضعيف لان الحكماء قالوا ان الذي يروح الى تلك البلاد السخنة يموت . فالسيد المسيح امرنا في افعال الرحمة اننا نفتقد المرضى ونزورهم ولا نطردهم وننفيهم الى مكان بعيد حيث خطر الموت . فاجابني قايلا : انا مغتاظ على امراته لانها شتمتني لاجل ذلك اردت انتقم منها في نفي زوجها الى ذلك المكان . وكان الوزير لما ودعته امرني ان أدير بالي على بيته وعلى امرأته لخوفه من الاعداء ان يسقوها سما وأنا بقيت سنة وشهرين مهتما بعائلته .

فارسل المطران الى القاضي ان لا يحاسب الرجل الى وقت ما يعطيه دستورا . فبقي في هذا الحال مقدار سبعة اشهر متعطلا . فمن بعد ذلك اعطاه دستورا وجعل الموعد ثلاثة اشهر . ففي جمعة الآلام عجل القاضي في انهاء هذه الدعوى وسجل الدفاتر وختمها وارسل لصق في حيطان الازقة اوراقا بان الوزير المعزول تقرر أن ليس عليه ذنب ولا اثبات بعلة من العلل بل خالص من جميع المصاريف والزلل . فلما سمع المطران حزن وخزق ثيابه من اله . حينئذ رجع الوزير من النفي الى بلدة ليما . فخرج لملاقاته من البلدة جميع الاعيان والاشراف ورافقوه الى القرية حيث كانت امرأته وصار فرح عظيم عند الاعيان وعند الهنود لسبب رجوعه سالما . ومنحه الله بعد رجوعه ولدا ذكرا سماه فردينندو ديلا كورا كونده كستيليا ومركيز دي ماراكون .

٤٣ـ صداقة السائح للمظلوم :

ولما كان الوزير منفيا أرسل المطران استدعاني وقال لي : لاي سبب أنت مرتبط وملتصق بهذا الرجل ؟ تعال الي واتركه وانا اسكنك عندي واساعدك في جميع مصالحك بكل ما تعتاز . فقلت له : كيف يمكن ان اترك صديقي القديم واعدم صحبته لاسيما مثل هذا الرجل الصالح وبالاكثر الان بسبب انه معزول والله اوصانا باعانة الضعفاء واقامة الساقطين لان الانسان الذي يكون ولد حلال ويعرف أصله وشرف جنسه لا يترك صديقه الاول عند عزلته بل يساعده ويسليه في كربه وضيقته . وانا واقف ايضا في خدمتك ومحبتك ومثل ما انا صديقه انا ايضا صديقك . فقال لي : اصنع ما تريد . فبعد مدة شهرين أرسل المطران يدعوني فعندما دخلت البلد رحت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له فقال لي : اذهب اليه وكلمه بكل ما في خاطرك . فرحت اليه وتكلمت معه فقال لي : لاي سبب ما تروح الى بلادك فقلت له : اذا أردت الرواح الى بلادي لا مانع يقدر يمنعني والان ما لي نية ان اسافر من هاهنا . فقال لي : ان امرك والرخصة الممنوحة لك لاربع سنين وها هي قد كملت . فقلت له : نعم هكذا هو لكن انا ما اريد اسافر وافترق عن الوزير وانت اصنع ما تشا وتريد . فقال لي : لاي سبب تحب هذا الرجل وتحامي له وانا ما تحبني مثله . فقلت له : نعم ان في بلادنا وعوائدنا يحامون عن الانسان الواقع ويساعدونه ونكمل وصايا الله الذي أوصانا قائلا حب قريبك كنفسك . فانا احب الوزير واحبك وأحب قريبي . ثم قام من كرسيه وجاء احتضنني قائلا : الله يبارك عليك لانك ابن ناس اشراف ودمك وافعالك تشهد عليك . فرجعت عند صاحبي رئيس ديوان الايمان وحكيت له ما جرى ففرح وفرحت ايضا امراة الوزير وقالت : الله تعالى يرحم والديك الذين خلفوك ويزيد أصلك .

٤٤ـ عودة الرحالة من البيروه الى باناما :

ثم اني في تلك الايام انسحبت الى قرية خارجا عن البلد بنصف فرسخ تسمى مادلينا لانه كان هناك بيت جميل وبستان لصاحبي رئيس ديوان الايمان فسكنت هناك خمسة اشهر وانا مستنظر مراكب اسبانية . وكنت ايضا في ذلك الزمان اكتب تواريخ سفري . فلما وصلت المراكب جاء معهم وزير جديد . وصار لي في هذه البلاد ست سنوات لسبب صاحبي الوزير المعزول لانه كان وعدني انه يقضي لي اشغالي عندما يرجع الحكم الى يده . فلما نظرت ان وزيرا جديدا قدم قطعت املي . فلما وصلت مراكب اسبانية الى بورتو بلو ورست هناك أمر مطران ليما الذي كان يومئذ متوليا وحاكما على تلك بلاد البيروه ان يحمل تجار ليما الخزنة على المراكب التي تخص الملك وينحدروا الى بورتو بلو ويحضروا الموسم لان قوانين تلك البلاد ان لما تصل الغلايين من اسبانية الى بورتو بلو وتنحدر المراكب الى باناما فينقلون الفضة من باناما الى بورتو بلو على مقدار الف بغل ولا يزالون ينقلونها مدة شهر . والبعد هو ثمانية عشر فرسخا . وفي نصف الدرب يوجد نهر صغير (Chagre) يقطعونه بشختورات يسمونها كتاوس (Chatas) موسوقة الى بورتو بلو ويصير الموسم حينئذ مدة أربعين يوما لا غير وينهون في هذا الزمان كل البيع والشراء .

فلنرجع الى قولنا . فخرجت مع الوزير المعزول وخرج كل الاشراف والاعيان ليودعوه وكان معنا تجار ذاهبين الى الموسم وصار ذلك اليوم عظيما بضرب المدافع والحراقات وذلك يوم الاحد في واحد وعشرين من شهر ايلول سنة ١٦٨١ فخرجنا من هذا الميناء المسمى الكلياو (El Callao) قاصدين ميناء باناما ومن الكلياو وصلنا في خمسة أيام الى ميناء يسمى ياباتاف (Amotape) واشترينا كل ما نعتاز اليه من الزوادة فهناك الدجاجة تسوى غرشا ونصف والغنمة تسوى خمسة غروش . ثم بعد يومين سافرنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مكان في البحر يسمى المورتوخاده (Amortajada) يعني المحنط لسبب ان هناك البحر قليل العمق وينحدر الماء ويسوق المراكب على انحراف . لكن الرب نجانا بواسطة والدته الشفيعة مريم العذراء لان صار علينا ضباب وهمدت الريح وكانت امواج البحر التي تسمى كورنته (Corriente) تزعجنا وتدفعنا للارض حتى تاملنا ونظرنا اننا صرنا قريبين للكهف(٨٩) . فطار عقلنا وقمنا عموما انتصبنا للصلاة والكاهن يبارك ويحل لاننا اشرفنا على الموت ونحن نتضرع بتخشع لله ولوالدته مريم العذراء . فبعد ان اكملنا الصلاة هبت ريح من قلب الجبل مثل منفاخ ودفعت مركبنا الى البحر فتخلصنا من ذلك الشر والخطر العظيم . والمراكب اللاحقة وراءنا من بعد لان الهواء كان هامدا والبحر جامدا لما راونا قادمين اليهم بالهواء تعجبوا جدا . ورافقتنا هذه الريح الى عصر اليوم الثاني فدخلنا الى ميناء يسمى سانتا الينا يعني قديسة هيلانة (S. Helena) حيث مكثنا احد عشر يوما ننتظر المركب القادم من بلد غواياكيل . وهذا المركب المدعو مركب الذهب كان محملا اثني عشر مليونا من فلما وصل الينا الجنيرال امرنا بالخروج من هذه الاسكلة فخرجنا قاصدين باناما فدخلنا اليها بالخير والسلامة بعد خروجنا من ليما باثنين واربعين يوما وهنا وجدنا مركبين فيهما جنود اسبنيولية جاءوا من بنكي دنيا ليفتشوا على قرصان البحر

(٨٩) نظنه أراد معنى الصخر لان كلمة الكهف وردت على لسان البغداديين بهذا المعنى نقلا عن السرياني والمعنى العربي معروف وهو المغارة أو البيت المنقور في الجبل .

يعني اللصوص الجلليه(٩٠) الذين في البحر القبلي . فاشار علي صاحبي الوزير المعزول ان اذهب الى ينكي دنيا لانه استحى مني بسبب انه ما قدر يعمل معي شيئا من الذي وعدني به واستعد ان يجهزني بكل ما اعتاز ويعطيني مكاتيب توصية الى وزير ينكي دنيا الذي كان من اقاربه

نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم ونؤرخ أخبار سفرتي الى بلاد ينكي دنيا(٩١) .

٤٥ـ السفر من باناما . جزيرة سليمان :

ففي شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٨١ مسيحية دخلنا في المركب الكبير الذي يسمى قبطانا وسافرنا ثلاثة فراسخ فوصلنا الى جزيرة تسمى تابوكا (Taboga) سابقة الذكر وهناك مكثنا ثلاثة أيام وملانا ماء وتسوقنا خضرا وفواكه وغيرها من المبردات . ثم سافرنا قاصدين ميناء يسمى ديااليخو (Realejo) فمن بعد خمسة ايام جزنا على جزيرة تسمى مونطوزا (Montuosa) وهي غير مسكونة وهناك سكنت علينا الريح وبقينا اثني عشر يوما لا يتحرك المركب . وكان ايضا بجانبنا جزيرة أخرى تسمى ايسزلاده لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) أعني جزيرة اللصوص فذكروا لنا ان مركبا سافر في هذا البحر الى ينكي دنيا فاصابته ريح مخالفة ورمته في جزيرة الرمل ثم سكنت الريح بعد يومين فجعل البحرية يعمرون بعض أشياء في مطبخ المركب كانت انهدمت من كثرة الرياح التي صادفتهم في البحر فطلعوا الى الجزيرة واحضروا منها رملا ليملأوا الحوض الذي يطبخون عليه ثم سافروا من تلك الجزيرة . وثاني يوم طبخ لهم الطباخ مثل العادة فاراد أن يحركش النار فرأى الرمل كالحجر فقلعه فاذا هو قرص ذهب فلما علموا أرادوا الرجوع الى الجزيرة فما استطاعوا لانهم لم يكونوا اكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس . وهذه الجزيرة كانت تسمى في كتب القدماء ايسلاده سلامون (Isla de Salomon) يعني جزيرة سليمان ويقولون بأن سليمان لما عمر البيت كان يحضر الذهب من هذه الجزيرة . والان السبنيولية ما لهم نشاط واتفاق وحرارة طبيعية حتى يفتشوا على هذه الجزيرة(٩٢) وبعد الزمان المذكور سهلت لنا الريح السفر فسافرنا وبعد ثلاثة أيام وصلنا الى ميناء يسمى كولفو دولسه (Golfo dulce) يعني الخليج الحلو لان هناك يجري نهر ماء حلو ويختلط في البحر فرسينا هناك وخرج البحرية ليملأ الماء وأنا خرجت معهم الى الارض لشدة الحر وابتدأت اغتسل في مياه النهر الباردة ليتطرى جسدي . وهذا النهر عمقه ذراع فقط ورأيت رمله مخلوطا بالذهب فأريته رئيس المركب الذي كان مولودا في تلك البلاد فقال لي : لا تعجب من ذلك لان في كل هذه الاراضي وهذه الانهر يوجد الذهب . لكن السبنيولية لا يتجراون على المجيء لاستخراجه لسبب الهنود الكفرة الساكنين في رؤوس الجبال لان في ذلك الصقع يوجد هنود بغير عدد . وفيما نحن راسون حدث علينا اضطراب عظيم في البحر ومن شدة الاضطراب انقطع حبل المرساة مرتين .

وبعد ان بقينا هناك ثلاثة أيام اقلعنا وسافرنا فوصلنا في ستة أيام الى ميناء اسمه كلديره (La Caldera) أي ميناء التنجره (الطاجن) فرسينا هناك . فقلت لعسكر المركب ان يحوشوا لي من البحر صفدا فاتوا بتسع صفدات ففتحتها واحدة واحدة لنأكل ما فيها ففتحت واحدة ورأيت داخلها حبة لولو قدر الحمصة . فقلت للجنرال : ايش هذه النذالة كيف يكون في هذا البحر لؤلؤ وما تستخرجونه . فقال لي : هذا أيضا لخوفنا من الهنود الكفرة . وبقينا في الميناء يوما وكانت الريح ضعيفة والسماء تمطر مطرا سخنا . وبعد خمسة أيام انتهينا قرب جبل يسمى باباكايو (Papagio) ولما وصلنا هاجت علينا ريح شديدة وانكسر صاري الركب ثلاث شقف فبقينا من القاطعين الرجاء وأيسنا من الخلاص لاجل الاضطراب الذي في البحر وهبطت قلوبنا من الخوف لكن بقدرة الباري تعالى هديء البحر وهمدت الريح .

٤٦ـ بلاد نيكاراغا :

وبعد ستة أيام وصلنا الى ميناء رياليخو (Realejo ، Rialexo) ونزلنا الى الارض فبقينا هناك يوما وليلة فكتب الجنرال الى اسقف مدينة ليون (Leon) التي تبعد عن هذا الميناء نحو تسعة فراسخ واعلمه بقدومي فلما سمع فرح فرحا عظيما لانه لما كنت في باريس كان تصاحب معي وكان له دعوى مع الرهبان في باريس وهو أيضا كان راهبا من طائفة المرسه (Merci) فحين كسب الدعوى وجاء الى مدريد انعم عليه ملك اسبانية بهذه الاسقفية . وثاني يوم خرجت قاصدا مدينة ليون ولما اقتربت رأيت الاسقف جاء لاستقبالي خارج البلد مقدار فرسخين فتلاقينا مع بعضنا ثم اخذني الى بيته وبقيت عنده ثمانية أيام . وهناك صادفت رجلا صاحبي كنت نظرته وتعارفت معه في ليما . فهذا الرجل المبارك أهداني بغلة جيدة والاسقف ايضا أهداني بغلة اكراما .

ومن بعد الثمانية الايام خرجنا من هناك الى ضيعة بعيدة فرسخين تسمى سلواجه ثم رحلنا منها فوصلنا الى ضيعة اخرى تسمى باللسان السبنيولي نوسترا سنيورا ديل ويخو (Nostra Senora del Vejo) يعني ضيعة ستنا العذراء للشيخ . فهذه العذراء لها معجزات كثيرة لاسيما مع المسافرين في البحر ولما كنا في لجاج البحر وانكسر صاري مركبنا كما ذكرنا سابقا كنت نذرت على روحي اني اذا وصلت الى كنيستها اقدس لها تسعة أيام فبقيت في هذه الضيعة تسعة عشر يوما ووفيت نذري(٩٣) وايضا كنت انتظر سنبكا الذي يسمى كانوه

(٩٠) أي العصابات .

(٩١) يريد بلاد المكسيك أي العالم الجديد .

(٩٢) وجدنا في تاريخ الاسفار نص هذا الخبر كما ذكره رحالتنا لكن كثيرين من الكتبة ينفون صدقه سيما بعدما سعت اسبانية سنين طويلة في تحقيقه ولم تبلغ المرام . فقد سافر الفارو دو مندوزا سنة ١٥٩٥ وبمعيته اسطول عديد فطاف كل الجزائر المجاورة فلم يجد ضالته . وبعد هذا التاريخ بثلاثين سنة سعى انطوان دي مدينة وغيره من البحارة من البارة في البحث المدقق فذهبت مساعيهم أدراج الرياح . على ان تسمية هذه الجزائر باسم سليمان وانه استجلب منها الذهب اختلاق لم يبن على أساس .

(٩٣) ذكر المؤرخون هذا المعبد ووصفوا المعبد ووصفوا المعجزات التي تجريها فيه العذراء المجيدة وقد سميت سيدة ويجو أو الشيخ لسبب جبل النار القريب منها والمسمى (Volcan Vejo)

(Canoa) وبالفرنساوي (Canot) لنجوز هناك في مضيق البحر وهو نحو اربعة وثلاثين فرسخا . وكان الاسقف اوصاني ان لا اعبر في هذا المضيق لانه مخطر جدا وفيه تغرق سفن كثيرة . لكني اتكلت على معونة مريم العذراء وكنت ادعوها بنت بلادي وركبت في السنبك .

٤٧ـ بلاد سان سلفادور ـ وصف نبات النيل :

ففي عشرين ساعة جزنا ذلك المضيق ووصلنا الى الجانب الاخر ونزلت في قرية تسمى اماپلا (Amapala) وهي اربعة بيوت للهنود . فلاقيت هناك اسبنيوليا آتيا من ينكي دنيا وذاهبا للپيرو . فحكى لي انه باع فرسه لرجل هندي مع سرجها ولجامها بقرشين ونصف لانه كان يريد ان يجوز مضيق البحر ولهذا باع فرسه بهذا الثمن . ومن هناك رحنا وسرنا ثمانية ايام اربعين فرسخا فوصلنا الى قرية هنود تسمى اموشايو . ومن هناك رحلنا وسرنا ثمانية فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى صان ميكاييل (S. Miguel) ومنها سرنا ثمانية فراسخ الى قرية تسمى زرواكين . ومنها سرنا ستة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى استيبيك (Istepec) ومنها سرنا سبعة فراسخ فوصلنا الى قرية تسمى كوكينبيت . ومنها رحلنا الى قرية صان مرتين (S. Martin) ثمانية فراسخ . ومن هناك الى صان سلوادور (S. Salvador) وفي هذه التخوم يزرعون النيل. وهذا النيل يشبه النفله اي الفصه التي يطعمونها للخيل وكل واحد منهم له مزرعة فيزرعون النيل مثل القمح وبعض السنين يعلو طول قامة انسان فيرخص في ينكي دنيا وبعدما يكمل زمان حصاده يحصدون ذلك الحشيش ويرمونه في حوض عظيم فيحمى ويأكل بعضه البعض وفي ذلك الحوض دواليب ليخبطوا الماء ثم يفرغونه في حوض آخر ومن بعد ثلاثة ايام يزبد فياخذون في اياديهم تلك الزبدة مثل الطابات وينشرونها في الشمس فهذا الذي يسمونه في بلادنا نيل فروتي والاسفل يعملونه نيل التختة.

٤٨ـ بلاد غواتيمالا :

ومن هناك رحنا الى قرية تسمى خالايا وهو خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية تسمى اوبيكو سبعة فراسخ . ومن هناك الى قرية تكيسا ستة فراسخ وهذه القرية يسكنها مولاتوس (Mulatos) يعني المولودين من اب ابيض وام سودا وهؤلاء هم سمر لا بيض ولا عبيد . ومن هناك الى قرية اسكلاوس عشرة فراسخ . ومن هناك الى قرية بيتاپا اثني عشر فرسخا . ومن هناك الى قرية سنتياكو (Santiago) يعني مار يعقوب ستة فراسخ . ومن هناك جزنا الى بلد واتيمالا (Guatemala) ونزلت في دير مار عبدالاحد فقبلوني بفرح عظيم . وفي هذه البلدة ديوان الملك الذي يسمى في السبنيولي اودنسيا (Audiencia) يراسه واحد يسمى برزيدنته (Presidente) اي رئيس الديوان . وايضا في هذه البلدة اسقف غني جدا اسمه دون خوان اوتيكا فرحت زرته وجاء هو ايضا زارني يوم الاحد الثاني من صوم الكبير فدخلت قدست في الكنيسة من غير دستور الاسقف بحضرة اب اعترافه فراح حكى له عن حلة القداس وعن بدلة البابا ففرح فرحا عظيما وامر اثنين من خوارنة تلك الكنيسة ان يقفا في خدمة قداسي عندما اقدس . وبقيت في هذه البلدة اربعة وثلاثين يوما معزوزا ومكرما من الجميع وقدست في جملة الكنائس وفي ديورة الرهبان وبالحق انهم كانوا يقدمون لي هدايا لائقة . وكان ايام الصوم الكبير سنة ١٦٨٢ مسيحية .

ثم بعد تلك الايام خرجت من هذه البلدة ورافقني اثنان من جواويش الديوان واربعة من الخوارنة من جانب الاسقف الى خارج البلدة بميل فتودعت منهم وتودعوا مني ورجعوا الى المدينة وانا سرت مسافرا ثلاثة فراسخ فوصلت الى قرية تسمى شتماليتا بجاكو . ومنها الى قرية تسمى باصون ستة فراسخ . ومن هناك الى قرية باسيما طولوز سبعة فراسخ . ومن هناك الى صان انطون جيشتبك
(St. Antoine de Suchitepec)
اثني عشر فرسخا . وهذه القصبة كان لها حاكم من مدينة سيويليا فاشتكى عليه الهنود الى ديوان واتيمالا حتى يعزلوه فقمت انا توسطت له وكتبت الى رئيس الديوان الذي كان يسمى دون خوان ميكاييل ده اهورتو . وهذا الرجل قوي مسيحي ومحب للكهنة ولما كنت اروح ازوره كان يبرك على ركبتيه ويبوس يدي . وفي هذه القصبة المذكورة يصير الكاكاو الذي يصفونه جيكولاته واشجاره كثيرة العدد وهي في يد الهنود وهم اغنياء جدا وقد جعلوا اربعة آلاف غرش رهنا حتى اذا تخاصموا مع الحاكم او مع خوري القرية يصرفون من فائدة هذه الدراهم على القضاة والكتبة . ورحت من هذه القرية الى قرية تابو وهي على خمسة فراسخ . ومن هناك الى قرية صانتا ماريا ده بيلين ستة فراسخ . ومنها الى قرية صان كريستوفل ثلاثة فراسخ . ثم الى صان فرنسيسكو الالطو ستة فراسخ . ثم الى قرية خولانيلس ستة فراسخ . ثم الى رانجو قرية صان رايمون خمسة فراسخ . ثم الى اكواكتينانكو فرسخان . ثم الى قرية بيانطو فرسخان . ثم الى قرية كوكومادانس عشرة فراسخ . ثم الى قرية صان مرتين ثلاثة فراسخ ثم الى قرية بيقيطان فرسخان . ثم الى قرية صان انطون برسكين خمسة فراسخ . ثم الى قرية وسيتمنام . ثم الى قرية اسكيتنانكو (Isquintenango) سبعة فراسخ . ثم الى قرية سوسويتانكتو سبعة فراسخ . ثم الى قرية بينولا ثلاثة فراسخ . ثم الى قرية تويبسيا (Teopisca) خمسة فراسخ . ثم الى بيكانا قرية سيوداد ريال (Ciudad Real) ستة فراسخ . ثم الى بيلاكانا فرسخان . ثم الى قرية استنابا ستة فراسخ . ثم الى خيابا خمسة فراسخ ثم الى بلد جيابا (Chiapa) السبنيول فرسخان .

٤٩ـ بلاد شياپا (Chiapa) ـ رسول السلام :

فدخلت الى هذه البلدة ونزلت في بيت الحاكم وفي هذه البلدة اسقف يسمى دون الونصو براوو كان متخاصما مع بروبنسيال (Provincial) اعني رئيس رهبان مار عبدالاحد . وكان الاسقف المذكور قد حرم حاكم البلد . فلما نظرت هذا الحرم والبغضة التي بينهم تألمت كثيرا فتكلمت مع الاسقف ومع البروبنسيال واجتهدت على عمل الصلح بينهما . ثم بعد يومين كان نهار عيد مولد العذراء وكان الجسد المقدس مصمودا على المذبح الطاهر والاسقف كان يقدس . فبعد ان خلص من قداسه قمت انا من الكرسي واخذت معي البروبنسيال وحاكم البلد وقدمتهما امام الاسقف وبركت على ركبتي وقلت له : قال السيد المسيح سلامي اتركه لكم وأمرنا بالصلح والسلام وها هوذا السيد المسيح حاضر وناظر من على هذا المذبح المقدس فيجب علينا ان نترك جميع الافكار الخبيثة والحقد ونبدلها بالمحبة والوداعة كقول المخلص : باركوا ولا تلعنوا . فقام الاسقف رفع يده وبارك عليهما وهو يضحك قائلا : تبارك

اسم الرب هاءنذا خوري جاء من بلد بغداد ليصلحنا . حينئذ حل حاكم البلد من الحرم ورحنا الى دار الاسقف معزومين الى الغداء فبعدما خلصنا من الغداء قام الاسقف من كرسيه ووضع على رقبتي جنزيرا من ذهب يساوي مايتي غرش والحاكم المذكور أهداني بغلة جيدة وأيضا البروبنسيال أهداني هدية وما كانوا يتركوني ولا دقيقة فكان القسوس والرهبان يسألوني عن بلادنا التي يسمونها الدنيا العتيقة . وبعد ان بقيت هناك ستة عشر يوما سافرت قاصدا قرية تسمى توستا وهي على فرسخين ومنها الى قرية اكوسوكاونا اربعة فراسخ . ثم الى قرية بيانتيبك اربعة فراسخ . ومن هذه القرية يفرق الحكم لانها الحد بين حكم وزير ميخيكو (Mexixo) او (Mejico) اي ينكي دنيا وبين حكم واتيمالا (Guatemala) لان حكم واتيمالا قائم وحده .

٥٠ـ الذهاب الى مكسيكو (Mexico) أو (Mejico) ـ وصف القرمز :

ثم سافرنا الى قرية ساناتيبيك التي تبعد ستة فراسخ ثم الى قرية استيبنيك تسعة فراسخ ومنها الى قرية اقانيتبك ثم الى بلد خلايا وفي هذا البلد كان حاكم يسمى دون خوان بيتيا وهذا كان عمه كاتب ديوان الهند وكان قوي صاحبي . ولما سمع بقدومي خرج فرسخين خارج البلد ملاقاتي واستقبلني بعز واكرام وانزلني في داره وبالقرب من هذه البلدة جبل فيه جلالية يشلحون بعض الاوقات وينهبون عابري الطريق فارسل معي الحاكم اثنين من الجنود ليخفراني في معبر ذلك الجبل . فعبرناه بمعونة الله بغير ضرر ووصلنا الى قرية تسمى تكيسيا على اربعة فراسخ ومن هناك الى قرية صان خوان ديلاكوصتا اثني عشر فرسخا ثم الى قرية ينخابا خمسة فراسخ ثم الى قرية سان ميكاييل عشرة فراسخ ثم الى قرية سان لوكس ثلاثة فراسخ ثم الى بلد واخاكا (Guaxaca) ستة فراسخ وفي هذا البلد كان رجل وجيه من اسبانية له أخ في ليما يخدم عند الوزير صاحبي المعزول . فهذا كان أعطاني مكتوبا الى أخيه الذي في واخاكا . فلما قربت من هذه البلدة أرسلت له المكتوب فقام هذا الشريف وطلع خارج البلد فاستقبلني بفرح واخذني الى البلد وانزلني في بيت كان هيأه لي . وكان اسقف هذه البلدة قد توفي وبقي كرسي الاسقفية فارغا وكان هناك ورديان (Gardien) اعني رئيس كهنة . فهذا المبارك لما كان آتيا من الهند الى اسبانية وقع أسيرا في الجزائر فسهل له الله فاعتق وصار رئيسا على قسوس هذه البلدة وكانت لي معه صحبة واكرمني غاية الاكرام وكان اسمه دون ديونسيو . وأما هذه البلدة فهي غنية بالعمائر والكنائس لاسيما دير مار عبدالاحد وباقي ديورة الرهبان ومارستانات المرضى والكنيسة الكبيرة فاخرة للغاية وغير كنائس اخرى وانا كان معي خرجية مقدار ثمانمائة غرش فاودعتها عند صاحبي المذكور المسمى دون فرنسيسكو ده كاسترو حتى يتسوق لي بها قرمزا لان في هذه البلدة ونواحيها يطلع القرمز يلصق في بعض أشجار ذات ورق سميك مثلما ذكرنا سابقا فيلتصق مثل الدود في الورق ويصير مثل حب الجدري ثم في حين بلوغه يستخرجونه ويضعونه في فرن حام فييبس وينطفىء . وبعد ذلك ييبسونه .

ومن بعد خمسة عشر يوما خرجت من هذا البلد قاصدا ميخيكو (Mexico) المذكورة حيث يجلس وزير الملك فبعد أربعة فراسخ وصلنا الى ضيعة تسمى ابيتا ومن ابيتا الى طاطو ستة فراسخ . ومنها الى اوانيتبك خمسة فراسخ ثم الى قرية صان انطوان فرسخان ثم قرية كوس خمسة فراسخ . ثم الى سان سابسطيان خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيواكان أربعة فراسخ ثم الى ضيعة اناخوتيبيك خمسة فراسخ . ثم الى قرية تيباكا سبعة فراسخ ثم الى مدينة بوبولا ده لوس انخلوس يعني مدينة شعب الملائكة (La Puebla de los Angelos) ستة فراسخ فجزت الى هذه البلدة ونزلت عند رجل من اصحابي . وهي بلدة كبيرة مفرحة بالقصور وبالعمائر وغنية بالكنائس مثل الكنيسة الكبيرة التي هي غنية جدا بالعمارة والفضة والذهب والذخائر المقدسة ويسكن الان في هذا البلد اسقف يسمى دون عمانوييل ده سانتا كروس وهو رجل عالم وخائف الله وله معبور في كل سنة ثمانون الف غرش . وايضا في هذا البلد ديورة من جميع طوائف الرهبان .

٥١ـ وصف مكسيكو :

ثم بعد يومين خرجت متوجها الى بلد ميخيكو التي هي بعيدة من هذه البلدة نحو أربعة وعشرين فرسخا فوصلت اليها ودخلت الى المدينة ونزلت عند احد أصحابي كان معي مكتوب له من بلد واتيامالا فقبلني بالعز والاكرام . فمن بعد يوم وقعت مريضا وبقيت عشرة أيام في الفراش . واما وزير هذه البلدة فكنت احضرت له مكتوبا من قريبه الوزير صاحبي الذي كان في البيروه . فبقي يرسل الي حكماءه ليشرفوا علي . وبعد عشرة أيام تعافيت بعناية الله وقمت زرت الوزير وزرت امرأته فاستقبلاني بمحبة ووجه بشوش وعرض علي الوزير أن أسكن عنده في السرايا فاستكثرت بخيره وشكرت فضله على ذلك وما اردت أنزل عنده بل استكريت لي بيتا بثلاثمائة وستين غرشا في السنة واشتريت لي عربانه وبغال بستمائة وخمسين غرشا ثم ابتديت اروح ازور الاشراف فزرت أولا مطران البلد ثم زرت باقي الاعيان فالمطران اعطاني دستورا ان اقدس اينما اشتهى خاطري وفي كل ليلة وقت المغرب كنت اروح القشل (اتحدث) عند الوزير مقدار ساعتين وارجع الى بيتي . واما هذا المكان فهو أرض واطية وفي جانب هذه البلدة بحيرة ماء نابعة من الارض . وفي بعض السنين أمطرت مطرا زائدا فغرقت البلدة وكثير من البيوت امتلات ماء وسقطت وهذه الارض ما لها أساس ثابت . وايش نتكلم عن الكنائس التي في هذه البلدة وعن شرف وحسن بنائها وزيادة غناها وهو شيء لا يوصف . لان في هذه البلدة ثلاثة ديورة لرهبان مار افرنسيس وديرين لرهبان مار عبدالاحد وديرين لرهبان اليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان مار اغسطينوس وديرين لرهبان المرسي ومارستانات لمداواة المرضى وسبعة عشر ديرا للراهبات وديرا للرهبان الكرملتانين . والكنيسة الكبيرة وغير كنائس اخر عديدة .

٥٢ـ كنيسة العذراء العجائبية :

وخارج البلد بنصف فرسخ يوجد كنيسة على اسم مريم العذراء تسمى وادالوبي (Guadeloupe) وذكروا لنا انه بعد دخول السبنيولية الى هذه البلاد بايام قليلة بينما كان احد الهنود المسمى خوان ديكو دائرا خارج البلد اذ ظهرت له امراة جليلة بهية في غاية الجمال وقالت له اذهب الى مطران البلد وقل له ان يبني لي بيتا في هذا المكان . فارتعد الهندي المذكور من ضياء نور وجهها وراح عاجلا مثل مارسمت تلك الست وقال للمطران كل ما امرت به . فلما تامل المطران في هذا الهندي وفي حالته الزرية وثيابه الحقيرة امر بطرده فرجع هذا المسكين خائبا ومطرودا الى المكان الذي تكلمت معه تلك السيدة الجليلة . فظهرت له مرة ثانية . في المكان المذكور وقالت له

كفولها الاول ان يرجع الى المطران ويقول له كما امرته فاطاع . وراح ثانية عند المطران وعرض عليه كل ما امرته تلك الست فاحتقره أيضا المطران وأمر بتهجيجه وطرده فرجع محزونا ومطرودا الى ذلك المكان . فظهرت له الست ثالث مرة وقالت له : لماذا لم تعمل الذي أمرتك به . فأجابها قائلا : ياستي قد فعلت مرسومك ورحت مرتين عند المطران وعرضت عليه كل ما امرتني لكن هججني وما صدقني . فقالت له : امض اليه ثالث مرة وقل له كل ما امرتك ودونك هذا الورد خذه معك الى المطران ليصدق قولك . ثم ناولته الورد وكان غير أوانه . فأخذ ذلك الهندي الورد وجعله في الرداء الذي كان ملتحفا به وقصد بيت المطران فلما نظره الخدام وعرفوه هججوه وطردوه. فقال لهم : لاجل الله اتركوني اتكلم مع المطران لان عندي هدية من عند الست الاسبنيولية اهديها له . فاعلموا المطران بذلك فأمر بدخوله فلما وقف بين يديه قال له : ياسيدي الست أرسلتني اليك ثلاث مرات وتقول لك ان تبني لها بيتا في المكان الفلاني وها قد ارسلت لك هذا الورد حتى تصدق قولي وتتيقن انها هي ارسلتني اليك . فلما رمي الهندي الورد من ردائه ونظر المطران لهذا العجب لانه ما كان زمان الورد وزاد عجبه اذ نظر صورة مريم العذراء قد ارتسمت في رداء الهندي وكان ذلك الرداء من شال سميك . حينئذ جثا المطران على ركبتيه امام هذا الهندي وطلب منه الغفران وعاجلا تخاطفوا ذلك الورد من ذلك الهندي بحيث ارتسمت صورة العذراء في ردائه ثم شلحه المطران الرداء المذكور بزياح ودق النواقيس ووضعه في المذبح الكبير بفرح وعيد عظيم وخرجوا الى المكان المذكور وأمر المطران بعمارة الكنيسة في المكان الذي ظهرت فيه للهندي المذكور وسماها كنيسة مريم العذراء ده وادالوبي . والهندي خوان ديكو المذكور كمل حياته في خدمة العذراء في تلك الكنيسة وتنيح مثل الطوبانيين . وهذه الكنيسة خارج عن البلد ميخيكو بنصف فرسخ كما ذكرنا وهي غنية جدا بالفضة والذهب والبدلات الثمنة حتى ان درج المذبح الكبير وهو تسع درجات صنعوه من فضة والعواميد التي على المذبح أيضا من فضة فمن حد هذه الكنيسة الى داخل هذه البلدة قد عمروا مثل الجسر بعلو ذراعين من سبب ام تلك الارض في أيام الصيف لما تمطر تصير كلها بحيرة فما يمشون الا على ذلك الرصيف لان في ذلك البلد يبدأ المطر من أول شهر ايار الى اخر شهر ايلول بخلاف عوائد وطقس بلادنا .

٥٣ـ هجوم الهراطقة على أسكلة ويراكروس :

وانا فبقيت مرتاحا في هذه البلدة نحو ستة أشهر حتى وصل مركب من اسبانية وأحضر جملة مكاتيب من التجار الى شركائهم وفي هذا المركب جاء رجل محتال وجعل نفسه انه قادم من طرف الملك ليفتش على المذنبين ويأخذ محاسبة من خزندارية الملك فهذا الشقي رمى خوفا في قلوب كثيرين من المذنبين . أما الوزير فانه لما سمع كتب الى حاكم الاسكلة ان ينظر في الاوامر التي معه فما اراد ان يظهر أوامره فعلم الوزير انه كاذب محتال فارسل خلفه جنودا ليحرشوه فوجدوه وأمر الوزير بحبسه . وبتلك الايام جاء بعض مراكب قرصان الى مينا ويراكروس (Vera Cruz) وكانوا كلهم هراطقة مجتمعين من كل أجناس الطوائف فوصلوا في الليل وخرجوا للبر بعيدا عن الميناء بفرسخ ودخلوا البلد مثل اللصوص لان ليس للاسكلة سور وعبروا الى بيت حاكم البلد وحبسوه . وبعد ذلك دخلوا واخرجوا الناس رجالا ونساء وحبسوهم في الكنيسة الكبيرة وسكروا عليهم واقاموا حراسا على الابواب وابتدأوا ينهبون ويسلبون الديورة والكنائس والبيوت مقدار ثلاثة أيام . ثم اخرجوا الناس من الكنيسة وحملوهم مال النهيبة وساقوهم الى حيث كانت المراكب راسية بعيدا نحو نصف فرسخ وحملوا المال وجميع الرجال والعبيد في هذه المركب واخذوهم الى جزيرة قريبة من ذلك الميناء نحو فرسخ وانزلوهم هناك وقالوا لهم اما ان تعتقوا ارواحكم أو نقتلكم جميعا . وقطعوا عليهم مائة وخمسين ألف غرش فارسل هؤلاء المساكين من جانبهم الى مدينة البويلا المذكورة (Puebla) ليحضروا عتاقهم . فمن بعد عشرة أيام قدموا لهم المائة والخمسين ألف غرش فاعتقوا الناس السبنيولية وأخذوا العبيد السود وجميع المال الذي نهبوه من هذه البلدة مقدار ثمانية مليونات وكان عدد هؤلاء القرصان الجلالية ستمائة نفر والسبنيولية مع عبيدهم كانوا أزيد من أربعة آلاف نفر . وكان الرئيس على القرصان رجل هرطوقي له رفيق وشريك اسبنيولي يسمى نسيليو فتخاصما على قسمة المال ما بين الاثنين فقتل نسيليو الرئيس الهرطوقي وانتصب عوضه رئيسا على القرصان . وانا كان لي في هذه البلدة حمل قرمز اشتريته من واخاكا بألف غرش فنهبوه من جملة الاموال . وبينما هؤلاء القرصان في تلك الجزيرة أتت المراكب من اسبانية وفي دخولها الى الميناء أرسل الوزير فاعلم الجنيرال حقيقة الحال ليحارب قبل دخوله الميناء أولئك القرصان ويحرقهم . فنصب الجنيرال بيرقا ليجمع عنده رؤساء كل المراكب ويعملوا ديوانا ويحطوا خطوط أياديهم حتى لا يكون الجنيرال مذنبا وحده لان مراكبه كانت موسوقة ببضائع فخاف أن يغرق له مركب او يحترق في المحاربة . فلما ابتعد من الميناء واجتمعوا وعملوا ديوانهم نظر اليهم نسيليو فنصب قلاعه وسافر وهو يضحك على المراكب السبنيولية وخرج أمامهم من غير خوف بعدما أخذ معه أزيد من ألفي أسير مع عبيد سود ومنهم حمر وكان ذلك في تاريخ سنة ١٦٨٣ مسيحية .

٥٤ـ من المكسيك الى بغداد عن طريق الصين :

فمن قبل هذا التاريخ بمقدار مائة سنة على زمان فيلبه الرابع ملك اسبانية سافرت مراكب من ينكي دنيا الى نواحي الصين فرأوا جزيرة واكتسبوها وجعلوا اسمها فيليبيناس (Philippines) على اسم الملك المذكور وسكن هناك اسبنيولية وراحت في غير سنين الى هذه الجزيرة مراكب مع عدة قسوس ورهبان وتلمذوا أناسها وردوهم من الوثنية الى ايمان المسيح(٩٤) .

ومن هذه الجزيرة يجي في كل سنة مركب الى ينكي دنيا ملآن من بضائع بلاد الصين فيصل من هذه الجزيرة الى ينكي دنيا بثمانية أشهر لكنه في العودة يرجع بثلاثة أشهر(٩٥) وأيضا كل

---

(٩٤) لم يصب مؤرخنا المرمى في تعيينه لزمن اكتشاف هذه الجزائر فان مكتشفها هو رويس لوبس دي فيلالوبس سافر سنة ١٥٤٢ من المكسيك وبلغ هذه الجزائر بعد شهرين ولم يتملك عليها الاسبانيول الا في سنة ١٥٦٠ـ ١٥٧٠ وقد عرفت مذ ذاك باسم فيليب الثاني ملك اسبانية .

(٩٥) لما توطدت سلطة اسبانية على بلاد الهند الغربي (البيروه والمكسيك) والشرقي (الهند وجزائر الفيليبين .. الخ) أراد التجار في كل من مدن مانيلا (Manille) وليما (Lima) ان يربطوا الهندين معا بطريق البحر ←

سنة يروح الى تلك الجزيرة مركب من بلد سورط(٩٦) الى تجار ارمن يسمون جلفاليه(٩٧) ساكنين في هذه الجزيرة ـ وهـم الثان ـ ياخلون مال هذا المركب ويدينونه للسبنيولية لوعـدة سنة . ففي كمال السنة يجي مركب من سورط فياخذون من السبنيوليية دراهم العام الاول ويعطونهم ايضا لمثل هـذه الوعدة الرزق الجديد . ولا يعطى دستور لغير طوائف فلا يجي مركب الى هذه الجزيرة سوى المركب الذي للجلفالية فقط . وكان لي نية ان اسافر مع المركب الى تلك الجزيرة ومن هنـاك اركب في مركب هؤلاء الجلفالية الى سورط ومن سورط الـى بلادي(٩٨) لكن صدني عارض مع الرجل الذي كان ذاهبا ليحكم في تلك الجزيرة(٩٩) فطلب مني ان اديـنه عشـرة آلاف غرش فشاورت الوزير فقال لي : در بالك لانه مديون وعليه مائتـان الف غرش دينا . فامتنعت عن الرواح وقصدت ان ارجع الـى بلاد اسبانية .

تسهيلا للمواصلات التجارية وتقريبـا للمسـافات الشاسعة . فنجح سعيهم وجعلت المراكب تسير بين العالمين حاملة من امركة الى الصين والهند الشرقي مـا امتازت به من المحصولات والفضة والذهب نقـودا وسبائك فتعود محملة بضائع الصين من مصاغات وحرائر واقمشة وابازير وتوابل وعطريات وقد اشتهرت الجوارب الحريرية التي كانوا يأتون منها كل سنة بخمسين الف زوج . اما مدة السفر فكانت تختلف مع الطريق فيقلع المركب من ميناء الكالاو (Callao) في اواسـط آذار متتبعا الارياح الموسمية المسماة (Alizés) التي تهب من الشرق للغرب فيبلغ مانيلا في اقل من شهرين لكن العودة صعبة كانت تستغرق من عشرة أشهر الى اثني عشـر شهرا فأرشدهم أحد الاباء اليسوعيين الى الانتفاع من الارياح المضادة فجعلوا يخرجون في تموز من مانيـلا فيسيرون نحو الشمال الى ان يلتقوا بالارياح الغربية التي تهب في تلك الاصقاع فتدفعهـم الى شـطوط كاليفورنية والمكسيك بين شهر كانون اول كانون الثاني فيحطون في ميناء اكابولكو (Acapulco) في المكسيك .

(٩٦) نظنه يريد مدينة (Surate) في شمالي مقاطعة بمبـاي في خليج كامباي الذي دعاه ابن بطوطة كنبايت وقـد وصف مدينة بهذا الاسم وذكر سعة تجارتها . اما سورط أو سورات فهي مدينة حديثة لم يكد يأتي ذكرها في كتب العرب لان اشتهارها لم يسبق أوائل القرن السـابع عشر حيث أصبحت ملتقى تجارة المغول والفرس فأقامت فيها الشركات الانكليزية والافرنسية والهولندية فروعـا مهمة وكان فيها رسالات دينية لليسوعيين وغيرهم .

(٩٧) ربما يريد النسبة الى جلفا (Julfa) وهو حي أو محلة في جوار اصفهان بناه شاه عباس في أوائل القـرن السابع عشر واجلى اليها سكان مدينة جلفا القديمـة وسماها باسمها جلفا وما لبث ان أصبحت مدينة مهمة امتدت الكثلكة بين سكانها الارمن الكثيرين وتعـددت الرسالات للرهبان اللاتين .

(٩٨) كانت المواصلات التجارية بين سورات وبغداد عن طريق ايران متتابعة كما جاء مرارا في الرسـائل والرحـلات المطبوعة والغير مطبوعة المحفوظة عندنا وياليت رحالتنـا عاد الى بلاده عن طريق الفيلبين والهند والعجم لكانت سفرته غريبة لم يسبقه أحد اليها .

(٩٩) الفيلبين جزائر لا جزيرة واحدة .

٥٥ـ اخبار الصين والفيليبين :

وذكروا لنا ان من مدة خمسين سنة لما كان بعض الكاروزين يذهبون من هذه الجزيرة الى بلاد الصين الجواني ليتلمـذوا اناسها ويرجعوهم من الوثنية الى ايمان المسيح فالشيطان عدو الخير والاحسان القى في قلب ملك الصين ان يقتل جميع الرهبان الذين يكرزون هناك فقتلهم وامر بتحضير مراكب وعسـاكر ليسافر الى جزيرة فيلبيناس (Philippines) فلما نظر سكان الجزيرة هذا العسكر العظيم القاصد محاربتهم اعتراهم الخوف لكونهم قليلين وغير مستعدين فمالهم حيلة ولا ملجا غير الدخـول الى الكنيسة فعبروا للكنيسة وابتداوا في التضرع والصـلاة وحملوا الجسد المقدس وخرجوا بالزياح والصلاة الى محاربة الاعداء فبقوة الله وعدالته التي لا تتخلى عن القاصدين اليـه بامانة هاج البحر على تلك المراكب وشتت شملها وحطمهـا وابادها ومن جميع ذلك الجيش العظيم ما خلص سوى ثلاثـة عشر مركبا . فلما سمع ملك الصين بهذا الضرر العظيم الـذي اصابه حزن حزنا عظيما ومن حزنه هلك عاجلا واوصى ابنـه الكبير المتولي الحكم بعده ان يهيىء عسكر آخر بمواكب حصينة ويقصد محاربة تلك الجزيرة . فلما اهتم ابنه المذكور وجمع العساكر وجهز المراكب عرض لهم مثلما عرض للاولين وبـادوا اجمعين وعرض لهذا الملك ايضا ما عرض لوالده ومات فقعـان لحزنه . فخلفه اخوه الصغير ولما جلس في الحكم نوى ان يهيىء عساكر ومراكب فاشارت عليه والدته ان لا يضاد تلك الجزيرة لئلا يجري له ما جرى لابيه واخيه بل الافضل ان يصالحهـم ويصاحبهم ويتركهم يدخلون البلاد ويكرزون ولا يعارضهم بوجه من الوجوه . والآن في كل ثلاث سنين يجيء رهبان من اسبانية ويعبرون للصين ويكرزون ويتلمذون بغير مانع . وأنا كان لي صديق كان قبطان في تلك الجزيرة مقدار سبع عشرة سنة فلمـا جاء الى ميخيكو استضاف عندي وحكي لي جميع هذه الامـور والمعاجز التي صارت في فيلبيناس . وهذا الرجل صادق بقوله وايضا شهادة الرهبان اليسوعية وغيرهم من الرهبان الذيـن ثبتوا تثبيتا صادقا واضحا تلك المصيبة(١٠٠) .

٥٦ـ جزائر ماريان :

ومن مدة خمسين سنة اكتشف ايضا السبنيولية (الاسبان) على جزيرة قريبة من فيلبيناس وفتحوها وكان سكانها هنـود عابدي الاصنام فلما ملكوها نصروا وعمدوا أهاليها وسموها على اسم الملكة امراة الملك فيلبه الرابع (Philippe IV) وأم هذا الملك كارلوس الثاني وكان اسمها الملكة ماريانا ده اووسـتريا (Marie An-ne d'Au-striche) التي هي اخت الامبارادور ليوبولد فجعلوا اسم تلك الجـزيرة ايـزلا ده ماريانـاس (Mariannes) ولما كنت انا الحقير في ميخيكو جاء مركـب من فيلبيناس وجاء معه راهبان من رهبان مار عبدالاحد ومعهما عرض حالات الى سيدنا البابا . وهؤلاء الرهبان جاءوا معي الى اسبانية في مركب واحد حينئذ أروني العرض حالات حتى أعينهم واساعدهم عند سيدنا البابا على المصيبة الذي قد صنعها قضاة فيلبيناس مع مطران هذه البلدة وهي ان المطران المذكور تخاصم من الرهبان اليسوعية وطلب منهم العشور فما اطاعوه ولا أرادوا يؤدوا له ذلك(١٠١) فبسبب هذا احشوا عليه (قام) قضاة البلد

---

(١٠٠) لا ندري كيف لخص مؤلفنا هذه الاخبار ونظنه خلط بين اخبار الاضطهادات التي حدثت في اليابان والصـين والتونكان .

(١٠١) يجهل الرحالة ان اليسوعيين وكثيرا غيرهم من الرهبـان

فارسلوا تحت الليل مسكوه وحطوه في المركب ونفوه الى مكان بعيد ثلاثين فرسخا . وهذا المطران كان راهبا من رهبان مار عبد الاحد ومات ذلك المطران في النفي كمثل مار يوحنا فم الذهب . فلما وصل هذان الراهبان الى رومية وعرضوا تلك العرض حالات المشتملة على هذه القضية الى سيدنا البابا وسمع البابا تلك القباحة الردية ارسل يعاتب ملك اسبانية على هذا الفعل الذي صنعه القضاة في ذلك المطران . فلما علم الملك والديوان هذا الامر ارسل الى فيليبناس وعزل اولئك القضاة من وظائفهم ونفاهم وماتوا منفيين تحت الحرم .

٥٧- الرجوع الى أوروبة :

فنتكلم الان عن رجوعنا . ولما ارادت المراكب ترجع الى اسبانية فانحدرت من بلد ميخيكو (Mejico) الى اسكلة ويراكروس (Vera Cruz) وهي ثمانين فرسخ . فتكلمت مع جنيرال المراكب ان اخذني الى اسبانية فطلب مني كروه الف غرش مع الاكل والشرب لان قوانين هذه المراكب انهم يكرون الاوضة ذراعين وعرضها ذراع وثلث وعلوها ذراع ونصف . فلما رايته طلب الف غرش صعب علي لكن غصبا عني رضيت . فمن بعد ثمانية ايام اجتمع رؤساء المراكب وعملوا ديوانا ومشورة ان كانوا يقدرون ان يخرجوا من الهند ويأتوا الى سبانية في هذه الاشهر ورموا القرعة لانهم لا يقدرون ان يسافروا الا بعد ثلاثة اشهر فجهزوا مركبا صغير مع مكاتيب واخبار تلك البلاد وارسلوه قبلهم سبيقا الى اسبانية فلما نظرت ذلك حرت في امري بسبب ان تلك الاسكلة حارة وماءها عاطل وهواها اتعس . حينئذ استهميت وركبت في ذلك المركب الصغير الذي ارسلوه الى اسبانية قاصدا السفر معه الى جزيرة تسمى لاوانا (La Havana) (هافانا) لانها اسكلة الى غلايين البيروه والى مراكب ينكي‌دنيا التي يقال لها الفلوتا(flotte) فحصل صديق لي في اسكلة ويراكروس واشار علي ان اشتري حملين بصل يابس وصندوقين تفاح لاجل ارمغانات(١٠٢) فاشتريت وعملت بشوره

وسافرنا مع قدرة الله وبعد عشرين يوما وصلنا الى هذه الجزيرة المذكورة لاوانا ونحن فرحون مسرورون وحاكم هذه الجزيرة كان اخا الجنيرال الذي اوصلني للبيروه فقدمت له البصل والتفاح ارمغان فتعجب وقال : كيف علمت اننا نعتاز البصل والتفاح في هذه الجزيرة . فانهم اذا زرعوا البصل عندهم في الجزيرة يطلع مثل اذناب الفار واذا تركوه حتى يكبر يتخ وييبس . فبقيت في هذه الجزيرة اربعة اشهر ونصف حتى جاءت المراكب من ينكي دنيا وهذه الجزيرة هواها مليح وماؤها طيب واناسها محبون فلما اردت اخرج من هذه الجزيرة حتى اتوجه الى اسبانية جاءني بشاكيش(١٠٣) عوض البصل والتفاح تسعة صناديق سكر مع مرطبانات(١٠٤) المربي وانا كنت استكريت في المركب الذي كان جاء من كراكس (Caracas) بثلاثمائة وخمسين غرشا وسافرنا . فبمعونة الله وصلنا الى جزيرة القاع (Lucayes) فقام علينا اضطراب في البحر من عظم زيادة الريح ودام احد عشر يوما وتشتتت المراكب على وجه البحر ونحن بقينا في بكاء وعويل مع صلوات وزياحات في المراكب وندورة الى الكنائس والقديسين ومن بعد الاحد عشر يوما المذكورة سهل الله وهمد عجاج البحر واجتمعت مراكبنا التي كانت مشتتة لان في الليل يشعلون الفنارات حتى لا يتيهوا ويضيعوا بعضهم عن بعض وايضا حتى لا يقربوا كثيرا الى بعضهم لئلا يخبط مركب في مركب وينكسروا . حينئذ جاءتنا ريح مناسبة فرجعنا الى دربنا متوجهين الى كادس

فمن بعد اثني عشر يوما كشفنا على الارض من فجر النهار وكانت الريح مساعدة جدا حتى في نصف النهار .

٥٨- من اسبانية الى روسية :

دخلنا بالسلامة الى ميناء كادس وكانت مراكب الحرب التي للملك فرنسة راسية خارج الاسكلة وايضا مراكب الحرب التي للملك اسبانية راسية قبالهم . فلما دخلنا بين هذه المراكب سلمنا عليهم بضرب المدافع فردت مراكب فرنسة واسبانية علينا السلام وبقي ضرب المدافع من الجانبين وصار الدخان عليهم مثل الضباب فدخلنا الميناء ورسينا فثاني يوم اتانا اصحاب من البلد في سنابك طالعونا الى البر فاخرجت صناديقي بامر رئيس الديوان الذي يسمى برسيدنته من غير ان يفتحوها ويفتشوها كالعادة . فمن بعد عشرة ايام رحت الى بلد سيويلية (Séville) اشبيلية لاخلص الفي‌غرش من قبطان مركب كان تدينها مني ليشتري عازة مركبه . فلما وصل الى كادس يسقوا على المركب واخذوه لان كان عليه دين لكنيسة سيويلية ثلاثين الف غرش فرحت انا ادعيت فحكم البرسيدنته بالحق وقال : قبل كل شيء يستوفي هذين الالفين غرش لانه لولا هذا المبلغ ما جاءكم المركب . فاعطوني اياها ورحت الى كادس واستكريت مع مركب هولانديزي حتى اتوجه الى رومية وكان معي خادمان من اولاد الارمن وكنت احضرت معي من الهند اربع درات وهي الطيور التي تسمى في لسان الفرنجي باپاكاي (ببغاء) (Perrouet) يتكلمون مثل الانسان وجبت ايضا قنديل فضة يساوي الف واربعمائة وخمسين غرشا وصنعته غريبة فقدمته الى سيدنا البابا والى كنيسة المجمع فلما رآه الكردينالية فرحوا فرحا عظيما بلطافة صياغته . وفي ذلك الحين انعم علي سيدنا البابا اينوسنسيوس الحادي عشر صاحب الذكر الصالح بوظائف لم اكن لائقا لها . والحمد لله الى الابد آمين .

معفون من اداء العشور لرؤساء الابرشيات على اننا قلبنا كتب التاريخ فلم نجد ما ينطبق على قول صاحب الرحلة ولربما خلط بين حادثين جرى الاول بين اليسوعيين في المكسيك وبين يوحنا بالافوكس مطران بوبلا ده لوس انجلوس وذلك قبل رحالتنا بأربعين سنة فطلب العشور من اليسوعيين فلم يرضوا وحكم لهم الكرسي الرسولي . اما بالافوكس فابتعد عن مدينته وزعم ان ذلك باغراء المرسلين . واخبار هذا الامر طويلة (اطلب تاريخ الرهبانية اليسوعية للمسيو كريتينو جولي المجلد ٤ الصفحة ٦٨ .. الخ) والثاني ارنان غريرو مطران مانيلا في الفيلبين من معاصري صاحب المقالة وقد ذكر في تاريخه انه دعا كهنة مانيلا الى اجتماع فاعتذر اليسوعيون فغضب المطران ولكنه لم تطل مدة غضبه فقبل عذرهم واعلن أسفه لما حدث وعاد الى ما كان عليه من مصادقتهم (اطلب(Historia delle Philipine p. 220وكريتينوجولي المجلد ٥ الصفحة ٢٢ .. الخ) .

(١٠٢) ارمغانات اي هدايا وهي كلمة فارسية الاصل جرى استعمالها في حلب وما بين النهرين .

(١٠٣) بشاكيش جمع باشكيش او باشكاش ذكرها المؤلف غير مرة في مقالته واراد بها البخشيش . وبخشيش كلمة فارسية من فعل بخشيون بمعنى اعطى وغفر .

(١٠٤) مرطبان كلمة فارسية يراد بها الاناء الذي تحفظ فيه الحلاويات والعقاقير وغيرها .

ملاح الألواح

في شرح

مراح الارواح

تأليف

العلامة بدرالدين محمود بن أحمد العيني

المتوفى سنة ٨٥٥هـ

حققه وعلق عليه

عبدالستار جواد

القسم الاول

تقـديم

بدرالدين العيني(١)

٧٦٢هـ ــ ٨٥٥هـ

هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود قاضي القضاة الحلبي الاصل ، ولد بعين تاب سنة ٧٦٢هـ ونشا بها وكان ابوه قاضيها . قرا مراح الارواح في التصريف على الشمس محمد الراعي ابن الزاهد والشافية وشرح الشمسية ورمز الكنون للامدي ، ثم قرا المفصل في النحو والتوضيح على العلامة جبريل بن صالح البغدادي تلميذ التفتازاني ، والمصباح في النحو على الشيخ خيرالدين القصير وتفقه بابيه وكان مولد والده سنة ٧٢٥هـ بحلب ووفاته سنة ٧٨٤هـ . وكان بدرالدين مشاركا في الفنون لا يمل من المطالعة والكتابة ، كتب بخطه وصنف الكثير وكتابته حسنة ظريفة مع السرعة وكان عارفا بالعربية والتصريف حافظا للغة كثير الاستعمال لحوشيها .

قال عنه السخاوي : « حدث وافتى ودرس مع لطف العشرة والتواضع وأخذ الفضلاء عنه من كل مذهب وقد قرات عليه الاربعين التي انتقاها شيخي من صحيح مسلم ، وقرض لي بعض تصانيفي ، ومن تصانيفه ملاح الالواح وقال انه اول تصانيفه وله من العمر تسع عشرة سنة » . لقد ولي العيني نظر الحسبة بالقاهرة سنة ٨٠١هـ ثم نظر الاحباس ثم قضاء الحنفية ودرس الحديث بالمدرسة المؤيدية وتقدم عند الملك برسباي فاختص به وارتفع شانه بحيث كان يقرا له التاريخ الذي جمعه بالعربية ويفسره له بالتركية لتقدمه باللغتين .

ولم يزل العلامة العيني ملازما للجمع والتصنيف حتى مات ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٨٥٥هـ ودفن من الغد بمدرسته التي انشاها وهي المدرسة البدرية بناها بمقابلة داره في حارة كنامة بالقرب من الجامع الازهر .

ويروى أنه كانت بين العيني وشيخ الاسلام ابن حجر منافسة واتفق أن مالت مئذنة المدرسة المؤيدية التي كانت على البرج الشمالي لباب زويلة وكان العيني شيخ الحديث فيها فقال ابن حجر :

لجامع مولانا المؤيد رونق
منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا
فليس على هدمي أضر من العين (ى)

فرد بدر الدين عليه بقوله :

منارة كعروس الحسن اذ جليت
وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا : أصيبت بعين قلت : ذا غلط
ما أوجب الهدم الا خسة الحجر (ى)

وكان الناظر على عمارتها من قبل بهاء الدين البرجي وقد عرض به تقي الدين بن حجة الحموي بقوله :

على البرج من بابي زويلة انشئت
منارة بيت الله للعمل المنجي
فاخنى بها البرج اللعين امالها
الا صرحوا ياقوم باللعن للبرج (ى)

(١) التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي ٣٧٥ وبغية الوعاة للسيوطي ٣٨٦ وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ ١ ص ٢٧٠ والفوائد البهية ٨٦ وتاريخ ابي اياس ٢ ــ ٣٣ وروضات الجنات ٤ ــ ٢١٥ ومفتاح السعادة ٢٢٥ .

مؤلفاتـه :

١ ـ شرح الهداية (فقه حنفي) أتمه سنة ٨٥٠هـ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، وقد سماه صاحب كشف الظنـون « النهاية » ونقل عنه بروكلمان ج ٢ صحيفة ٥٣ .

٢ ـ رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق ، طبع في بولاق سـنة ١٢٨٥هـ في جزءين وطبع في مصر سنة ١٢٩٩هـ .

٣ ـ عمدة القاري في صحيح البخاري . طبع في الاستانة سـنة ١٣٠٨هـ .

٤ ـ فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد [الشــواهد الصغرى] طبع في مصر سنة ١٢٩٧هـ .

٥ ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية [الشواهد الكبرى] . طبع على هامش خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي في مصر سنة ١٢٩٩هـ .

٦ ـ عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان . منه بعض أجـزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ومنه نسخة في ٢٤ جزءا في مكتبة بايزيد بالقسطنطينية ومنه نبذة طبعت ضمـن تواريخ الحروب الصليبية .

٧ ـ سيرة الملك المؤيد . منظومة . وقد جرد منها ابن حجـر الابيات الركيكة والتي بلا وزن فبلغت نحو اربعمائة بيت في كتاب سماه : « قذى العين من نظم غراب البين » .

٨ ـ شرح معاني الآثار .

٩ ـ شرح الكنز .

١٠ـ شرح المجمع .

١١ـ شرح عروض الساري .

١٢ـ طبقات الحنفية .

١٣ـ طبقات الشعراء .

١٤ـ مختصر تاريخ ابن عساكر .

١٥ـ شرح درر البحار .

١٦ـ تاريخ البدر في أوصاف اهل العصر .

١٧ـ ملاح الالواح في شرح مراح الارواح وقد ذكره السـخاوي في ذيل السلوك صحيفة ٣٧٨ وقال ان العيني الفه وهو ابن تسع عشرة سنة ، وهو كتابنا هذا الذي نقدمه .

ملاح الألواح :

لعل هذا الكتاب من أحسن الكتب التي الفت في الصرف فقد جمع فيه المؤلف قوانين هذا الفن باسلوب لطيف وجمـع للفوائد والفرائد من نحو وصرف .

وكتابنا هذا شرح للمختصر المشهور « مراح الارواح » الذي الفه احمد بن علي بن مسعود أحد علماء القرن الثامن أو التاسع للهجرة وقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة صحيفة ١٥١ أنـه مصنف المراح لكنه لم يقف على ترجمته . وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية من « مراح الارواح » كتبت سنة ٨٤٠هـ .

وقد شرح « المراح » عدة علماء عدا العيني أشـهرهم علاء الدين ابن الاسود سماه : المفراح في شرح مراح الارواح ومنه نسخة جميلة في مكتبة المتحف العراقي . وشرحه أيضا أحمـد ديكقوز وقد طبع شرحه مرارا وهناك ايضا في مكتبة المتحف شرح جيد للمراح لمؤلف مجهول .

اما ملاح الالواح فهو أفضل هذه الشروح وأوسعها .

نسخة الشرح الوحيدة :

النسخة التي بين يدي من « ملاح الالواح » نسخة فريدة في عالم المخطوطات ولم اوفق في العثور على نسخة اخرى من هذا الشرح في جميع فهارس المخطوطات والمصورات ، وهذا مما يجعل مهمة المحقق غاية في الصعوبة اذا كان هناك تصحيف أو تحريف في النسخ ، وهو ما موجود فعلا في هذه النسخة ويظهر مقدار ذلك بالنظر الى الحواشي التي كتبتها عليه .

عدد أوراق هذه المخطوطة ١١٨ ورقة كتب في كل صفحة ٢١ سطرا وحجمها ٢١×١٥ س . كتبت بخط جيد وعلى ورق أبيض سنة ١٠٩٢هـ ، ويقول ناسخها : « وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب في ليلة الاحد من شهر صفر المبارك من شهور سنة اثنتين وتسعين والف على يد اضعف العباد ، الى رحمة ربه الغني الجواد الفقير الشيخ محمد الحموي الامام في العليليات ضاعف الله له الحسنات وعفا عن السيئات وغفر له وللمسلمين آمين يا رب العالمين » . وقد كتب على الصفحة الاولى من هذه النسخة « كتاب شرح المراح في التصريف » للشيخ الامام العيني رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا به آمين . وربما كانت الصفحات من ١١ الى ١٨ كتبت بخط رجل آخر غير الحموي .

ويذكر العيني في نهاية الكتاب بانه فرغ من تسويده وتنميقه في العشر الاول من شهر ربيع الاخر من شهور سنة ٧٨٢هـ وهـو ابن احدى وعشرين سنة .

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ا) وربما ذكرت كلمة « الاصل » اشارة اليها .

وقد اعتمدت في تحقيق متن الكتاب وهو « مراح الارواح » لاحمد بن علي بن مسعود على النسخ التالية :

١ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (م) وهي موجودة فيمكتبة المتحف العراقي تحت رقم ٢٢٢٢ وعدد أوراقها ١٢١ ورقة من الحجم المتوسط ، كتبت سنة ١٠٩٦هـ وهي متن لشرح علاءالدين ابن الاسود المسمى « المفراح في شرح مراح الارواح » .

٢ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (ق) موجودة في مكتبـة الاوقاف تحت عنوان : مجموع صرف ، ورقم ١٢٣٤ وحجمهـا ٢٢×١٦ س كتبت بخط جميل وورق مذهب دون ذكر لتاريـخ نسخها ومعها في هذا المجموع متن العزي والمقصود والامثلة .

٣ ـ نسخة رمزت لها بالحرف (ح) وهي مجموعة الصرف التي طبعت في اسطنبول سنة ١٢٧٦هـ وفيها شافية ابن الحاجب ومراح الارواح وتصريف العزي والمقصود والبناء والامثلة .

التحقيـق :

لما كانت هذه النسخة من شرح العيني وحيدة فقد اعتمدت في ضبط نصوصها على أمهات كتب الصرف والنحو كشـرح الشافية للرضي وشرح التصريف الزنجاني للتفتازاني وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري والمنصف في شرح تصريف المازني لابن جني وعلى كتاب سيبويه وغيرها من المصادر ذكرت أهمها في نهاية الكتاب .

وقد كتبت عليه تعليقات تعزز الشرح بالشواهد وتضم اليه لطيف الفوائد واصلحت تحريفات الناسخ مشيرا الى ذلك في الحاشية . وقد عملت له فهرسا للالفاظ اللغوية والصرفيـة اضافة الى الفهارس المعهودة تسهيلا للراغب والله ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة المؤلف :

الحمد لله على توالي نعمه ، وترادف عفوه وكرمه والصلاة على نبيه الكريم ، محمد الجسيم الحظ في النعيم ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، مظهري الدين ومؤيدي الاسلام ، ما فاح مسك واورق عود ، وما لمع برق على الخدود ، والرضوان على علماء الدين ، ما قرىء المثاني والتين(١) .

اما بعد : فأن العبد الفقير الى رحمة ربه الغني ، محمود بن احمد العيني يقول : لما رأيت كتاب المراح الذي صنفه الشيخ الامام العالم الفاضل احمد بن علي بن مسعود نور الله مضجعهم وجعل الجنة مثواهم ، كتاباً مشتملاً على قواعد خمسة من قواعد التصريف وابحاث كثيرة ، وفوائد لطيفة ، وانه عار عن الشرح وهو محتاج اليه فاستخرت الله تعالى وانشأت له شرحا لطيفا يذلل الصعاب ، ويكشف عن مخدراته النقاب ، مع قصوري في هذا الفن من ثلاث جهات ، الاولى : قصور العلم والمادة ، والثانية : عدم الاهلية في هذه الصناعة ، والثالثة : كلال الذهن وقلة الفطانة . فهذا هو الذي يظهر عذري ويبسط اعتذاري ، ولكنه يسر لي في اتمامه ، ووفق في اختامه(٢) ، انه ميسر قدير وموفق جدير . فسميته بكتاب : (ملاح الالواح في شرح مراح الارواح)(٣) واستعيذه من حقد الحقود ، وطعن الطعان وحسد الحسود ، وأرجو أن يجعل سعيي مشكورا وذنبي مغفورا ونصيبي مبرورا ، انه غفار للذنوب وستار للعيوب .

قوله : « **قال المفتقر الى الله الودود** » .

اقول : اعلم ان المفتقر اسم فاعل من افتقر يفتقر أي احتاج ، وهو صفة موصوفها محذوف تقديره : العبد المفتقر . الالف واللام فيه بمعنى الذي لان الالف واللام في اسم الفاعل واسم المفعول(٤) تكون بمعنى الذي تقديره : الذي افتقر فلذلك قدر الموصوف وهو من الموصولات الاسمية فلابد له من صلة وعائد ، وموصول حرفي(٥) عند المازني ومن وافقه ، وحرف تعريف عند أبي الحسن(٦) فان قيل : ما الصلة في ذلك ، قيل له : الصلة في ذلك اسم الفاعل لان صلة الالف واللام التي بمعنى الذي ، لا تكون الا اسم فاعل او اسم مفعول مثال ذلك في التنزيل : الزانية والزاني والسارق والسارقة . اي : التي زنت والذي زنى والذي سرق والتي سرقت . فان قيل : فلم قلتم ان لابد له من صلة ، قيل له : لان الموصولات لاتفهم معناها بانفسها ، الا ترى أنك اذا قلت الذي مثلا من غير صلة لم يفهم المعنى بنفسه الا بعد أن تضم اليه شيئا من الجمل أو الظروف . فان قيل : فلم قلتم ان لابد من الانضمام الى الجمل أو الظروف ؟ قيل له : لان الموصولات مبهمات والمقصود من الصلة التبيين والتوضيح كالصفة ، وهو بالجملة أكثر من المفرد لانه لا يعرف ولا يوضح مثل الجمل ، واما الظروف فكذلك في معنى الجملة مثل : الذي في الدار زيد ، تقديره : الذي استقر فكان مقدراً بالجملة لا بالمفرد فان قيل فلم قلتم ان لابد له من عائد قيل له : لان الجملة مستقلة بنفسها مستغنية عن غيرها فلابد من رابطة لتربطها بما قبلها ، وتلك هي الضمير اللهم الا ان يكون الموصول حرفيا مثل أن المصدرية الناصبة للافعال وأن الثقيلة الناصبة للاسماء ، لان الصلة تجري مجرى الصفة والحرف لا يوصف وانما يوصف الاسم فاذن لا يحتاج الى ضمير يعود اليه لانه « لا يعود(٧) » الا الى شيء يصح الاخبار عنه ، والحرف لا يصح الاخبار عنه فلا يعود اليه الضمير .

---

(١) قال في مختار الصحاح : « المثاني من القرآن : ما كان اقل من المئين وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لانها تثنى في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضا لاقتران آية الرحمة بآية العذاب » .

(٢) كذا في الاصل ولعله أراد « اختتامه » بتاءين وهو من اختتم الشيء اذا بلغ خاتمته ، ويحتمل انه أراد ختامه باختلاس الالف .

(٣) لا تخفى المجانسة بين « مراح » و « ملاح » وهو ما يسمى بالجناس اللاحق .

(٤) سكت عن الصفة المشبهة لان ال الداخلة عليها نحو : الحسن ـ حرف تعريف ، ولابن هشام الانصاري رحمه الله كلام طريف فيها . ومعلوم ان ابن مالك هو الذي قال بالصفة المشبهة .

(٥) رد كثير من النحاة على المازني ومن وافقه بأنها لا تؤول بالمصدر ، وان الضمير يعود عليها كقولك « قد أفلح المتقي ربه » والضمير لا يعود الا على الاسماء . وقد رد المازني بأن الضمير يعود على موصوف محذوف ، وهو كلام لا ضرورة توجبه .

(٦) قال الصبان : « ولو كانت كذلك لمنعت من اعمال اسمي الفاعل والمفعول بمعنى الاستقبال أو الحال ، لابعادها لهما عن شبه الفعل كالتصغير ، وبدخولها على الجملة . وحجة ابي الحسن الاخفش ان العامل يتخطاها نحو : جاء الضارب كما يتخطاها مع الجامد نحو : جاء الرجل . ولا موضع لأل فيما ذكرنا من أمثلة ولو كانت اسما لكان موضع . وكان العلامة ابن يعيش يقول بحرفيتها .

(٧) زيادة يقتضيها السياق .

(**فوائد**) من خصائص الموصولات عدم جواز تقديم الصلة على الموصول لانها كالجزء المتأخر عنه أعني العجز ، والجزء المتأخر لا يتقدم على الكل ولا بعضها أيضا لانه اذا لم يجز تقديم الصلة عليه فكذلك لا يجوز تقديم بعضها عليه لان جزء الكلمة لا يتقدم على الكلمة . ومنها عدم جواز الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي لانها كالكلمة الواحدة . ومنها عدم اعمال الصلة فيه ، وذلك لانهما كالشيء الواحد فلو جوز اعمالها فيه يلزم تقديمها عليه لان رتبة العامل قبل رتبة المعمول ، فيلزم أن تكون الصلة قبل الموصول وذلك محال . ومنها(٨) عدم اعمالها في شيء قبله لانها انما تعمل فيما قبله(٩) لو جاز تقديمها عليه فلما لم يجز لم تعمل . ومنها جواز حذف العائد اذا كان مفعولا كقوله عز وعلا (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)(١٠) كحصول العلم بدونه مع كونه فضلة . فان قيل لم اختار المصنف لفظ الافتقار قيل له ، تأسيا وتبركا بقوله تعالى (والله الغني وأنتم الفقراء)(١١) التوصيف بالفقراء اعم واشمل من غيره نحو المحتاج والضعيف والمسكين فان قيل ينبغي أن يقول : الى الله الغني للمناسبة ، قيل له : أجل لكنه انما اتى به ليوافق الودود بالمسعود لاقامة السجع فان قيل لم اختار لفظة الله(١٢) ، قيل له لانه اسم الذات وهو مستجمع لجميع الصفات وانه أشهر أسماء الرب وأعلاها محلا في الذكر والدعاء ولذلك جعل أمام سائر الاسماء وخصت به كلمة الاخلاص ووقعت به الشهادة فصار شعار الايمان وهو اسم ممنوع لم يسم به أحد وقد قبض الله عنه الالسن فلم يدع به شيء سواه وقد كاد يتعاطاه المشركون اسما لبعض أصنامهم التي كانوا يعبدونها فصرفه الله الى اللات صيانة لحق هذا الاسم وذبا عنه .

وسائر الاسماء الربانية تحمل عليه ولا يحمل هو عليها ، ولا يوصف هو بها دون عكسه فيقال : الله غفور رحيم كريم ولا يقال : الغفور الله فعلم أنه اسم ذات الذات للمعبود بالحق ، ليس بالحق وليس بصفة فان قيل : هل هو مشتق أو اسم موضوع قيل له : اختلف العلماء فيه فروي عن الخليل بن احمد روايتان ، احداهما : انه اسم علم ليس بمشتق وهو قول الزجاج ومحمد بن الحسن والشافعي رحمهم الله . وهذه هي الاصح، ولا يجوز حذف الالف واللام منه كما يجوز من الرحمن الرحيم . والثانية وهي رواية سيبويه : انه اسم مشتق من اله يأله بفتح العين فيهما الاهة ومعناه : عبَدَ يَعْبُدُ عبادة ، ومنه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ويذرك والهتك)(١٣)بالكسر ، قال اى عبادتك والاله على وزن فِعال بمعنى مفعول لانه مألوه أي معبود فيسمى الاها كما يسمى الرجل اماما اذا أم الناس فأتموا به وكما يسمى الثوب رداء ولحافا اذا ارتدي به والتحف به ثم لما كان اسما لعظيم ليس كمثله شيء ارادوا تفخيمه بالتعريف الذي هو الالف واللام لانهم أفردوه لهذا الاسم دون غيره فقالوا الاله واستثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استعمالها فيها وفي وسط الكلام ضغطة شديدة فحذفوها ثم ادغموا اللام في اللام فصار الاسم كما نزل به القرآن . وقال بعضهم أصله من اله يأله بكسر العين في الماضي ، وفتحها في الغابر الها بفتح الفاء والعين أي سكن يسكن سكنا . انما سمى الله الها لسكون الخلق اليه في كل حوائجهم ، وقال بعضهم من تأله يتأله تألها أي تضرع يتضرع تضرعاً ، وانما سمي الله الها لتضرع الخلق اليه . وقال بعضهم من لاه يلوه أي : احتجب ، انما سمي الله إلٰها لانه احتجب عن ادراك الابصار والافكار لقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)(١٤) وقال الشاعر :

لاه ربي عن الخلائق طرا
خالق الخلق لا يرى ويرانا(١٥)

ولهذا قيل الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الطغيان وقلَّ النظر الصحيح . ومعاني جميع الاقوال التي سبق ذكرها موجودة في ذات الله تعالى ، فانه تعالى معبود في جميع عوالم الملك والملكوت والجبروت وسكون جميع الخلائق اليه وكل الخلائق يولهون(١٦) اليه في حوائجهم ويتضرعون اليه عند شدائدهم ويضرعون اليه في

(٨) في الاصل بعد قبله « ان » وهي زائدة وقد أسقطتها .
(٩) ا : فلم « وهو تحريف من الناسخ » .
(١٠) الآية ٢٦ من سورة الرعد .
(١١) الآية ٣٨ من سورة محمد .
(١٢) هو اسم مرتجل للعلمية غير مشتق وهو مذهب سيبويه وعليه صاحب القاموس وقد اختلف فيه العلماء على أكثر من ثلاثين قولا ذكرها شراح البسملة .
(١٣) الآية ١٢٧ من سورة الاعراف .
(١٤) الآية ١٠٣ من سورة الانعام .
(١٥) قال ابن يعيش : وزن لاهٍ : فَعْلٌ واشتقاقه من لاهَ يليهُ اذا تستر كأنه سبحانه يسمى بذلك لاستتاره واحتجابه عن ادراك الابصار وألف لاهٍ منقلبة عن ياء يدل على ذلك قولهم . « لَهيَ أبوكَ » .
(١٦) حكاه على الاصل وهو أَلِه وبابه طَرِبَ ومعناه فزع اليه.

كل ما يصيبهم من المصائب كما يوله كل طفل الى امه عند وجود هذه الاشياء . الودود : على وزن فعول وهو اسم مأخوذ من الود فيه وجهان ، أحدهما أن يكون فعولا في محل مفعول كما رجل هيوب بمعنى مهيب وفرس ركوب بمعنى مركوب ، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفون من احسانه اليهم وكثرة عوائده عندهم . الوجه الثاني : ان يكون الودود بمعنى الواد أي انه يود عباده الصالحين بمعنى ان يرضى عنهم بقبول أعمالهم وقد يكون معناه ان يودهم الى خلقه كقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)(١٧) .

قوله : ((**احمد بن علي بن مسعود**)) اقول :

احمد : مرفوع بأنه عطف بيان من قوله المفتقر وهو اسم غير صفة توضح ، ابن : مرفوع بانه وقع صفة . علي : مجرور باضافة ابن اليه ، والابن الثاني أيضا مجرور لكونه صفة لعلي ، والمضاف : كل اسم أضيف الى اسم آخر فان الاول يجر الثاني ويسمى الاول مضافا والثاني مضاف اليه . والاضافة على ضربين : معنوية ، أي مفيدة في المضاف تعريفا وتخصيصا ، ولفظية ، وهي اضافةاسم الفاعل الى مفعوله والصفة المشبهة الى فاعلها نحو : الضارب زيد وحسن الوجه . والاولى تجيء على ثلاثة اقسام ، بمعنى اللام وبمعنى من ، وبمعنى في . قال المالكي رحمه الله : وما قالوا ان الاضافة بمعنى في قليل – غير حسن فيه تسامح لانها ثابتة في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح كقوله عز وعلا : « وهو الد الخصام »(١٨) وقوله : « للذين يولون من نسائهم تربص أربعة اشهر »(١٩) وقوله : « يا صاحبي السجن »(٢٠) وقوله : « بل مكر الليل والنهار »(٢١) وكقوله عليه السلام : « فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة » وقول العرب : شهيد الدار ، وقتيل كربلاء . فان قيل : ما الفرق بين الاضافة بمعنى اللام وبمعنى من ؟ قيل له : ان المضاف في الاضافة التي بمعنى من يكون من جنس المضاف اليه كقولك : « خاتم فضة » لان الخاتم مصنوع من الفضة ، وكقولك : « ثوب خز » لان الثوب من جنس الخز ، ولا كذلك في الاضافة بمعنى اللام ، او ان الاضافة التي بمعنى اللام لا يصح فيها ان تنصب الثاني على التمييز فلا يصح ان يقال : « هذا غلام زيدا » والتي بمعنى من يصح فيها ذلك ، فتقول : « هذا ثوب خزا » على التمييز لانه تمييز عن سائر الاجناس ، او ان الاضافة التي بمعنى من يجوز فيها ان يوصف فيها المضاف بالمضاف اليه عند الفك ، كقولك : خاتم فضة ، على الوصفية ، ولا كذلك في التي بمعنى اللام . فان قيل : ماوجه الانحصار في ذلك الى ثلاثة اقسام ؟ قيل له : ان المضاف لا يخلو اما ان يكون من جنس المضاف اليه ، أو لم يكن ، أو كان المضاف اليه طرف المضاف فالاول بمعنى : من ، والثاني بمعنى : اللام ، والثالث بمعنى : في .

قوله : ((**غفر الله له ولوالديه ، وأحسن اليهما واليه**)) اقول :

غفر : فعل ماضي ، الله : فاعله . هذه جملة لا محل لها من الاعراب لانها جملة واقعة موقع الدعاء ، اخبار بمعنى الانشاء ، تقديره : اللهم اغفر له . والجمل أنواع ، منها ما لا يكون لها موضع من الاعراب كالجملة المفسرة والمعترضة ، والجملة الدعائية ، والصلة المبدوءة . ومنها ما لا يكون لها موضع (من)(٢٢) الاعراب كالجملة الوصفية والحالية والخبرية والجزائية والمضاف اليها .

ولوالديه : معطوف على له ، وأحسن : عطف على غفر . العطف : تابع مقصود بالنسبة مع متبوعة ووجب أن يكون المعطوف في حكم المعطوف عليه ، في كل ما جاز وامتنع ، وليس المعطوف في حكم المعطوف عليه في جميع الاشياء وإلا لم يجز ان يقال : يازيد والحارث « ورب شاة وسخلتها » ويعطف الماضي على الماضي والمضارع ولا يعكس الامر الا لنكتة . فان قيل : ما قلتم في قوله تعالى « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله » (٢٣) قيل تقديره : وصدوا ، والمضارع ينقلب الى الماضي كما بالعكس ، فان قيل : لم قدم نفسه بالغفران ، واخر في الاحسان ، قيل له : اتباعا لخليل الرحمن، حيث قال في القرآن « رب اغفر لي ولوالدي »(٢٤) حيث قدم نفسه في الغفران . أو لانه انما قدم نفسه في الدعاء ليكون مستجاب الدعوة ، واما انه اخر نفسه في الاحسان ، فللادب . فان قيل : كيف جاز لابراهيم عليه السلام ان يستغفر لابويه وكانا كافرين ؟ قيل له : وما كان استغفار ابراهيم

(١٧) الآية ٩٦ من سورة مريم .

(١٨) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة .

(١٩) الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٢٠) الآية ٤١ من سورة يوسف .

(٢١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

(٢٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٣) الآية ٢٥ من سورة الحج .

(٢٤) الآية ٢٨ من سورة نوح .

لأبيه الا عن وعدة وعدها اياه ، وقيل أراد بوالديه آدم وحوى صلوات الله عليهم أجمعين .

قوله : « اعلم ان الصرف[٢٥] ام العلوم والنحو ابوها » اقول :

اعلم ان العلوم الادبية منحصرة في اثنى عشر قسما وهي مذكورة في المطولات ومن جملتها علم (الصرف)[٢٦] وهو : يعرف به أحوال ابنية الكلم التي ليست باعراب . ثم اعلم بأن لكل علم سواء كان من العلوم العقلية أو من غيرها ، اجزاء ثلاثة — وهي : الموضوع والمبادىء والمسائل ، هذا على راي البعض[٢٧] ، فموضوع كل علم ، ما يبحث فيه عن اغراضه الذاتية ، ومبادئه : هي ما تتوقف عليه مسائل كحدود الموضوعات ، وحدود اجزائها وحدود اغراضها . والمسائل : هي التصديقات التي يبرهن عليها في العلم اذا كانت كسبية ، فنقول : موضوع التصريف اما بنفس ابنية الكلم وهو الاصح ، أو أحوالها كما يشعر به كلام الشيخ ابن الحاجب في تعريفه للتصريف[٢٨] . اما على الوجه الاول فالاعراض الذاتية له ، هي كون البناء ماضيا ومضارعا وامرا واسم فاعل واسم مفعول والصفة المشبهة الى آخر ما ذكره الشيخ ابن الحاجب .

وأما على الوجه الثاني : فالاعراض الذاتية له هي عوارض تلك الاحوال لكونها ثلاثية ورباعية ومجردة ومزيدة وصحيحة ومعتلة الى غير ذلك .

وأما مبادئه : فكحد نفس بناء الكلمة ، وحد عوارضه كحد الماضي والمضارع والامر واسم الفاعل الى غير ذلك من تصريفات أحوال أبنية الكلم .

واما مسائلة : فكالحكم على بناء الكلمة بأنه قد يكون ثلاثيا وقد يكون رباعيا وقد يكون مجردا وقد يكون مزيدا فيه وقد يكون صحيحا وقد يكون معتلا وقد يكون مضاعفا وقد يكون مهموزا الى غير ذلك من الاحوال التي يحكم بها في علم التصريف على ابنية الكلم أو على نوع أبنية الكلم ، أو على اعراضها او عليها جميعا ، فقد تحقق من هذا التحرير تعريف كل من الموضوعات والمبادىء والمسائل . ثم التصريف مشتمل على العلل الاربع.

الفاعلية وهي الشخص المستنبط له من لغة العرب بسبب الاستقرار والمفنن له والمدون اياه بواسطة قوة العاقلة ، والغائبة : وهي ما لأجل الشيء وهي ههنا الاطلاع على الاحوال الجزئية لأبنية الكلم في المواد الجزئية والاحتراز عن الخطأ في اللفظ فيما يرجع الى بنائه . والمادية : وهي أجزاؤه الثلاثة التي ذكرنا في المبادىء والمسائل والموضوع . والصورية : وهي الهيئة الطارئة على تلك الاجزاء الثلاثة والصورة الوجدانية العارضة لها عند التدوين والجمع . ثم اعلم ان قراءة اللغة والتصريف والنحو لازمة ، وكذلك تقديم مقدمة منها على سائر العلوم لان لكل علم رتبة ، ورعاية كل شيء في مرتبته لازمة ، ورتبة اللغة والتصريف تقديمها على النحو ورتبة النحو تقديمه على الفقه والحديث والتفسير وغيرها . لانها آلات ووسائل خصوصا علم النحو ، لان معرفة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم — الدالين على ذاته وصفاته كلها محتاجة الى النحو . والتفاسير مجموعة بالروايات عن سيبويه والاخفش والفراء والكسائي وغيرهم من البصريين والكوفيين وكذا افتقار الفقه اليه بَيِن" لا يدفع وظاهر لا يقنع ، لان معظم ابوابه يبحث عن الاستثناء بأنه نحو ، وعن التعريفين — تعريف الجنس وتعريف العهد — فانه نحو ، وعن الحروف كالواو والفاء وثم وغير ذلك ، وعن الفرق بين « أن » و « أن » و « اذا » و « متى » و « كلما » وما ضاهاها فان ذلك كله نحو . وجاء في الخبر عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « رحم الله امرأ أصلح لسانه » وقال : « اعربوا في الكلام لتعربوا في القرآن فان الله يحب أن تعرب آياته » ، وقال عمر رضي الله عنه : تعلموا العربية فانها تزيد في العقل والمروءة . وقال حماد بن سلمة رضي الله عنه : من طلب الحديث ولم يتعلم النحو ، فهو مثل الحمار تتعلق عليه المخلاة وليس فيها علف . والجمال يحصل به فان العباس رضي الله عنه قال : « فيم الجمال يارسول الله ؟ فقال عليه السلام : في اللسان يا عمي » . جئنا الى حل الالفاظ — فقوله : اعلم — أمر" من عَلِمَ يَعْلَم وفيه ضمير مستتر فاعل له ، وهو من افعال القلوب يستدعي المفعولين الممتنع الاقتصار على أحدهما . وأن : حرف من الحروف[٢٩] المشبهة بالفعل وهي ستة[٣٠] : أن

---

(٢٥) أ — التصريف .

(٢٦) الزيادة من ب .

(٢٧) لعله يريد الشريف الجرجاني صاحب التعريفات وهذا كلامه بعينه . تعريفات ص (٢١٢) .

(٢٨) تعريف ابن الحاجب للصرف هو : « علم باصول تعرف بها احوال ابنية الكلم التي ليست باعراب » .

(٢٩) أ : حروف .

(٣٠) وقيل ثمانية بزيادة عسى ، ولا التبرئة ، وكان سيبويه يعدها خمسة لان المفتوحة فرع المكسورة على رأيه .

وان ولكن وليت ولعل وكأن ، وهي من دواخل المبتدأ والخبر أن ههنا مع اسمها خبرها ساد مسد المفعولين لأعلم . فان قيل بأنها من افعال القلوب ؟ قيل له : لانها للشك أو اليقين ، فكلاهما من خصائص القلوب فان قيل : فلم قلتم انها مشبهات بالفعل ؟ قيل له لانها اشبهت الفعل من حيث ملازمتها للاسماء وكون اواخرها مبنية على الفتح كالافعال الماضية ، ولانها على ثلاثة أحرف فصاعدا كالفعل ، فلما اشبهت الفعل من هذه الوجوه اجريت مجراه في أن جعل لها مرفوع ومنصوب . فان قيل : قال أعلم ولم يقل افهم أوغير ذلك ؟ قيل له : لان لفظة اعلم كلمة بينة[٣١] تستعمل في أوائل الكتب ليتبينه القارىء في الابحاث الآتية . ثم التصريف في اللغة عبارة عن التغيير ومنه تصريف الرياح وهو تحويلها من حال الى حال جنوبا أو شمالا وصبا ودبورا ، وفي الاصطلاح التعريف : تحويل الاصل الواحد اسما الى التوحيد أي حال كونه اسما الى التوحيد والتثنية والجمع ونحو ذلك مصدرا الى الفاظ مختلفة كالماضي والمضارع والامر والنهي والنفي والجحد واسمي الفاعل والمفعول . وقيل : التصريف عبارة عن القواعد الموصلة الى احوال الابنية غير النحوية ، كما انك اذا علمت ان الحرفين المتجانسين متى اجتمعا ، فهو من صور الادغام اما وجوبا كمد أو جوازا كلم[٣٢] تمد واما امتناعا كيمدون ، وكذلك اذا علمت ان الحروف الجازمة اذا دخلت في الكلمة لابد ان تسقط اما حركة ، أو ما يقوم مقامها وغير ذلك من الامثال . فان قيل لم اختار التصريف على الصرف ؟ قيل له : لان علم التصريف علم شريف وفيه تصرفات كثيره وذكره بلفظ فيه مبالغة أو لانه اتبع قوله تعالى وهو أفصح الكلام وابلغه[٣٣] « وتصريف الرياح »[٣٤] فان قيل : فقد جاء لفظ الصرف أيضا في قوله تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن »[٣٥] فمن اين الترجيح قيل له : الجواب ما ذكر والترجيح بالمبالغة وهي وجود الفائدة الزائدة فان قيل : ما اللغة ؟ قيل له : اللغة ما يعبر كل قوم عن أغراضهم ، وقيل اللغة : ما يفهم عن طريق وضع العرب . والاصطلاح عبارة عن الفاظ مخصوصة بطائفة من طوائف اهل العلم مثل : الرفع والنصب والجر لاهل النحو ، والتركيب والترتيب والتمثيل لاهل التصريف وغير ذلك .

الاصطلاح : مواصفات في العلوم يستدل بها علماؤها على مقاصدهم ، فان قيل : ما المراد من الام ؟ المراد من الام هو الاصل كما في قوله تعالى « أم الكتاب »[٣٦] أي أصل الكتاب . فان قيل : لم سمي علم التصريف أم العلوم وعلم النحو ابوها ؟ قيل له : كما ان الام تتولد منها[٣٧] الاولاد فكذلك التصريف تتولد منه الالفاظ ، وكما ان الاب سبب لاصلاح الفراش فكذلك النحو سبب لاصلاح اللفظ وكما ان الاب يمنع اولاده من الوقوع في الفساد ، فكذلك النحو يمنع المتكلم من الوقوع في الفساد اعني : الخطأ في الاعراب . فان قيل لم قدم التصريف على النحو ؟ قيل له : لان الكتاب في التصريف ، أو لان في التصريف بنية الكلمة وبالنحو حالها ، وبنية الكلمة بمنزلة الذات ، وحالها بمنزلة الصفة ومعرفة الذات مقدمة على معرفة الصفات . والنحو في اللغة عبارة عن القصد يقال : نحوته أي قصدته ، والنحو : الطريق ويقال : نحو ذلك ، اي مثل ذلك ، وفي الاصطلاح : النحو علم مستنبط بمقاييس كلام العرب مختص بآخر الكلمة يعرف به[٣٨] صحة تأليف كلامهم وفساده .

قوله : « **ويقوى في الدرايات داروها ، ويطغى في الروايات عاروها** » .

اقول : اي يعتقد في الادراكات عالموها ، ويضل في المنقولات جاهلوها ، ومحل الهاء في داروها وعاروها الجر بأنها وقعت مضافا اليها ، يدل عليها سقوط النون من دارون وعارون ، اصلهما داريون وعاريون كرامون اصله : راميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الراء بعد سلب حركتها ثم حذفت الياء لاجتماع الساكنين وهما الياء وواو الضمير ، وكذلك اعلال رامون فصرن على زنة « فاعون » والضمير فيهما عائد الى التعريف ، وانما انثه باعتبار الام لانه قال : ان التصريف أم العلوم أو باعتبار القواعد .

قوله : « **فجمعت فيه كتابا موسوما[٣٩] بمراح الارواح ، وهو للصبي جناح النجاح ، وراح**

(٣١) أ : بينة بتقديم النون على الياء وهو تحريف .
(٣٢) أ : لكم وهو تحريف .
(٣٣) أ : وابلغ .
(٣٤) الآية ١٩ من سورة الفرقان .
(٣٥) الآية ٤١ من سورة الاسراء .
(٣٦) الآية ٧ من سورة آل عمران ، وكذلك وردت في الآية ٣٩ من سورة الرعد والآية ٧٤ من سورة الزخرف .
(٣٧) أ : منه .
(٣٨) أ : بها .
(٣٩) ق : مرسوما بالراء المهملة .

رحراح(٤٠) وفي معدته (٤١) راح مثل تفاح أو راح » .

اقول : اي اذا تمهد هذا ، فجمعت فيه : اي في التصريف الفاء : للسببية . موسوما ، اي مسمى ، نصبه على الوصفية . الكتاب مصدر لكن المراد منه المكتوب ، كما ان المراد من الحساب المحسوب . الجار والمجرور في بمراح الارواح تتعلق بموسوما . المراح : يجوز أن يكون مصدرا ميميا من راح يروح ، كمقال من قال يقول ، وان يكون اسم موضح . وبكسر الميم النشاط لكن الميم اصلية ويكون من مرح يمرح اذا فرح ونشط، كما في التنزيل « ولا تمشي في الارض مرحا »(٤٢) الارواح : جمع روح ، والرُوح والرَوح ــ بضم الراء وفتحها ــ والرّاحة : كلها من الاستراحة . ويقال : يوم رَوْح اي طيب . قال الله تعالى « فرَوح وريحان »(٤٣) اي رحمة طيبة . النجاح: هو الفوز والنجاة ، وهو مبتدأ وجناح النجاح خبره ، والمراد في الصبي : المبتدىء لان الصبيان غالبا يقرؤون مثل هذا المختصر ، والصبي ــ على زنة « فعيل » من صبا يصبو اذا مال فلذلك يسمى الصبي صبيا لانه يميل الى كل شيء ، من لعب الى لعب ، وقيل لانه يميل الى جهل . وقوله : وراح : اي طريق رحراح اي واسع والراح والرحرحان بمعنى واحد وهو الطريق الواسع . ويقال : عيش رحراح اي واسع طيب والراح : تجيء جمع راحة وهي الكف . وقوله : وفي معدته حين راح : اي(٤٤) حين بات والضمير في معدته عائد الى الصبي . والراح : الخمر واساميها كثيرة(٤٥) منها : الراح والقرقف والشمول والقهوة والخندريس وبنت كرم والسلاف والعذراء والمدام . وانما شبه التعريف بالتفاح الراح لان التفاح له منافع كثيرة واغلب ما يكون من الاشربة من مائه لقوة منفعته ، ولكثرة فائدته ولشدة صفائه حتى قيل : عجبت لمن راح وفي معدته تفاح أو راح ، والمشابهة هي الاشتراك بين الشيئين في وصف ظاهر . والتشبيه على اربعة اقسام : تشبيه المحسوس بالمحسوس نحو « خد زيد كالورد » وتشبيه المعقول بالمعقول نحو « العلم كالحياة » وتشبيه المعقول بالمحسوس نحو « التصريف في الكلام كالتفاح في المعدة » و « النحو في الكلام كالملح في الطعام » وتشبيه المحسوس بالمعقول نحو « العطر كخلق الكريم » .

قوله : **« وبالله اعتصم مما(٤٦) يصم واستعين وهو نعم المولى ونعم النصير »(٤٧)** .

اقول : الجار والمجرور متعلقة بأعتصم وتأخير الفعل يدل على الاختصاص ، وذلك لان الاختصاص انما يحصل بتقديم الاسم وتأخير الفعل كما في قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين »(٤٨) فان قيل : فلم قدم الفعل على الاسم في قوله تعالى « اقرا باسم ربك »(٤٩) قيل له : انما قدم الفعل على الاسم هناك لان تقديم الفعل فيه اهم لانها اول سورة نزلت في القرآن وكان الامر بالقراءة اهم لان المقصود ، هو القراءة لتبليغ الرسالة واظهار المعجزة . والعصمة : هي الوثقة ــ يقال : مال معصوم : اي موثوق ومحفوظ . والاعتصام مأمور به في قوله تعالى « واعتصموا »(٥٠) ومن اعتصم بالله فقد هدى لقوله تعالى « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »(٥١) والوصم : هو العيب ، اي وبالله أعتصم من كل ما يصم أي يعيب ــ أصله « يوصم » حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة ، كما في يعد . واستعين : اي اطلب العون من الله ، والسين للسؤال . او استعين على عبادتك أو على ما خلقتنا له من عبادتك ، أو على محاربة الشيطان الذي يمنعنا عن عبادتك ، أو استعين في امورنا بما يصلحنا في ديننا ودنيانا وهو نعم المولى ونعم النصير . واعلم : ان ــ نِعمَ ــ من افعال المدح كما أن بئس ــ من افعال الذم ، وهما فعلا ماض عند البصريين(٥٢) والكسائي ، وعند

(٤٠) ق : رحيراح بالتصغير .
(٤١) ق : معيدته بالتصغير .
(٤٢) الآية ٣٧ سورة الاسراء .
(٤٣) الآية ٨٩ سورة الواقعة .
(٤٤) أ : الى .
(٤٥) ذكر الشيخ شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٥٩هـ في « حلبة الكميت » اكثر من مئة وثلاثين اسما لها .

(٤٦) ق : عما .
(٤٧) ق ، م : المعين .
(٤٨) الآية ٥ سورة الفاتحة .
(٤٩) الآية ١ سورة العلق .
(٥٠) الآية ١٠٣ سورة آل عمران .
(٥١) الآية ١٠١ سورة آل عمران .
(٥٢) استدلوا على فعليتهما بدليل اتصال تاء التأنيث الساكنة بهما كقوله ــ ص ــ من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل ، واستدل الكوفيون على اسميتهما بدخول حرف الجر كقول بعض العرب وقد بشر ببنت « والله ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة » وقول احدهم وقد سار الى محبوبته على حمار بطيء « نعم السير على بئس العير » ورد الجمهور على

الفراء هما اسمان بدليل قول العرب : « يا نعم المولى » و « يا نعم النصير » وان لم يكن اسما لما دخل عليه حرف النداء وحجتهم على فعليتها جواز دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما نحو « نعمت » و « بئست » والجواب عن قوله ان المنادي ها هنا محذوف تقديره : يا الله نعم المولى ويا الله نعم النصير . فان قيل : لم خص الماضي للمدح والذم ؟ قيل له : لان المضارع يشترك فيه الحال والاستقبال وهو على شرف الزوال والانتقال فلا يصلح أن (يكون)[٥٣] للدلالة على الثبوت والاستقرار لان المراد فيهما (الثبوت)[٥٣] والاستقرار . وأما الماضي فهو ماض ابدا ، فهو بمعنى الاستقرار[٥٤] أصلح وبمعنى الدلالة على الثبوت أدل . ومن حكمهما ان لابد لهما من اسم مرفوع وهو فاعلهما ، ومن اسم آخر . وهو المخصوص بالمدح أو الذم ، فالفاعل اذا كان مظهرا وجب أن يكون اسما معرفا باللام[٥٥] أو مضافا الى ما فيه لام الجنس نحو « نعم الصاحب » أو « نعم صاحب القوم زيد » واذا كان مضمرا يميز بنكرة منصوبة نحو قوله تعالى « فنعما هي »[٥٦] نعم فيه : مسند الى الفاعل المضمر ويميز ما وهي نكرة لا موصولة ولا موصوفة ، والتقدير : فنعم شيئا هي ، وقد يجمع بين الفاعل الظاهر وبين المميز تأكيدا فيقال : « نعم الرجل رجلا زيد »[٥٧].

قوله : **« اعلم أسعدك الله[٥٨] ان الصراف[٥٩] يحتاج في[٦٠] معرفة الاوزان الى سبعة أبواب : الصحيح والمضاعف والمهموز والمثال والاجوف والناقص واللفيف »** .

اقول : أسعد : فعل ماضي ، وكأنه خطاب للقارىء ، مفعول . والله : فاعل له ، ولا محل لها من الاعراب لما مربيانه ، فان قيل ان الصراف يحتاج الى التصريف ولا يحتاج الى معرفة الاوزان[٦١] ــ قيل باعتبار ما يؤول اليه كما في قوله تعالى « اني أراني أعصر خمرا »[٦٢] ونظم الكلام يقتضي ان يقال عنبا لكن ذكره باعتبار ما يؤول اليه وهذا طريق من المجاز .

الاوزان : جمع وزن والوزن والزنة ما يوزن به الكلام ، فان قيل ما وجه الانحصار الى سبعة ؟ قيل له : الكلمة لا تخلو اما أن تكون فيها حرف علة او همزة أو تضعيف أو لا ، فان لم يكن فهي الصحيح ، فان كان فلا يخلو اما ان يكون همزة او تضعيفا أو حرف علة . فان كان همزة أو تضعيفا فهي المهموز والمضاعف وان كان حرف علة فلا يخلو اما ان تكون واحدة أو أكثر فان كانت واحدة فلا يخلو اما ان تكون في الاول او في الوسط او في الاخير فان كان في الاول فهو « المثال » وان كان في الوسط فهو « الاجوف » وان كان في الاخير فهو « الناقص » . وان كان أكثر فهو « اللفيف » . واللفيف ايضا قسمان : لفيف مفروق ولفيف مقرون ، لانه اذا افترقا فهو المفروق واذا اقترنا فهو المقرون .

قوله : **« واشتقاق[٦٣] تسعة اشياء من كل مصدر وهي : الماضي والمستقبل والامر والنهي واسما[٦٤] الفاعل والمفعول والمكان والزمان والآلة[٦٥] وكسرته[٦٦] على سبعة أبواب »** .

اقول : هذا عطف على قوله سبعة أبواب ، أي الصراف يحتاج ايضا الى معرفة اشتقاق تسعة أشياء وهي : الماضي والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان واسم الآلة . فان قيل ما وجه الانحصار ؟ قيل له المشتق لا يخلو اما ان يكون فعلا أو اسما ، فان كان فعلا فلا يخلو اما ان يكون اخباريا أو انشائيا ، فان كان

هذا القول بأن الاصل في ذلك « ماهي بولد مقول فيه نعم الولد » فحذف الموصوف وصفته واقيم معمول الصفة مقامها . راجع الانصاف في مسائل الخلاف لابي الانباري فقد بسط القول فيها .

(٥٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٥٤) أ : الاستمرار ، تحريف .
(٥٥) أ : بلام .
(٥٦) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .
(٥٧) اجاز المبرد وابن السراج والفارسي وابن مالك الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر للتوكيد كقول الشاعر :

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت
رد التحية نطقا او بايماء

ومنع ذلك سيبويه والسيرافي وحجتهما ان التمييز لرفع الابهام ، ولا ابهام مع ظهور الفاعل ، وقول الاخطل :

والتغلبيون بئس الفحل فحلهم
فحلا وامهم زلاء منطيق

وقيل « فحلا » حال مؤكدة .

(٥٨) م : اسعدك الله تعالى في الدارين .
(٥٩) أ : الصرف .
(٦٠) أ : الى .

(٦١) أ : ان الصراف يحتاج والصراف لا يحتاج الى معرفة الاوزان ، ولعل الصواب ما اثبت .
(٦٢) الآية ٣٦ من سورة يوسف .
(٦٣) ق بعده : في .
(٦٤) ق ، م : اسم .
(٦٥) ق : وللاله . تحريف .
(٦٦) ق ، م : فكسرته .

اخباريا فلا يخلو اما ان تتعاقب في أوله احدى الزوائد الاربع(٦٧) أولا فان لم تتعاقب فهو الماضي ، وان تعاقبت(٦٨) فهو المضارع . وان كان انشائيا فلا يخلو اما ان يدل على طلب الفعل او على طلب ترك الفعل ـ فالاول هو الامر والثاني هو النهي . وان كان اسما فلا يخلو اما أن يكون مشتقا من فعل لمن قام به ، بمعنى الحدوث ، أو يكون مشتقا من فعل لمن وقع عليه ، أو يكون دالا على ما يعالج به الفاعل المفعول ، لوصول الاثر اليه ، أو يكون دالا على ما وقع الفعل فيه ، فالاول هو اسم الفاعل والثاني هو اسم المفعول ، والثالث هو اسم الآلة والرابع هو أسماء الزمان والمكان . فان قيل أين النفي والجحد مع انهما من المشتقات ؟ قيل له : ان النفي يشبه النهي بصورته والجحد يشبهه بمعناه ، فحينئذ لا يفتقر الى ذكرهما ، وقوله : وكسرته أي جمعته وطويته وجعلته مشتملا على سبعة ابواب ، وهو مستعار من كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما اليه وانقض للوقوع .

الباب الاول

ـ في الصحيح ـ

قوله : **« الصحيح هو الذي ليس في مقابلة الفاء والعين واللام حرف علة وتضعيف(٦٩) وهمزة نحو : ضرب »(٧٠) .**

اقول : هذا شروع في المقصود ، والباب : هو النوع ـ قال عليه السلام : « من فتح بابا من العلم » اي نوعا . الباب : رفع بأنه مبتدأ والجار والمجرور في(٧١) (محل الرفع خبره ، والجملة لا محل لها من الاعراب لكونها ابتدائية ، والالف واللام في ـ باب ـ للعهد وليس للجنس لانه لا يراد به معنى لفظ الباب ، ولا للاستغراق لانه لم يرد كل ماصدق عليه الباب من افراده ، والاول صفة للباب . ومثل بضرب لامرين : احدهما انها من ذوات الثلاثة وأقل ما يكون الفعل عليه ثلاثة حروف ، والقليل أصل والكثير فرع عليه ولذا ابتدأ بالاصل .

والثاني انه ليس في مقابلة الفاء والعين واللام من « ضرب » حرف علة .

واعلم ان الكلمة اذا أريد وزنها تقابل أصولها بالفاء والعين واللام ، مع اعطاء التحرك والسكون الاصليين ، فيقال في وزن ضرب فعل ويقال في وزن فلس « فعل » بسكون العين ، وفي وزن باع من الاجوف ومد من المضاعف « فعل » بفتح العين فيهما لان أصلهما قبل القلب والادغام بيع ومدد بفتح العين فيهما . وكذلك يقال في وزن هاب من الاجوف ومل من المضاعف « فعل » بكسر العين ، لان الاصل هيب وملل بكسر العين . فان بقي من اصول الكلمة شيء زدت لاما ثانية فتقول في وزن عبقر من الرباعي « فعلل » وتزيد لاما اخرى في الخماسي فتقول في وزن حجمرش « فعللل » بلامات ثلاث . هذا مذهب البصريين وهو الصحيح ، اما الكوفيون فقد قالوا ان مازاد على الثلاثة زائد) ويعبر عن الزائد بلفظه ، أي بلفظ ذلك الزائد الا المبدل من تاء(٧٢) الافتعال في نحو ضرب وطرد وصلح اذا نقلتهما(٧٣) الى باب الافتعال قلبت تاء الافتعال فيهما طاء فتعين فيهما تاء(٧٤) الافتعال الذي هو مبدل منه لا بالطاء الذي هو البدل ، فيقال(٧٥) اضطرب واطرد واصطلح على وزن « افتعل » لمجيء افتعل وعدم « افطل »(٧٦) ، ولان افتعل أخف من افطعل فالمصير الى ما هو اخف أولى ، الا المكرر للالحاق او التكرير فانك تعبر عن الحرف المكرر بما تعبر عن الحرف الاصلي لا بلفظ ذلك المكرر فتقول : جلبب على وزن « فعلل » لا على وزن « فعلب » واحمر على وزن افعل « لا على وزن » افعلر « وعلم على وزن فعل » لا على وزن « فعلل » وذلك لكون الحرف الملحق جاريا مجرى الصحيح فيعبر عنه(٧٧) بما يعبر عن الحرف الاصلي ، واعلم أن ما لا يقابل بمثله على قسمين : احدهما المبدل من تاء(٧٨) الافتعال ، فانه يقابل بتاء الافتعال على ما سبق

---

(٦٧) هي الحروف الداخلة على المضارع ويجمعها قولهم « نأيت » .

(٦٨) في الاصل : تعاقب .

(٦٩) ق : والتضعيف .

(٧٠) هذا عند الصرفيين ، اما عند النحاة فهو اسم لم يكن في آخره حرف علة .

(٧١) سقط بعد حرف الجر من اصل المخطوط مقدار ورقة ورغم البحث الطويل لم اوفق في العثور عليها والنسخة التي عندي نسخة يتيمة ، على ان الكلام الساقط لم يؤثر في الشرح لانه معقود لكيفية الوزن وقد اتممت مانقص وحصرت كلامي بين المعقوفتين والله أعلم .

(٧٢) أ : ياء .

(٧٣) نقلهما في أ .

(٧٤) أ : بتاء .

(٧٥) أ : فلا يقال فهو تحريف .

(٧٦) اجاز العلامة الرضي ذلك .

(٧٧) أ : عنها .

(٧٨) أ : ياء بالوحدة التحتانية .

والثاني ـ المكرر سواء كان للالحاق(٧٩) كجلبب وقردد(٨٠) أو غير الالحاق كعلم وسواء كان من حروف « هويت السمان » ، أي التي لا تكون الزيادة لغير الالحاق والتكرير الامنها نحو حلتيت(٨١) وسحنون(٨٢) وعثنون(٨٣) أو من غيرها كما سبق في جلبب وقردد فان الاوزان كلها بما يقابل مقدمها كأن التكرار يقتضي الحكم على المكرر بزنة ما قبله ان لم يمنع مانع ، ومن ثم كان حلتيت(٨٤) « فعليلا » لا فعليتا ، وسحنون وعثنون « فعلول » لافعلون ، لمجيء الفعلول ولعدم الفعلون . وأما عفريت(٨٥) وكبريت فنادران ، وسحنون وان صح فتح السين ففعلون كحمدون(٨٦) لافعلول وصعفوق(٨٧) وخرنوب ضعيفان وسمنان(٨٨) فعلان لا فعلال وخزعال(٨٩) نادر وبطنان « فعلان » لافعلال ، وقرطاس ضعيف والقياس كسر القاف مع انه نقيض ظهر ان بضمّ الظاء .

والحلتيت ما سقط من الاشجار وسحنون ـ ضما وفتحا ـ رجل ، وعثنون : رأس الحية ، وصعفوق : اسم رجل ، وسمنان : اسم موضع ، وخزعال : ناقة ، وبطنان اسم لباطن الرأس وظهران اسم لظاهره .

قوله : « واختص الفاء والعين واللام للوزن حتى يكون فيه من حروف الشفة والوسط والحلق(٩٠) شيء » .

اقول : هذه اشارة الى علة اختصاص كلمة « فعل » للوزن وذلك انما اختص للزنة لانه لايوجد فيه من حروف الشفة والحلق لان الفاء من الشفة ، والعين من الحلق ، واللام من الوسط ومخارج الحروف لا تنفك عن هذه الثلاثة لما يجيء بيانه ان شاء الله تعالى . فان قيل : لم لا يوضع غير هذا مثل علم وصنع والمقصود يحصل منهما أيضا ؟ قيل له : أجل لكن « فعل » اعم الافعال معنى لانه يصح استعماله في معنى كل فعل ، سواء كان ذلك الفعل علاجيا أو غير علاجي ، تقول : فعل الضرب والشتم وفعل النصر فلذلك استعمل في مكان الاداء والاعطاء في قوله تعالى « والذين هم للزكوة فاعلون »(٩١) أي مؤدون ، فكان أعم الافعال معنى .

قوله : **« فقولنا(٩٢) الضرب مصدر تتولد منه الاشياء التسعة وهو أصل في الاشتقاق عندالبصريين لان مفهومه واحد ومفهوم الفعل متعدد لدلالته(٩٣) على الحديث والزمان ، والواحد قبل المتعدد ، واذا كان أصلا للافعال(٩٤) يكون أصلا لمتعلقاتها أو لانه اسم والاسم مستغنٍ عن الفعل (في الافادة)(٩٥) وأيضا يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر عنه » .**

اقول : هذا شروع في بيان الاختلاف الواقع بين النحاة في المصدر من حيث الاصالة والفرعية وانما قدمه بالذكر ، لان سائر الاحكام في التصاريف تنشعب منه ، وتتولد عنه . كما قال : الضرب مصدر تتولد منه الاشياء التسعة وهي الماضي والمضارع والامر والنهي واسم الفاعل واسم المفعول اسم الزمان والمكان والآلة . وقوله « وهو أصل » أي المصدر اصل في الاشتقاق يحترز به عن العمل لان الفعل أصل ما يبنى عليه غيره والفرع يبنى على غيره . وقوله « لان مفهومه واحد » اشارة الى دلائل البصريين في اصالة المصدر وذلك انهم استدلوا عليها بثلاثة دلائل . الاول : ان مفهوم المصدر واحد

---

(٧٩) أ : الالتحاق .
(٨٠) قردد : اسم جبلل .
(٨١) أ : جلتت ، فهو تحريف وحلتيت هو صمغ الانجدان ، وقيل نبات ينبت بين بست وبلاد العيقان . راجع اللسان .
(٨٢) أ : سمون ، وسحنون أول المطر والريح ، ذكر ذلك الشيخ خالد الازهري والجاربردي ولا توجد في القاموس . وشرحه للزبيدي .
(٨٣) قال في القاموس « العثنون اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين أو ما نبت على الذقن ، وشعيرات طوال تحت حنك البعير ، ومن المطر والريح اولهما » .
(٨٤) أ : حلتيت بالتاء المثلثة الفوقانية .
(٨٥) العفريت النافذ في الامر المبالغ فيه مع دهاء .
(٨٦) بعده في أ : كحمد وهو زيادة من الناسخ .
(٨٧) قال الازهري : كل ماجاء على فُعلول فهو مضموم الاول مثل زنبور وبهلول وعمروس وما اشبه ذلك الا حرفا جاء نادرا وهو بنوصعفوق لخول باليمامة ، وزاد بعضهم صعقول لضرب من الكماة وقيل غير معروف ، وبعكوكة الوادي لجانبه ، والاخيرة ذكرها السيرافي بالضم .
(٨٨) سمنان اسم موضع من ارض نجد قال الحماسي زياد بن منقذ والمرار والحكم اخواه : نحو الاميلح من سمنان مبتكرا بفتية فيهم المرار والحكم . والاميلح ماء لبني ربيعة .
(٨٩) قيل هو ظلع يصيب الناقة .

(٩٠) ق : واطلق ـ وهو تحريف .
(٩١) الآية ٤ من سورة المؤمنون .
(٩٢) أ : قلنا .
(٩٣) أ : لدلالة .
(٩٤) ق : في الافعال .
(٩٥) الزيادة من ب وهي ساقطة في ق .

لانه لايدل الا على حدث فقط ومفهوم الفعل متعدد لدلالته على الحدث والزمان وما دل على المعنى الواحد أصل بالنسبة الى ما دل على المعنيين . وقوله « واذا كان أصلا للافعال » اذا كان المصدر أصلا للافعال مثل الماضي والمضارع والامر ، يكون أصلا كذلك لمتعلقاتها وهي : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وافعل التفضيل واسم الزمان والمكان والآلة . والثاني : ان المصدر اسم والاسم مستغن عن الفعل اي من الافادة لان الفعل يحتاج لى الاسم ، وجعل المحتاج اليه أصلا اولى من جعل المحتاج . والثالث : انما يقال له مصدر لان هذه الاشياء تصدر عنه ، اي الاشياء التسعة المذكورة فاذا كان كذلك يكون المصدر عنه اولى بالاصالة من المصدر ، لانا وجدنا مصادر لا فعل لها لا لفظا ولا تقديرا وذلك نحو : ويح وويل وويب ، فلو كان الفعل أصلا لكانت هذه المصادر فروعا لا اصولا لها وذلك محال(٩٦) .

قوله : « **والاشتقاق(٩٧) ان تجد بين اللفظين تناسبا في اللفظ والمعنى** » .

اقول : ان من جملة الالفاظ المصطلحة ، الاشتقاق فلابد من ذكره وانما ذكره متخللا بين كلام البصريين وبين كلام الكوفيين ، لان أصل الخلاف والمنازعة تنشأ من الاشتقاق كما قال وهو أصل في الاشتقاق . ثم ان الاشتقاق في اللغة عبارة عن النزع ، وفي الاصطلاح عبارة عن وجود التناسب بين الكلمتين في اللفظ والمعنى ، ووجود المناسبة بين الكلمتين كونهما مشتركين في الدلالة على المعنى ، وبه احترز عن الالفاظ المشاركة في اللفظ دون المعنى ، كذهب الذي يقابل الفضة وذهب الذي هو فعل ماضي من الذهاب ، فلا يقال ان احدهما مشتق من الاخر لعدم اشتراكهما في الدلالة على المعنى الاصلي . وللاشتقاق اربعة شرائط :

الاول : هو ان يكون بينهما تناسب معنوي وهو عبارة عن ان يكون ما في المشتق منه من المعنى ، يكون في المشتق من دون العكس ، فان معنى الضرب موجود في الضارب وهو نفس الفعل ، وليس معنى الضارب موجودا فيه .

والثاني : ان يكون بينهما تناسب تركيبي ، معناه ان كل ما هو من الحروف في المشتق منه ، ينبغي أن يكون موجودا في المشتق دون العكس كالضرب والضارب فان الضرب « فعل » والضارب « فاعل » فلا يقال : الذئب مشتق من سرحان وان وجد بينهما تناسب معنوي ومغايرة الصيغة لعدم الزيادة والتناسب التركيبي . ولا يكون ذهب مشتق من ذهب وان وجد بينهما تركيبي لعدم الشرائط الثلاثة : وهي تناسب المعنى ومغايرة الصيغة ، وكون المشتق زائدا بشيء على المشتق منه . ولا يكون ضرب الامير الذي هو مستعار عن الضرب مشتقا من الضرب الذي هو مصدر وان وجد تناسب المعنى وتناسب التركيب لعدم زيادة المشتق بشيء على الاصل ومغايرة الصيغة . ولا يكون شاهد مشتق من شهيد وان وجد تغاير الصيغة لعدم الشرائط الباقية(٩٨) ان قلنا : الشهيد بمعنى المقتول ، والا ففيه تناسب المعنى لانه يكون كلاهما من الشهادة ، فعلى هذا عدم الشرطان ، احدهما مغايرة الصيغة والاخر كون المشتق زائدا على المشتق منه .

قوله : « **وهو ثلاثة أنواع : صغير ــ وهو أن يكون بينهما تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب ، وكبير : وهو أن يكون بينهما تناسب في اللفظ(٩٩) دون الترتيب نحو : جبذ من الجذب . وأكبر : وهو أن يكون بينهما تناسب في المخرج نحو : نعق(١٠٠) من النهق ، المراد من الاشتقاق المذكور (ههنا)(١٠١) اشتقاق صغير(١٠٢)** » .

اقول : اي الاشتقاق على ثلاثة أنواع : صغير ــ وهو ان يكون بينهما ، اي بين المشتق والمشتق منه تناسب في الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب . فان قيل لم سمي مثل هذا الاشتقاق صغيرا ؟ قيل له : لانه أقرب الى الفهم من غيره ، لان البعد بين المشتق والمشتق (منه)(١٠٣) صغير أي قليل . وانما قدمه بالذكر على اخويه لكثرة الاستعمال فيه ، لان الاشتقاق المعهود بين التعريفين هو الصغير كما قال والمراد من الاشتقاق المذكور ،

---

(٩٦) راجع الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الانباري كمال الدين أبي البركات فقد بسط القول في هذه المسألة .
(٩٧) ق : بدون الواو .
(٩٨) مكررة في الاصل .
(٩٩) ا : ، الحروف .
(١٠٠) ق : نفق بالفاء .
(١٠١) زيادة من المطبوعة .
(١٠٢) م : الاشتقاق الصغير .
(١٠٣) زيادة يقتضيها البيان .

اشتقاق صغير وقوله « وكبير » أي الثاني منهما اشتقاق كبير : وهو أن يكون بين المشتق والمشتق منه تناسب في اللفظ دون الترتيب نحو : جبذ من الجذب ، ومعنى كل واحد منهما من جذبت الشيء لان جبذ مقلوب جذب كما ان فسر مقلوب سفر فان قيل : لم سمي هذا كبيرا ؟ قيل له لان المشتق والمشتق منه ، كبير بالنسبة الى الصغير ولان معرفته تحصل بفكر أكثر من فكر معرفة الصغير ، وانما قدمه على الاكبر لانه وان كان أقل وقوعا بالنسبة الى الصغير ، لكنه اكثر وقوعا بالنسبة الى الاكبر .

وقوله « واكبر » أي ــ القسم الثالث منها اكبر : وهو ان يكون بين المشتق والمشتق منه تناسب في المخرج فقط ، نحو : نعق من النهق ، لمناسبة بينهما في حرف الحلق وقلب الهاء عينا . النهق : صوت الحمار وقد نهق ينهق نهاقا . والنعق : صوت الراعي ــ من نعق غنمه نعقا ونعاقا اذا زجرها وصاح بها ، والناعقان : الكوكبان . فان قيل : لم سمي هذا اكبر ؟ قيل له لان اشتقاقه يحصل بالعسر وبفكر أكبر منهما ، ولان البعد بين المشتق والمشتق منه اكبر . فان قيل : ما الفرق بين الاشتقاق والعدل مع أن كل واحد منهما خرج من صيغة الى صيغة ؟ قيل له : العدل ــ شرط الاتحاد بين المعدول والمعدول عنه ــ ولا ذاك شرط الاشتقاق .

والاشتقاق(١٠٤) اما أن يكون مطردا كاسم الفاعل والمفعول وافعل التفضيل والصفة المشبهة ، فان كلا منهما كلما وجد ، وجد الاشتقاق بينه وبين أصله . واما ان لا يكون مطردا ، كالقارورة والدبران ــ وهما مشتقان من حيث اللغة من القرار والدبور ، وبحسب الاستعمال اختصت القارورة باسم الآلة المخصوصة ، والدبران بالكوكب المخصوص .

قوله : **« قال الكوفيون : ينبغي أن يكون الفعل اصلا لان اعلاله مدار لا علال المصدر وجودا ، أو عدما . أما وجودا ففي يعد عدة وقام قياما ، واما عدما ففي يوجل وجلا وقاوم قواما ، ومداريته تدل على اصالته(١٠٥) وايضا يؤكد الفعل به نحو : ضربت ضربا(١٠٦) وهو بمنزلة ضربت ضربت . والمؤكد اصل دون المؤكد يقال له مصدر لكونه مصدرا عن الفعل كما قالوا مشرب عذب ، ومركب فاره(١٠٧) أي مشروب ومركوب(١٠٨) »** .

اقول : لما فرغ من كلام البصريين ، شرع في كلام الكوفيين ولما زعم البصريون اصالة المصدر واستدلوا عليها بثلاث وجوه ، فكذلك زعم الكوفيون اصالة الفعل واستدلوا عليها بثلاثة وجوه . الاول : ان اعلال الفعل مدار لاعلال المصدر ، من حيث الوجود ومن حيث العدم . اما من حيث الوجود ففي يعد عدة وقام قياما ــ اذ أصل يعد يوعد حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة ــ وكذلك أصل عدة وعدة فحذفت الواو منها اتباعا له . واصل قيام قوم ، قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها . وكذلك اصل قيام ــ قوام ــ فقلبت الواو ياء لتحركها وانكسار ما قبلها اتباعا له . وأما من حيث العدم ففي : يوجل وجلا وقاوم قواما فلم يحذف الواو من يوجل لعدم العلة المقتضية وهي وقوع الواو بين الياء والكسرة ، فكذلك لم تحذف من وجل ، ولم تقلب الواو الفا في قاوم بسكون ما قبل الواو ، فكذلك لم تقلب في قوام اتباعا له . وهذه المدارية والتبعية تدل على اصالة الفعل ، لان المصدر اتبع الفعل في الاعلال وعدمه ، فصار تابعا له ، وصار الفعل متبوعا ، والمتبوع أصل بالنسبة الى التابع . الثاني : ان الفعل يؤكد بالمصدر نحو : ضربت ضربا وهو بمنزلة ضربت فيكون الفعل عاملا في المصدر ، ولاشك ان رتبة العامل قبل رتبة المعمول ، والفعل هو المؤكَّد والمصدر هو المؤكِّد والمؤكَّد بفتح الكاف أصل بالنسبة الى المؤكِّد بكسر الكاف . الثالث : انه يقال له مصدر لكونه مصدورا عن الفعل ، لانه « مفعل » لكنه على معنى المفعول كما قالوا : مشرب عذب ومركب فاره أي مشروب ومركوب(١٠٩) ، يعني يذكر المفعل ويراد به المفعول ، واذا كان المصدر مصدورا عن الفعل ، كان فرعا بالنسبة الى المصدور عنه وهو الفعل .

قوله : **« قلنا في جوابهم : اعلال المصدر للمشاكلة لا للمدارية كحذف الواو في « تعد » والهمزة في «يكرم» والمؤكدية لاتدل على الاصالة(١١٠) في الاشتقاق « بل في الاعراب »(١١١) كما في جاءني**

---

(١٠٤) هذه العبارة الى آخرها مسوقة في الاصل وكأنها من كلام المصنف والصحيح انها من كلام الشارح .

(١٠٥) م : اصالة .

(١٠٦) ضربا ساقطة من م .

(١٠٧) ق : فاهرة . تحريف .

(١٠٨) في الاصل مركوب ومشروب والسياق يقتضي العكس وتصويبه من ق ، م .

(١٠٩) في أ : تقديمه على مشروب .

(١١٠) ق : اصالة .

(١١١) زيادة من ق .

زيد زيد . وقولهم مشرب عذب ومركب فاره : من باب جرى النهر وسال الميزاب » .

اقول : هذه اشارة الى جواب عن كلام الكوفيين نصرة لمذهب البصريين ، وذلك بثلاثة أجوبة . الجواب الاول : ان اعلال المصدر للمشاكلة، يعني للموافقة بان يطرد الباب لا للمدارية ، يعني لا لعلة الاصالة ، كحذف الواو في « يعد » والهمزة في « يكرم » مع عدم العلة المقتضية للحذف فيهما . لكنهما حذفتا اطرادا للباب وحفظا للقاعدة عن الاختلاف . الجواب الثاني : ان المؤكدية لا تدل على الاصالة في الاشتقاق ، بل تدل في الاعراب كما في « جاءني زيد زيد » وكلامنا في الاشتقاق لا في الاعراب .

الجواب الثالث : ان قولهم « مشرب عذب » « ومركب فاره » من باب جرى النهر وسال الميزاب[112] يعني من باب المجاز العقلي وهو ذكر المحل والارادة هي الحال ، لان النهر لا يجري والميزاب لايسيل ، ولكن ماؤهما ــ يجري ويسيل ــ فاذن لا يكون هذا حجة لان الاصول لا تثبت بالمحتملات .

قوله : **« ومصدر الثلاثي كثير وعند سيبويه يرتقي الى اثنين وثلاثين نحو : قتل وفسق وشغل ورحمة ونشدة وكدرة ودعوى وذكرى وبشرى وليان وحرمان وغفران ونزوان[113] وطلب وخنق وصغر وهدى وغلبة وسرقة وذهاب وصراف وسؤال وزهادة ودراية ودخول وقبول ووجيف وصهوبة ومدخل ومرجع ومسعاة ومحمدة » .**

اقول : هذا شروع في بيان تعداد المصادر ، ومصادر الثلاثي كثيرة ولكن ذكر سيبويه انها ترتقي الى اثنين وثلاثين بناء نحو « قتل » من قتل يقتل و « فسق » من فسق يفسق[114] و « شغل » من شغل يشغل و « رحمة » من رحم يرحم و « نشدة » من نشدت الضالة انشدها و « كدرة » من كدر الماء يكدر ، و « دعوى » من دعا يدعو في المال وفي النسب يقال : دعى دعوة بكسر الدال . وفي الضيافة ونحوها دعى دعوة ــ بضم الدال ، و « ذكرى » من ذكر يذكر ، و « بشرى » من بشرت الرجل ابشرة ــ بالضم ــ و « ليان »[115] من لوى يلوى ، أصله ــ لويان ــ اجتمعت الواو والياء[116] و « حرمان » من حرمه اذا منعه ، و « غفران من غفر يغفر » ، و « نزوان » من نزى الفحل ينزو ، و « طلب » من طلب يطلب و « خنق » من خنق يخنق و « صفر » من صفر الرجل يصفر ، و « هدى » من هداه يهديه ، و « غلبة » من غلب يغلب ، و « سرقة » من سرق يسرق ، و « ذهاب » من ذهب يذهب و « صراف » من صرفت الكلبة تصرف ــ اذا اشتهت الفحل ، و « سؤال » من سأل يسأل ، و « زهادة » من زهد يزهد ، و « دراية » من درى يدري و « دخول » من دخل يدخل و « قبول » من قبل يقبل ، و « وجيف » من وجف البعير يجف ، والوجيف ضرب من سير الابل ، و « صهوبة » من صهب الشعر اذا احمر حمرة صافية ، و « مدخل » من دخل يدخل ، و « مرجع »[117] من رجع يرجع، و « مسعاة » من سعى يسعى ، و « محمدة »[118] من حمد يحمد . وقد زاد عليه الشيخ ابن الحاجب « بغاية » و « كراهية » من بغى الشيء اذا طلبه ومن كره يكره كراهة وكراهية .

ويجيء المصدر في الصنائع على « فعالة » نحو : كتب كتابة ، وفي الاضطراب على « فعلان » نحو : خفق خفقانا ، ومن الاصوات على « فعال » نحو : صراخ وبكاء عند الخليل قياسا على الصراخ ، وبالقصر عند غيره قياسا على الحزن لانه بمعناه .

قوله : **« ويجيء على وزن اسمي[119] الفاعل والمفعول ، نحو : قمت قائما ، ونحو قوله تعالى**

---

(112) في ا ــ الواو والتصويب من ب (الهامش) وقال في القاموس « وَزَبَ الماء يَزِبُ وُزُبا سال ومنه الميزاب ، وهو فارسي ومعناه بُل الماء فعربوه بالهمزة ولهذا جمعوه مآزيب ، والوزاب كتان اللص الحاذق ، واوْزَبَ في الارض ذهب فيها .

(113) ا : او نزوان .

(114) وفيه لغة اخرى من باب جلس .

(115) قال ذو الرمة :

تطيلين ليـاني وانت مليئة
واحسن ياذات الوشاح التقاضيا

والاصل « لويان » اجتمعت الواو مع الياء وسبق احدهما بالسكون ثم ادغمت الياء في الياء ، وروى عن أبي زيد ليان بالكسر .

(116) فقلبت الواو ياء وادغمت في اختها .

(117) بكسر الجيم من المصادر الشاذة لان فعل يفعل يكون مصدره الفتح ومنه قوله تعالى « الى ربكم مرجعكم » .

(118) ذكره الزمخشري رحمه الله بكسر الميم الثانية وقيل فتحها لغة ايضا .

(119) حـ ، ق : اسم .

« بأيكم المفتون »(١٢٠) ويجيء للمبالغة نحو : التهذار(١٢١) والتلعاب والحثيثى والدليلى »(١٢٢) .

اقول : يجيء على زنة اسم الفاعل نحو : قمت قائما اي قياما ، كما ان اسم الفاعل يجيء على زنة المصدر نحو قولك : رجل عدل اي عادل ، ويجيء على اسم المفعول ايضا نحو قوله تعالى « بأيكم المفتون » اي الفتنة ان قلنا ان الباء ليست بزائدة ، وليس منه ان قلنا انها زائدة ، وكذلك المعقول فانه مصدر بمعنى العقل ، قال سيبويه(١٢٣) : انه صفة معناه عقل له شيء اي حبس ، كالمحلوف فانه مصدر حلف يحلف حلفا ومحلوفا . وكذلك المعسور والميسور بمعنى العسر واليسر . قال سيبويه : هما صفتان معناهما دعه الى زمان ياسر فيه والى زمان يعسر فيه ، لانه يمنع مجيء المصدر عنده على زنة « مفعول » وكذلك المرفوع والموضوع بمعنى الرفع والوضع ، وقال سيبويه : هما صفتان يعني : هذا مرفوعي وموضوعي ـ هذا اما ارفعه واما أضعه . « ويجيء للمبالغة » اي يجيء المصدر للمبالغة نحو التهذار(١٢٤) للهذر وهو كثرة الكلام ، والتلعاب للعب والترداد للرد والتكرار للكر ، والتصفاق للصفق ، والتقتال للقتل والتجوال للجولان وهو قياس مطرد ، والفراء وغيره من الكوفيين يجعلون ـ التفعال ـ بمنزلة « التفعيل » والف التكرار بمنزلة ياء ـ التكرير وكذلك الدليلى والحثيثى والرميا لتكثير الفعل الثلاثي والمبالغة ، والدليلي كثرة العلم بالدلالة والرسوخ منها ، واذا كان بين القوم حث كثير يقال : الحثيثي واذا كان الترامي كثيرا يقال : الرميا .

المصدر يجيء أيضا على زنة « فاعلة » كالعافية نحو : عافاه الله عافية كالعافية نحو : عقب فلان مكان ابيه عاقبة وكالباقية لقوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية »(١٢٥) اي بقاء وكالكاذبة لقوله تعالى : « ليس لوقعتها كاذبة »(١٢٦) اي كذب .

قوله : **« ومصدر غير الثلاثي يجيء على سنن واحد الا في كلم(١٢٧) كلاما وفي قاتل قتالا وقيتالا وفي تحمل تحملا وفي زلزل زلزالا » .**

اقول : مصدر غير الثلاثي لا يختلف ، بل يجيء على وتيرة واحدة ، سواء كان رباعيا مجردا او مزيدا او ثلاثيا مزيدا فيه ، فمصدر افعل على افعال نحو : اخرج على اخراج ومصدر فعل ـ على تفعيل نحو : كرم على تكريم وسلم على تسليم ومصدر فعلل على فعللة نحو : دحرج على دحرجة وزلزل على زلزلة ومصدر تفعّل على تفعّل نحو : تقبّل على تقبّل الا ان في كلّم يجيء كلاما ، وفي كذب كذابا ، قال الله تعالى : « وكذبوا بآياتنا كذابا »(١٢٨) . وفي قاتل قتالا وقيتالا في لغة أهل اليمن ، وفي تحمل تحملا وفي زلزل زلزالا ، قال الله تعالى : « اذا زلزلت الارض زلزالها »(١٢٩) وتجيء أيضا من ـ فعل ـ على مفعل نحو قوله تعالى « ومزقناهم كل ممزق »(١٣٠) بمعنى تمزيق وعلى « فعال » نحو . سلام وسراح وبلاغ قال الله تعالى : « وسرحوهن سراحا جميلا »(١٣١) ، « وما على الرسول الا البلاغ المبين »(١٣٢) . وتجيء أيضا من ـ تفعل ـ على « تفعال » نحو : تملق تملاقا ، قال الشاعر :

ثلاثة احباب فحب علاقة
وحب تملاق وحب هوالقتل(١٣٣)

ومعنى البيت : الاحباب للانسان ثلاثة انواع ، حب يظهره الرجل وهو موجود فيه ، وحب يظهره ولا حقيقة له ، وحب هو قتل الاعادي . ثلاثة احباب : رفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره

---

(١٢٠) بعد قائما . ساقط من م . الآية ٦ سورة القلم .

(١٢١) التهدار بالدال المهملة ، و ق . التهزاب .

(١٢٢) قال الرضي « أما الفِعيلي فليس قياسا ، فالحثيثي والرميا والحجيزي مبالغة التحاث والترامي والتحاجز ، أي لا يكون من واحد ، وقد يجيء منه ما يكون مبالغة المصدر الثلاثي كالدليلي والنميمي والهجيري والخليفي ، أي مبالغ كثرة الدلالة والنميمة والهجر أي الهذر والخلافة واجاز بعظهم المد في جميع ذلك والاولى المنع وقد حكى الكسائي خصيصا بالمد وأنكره الفراء . الشافية ج جـ ـ ١ ص ١٦٨ .

(١٢٣) جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(١٢٤) في شرح المفصل لابن يعيش جـ ٦ ص ٥٦ : يقال الشراب يهدر هدرا وتهدارا اذا غلى فالتهدار « بالدال المهملة » « الهدر الكثير » وقد ساق بقية المصادر التي ذكرها الشارح .

(١٢٥) الآية ٨ سورة الحاقة .

(١٢٦) الآية ٢ سورة الواقعة .

(١٢٧) في ق ، م : بعده يجيء كلاما .

(١٢٨) الآية ٢٨ سورة النبأ .

(١٢٩) الآية ١ من سورة الزلزلة .

(١٣٠) الآية ١٩ من سورة سبأ .

(١٣١) الآية ٤٩ من سورة الاحزاب .

(١٣٢) الآية ٥٤ من سورة النور كذلك الآية ١٨ من سورة العنكبوت .

(١٣٣) لم ينسب أحد هذا الشاهد الى قائل معين وقال ابن يعيش جـ ٦ ص ٤٨ : أنشده ثعلب في أماليه عن الاعرابي ، والشاهد فيه قول « تملاق » جاء به على تَمَلّق مطاوع مَلّق ، ويروى فحب علاقة بالتنوين وغير تنوين » أ هـ .

فيما بينهم ثلاثة أحباب ـ ، فحب رفع بأنه خبر والمبتدأ محذوف تقديره ـ حب علاقة كذا خبر المبتدأ المحذوف تقديره ـ وحب هو علاقة ـ والجملة صفة للنكرة وهكذا تقدير الباقية .

قوله : ((**الافعال التي تشتق من المصدر : هي خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي (المجرد)**[١٣٤] **نحو : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، وعلم يعلم ، وفتح يفتح ، وكرم يكرم وحسب يحسب**)) .

اقول : لما فرغ عن بيان المصادر ، شرع في بيان الافعال المشتقة من المصدر ، والافعال التي تشتق من المصدر خمسة وثلاثون بابا ، ستة منها للثلاثي المجرد نحو : ضرب يضرب ـ بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ـ ، وقتل يقتل ـ بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ، وعلم يعلم ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ ، وفتح يفتح ، بالفتح فيهما ، وكرم يكرم ـ بالضم فيهما ، وحسب يحسب بالكسر فيهما ـ فان قيل ما وجه الانحصار على ستة أبواب ؟ قيل له لان الفاء لها أربعة أحوال : الفتح والضم والكسر والسكون ، ولا يمكن ان يكون ساكنا لامتناع الابتداء بالساكن ، ولا يكون مضموما ولا مكسورا للاشتغال ، فبقيت لها حالة واحدة وهي الفتح .

والعين لها أربعة أحوال أيضا ، وقد سقط منها السكون ، لانه اذا اتصل بالفعل ضمير المتكلم والمخاطب أو جمع المؤنث ، وجب سكون اللام لشدة اتصال الفاعل به ، وليدل على ان الفاعل كالجزء من الكلمة ، فان سكن العين التقى ساكنان على غير حده . فان قيل : هل لا يجوز أن يحذف احدهما ؟ قيل له : لا يجوز ان يحذف احدهما لانه لو حذف احدهما لم يدل شيء على حذفه فبقيت لها ثلاثة احوال .

واللام ايضا لها أربعة أحوال ، وقد سقط منها الضم والكسر للاشتغال لما فيه من الكلفة بخلاف الفتحة لانها أخف الحركات ، والطباع تميل اليها ، وقد سقط منها السكون ايضا لان الماضي مبني وبناؤه على الفتح لانه اخ السكون ، لان الفتحة جزء الالف ، ولما كانت للفاء حالة واحدة وللام[١٣٥] حالة واحدة فصار اثنين وللعين ثلاثة أحوال فاضرب الاثنين في الثلاثة فصار الاثنين في الثلاثة فصارت ستة وهي الامثلة المذكورة في المتن .

(١٣٤) زيادة من جـ .
(١٣٥) أ : واللام . تحريف .

قوله : ((**وتسمى**[١٣٦] **الثلاثة الاول : دعائم الابواب لاختلاف حركاتهن في الماضي والمستقبل وكثرتهن ، وفتح يفتح لا يدخل في الدعائم ، لانعدام**[١٣٧] **اختلاف الحركات ، ولانعدام**[١٣٨] **مجيئه بغير حرف الحلق**)) .

اقول : الثلاثة الاولى هي : ضرب يضرب ، وقتل يقتل ، وعلم يعلم وانما سميت هذه الامثلة الثلاثة دعائم الابواب ، لاختلاف حركاتهن في الماضي والمستقبل ، والاختلاف يدل على القوة ، والقوة تدل على الاصالة .

وقوله « وكثرتهن » أي وكثرة استعمالهن . الدعائم : جمع دعامة وهي عمود البيت ، وقيل دعامة الشيء أصله ، واما فتح يفتح لا يدخل في دعائم الابواب لانعدام اختلاف الحركات ، لانها في الماضي والمستقبل تجيء على سنن واحدة ولانعدام مجيئه بغير حرف الحلق ، لان فعل يفعل بالفتح فيهما ـ لا يجيء الا شرط ان يكون فيه حرفا من حروف الحلق .

قوله : ((**واما ركن يركن وأبى يأبى فمن**[١٣٨] **اللغات المتداخلة وأما بقى يبقى وفنى يفنى وقلي يقلى ، فلغات طييء قد فروا من**[١٣٩] **الكسرة (الى الفتحة)**[١٤٠] **وكرم يكرم لا يدخل في الدعائم لانه لا يجيء الا عن الطبائع والنعوت ، وكذلك**[١٤١] **حسب يحسب لا يدخل في الدعائم لقلته**[١٤٢])) .

أقول : هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ـ إنكم قلتم ان فعل يفعل بالفتح فيهما لا يجيء الا بحرف الحلق وقد جاء بغير حرف الحلق مثل : ركن يركن وأبى يأبى ، فالجواب عنه بقوله : فمن اللغات المتداخلة . بيانه ان ركن يركن ـ بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ـ مثل نصر ينصر وركن يركن ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر مثل علم يعلم ، فأخذ الماضي من اللغة الاولى ، والمضارع من اللغة الثانية وابى يأبى وقيل انه شاذ لا يعتد به . وقوله « واما بقي يبقى وفنى يفنى وقلى يقلى » فكذلك عن

(١٣٦) أ : وسمي والتصويب من ق .
(١٣٧) أ : وانعدام ، وفي م ، ق : لعدم .
(١٣٨) ق : فهي من .
(١٣٩) أ ، ق : عن .
(١٤٠) زيادة من جـ .
(١٤١) ساقطة من ق ، م .
(١٤٢) ق : تعلته ، وفي حـ : لقلة استعماله .

سؤال مقدر تقديره : فعل يفعل ـ بالفتح فيهما ـ لا يجيء الا بحرف الحلق ـ وقد جاء مثل بقى يبقى الى آخره ، فأجاب عنه بأنها لغات طيء قد فروا من الكسرة ، أي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة أي من كسرة العين طلبا للتخفيف لان الفتحة مع الالف اخف من الكسرة مع الياء وكذلك طيء تقول في دعي دعا وفي بني بنا ومنه قول شاعرهم على لغتهم .

نستوقد النبل بالحضيض
ونصطاد نفوساً بُنت على الكرم[١٤٣]

النبل هو السهم والحضيض : اسم موضع ، وقال بعضهم ان قلَى يقْلى لغة في قلِي يقْلى ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ فان صح هذا كان قلَى يقْلى بالفتح فيهما أيضا من اللغة المتداخلة. وقوله « كرُم يكرُم لا يدخل في الدعائم » اي في دعائم الابواب ، لانه لا يجيء الا من الطبائع والنعوت، فكان غير قوي لتقيد مجيئه بالطبع والنعت ـ فكانت القوة علة للدخول في الدعائم ، وعدمها علة لعدم الدخول ، وقد علم بذلك أن كل فعل جاء من الطبائع والنعوت والصفات لا يدخل في الدعائم ، وحسِب يحسب أيضا لا يدخل في دعائم الابواب لقلته وشذوذه ، والقلة لا توصف بالقوة حتى لاتدخل في الدعائم .

قوله : **« وقد جاء فعُل يفْعل على لغة من قال كِدْت تكادُ وهي شاذة كفَضُل يفْضل ودمت تَدُوم » .**

اقول : قد جاء فعُل يفْعل ـ بضم العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ على لغة من قال : كدت تكاد ـ بضم الكاف ـ لكنها شاذة كفضل يفضل ودمت تدوم ومت تموت في معتل العين ، فحاصل الكلام ان فعل بضم العين ، مستقبله يجيء على يفعل بالضم قياسا لا يختلف نحو : كرم يكرم ، وشرق يشرق الا انهم قالوا قد جاء فيه فعل يفعل ـ بالضم في الماضي والفتح في الغابر ـ نحو فضل يفضل في الصحيح ودمت تدوم ومت تموت[١٤٤] في الاجوف على لغة من كسر الدال والميم ، لكن كلها شاذة ، وحكي دمت تدام على حد : خفت تخاف ، ونمت تنام واذا كان كذلك فيمكن ان يحمل هذا على التداخل كأخواته ، واصل دمت ـ دومت ـ نقلت حركة الواو الى الدال بعد سلب حركتها فالتقى ساكنا فحذفت الواو ، فقررت الكسرة على الدال فصار دمت تدام ، اصله ـ تدوم ـ فقلبت الواو الى الدال ثم قلبت الواو الفا لتحركها في الاصل وانفتاح ما قبلها ، فصار تدام ، واما فضل يفضل فمن تداخل اللغتين عند البعض لان العرب تقول فضل يفضل بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر ـ وفضل يفضل ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر ـ ومثل ذلك نعم ينعم ، فان سئل عن الشاذ والقليل والنادر والضعيف والكثير والغالب ، اجيب بأن الشاذ : ما يكون وجوده كثيرا ولكن يكون على خلاف القياس ، والقليل ما ينحصر وجوده على القياس على وجه القلة ، والنادر ما قل وجوده وان لم يكن بخلاف القياس ، ولا فرق بين القليل والنادر في الحقيقة ، والضعف هو الذي لم يصل حكمه الى الثبوت[١٤٥] والكثير ما شاع وجوده ، والغالب كون الشيء على تلك الصفة والحالة .

قوله : **« واثنا[١٤٦] عشر لمتشعبة الثلاثي نحو : أكرم وقطع وقاتل وتفضل وتضارب وانصرف واحتقر واستخرج واخشوشن اجلوذ واحمار واحمر[١٤٧] اصلهما : احمارر واحمرر ـ فادغما للجنسية ويدل عليه ارعوى وهو لفيف[١٤٨] من باب افعل ولا يدغم لعدم الجنسية »**

اقول : لما فرغ عن بيان الثلاثي ، شرع في بيان منشعبة الثلاثي ، وذلك اثنا عشر بابا من خمسة وثلاثين . والمنشعبة : اسم فاعل من انشعب ينشعب ، والانشعاب في اللغة ـ عبارة عن خروج الغصن من الشجرة ، وفي الاصطلاح هو الابنية المتفرعة على أصل اما بالحاق حرف ، او بتكرير الكلمة ، فالاول نحو : اكرم ، الالف فيه زائدة ، والثاني نحو : قطع التضعيف فيه زائد والمكرر هو الحرف الثاني عند البعض ، وعند الخليل الاول ، وعند سيبويه يجوز الامران . وجه قول البعض ان الآخر محكوم عليه بالاحكام ، فالاولى ان يكون هو ووجه قول الخليل ان الزائد بالاول اولى لان الثاني مقصود للتضعيف ، فلما تعارض الدليلان ، توقف

---

(١٤٣) هو من المنسرح : وقائله رجل من بني القين بن جسر ، والحضيض قرار الجبل أو أسفله ، أراد انهم يرمون السهام بشدة فتخرج النار لصلابة سواعدهم وأراد بقوله « نفوسا بنت على الكرم » السادة الرؤساء .
(١٤٤) أ : تموة بالتاء القصيرة .
(١٤٥) أ : الثبوة .
(١٤٦) في ق ، أ : اثنى .
(١٤٧) م : احمر واحمار .
(١٤٨) ق : اللفيفف .

سيبويه فما حكم برجحان أحدهما على الآخر ، والضابط في ذلك : أن الامثال الزائدة على ثلاثة احرف أصول ، على ثلاثة اقسام : الاول : يزاد فيه حرف واحد ، والثاني ما يزاد فيه حرفان ، والثالث ما يزاد فيه ثلاثة أحرف . أما الذي يزاد فيه حرف واحد ، فثلاثة أبواب ، الاول : ــ أفعل نحو اكرم الهمزة فيه ازئدة ، فهذا البناء للتعدية غالبا ، وكسرت الالف في مصدره فرقا بينه وبين الجمع كالادبار والادبار ولم يكعس الامر ، لان الجمع اثقل من المفرد فالخفة أولى به . والثاني : ــ نحو قطع التضعيف فيه زائد . والثالث : ــ فاعل ــ نحو قاتل الالف فيه زائدة ، وهذا البناء(١٤٩) للمشاركة بين الاثنين ــ يفعل كل واحد منهما ما يفعل الاخر ، الا ما شذ نحو : « قاتلهم الله » و « عافاك الله » . واما الذي يزاد فيه حرفان ، فخمسة ابواب : الاول ــ تفعل ــ نحو : تفضل . التاء والتشديد فيه زائدتان ــ واصله التكليف في تحصيل المطلوب شيئا بعد شيء نحو : تعلم وتجرع . والثاني : ــ تفاعل ــ نحو تضارب التاء والالف فيه زائدتان ، وأصله ان يكون بين اثنين فصاعدا نحو تخاصم زيد وعمرو وتصالح القوم والثالث ــ انفعل ــ نحو : انصرف ــ الالف والنون فيه زائدتان ــ وأصله ان يكون مطاوعا لفعل نحو : قطعته فانقطع والرابع : افتعل ــ نحو : احتقر الالف والتاء فيه زائدتان والخامس ــ افعل نحو : احمر ــ الالف واحدى الرائين زائدتان . وهذه تختص بما فيه الالوان والعيوب نحو : اصفر واعور . واما الذي يزاد فيه ثلاثة احرف ، فأربعة ابواب :

الاول : استفعل نحو : استخرج ــ الالف والسين والتاء فيه زوائد ، وأصله ان يكون لطلب الفعل نحو : استغفر الله اي أساله المغفرة .

والثاني : افعوعل نحو : اخشوشن ، الالف والواو واحدى الشينين فيه زوائد ، وهذا الباب يفيد المبالغة ، فاذا قلت اخشوشن واعشوشب كان أبلغ من قولك : خشن وعشب من إخشوشنت الارض واعشوشبت اي : صارت ذات خشن وعشب .

والثالث : افعول نحو : اجلوذ ، واخروط من جلذ : اذا اسرع ــ الالف والواو والتشديد فيه زوائد . فهذه أيضا للمبالغة .

والرابع : افعال نحو : احمار أي صار ذا حمرة الالفان والتشديد فيه زوائد ، فهذا البناء للالوان والعيوب ، وهذا ابلغ من افعل في المعنى واصل احمر واحمار ــ احمرر ، واحمارر ادغمت الراء في الراء للجنسية . وقوله « ويدل عليه ارعوى » أي يدل على ترك ادغام ارعوى لعدم الجنسية ، على ان ادغام احمار واحمر للجنسية وعلى ان اصلهما احمارر(١٥٠) واحمرر ، فأدغمت الراء في الراء لوجود علة الادغام وهي اجتماع الحرفين التماثلين . واما ارعوى اصله ــ ارعوو ــ من الرعو وهو الرجوع يقال : فلان رعا عن فعله القبيح اذا رجع منه رجوعا حسنا ، واصله رعو ، كغزو قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار ــ رعا ــ كغزا ، ثم نقل الى باب « افعل » فصار ارعوو فاجتمع فيه شرط الاعلال وشرط الادغام ، ولكن الاعلال مقدم على الادغام لان سبب الاعلال موجب لسبب الادغام ، لكن المراد من الادغام الخفة والخفة في الاعلال اكثر من الخفة في الادغام ، فاذا كان كذلك قلبت الواو الثانية الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصار ارعوى وبعد قلب الواو الثانية الفا لا تدغم ايضا لعدم الجنسية .

قوله : « **وواحدة(١٥١) للرباعي نحو دحرج وثلاثة لمنشعبة الرباعي نحو : تدحرج واحرنجم واقشعر ، وستة لملحق دحرج نحو : شملل وحوقل وبيطر وجهور وقلنس وقلسى(١٥٢) وخمسة لملحق تدحرج نحو : تجلبب وتجورب وتشيطن وترهوك وتمسكن ، واثنان لملحق احرنجم نحو إقعنسس واسلنقى ، ومصداق الالحاق(١٥٣) اتحاد المصدرين** » .

اقول : باب واحدة للرباعي المجرد نحو : دحرج ، ولم يتصرفوا فيه كما تصرفوا في الثلاثي المجرد من فتح عينه وكسرها وضمها لثقل الرباعي ، وانما جوزوا استعمال الفتحات الثلاث فيه لخفتها ، وانما سكنوا الثلاثي طلبا للخفة لانه ليس في كلامهم اربع حركات متواليات في كلمة واحدة ، لما فيه من الاستثقال وانما كان الثاني اولى بالسكون لانه تعذر تسكين الاول لامتناع الابتداء بالساكن وكذا الرابع لوجوب بناء الماضي على الفتح . فلم يتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك ، وكذا الثالث لانه يلزم التقاء الساكنين على غير حده لانه قد يسكن الرابع وذلك اذا اتصل به ضمير مرفوع بارز متحرك . والرباعي

(١٤٩) أ : النبأ .

(١٥٠) أ : احمار براء واحدة .
(١٥١) ق ، م ، ح : وواحد .
(١٥٢) م : قلنس .
(١٥٣) م : الحاق .

المجرد قد يكون متعديا نحو : دحرجت الحجر . وقد يكون غير متعد نحو : دربج الرجل اذا طأطأ راسه وبسط ظهره. وقوله «ثلاثة لمنشعبة الرباعي» اي(١٥٤) ثلاثة ابواب لمنشعبة الرباعي أحدها : «تفعلل» نحو : تدحرج(١٥٥) التاء فيه زائدة ، والثاني : « إفعنلل » نحو : احرنجم ــ الالف والنون فيه زائدتان ــ يقال حرجمت الابل فاحرنجمت اذا اجتمعت وتردد بعضها الى بعض . والثالث : « افعلل » نحو : اقشعر ، أصله قشعر ــ الالف والتضعيف فيها زائدتان والاقشعرار : الارتعاد والارتعاش . وهذه الابنية الثلاثة لازمة بالاستقراء ، وانما لم يضعف الرباعي المزيد فيه أكثر من ثلاثة ؛ طلبا للتخفيف وروما للسهولة . وقوله « وستة لملحق دحرج » اي ستة أبواب للملحق دحرج ، والالحاق : جعل مثال على مثال أزيد منه ليعامل معاملته اي ليوازن موازنته ، ثم الالحاق على ضربين: ملحق موازن وملحق غير موازن ، وعلى كلاالتقديرين اما ملحق بالرباعي المجرد او بالرباعي المزيد فيه ، وجملته خمسة وعشرون بناء . ستة منها الملحق بالرباعي المجرد نحو شملل من شمل اذا أسرع . وحوقل من حقل اذا ضعف ، وبيطر من بطر أي عمل البيطرة ، والبطر : هو الشق ومنه البيطار ، وجهور : من جهر ، وقلنس من قلس اذا لبس القلنسوة ، وقلسى كذلك من قلس زيدت فيه الياء لالحاق الرباعي فصار قلسى كدحرج ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . قلسى : وزنه ــ فعلل ــ(١٥٦) لا فعلى فافهم . وخمسة منها الملحق بمزيد الرباعي نحو : تجلبب اذ لبس الجلباب وتجورب اذا لبس الجورب ، وتشيطن اذا فعل فعلا مكروها وترهوك اذا تبختر ، وتمسكن اذا أظهر الذلة والحاجة .

واثنان للملحق باحرنجم نحو اقعنس من القعس وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الاحدب ــ اسلنقى من سلق أي وقع على القفا . واثنان منها للملحق بمزيد الرباعي عدهما ابن الحاجب

(١٥٤) أ : مكررة .

(١٥٥) من ملحقات يدحرج : فعال نحو برائل الديك اذ نفش برائله وهو ما استدار حول عنقه من الريش ، وفنعل نحو : دنقع الرجل اي افتقر ، وفعلن نحو : فرصن أي قطع ، وفمعل نحو جلمط الرجل أي حلق شعره ، وفعلم نحو : فرصم الشيء اذا قطعه وهفعل نحو : هلقم الشيء اذا ابتلعه ، نحو اهرنمع الرجل اذا أسرع فيمشيته ، وهذه من النوادر .

(١٥٦) والحقوا بفعلل « شريف » أي قطع شرياف الزرع وهو ورقه اذا طال .

وهما : تفاقل وتكلم وعشرة منها غير ملحقة نحو : اخرج وجرب وقاتل وانطلق واقتدر واستخرج واشهاب واشهب اذا ارتفع على رجليه ، واغدودن يقال اغدودن ــ الشعر اذا طال واسترخى ، واعلوط من اعلوط البعير اذا تعلق بعنقه وعلاه ، وقيل اعلوط البعير اذا ركبه(١٥٧) عريانا . واعلم ان شملل وما بعده موازن لتدحرج وملحق به ، وان اقعنسس واسقلنى موازنان لاحرنجم وملحقات به ، وان اخرج وجرب وقاتل موازنة لدحرج غير ملحقة به وان استخرج موازن لاحرنجم غير ملحق به ، وقوله « ومصداق الالحاق اتحاد المصدرين » اي : حقيقة الالحاق في اتحاد المصدرين ، ومصداق الشيء ، ما يدل على صدق ذلك الشيء ، فلذلك حكموا بان شملل ملحق بدحرج دون أخرج ، لان شرط الالحاق توافق المصدرين . وقالوا : شملل شمللة كما قالوا دحرج دحرجة ولم يجيء مصدر أخرج على ذلك فان قيل : فقد قالوا : أخرج اخراجا كما قالوا دحرج دحراجا ، قيل له : الاعتبار انما هو بالفعللة لاطرادها وعمومها في جميع صور ــ فعلل ــ واما الفعلال ، فلا اعتداد به وانما هو دخيل فيه غير مطرد ومجيئه في بعض الصور فانهم لم يقولوا قحطابا وعربادا بل قحطبة وعربدة ، يقال : قحطبة اي صرعة ، ورجل معربد اي يؤذي نديمه في سكره .

فصل : في الماضي

قوله : « **وهو يجيء على أربعة عشر وجها نحو : ضرب الى ... ضربنا « وانما(١٥٨) » بني الماضي لفوات(١٥٩) موجب الاعراب ، وعلى الحركة المشابهة بالاسم في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت برجل ضرب وضارب ، وعلى الفتح(١٦٠) لأنه(١٦١) أخ السكون لان الفتح جزء الالف** » .

أقول : لما فرغ عن بيان أبواب الافعال والملحقات وغيرها ، شرع في بيان أبنية كل واحد منها . ثم الفصل مصدر لكنه جعل ههنا بمعنى اسم الفاعل ، أعني الفاصل والفارق ، يقال فصلت بين الشيئين اذا فرقت بينهما ، وفي الاصطلاح الفصل :

(١٥٧) أ : ركبها .

(١٥٨) الواو زيادة من ج .

(١٥٩) ق : لفواب بالموحدة التحتانية وهو تحريف .

(١٦٠) م ، ق : الفتحة .

(١٦١) أ : لان .

هو الحاجز بين الحكمين . الفصل ، مهما فصل لا ينون ، ومهما وصل ينون لان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب ، وانما قدم فصل الماضي على غيره، لانه خال عن الزيادة ، والمضارع والامر لا يخلوان عن الزيادة ، وقد علم ان المنجرد مقدم على المتلبس . والماضي : ما دل على معنى وجد في الزمان الماضي ، كذلك : كتبت هذا الكتاب ، فان زمان الكتابة مقدم على زمانك الماضي ، لا جميع زمانك . وقال بعضهم : الماضي : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك ، ولكن قيل في هذه العبارة تساهل ، لان زمانك مبهم ، لانه يتناول جميع حياتك ، بل العبارة المنقحة ان يقال : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمان تلفظك بالفعل ، كما تقول : قام يدل على حدوث القيام من زيد في زمان قبل الزمان الذي قلت فيه : قام زيد . ثم الماضي على نوعين : مبني للفاعل ، ومبني للمفعول . والمبني للفاعل : ما كان له فاعل سواء كان ظاهرا أو مضمرا ، وعلامته ان يكون اوله مفتوحا ، أو أول متحرك منه مفتوحا ، والمبني للمفعول : ما كان له مفعول يقوم مقام الفاعل، وعلامته أن يكون اوله مضموما أو أول متحرك منه مضموما ، وهو في الفاعل والمفعول يجيء على اربعة عشر وجها نحو : « ضرب[١٦٢] ، ضربا ، ضربوا ضربت ضربتا ضربن ضربت ضربتما ضربتم ، ضربت ضربتما ضربتن ضربت ضربنا وكذلك المجهول نحو : ضرب ضربنا ضربوا .. الى آخره ستة منها للغائب وستة للمخاطب واثنان للمتكلم . واحدا أو مشاركا وقوله « انما بني الماضي » اشارة الى بيان علة بناء الماضي ، وذلك لفوات موجب الاعراب بكسر الجيم ـ وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، وذلك ان الاصل في الافعال ، البناء ، لانه مستغن عن الاعراب ، لان لكل واحد من معاني الافعال، صيغة بازائه ولايعرض له معنى[١٦٣] يوجب تغيير لفظه اظهارا لذلك المعنى كما يعرض للاسم معنى يقتضي تغيير آخره ، وهو الفاعلية والمفعولية والاضافة ، ولا صيغة للاسم بأزاء تلك المعنى ، فاختص الاعراب بالاسم ، والبناء بالفعل والحرف . وأصل الاعراب بالحركات لانها بعض حروف المد واللين وكل موضع يحصل للمطلوب بالبعض ، فاستعمال الكل لذلك المطلوب فيه خارج عن الحكمة ، فوجب ان يكون أصل البناء السكون لانه ضد الحركة ، كما ان الاعراب ضد البناء ، فأعطى الضد الضد ، فثبت ان أصل الفعل ان يبنى على السكون ، كما ان الامر كذلك الا أن الفعل الماضي شابه الاسم مشابهة ما . وهي وقوعه موقع الاسم في قولك : زيد قائم ، وزيد قام ، فقام وقع موقع قائم ، فلاجل هذا خرج الماضي عن أصل البناء وهو السكون ، فلم يصل الى الاعراب لعدم المشابهة التامة ، فبني على الحركة كذلك المعنى ، وهذا معنى قوله « وعلى الحركة » أي بني على الحركة المشابهة بالاسم ، أي باسم الفاعل في وقوعه صفة للنكرة نحو : مررت برجل ضرب وضارب . وحاصل الكلام : ان المضارع لما شابه الاسم مشابهة تامة من كل وجه ، اعرب ، والماضي لما كانت مشابهته من وجه دون وجه ، لم يعرب ، ولكن عدل عن أصل البناء الذي هو السكون الى الحركة .

والامر لما لم يشابه الاسم بوجه ما ، ترك على الاصل ، وهو البناء[١٦٤] على السكون . وقوله « وعلى الفتح » اشارة الى علة بناء الماضي على الفتح دون الضم والكسر ، وذلك لان الفتحة أخ السكون ، لان الفتحة جزء الالف ، لانها بالاتباع تصير ألفا ، والالف ساكن دائما أو لان الفعل ثقيل ، فاختيرت الفتحة من بين الحركات لخفتها ، فهو مفتوح ابدا ، الا ان يعرض ما يوجب سكونه أو ضمه . اما السكون فعند الاعلال نحو : دعى ورمى أصلهما دعو ورمى ، قلبت الواو والياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلهما ، وكذا عند لحوق بعض الضمائر ، نحو : ضربن وضربت ـ الى آخره .

وانما سكن عند لحوق هذه الضمائر ، فرارا عن توالي الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة أعني الفعل وفاعله إذ الفاعل كالجزء من الفعل ، وأما الضم في نحو : ضربوا فلان الواو اذا كانت مدة ، فما قبلها مضموم ابدا .

قوله : **« ولم يعرب لان اسم الفاعل ، لم يؤخذ منه العمل بخلاف المستقبل ، لان اسم الفاعل أخذ منه العمل فأعطي الاعراب له عوضا[١٦٥] أو لكثرة [١٦٦] مشابهته له ، يعني[١٦٧] يعرب**

(١٦٢) الزيادة من ب .

(١٦٣) أ : مغني بالغين المعجمة وهو تحريف .

(١٦٤) ذهب الكوفيون والاخفش من البصريين الى ان الامر معرب مجزوم بلام الامر المحذوفة حذفا مستمرا في نحو : قم ، عد واصله عندهم لتقم ولتعد ، وحذف اللام للتخفيف ، ورد قولهم بأن البناء بالحذف غير معهود عند العرب ، واحتجوا بأن العرب قد نطقوا بالاصل كقول الشاعر :

لتقم أنت يا ابن خير قريش
كي لتقضي حوائج المسلمينا

(١٦٥) في ق بعده : عنه وهي ساقطة من م .

(١٦٦) ق : كسرة .

(١٦٧) م : مشابهة له ، والجار والمجرور ساقطة من أ و م .

المضارع لكثرة مشابهته « لاسم الفاعل »(١٦٨) وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته « له » وبني الامر على السكون ، لعدم مشابهته « له » .

اقول : انما لم يعرب الماضي لان اسم الفاعل اخذ منه العمل ، فأعطي الاعراب للمستقبل عرضا عن ذلك ، والدليل على ذلك ثلاثة وجوه ، الوجه الاول : ان المستقبل يقع موقع الاسم ، نحو : زيد قائم ، وزيد يقوم . والوجه الثاني : أن لام الابتداء تدخل على كل واحد منهما نحو : ان زيدا لقائم ، وان زيدا ليقوم . والوجه الثالث : ان المستقبل يشابه الاسم من جهة اللفظ اوازنته(١٦٩) اسم الفاعل في الحركات والسكنات نحو : ضارب ويضرب ، ومدحرج ويدحرج ، وأما المعنى ، فمن اربعة أوجه : الاول — ان المضارع مشترك بين الحال والاستقبال فصار شائعا ، ثم يختص لاحدهما بدخول اللام والسين أو سوف كما ان (اسم)(١٧٠) الجنس شائع في امته ، ثم يختص بواحد بعينه بدخول لام العهد ، والثاني : انه يكون شائعا ، قد شابه الاسم في كونه صالحا للفاعلية والمفعولية والاضافة واختصاصه بواحد منها عند دخول أحد العوامل ، والضابط فيه ، ان الاسم له صلاحية الفاعلية والمفعولية والاضافة ، فاذا دخل عليه العامل المقتضي للفاعل — يكون فاعلا مثل : « جاء زيد » ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للمفعول ، يصير مفعولا مثل : ضربت زيدا ، واذا دخل عليه العامل المقتضي للاضافة ، يكون مضافا اليه ، مثل : غلام زيد ، وكذلك الفعل المضارع ، له صلاحية للحالية والاستقبالية ، فاذا دخل عليه مخصص الحال — كاللام — يكون للحال ، واذا دخل عليه مخصص الاستقبال وهو السين او سوف ، يكون للاستقبال .

والثالث : ان المضارع بالشيوع قد اشبه الاسماء المشتركة كالعين ونحوه .

والرابع : ان الفهم يبادر في كل واحد منهما ، اعني في اسم الفاعل والفعل المضارع ، الى الحال عند الأطلاق ، نحو : زيد مصلي ، وزيد يصلي ، وهذه كلها معنى قوله « أو لكثرة مشابهته » اي يعرب المستقبل لكثرة مشابهته باسم الفاعل ، وبني الماضي على الحركة ، لقلة مشابهته ، وبني الامر على السكون لعدم المشابهة بينه وبين الاسم ، على ما سبقت الاشارة اليها .

(١٦٨) ما بين القوسين ساقط من ق ، أ .

(١٦٩) أ : فلو ازنته وهو تحريف والصواب ما انبته .

(١٧٠) الزيادة من ب .

قوله : « **زيدت الالف والواو والنون ، في آخره ، حتى يدللن على هما وهموا وهن ، وضم الحرف الطرفي(١٧١) في ضربوا لاجل الواو بخلاف(١٧٢) رموا لان الميم ليست بما قبلها وضم في رضوا وان لم يكن الضاد ما قبلها(١٧٣) حتى لا يلزم الخروج من الكسرة الى الضمة** » .

اقول : هذا شروع في بيان علة زيادة الالف والواو والنون في آخر الماضي ، وذلك انما(١٧٤) زيدت الالف في التثنية نحو : ضربا حتى تدل على هما ، وزيدت الواو في الجمع ، نحو : ضربوا حتى تدل على هموا ، وزيدت النون في الجمع المؤنث نحو: ضربن ، حتى تدل على هن لان هن(١٧٥) مستكنة تحتهن . وقيل انما زيدت النون في ضربن ، للفرق بينه وبين الجمع المذكر ولم يعكس الامر لان النون من المخرج الثاني ، والمؤنث أيضا ثان في التخليق ، وزيدت الالف في التثنية ، للفرق بينها وبين المفرد ولم يعكس الامر لان الالف أخف ، والتثنية كثيرة الاستعمال . وانما اختص الجمع بالواو لان الالف أسبق على الواو ، والتثنية أسبق على الجمع ، فأعطى الاسبق الاسبق ، فاختصت بالالف كما ان الجمع اختص بالواو ، وانما لم يعكس الامر لان الجمع ، أعني جمع المذكر ، اشرف الجموع والواو أيضا أشرف الحروف ، فاعطى الاشرف الاشرف .

وقوله « وضم الباء الطرفي في ضربوا » كأنه جواب على سؤال مقدر ، تقديره : لم ضم الباء الطرفي في ضربوا لان الماضي مبني على الفتح ؟ فقال . وضم الباء لاجل الواو ، لان الواو اذا كانت مدة ، يقتضي أن يكون ماقبلها ضمة بخلاف « رموا » لان الميم ليست ما قبلها في الاصل ، اذ أصله « رميوا » فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الالف فصار « رموا » على زنة — فعوا ، فان قيل لم لا تتحرك الواو في ضربوا ؟ قيل له . لئلا يلزم توالي الحركات فيما يشبه الكلمة الواحدة . وقوله « وضم في رضوا » كذلك جواب عن سؤال مقدر تقديره : أن يقال : لم ضم الحرف الطرفي في رضوا مع ان الضاد ليست بما قبل الواو في الاصل ؟ فأجاب عنه بقوله ، وضم في رضوا واذ

(١٧١) ق : الباء .

(١٧٢) ق : وبخلاف .

(١٧٣) ق : بما .

(١٧٤) أ : اذ ما .

(١٧٥) في أ : لانهن .

لم تكن الضاد بما قبلها في الاصل ، حتى لا يلـــزم الخروج من الكسرة الى الضمة ، لما فيه من الثقـل العظيم . واصله رضوا فقلبت حركة اليـــاء الى الضاد ، بعد سلب حركتها ، فالتقى ساكنان(١٧٦) ، فحذفت الياء ، فصار رضوا على زنة « فعوا » .

قوله : ((**كتب الالف في ضربوا للفرق(١٧٧) بين واو الجمع وواو العطف في مثل : حضر وتكلم زيد ، وقيل للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لم يدعو(١٧٨) ولم يدعوا**)) .

اقول : لما التبس الواوان في العطف والجمع ، كتبت الالف للفرق بينهما في مثل : حضر وتـــكلم زيد ، لانه اذا لم يكتب الالف ، لم يعلم أن المراد منه، ان القوم حضروا تكلم زيد ، بأن يكون فاعل تـكلم زيدا ، وفاعل حضروا ، القوم ، أو زيد حضر وتكلم بان يكون الفاعل فيهما زيدا . وقيل : انما كتبت للفرق بين واو الجمع وواو الواحد في مثل : لـم يدعوا ، لم يدعو(١٧٩) ، لانه اذا لم يكتب ، لم يعلم ان الفاعل فيه مفرد أو جمع ، وفي كلامه نظر ، لان الفرق بين هذه الصورة واضح ، لان الواو التـــي في ضربوا ، متصلة بما قبلها ، والواو التي للعطـف منفصلة ، ولو قال : كتبت الالف في مثـل : زادوا وساروا وقعدوا للفرق ، وحمل ضربوا وقتـــلوا وغيرهما عليه ، لكان أجيد واصوب ، فان قيل : قول القائل الثاني مرفوع ، لان الواو في المفرد نحو : لم يدع سقط بالجازم ، فمن أين الالتباس حتى تكتب الالف للفرق ؟ قيل له : سـقوط الواو من المفـرد بالجازم ليس على الاطلاق ، بل قد جاء ثبوتـــه في بعض الصور عند بعض أهل اللغة ، وعليه قـــول الشاعر :

هجوت زبـــان ثـــم جئت معتـــذرا
من هجو زبان لم تهجو(١٨٠) ولم تدع(١٨١)

حيث اثبتت الواو في قوله لم تهجو ، والقياس حذف الواو لدخول الجازم وهذا السؤال والجواب، على ان تكون كلمة لم ، في قوله « لم يدعو » ، لـم الجازمة ، وأما اذا كانت كلمة الاستفهام بكسر اللام وفتح الميم ــ فحينئذ لا سؤال ، فلا جواب ــ على ان الصواب هذا وبيانه على هذا ان الالف ، اذا لم تكسر في لم يدعوا ــ الذي هو الجمع المذكور المجزوم بلم ــ التبس بالمفرد الذي دخل عليه الاستفهام .

فائدة : كتبت الالف في مائة فرقا بينها بين منـــه فافهـــم .

قوله : ((**جعلت التاء علامة للمؤنث في ضربت لان التاء من المخرج الثاني (١٨٢) ، والمؤنث ايضـا ثان (١٨٣) في التخليق ، وهذه التاء ليست بضمير لما (١٨٤) سيجيء (١٨٥) (بعد) (١٨٦) واسكنت الباء في مثل ضربن وضربت ، حتى لا يجتمع اربع حركات (متواليات) (١٨٧) فيما (هو)(١٨٨) كالكلمة الواحدة، ومن ثم لا يجوز العطف على الضمير (١٨٩) (المرفوع**

---

(١٧٦) هما الياء والواو .
(١٧٧) في ق : المفروق بين وواود . وهي مضطربة هناك .
(١٧٨) ق : يدعوا والالف زائدة لان الفعل مفرد .
(١٧٩) أ : يدعو بزيادة الالف .
(١٨٠) أ : تهجو بزيادة الالف ليس بشيء .
(١٨١) لم أقف على نسبة هذا البيت لقائل معين ، وقيل هو لأبي عمرو بن العلاء واسمه زبان ، ومنهم من يرويه لشاعر كان يهاجي أبا عمرو بن العلاء . والافعال كلها بصيغة الخطاب والشاهد في قوله « لم أهجو » باثبات الـــواو الساكنة مع الجازم وذلك شاذ . وزبان بالزاي المعجمة الموحدة مأخوذ من الزبب وهو طول الشعر وكثرته وقـد علمت ان الواو والياء والالف اللائي يقعن في آخر المضارع يحذفن عند الجزم نحو لم يخش ولم يرم ، واثباتهن شاذ الا في الضرورة . وعليه أيضا قول قيس بن زهير العبسي :

ألم يأتيـك والانبـــاء تنمي
بما لاقت لبون بني زيـــاد

(١٨٢) ق : التاء .
(١٨٣) أ : ياتي .
(١٨٤) ق : كما .
(١٨٥) أ : يجيء .
(١٨٦) زيادة من جـ وفي ق : من بعد .

فائـدة : قال العلامة سـعدالدين التفتازاني في شـرح التصريف الزنجاني . « وزادوا تـاء في نصرت للدلالة على التأنيث كما في الاسـم ناصرة ، واختصوا المتحركة بالاسم والساكنة بالفعل تعادلا بينهما اذ الفعل أثقل ، وحركوهـا في التثنية لالتقاء الساكنين ، وزادوا ألفا وواوا علامة للفاعل في الاثنين والجماعة ، وقد يحذف الواو في الندرة كقوله :

« فلو أن الاطبـا كان حولي
وكان مـع الاطبـاء الشـفاء »

وزادوا تاء للمخاطب وتاء للمخاطبة وتاء للمتكلم وحركوها في الجمع خوفا للبس بتاء التأنيث ، وضموها للمتكلم لأن الضم أقوى والمتكلم مقدم في الرتبة ، وفتحوها للمخاطب لعدم اللبس بالمتكلم ولخفة الفتحة ، فبقيت الكسـرة للمخاطبة . ا هـ بتصرف قليل .

(١٨٧) من حـ . وهي ساقطة من ق .
(١٨٨) زيادة من جـ .
(١٨٩) ق ، م : ضميره .

المتصل » (١٩٠) لغير (١٩١) التاكيد . لا يقال : ضربت وزيد بل يقال : ضربت انا (١٩٢) وزيد بخلاف ضربنا . لان التاء فيه في حكم السكون ، ومن ثم تسقط الالف في رمنا (لكون الحركة فيه) (١٩٣) عارضية الا في لغة رديئة يقول أهلها رماتا (١٩٤) وبخلاف (١٩٥) ضربك ، لانه ليس كالكلمة الواحدة ، لانه ضمير منصوب (١٩٦) ، وبخلاف هدبد (وعلبط)(١٩٧) لان أصلهما هدابد (وعلابط) ثم قصر كما في مخيط اصله مخياط » .

أقول : لما التبس الاخبار في حق المخبر اليه بأن المخبر به ، هل هو مذكر أم مؤنث ؟ جعلت التاء علامة للمؤنث لينفدع الالتباس ، وانما خصت التاء للعلامة ، لانها من المخرج الثاني ، والمؤنث أيضا ثان في التخليق ، لان الله ـ تبارك وتعالى ـ خلق آدم أولا ثم خلق منه حواء ، صلوات الله وسلامه عليهما .

وهذه التاء ، ليست بضمير لما سنقف عليه ان شاء الله تعالى ـ وقوله : واسكنت الباء في ضربن أي : لما اتصلت نون الجماعة وتاء المخاطب بضرب ، اسكنت الباء ، لئلا يلزم اربع حركات متواليات فيما هو كالكلمة الواحدة ، وذلك يؤدي الى الثقل العظيم . وقوله « ومن ثم لا يجوز » أي ومن أجل أن الضمير كحرف من حروف الكلمة ، لا يجوز العطف على ضميرها الا بالتأكيد ، كما لايجوز العطف على حرف من حروفها(١٩٨) ، لانه يلزم منه عطف الاسم على الفعل ، وذلك غير حسن فلا يقال : ضربت وزيد ، بل يؤكد ويقال : ضربت أنت وزيد ، وقمت انا وزيد ، ولو قلت : قمت وزيد من غير توكيد لم يجز عند البصريين . وقال الكوفيين يجوز من غير توكيد ، واحتجوا بقوله تعالى (ما أشركنا ولا آباؤنا)(١٩٩) فنا : ضمير متصل بالفعل ، ويقول الشاعر :

قلت اذ اقبلت وزهر تهادى
كنعاج الملا تعسفن رملا(٢٠٠)

وحجتهم انه اذا عطف من غير توكيد ، يلزم فيه عطف الاسم على الفعل وذلك غير جائز ، فاذا أكد بضمير منفصل ، قوي ذلك الضمير ثم عطف عليه فيكون كأنه عطف الاسم ، لانه صار كالمظهر لقوته بالتأكيد فيؤكد اما بمنفصل كما ذكرنا ، أو ما يسد مسده . والجواب عن الآية ، أن لا يسد مسد التوكيد لطول الكلام ، فكلما طال الكلام وكثرت(٢٠١) حروفه ، كان أحسن . واما الشعر فقيل فيه : ان الواو للحال ، وليست بعاطفة ، وزهر : مبتدأ لا معطوف ، وقيل هو شاذ ، اضطر الشاعر الى اسقاط المؤكد لوزن الشعر ، فلا يقاس عليه غيره ، بيان زهر : جمع زهراء . تهادى(٢٠٢) أي تتبختر ، أصله تتهادى ، فحذفت احدى التاءين(٢٠٣) كما في قوله تعالى : « نارا تلظى(٢٠٤) » أصله : تتلظى . الملا ، الصحراء ، النعاج : جمع نعجة ، تعسفن : أي ملن عن الطريق . معناه : قلت اذ أقبلت الحبيبة مع نسوة يتبخترن كنعاج الصحراء حين ملن عن الطريق في الرمل . قلت . جملة فعلية ، اذ ظرف ، وأقبلت: فعل فاعله مستتر يعود الى الحبيبة ، وزهر : اما مبتدأ أو عطف على الاختلاف . وتهادى : فاعله مستتر ، والجملة رفع لكونها صفة لقوله « زهر » على تقدير أن يكون وزهر عطفا على الضمير الذي في

(١٩٠) زيادة من جـ .
(١٩١) حـ . ق : بغير .
(١٩٢) م ، أنت وفي هامشها أنا .
(١٩٣) فيه : ساقطة من ق ، م .
(١٩٤) مابين القوسين ساقط من أ .
(١٩٥) في ق ، م بعده : مثل .
(١٩٦) ق . جـ لان ضميره ضمير منصوب .
(١٩٧) ساقطة من ق ، أ وفي م . بالغين المعجمة ، واعلم ان الهدبد من الالفاظ التي استعملت اسما وصفة لا فعل له ، وذهب الجوهري الى تفسيره بالعمش نقلا عن بعض ائمة اللغة ، وقيل هو العشاء والخفش ، وكان عرب الجاهلية اذا أصاب أحدهم العشا وهو ضعف البصر ، عمد الى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وقلاهما وقال عند كل لقمة بعد أن يمسح جفنه الاعلى بسبابتيه :

فيا سناما وكبد الا اذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد الا السنام والكبد

وهم يزعمون أنه يذهب العشا بذلك .
(١٩٨) أ . حروف .

(١٩٩) الآية ١٤٨ من سورة الانعام .
(٢٠٠) هو لعمر بن أبي ربيعة من كلمة يقولها في حميدة جارية ابن ماجه مطلعها .

حمل القلب من حميدة ثقلا ان في ذاك للفؤاد لشغلا

والشاهد في البيت : عطف زهر على الضمير المستتر في « أقبلت » من غير أن يفصل بينهما بالضمير البارز وهو من ضرورات الشعر عند البصريين وجوزه الكوفيون . والملا موضع يقول فيه ذو الرمة :

الا حبذا أهل الملا غير أنه اذا ذكرت مي فلا حبذاهيا

وقد رواه الشارح « الفلا » وهو بمعناه .
ومثل هذا البيت قول جرير :

ورجا الاخيطل من سفاهة رايه مالم يكن وأب له لينالا

(٢٠١) أ : كثر .
(٢٠٢) أ : نهاري .
(٢٠٣) أ : الناس .
(٢٠٤) الآية ١٤ من سورة الليل .

قوله « اذ أقبلت » . واذا كان الواو في زهر للحال ، يكون زهر ، مبتدأ والجملة . أعني قوله تهادى ، خبره ، والجملة محلها النصب على الحال . قوله : تعسفن : فعل فاعله النون والجملة حال عن النعاج، والعامل فيها تهادى . رملا : نصب على الظرف . وقوله « بخلاف ضربتا » جواب على سؤال مقدر تقديره : ان يقال : أسكنت الباء في مثل ضربن وضربت (للعلة)[205] الموجبة فلم لا تسكن في ضربتا مع أنه يلزم منها أربع حركات متواليات فيما هو كالكلمة الواحدة ؟ فأجاب عنه بقوله بخلاف ضربتا ، لان التاء فيه في حكم السكون لان حركتها عارضية لانها حركت لاجل الالف ، والعارض كالمعدوم وقوله « ومن ثم تسقط الالف في رمتا » أي ومن أجل ذلك ان الالف في رمتا سقطت ، لان أصله « رميتا » على زنة ــ فعلتا ــ فقلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار « رماتا » ثم حذفت الالف المنقلبة عن الياء لامرين : أحدهما : ان حركة التاء في رماتا عارضية بسبب الالف ، فحذفت لئلا يلزم التقاء الساكنين ، والحركة العارضية غير معتد بها .

والثاني : أن رمتا تثنية وهو فرع لرمت ، وقد حذفت الالف في رمت الذي هو الاصل ، ولو لم يحذف من الفرع ، يلزم المخالفة بين الاصل والفرع ، فحذفت من التثنية الحاقا للفرع بالاصل .

ومن العرب من يقول : رماتا وغزاتا على اصلهما ، نظرا الى اللفظ وقوله « بخلاف ضربك » عطف على قوله « بخلاف ضربتا » أي لم تسكن الباء في ضربك لانها[206] ليست كالكلمة الواحدة ، لان ضرب كلمة برأسها ، والكاف ضمير منصوب ، فاذن لا يلزم اربع حركات متواليات ، فيما هو كالكلمة الواحدة ، بخلاف « هدبد » أيضا لان هدبد أصله هدابد[207] فلا يلزم أربع حركات متواليات ، لكنه قصر طلبا للتخفيف ، كما حذفت الالف عن مخيط ، أصله مخياط ، روما للخفة ، وهدبد : هو اللبن الخاثر .

(٢٠٥) الزيادة من الهامش .

(٢٠٦) لانه .

(٢٠٧) ومثله : علبط وعكمس وخزخز وذلذل وزلزل وعرتن واصلها : علابط وعكامس وخزاخز وذلاذل وزلازل . فهذه كلها محذوفات الالف ، وقد نطقوا بها تامة كقول الراجز :

اعددت للورد اذا الورد خفز
غربا جرورا وجلالا خزخز

وكقوله :

ما راعني الا جناح هابطا   على البيوت قوطه العلابطا

وقال سيبويه « انك لا تجد فعللا الا ويروي فيه فعالل » . ا هـ .

قوله : « **وحذفت التاء في[208] ضربن حتى لا يجتمع علامتا تأنيث[209] ، كما في مسلمات ، وان لم يكونا من جنس واحد لثقل الفعل بخلاف حبليات[210]وسوي بين تثنيتي المخاطب والمخاطبة وبين الاخبارات لقلة الاستعمال في التثنية ، ووضع الضمائر للايجاز ، وعدم الالتباس[211] في الاخبارات** » .

اقول : لما جمع ضربت على ضربن ، حذفت الياء منه لئلا يجتمع علامتا تأنيث احدهما : التاء ، والاخرى : النون وذلك يؤدي الى الثقل العظيم ، كما حذفت في « مسلمات » اذا أصلها : مسلمتات . بخلاف « حبليات » لانها جمع حبلى ، فقد جمعوا فيها بين علامتي التأنيث ، وهما الالف والتاء لان الالف في حبلى للتأنيث ، فلما جمعوها ، قلبوا الالف ياء ولم يحذفوها لان الالف تنزل منزلة حرف من نفس الكلمة لانها صيغت عليها في أول وضعها بخلاف التاء ، فانها ما صيغت عليها الكلمة في أول حالها ، بل أتت للفرق بين المذكر والمؤنث ، فهي غير لازمة للكلمة في جميع أحوالها بل تفارقها بخلاف الالف ، فانها لازمة لانها تأنيث لازم ، والتاء بمنزلة ضم اسم الى اسم كحضرموت وبعلبك فلاجل هذا لم يحذفوها للزوم الكلمة ، وانما قلبت ياء[212] ، لانها اجتمت مع الالف التي قبل تاء الجمع ، وهي ساكنة والف حبلى أيضا ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، فلو لم تقلب لادى الى حذفها . فان قيل : لم قلبت ياء دون الواو ؟ قيل له : لان الياء علامة التأنيث في بعض المواضع في مثل : انت تقومين وتقعدين . أو لان الياء أشبه بالالف من الواو ، ولقربها من الالف في خفتها وخفائها ، أما الواو فثقيلة لا تشبه الالف ، فقلبها الى الاخف اولى من قلبها الى الاثقل . وكذلك الكلام في ــ سُعديات ــ وحباريات ــ جمع سُعدى ــ وحبارى ، وقوله « وسوى بين[213] تثنيتي المخاطب والمخاطبة » أي سوى بين التثنيتين في الماضي ، تنثية المخاطب وتثنية المخاطبة ، لقلة الاستعمال في التثنية .

وقوله « وبين الاخبارات » اي سوى المذكر والمؤنث والجمع في الاخبارات لعدم الالتباس فيها ،

(٢٠٨) بعده في م : مثل .

(٢٠٩) م ، ق : التانيث .

(٢١٠) بعده في م : لعدم الجنسية .

(٢١١) أ : الالباس .

(٢١٢) أ : باء بالموحدة .

(٢١٣) زيادة يقتضيها السياق .

لان المتكلم يرى في أكثر الاحوال فيعلم بالصوت والنطق ، فالحاصل في ذلك . ان المذكر والمؤنث اشتركا في التكلم والخطاب ، ولم يشتركا في الجمع، لان التثنية لما كانت موضوعة لمعنى واحد ، وهو الدلالة على الاثنين ، صلحت لها ، والجمع لما لم يكن كذلك فلم تتحد الصيفة ، فانه يختلف بالكثرة ، فان نصرتا لا اختلاف فيه ، ونصرتم ونصرتن فيهاختلاف فان الضمائر بالحقيقة ليست من الجمع . لعدم صدق حد الجمع عليها ، لكن هي علامة الجمع فيصبح أن يكون المفهوم من احدهما اكثر او اقل أو مساويا من الاخر في الاعداد ، اذ اللفظ لا يدل على الاتحاد كالتثنية .

وقوله « ووضع الضمائر للايجاز » أي : وضع الضمائر في التثنية للاختصار واذا كان كذلك ، فلا ينبغي أن يوضع ضميران لتثنية المخاطب والمخاطبة مع قلة استعمالهما ، وقلة استعمالهما تجعلهما بمنزلة لفظ واحد للمعنيين .

قوله : **« (و) زيدت[٢١٤] الميم في ضربتما حتى لا يلتبس بالف[٢١٥] الاشباع في مثل قول الشاعر :**

اخوك اخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف[٢١٦] انتا[٢١٧]

خصت الميم (في ضربتما)[٢١٨] لان تحته انتما مضمر وادخلت[٢١٩] في انتما لقرب الميم[٢٢٠] من التاء في المخرج (الشفوي)[٢٢١] وقيل[٢٢٢] اتباعا لهما لما[٢٢٣] يجيء ، وضمت التاء لانها ضمير الفاعل ، وفتحت[٢٢٤] في الواحد خوفا من الالتباس[٢٢٥] ، ولا التباس في التثنية ، وقيل اتباعا للميم لان الميم شفوية فجعلوا حركة التاء من جنسها وهو الضم الشفوي » .

---

(٢١٤) ق : فزيدت .
(٢١٥) ق : الالف .
(٢١٦) ق : وكيف .
(٢١٧) هكذا بدون تعليق !! (المورد) .
(٢١٨) زيادة من ب .
(٢١٩) م ، ق : بعدها الميم .
(٢٢٠) ق : لقرب الميم من ضربتما الى التاء في المخرج ، وقيل تبعا لهما كما يجيء .
(٢٢١) زيادة من : م ، ح .
(٢٢٢) بعده في أ : تبعا .
(٢٢٣) م : كما .
(٢٢٤) بعده في ق : التاء .
(٢٢٥) بعده في م . بالمتكلم .

اقول : لما قصدوا التثنية زادوا في آخر المفرد ميما ، حتى لا يلتبس بالف الاشباع في مثل قول الشاعر :

اخوك اخو مكاشرة وضحك

وحياك الاله فكيف انتا

اقول : لانه لو لم تزد الميم فلا يحصل الفرق . ولا يعلم بأنه مفرد مشبع بالالف ، أو تثنية ؟ والالف في قول الشاعر : الف الاشباع لا الف التثنية ، الكشر والضحك بمعنى واحد ، وقيل ، الكشر انما يستعمل في ضحك مع فرح وبشاشة . اخوك مرفوع بالابتداء ، واخو مكاشرة مضاف ومضاف اليه خبر عنه ، وضحك : عطف ، وحياك الاله جملة من الفعل والفاعل والمفعول لا محل لها من الاعراب ، لانها جملة دعائية في موقع المدح . وكيف سؤال على الحال ، مبني لتضمنه همزة الاستفهام وهو من ظروف الزمان لانه سؤال عن الحال ، اي حال المسؤول عنه في الحال ، وهو يقتضي صدر الكلام ، لانه مغير .

وقوله خصت الميم ، كانه جواب عن سؤال مقدر ، تقديره ان يقال : لم خصت الميم بالزيادة ؟ فأجاب عنه بقوله : خصت الميم لان تحته انتما مضمر ، وأدخلت الميم في انتما لقرب الميم من التاء في المخرج ، ولان الميم تدل على المجاورة ، وكأنك جاوزت عن المفرد الى التثنية عند قصدك اليهما وانما ضمت هذه التاء لانها ضمير الفاعل ، والضمير اذا كان الفاعل ، يكون مضموما ، كضربت ، ولا يرد عليه ضربت ، لان كسرته للفرق بين المذكر والمؤنث ، ولا ضربت بالفتح في الواحد المخاطب ــ لان المتكلم مضموم التاء ، ولا التباس في التثنية .

قوله « وقيل اتباعا لهما » اي لضمير التثنية الذي في ضربا ، فان هما مستتر فيه ، فلما كان ضمير التثنية هناك بالميم ، فكذلك زيدت في نحو : ضربتما ــ لهما ــ ، وهو بكسر اللام ، لانها حرف جر دخلت على هما الذي هو اسم ضمير التثنية فافهم .

وقيل : انما ضمت التاء ، اتباعا للميم ، لان الميم شفوية ، فجعلوا حركة التاء من جنسها ، وهو الضم الشفوي ، لان الجنسية مطلوبة عندهم . واتباعا : منصوب بانه مفعول له .

قوله : **« (و) زيدت الميم في ضربتم حتى تطرد لتثنيته[٢٢٦] ، وضمير الجمع فيه محذوف وهو**

---

(٢٢٦) م ، ح ، بتثنيته .

الواو ، وأصله(٢٢٧) ـ ضربتموا ـ فحذفت الواو لان الميم بمنزلة الاسم ، ولا يوجد في آخر الاسم واو ما قبلها ضمة(٢٢٨) الا هو ومن ثم(٢٢٩) يقال في جمع دلو : أدل ـ (أصله أدلو)(٢٣٠) ـ بخلاف ضربوا ، لان باءه(٢٣١) ليست(٢٣٢) بمنزلة الاسم ، وبخلاف ضربتموه لان الواو خرج من الطرف بسبب الضمير كما في العظاية)) .

اقول : لما قصدوا صيغة الجمع في الماضي ، زادوا الميم في آخره ، حتى تطرد تثنيته اي حتى يصير جاريا على طريق التثنية ، ولايختلف البناء ، والاطراد مطلوب عندهم ، وأما ضمير الجمع فيه ، فمحذوف الواو لان الميم بمنزلة الاسم في آخره ، ولا يوجد في آخر الاسم واو ما قبلها مضموم ، الا هو ، الذي هو ضمير الواحد المذكر .

وقوله : « ومن ثم يقال في جمع دلو ، ادل « اي ومن أجل أن الواو لا يوجد في آخر الاسم مضموما ما قبلها . قيل في جمع دلو ـ ادل ، والقياس أدلو ، لانه جمع قلة ، والقياس في جمع القلة ـ افعل ـ الا انهم ابدلوا ضمة اللام كسرة ، ثم قلبوا الواو ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها ، فصار ادلي ، فاستثقلت الضمة على الياء ، فحذفت ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الياء فصار أدل على زنة ـ أفع .

وجمع القلة(٢٣٣) : أفعل وأفعال وأفعلة وفعلة والصحيح وما عدا ذلك فجموع كثرة ، وقوله « بخلاف ضربوا » لان باءه ليست بمنزلة الاسم ، لانه جزء الكلمة ، وكذلك ضربتموه ، لان الواو خرج من الطرفية بسبب الضمير ، وهو الهاء . وقوله « كما في العظاية » اي : كما أن الياء في العظاية ، خرجت من الطرفية بسبب الهاء ، لان القاعدة هي : أن تقلب(٢٣٤) الياء المتطرفة الواقعة بعد الف ساكنة ، همزة ـ كرداء ، وكذلك الواو ككساء ، لكنه لم تقلب هنا لخروج الياء عن الطرفية ، بسبب الهاء ، وكذلك الشقاوة لم تقلب واوها همزة ، لخروجها عن الطرفية بسبب الهاء . والعظاية(٢٣٥) : دويبة أكبر من الوزغة ـ دويبة أصغر من السأم الابرص وراسها مدورة ، وجثتها عريضة وذنبها مثل ذنب الفارة .

قوله : ((**وشدد نون(٢٣٦) ضربتن دون ضربن، لان أصله ضربتمن ، فأدغم(٢٣٧) الميم في النون ، لقرب الميم من النون ، ومن ثم تبدل الميم من النون في (مثل) عمبر(٢٣٨) ، وقيل أصله ضربتن(٢٣٩) ، فأريد أن يكون ما قبل النون ساكنا(٢٤٠) ، ليطرد بجميع نونات النساء(٢٤١) ، ولا يمكن اسكان تاء الخطاب(٢٤٢) لاجتماع الساكنين ولا يمكن حذفها لانها علامة ، والعلامة لا تحذف ، فادخل النون لقرب النون من النون ثم ادغم))** .

اقول : انما شدد نون ضربتن دون ضربن لان اصل ضربتن : ضربتمن ، فأدغم الميم في النون ، لقرب الميم من النون في المخرج ، ومن ثم تبدل الميم من النون ، اي ومن أجل أن النون والميم متقاربان في المخرج ، ابدل الميم من النون في « عمبر » أصله ـ عنبر ـ وكذلك « شماء » أصله ـ شنماء ـ ، وقيل انما ابدل النون ميما في نحو : عمبر ، لانه لو ترك نونا والحرف الذي بعده من الحروف الشفوية ، فان أظهر استقبح ، وان خفي استثقل ؛ وان ادغم ذهب مافي النون من الغنة ، فوجه قلبه ميما ليوافق الميم من النون في الغنة . وقيل : أصله : ضربتن(٢٤٣) ـ بتخفيف النون ـ فأريد ان يكون ما قبل النون ساكنا ليطرد بجميع نونات النساء ، اي ليكون جاريا مجرى جميع نونات النساء ، لأن ما قبل جميع نونات النساء ساكن ، كقولك : ضربن يضربن اضربن ، ولا يمكن اسكان تاء الخطاب ، لانه على تقدير السكون ، يلزم التقاء الساكنين على غير حده ولا يمكن حذفها أيضا لانها علامة ، والعلامة لا تحذف ، لانها جيئت

---

(٢٢٧) م : لان اصله .

(٢٢٨) م . ح : مضموم .

(٢٢٩) م . شاذ .

(٢٣٠) زيادة من ج . م . ق .

(٢٣١) أ : بابه وفي أ : الياء .

(٢٣٢) أ : ليس .

(٢٣٣) جمعها بعضهم في قوله :

بأفعُل وبأفعَال وأفعِلة ... وفِعْلة يعرف الادنى من العدد

(٢٣٤) أ : تقلت وهو تحريف .

(٢٣٥) أ : القطاية بالقاف المثناة الفوقانية .

(٢٣٦) أ . ح : النون في .

(٢٣٧) م فابدلت الميم من النون .

(٢٣٨) بعده في ق : لان .

(٢٣٩) أ : ضرمتن ، ق : ضربتم .

(٢٤٠) أ : ساكنة .

(٢٤١) ق : التاء .

(٢٤٢) ق : المخاطبة .

(٢٤٣) مكرر في الاصل .

لمعنى ، وما جيئت لا تحذف ، فأدخل النون لقرب النون من النون ، ثم أدغم النون في النون .

وقد اعترض بعضهم على المصنف في قوله « لقرب النون من النون » وذلك انما يقال : هذا الحرف قريب من هذا الحرف ، اذا كان بينهما مغايرة في الذات ولكن يكون احدهما قريبا من الاخر ، اذا كان بينهما قرب في المخرج ، وههنا ليس كذلك ، لان النونين هي نون واحدة ، فيصير معنى قوله « لقرب النون من النون » لقرب الشيء من نفسه ، وهذا كما ترى لا يجوز ، والجواب على ذلك : ان معنا ههنا نونين ، احدهما النون الذي هو علامة جمع المؤنث ، والنون الاخر هو الذي اتي به من خارج ، وهو النون المطلق والاول هو النون المقيد ، فلما كانا متغايرين بحسب الصيغة ، جعلا كانهما متغايرين بحسب الذات ، لكن بينهما قرب وهو كونهما من واو واحد ، فصح قوله « لقرب النون من النون » أي لقرب النون المطلق الذي زيد في « ضربتن » من خارج ، من النون الذي هو كجزء الكلمة في ضربتن الدال على جماعة الاناث ، فلما اجتمعت نونان احدهما علامة والاخرى زائدة ، ادغمت احداهما في الاخرى ، فافهم .

قوله : **« زيدت التاء[٢٤٤] في ضربت لان تحته « أنا » مضمر ولا يمكن الزيادة من حروفه للالتباس » فاختير التاء لوجوده[٢٤٥] في أخواته (و)[٢٤٦] زيدت النون في ضربنا لان تحته « نحن » مضمر ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس وقيل لان تحته « انا مضمر » .**

اقول : لما أرادوا الاخبار عن النفس ، زادوا في آخر الماضي تاء ، نحو : ضربت لان تحته « أنا » مضمر ، ولكن لا يمكن الزيادة في حروف أنا للالتباس ، لانه اذا زيد الالف يلتبس بالتثنية ، واذا زيد النون ، يلتبس بالجمع ، نحو : ضربن ، فاختير التاء لوجوده في اخواته ، أي في المخاطب والمخاطبة والغائبة . وزيدت النون في – ضربنا – لان تحته « نحن » مضمر ، فأخذ النون من نحن ، فزيد في آخر الماضي للاخبار عن الانفس المشاركة في الفعل ، أو عن النفس الواحد العظيم ، ثم زيدت الالف حتى لا يلتبس بضربن فصار ضربنا ،

وقيل : تحته انا مضمر ، فأخذ النون والالف من انا وزيدتا في آخره .

فائدة : انا موضوع للكناية عن الواحد ، ونحن جمعه من غير لفظه ، كنساء جمع مرأة .

قوله : **« وتدخل المضمرات في الماضي وأخواته ، وهي ترتقي الى ستين نوعا ، لانها في الاصل[٢٤٧] ثلاثة : مرفوع ومنصوب ومجرور ، ثم يصير كل واحد منها الى أثنين ، نظرا الى اتصاله وانفصاله ، فاضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير[٢٤٨] ستة ، ثم أخرج المجرور والمنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، فيبقى لك خمسة[٢٤٩] : مرفوع متصل ومنفصل ، ومنصوب متصل ومنفصل ، ومجرور متصل ، ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في العقل ، ستة[٢٥٠] في الغيبة[٢٥١] وستة في المخاطبة ، وستة في الحكاية[٢٥٢] . واكتفي بخمسة في الغيبة باشتراك التثنية لقلة استعمالها ، وكذلك في المخاطبة[٢٥٣] ، وفي المتكلم[٢٥٤] ، بلفظين ، لان المتكلم يرى في أكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت أنه مذكر أو مؤنث ، فيبقى لك اثنا[٢٥٥] عشر نوعا . واذا صار قسم واحد من[٢٥٦] تلك القسمة اثنى عشر[٢٥٧] فيصير كل واحد منها[٢٥٨] مثل ذلك ، فيحصل[٢٥٩] لك بضرب الخمسة في اثني عشر[٢٦٠] ستون نوعا ، اثنا[٢٦١] عشر للمرفوع المتصل نحو : ضرب ... الى ضربنا .**

---

(٢٤٤) أ : الفا .
(٢٤٥) ق : وجودها .
(٢٤٦) الواو ساقطة من أ ، ق .

(٢٤٧) في الاصل : ساقطة من م .
(٢٤٨) بعده في ق : لك .
(٢٤٩) ق : خمسة أنواع .
(٢٥٠) أ : ست وكذلك في البواقي .
(٢٥١) ق : وردت في ق هكذا – « ستا في المخاطب مع المخاطبة ، وستا في الحكاية وستا للغائب مع الغائبة » .
(٢٥٢) الحكاية اراد بها انا أو نحن .
(٢٥٣) أ : في المخاطب والمخاطبة .
(٢٥٤) م ، ق : الحكاية .
(٢٥٥) أ ، م : اثنى والتصويب من ق .
(٢٥٦) م : بياض .
(٢٥٧) بعده في م ، ق : نوعا .
(٢٥٨) م : ساقطة .
(٢٥٩) ق : فحصل .
(٢٦٠) أ : اثنا وهو خطأ ، وفي ق : باثنى .
(٢٦١) أ : اثني .

اقول : لما فرغ عن بيان الماضي بأقسامه واحكامه واحواله ، شرع في بيان المضمرات التي تضمر في الماضي وغيره .

المضمرات : جمع مضمر ، الضمير[٢٦٢] في اللغة عبارة عن الستر ، وفي الاصطلاح الضمير : هو الاسم الذي يعود الى ظاهر قبله لفظا أو تقديرا فان قيل : ما المقصود من المضمرات ؟ قيل له : المقصود من ذلك هو الاختصار ، وازالة الالتباس ، وذلك انك لو اعدت لفظ الظاهر ، لم يعلم ان الثاني هو الاول ، أو لا ؟ مثاله : قولك — جاءني زيد فقلت له — ولو قلت جاءني زيد وقلت لزيد ، لم يعلم ان « زيد » الثاني هو الاول ، ثم المضمرات ترتقي اي تصعد الى ستين نوعا ، لانها في الاصل اي لان المضمرات في أصل الوضع ثلاثة ، مرفوع ومنصوب ومجرور . ثم اضرب الاثنين في الثلاثة ، حتى يصير ستة ، ثم اخرج المجرور المنفصل حتى لا يلزم تقديم المجرور على الجار ، لان تقديم المجرور على (الجار)[٢٦٣] ، فصل والفصل بين الجار والمجرور غير جائز ، لايقال : ما مررت بالا زيد وزيد ، فحينئذ يبقى لك خمسة ، مرفوع متصل ، ومرفوع منفصل ، ومنصوب متصل ومنصوب منفصل ، ومجرور منفصل .

ثم انظر الى المرفوع المتصل ، وهو يحتمل ثمانية عشر نوعا في القسمة العقلية ، ستا في الغيبة، وستا في المخاطبة ، وستا في الحكاية ، لان الخطاب والغيبة والحكاية ، ثلاثة ، وكل واحد من هذه الثلاثة ، اما ان يكون مفردا أو مثنى أو مجموعا ، فصارت تسعة . ثم كل واحد من التسعة اما ان يكون مذكرا أو مؤنثا ، فاضرب الاثنين في التسعة ، فصارت ثمانية عشر قسما . ولكن اكتفى بخمسة في الغيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقلة استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى بخمسة في الغيبة ، لاشتراك التثنية في ضمير الغائب والغائبة لقلة استعمالها ، فيبقى لك سبعة عشر قسما . ثم كذلك اكتفى في المخاطبة بخمسة ، لاشتراك ضمير المخاطب والمخاطبة ، فيبقى لك ستة عشر قسما ، ثم كذلك اكتفى في الحكاية بلفظين ، لان المتكلم يرى في أكثر الاحوال ، ويعلم بالصوت انه مذكر أو مؤنث ، مفردا أو تثنية ، فسقط عنها أربعة فيبقى لك اثنا[٢٦٤] عشر قسما وهي : هو هما هم هي هن انتَ انتما انتم انتِ انتن انا نحن .

واذا صار قسم من تلك القسمة اثنى عشر ، فكذلك يصير كل واحد منها مثل ذلك ، أي من المنصوب المتصل والمنفصل ، والمرفوع والمجرور المتصل فيحصل لك بضرب الخمسة في اثنى عشر ستون نوعا ، اثنى عشر[٢٦٥] منها للضمير المرفوع المتصل نحو : ضرب . — الى ضربنا ، لما مر تعديده » .

قوله : « **واثنى عشر (للمرفوع)[٢٦٦] المنفصل ، نحو : هو ضرب الى نحن ضربنا ، والاصل[٢٦٧] هو ان يقال : هو ، هوا ، هووا[٢٦٨] ولكن[٢٦٩] جعل الواو ميما في الجمع لاتحاد مخرجهما ، واجتماع الواوين فصار هموا[٢٧٠] ، ثم ، حذفت الواو لما[٢٧١] مر في ضربتموا ، وحملت[٢٧٢] التثنية عليه وقيل[٢٧٣] حتى تقع الفتحة على الميم القوي ، وادخل الميم في انتما كما في ضربتما وحمل الجمع عليه ، ولا تحذف واوهو لقلة حروفه من القدر[٢٧٤] الصالح ، وتحذف[٢٧٥] اذا تعانق بشيء آخر لحصول كثرة الحروف بالمعانقة ووقوع[٢٧٦] الواو على الطرف ، ويبقى الواو مضموما على حاله ، نحو له ، وتكسر[٢٧٧] اذا كان ما قبله[٢٧٨] مكسورا أو ياء ساكنة حتى لا يلزم**

---

(٢٦٢) الضمير : اسم مفعول من أضمرته أي سترته واطلاقه على البارز توسع او حقيقة عرفية ، وهو بمعنى المضمر كقولك عقدت العسل فهو عقيد اي معقود ، والضمير من اصطلاحات البصريين ، والكوفيون يسمونه كناية أو مكنيا لانه ليس باسم صريح ، وقال البصريون كل مضمر مكني وليس كل مكني مضمرا ، فالكناية اقامة اسم مقام اسم تورية وايجازا .

(٢٦٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٦٤) أ : اثنى .

(٢٦٥) يعني تكون اثنى عشر منها ... الخ ولذا نصب .

(٢٦٦) زيادة من م ، حـ .

(٢٦٧) الاصل باختلاس الواو .

(٢٦٨) ق : هوا .

(٢٦٩) ق : ولك .

(٢٧٠) ق : همو .

(٢٧١) م ، ق : كما .

(٢٧٢) أ ، م : حمل .

(٢٧٣) بعده في م : قلبوا .

(٢٧٤) ق : قدر .

(٢٧٥) بعده في م ، ق : واوهوا .

(٢٧٦) في ق : مع وقوع .

(٢٧٧) في م ، حـ : وتكسر الهاء .

(٢٧٨) ق : اذا كانت ما قبلها .

الخروج من الكسرة الى الضمة في نحو : غلامه وفيه وتجعل ياء ـ هي ـ الفا[٢٧٩] ، كما تجعل في ـ ياغلامي يا (غلاما)[٢٨٠] وفي بادية باداة[٢٨١] وتجعل[٢٨٢] ميما في التثنية حتى لا تقع الفتحة على الضعيف مع ضعفها ، وشدد نون « هن » كما[٢٨٣] مر في ضربتن » .

اقول : اثنا[٢٨٤] عشر من المضمرات للمرفوع المنفصل نحو : هو ضرب ، هما ضربا ، هم ضربوا ، هي ضربت ، هن ضربن ، انت ضربت ، انتما ضربتما ، أنتم ضربتم ، أنتِ ضربت ، أنتن ضربتن انا ضربت ، نحن ضربنا .

الاصل في « هو » ان يقال : هوَ هوُا هوُوا ، لكن جعلت الواو ميما في الجمع ، لاتحاد مخرج الواو والميم او لاجتماع الواوين ، ثم صار هموا ثم حذفت الواو لما مر من انه لا يوجد في آخر الاسم واو قبلها مضموم ، ثم حذفت في ضربتموا فصار ـ هم ـ وضربتم ، وحمل التثنية عليه للاطراد لئلا يختلف البناء وقيل حتى تقع الفتحة على الميم القوى ، لان الميم قوى بالنسبة الى الواو ، لان الواو من حروف العلة ، وهي ضعيفة بالنسبة الى الحروف الصحيحة ، فلو حملت عليها الفتحة لازدادت ضعفا على ضعف ، بخلاف الميم فانها م نالحروف الصحيحة ، فلا تضعف عن تحمل الحركات .

قوله « (وادخل)[٢٨٥] الميم (في)[٢٨٥] أنتما كما ادخل في ضربتما » لان المتكلم لما قصد أن يخاطب إثنين ، جاء بالميم لان الميم يدل على المجاوزة ، فكأنه جاوز عن الواحد الى الاثنين ، وكانت الميم أولى بالزيادة تشبيها بالواو التي هي حرف مد ، وحمل الجمع عليه ، فان قيل : ما الفائدة في اعادة هذا البحث هنا ؟ قيل له : انما اعاد هنا لجواب سؤال مقدر تقديره : السؤال ان يقال : انكم حملتم التثنية في هما على جمعه ، ولم تحملوا التثنية في أنتما على الجمع ، فكأنه اجاب وقال : انما حملنا التثنية في هما على جمعه ، لان علة قلب الواو ميما هنا موجودة في الجمع ، وهي اجتماع الواوين ، وهناك علة القلب موجودة في التثنية ، وهي الالتباس بألف الاشباع ، فلذلك حملنا التثنية في ـ هما ـ على الجمع ، والجمع في أنتما على التثنية .

وقوله « ولا يحذف واو هو من غير أن يتعانق بشيء » أي من غير أن يتصل بشيء لانه اذا حذف بغير الاعتناق بقي أقل م نالقدر الصالح ، ولكن انما يجوز حذفها ، اذا تعانق بشيء لحصول كثرة الحروف حينئذ بالمعانقة ، ووقوعها على الطرف ، ولكن يبقى الهاء مضموما على حاله نحو : لـه ، وعليه ـ على قراءة البعض[٢٨٦] ـ وقد جاء في الشعر حذف الواو من غير أن يتعانق بشيء كقوله :

فبيناه يشرى رحله قال قائل

لمن جمل رخو الملاط نجيب[٢٨٧]

اصله : فبينا هو ، الملاط : الجنب ،

(٢٧٩) ق : بعده كما في ياء هي .

(٢٨٠) م : ياغلاما والزيادة من جـ ، م .

(٢٨١) في ا : بادات ، وفي ق : يابادية ياباداة .

(٢٨٢) بعده في ق : ياء هي .

(٢٨٣) ق ، م : لما .

(٢٨٤) م : اثنى .

(٢٨٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٨٦) قال العلامة أبو البقاء العكبرى في أملاء ما من به الرحمن حـ ١ ص ٩ في فصل عقده لهاء الضمير . « الاصل في هذه الهاء الضم لانهاتضم بعد الفتحة والضمة والسكون نحو : انه وله وغلامه ويسمعه وفيه ، وانما يجوز كسرها بعد الياء نحو : عليهم وايديهم ، وبعد الكسر نحو : بـه وبداره وضمها في الموضعين جائز لانه الاصل ، وانما كسرت لتجانس ما قبلها من الياء والكسرة وبكل قد قرىء .

(٢٨٧) البيت للمخلب ـ بضم الميم وفتح الخاء ولام مشددة ـ الهلالي ، وقيل هو للعجير شاعر من شعراء الدولة الاموية وسبب هذا الخلط ما ذكره ابن الاعرابي من ان للمخلب قصيدة ليس في الارض بدوي الا وهو يحفظها ومنها هذا البيت ثم قال : وقد سلك العجير السلوكي طريقة المخلب الهلالي وأدرج معاني قطعته في شعره ، والقصيدتان لاميتان وروى سيبويه : لمن جمل رخو الملاط نجيب ، فتبعه النحاة وانما هو : لمن جمل رخو الملاط ذلول . قوله ـ يشرى ـ أراد يبيع فهو من الاضداد ، والرحل : ما أعد للرحيل ، والملاط : الجنب أو جانبا السنام ، ويقال للهلال : ابن ملاط ، ورخو الملاط : سهله واملسه وفي قصيدة العجير ، رسل الملاط طويل .

الشاهد : ان واو هو قد يحذف ، وهو دليل الكوفيين بأن الواو زائدة وان الضمير هو الهاء فقط . وقال البصريون ان ذلك ضرورة . وقال الأعلم : أراد الشاعر : بينا هو فسكن الواو ضرورة ثم حذفها ضرورة على ضرورة تشبيها للواو الاصلية بواو الصلة في نحو : منه وعنه ومثله قول الشاعر :

بيناه في دار صدق قد أقام بها

حينا يعللنا وما نعلله

والملاطان : الجنبان ، النجيب من الرجال : هو الكريم .

وقوله « ويكسر » اي : يكسر هاء هو اذا كان ما قبلها مكسورا ، أو ياء ساكنة بعد المعانقة بشيء، حتى لايلزم الخروج من الكسرة الى الضمة نحو : بغلامه وفيه وعليه ، كما في الخروج من الكسرة الى الضمة من الثقل العظيم . ويجوز في ــ هو ــ تشديد الواو كما جاء في قوله :

وأن لساني شهدة يشتفى بها
وهو على من صبه الله علقم(٢٨٨)

والشهدة : العسل المشمع . والعلقم : الحنظل ، ويقال لكل مُر : علقم وقوله(٢٨٩) « ويجعل ياء هي الفا » أي : تقلب ياء هي الفا كما تقلب في ياغلامي وهو ياغلاما ، وفي بادية يقال : باداة(٢٩٠) وقد تحذف ياء هي(٢٩١) كقوله :

(هل تعرف الدار على تبراكا
دار لسُعدى اذه من هواكا(٢٩٢)

(٢٨٨) لم أقف على نسبة هذا البيت الى قائل معين . الشهدة بالضم العسل . والعلقم الحنظل، وهو نبات مر والمراد هنا شديد او صعب ليتسنى تعلق الجار والمجرور بـه . وقيل هذه لغة همدان من قبائل اليمن وهم يشددون الواو والياء في هو وهي وعليه قول الشاعر :

والنفس ما أمرت بالعنف آبيـة
وهي ان امرت باللطف تأتمـر

(٢٨٩) في : أ مكررة .

(٢٩٠) بعده في أ : في بادة .

(٢٩١) أ : هي في كقوله ، وحرف الجر معمم .

(٢٩٢) لم أقف على نسبة هذا البيت ، وتبراك . بكسر التاء وسكون الياء : ماء لبني العنبر وقيل : احدى بلاد بني عمير قال الشاعر :

اذا جلست نساء بني عمير   على تبراك أخبثن الترابا

وسُعدى : اسم امرأة .

الشاهد في قوله « اذه » اراد اذ هي فحذف الياء ضرورة . ومثله قول الشاعر :

اذاهُ سِيمَ الخسف آلى بقسمْ
بالله لا يأخُذُ الا ما احتكمْ

وقد بسط أبو البركات ابن الانباري في هذه المسألة قوله في « الانصاف في مسائل الخلاف » بما لا مزيد عليه .

وقال ابن يعيش حـ ٣ ص ٩٧ : وفيها ثلاث لغات : هي ــ بتخفيف الياء ، وفتحها لما اردناه من ارادة تقوية الاسم ، وهيّ ــ بتشديد الياء ــ مبالغة في التقوية

اصله : اذ هي . وقوله « وتجعل ميما في التثنية » أي تجعل ياء هي ميما في حالة التثنية ، حتى لا تقع الفتحة على الياء الضعيفة مع ضعف الفتحة ، وشدد نون ــ هُنَّ ــ كما تشدد النون(٢٩٣) في ضربتن(٢٩٤) واصله همن ، فأبدل الميم نونا ، وادغمت النون .

قوله : **« واثنا(٢٩٥) عشر للمنصوب المتصل نحو ضربه ... الى ضربنا ، ولا يجوز فيه اجتماع ضميري(٢٩٦) الفاعل والمفعول في مثل : ضربتك وضربتني حتى لا يصير الشخص الواحد فاعلا ومفعولا في حالة واحدة الا في أفعال القلوب نحو(٢٩٧) علمتك فاضلا وعلمتني (فاضلا)(٢٩٨) ، لان المفعول الاول ليس بمفعول على الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلي(٢٩٩) واثنا عشر للمنصوب المنفصل نحو : اياه ضرب .. الى ايانا ضرب(٣٠٠) » .**

اقول : اثنا عشر من المضمرات للمفعول(٣٠١)، نحو : ضربه ، ضربهما ضربهم ، ضربها ضربهن ضربك ضربكما ضربكم ، ضربكِ ضربكن ضربني ضربنا . ولا يجوز في الضمير المنصوب المتصل اجتماع ضمير الفاعل وضمير المفعول ، لانه يلزم منه أن يصير الشخص الواحد فاعلا ومفعولا في حالة واحدة ، وهو ممتنع الا في افعال القلوب ، نحو علمتك فاضلا ، وعلمتني فاضلا ، لان المفعول الاول في افعال القلوب ، ليس بمفعول في الحقيقة ، ولهذا قيل في تقديره : علمت فضلك ، وعلمت فضلي .

ولتصير على أبنية الظاهر ، وهيْ بالاسكان تخفيفا وهي أضعف لغاتها « آه »ورواية ابن يعيش « ديارُ سُعدى » .

(٢٩٣) أ : نون .

(٢٩٤) أ : ضربن .

(٢٩٥) اثنى .

(٢٩٦) ق : ضمير .

(٢٩٧) ق ، م : في .

(٢٩٨) زيادة من ق ، حـ .

(٢٩٩) م : علمتُ فضلك وعلمتُ فضلي وفي ق : علمتُ فضلي وعلمتُ فضلك .

(٣٠٠) م ، ق : ضربنا .

(٣٠١) أ : المفعول بحذف الجار .

وافعال القلوب سبعة : حسبت ، وخلت ، وظننت ، وعلمت ، ورأيت ، ووجدت ، وزعمت . وهذه الافعال تسمى افعال القلوب ، لان الثلاثة الاولى للشك ، وهو من خصائص القلوب ، وزعمت مرة للشك ومرة لليقين ، فهو كذلك أيضا . ومن خصائصها أنها تستدعي المفعولين ، اذا كانت بمعنى معرفة الشيء على صفة كقولك : علمت اخاك كريما ، ورأيته جوادا ، ووجدت زيدا ذا الحفاظ ، واذا كانت ظننت بمعنى اتهمت ، وعلمت بمعنى عرفت ، ورأيت بمعنى أبصرت ، تكتفي بمفعول واحد ، وفيه بحث طويل . الدليل يعرف في كتب النحو .

وقوله « واثنى عشر للمنصوب المفصل » اي : اثنا عشر من المضمرات للمنصوب المنفصل نحو اياه ضرب ، اياهما ضرب ، اياهم ضرب ، اياها ضرب ، اياهن ضرب ، اياك ضرب ، اياكم ضرب ، اياك ضرب ، اياكن ضرب ، اياي ضرب ، ايانا ضرب .

قوله : **« واثنا عشر للمجرور المتصل نحو : ضاربه ... الى ضاربنا(٣٠٢) وفي مثل ضاربون(٣٠٣) جعل الواو ياء ثم ادغم كما في مهدي(٣٠٤) » .**

اقول : اثنا عشر(٣٠٥) من المضمرات للمجرور المتصل نحو ضاربه ، ضاربهما ضاربهم ، ضاربها ، ضاربهن ، ضاربك ، ضاربكم ، ضاربك ، ضاربكن ، ضاربني ، ضاربنا .

وقوله « وفي مثل ضاربوى ـ أصله : ضاربون فلما أضيف الى الضمير المجرور ، سقط منه النون ، فصار ضاربوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون على الاخرى ، فقلبت الواو ياء ، وادغمت الياء في الياء ، كما ادغم في مهدي ، أصله : مهدوى ، فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصار مهدى ، ثم أبدلت ضمة الدال كسرة لاقتضاء ما قبل الياء مكسوراً فصار مهدى .

قوله : **« والمرفوع المتصل يستتر في خمسة مواضع : في الغائب نحو : ضرب ويضرب(٣٠٦) ، وليضرب ولا يضرب ، وفي الغائبة نحو : ضربت ونضرب ولتضرب ولا تضرب ، وفي المخاطب الذي في غير الماضي نحو : تضرب واضرب ولا تضرب » .**

اقول : لما فرغ عن بيان تعداد المضمرات،شرع في بيان استتارها ، في اي موضع تستتر ، واي ضمير يستتر . واعلم أن الضمير المرفوع المتصل يستتر في خمسة مواضع : الاول : يستتر في الغائب نحو : ضرب ويضرب وليضرب ولا يضرب ، فان « هو » مستكن فيها . والثاني : يستتر في الغائبة نحو : ضربت وتضرب ولتضرب ولا تضرب ، فان هي ـ مستكن فيها . والثالث في المخاطب الذي في غير الماضي نحو : تضرب واضرب ، فان ـ انت ـ مستكن فيها . والرابع والخامس يأتيان في موضعهما ان شاء الله وفيه بحث : وهو أن الضمير المرفوع المتصل على ضربين : مستكن اي مستتر ، وبارز اي ظاهر والمستكن أيضا على ضربين : لازم الاستكنان ، وغير لازم .

فاللازم أربعة أفعال : افعِل ، وتفعل ، وافعَل ونفعل ، لانها لا تستند الى الظاهر ولا الى المضمر البارز لاستغنائها(٣٠٧) عنهما وبقيت مستكنة وايضا اول هذه الافعال ، تدل على الفاعل فلا تحتاج الى ابرازه . وغير اللازم على ضربين : افعال واسماء ، فالافعال أربعة أيضا : فعل ويفعل وفعلت وتفعل ، فاسنادها على اربعة أقسام ، احدها : ان تستند الى المظهر ، كقولك : ضرب زيد ، وضربت هند ، والثاني : ان يسند الى الضمير البارز ، كقولك : ما ضرب الا هو ، وما ضربت الا هي . والثالث : ان يسند الى المتصل كقولك ، ضرب وضربت . والرابع : ان يسند الى المستكن كقولك ، زيد ضرب ، وهند ضربت ، وفي هذين الفعلين ضمير مستتر عائد الى الاسم الاول ، والدليل عليه قولك ، الزيدان ضربا والهندان(٣٠٨) ضربتا ، ولو لم يكن فيهما ضمير لم يكن ابرازهما .

والاسماء على ثلاثة اقسام : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة(٣٠٩) ، فاسناد هذه الاسماء ، كاسناد الافعال ، تسند الى الظاهر كقولك

---

(٣٠٢) أ : ضاربة .
(٣٠٣) أ : في كما .
(٣٠٤) في ق ، م ، ح زيادة بعده هي : « أصله مهدى » .
(٣٠٥) . : اثنى .
(٣٠٦) ساقطة من ق .

(٣٠٧) أ : لاستغناء بها .
(٣٠٨) أ : هند .
(٣٠٩) أ : والمشبهة .

(زيد ضارب غلامه) والى المضمر المستكن كقولك : زيد ضارب ، والى البارز كقولك : زيد عمرو ضاربه هو ، وضاربه مسند الى الضمير المنفصل ، ليدل على ان الفعل لزيد جرى على عمرو .

قوله : (وياء ـ تضربين[٣١٠] ـ علامة الخطاب وفاعله مستتر عند الاخفش ، وعند العامة هي[٣١١] ضمير بارز للفاعل ، كواو يضربون ، وعين[٣١٢] الياء في تضربين للتأنيث[٣١٣] لمجيئه في « هذي امة[٣١٤] الله » للتأنيث ، ولم يزد في تضربين من حروف « أنيت » للالتباس بالتثنية في زيادة[٣١٥] الالف واجتماع النون[٣١٦] في النون ، وتكرار التاء[٣١٧] . في زيادة التاء وابرز[٣١٨] للفرق بينه وبين جمعه ، ولم يفرق بحركة ما قبل النون حتى لا يلتبس بالنون[٣١٩] الثقيلة في الصورة[٣٢٠] ، ولا تحذف النون حتى لا يلتبس بالمذكر) .

أقول : يا تضربين علامة للخطاب للمؤنث عند الاخفش والمازني ، وهي حرف يدل على[٣٢١] تأنيث الفاعل ، والفاعل مستكن كاستكنانه في زيد فعل وهند فعلت وكذلك الواو والالف والياء ، حروف تدل على أحوال الفاعل عند المازني ، والفاعل مستكن ، وعند الجمهور ـ ان الياء ضمير بارز للفاعل كواو يضربون ، وهي اسم اسند الفعل اليها ودلت على مسماها ، كدلالة النون والالف من ـ فعلنا ـ والتاء من ـ فعلتُ وفعلتَ وفعلتِ ـ لانه اذا كان الياء علامة الخطاب ، يلزم منه اجتماع العلامتين ، وهما ، الياء والتاء وهو ممتنع .

وقوله « عين الياء لمجيئه » كأنه جواب عن سؤال مقدر ، تقديره أن يقال ـ لم عين الياء بالزيادة للفاعل ؟ فأجاب عنه بقوله ـ وعين الياء لمجيئه في « هذي » للتأنيث ، لان هذه للتأنيث في الاشارة ولم يزد من حروف ـ أنيت ـ للالتباس ، لانه لا يخلو اما ان يزاد الالف أ والنون أو التاء ، فلم تكن زيادة الالف لان في زيادتها يحصل الالتباس بالتثنية ، ولا زيادة النون أيضا ، لانه يلزم منه اجتماع النونين في زيادة النون ، وهو ممتنع ، ولا زيادة التاء أيضا لانه اذا زيدت لزم تكرار التاءين ، فحينئذ تتوجه زيادة الياء لمجيئه في هذه للتأنيث .

وقوله ـ « وابرز » أي اظهر الياء في الصورة للفرق بينه وبين جمعه ، لانه اذا لم يبرز ، لم يعلم انه مخاطبة واحدة أم مخاطبة جمع . وقوله « ولم يفرق بحركة ما قبل النون » كأنه جواب عن سؤال مقدر تقديره ان يقال ـ لم[٣٢٢] لا يحصل الفرق بحركة ما قبله وهي كسرة الياء في الواحدة وضمتها في الجمع ؟ ! فأجاب عنه بقوله)[٣٢٣] لانه يلتبس بهذا التقدير بالنون الثقيلة في الصورة ؟ يعني يلتبس ـ بضربتن ـ على تقدير الاكتفاء بحركة ما قبل الياء ، بالواحد المخاطب الذي لحقته نون التأكيد وقوله « ولا تحذف النون » أي ـ ولا يفرق أيضا بحذف النون لانه على هذا التقدير ، يعني ـ على تقدير حذف النون ، يلتبس بالمذكر يعني بالمفرد المذكر فافهم .

(وفي المتكلم المضارع نحو : أضرب ونضرب ، وفي الصفة نحو : ضارب وضاربان وضاربون الى آخره[٣٢٤] .

القسم الرابع في المضارع ، نحو ـ اضرب ونضرب فان تحتهما ضمير مرفوع متصل وهو انا ونحن . فان قيل ـ لم وضع أنا للمتكلم ؟ قيل له ـ المتكلم له مبدأ الكلام ، والهمزة لها مبدأ المخارج لانها من أقصى الحلق ، فخصت به لهذه المناسبة وزيدت معها نون لانها ناسبت حروف المد واللين ، من حيث أنها متولدة منها ويمكن زيادتها ههنا لانها تحتمل الحركة ، ثم زيدت معها الف لبيان الفتحة ، فان قيل ـ كيف الاصل في « نحن » ؟ قيل له ، أصله ـ أنا ـ زيدت النون في أوله ليكون مختصا بالجمع فصار ـ نأن ـ ثم سكنت الهمزة لئلا يجتمع ثلاث حركات متواليات فصار ـ نأن ـ فاستقبحوا صوت الهمزة الساكنة لانه يشبه صوت القائي ،

(٣١٠) أ : تضربن .
(٣١١) ق : هو .
(٣١٢) ق : وعينت .
(٣١٣) ق : للفاعل .
(٣١٤) ق : امت .
(٣١٥) ساقطة من م .
(٣١٦) م ، ق ـ النونين .
(٣١٧) ق : التاءين .
(٣١٨) ق : وابرا .
(٣١٩) نون التوكيد .
(٣٢٠) ساقطة من م .
(٣٢١) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٢٢) أ : اما ، تحريف .
(٣٢٣) زيادة يقتضيها السياق .
(٣٢٤) واو العطف ساقطة من م ، ق .

فأبدلت حاء ليزول هذا ، وهو أيضا من حروف الحلق . فان قيل – لم حرك والاصل في البناء السكون ؟ وعلى الضم ، والاصل في الساكن اذا حرك ان يحرك بالكسرة ؟ قيل له – حرك لالتقاء(٣٢٥) الساكنين ، وعلى الضم لانه يدل على المعنيين التثنية والجمع ، والضمة بعض الواو ، والواو يدل على الجمع ، فيبنى(٣٢٦) على الضمة ليدل عليه . والقسم الخامس من الاستتار – في الصفة نحو : ضارب أي : هو وضاربان ، أي هما ، وضاربون أي هم ، وكذلك اسم المفعول نحو ، زيد مضروب أي هو ، ففي مضروب ضمير متصل مرفوع الموضع ، لانه في تقدير يضرب ، لان اسم المفعول يعمل على مالم يسم فاعله ، وكذلك الصفة المشبهة نحو : مررت برجل حسن . اي هو ، ومررت بامراة كريمة اي – هي ، وكذلك افعل التفضيل نحو قولك : زيد أكرم منك ، أي هو وكذا باقي الامثلة .

فائدة : اعلم ان الضمير في اسم الفاعل والمفعول ليس كالضمير في الافعال ، لان الفعل يصلح صلة للموصول بضميره ، لان الفعل مع ضميره جملة ، واسم الفاعل مع ضميره ليس بجملة ، فلا يصلح ان يكون جملة ، وليس لهذا الضمير صيغة يدل عليها كالياء والالف والواو في الافعال .

قوله : ((**واستتر (في)(٣٢٧) المرفوع دون المنصوب والمجرور لانه بمنزلة جزء الفعل(٣٢٨) واستتر في الغائب والغائبة(٣٢٩) دون التثنية والجمع ، لان الاستتار خفيف(٣٣٠) واعطاء(٣٣١) الخفيف للمفرد السابق(٣٣٢) أولى ، ودون(٣٣٣) المتكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة ضعيفة والابراز قرينة قوية ، فاعطاء الابراز القوى للمتكلم(٣٣٤) القوي والمخاطب القوى اولى ، واستتر في مخاطب(٣٣٥) المستقبل ومتكلمه(٣٣٦) للفرق ، وقيل يستتر في هذه المواضع دون غيرها لوجود الدليل فيها(٣٣٧) وهو عدم الابراز في مثل ضرب والتاء في مثل ضربت والياء في مثل يضرب والتاء في مثل تضرب والهمزة في مثل اضرب والنون في مثل نضرب(٣٣٨) والصفة في مثل : ضارب وضاربان وضاربون))(٣٣٩) .**

اقول : هذا شروع في بيان علة الاستتار في المرفوع دون المنصوب والمجرور ، وذلك انما استتر في المرفوع لانه اي : لان الضمير المرفوع بمنزلة جزء الفعل لان علة الاستتار ، دلالة الفعل على ما هو كجزئه ، وذا لا يتحقق الا في الضمير المرفوع المتصل وأما بيان وجه استتار الضمير المرفوع في الغائب والغائبة ، فهو ان الاستتار خفيف والغائب او الغائبة ضعيف ، فالخفة الحاصلة بالاستتار مناسبة له ، والغائب مفرد والمفرد سابق ، واعطاء الخفيف للمفرد السابق اولى .

وقوله : « ودون المتكلم والمخاطب اللذين في الماضي لان الاستتار قرينة – أي علامة – ضعيفة والابراز علامة قوية ، واعطاء الابراز القوي للمتكلم والمخاطب القويان أولى ، وانما قيد بقوله « اللذين في الماضي » لانه احترز عن اللذين في المضارع ، لان الضمير يستتر في متكلم المضارع ومخاطبه . وقوله « واستتر في مخاطب المستقبل » اي : استتر الضمير المتصل في مخاطب المستقبل ومتكلمه للفرق، اي : للفرق بين المخاطب والمخاطبة لو قيل فيهما تقوم مثلا ، وفي المتكلم في المستقبل للفرق بين المتكلم اذا قيل اضرب ، بين المفرد المذكر الذي في الماضي . الذي ادخل فيه همزة الاستفهام وقيل ضرب . وما بعده غني عن الشرح لوضوحه .

وقوله : ((**ولا يجوز أن يكون تاء ضربت ضميرا كتاب ضربت، لوجود عدمحذفها بالفاعل الظاهر(٣٤٠) نحو : ضربت هند ، ولا يجوز أن يكون الف**

(٣٢٥) أ : للالتقاء .
(٣٢٦) أ : مبني .
(٣٢٧) زيادة من ق ، حـ .
(٣٢٨) ق : قبلة ، الكلمة .
(٣٢٩) ساقطة من ق .
(٣٣٠) بعده في ق : والفرد سابق .
(٣٣١) أ : فاعطاء .
(٣٣٢) أ : الساتر ، وهو تحريف .
(٣٣٣) الواو ساقطة من ق .
(٣٣٤) ق : المتكلم .
(٣٣٥) ق : المخاطب .
(٣٣٦) ق : والمتكلم بينهما .
(٣٣٧) الجار والمجرور ، ساقط من ق .
(٣٣٨) بعده في ق ، وهي حروف ليست بأسماء ، وفي النسخة المطبوعة (وهذه الحروف ليست بأسماء) وهي ساقطة في م .
(٣٣٩) ساقط من : م ، ق .
(٣٤٠) م : الفاعل ، بحذف الياء ، وفي المطبوعة – الفاعلة الظاهرة .

ـ ضاربان ـ ضميرا لانه يتغير في حال النصب والجر[٣٤١] ، والضمير لا يتغير كألف يضربان ، والاستتار واجب في مثل : ـ افعل ، وتفعل وأفعل ونفعل ، لدلالة الصيغة عليه وعدم الاستعمال ، وقبح[٣٤٢] افعل زيد وتفعل زيد وأفعل زيد ونفعل زيدون)) .

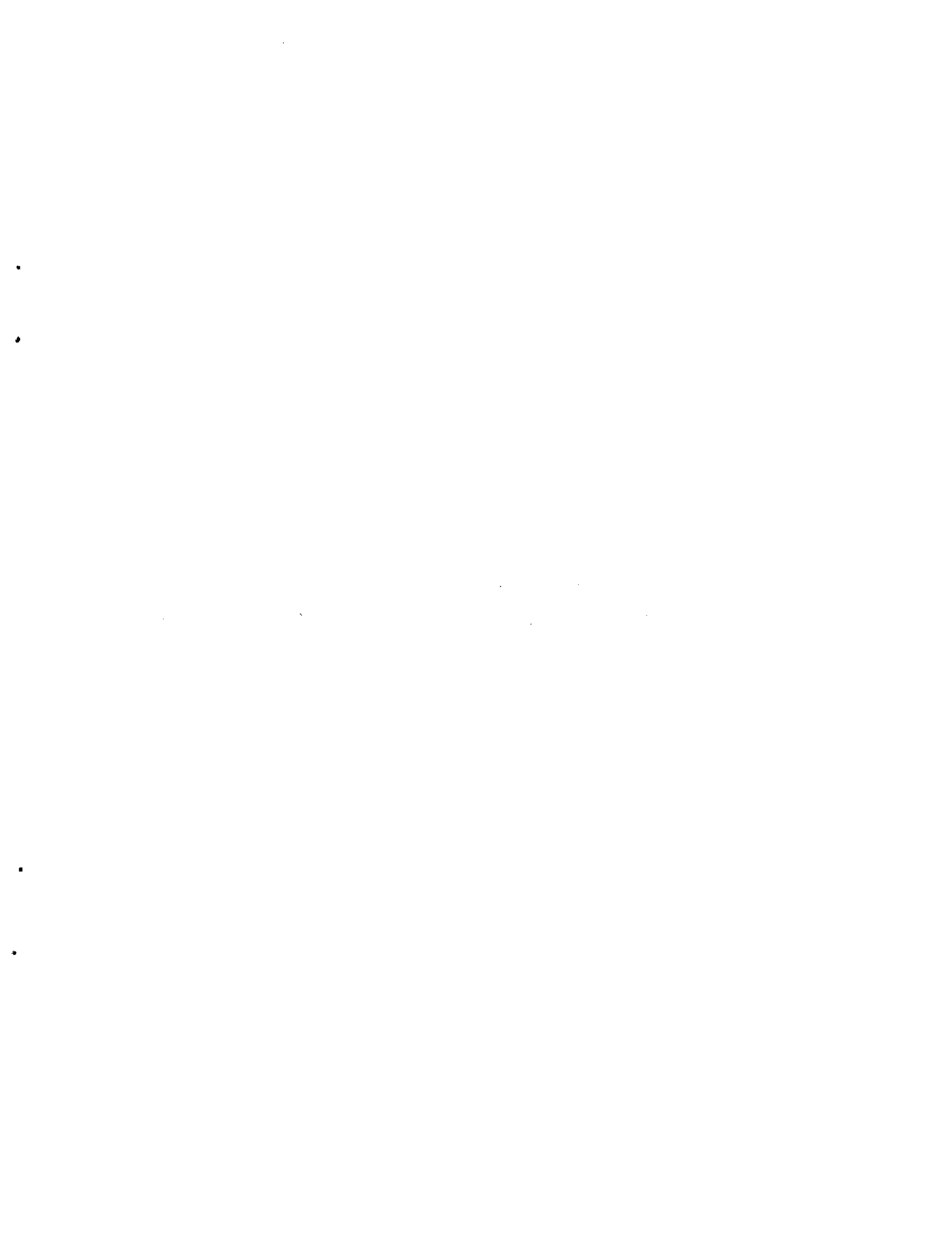
اقول : لا يجوز ان يكون تاء ضربت ضميرا لتاء ضربت ، لوجود عدم حذف التاء بالفاعلة الظاهرة نحو : ضربت هند ولو كانت هذه التاء ضميرا لوجب حذفها بالفاعلة الظاهرة ، لكنها للتأنيث ، وكذلك لا يجوز أن يكون الف ـ ضاربان ـ ضميرا ولا واو ـ ضربوا ـ لانهما يدلان على ضمير مستثنى مستتر وضمير جمع مستتر ، والذي يدل على انهما ليسا ضميرين . انهما ينقلبان عن الياء في النصب والجر ، اذا قلت رأيت ضاربين ومررت بضاربين ـ بفتح الباء في التثنية وكسرها في الجمع ـ ولو كانا ضميرين لم يتغيرا ، لان الضمير لا يجوز ان تتغير صورته كألف يضربان وواو يضربون . ثم استتار الضمير المرفوع واجب في الافعال الاربعة . امر المخاطب والمفرد المخاطب والمتكلم وحده ومع الغير لان الصيغ تدل عليها ، فلما كان كذلك ، قبح[٣٤٣] افعل زيد ونفعل زيدون وقد مر تحقيقه .

(٣٤١) ساقطة من م .

(٣٤٢) ق : فيفتح ، تحريف .

(٣٤٣) أ : فتح .

فهارس المخطوطات والببليوغرافيات



المخطوطات العربيـــة

في مكتبة طوب قاپي سرايى باستانبول

ترجمة واعداد

فاضل مهدي بيات

ـ القسم الاول ـ

تزخر مدينة استانبول بامهات المخطوطات المكتوبة باللغات الشرقية ، ولا غرو في هذا ، اذا علمنا ان العثمانيين حكمـــوا الشرق بما فيه الدول العربية قرونا عديدة ، كان لهم النصيب الوافر في الحصول على هذه المخطوطات ، وبثمن زهيد ، والتي توزعت اليوم في كبريات المكتبات التي يؤمها الباحثون والعلماء من كافة أرجاء المعمورة . وقد اتبع في حفظ المخطوطات ، كافة الاساليب الحديثة لكي لا تعرف الكوارث والآفات طريقا اليها . والجدير بالذكر ان سلاطين وامراء آل عثمان وولاتهم ، كانـــوا يسعون ، ما في وسعهم ، الى جمع كمية هائلة من المخطوطات وايداعها في مكتباتهم الخاصة ، لم يدخلها في أيامهم غير القلائل من الذين لهم شأن يذكر في هـــذه القصـــور . وبلغ من حب السلاطين الى جمع المخطوطات انهم كانوا يكتبون الى ولاتهـــم وقادتهم المتواجدين في البلدان العربية ان يرسلوا اليهم ما في بلدانهم من المخطوطات دون التمييز في لغتها .

واليوم ، وبعد الغاء الخلافة العثمانية وتأسيس الجمهورية التركية نقلت أكثر هذه المخطوطات الى مكتبات عامة او بقيت في أماكنها بعد ان حولوا أبنيتها الى مكتبات عامة ثم الحقت بها المخطوطات المتواجدة في الجوامع والتكايا المنتشـرة في تركيا . وبالرغم من ان مدينة استانبول تأتي على رأس المدن التي تمتلك المخطوطات العربية ، فان هذه المخطوطات لم تحـظ بأهميـــة الباحثين العرب فلم يكلفوا انفسهم دراستها أو صنع فهارس لها .. واعتقد اني لا أبوح سرا اذا قلت ان هناك مكتبات في تركيـــا لم يؤمها أي عربي ولم يوضع لمحتوياتها اي فهرس . وحينمـــا كنت في تركيا ، يوم كنت أدرس فيها واتردد الى مكتباتهـــا ، وددت لو القيت عصاي في قاعة احدى المكتبات لأدون ما اشاهده .. غير ان الحظ لم يحالفني ، اذ ان دراستي العليا لم تهيء لي أية فرصة ...

أما مكتبة (طوب قاپي سرايى) ، التي سنكرس هذا المقال لمحتوياتها من المخطوطات العربية ، فانها قد أصدرت في السنوات الاخيرة فهرسا حافلا بمخطوطاتها العربية في ثلاثة مجلدات ضخمة تحت اسم :

Topkapi Sarayi muzesi Kutuphanesi, Arapca yazmalar katalogu

اعداد : **Fehmi Edhem Karatay**
istanbul, 1966.

(من منشورات متحف طوب قابى سرايى)

وكان علي ، وانا اعول عليه في كتابة هذا الفهرست ، ان ابدأ من المجلد الاول واترجمه لقارىء المورد الغراء ، غير ان حبي العميق للتاريخ جعلني ألزم المجلد الثالث ، واعدأ القارىء باني ان أحول دون معرفته بما يضم المجلدان الباقيان . وتسهيلا للعمل اتبعت الرموز التالية :

ت = توفي ، المتوفى .

سم = سانتيمتر .

هـ = هجري .

م = ميلادي .

ع س = عدد السطور في كل صفحة .

ط س = طول السطر .

ن ق س = نفس القياس السابق .

ن ع س ط = نفس عدد السطور وطولها .

أما الرقم المتبع في ترقيم المخطوطات فان الرقم الاول هو تسلسل المخطوطة في المجلدات الثلاثة . أما الرقم الثـاني فانـه رقم المخطوطة في المكتبة المذكورة .

وصف مجمل

لمكتبة طوب قابى سرايى ومخطوطاتها(١) :

طوب قابى سرايى ، أي قصر باب الطوب ، هو القصر الذي بناه السلطان العثماني محمد الفاتح ، فاتح القسطنطينية في استانبول في منطقة (سراي بورنو) في القرن الخامس عشر للميلاد . ولم تحافظ بناية القصر على شكلها ، بل اجريت فيها اصلاحات واضافات متعددة عبر العصور ، من قبل سلاطين وامراء آل عثمان .

أما المكتبة فقد بنيت خلال المرحلة الاولى للبناء في القرن الخامس عشر . وقد اسس محمد الفاتح اول مكتبة في القصر في قاعات مدرسة اندرون . ومكتبة طوب قابى سرايى تقع في القسم الثالث من القصر أي في القسم المسمى بميدان أندرون . وقد بنيت المكتبة على شكل يضمن بقاء الكتب التي تضمها ، بعيدة عن الكوارث التي تلحق بها كالرطوبة والحرائق والزلازل . وفي منتصف قاعتها كتابة باللغة العربية تبين تاريخ انشائها .

تتكون مكتبة طوب قابى سرايى من تسع مكتبات صغيرة وهي :

١ ـ مجموعة كتب روان كوشكو [الكوشك بمعنى الفيللا وقد سماه الامير شكيب أرسلان ب المغنى] : وروان كوشكو بناه السلطان مراد الرابع ويسمى ب صوفائي همايون وزين من الخارج بالخزف التركي . اما الكتب الموجودة في هذا القسم فقد أودعها السلطان محمد الثاني . ثم اضيفت اليه كتب اخرى من قبل السلطانين عثمان الثالث ومصطفى الثالث . وكافة الكتب المودعة في هذا القسم ختمت باختام هؤلاء السلاطين الثلاثة . وتضم هذه المجموعة ٢٠٨٣ أثرا قيما .

٢ ـ كتب الخزينة :

جمعت كتب هذه المجموعة من أماكن متعددة وتضم أكثر من ٢٩٩٩ كتابا ، أكثرها كتب تاريخية وأدبية . وضمن هذه الكتب ، ١٤٠ كتابا يضم روائع المنمنمات والمرقعات. وعدد هذه المنمنمات ٧٢٢٣ منها ٢٨٨٢ منمنمه تركيه ، ٤٣٣١ منمنمه هندية ومغولية وعربية . اما الالبوم الذي يضم مجموعة صور السلطان محمد الفاتح فانه يعتبر رائعة من روائع الفن الانساني .

٣ ـ مجموعة كتب احمد الثالث او مجموعة كتب اندرون : تضم ٤٩٦٨ أثرا . من بينها ٤٤٩٢ كتابا مخطوطا أما الـ ١٤٦ الباقية فمطبوعة . واقدم هذه الكتب يعود الى القرن الحادي عشر . وأكثرها باللغة العربية اذ يبلغ مجموعها ٤٣٢٩ كتابا . اما البقية الباقية منها ف : ٣١٨ كتابا بالتركية ، و ٩٨ كتابا بالفارسية و ٨٨ كتابا باللغات الغربية .

٤ ـ مكتبة بغداد كوشكو (مكتبة مغنى بغداد) : ومغنى بغداد انشاء السلطان عبدالحميد الاول وأكمله السلطان سليم الثالث . وتحمل كافة الكتب الموجودة فيه ختمي هذين السلطانين .

٥ ـ مكتبة المدينة :

جمعت فيها كتب السلطان عبدالحميد الاول والسلطان محمد الثاني وأمير دار السعادة حاجي بشير آغا وشيخ الاسلام عارف حكمت . والكتب التي تضمها هذه المكتبة جلبت من المدينة المنورة من قبل الجنرال فخرالدين تركان خلال الحرب العالمية الاولى . وجميعها كتب عربية وعددها ٥٦٦ كتابا ، أكثرها كتب دينية .

٦ ـ مكتبة خزينة الامانه (أمانت خزينه‌سى) : انشاها السلطان محمود الاول . وروعي في حفظ كتبها الدقة والعنايةوهي غير مختومة . وفيها ٣١١٩ كتابا بالتركية والعربية والفارسية . وفيها نسخ كثيرة من القرآن واجازات الكتاتيب .

٧ ـ مكتبة قوغوشلار (قوغوشلار = ردهات) : فيها ١٢٣٥ كتابا أكثرها نسخ كاملة من القرآن الكريم واجزاء متفرقة منه بالاضافة الى كتب دينية اخرى ككتب الحديث والتفسير والفقه .

٨ ـ مكتبة محمد رشاد وتريال خانم : وتضم الكتب الشخصية العائدة الى السلطان محمد رشاد (محمد الخامس) وكتب تريال خانم من جواري السلطان محمود الثاني . فيها ٣١٢٠ كتابا منها ٢٣٠ كتابا مطبوعا .

٩ ـ قسم الكتب الحديثة : ويضم الكتب التي جمعت بعد اعلان الجمهورية في تركيا . وفيه ٢٨١٤ كتابا .

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا الوصف المجمل على كتاب :
istanbul ve Ankara kutuphaneleri
المؤلفه : Neriman Malkoc, Ozturkmen
Ankara, 1957.

المخطوطات التاريخية

١ـ التواريخ الاسلامية العامة

غاية الوسائل الى معرفة الاوائل

لاسماعيل هبةالله بن ابي الرضا الموصلي (كان في خدمة الاتابك طغرل سنة ٦٣١هـ ١٢٣٣م)

يبحث عن أوائل الاشياء ومن وجدها واستخدمها لاول مرة .

أوله : الحمد لله اولا واخيرا والصلاة على على محمد المبعوث الى كافة الناس بشيرا ونذيرا ..

تاريخها : ٨٨٥هـ ١٤٨٠م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٦٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها : 5725 A.2957

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١:٥٩٨ .

كتاب الوسائل الى معرفة الاوائل :

وهو مختصر كتاب الاوائل لابي الهلال الحسن ابن عبدالله بن سهله العسكري (ت ٣٩٥هـ ١٠٠٥م) ، اختصره جلال‌الدين السيوطي .

أوله : الحمد لله الاول فليس له آخر واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ... وبعد فهذا كتاب لطيف جامع الاوائل لخصت فيه كتاب الاوائل للعسكري ... وسميته الوسائل الى معرفة الاوائل ...

٢٧×٥ر١٧ سم ، ٣١ ورقه . ع س ٣٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5726 A.2343

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١:١٩٤ ، ٢:١٩٧ (٣٠٣) .

ومنه نسخة اخرى من المرجح انها نسخت في القرن ١١هـ ١٧م .

٥ر٢١×٥ر١٥ سم ، ٤١ ورقه ، ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٠ سم .

رقمها : 5727 A.3054

واخرى نسخت لطومباي .

٥ر٣١×٥ر٢١ سم ، ١٦٠ ورقه . ع س ٩ ، ط س ٢ر١٤ سم .

رقمها : 5728 A.2437

نديم الكرام ونسيم الغرام

لمحمد بن [ابي] فضائل بن عبد الساتر .

يتناول تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين .

أوله : الحمد لله الذي لا راد لما اراده ولا صاد عما سبقت به منه ارادة ... نسخة فريدة ، يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×١٩ سم ، ١٢٩ ورقه . ع س ٢١ ، ط س ٥ر١٤ سم .

رقمها : 5729 A.2973

تاريخ الطبري

لابي جعفر محمد بن جريرالطبري (ت٣١٠هـ ٩٢٢م) . وهو تاريخه المسمى تاريخ الامم والملوك او اخبار الرسل والملوك .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من بدء الخليقة حتى زمن افراسياب وكيكاوس بين ايران وطوران .

أوله : الحمد لله الاول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر والدائم بلا زوال والقائم على كل شيء.

نهايتها ناقصة . يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .

٢٥×٥ر١٦ سم ، ٢٣٨ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5730 A.2929/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١:٢١٧ ، كشف الظنون : ٢٩٧ .

المجلد التاسع : يتناول حوادث ٦٥ـ٨٠هـ .

أوله : ثم دخلت سنة خمس وستين ...

ن ق س ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5731 A.2929/9

المجلد (١١) : يتناول حوادث ١١٨ـ١٣٣هـ .

أوله : ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ...

ن ق س ، ٢٣٨ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها : 5732 A.2929/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٢٠٤ـ٢٥١هـ .

أوله : ثم دخلت سنة اربع ومائتين ذكر الخبر

عما كان فيها من الاحداث فمما كان فيها من ذلك قدوم المأمون العراق ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ٢٥٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5733 A.2929/12

المجلد (١٣) : يتناول احداث ١٦٢ــ١٩٨هـ .

أوله : ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة ذكر الاحداث الجليلة التي كانت فيها ...

ن ق س ، ٢١١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5734 A.2929/13

مجلد آخر من التاريخ يتناول حوادث ٢٥٥ــ ٢٩٨هـ .

أوله : ثم ركب ابن طاهر فيما قبل لاربع عشرة نقيب من ذى الحجة من هذه السنة ...

تاريخها : ٦٥٠هـ ١٢٥٢م .

٢٥ر٥×١٧ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5734 A.2929/13

كتاب الفتوح

لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ ٩٢٦م) . يتناول تاريخ الفتوحات الاسلامية من عصر الخلفاء الراشدين حتى عهد يزيد . كتب براي شيعي على شكل قصة .

المجلد الاول : اوله : قال ابو محمد احمد بن الكوفي حدثني أبو الحسين علي بن محمد القرشي ..

تاريخها : ٨٧٣هـ ١٤٦٨م .

٢٦ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5736 A.2956/1

المجلد الثاني : أوله : ذكر وقعة خروج المختار قال وخرج ابراهيم بن الاشتر تلك الليلة ...

نسخ من قبل نفس الناسخ وفي نفس التاريخ .

ن ق س ، ٢٧٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5737 A.2956/2

مروج الذهب ومعادن الجوهر

لابي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ ٩٥٦م) . يتناول تاريخ الاسلام من البداية حتى زمانه .

المجلد الاول : أوله : الحمد لله اهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد ... أما بعد فانا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان فقدمنا القول فيه في هيئة الارض ...

بخط : عبدالعزيز بن يوسف المنهاجي سنة ٨٢٤هـ ١٤٢٣م .

٢٧×١٨سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5738 A.2950/1

راجع بروكلمان ، الذيل ١: ٢٢٠ (٣) .

المجلد الثاني : اوله : ذكر جامع التاريخ من بداء العالم الى مولد النبي واتصل بهذا المعنى قد ذكرنا فيما سلف كتبنا ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٦هـ ١٤٢٣م .

ن ق س ، ٢٣٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5739 A.2950/2

المجلد الثالث : اوله : ذكر خلافة هارون الرشيد وبويع هارون ابن المهدي يوم الجمعة ...

نفس الناسخ . سنة ٨٢٧هـ ١٤٢٤م .

ن ق س ، ٢٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5740 A.2950/3

وللمجلد الاول نسخة اخرى :

٣١×٢١ سم ، ٢١٠ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٣ر٣ سم .

رقمها : 5741 M.528

واخرى للمجلد الثاني تاريخها ١١٣٣هـ ١٧٢٠م .

٣١×٢١ سم ، ٢٢٥ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٣ر٣ سم .

رقمها : 5742 M.529

المختار من رسائل (مكاتيب) أبي اسحق الصابي

وهو مختارات من رسائل ابي اسحق ابراهيم ابن هلال بن ابراهيم الحراني الصابي (ت ٣٨٤هـ ٩٩٤م) . الرسالة الاولى تتعلق باسترداد بغداد سنة ٣٦٤هـ ٨٧٤م من الاتراك .

اوله : نسخة كتاب انشاه ابو اسحق بن هلال الصابي عند فتح بغداد وانهزام الاتراك ...

٢١×١٤ سم ، ٢٣٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ٧ر٥ سم .

رقمها : 5743 R.1599

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ١٥٣ــ١٥٤ .

عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف

لابي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن احمد بن حكمون القضاعي (ت ٤٥٤هـ ١٠٦٢م) يتناول تاريخ الانبياء والخلفاء .

أوله : الحمد لله المبدي كل شيء الوارث المعيد كل حي ...

بخط : محمد بن محمد بن حسن القمي القرشي في سنة ٧٤٨هـ ١٣٧٤م .

٢٥×١٧ سم ، ١٢٠ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5744 A.2898

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٩٤ (١) .

ذيل تجارب الامم وعواقب الهمم

لمحمد بن الحسين بن عبدالله بن ابراهيم بن ظاهرالدين ابي شجاع الردراواري (ت ٤٨٨هـ ١٠٩٥م) . ذيله كتاب تجارب الامم لابي علي احمد ابن محمد بن يعقوب بن مسكوية (ت ٤٢١هـ ١٠٣٠م) .

يتناول حوادث ٤٦٩–٤٨٩هـ .

اوله : اما بعد حمدا لله سبحانه والثناء عليه اهل الحمد والثناء ...

يرجح انها نسخت في حوالي سنة ٧٥٠هـ .

٢٤ر٥×١٧ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5745 A.2899

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٣٨ (آ) .

حوادث السنين

لمؤلف مجهول . يتناول تاريخ الاسلام من مولد النبي (ص) حتى سنة ٥٢٦هـ ١١٣٢م على ترتيب السنين .

اوله : الحمد لله رب العالمين ... اما بعد فهذه نبذة من التاريخ لخصتها وجمعتها على سنين الهجرة النبوية واولها مولد رسول الله ...

الورقة الاولى كتبت فيما بعد .

٢٥×١٧ سم ، ١٦٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها : 5746 A.2981

لباب الانساب

لعزالدين بن الاثير (ت ٦٣٠هـ ١٢٥٢م) . وهو مختصر كتاب الانساب لابي سعد عبدالكريم ابن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ ١١٦٧م) .

اوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ...

يرجح انها نسخت في بداية القرن ٩هـ ١٤م .

٢٥ر٣×١٧ سم ، ٢٢٨ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5747 A.2980

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٥ (٢أ) .

البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان

لحمد بن محمد بن حامد بن عبدالله بن علي ابن محمود الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ ١٢٠١م) وهو تاريخ اسلامي عام مختصر .. يتناول الحوادث حتى سنة ٦٣٦هـ رغم ان المؤلف قد توفى سنة ٥٩٧هـ ، والراجح انه قد ذيل من قبل شخص آخر.

اوله : الحمد لله خالق الامم وباري النسم ومعلم الانسان مالم يعلم ...

بخط : علي بن أبي القاسم بن خليل سنة ٧٤٤هـ ١٣٤٣م .

٢٥ر٥×١٧ر٥سم ، ٢١٤ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5748 A.2959

راجع عن المؤلف : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٤٨ .

المنتظم في تواريخ الملوك والامم

لجمال‌الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن عمر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ ١٢٠٠م) . وقد ورد في بروكلمان بشكل « المنتظم في ملتقط الملتزم » .

المجلد الثاني : أوله : فصل ولما مات الاسكندر عرض ملكه على ابنه ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٥ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٤٩ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٣ر٥ سم .

رقمها : 5749 A.2908/2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٩١٥ ، كشف الظنون : ١٨٥٠ .

المجلد الثالث : أوله : فصل واختلف العلماء في سبب نقض الصحيفة على قولين ...

بخط علي بن ابراهيم بن الياس الواسطي

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٥٣ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5750 A.2908/3

المجلد الرابع : أوله : وفي سنة عشر من الهجرة أيضا ...

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٤٩ ورقة ع س ٢١ ط س ١١ر٥ سم .

رقمها 5751 A.2908/4

المجلد الخامس : اوله : وفي هذه السنة فتحت ارمينية على يدي حبيب ابن مسلمه الفهري في قول الواقدي ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٤٤ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٣ر٥ سم .

رقمها 5752 A.2908/5

المجلد السادس : اوله : شبيبه ابن عثمان ابن ابي طلحه اخبرنا ابو بكر بن ابي طاهر ...

٢٤ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٤٥ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5753 A.2908/6

المجلد السابع : اوله : ذكر وفاة الحجاج ...

٢٦×١٧ سم ، ١٥٥ ورقة . ع س ٢١ ط س ١٢ر٥ سم .

رقمها 5754 A.2908/7

المجلد الثامن : اوله : ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة فمن الحوادث فيها ...

٢٦×١٧ر٥ سم ، ١٥٨ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5755 A.2908/8

المجلد التاسع : اوله : ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة فمن الحوادث فيها ان الرشيد ولى اسحق بن سليمان الهاشمي ...

٢٥×١٧ سم ، ١٢٨ ورقة . ع س ٢٠ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5756 A.2908/9

المجلد العاشر : اوله : ثم دخلت سنة اربع وتسعين ومائة ومن الحوادث فيها مخالفة أهل حمص عاملهم اسحق بن سليمان ...

٢٥ر٥×١٧ سم ، ١٣٥ ورقة . ع س ٢٢ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5757 A.2908/10

المجلد (١١) أوله : ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين فمن الحوادث فيها ورد المأمون الى مصر ..

٢٥ر٣×١٦ر٥ سم ، ١٥٢ ورقة . ع س . مختلف ؛ ط س ١١ر٥ سم .

رقمها 5758 A.2908/11

المجلد (١٢) : اوله : ثم دخلت سنة ثمان واربعين ومائتين فمن الحوادث فيها ان المنتصر اغزا وصيفا التركي الصايفه أرض الروم ...

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٥٥ ورقة ، ع س مختلف ط س ١١ر٥ سم .

رقمها : 5759 A.2908/12

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٢٤٨ – ٣٢٩هـ

أوله : باب ذكر خلافة المكتفي بالله واسمه علي بن المعتضد ...

٢٥ر٨×١٧ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها 5760 A.2908/13

المجلد (١٤) : يتناول حوادث ٣٢٩ – ٣٨٧هـ

أوله : باب خلافة المقتفي لله واسمه ابراهيم ابن المقتدر ...

تاريخها : ٨٠٥هـ ١٤٠٢م .

٢٥ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٥٤ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها : 5761 A.2908/14

المجلد (١٥) : يتناول حوادث ٣٨٧–٤٤٧هـ .

أوله : احمد بن اسمعيل بن عنبس بن اسمعيل ابن الحسين المعروف بابن شمعون ...

تاريخها : ٨٠٥هـ ١٤٠٢م .

٢٥×١٦ر٥ سم ، ١٦٠ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها 5762 A.3742

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ٤٤٨–٤٨٥هـ .

اوله : ثم دخلت سنة ثمان واربعين واربعمائة فمن الحوادث فيها انه في مستهل المحرم عقد عميد الملك الكندري وزير طغرل بك ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٦×١٧ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5763 A.2908/16

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٤٨٦–٥٣٣هـ .

اوله : ثم دخلت سنة ستة وثمانين واربعمائة فمن الحوادث فيها انه كان قد قدم الى بغداد في شوال سنة خمس وثمانين رجل من اهل مرو ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٥ر٥×١٦ر٥ سم ، ١٥١ ورقة . ع س مختلف ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5764 A.2908/17

المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٥٣٤–٥٧٤هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اربع وثلثين وخمس مائة فمن الحوادث فيها انه بدأ بهم بهروز ...

تاريخها : ٨٠٦هـ ١٤٠٣م .

٢٥×١٧ سم ، ١٢٢ ورقة . ع س مختلف ط س ١٢ سم .

رقمها : 5765 A.2908/18

وهناك نسخ اخرى لمجلدات الكتاب :

المجلد الاول : يتناول الاحداث من خلق آدم حتى شعيب (ع) .

اوله : الحمد لله الذي كشف عن قلوب أوليائه حجاب الغفلة وانهج لهم الى محبته واكتساب علومه ... اما بعد فهذا مجموع يحتوي على شيء من مبدأ الخلق ومنتهاه ثم شيء مني (من) قصص الانبياء ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5766 A.2909/1

المجلد الثاني : اوله : قصة موسى وخضر عليهما السلام ...

تاريخها ٨١٥هـ ١٤١٢م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5767 A.2909/2

المجلد الثالث : اوله : ازواج النبي صلعم اختلفوا [في] عددهن فأكثر ما قالوا سبع عشرة امرأة مهره سوا السراري ...

٢٦ر٥×١٧ر٥ سم ، ٢٥٩ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5768 A.2909/3

تحفة الظرفاء في اخبار الانبياء والخلفاء .

لابي الحسن علي بن ابي السرور بن عبدالله الروحي .

وهو مختصر تاريخ الاسلام يتناول الوقائع من البداية حتى سنة ٥٦٧هـ .

اوله : الحمد لله رب العالمين ... أما بعد فاني ذاكر في كتاب [ي] هذا نسب رسول الله ..

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٥ر٥×١٨ر٥ ، ١٦٨ ورقة . ع س ١١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5769 A.3047

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٦٨ .

الكامل في التاريخ

لابي الحسن علي بن ابي الكرم أثيرالدين محمد ابن عبدالكريم عزالدين ابن الاثير (٦٣٠هـ ١٢٣٣م) .

هذا المجلد يتناول الاحداث من البداية حتى سنة ٦٢٣هـ .

اوله : الحمد لله القديم فلا أول لوجوده الدائم الكريم ...

بخط ابي حامد محمد بن علي سنة ٧٠٥هـ ١٣٠٥م .

٢٩×١٩ سم ، ٨٤١ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٤ر٥ سم .

رقمها 5770 A.2971

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٨ .

ومنه اجزاء متفرقة .

مجلد يتناول حوادث ٤١–٢٠٠هـ .

بخط علي بن حمزة بن الحسن عماد الشيرازي سنة ٧١٠هـ ١٣١٠م .

٣٧×٥ر٢٥ ، ٢٦٦ ورقة ، ع س ٣١ ، ط س ٥ر١٧ سم .

رقمها 5771 A.2934

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٢٩٥ ـ ٣٦٩هـ

تاريخها ٧٦٤هـ ١٣٦٣م .

٥ر٢٥×١٧ سم ، ٢٤٣ ورقة ، ع س ٢١ ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5772 R.1563

مرآت (كذا) **الزمان في تاريخ الاعيان**

لشمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ ١٢٥٧م) .

المجلد الاول : أوله : الحمد لله الواحد القديم المنان الماجد العظيم المنان ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٤م .

٢٧×٥ر١٧ ، ٣٥٥ ورقة ، ع س ١٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5773 A.2907/1

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الثاني : اوله : ثم ان شعيبا اقام في اهل الايكة يدعوهم الى الله ...

ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5774 A.2907/2

المجلد الثالث : اوله : ومنها يوم مبايض كان الفرسان اذا كانت ايام عكاظ في الشهر الحرام ...

ن ق س ، ٢٤٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5775 A.2907/3

المجلد الرابع : أوله : عبيد الله بن قيس بن الربيع بن قيس بن عامر الخزرجي من الطبقة الاولى ...

ن ق س ، ٣٠٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5776 A.2907/4

المجلد الخامس : اوله : السنة الرابعة عشر فيها كانت وقعة القادسية ...

تاريخها ٨٦٩هـ ١٤٦٥م .

ن ق س ، ٣٣٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5777 A.2907/5

المجلد السادس : أوله : السنة التاسعة والستون فيها شرع عبدالملك بن مروان ...

ن ق س ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5778 A.2907/6

المجلد السابع : اوله : ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز ... قال ابو سليم الهذلي خطب عمر بن عبد العزيز فقال اما بعد ...

ن ق س ، ٢٩٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5779 A.2907/7

المجلد الثامن : أوله : عبدالله بن عبدالرحمن ابن عتبه ويعرف بابن حجدم الفهري ...

ن ق س ، ٣٣٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5780 A.2907/8

المجلد التاسع : أوله : السنة المائتان فيها في اول يوم من المحرم لما انصرف الحاج من مكة ...

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5781 A.2907/9

المجلد العاشر : أوله : السنة السادسة والخمسون بعد المائتين فيها قدم موسى بن بغا سامرا ...

ن ق س ، ٢٧٠ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5782 A.2907/10

المجلد (١١) : اوله : السنة الثلاثون وثلثمائة في يوم الاحد لثمان خلون من المحرم وجد كورتكين الديلمي في درب سليمان ...

ن ق س ، ٢٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5783 A.2907/11

المجلد (١٢) : أوله : السنة الخامسة والاربعمائة في خامس المحرم ورد كتاب من مكة مع بدويين ...

ن ق س ، ٢٦٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5784 A.2907/12

المجلد (١٣) : اوله : السنة الرابعة والستون والاربعمائة فيها استولى الناوكيه الذين هربوا من الب أرسلان على الشام ...

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5785 A.2907/13

المجلد (١٤) : أوله : السنة السابعة والاربعون وخمسمائة قال ابو العباس الواسطي في تاسع المحرم ...

ن ق س ، ٢٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5786 A.2907/14

وهناك نسخ اخرى متفرقة لمرآة الزمان :

المجلد الثامن : أوله : السنة السابعة والاربعون بعد المائة فيها خلع ابو جعفر ابن اخيه ..

٢٧,٥×١٨,٥ سم ، ٢٧٠ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5787 A.2907/b.8

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الواحد القديم المنان ...

٢٧,٥×١٨ سم ، ١٩٥ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5788 A.2907/c.1

المجلد الثالث : أوله : ذكر من استشهد يوم بدر من المسلمين . عاقل بن الكبير ...

تاريخها ٨٧٤هـ ١٤٦٩م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5798 A.2907/c.3

المجلد الرابع : أوله : السنة الثانية والعشرون وفيها كتبه عمر رضوان الله عليه الى معاوية بن أبي سفيان ...

تاريخها ٨٧٩هـ ١٤٦٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٥٣ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5790 A.2907/c.4

المجلد السادس : أوله : السنة الثانية والسبعين فيها كمل بناء قبة الصخرة ...

بخط ابي الخير محمد بن احمد بن محمد العجمي سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٨١ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5791/2907/c.6

المجلد السابع : أوله : السنة الخامسة بعد المائة فيها قطع مسلم بن سعيد والي خراسان ...

بخط ابي الحسن علي بن حسن سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٩م .

ن ق س ، ٢٦٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5792/2907/c.7

المجلد الثامن : اوله : السنة الستون بعد المائة فيها خلع المهدي عيسى بن موسى قد ذكرنا امتناعه فبعث اليه قائدا من قواده ...

ن ق س ، ٢٩٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5793 A.2907/c.8

المجلد (١٣) : أوله : السنة الحادية والعشرون وخمسمائة في المحرم جاء عسكر السلطان محمود الى باب النوبي ...

٢٧,٥×١٨,٥ سم ، ٣٩٥ ورقة . ع س ٢٥ ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5794 A.2907/c.13

مختصر مرآة الزمان

لموسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦هـ ١٣٢٦م) .

المجلد الثاني : أوله : ياقوم ان شعيبا مرسل فدعوا عنكم سميرا وعمران بن شداد ...

٢٥,٥×١٨ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5795 A.2907/d.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الخامس : أوله : السنة الثالثة عشر فيها كانت وقعة القادسية ..

الاوراق الاخيرة من هذا المجلد وضعت في نهاية المجلد الثالث من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، المرقم A.5925

٢٥,٥×١٨ سم ، ٢٢٨ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢,٥ سم .

رقمها 5796 A.2907/d.5

المجلد الثامن : اوله : عبدالله بن عبدالرحمن ابن عتبة ويعرف بن [بابن] حجدم الفهري ...

بخط احمد بن العليم الحكيمي سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م .

٢٥,٥×١٨ سم ، ٢٤٤ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5797 A.2907/d.8

المجلد العاشر : اوله : السنة الخامسة عشر بعد المائة فيها وقع بخراسان قحط شديد ومجاعة ...

نفس الناسخ سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م .

ن ق س ، ٢٤٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5798 A.2907/d.10

المجلد (١٢) : اوله : ذكر اقوال الناس في البرامكة ومرائيهم ...

نفس الناسخ سنة ٧١٩هـ ١٣١٩م .

ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ر٥ سم .

رقمها 5799 A.2907/d.12

المجلد (١٧) : اوله : السنة الحادية والاربعمائة فيها خطب ابو المنيع قرواش بن المقلد معتمد الدولة ...

بخط : احمد بن العليم سنة ٧٢٣هـ ١٣٢٣م

٢٦×١٨ر٥ سم ، ٢٥٠ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5800 A.2907/d.17

المجلد (١٩) : اوله : ذكر وفاة عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله ابو حكيم ...

٢٥ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٤٧ ورقة ، ع س ٢١ ، ط س ١٣ر٥ سم .

رقمها 5801 A.2907/d.19

ذيل على مرآة الزمان :

لمؤلف مجهول .

المجلد الثاني : اوله : وفيها توفي علي بن عمر ابن بنا ...

تاريخها : سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م .

٢٧ر٥×١٨ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5808 A.2907/I.2

المجلد الثالث : اوله : السنة التسعون وستمائة استهلت هذه السنة والخليفة الامام الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد العباس وسلطان الديار المصرية ...

٢٧ر٥×١٨سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ر٥ سم .

رقمها : 5803 A.2907/I.2

المجلد الرابع : اوله : السنة الثانية والسبع مائة دخلت هذه السنة وخليفة المسلمين يومئذ الامام المستكفي بالله ...

٢٧×١٨ سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ط س ١٢ سم .

رقمها 5804 A.2907/I.4

ذيل على مرآت (كذا) **الزمان**

لموسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٢٦هـ ١٣٢٦م) .

المجلد الثاني : اوله : فبقى متوليا الخطابة والامامة بجامع دمشق ...

بخط خالد بن يوسف بن نوح سنة ٧٢٢هـ ١٣٢٢م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩٨ ورقة ع س ٢٠ ، ط س ١٣ سم .

رقمها : 5805 A.2907/F.2

راجع بروكلمان ، الذيل ، ١ : ٥٨٩ .

المجلد الثالث : اوله : السنة الرابعةوالستون والستمائة من حوادثها وتوجه الملك الظاهر محفر خليج الاسكندرية ...

٢٦×١٨ سم ، ١٩٦ ورقة . ع س ١٧ ط س ١٣ر٥ سم .

رقمها . 5806 A.2907/F.3

المجلد الرابع : اوله : الاتابك ختن البر واناه هل كانوا موافقين ...

تاريخها ٧٢٢هـ ١٣٢٢م .

٢٦×١٨ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5807 A.2907/F.4

المجلد الخامس : اوله : السنة الثمانون والستمائة ...

ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5808 A.2907/F.5

المجلد الاول :

بخط علي بن عيسى .

٢٧×١٨ر٥ سم ، ٢٤٦ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٢ر٥ سم .

رقمها 5809 A.2907/g.1

المجلد (١٣) : أوله : السنة الحادية والستون وخمسمائة ...

تاريخها : ٨٨٨هـ ١٤٨٣م .

ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5810 A2907/g.13

المجلد (١١) : يتناول حوادث ٢٦١ ــ ٣٢٦هـ

اوله : السنة الحادية والستون بعد المائتين . .

٢٧٫٥×١٩٫٥ سم ، ١٩٧ ورقة . ع سم ٢١ ط س ١٤٫٥ سم .

رقمها 5811 A.2907/h.11

المجلد الثالث : اوله : وفيها في يوم الاثنين سبع وعشرين شهر رجب توفى الامير جمال الدين ابو الحسن علي بن درباش بن يوسف ...

٢٦×١٩ سم ، ٢٨٧ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١٢٫٥ سم .

رقمها 5812 A.2907/I.3

المجلدات (١ــ٤) اولها : الحمد لله الواحد القديم المنان ...

٣٦×٢٢٫٥ سم ، ٤١٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5813 A.2931/1-4

المجلدات (٥ــ٨) اولها : السنة الرابعة من الهجرة فيها كانت سرية ...

ن ق س ، ٣٩٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5814 A.2931/5-8

المجلدات (١٣ــ١٦) : أولها : السنة الثانية والثلثون بعد المائة وفيها هلك قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان ...

ن ق س ، ٣٧٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5815 A.2931/13-16

المجلد (١٨) : أوله : السنة الخامسة والثلثون وثمانمائة وفيها توفى الحسن بن حمويه بن الحسين ...

ن ق س ، ١٥٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5816 A.2931/18

مختصر تاريخ البشر

لابي الفداء اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب الايوبي (ت ٧٣٢هـ ١٣٣١م) .

يتناول الاحداث من البداية حتى ٧١٠هـ .

أوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار بالاجال ...

يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .

٣٦×٢٥سم ، ٣١٨ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٩٫٥ سم .

رقمها 5817 A.2933

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ ، كشف الظنون ، ١٦٢٩ .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من البداية حتى ٤٤١هـ .

اوله : الحمد لله الذي حكم على الاعمار بالاجال ...

٣٥٫٥×٢٥٫٥ سم ، ١٨٥ ورقة . ع س ٢٥، ط س ١٩٫٥ سم .

رقمها 5818 A.2936/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٤٤٢ ــ ٧٠٩م.

أوله : معه ذكر وفاة مودود في هذه السنة من رجب ...

ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5819 A.2936/2

ومنه نسخة اخرى :

٢٤٫٥×١٧ سم ، ٢٧٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١١٫٥ سم .

رقمها 5820 R.1067

كنز الدرر وجامع الغرر :

لابي بكر بن عبدالله بن آيبك الدواداري (ت ٧٣٢هـ ١٣٣١م) .

وهو خلاصة لكتاب المؤلف الموسوم « درر التيجان وغرر تواريخ الزمان » .

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٤ .

المجلد الثالث : أوله : الحمد لله الذي لا تراه العيون بمشاهدة العيان ...

تاريخها ٧٣٣هـ ١٣٣٣م .

٣٤٫٥×٢٥ سم ، ١٦٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٧ سم .

رقمها 5821 A.2932/3

المجلد السادس : يتناول تاريخ الدولة الفاطمية من حسن بن علي حتى سنة ٥٥٤هـ .

اوله : الحمد لله الذي خصنا بالاسلام وشرفنا اذ جعلنا من انه محمد البدر التمام ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5822 A.2932/6

المجلد السابع : يتناول تاريخ الدولة الايوبية من ٥٥٥ ـ ٦٤٨هـ .

وله : الحمد لله انشاء الجنين في الاحشاء ..

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٦٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5823 A.2932/7

المجلد الثامن : يتناول تاريخ الدول التركية من ٦٤٧ ـ ٦٩٦هـ .

اوله : الحمد لله الذي اطفى فأخمد جمرة الاشراك ...

تاريخها ٧٣٤هـ ١٣٣٤م .

ن ق س ، ١٧٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5824 A.2942/8

المجلد التاسع : يتناول ترجمة الملك الناصر من ٦٩٩ ـ ٧٣٥هـ .

أوله : الحمد لله الملك الناصر لمولانا السلطان الملك الناصر ...

تاريخها ٧٣٦هـ ١٣٣٥م .

ن ق س ، ١٧١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5825 A.2932/9

العبر في اخبار البشر [ممن عبر]

للذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) . وهو مختصر تاريخه الاسلامي ، هذا المجلد يتناول حوادث ١ـ٢٤٠هـ .

اوله : الحمد لله مميت الاحياء ومحيي الاموات ومبدى الاشيا ومبيد البريات ...

٥ر٢٧×١٨ سم ، ٢٦٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5826 A.3030

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٦ .

تاريخ [دولة] الاسلام

لمحمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) .

المجلد الاول : اوله : الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الكافي من توكل عليه ...

يرجح انها نسخت في النصف الاول من القرن ٨هـ ١٤م .

٢٤×١٦ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5827 A.2917/1

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٥ .

المجلد الثاني : يتناول شمائل النبي وحوادث سنة ٦٧هـ .

اوله : باب آخر سورة نزلت ...

ن ق س ، ٢٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5828 A.2917/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٦٨ـ١٢٠هـ

اوله : ذكر وقعة الخازر ...

ن ق س ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5829 A.2917/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ١٢٤ ـ ١٥٠هـ

اوله : ذكر رجال هذه الطبقة على الحروف ..

ن ق س ، ٢٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5830 A.2917/4

المجلد الخامس : يتناول حوادث ١٥٠ـ٢٠٠هـ

اوله : بقية الطبقة ...

ن ق س ، ٣٠٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5831 A.2917/5

المجلد السادس : اوله : اسمعيل بن ابراهيم .. الاسدي ...

ن ق س ، ٢٨٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5832 A.2917/6

المجلد السابع : يتناول وفيات سنة ٢٣٢هـ .

ن ق س ، ٢٩٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5833 A.2917/7

المجلد الثامن : يتناول وفيات سنة ٢٦٢هـ .

اوله : الطبقة السابعة والعشرون .

ن ق س ، ٣١٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5834 A.2917/8

المجلد التاسع : يتناول وفيات سنوات ٣٠٠ ـ ٥٠٠هـ .

اوله : الطبقة الحادية والثلثون المتوفون سنة احدى وثلثمائة ...

ن ق س ، ٢٥٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5835 A.2917/9

المجلد العاشر : من ٣٣١ – ٤١٦هـ .

اوله : الطبقة السادسة والثلاثون احدى وخمسين وثلاثمائة ...

٢٥×٥ر١٦ سم ، ٣١٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5836 A.2917/10

المجلد (١١) : يتناول سنوات ٤١٦ – ٤٧٨هـ

اوله : علي بن عبدالله ابو القاسم ...

٢٥×١٦سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5837 A.2917/11

المجلد (١٢) : يتناول ٤٧٨ – ٥٢٤هـ .

أوله : علي بن محمد ابو الحسن الفزنوي...

٢ر٢٥×١٦ سم ، ٢٨٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5838 A.2917/12

المجلد (١٣) : يتناول ٥٢٥ – ٥٦٤هـ .

أوله : محمد بن عبدالله بن تومرت بن عبدالله.

٥ر٢٤×٤ر١٦ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ٢٧، ط س ١٢ سم .

رقمها 5839 A.2917/13

المجلد (١٤) : يتناول ٥٦٥–٦٠٠هـ .

أوله : احمد بن صالح بن سام بن طاهر ابو الفضل ...

٢٥×١٦ سم ، ٢٨٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5840 A.2917/14

المجلد (١٥) : يتناول ٣٠١ – ٦٧٠هـ .

أوله : القرن الرابع وما جرى فيه من الحوادث الكبار من كلام ابن الجوزي وغيره الطبقة الحادية والثلاثون سنة احدى وثلثمائة ...

٢٥×١٧ سم ، ٣٤٩ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5841 A.2917/15

المجلد (١٦) : اوله : الطبقة الحادى (كذا) والستون سنة احدى وستمائة احمد بن سالم بن أبي عبدالله ابو العباس المقدسي ...

٢٥×٣ر١٦ سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٤ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5842 A.2917/16

المجلد (١٧) : أوله : احمد بن ابي الفتح احمد بن موسى الشريف ابو العباس الجعفري البغدادي.

٣ر٢٥×٥ر١٦ ، ٢٩٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5843 A.2917/17

المجلد (١٨) : أوله : سنة ثمان واربعين وستمائة ... احمد بن محمد بن عبدالعزيز بن الحسين بن عبدالله ...

٢٥×٥ر١٦سم ، ٢٧٥ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5844 A.2917/18

النسخ الاخرى من الكتاب :

المجلد الاول : أوله : قال الشيخ ... شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه الكافي ...

بخط : محمد بن هبة الله بن عبدالرحمن في دمشق سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٦م .

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5845 A.2917/b.1

المجلد الثاني : أوله : خلافة الصديق رضي الله عنه ... قال هشام بن عروة عن أبيه عن عايشه ..

بخط نفس الناسخ في دمشق سنة ٧٣٧هـ ١٣٣٦م .

٢٦×١٨ سم ، ٣١٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5846 A.2917/b.2

المجلد الثالث : أوله : الطبقة الثانية عشر ذكر سنة احدى عشرة ومائة ...

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٣٠٢ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5847 A2917/b.3

المجلد الرابع : أوله : الطبقة الحادية والعشرون سنة احدى ومائتين ...

٢٦×٥ر١٨ سم ، ٣٢٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5848 A.2917/b.4

المجلد الخامس : اوله : سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ...

٢٦٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5849 A.2917/b.5

مختصر تاريخ الاسلام

لمحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) . وهو مختصر كتابه الكبير تاريخ الاسلام من صنع المؤلف نفسه . يتناول الاحداث من البداية حتى ٨١٦هـ .

اوله : الحمد لله العلي الكبير على الحمد له فانه نعم المولى ونعم النصير ...

٢٧٫٣×١٨ سم ، ٣٧٣ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5850 A.2918

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٥ .

تتمة المختصر في أخبار البشر

لابي حفص بن المظفر بن عمر القرشي البكري المعري زين‌الدين ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ ١٣٤٩م) . وهو تتمة كتاب أبي الفداء الآنف الذكر .

أوله : الحمد لله المنفرد بالبقاء والقدم المنزه عن الفناء والعدم ... بخط أبي بكر بن احمد سنة ٨٦٩هـ ١٣٤٨م .

٢٧٫٥×١٧٫٥ سم ، ٢٧٩ ورقة . ع س ٢٥ .

رقمها : 5851 A.2961

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٥ .

الجزء الثاني من كتاب المعرفة والتاريخ

لابي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى (ت حوالي سنة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م) . كتبه بالاسناد الى رواية أبي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٦هـ ٩٥٦م) .

أوله : أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين ابن الفضل القطان ببغداد ...

راجع عن التراجم : بروكلمان ، الذيل ، ١ : ١٧٤ ، الجزء الثالث من هذا الكتاب ضمن مجموعة اسعد افندي رقمه (٢٣٩١) .

يرجح انها نسخت في القرن ٨هـ ١٤م .

٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٤٤ ورقه . ع س ٢١ ، ط س ١١٫٥ سم .

رقمها 5852 R.1554

عيون التواريخ

لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ ١٣٣٦م) .

المجلد الاول : من بداية الاسلام حتى وفاة النبي .

أوله : الحمد لله الذي منحنا مزيد الاحسان وخصص بالنطق والهداية نوع الانسان ... بخط المؤلف .

٢١٫٥×١٥٫٥ سم ، ١٧٧ ورقه . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5853 A.2922/1

المجلد الثاني : من خلافة ابي بكر حتى سنة ٥٣هـ .

أوله : قال سيف‌الدين بن عمر عن سهل بن يوسف عن عمرو بن يحيى ...

ن ق س ، ١٧١ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5854 A.2922/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٥٤–٩٥ هـ .

أوله : السنة الرابعة والخمسون فيها عزل معاويه سعيد بن العاص عن المدينة ...

ن ق س ، ١٧٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5855 A.2922/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٩٦–١٢٠هـ .

أوله : السنة السادسة والتسعون فيها تكامل بناء جامع الاموي بدمشق ...

ن ق س ، ١٦٨ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5856 A.2922/4

المجلد السادس : يتناول حوادث ١٤٤ – ١٨٥ هـ .

اوله : ثم دخلت سنة اربع واربعين ومائة فيها قدم محمد المهدي على أبيه ...

ن ق س ، ١٧٦ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5857 A.2922/6

المجلد السابع : يتناول حوادث ١٨٦–٢١٧هـ

أوله : ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة فيها خرج علي عيسى بن ماهان في مرو ...

ن ق س ، ١٧٥ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5858 A.2922/7

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٢٩٧–٣٣٧هـ

أوله : السنة السابعة والتسعون بعد المائتين فيها غزا القاسم بن ...

ن ق س ، ١٧١ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5859 A.2922/10

المجلد (١١) : يتناول ٣٣٨-٣٧٢هـ .

أوله : السنة الثامنة والثلثون والثلثمائة في ربيع الاول فيها وقعت فتنة بين الشيعة واهل السنة ...

ن ق س ، ١٧٤ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5860 A.2922/11

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٠٥-٥٤٠هـ .

أوله : السنة الخامسة والخمسمائة فيها بعث السلطان غياث الدين محمد جيشا كثيفا ...

ن ق س ، ١٧٩ ورقه . ن ع س ط .

رقمها : 5861 A.2922/12

المجلد (١٧) : يتناول حوادث ٥٤١-٥٦٩هـ .

أوله : ذكر من توفى في هذه السنة [من] الاعيان وهي السنة الحادية والاربعون والخمسمائه.

ن ق س ، ١٦٧ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5862 A.2922/17

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٦٧١-٦٨٧هـ .

أوله : السنة الحادية والسبعين والستمائة استهلت هذه السنة والخليفة والملوك على القاعدة المستقرة ...

ن ق س ، ١٦٥ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5863 A.2934

المجلد (٢٢) : يتناول حوادث ٦٨٨-٧٣٠هـ .

أوله : السنة الثامنة والثمانون والستمائة استهلت هذه السنة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله ...

ن ق س ، ١٧٣ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5864 A.2922/22

المجلد (٢٤) : يتناول حوادث ٧٣١-٧٥٩هـ .

ن ق س ، ١٥٠ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5865 A.2922/24

المجلد الثاني من تاريخ اليافعي المسمى بمرآت الجنان

لعفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨هـ ١٣٦٧م) . يتناول الحوادث حتى سنة ٤٠١هـ .

أوله : سنة احدى واربع مائة فيها أقام صاحب الموصل الدعوة ببلده للحاكم احد خلفاء الباطنية ...

بخط : محمد بن سالم بن صلاح سنة ٨٧٤هـ ١٤٦٩ .

٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ٣٢٤ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5866 A.2970

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٢٢٨ (١٣) ، كشف الظنون ١٦٤٧ .

البداية والنهاية :

لابي الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير عمادالدين ابن الخطيب القرشي (ت ٧٧٤هـ ١٣٧٣م) .

المجلد الاول : من بدء الخليفة حتى قصص بني اسرائيل .

أوله : الحمد لله الاول الاخر الباطن الظاهر .

تاريخها ٨٤٠هـ ١٤٣٧م .

١٨٫٥×١٣٫٥ سم ، ٢٥٢ ورقه . ع س ١٧، ط س ٩ .

رقمها : 5867 A.2923

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٤٨ (١) .

المجلد الثاني : أوله : كتاب أخبار العرب قيل ان جميع العرب المنتسبون الى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٢٧×١٩ سم ، ٢٩٢ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5868 K.884

المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٦-٤٠هـ .

أوله : ذكر فتح المداين التي هي مستقر مملكة الاكاسرة ...

تاريخها ٨٤٠هـ ١٤٣٧م .

١٨×١٣٫٥سم ، ٢٤٩ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5869 A.2923/a.8

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٦٣-٩٤هـ .

أوله : وممن توفى فيها عبدالمطلب بن ربيعة ابن الحارث .

تاريخها : ٨٤٢هـ ١٤٣٨م .

١٨×٥ر١٣ سم ، ٢٤٥ ورقه . ع س ١٧ .

رقمها 5870 A.2923/a.10

المجلد الرابع : اوله : فصل في اسلام عمر ابن العاص وخالد بن الوليد ...

بخط : يوسف بن حسن بدرالدين عبدالهادي سنة ٨٦٨هـ ١٤٦٤م . رديئة الكتابة .

٥ر٢٧×٥ر١٨ سم ، ٢٢٩ ورقــــه . ع س مختلف ، ط س ١٧ سم .

رقمها 5871 A.2923/b.4

المجلد الخامس : اوله : فصل ومما يتعـــلق بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة ...

بخط نفس الناسخ .

رديئة الكتابة .

٥ر٢٧×٥ر١٨ سم ، ٢١٨ ورقـــــه . ع س مختلف . ط س ١٧ سم .

رقمها 5872/2923/b.5

المجلد السادس : يتناول حوادث ٣٥ـ٥٠هـ .

اوله : خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٥ر٢٧×١٨٥ سم ، ١٩١ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5873 A.2923/b.6

المجلد السابع : يتناول حوادث ٣٤ـ٦٣م .

اوله : ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ... قال ابو معشر فيها كانت غزوة الصواري ...

نقلت عن النسخة الاصلية ســـــنة ٨٧١هـ ١٤٦٦م .

٣ر٢٧×١٨ سم ، ٣٠٠ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5874 A.2923/c.7

المجلد الثامن : يتناول حوادث ٦٤ـ١٠١هـ .

اوله : امارة عبدالله بن زبير وعند ابن حزم وطائفة انه امير المؤمنين في هذا الحين ...

بخط يوسف بن ابراهيم سنة ٨٧٠هـ ١٤٦٥م

٢٧×١٨ سم ، ٢٥٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ١٣سم .

رقمها 5875 A.2923/c.8

المجلد الرابع : يتناول تاريخ الانبياء

أوله : كتاب جامع الاخبار (كذا) الانبياء المتقدمين ...

بخط احمد بن علوي بن حمزة .

٥ر٢١×٥ر١٥ سم ، ٢٤٠ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5876 A.2923/d.4

المجلد الخامس : يتناول قســـما من تاريـخ السيرة النبوية .

اوله : وقد قال الامام احمد ...

٥ر١٧×٥ر٢٦ سم ، ٢٧٤ ورقة . ع س ٢٣، ط س ١٣ سم .

رقمها 5877 A.2923/I.5

المجلد السادس : يتناول السيرة النبوية .

اوله : سنة احدى عشر من الهجرة ...

٢٦×٥ر١٧ سم ، ٢٣٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5878 A.2923/f.6

المجلد الاول : من بدء الخليقة حتى النبي يحيى

اوله : الحمد لله الاول والآخر .

٣ر٢٧×١٨سم ، ٢٤١ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5879 A.2923/g.1

المجلد الاول : من البداية حتى نهاية تاريخ الانبياء .

بخط محمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي سنة ٧٧٢هـ ١٣٧٠م .

٥ر٢٥×١٨ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .

رقمها : 5880 A.2923/hl

المجلدان الاول والثاني :

٥ر٢٥×٥ر١٧ سم ، ٢٦٧ ورقة . ع س ٣٥، ط س ٥ر١٥ سم .

رقمها : 5881 A.2923/Il-2

مجلد آخر يحوي أجزاء مختلفة من تاريـخ ابن كثير .

٥ر٢٧×١٨ سم ، ٣١٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١٣ سم .

رقمها 5882 A.2923/J.1

مقدمة تاريخ ابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر

لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) .

المجلد الاول : أوله : يقول العبد الفقير عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .. الحمد الذي (كذا) له العزة والجبروت ...

٢٦٫٥×١٨٫٥ سم ، ٢٩٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5883 A.3042

مجلد من تاريخ ابن خلدون يتناول تاريخ الامويين والخلفاء المنسوبين في مصر بعد انقراض الخلافة في بغداد .

٣١٫٥×٢٢ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣٥ ، ط س ١٥٫٥ سم .

رقمها 5884 A.3042/b.1

مجلد آخر منه يتناول حكام افريقيا والاناضول (بلاد الروم) .

ن ق س ، ١٩٧ ورقه . ن ع س ط .

رقمها 5885 A.3042/b.1a

(الظاهري) في العبر والعجم والبربر

لابي زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) وهو تاريخه الموسوم بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر واسم الكتاب محرف واضيف اليه اسم الظاهري .

المجلد الثالث : أوله : الكتاب الثاني في اخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليفة الى هذه العهد ...

يرجح انها نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٧×١٨٫٥ سم ، ٤٣٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5886 A.2924/3-4

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٤٣ .

ومنه مجلد يضم الجزئين الثالث والرابع يبحث عن الطبقة الرابعة من العرب المسماة بالعرب المستعجمة ودخول بني هلال الى المغرب الاقصى وأحوال البربر ورؤساء بني ثابت في طرابلس .

الجزء الثالث منه يتناول تاريخ العرب والبابليين والنبطيين والسريان والقبط وبني اسرائيل والفرس وملوك الطوائف واليونان والروم .

والجزء الرابع منه يتناول الطبقة الرابعة من العرب وانسابهم من ظهور الاسلام حتى شهادة علي .

ن ق س ، ١٩٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5887 A.3042/3

ومجلد آخر يضم الجزئين الخامس والسادس

الجزء الخامس : يتناول حوادث ٤١ (٦٦١)ـ ٢٤٧هـ (٨٦١م) .

أوله : الخبر عن الدولة الاسلامية ...

الجزء السادس : يتناول حوادث ٢٤٧ (٨٦١) ـ ٦٥٩هـ (١٢٦١م) .

٢٧×١٨٫٥سم ، ٤٢٦ ورقة . ع س ٢١ ، ط ١٢ سم .

رقمها 5888 A.2924/5-6

ومجلد آخر يضم الجزئين السابع والثامن :

الجزء السابع : أوله : أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس ...

الجزء الثامن : أوله : الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الاسلام المستبدين على الخلفاء ...

ن ق س ، ٥٠٥ ورقة . ع س ٢١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5889 A.2924/7-8

ومجلد آخر يضم الجزئين التاسع والعاشر

الجزء التاسع : أوله : الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ...

الجزء العاشر : أوله : الخبر عن دولة بني ايوب القائمين بالدعوة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب ...

ن ق س ، ٤٥١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5890 A.2924/9-10

ومجلد آخر يضم الجزئين (١١ ـ ١٢) :

الجزء (١١) : أوله : الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجمة ...

الجزء (١٢) : أوله : الخبر على اهل جبال درن بالمغرب الاقصى ...

ن ق س ، ٣٧٢ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5891 A.2924/11-12

ومجلد آخر يضم الجزئين (١٣ — ١٤) :

الجزء (١٣) : أوله : الخبر عن زناته من قبائل البربر ...

الجزء ١٤) : أوله : الخبر عن بني مدين وانسابهم وشعوبهم ...

ن ق س ، ٣٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5892 A.2924/13-14

الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين

لابراهيم بن محمد بن دقماق صارم الدين المصري (ت ٨٠٩هـ ١٤٠٧م) .

اوله : السنة الاولى من الهجرة ... قدم صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين من شهر ربيع الاول ...

تاريخها : ٨٧٣هـ ١٤٦٨م .

٢٧٫٣×١٨ سم ، ١٣٠ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5893 A.2903

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥٠ (٢) .

روضة المناظر في أخبار الاوائل والاواخر

لابي الوليد محمد بن كمال الدين محمد بن محمود بن شحنه الحلبي (ت ٨١٥هـ ١٤١٢م) يتناول التاريخ العام من آدم حتى سنة ٨٠٦هـ .

اوله : لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق ...

بخط محمد بن عبدالرحمن بن حبيب سنة ٩٨٦هـ ١٥٧٨م .

١٦٫٥×١٠٫٥ سم ، ٢١٦ ورقة . ع س ١٧ ، ط س ٥٫٥ سم .

رقمها 5894 H.1602

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٧٧ (١٢) .

تاريخ الشهابي والقمر المنير :

لابي القاسم شهاب الدين احمد بن احمد بن موسى العينتابي . ويبدو ان المؤلف هو شقيق العينتابي العيني صاحب كتاب عقد الجمان [الجمان] . ولم يصلنا من تاريخ الشهابي غير الاجزاء ، (٢ ، ٣ ، ٦) . وهي نسخ فريدة .

المجلد الثاني : يتناول حتى فتح الشام .

أوله : فصل في قصة هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٤هـ ١٤٣١م .

٢٨×١٨٫٥سم ، ١٨٦ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٤ سم .

رقمها 5895 A.2952/2

المجلد الثالث : أوله : ذكر فتح دمشق اعلم انا نذكر أولا ما ذكره الواقدي ...

آخره : هدم الكعبة وبنائها شرفها الله تعالى في أيام ابن الزبير ...

بخط المؤلف سنة ٨٣٣هـ ١٤٣٠م .

ن ق س ، ١٨٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5896 A.2952/3

المجلد السادس : يتناول الحوادث حتى سنة ٥٧٠هـ ونهايته ناقصة .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السابعة والعشرين بعد الاربعمائة ... نفس تاريخ النسخ .

ن ق س ، ١٤٠ ورقة ، ن ع س ط .

رقمها 5897 A.2925/6

مختصر اسلام تاريخي (مختصر تاريخ الاسلام)

لمؤلف مجهول وقد سقط عنوانه ، يتناول وباختصار التاريخ الاسلامي مبتدئا بمولد النبي والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ثم المماليك في مصر حتى الملك الظاهر سيف الدين جقماق الى سنة ٨٤٢هـ ١٤٣٨م .

أوله : ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار ...

نسخ لسيفي خاير (من امراء مصر) سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م .

٢٧٫٥×١٨٫٥ سم ، ١٢٤ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5898 A.2970

كتاب الخبر عن البشر :

لابي عباس احمد بن علي بن عبدالقادر تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ ١٤٤٢م) المجلد الاول :

أوله : الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبداء خلق الانسان من طين ...

يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .
٥ر٢٧×٥ر١٨ سم ، ٢٠٣ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5899 A.2926/1
راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٧ (١٠) .
المجلد الثاني : أوله : فصل في ذكر التبابعة ملوك يمن ...
تاريخها : ٨٩٢هـ ١٤٣٧م
ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5900 A.2926/2
المجلد الثالث : أوله : ذكر بني عدنان وانسابهم وتوابعهم وما كان لهم من الدولة والملك ..
ن ق س ، ٢٢٠ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5901 A.2926/3
المجلد الرابع : أوله : ذكر ايام الفجار الفجار بكسر الفا بمعنى المفاخرة كالقتال ...
بخط عمر بن عبدالله بن محمد المنظوري
ن ق س ، ١٦٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5902 A.2926/4
المجلد الخامس : أوله : ذكر مقتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المرى ...
ن ق س ، ١٨٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5903 A.2926/5
المجلد السادس : أوله : قال في صحاح الجوهري والنبأ الخبر تقول نبأ ونبأ وانبا اي اخبر ...
ن ق س ، ٢٤٢ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5904 A.2926/6
وهناك مجلد آخر يكدن الجزء الثالث من هذا التاريخ .
بخط عمر بن عبدالله بن محمدالمنظراوي سنة ٨٩٤هـ ١٤٨٩م .
٥ر٢٦×١٨ سم ، ٢١٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ٥ر١٢ سم .
رقمها 5905 R.1561

السلوك لمعرفة دول الملوك :

تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ ١٤٤١م) . يتناول الحوادث الواقعة بين سنتي ٥٧٧–٨٤٤هـ .
المجلد الاول : يتناول حوادث ٥٧٧ – ٧١٠هـ .
أوله : قل اللهم مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ...
تاريخها ٨٨٣هـ ١٤٧٨م .
٥ر٢٧×١٨ سم ، ٢٩٨ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5906 A.2928/1
راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ٣٦ ، كشف الظنون ، ١٠٠٠ .
المجلد الثاني : يتناول وقائع ٧١١ – ٧٦١هـ .
أوله : سنة احدى عشرة وسبعمائة مستهل المحرم وصل الامير ارغون الدوادار الى دمشق ...
تاريخها ٨٨٨هـ ١٤٨٣م .
ن ق س ، ٢٦٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5907 A.2928/2
المجلد الثالث : يتناول احداث ٧٦٢ – ٨١٠هـ
أوله : سنة اثنتين وستين وسبع مائة اهلت والامراض بالبارده فاشية في الناس .
ن ق س ، ٢٩١ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5908 A.2928/3
المجلد الرابع : يتناول حوادث ٨١١ – ٨٤٤هـ
اوله : سنة احدى عشرة وثماني مائة أهلت والامير نوروز مستولى على البلاد الشامية ..
ن ق س ، ٢٥٠ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5909 A.2928/4
وهناك مجلد آخر من الكتاب يتناول حوادث ٧٤٠ – ٧٨٣هـ .
بخط عبدالقادر بن حسن بن زين‌الدين سنة ٩٥٠هـ ١٥٤٣م .
٢٧×١٨سم ، ٣٥٧ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ١٢ سم .
رقمها 5910 H. 1431
ومنه نسخ اخرى :
المجلد الاول : بخط ابي الفضل الاعرج سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م .

٣١×٢١ سم ، ٣٩٧ ورقة . ع س ١٣ ، ط س ١٣ سم
رقمها 5911 K.905

المجلد العاشر : تاريخ نسخه ٨٣٩هـ ١٤٣٥م ٣١×٢١سم ، ٣٦٢ ورقة .ع س ١٣ ، ط س-سم
رقمها 5912 K.90

التبر المسبوك في ذيل السلوك

لمحمد شمس الدين بن عبدالرحمن السنحاوي (ت ٩٠٢هـ ١٤٩٦م) ذيله على كتاب السلوك .

المجلد الثاني : يتناول وقائع ٨٥١ ـ ٨٥٧هـ.

أوله : سنة احدى وخمسين وثماني مائـــة استهلت واكثر من سبق على حاله الا الشافعي ...

بخط ابي الفضل الاعرج السنباطي ٨٨٠هـ ١٤٧٥م .

٣٠ر٥×٢١سم ، ٢٨٨ ورقة . ع س ١٣ ، ط س ١٣ر٥ سم .
رقمها 5913 K.1008

انباء الغمر بابناء العمر

لشهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ ١٤٤٩) وهو تاريخه الذي يتناول حوادث ٧٧٣ ـ ٨٤٩م .

المجلد الاول : الحمد لله الباقي وكل مخلوق يفنى الواقي ولو اعرض عبده لما استغنى ...

تاريخها ٨٨٠هـ ١٤٧٥م .

٢٦ر٥×١٨ر٥ ، ١٨٧ ورقة . ع س ٢٩ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5914 A.2941/1
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٧٤ (٤١) .

المجلد الثاني : أوله : سنة اثنتى عشـــــرة وثماني مائة ...

نفس تاريخ النسخ .

ن ق س ، ١٩٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5915/A.2941/2

ومنه نسخ اخرى :

المجلد الاول : ٢٧ر٥×١٨ر٥ سم ، ٢٧٧ ورقة ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم
رقمها 5916 A.2942/1

المجلد الثاني : ن ق س ، ٢٧٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5917 A.2942/2

المجلد الاول : بخط عمر بن عبدالله المنظراوي سنة ٨٦٨هـ ١٤٦٤م .

٢٦ر٥×١٧ر٥ سم ، ٢٣٩ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٢ر٥ سم .
رقمها 5918 M.522

المجلد الثاني : ٢٦ر٥×١٧ر٥ ســــم ، ٢٣٦ ورقة ن ع س ط .
رقمها 5919 M.523

عقد الجمان في تاريخ الزمان :

لابي محمد ابي الثناء محمود بن احمــد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بدر الديـن العيني العينتابي (ت ٨٥٥هـ ١٤٥١م) .

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقــة حتى قصة أصحاب الرس .

اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيتـه الكائنات وعلى وحدانيته اختلاف الليل والنهار ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٢٢م .

٢٧ر٥×١٨ سم ، ٢٣١ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ر٥ سم .
رقمها 5920 A.2911/a.1
راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١ .

المجلد الثاني : من قصة ابراهيم حتى قريش

اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٥٣م .

ن ق س ، ٢٣٨ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ر٥ سم .
رقمها 5921 A.2911/a.2

المجلد الثالث : من ايام الفترة الى البـــاب الرابع .

اوله : فصل فيمن كان في أيام الفترة وقبـل البعثة واوائلها ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٥هـ ١٤٢٣م .

ن ق س ، ٢٩٧ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5922 A.2911/a.3

المجلد السادس : يتناول وقائع ٦١ ــ ٩٥هـ .

اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والستين ...

بخط المؤلف سنة ٨٢٨هـ ١٤٢٥م .

ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5923 A.2911/b.6

المجلد السابع : يتناول وقائع ٩٦ ــ ١٥٠هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والتسعين ...

ن ق س ، ٢٢٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5924 A.2911/b.7

المجلد الثامن : يتناول حوادث ١٥١ ــ ٢٥٥هـ

اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والخمسين بعد المائة ...

بخط المؤلف سنة ٨٣هـ ١٤٢٧م .

ن ق س ، ٢١٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5925 A.2911/a.8

المجلد التاسع : يتناول احداث ٢٢٦ ــ ٣٣٠هـ

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والعشرين بعد المائتين ...

بخط المؤلف في نفس السنة السابقة .

ن ق س ، ٢٣٣ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5926 A.2911/a.11

المجلد العاشر : يتناول حوادث ٣٣١ ــ ٤٣٠هـ

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والثلاثين بعد الثلثمائة ...

بخط المؤلف سنة ٨٣١هـ ١٤٢٨م .

ن ق س ، ٢٢٨ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5927 A.2911/a,10

المجلد (١٢) : يتناول حوادث ٥٢١ــ٥٧٨هـ .

اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والعشرين بعد الخمسمائة ...

بخط المؤلف سنة ٨٣١هـ ١٤٢٨م .

ن ق س ، ٢٢٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها . 5928 A.2911/a.12

المجلد (١٧) : يتناول وقائع ٧٢٥ــ٧٤٥هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الخامسة والعشرين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ١٨٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5929 A.2911/a.17

المجلد (١٨) : يتناول حوادث ٧٢٧ــ٨٣٥هـ .

أوله : وفي السنة السابعة والعشرين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ٢١٧ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم .

رقمها 5930 A.2911/a.18

المجلد (١٩) : يتناول وقائع ٧٩٩ــ٨٤٩هـ .

اوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة التاسعة والتسعين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ٢٤٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5931 A.2911/a.19

النسخ الاخرى من عقد الجمان :

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٩٥ــ٥٢٠هـ .

أوله : وفي السنة الخامسة والتسعين ...

٢٧ر٥×١٨ سم ، ٢٣٣ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5932 A.2911/b.2

المجلد الاول : من الخليقة حتى الفصل التاسع والعشرين من بحث السودان ...

أوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيته الكائنات ...

٢٧×٥ر١٨ سم ، ٢٥١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ١١ سم .

رقمها 5933 A.2911/c.1

المجلد الثاني : يتناول الوقائع من قصة ابراهيم حتى نهاية مبحث الانساب الشريفة للنبي .

اوله : فصل في قصة ابراهيم الخليل ع.س .

تاريخها ٨٩٦هـ ١٤٩٠م .

ن ق س ، ٢٧٤ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5934 A.2911/c.2

المجلد الثالث : من زمن الفترة حتى نهاية السنة الرابعة للهجرة .

اوله : فصل فيمن كان في أيام الفترة وقبل البعثة ...

ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5935 A.2911/c.3

المجلد الرابع : من خلافة أبي بكر الصديق حتى سنة ٢٣هـ .

أوله : ذكر خلافة أبي بكر الصديق ...

بخط محمد بن احمد بن احمد بن محمد الانصاري سنة ٨٩٣هـ ١٤٨٧م .

ن ق س ، ٣٠٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5936 A.2911/c.4

المجلد (١٣) : يتناول حوادث ٩٦ ــ ١٢٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والتسعين ...

ن ق س ، ٢٦٤ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5937 A.2911/c.13

المجلد (١٦) : يتناول حوادث ١٩٣ــ٢٢٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة والتسعين بعد المائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5938 A.2911/c.16

المجلد (٢١) : يتناول حوادث ٤٣١ــ٤٨١هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والثلاثين بعد الاربع مائة ...

ن ق س ، ٢٤٥ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5939 A.2911/c.21

المجلد (٣٤) : يتناول وقائع ٧٣٦ــ٧٤٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة والثلاثين بعد السبعمائة ...

ن ق س ، ٢٧٣ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5940 A.2911/c.34

المجلد الاول : يتناول الحوادث من الخليقة حتى سنة ١١ هـ . أول هذه النسخة لا يتفق مع أول النسخ الاخرى .

أوله : الحمد لله الذي انشأ جميع الموجودات من العدم ...

بخط المؤلف سنة ٧٩٩هـ ١٣٩٦م .

٢٧×١٨ سم ، ٢٨٢ ورقة . ع س ٣٠ ، ط س ٥ر١٣ سم .
رقمها 5941 A2911/d.1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ١١ــ٦٦هـ .

أوله : فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية عشر من الهجرة ...

ن ق س ، ٢٩٩ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5942 A.2911/d.2

المجلد الثاني : بخط مصطفى بن محمد بن زكريا بن حسن العطار سنة ١١٤٣هـ ١٧٢٢م .

٢٢×٥ر١٦ سم ، ٣٠٧ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٠ سم .
رقمها 5943 B.273

ونسخة اخرى من نفس المجلد بخط علي بن ابراهيم بن محمد سنة ١١٢٧هـ ١٧١٥م

٥ر٢٧×٥ر١٩ سم ، ٢٠٠ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ١٢ سم .
رقمها 5944 R.1557

المجلد الاول : يتناول ا لحوادث من الخليقة حتى ٢١هـ .

يرجح انها نسخت في القرن العاشر (١٦م) .

٣٢×٥ر٢١ سم ، ٥٦٤ ورقة . ع س ٣٥ ، ط س ١٣ سم .
رقمها 5945 A.2912/1

المجلد الثاني : يتناول حوادث ٢٢ ــ ٣٣٢هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٦٠٨ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5945 A.2912/2

المجلد الثالث : يتناول حوادث ٣٣٢ــ٦٢٣هـ .

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٣٠ ورقة . ن ع س ط .
رقمها 5947 A.2912/3

المجلد الرابع : يتناول حوادث ٦٢٤ ــ ٨٥٠هـ

نسخت في نفس القرن .

ن ق س ، ٥٨١ ورقة . ن ع س ط .

رقمها 5948 A.2912/4

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي :

لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ ١٤٦٩م) الفه بعد الاستفادة من كتاب الوافي للصفدي . يتناول فيها تاريخ السلاطين والامراء .

وهذه النسخة كاملة ، تضم اجزاء الكتاب السبعة .

أوله : الحمد لله مدبر الدهور ومدور الاعمار والشهور .

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

٣٠×٥ر١٧ سم ، ٨٩٤ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ٥ر١٠ سم .

رقمها 5949 A.3018

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤٠ (آ) .

مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة

لجمال‌الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ ١٤٦٩م) . وهو مختصر لتاريخ الاسلام .

اوله : الحمد لله الذي جعل الدول مؤيدة بالخلفاء الراشدين وجعل مددهم شاملا باقامة الملوك والسلاطين ...

يرجح انها نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

٣ر١٨×١٣ سم ، ٢٤٣ ورقة . ع س ١٥ ، ط س ٩ سم .

رقمها 5950 A.3035

راجع بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٣٩ (٢) .

ومنه نسخة اخرى ، نسخت في القرن التاسع للهجرة (١٥م) .

٢٧×٥ر١٨ سم ، ٨٤ ورقة . ع س ٢٩ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5951 A.3036

واخرى ، يرجح انها نسخت في القرن ٩هـ ١٥م .

٥ر٢٧×١٨ سم ، ١٥٠ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٣ر١٢ سم .

رقمها : 5952 A.3038

تاريخ الخلفاء

لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ ١٥١٥م) .

اوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى واوعد فنفى ...

نسخت في القرن ١١هـ ١٧م .

١٨×١٣ سم ، ١٨٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر٧ سم .

رقمها 5953 H.1559

راجع : بروكلمان ، الذيل ٢ : ١٩٦ (٢٧٨) ، كشف الظنون ، ٢٣٩ .

ومنه نسخة اخرى نسخت في نفس القرن .

٥ر٢٠×٥ر١١ سم ، ٢٢١ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٥ر٦ سم .

رقمها 5954 M.516

ونسخة اخرى ، تاريخها ٩٥٢هـ (١٥٤٥م) قوبلت على غيرها من النسخ سنة ٩٥٣هـ .

٢١×٥ر١٥سم ، ١٣٦ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5955 R.1572

مجموع يضم :

١ — كتاب انساب العرب من آدم الى النبي ، المنسوب الى عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ ١٥٠٥م) .

اوله : اما بعد حمدا لله على تواتر نعمائه ...

٢ — تاريخ الخلفاء للسيوطي .

اوله : اما بعد حمدا لله الذي وعد فوفى واوعد فعفا ...

نسخ القسم الاولى منه في سنة ١٠٠٢هـ ١٥٩٣م .

٣٠×٢١سم ، ٢٣٤ ورقة . ع س ٢٥ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5956 R.1552

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ١٩٦ (الوسط) .

تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس :

لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٩٠هـ ١٥٨٢م) . وهو تاريخ اسلامي يتناول الحوادث من البداية حتى سنة ٨٥٩هـ .

اوله : الحمد لله الذي خلق نور نبيه قبل كل أوائل ...

نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٩×٥ر١٥ سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٣ ، ط س ٥ر١٠ سم .

رقمها 5957 A.3044

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٥١٤ (١) .

ومنه نسخة اخرى ، تاريخها ١٠٠٨هـ ١٦٠٠م .

٣٢×٢١ سم ، ٣٩٨ ورقة . ع س ٣٩ ، ط س ٥ر١٢ سم .

رقمها 5958 A.3045

ونسخة اخرى ، بخط فخرالدين بن يحيى سنة ١١٢٦هـ ١٧١٤م .

٣١×٥ر٢٠ سم ، ٣٦٣ ورقة . ع س ٣٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5959 R.1652

تاريخ جنابي ـ العيلم الزاخر في احوال الاوائل والاواخر

لابي محمد مصطفى بن حسن بن سنان بن احمد الحسيني الهاشمي الجنابي الاماسي (ت ٩٩٩هـ ١٥٩٠م) . وهو تاريخ اسلامي عام ، كرست فصوله الاخيرة للسلاجقة والعثمانيين وملوك الطوائف . ويتناول الحوادث من البداية حتى ٩٨٦هـ .

أوله : اشرف كلام يتضوع نشره ورياه واحسن مقال يتفوح طيبه وشداه ...

تاريخها ١٠٠٨هـ ١٥٩٩م .

٥ر٣٠×١٨ سم ، ٧٠٩ ورقة . ع س ٣١ ، ط س ٧ر١٠ سم .

رقمها 5960 A.2958

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١١ .

ومنه نسخة اخرى ، يرجح انها نسخت في القرن ١٠هـ ١٦م .

٢٥×١٨ سم ، ٣٠٦ ورقة . ع س ١٩ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5961 A.2966

ونسخة اخرى ، تاريخها ٩٩٦هـ ١٥٨٨م .

٥ر٢٦×١٥ سم ، ٥١٩ ورقة ، ع س ٢٥ ، ط س ٢ر٨ سم .

رقمها 5962 R.1568

اخبار الدول وآثار الأول

لابي العباس احمد بن يوسف سنان بن احمد الدمشقي القرماني (ت ١٠١٩هـ ١٦١١م) . اختصر فيه تاريخ الجنابي وذيل عليه وقدم له وقد قسمه الى ٥٥ بابا .

أوله : الحمد لله عند تصاريف العبر وعند استماع التواريخ والسير ...

تاريخها ١١٢١هـ ١٧٠٩م .

٢٢×١٥ سم ، ٣٤٤ ورقة . ع س ٢٣ ، ط س ٥ر١١ سم .

رقمها 5963 K.886

راجع : بروكلمان ، الذيل ، ٢ : ٤١٢ ، كشف الظنون : ٢٦ .

ومنه نسخة اخرى بخط حميدي سنة ١٠٢٧هـ ١٦١٨م .

٥ر٢٩×٥ر٢٠ سم ، ١٨٩ ورقة . ع س ٣٣، ط س ١٣ سم .

رقمها 5964 R.1553

كشف الغمم عن اخبار الامم

لمحمد بن ابراهيم بن محمد بن ظاهر الحنفي يتناول التاريخ الاسلامي العام .

المجلد الاول : أوله : الحمد لله الواحد العادل في افعاله المنعم على خلقه ...

نسخة فريدة . لم يصادف للمؤلف في أي مكان .

٥ر٢٠×٥ر١٧ سم ، ٢٨٠ ورقة . ع س ٢٧ ، ط س ١٣ سم .

رقمها 5965 R.1559

جامع الدول ـ صحائف الاخبار في وقائع الاعصار

لرئيس المنجمين احمد بن لطف الله المولوي (ت ١١١٣هـ ١٧٠١م) .

يتناول في قسمه الاخير تاريخ العثمانيين حتى محمد الرابع (١٠٨٣هـ ١٦٧٢م) وقد ترجم هذا الكتاب الى التركية من قبل الشاعر احمد نديم تحت اسم صحائف الاخبار وطبع في استانبول .

المجلد الاول : أوله : احمد لله حمد متفكر في مخلوقاته معتبر بشواهد مصنوعاته منزه لذاته وصفاته عن الكيفية ...

تاريخها ١١١٦هـ ١٧٠٤م .

رقمها 5966 A.2954/1

راجع : كشف الظنون ، ١ : ٦٤ ، عثمانلي مؤلفلري ٣ : ١٤٢ .

المجلد الثاني : أوله : الكلمة الرابعة من الفقرة الثانية في ذكر الموالي ...

بخط محمد بن احمد معزالدين زاده سنة ١١١٧هـ ١٧٠٥م .

ن ق س ، ٦٤٧ ورقة . ن ع س ط .

رقمها : 5967 A.2954/2

مكتبة كوبنهاكن الملكيــــة

ومخطوطاتها العربيـــة

اعـــداد

الدكتور رزوق فرج رزوق

لا يعرف الا القليل عن مكتبات الملوك الدانمركيين قبـل عهد الملك كرستيان الثالث (١٢٤٥–١٣٥٩م) فقد كان هـذا الملك معروفا بحبه للكتب ، وما من شك في ان معظم الكتب التي اهداها حفيده كرستيان الخامس سنة ١٦٠٥ الى مكتبة جامعة كوبنهاكن (اسست سنة ١٤٧٩) والتي نيفت على الفي مجلد كان قد جمعها كرستيان الثالث . وكان الموضوع الرئيس الذي دارت حوله هذه الكتب اللاهوت ، وتلاه الادب الالماني .

وازدهرت المكتبة ايما ازدهار في عهـد فردريك الثـالث (١٦٤٨ – ١٦٧٠) الذي كان عالما كلفا بالعلم والادب . ويمكن ان يعد بحق مؤسس المكتبة الملكية الحاضرة .

وحين عاد الرحالة الدانمركي المعروف كارستن نيبور من رحلته الشرقية التي استمرت من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٦٧ اضيف ما جلبه من مخطوطات شرقية الىمجموعات المكتبة الخطية فباتت ذات حجم ملحوظ . وفي الحقب التالية تسلمت المكتبة اعدادا من المخطوطات كان يمتلكها كراتزنشتاين ، واوتو ثوت ، وزوهم ، ومولدنهافر وسواهم . ومثلما كانت الحال مع معظـم مجاميع المخطوطات الشرقية في المكتبات الاوربية الكبيرة كـانت المخطوطات العربية والفارسية والعبرانية ابرز المجموعات في المكتبة .

ولكن الوضع تغير كثيرا بعد ما عاد اللغوي الدانمركـي رامسيس راسك من رحلة شرقية طويلة جالبا معه مجموعة كبيرة من المخطوطات المتنوعة اللغات ولا سيما ما كان منها بلغة پالي وباللغة السنغالية .

وخلال القرن الحالي استمرت المجموعات الشرقية في النمو واضيف اليها عدد كبير من المخطوطات الفارسية والعربية .

وتتالف المكتبة اليوم من الاقسام الآتية :

القسم الدانمركي . القسم الاجنبي . قسم الخرائط . قسم الموسيقى . قسم المخطوطات – وهو يضم المخطوطاتالمختلفة ما عدا الشرقية ويبلغ عددها قرابة اربعين الف مجلد . القسم الشرقي – وهو يحتوي على كتب مطبوعة ومخطوطات شرقيـة يبلغ مجموعها الكلي حوالي ثلاثين الف ، اما عدد المخطوطات فزهاء اربعة آلاف ، واكثر من نصفها باللغات السنسكريتيـة والعربية والمغولية والتبتية والپالية ، وفيها ما هو من نوادر المخطوطات ونفائسها (1) .

فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة كوبنهاكن الملكية :

طبع هذا الفهرس باجزائه الثلاثة في كوبنهـاكن سـنة ١٨٤٦–١٨٥٧ ، باللغة اللاتينية :

CODICES ORIENTALES BIBLIOTHECEA REGIAE HAFNIENSIS, HAFNIAE, 1846—1857.

وقد اعد هذا هذا الفهرس ثلاثة من المستشرقين هـم : وسترگارد واولزهاوزن ومهرن . وتم طبع الجزء الثاني سنة١٨٥١ وصدر في ١٨٨ صفحة كبيرة . وفي معظم هذا الجزء وصف لما في المكتبة من مخطوطات عربية في موضوعات شتى ، وعددها ٣٠٩ (ص٣٥–١٨٨) . وقد اعد هذا الجزء مهرن .

وفيما ياتي بيان لتقسيم المخطوطات وفقا لموضوعاتهـا وتسلسلها ، وعدد مخطوطات كل موضوع :

الديانات ١–٨٠ (٨٠ مخطوطا)
الرياضيات والفلك والهندسة ٨١–٩١ (١١مخطوطا)
الجغرافية والتاريخ الطبيعي ٩٢–١٠٤ (١٣ مخطوطا)
تاريخ الحيوان ١٠٥–١٠٧ (٣ مخطوطات)
الطب ١٠٨–١١٥ (٨ مخطوطات)
التاريخ ١١٦–١٦٤ (٤٩ مخطوطا)
الانساب ١٦٥–١٦٧ (٣ مخطوطات)
تاريخ الادب والسير ١٦٨–١٧٢ (٥ مخطوطات)
السياسة ١٧٣ (مخطوط واحد)
النحو ١٧٥–١٩٥ (٢١ مخطوطا)
المعجمات ١٩٦–١٩٩ (٤ مخطوطات)

(1) The Royal Library — Copenhagen — A Brief Inroduction, PP. 5, 23, 27.

البلاغة ٢٠٠-٢٠٩ (١٠ مخطوطات)

المجاميع ٢١٠-٢٢٣ (١٤ مخطوطا)

القصص والمقامات والرسائل ٢٢٤-٢٣٦ (١٣ مخطوطا)

الشعر ٢٣٧-٢٨٦ (٥٠ مخطوطا)

الحب ٢٨٧-٢٩٢ (٦ مخطوطات)

موضوعات اخرى ٢٩٣-٣٠٩ (١٧ مخطوطا)

ومن ميزات هذا الفهرس انه وصفي يتضمن بيانات وافية عن كل مخطوط ، فهو يذكر عدد الاوراق ونوع الخط واسم المؤلف واول المخطوط وآخره واسم الناسخ وتاريخ النسخ (ان وجدا) وقد يضيف ، في وصف طائفة من المخطوطات ، بيانات ومعلومات غير ما تقدم ذكره .

اما معد هذا الفهرس ، اوگست فرديناند مهرن (أو ميرن)، فمستشرق دانمركي ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٩٨ . اخذ العربية عن المستشرق الالماني فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) وعلم اللغات الشرقية في كوبنهاگن نحو خمسين سنة . له : المنقولات من تلخيص المفتاح وشرحه المختصر تليها منقولات من عقود الجمان - في علم البلاغة . جمعه والحق به ذيلا ادبيا تاريخيا بالالمانية عن بلاغة العرب . وعني بنشر كتب ، منها : رسالة حي بن يقظان ورسالة القدر لابن سينا . نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقي . وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (انظر الاعلام للزركلي ١ : ١٩ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس ص ١٨١٣) .

وقد شعر القيمون على امر المكتبة ، في السنوات الاخيرة ، بالحاجة الى فهارس جديدة لمخطوطات مكتبتهم الشرقية بعد ان قدم العهد بالفهارس السابقة ونيّف عمر بعضها على قرن كامل ، فعهدوا بمهمات اعداد الفهارس الجديدة الى اساتذة من اهل العلم والاختصاص ، وفقا لخطة عمل وضعتها لجنة خاصة برئاسة المرحوم البروفسور كار گرونبيتش Karre Gronbech .

وقد صدر بعض هذه الفهارس . وما تزال طائفة منها قيد الاعداد او الطبع ، ومنها فهرس للمخطوطات العربية وثان للمخطوطات الفارسية وثالث للمخطوطات الهندية .

ولقد نظرت في فهرس مهرن الوصفي ، اللاتيني ، القديم ، فاقتبست منه فهرسا عربيا ، موجزا ضمنته عناوين طائفة كبيرة مما جاء فيه من الكتب والرسائل والمجاميع الخطية - مرتبة على حروف الهجاء ، وذكرت اسماء المؤلفين ، وعدد اوراق كل مخطوط (عدا مخطوطات قليلة) - رامزا بالحرف ق لكلمة ورقة ، وارقام المخطوطات في الفهرس اللاتيني ، واستعنت بكشف الظنون لحاجي خليفة ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس ، والاعلام للزركلي للتعليق على طائفة من عناوين المخطوطات واسماء المؤلفين .

وها هو ذا الفهرس المقتبس اورده للمعنيين بالتراث العربي ، ولا سيما اهل الوراقة والبحث والتحقيق املا ان يجدوا فيه ما ينفعهم .

*

الابل - للاصمعي

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى - جاء في اول المخطوط انه « من تأليفات الامام السيوطي الشافعي » ونسبه حاجي خليفة الى كمال الدين محمد بن محمد ابي شريف الشافعي المصري (كشف الظنون ١ : ٥-٦) . والراجح انه لسيوطي اخر غير جلال الدين السيوطي المعني بما جاء في اول المخطوط ، هو محمد بن احمد المنهاجي السيوطي . انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٠٨٦ والاعلام ٦ : ٢٣٢ .

اخبار الدول وآثار الاول - لابي العباس احمد بن يوسف الدمشقي

٣٠٠ ق . رقمه ١٢٨

اخبار مجنون ليلى واشعاره

٤٨ ق . رقمه ٢٣٥

ازهار الروضتين في اخبار الدولتين - لابي شامة

٢١٨+٢٧٣+١٨٧ق . جزءان وذيل ارقامها ١٥٤-١٥٦

الاشتقاق (الجزء الاول) - لابن دريد

٥١٣ ق . رقمه ١٦٥

الاشربة - لابن قتيبة

٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

الاعجاز والايجاز - لابي منصور الثعالبي

٣٧ ق . رقمه ٢٠٧

« اغاثة العارفين وغاية منى الواصلين للغوث الاعظم سيدنا عبدالقادر الجيلاني قدس سره »

٦ ق . رقمه ٥٢

الاغاني - لابي الفرج الاصفهاني

٢٤٠ ق . رقمه ١٦٩

الافتتاح في شرح المصباح - لحسن باشا بن علاء الدين الاسود

٨٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٧٧

أنواع جنسي التعاليم الرياضية - لمؤلف مجهول

١٢٨ ق . رقمه ٨٢

بحث المطالب وحث الطالب - لجبرائيل بن فرحات الماروني

١٥٦ ق . رقمه ١٩٤

ديوان ابن المعتز (جزءان)
٢٤٥ ق . رقما هما ٢٥١–٢٥٢

ديوان منجك باشا
٣٩ ق . رقمه ٢٨٥

ديوان ابن النبيه
٤٧ ق . رقمه ٢٦٧

ديوان ابي بكر الارجاني
٢٩٧ ق . رقمه ٢٦٥

ديوان ابي الحسن عمارة بن ابي الحسن اليمني
٢١٥ ق . رقمه ٢٦٦

ديوان جرير (الجزء الاول)
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠

ديوان شهاب الدين احمد العليف المدني الشهير بشاعر البطحاء
١٤٣ ق . رقمه ٢٤٤

ديوان شهاب الدين الخفاجي
٢٣٥ ق . رقمه ٢٨٣

ديوان الصبابة ـ لابن ابي حجلة
١١٠ ق . رقمه ٢١٤

ديوان صفي الدين الحلي
٢٦٣ ق . رقمه ٢٧٥

ديوان طهمان بن عمرو الكلابي
في مجموع خطي رقمه ٢٥٠

ديوان ماماي الرومي
٤٠٣ ق . رقمه ٢٨١

ديوان محمد وفا الشاذلي
٨٨ ق . رقمه ٢٧٧

الديوان النبوي ـ لشمس الدين محمد الصالحي الدمشقي
٧٤ ق . رقمه ٢٨٢

ديوان نزهة النفوس ومضحك العبوس ـ لابن سودون اليشبغاوي
وقد طبع بعنوان : نزهة النفوس ومضحك العبوس . طبع حجر ، بمصر سنة ١٢٨٠هـ
١١٥ ق . رقمه ٢٢٣

ديوان هذيل ـ شرح ابي سعيد السكري
رقمه ٢٤٠

ذيل على خريدة القصر وجريدة العصر
٨٩ ق . رقمه ١٦٩

ذيل لب اللباب ـ لاحمد بن احمد العجمي
٦٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٧

ذيل نفحة الريحانة لمحمد بن محمود السؤالاتي الحنفي العثماني
١٥٤ ق . رقمه ١٧٠

رسالة السكين ـ لابن حجة الحموي
١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية ـ لجلال الدين محمد بن أسعد الدواني
٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

الرسالة القلمية ـ لعلي چلبي أفندي الشهير بقناني قاضي العسكر المنصور
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

روضة المناظر في علم الاوائل والاواخر ـ لابن الشحنة
١٥٤ ق . رقمه ١٢٤
نسخة ثانية ـ ٣٤٤ ق . رقمها ١٢٥

ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الاداب ـ لابي القاسم محمد بن ابراهيم المواعيني
٢٦٨ ق . رقمه ٢١١

زاد المسافر في علاج الادواء التي تعرض في الجسد ـ لابي جعفر احمد بن ابراهيم الجزار
٣٦٨ ق . رقمه ١٠٩

سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والامراء ـ لابي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي
١٨٣ ق . رقمه ١٧٣

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ـ لابن نباتة
١٧٤ ق . رقمه ٢٢٩

سكردان مولانا السلطان ـ لابن ابي حجلة
١٧٧ ق . رقمه ١٤٤

الشاء ـ للاصمعي
٣ ق . في مجموع خطي رقمه ١٠٧

شرح القاضي ابي يحيى زكريا الانصاري على متن ايساغوجي في المنطق
١٦ ق . رقمه ١٧٤

شرح ديوان المتنبي ـ للواحدي
٤٣٧ ق . رقمه ٢٥٥
نسخة ثانية ـ ٢١٥ ق . رقمها ٢٥٦

شرح مقصورة حازم بن محمد القرطاجني ـ لابي عبدالله محمد بن احمد الشريف الغرناطي
٣٧٦ ق . رقمه ٢٨٦

الصحاح ـ للجوهري
٢٩٩ ق . رقمه ١٩٦
نسخة ثانية تتضمن باب الراء رقمها ١٩٧

الطب ـ لابن البيطار
١٦ ق . رقمه ١١٤

طبقات الشافعية ـ للسبكي
في مجموع خطي رقمه ١١٨

العرر والغرر في علم الاخلاق (جزءان) ـ لمحمد بن ابراهيم الكتبي
٣٠١ ق . في مجموع خطي . رقماها ٦٨-٦٩

عماد البلاغة (مختصر المضاف والمنسوب للثعالبي) ـ لعبدالرؤوف المناوي
٨٢ ق . رقمه ٢٠٦

عيون الانباء في طبقات الاطباء ـ لابن ابي اصيبعة
رقمه ١٧١

غيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم ـ لصلاح الدين الصفدي
٣٠٣ ق . رقمه ٢٦٣

فتوح العراق ـ للواقدي
١٤٥ ق . رقمه ١٣٧

فتوح بهنسا وما وقع للصحابة مع البطلوس ـ لابي عبدالله محمد المقري
١١٨ ق . رقمه ١٣٨

فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد ـ لبدرالدين محمود بن احمد العيني
١١٦ ق . رقمه ١٨٧

فصول التماثيل في تباشير السرور ـ لابن المعتز
٧١ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٩٨

فضائل مصر ـ لعمر بن محمد بن يوسف الكندي
٢٥ ق . في مجموع خطي رقمه ١٤٧

الفوائد العلية في تأييد الفوائد الضيائية ـ لمحمد بن محرم التكوني
٤٠ ق . في مجموع خطي رقمه ١٨٣

فوائد في معرفة العمل بنصف دائرة المعدل ـ لمؤلف مجهول
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

القصائد الوتريات ـ لمحمد بن ابي بكر بن رشيد الواعظ البغدادي
٦٧ ق . رقمه ٢٧١

قصائد ، هي :
١ ـ القصيدة الطنطرانية ـ لمعين الدين ابي نصر احمد بن عبدالرزاق الطنطراني
٢ ـ قصيدة البردة ـ للبوصيري
٣ ـ قصيدة بائية ـ لتاج الدين السبكي
٤ ـ قصيدة بانت سعاد ـ لكعب بن زهير
٥ ـ القصيدة المنفرجة ـ لابن النحوي
٦ ـ قصيدة نونية ـ لابي الفتح البستي
٧ ـ قصيدة يقول العبد ـ لسراج الدين بن علي بن عثمان الاوشي في مجموع خطي رقمه ٢٤١

قصة ليلى العامرية مع عشيقها قيس بن الملوح
٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٨٨

الكافية ـ لابن الحاجب
١٢٠ ق رقمه ١٧٩
نسخة ثانية تتضمن قسما مشروحا من الكافية
٣٧ ق . رقمها ١٨٠
نسخة ثالثة تتضمن قسما مشروحا ايضا
١٢١ ق . رقمها ١٨١

كشف الحال في وصف الخال ـ لصلاح الدين الصفدي
٤٨ ق . رقمه ٢٩٣
نسخة ثانية ٥٨ ق رقمها ٢٩٤

كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع ـ لبدرالدين محمد بن محمد الماريديني
١٠ ق . في مجموع خطي رقمه ٨٦

الكلم النوابغ ـ لجار الله الزمخشري . ويعرف أيضا بنوابغ الكلم ، وقد طبع بهذا العنوان .
٦ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

« كناش فيه بعض الوثائق ـ الفاظ ما يكتب في الرسوم وهم (كذا) العقود »
١٧ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

« كناش مجتمع على عجائب وغرائب » ـ مجموعة شعرية لم يذكر اسم جامعها
١١٤ ق . رقمه ٢٤٧

« كناش مجموع فيه بعض مطالع اول الفاظ الرسائل للملوك واولادهم والعلماء والفقهاء والصالحين »
١٥ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٠٨

« كناش محتو على مقطعات اشعار وقصائد للمتنبي ابي الطيب ولغيره وبعض صنيعات وتوشيحات

نتيجة الافكار في اعمال الليل والنهار ــ لمحمد بن محمد اللاذقي

٢٦ ق . رقمه ٨٩

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ــ لشمس الدين محمد بن ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي شيخ الربوة

١٥٨ ق . رقمه ٩٦

نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب ــ لاحمد التيفاشي المغربي المالكي .

وذكر حاجي خليفة كتاب « نزهة الالباب فيما لا يوجد في الكتاب » لعزالدين بن بدرالدين المعروف بابن جماعة (كشف الظنون ص ١٩٤٠) والراجح انهما كتابان مختلفان .

١٤٢ ق . رقمه ٢٩٢

نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ــ لمرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي .

وسماه حاجي خليفة : نزهة الناظرين في تاريخ من تولى مصر بعد فتح الصحابة من الامراء والسلاطين الى آل عثمان ــ مختصر . (كشف الظنون ص ١٩٤٨) . وذكره الزركلي وقال انه ما يزال خطيا .

٦٦ ق . رقمه ١٥١

نسب عدنان وقحطان ــ للمبرد

٦ ق . في مجموع خطي رقمه ١٦٦

النصيحة الرضية الى الطريقة المحمدية وهي شرح تائية الشيخ محمد العلمي .

٥٢ ق . في مجموع خطي رقمه ٧٢

نصيحة الملوك ــ للغزالي

في هامش المخطوط : ديوان ابن الخياط ، وقد سبق ذكره في حرف الدال .

نهاية الارب في فنون الادب

نسختان غير تامتين رقماهما ١٢٩ ، ٢١٣

« هدية العبد القادر الى الملك الناصر ــ كتاب فيه ترتيب مصالح المملكة المصرية فيما تعتمده الملوك في مصالح المسلمين على التمام والكمال » ــ لعبدالصمد بن يحيى بن احمد بن يحيى الشافعي

١١ ق . مجموع خطي رقمه ١٤٧

« ورد حضرة سلطان المشائخ السيد يحيى الشرواني قدس الله تعالى سره »

١٦ ق . رقمه ٥١

« وصية الامام الاعظم المجتهد ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لابي يوسف رضي الله عنهما »

٤ ق . في مجموع خطي رقمه ٢٣١

وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ــ لابن خلكان

٤٤٢ ق . رقمه ١٣٤

المصادر والمراجع

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ، ١٩٤١-١٩٤٣ .

الزركلي ، خير الدين بن محمود

الاعلام ــ قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة بالاوفست ، بيروت ، ١٩٦٦ .

سركيس ، يوسف اليان

معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

مهرن ، أ . ف . **Mehren, A.F.**

Codices Orientales Bibliothecea Regiae Hafniensis, Hafniae, 1851.

The Royal Library — Copenhagen — A Brief Introduction, Copenhagen, 1951.

مخطوطة أخرى في الموصل

لرسالة الحنين الى الاوطان

بقلــــم

غربي الحاج احمد

١ ـ في كتاب (تاريخ الادب العربي) لمؤلفه الاستاذ كارل بروكلمان (ج٣) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار (ص ١١٦) اشارة الى ان من كتب الجاحظ (الحنين الى الاوطان) والى انه مخطوط مجموعة داماد ابراهيم ٩٤٩ : ١٧ ومخطوطة الموصل ١٣٦ ، ٦/٢٢٣ و ٢٦٥ : ١٥ وانه قد نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ وفي كتاب رشر ٨٨؛ وذكر السندوبي في الرسائل ١٥٢ انه منحول وذكر بروكلمان (ص ١٢٨) اما اتهام السندوبي في الرسائل ١٥٢ لكتاب الحنين الى الاوطان بانه منحول للجاحظ فهو امر يعسر القطع به .

٢ ـ قال الاستاذ عبدالسلام هارون في كتابه (رسائل الجاحظ) (ج٢ ص.٣٨) : رسالة الحنين الى الاوطان ذكرها بروكلمان مخطوطة داماد ابراهيم ونسخة الموصل التي اشرنا اليهـــا .

وقال : لم تبق من مخطوطات هذا الكتاب الا مخطوطة داماد ابراهيم واما نسخة الموصل وهي التي كانت محفوظة في مكتبة امين الجليلي فقد فقدت لم يعرف مصيرها كما ذكر الدكتور داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل (١)

ويقول الاستاذ هارون (ص ٢٨٦) واما بعد فان لهـــذا الكتاب اصلين هما :

١ ـ الاصل الاول نسخة داماد وهي المعبر عنها بالاصل

٢ ـ الاصل الثاني النسخة التيمورية الملحقة بدار الكتب برقم (٣٥١ ادب المجاميع) وهي مجموعة تشتمل على كتـــاب المبهج للثعالبي والمتشابه للثعالبي ، رسالة الحنين الىالاوطان، والوشي المرقوم في حل المنظوم لابي الاثير والظرائف واللطـائف للثعالبي ، وضم اليه المقدسي كتاب اليواقيت ومرآة المروءات للثعـــالبي .

والمجموعة بخط امين العمري سنة ١١٧١هـ وفيهـــا نصوص من المقابلة على الاصول التي نقل عنها .

٣ ـ وقد عثرت في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل عـلى مخطوطة اخرى لرسالة الحنين الى الاوطان ، هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجلبي وهي رسالة وردت في مجموعة سميت (من المدح والذم والاضداد) من وقف مدرسـة الحسنية ١٢٢٢هـ مختومة بختم (حسن باشا الجليلي) وقـــد جاء في مقدمتها :

رسالة الحنين الى الاوطان تاليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمة الله عليه ثم بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين (٢) .

(١) كتاب مخطوطات الموصل ص ٢٦٤

وجـاء في خاتمتها : الرسالة من كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بعون الله تعالى ومنه ولطف الله الموفق للصواب واليه المرجع والمثاب وصلى الله على سيدنا محمد وآلـــه وصحبه اجمعين .

وقع الفراغ من تنميقه في نصف شهر جمادي الاخر من سنة ثلاثة وثمانين ومائة والف على يد اضعف العباد قاسم بن مـــراد راوية بمدرسة اليكتاشية بالموصل المحمية .

والمخطوطة تقع في ١٧ صفحة في كل صفحة ١٩ سطرا خطها رديء والتصحيف والتحريف فيها كثير يكاد يطمس معالمالرسالة ويفقدها معانيها ، مما يدل على ان ناقلها (اضعف العباد قاسم بن مراد) لا يفهم من الادب واللغة شيئا ، وانه قد كلف بنقلها عن مخطوطة اخرى دون ان تراجع على الاصل او تفهم فهمـــا سليما .

ومن مقارنتها بالرسالة التي نشرها الاستاذ هارون نستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة منقولة عن المخطوطة التيمورية وذلك للاسباب :

اولا ـ ان المخطوطة التيمورية مكتوبة بتـــاريخ ١١٧١هـ وبخط امين العمري ، والكاتب امين العمري موصـــلي اذن فالمخطوطة التيمورية مخطوطة موصلية انتقلت شانها شان كثير من مخطوطات الموصل الى مكتبات كثيرة وبعيدة ، والمخطوطـــة الموجودة الان في الموصل قد كتبت بتاريخ ١١٨٣ اي بعد المخطوطة التيمورية باثنتيعشرة سنة .

ثانيا ـ ان المخطوطة التيمورية ـ كما اشار الاستاذ هارون ـ تحتوي على رسائل عدة للثعالبي ومخطوطتنا هي الاخـــرى تحتوي على مجموعة من هذه الرسائل وهي : ـ

١ ـ رسالة في مدح الشيء وذمه من جمع الشيخ المقدسي لرسالة الظرائف واللطائف ورسالة اليواقيت في بعض المواقيت .
٢ ـ الفرائد والقـــلائد
٣ ـ في المتشـــــابه
٤ ـ مرآة المروءات
٥ ـ المبـــهج
٦ ـ الكلم الافلاطونية
٧ ـ سحر البلاغة وكلها للثعالبي

(٢) لاحظ صورة الصفحتين الاولى والاخيرة من المخطوطة .

فليس من الصدف ان تكون رسالة الحنين الى الاوطان ضمن مجموعة الثعالبي في المخطوطة التيمورية وتكون ضمن مجموعة الثعالبي في مخطوطة الموصل .

ثالثا ـ ومما يقطع الشك باليقين ان الخلافات بين مخطوطة الداماد ابراهيم وبين المخطوطة التيمورية التي اشار اليها الاستاذ المحقق هارون في هوامشه هي الخلافات نفسها مع مخطوطة الموصل .

ونستطيع ان نذكر ان هذه المخطوطة الموجودة في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل هي غير المخطوطة التي اشار اليها المرحوم داود الجلبي ، فقد ذكرنا اوصاف المخطوطة الموجودة في حين ان اوصاف المخطوطة المفقودة كما ينقلها الاستاذ هارون تختلف من حيث التاريخ اذ انها منقولة عن مخطوطة الداماد ابراهم او ان الاخيرة منقولة عنها ، فهي مكتوبة في حدود القرن السادس الهجري ، بينما المخطوطة الموجودة كتبت سنة ١١٨٣هـ ، وتختلف من حيث المضمون اذ ان المفقودة تضم رسائل عديدة (١٨ رسالة) من رسائل الجاحظ بينما الموجودة تضم رسالة الحنين الى الاوطان من رسائل الجاحظ الى مجموعة كتب للثعالبي .

٤ ـ وقد قيل في رسالة الحنين الى الاوطان بمخطوطاتها جميعا انها لابي حيان التوحيدي او انها للجاحظ او انها منحولة له فاي الاقوال يمكن ترجيحه والاطمئنان اليه ؟ :

أ ـ يقول ياقوت الحموي في معجم الادباء (ج١٥ ص٨) في ترجمة التوحيدي : ولابي حيان تصانيف كثيرة منها كتاب الرسالة في الحنين الى الاوطان .

وقد ذكر كتب الجاحظ (ج١٦ ص١٠٦) ولم يذكر هذه الرسالة من ضمنها .

ب ـ يقول الدكتور احمد محمد الحوفي في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص١٠ ج٢) : اما كتب التوحيدي التي يغلب على الظن انها مفقودة فهي الرسالة في الحنين الى الاوطان .

ج ـ يقول الاستاذ عبدالرزاق محي الدين في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ٢٥٦) والحنين الى الاوطان ذكره ياقوت في معجمه لم اعرف له نسخة ولا مأثورا في نقل ولعله الفه ايام اغترابه بشيراز .

د ـ يقول الدكتور زكريا ابراهيم في كتابه (ابو حيان التوحيدي) (ص ١٠١) الرسالة في الحنين الى الاوطان من انتاج التوحيدي ومن الكتب التي ذكرها الحموي في معجمه .

هـ ـ يقول الاستاذ حسن السندوبي في كتاب (المقابسات) (ص١٨) ان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مؤلفات التوحيدي ولم يذكر السندوبي هذا الكتاب من ضمن كتب الجاحظ في مقدمة (البيان والتبين) الطبعة الاولى سنة ١٩٢٦ ويقول مرة ثالثة في الرسائل (ص ١٥٣) انه منحول للجاحظ .

و ـ يؤكد الاستاذان بروكلمان وعبدالسلام محمد هارون ان رسالة الحنين الى الاوطان من مؤلفات الجاحظ .

٥ ـ ان ابا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ـ٢٥٥هـ) من ادباء القرن الثالث الهجري ، وان ابا حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس (٣١٠ـ٤٠٠هـ) من ادباء القرن الرابع الهجري في حين ان اول من اشار الى كتاب الحنين الى الاوطان هو ياقوت الحموي (٥٧٤ـ٦٢٦هـ) من ادباء القرن السادس الهجري وقد نسب الكتاب الى التوحيدي وعنه نقل الادباء والمفكرون ذلك .

وان مخطوطة الداماد ابراهيم هي اول من اشارت الى ان هذا الكتاب من تاليف الجاحظ ، وعن هذه المخطوطة يقول الاستاذ هارون (ص٥ ج١) من كتاب (رسائل الجاحظ) : وليس لهذه النسخة تاريخ وان كان المرجح ان خطها من خطوط القرن السادس ، فهي بشكل غير مؤكد معاصرة لمعجم الادباء ، او قبله او بعده بقليل . وسواء صحت رواية (الحموي) او رواية (مخطوطة الداماد) فان الروايتين متاخرتان بقرنين عن عصر التوحيدي وبثلاثة قرون عن عصر الجاحظ ، وهي فترة زمنية طويلة توصي بعدم الاطمئنان الى الاقوال المسموعة وتفتح ابواب الشكوك على مصاريعها وقبول القول بالانتحال والتصنيع في عهود لم تكن منزهة عن التصنيع والانتحال فقد ذكر عن الجاحظ (انه في اول عهده بالتصنيف كان يطلب رواجا لكتبه فينسبها الى بعض العلماء المشهورين على ما حكاه ايضا في بعض رسائله) (٣) ويعترف الجاحظ نفسه بذلك فيقول : (ربما الفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه ، فاترجمه باسم غيري واحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن اشبهه هؤلاء من مؤلفي الكتب) (٤) .

الا ان ما ورد من اشارات في كتاب (الحنين الى الاوطان) توحي بانه من مصنفات الجاحظ وتدفع عنه شبهة الانتحال . وان الاسباب التي ذكرها الاستاذ هارون ترجع نسبته الى الجاحظ :

١ ـ لان الكتاب جار على طريقته في التاليف ونهجه ، وهو اختيارات مختلفة تتعلق بموضوع الحنين الى الاوطان يربط بينها الجاحظ بذلك التبويب الساذج .

٢ ـ ليس في نصوص الكتاب ولا في رجاله ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ .

٣ ـ في الكتاب نصوص مشتركة بينه وبين سائر كتبه الاخرى ، وتلك سمة نعرفها من سمات الجاحظ في تاليفه .

٤ ـ ذكر اقوال الفرس وكلام الحكماء والفلاسفة ونوادر الاعراب واهل البادية فيما يعني من مناسبة نمط جاحظي معروف .

اما ما قد يقال بان رسالة الحنين قد تكون لابي حيان التوحيدي لتشابه اسلوبه باسلوب الجاحظ فالرد عليه : ان الميزة البارزة بين اسلوبي الجاحظ والتوحيدي هي ان الاول يكثر من الاستشهاد بالاشعار في حين ان الثاني قليل الاستشهاد بها ، يضاف الى ذلك ان ما ورد في الرسالة من حوادث ورجال لا يتجاوز زمنها زمان الجاحظ ولو كانت للتوحيدي لاضاف اليها حوادث ورجالا قد تجاوزوا هذا الزمان والفارق الزمني بين الرجلين قرابة القرن وهو عهد حافل بالادباء والشعراء .

لذلك كله فنحن مع الاستاذ عبدالسلام هارون في قوله بان رسالة الحنين الى الاوطان هي من مصنفات الجاحظ ، وليست للتوحيدي .

---

(٣) تاريخ الادب العربي لبروكلمان (ج٣ ص١٠٧) ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

(٤) رسالة فصل ما بين العداوة والحسد ـ كراوس والحاجري مجموعة رسائل الجاحظ (ص١٠٩) القاهرة سنة ١٩٤٣ .

العرض والنقد والتعريف


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترجمة مصادر « الجاحظ »

بقلم الدكتور

علي جواد الطاهر

للمستشرق الفرنسي شارل پلا عناية خاصة بالجاحظ ، وقد الف كتابا قيما بعنوان « الوسط البصري وتكوين الجاحظ »

LE MILIEU BAṢRIEN ET LA FORMATION DE ǦĀHIẒ

اصدره بباريس سنة ١٩٣٥ وهو مدرس بمدرسة اللغات الشرقية .

وقد اعجب الدكتور ابراهيم الكيلاني (مدير وزارة الثقافة والارشاد القومي – الاقليم الشمالي) بهذه الدراسة فنقلها الى العربية بعد ان زاد عليها بحثا آخر للمستشرق نفسه عن الجاحظ في سامراء ، وصدرت الترجمة عن دار اليقظة بدمشق سنة ١٩٦١ .

واول ما نلاحظ على شكل هذه الترجمة ان المترجم غير عنوان الكتاب فجعله « الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء » . وقال عن المؤلف انه « الدكتور شارل بلات استاذ في جامعة الصوربون » وهذا غير دقيق لان الفرنسيين الحاصلين على الدكتوراه لا يكتبون قبل اسمهم : « الدكتور » ، وان صحيح بلات : پلا Pellat اي ان التاء لا تلفظ وهذا يقتضي اهمالها في الكتابة العربية حذرا من ان يلفظها القارىء العربي – وهذا الذي وقع ، وقال المترجم : جامعة الصوربون ، والصوربون (او السوربون) ليس الجامعة ، و انما الجامعة جامعة باريس ، والصوربون قسم منها ، واذا اراد الفرنسيون ان يستعملوا كلمة (الصوربون) قالوا : استاذ في الصوربون .

قدم المؤلف لكتابه بـ Avertissement سماها المترجم « تمهيدا » واعقب المؤلف مقدمته بحديث موجز عن (المصادر) رتبها زمنيا مع تعليق يهم دارس الجاحظ بوجه خاص ، وقد نقل المترجم هذه المصادر الى العربية ولكنه لم يلتزم في ترجمة التعليقات . ومن ذلك :

١ – ان المسيو پلا يقول عن المسعودي ... (أساسي) ، ولكن الدكتور الكيلاني لم ينقل ذلك .

٢ – وقال المسيو پلا : ابن الجوزي ... ينظر سبط ، ولكن الدكتور الكيلاني لم يترجم ذلك .

٣ – وقال المؤلف Farmer بـ F فقال المترجم فارمر كأن الاسم مبدوء بـ V .

٤ – قال المؤلف : « علي بن قاسم (الخوافي Al-Huwāfī) . (وفي الاصل نجد الـ H تحتها سبعة صغيرة ، وهي في مصطلح المستشرقين الخاء العربية) الاديب : شاعر ؛ ينظر السمعاني ، الانساب ٢١٠ ، السيوطي ، البغية ٣٦٤ » . وقال المترجم : علي بن القاسم الحوفي ...

٥ – عقب المؤلف على قائمة المصادر بقوله :

> La richesse apparante de cette liste ne doit pas faire illusion.

وترجمة ذلك : يجب الا يخدعنا الغنى الظاهري لهذه القائمة . ولكن الدكتور الكيلاني اهمل ترجمة « الظاهري » على ما لها من دلالة ..

وقدم المؤلف للفصل الاول من كتابه : « البصرة في القرنين الاول والثاني » بدراسة مصادر الفصل واثنى على كتابين من آثار المستشرق كايتاني : الاول Annali وهو نافع حتى عام ٤٠ ، والثاني Chronographia وهو نافع حتى سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ .

ولكن المترجم تحدث عن كايتاني وكأن له كتابا واحدا فظهر الاضطراب على عباراته اذ قال : « ان حوليات المستشرق كايتاني Annali de Caetani حتى سنة ٤٠ هـ اداة ثمينة للعمل تعطينا مجموعة من المعلومات المفيدة جدا حتى سقوط الامويين سنة ١٣٢هـ »

تعقيبـــــان

الدكتور نوري حمودي القيسي

١ ـ حول اشعار صاحب الزنج

في العدد الثالث من المجلد الثالث من مجلة المـــورد ١٣٩٤ـ١٩٧٤ نشر السيد احمد جاسم النجدي اشعار صاحب الزنج . وقد قدم لهذه الاشعار بمقدمة قصيرة لم يكشف لنـا فيها عن القيمة الشعرية لهذا الشاعر او القيمة الفنية لشعره ، ولكنه اقتصر على عبارات اطلقها على صاحب الزنج حيث بدأ مقالته بقوله : عرف على بن محمد الورزنيني ثائرا وقـائدا « لثورة الزنج » ثم عاد بعد ثلاثة اسطر فقال « وكتب الدارسون المحدثون عنها وعن قائدها كثيرا من الدراسات والمقالات جعلت من صاحب الزنج ـ ثائرا ـ شخصية معروفة لدى الكثيرين ..

اقول لقد ذكر السيد احمد جاسم النجدي هذه العبارات في صدر مقدمته وقد انتفع كما اشار من نشرة الدكتورعبدالجبار ناجي لمخطوطة الوافي بالوفيات للصفدي حيث نشر القسم المتعلق بترجمة صاحب الزنج واخبار ثورته ... وكنت آمـل ان يقف السيد المحقق عند ما كتبته عن المقال في العدد الاول من المجلد الثاني ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ حيث انتهيت الى افتقـاد الجانب الانساني عند هذا الرجل لان النص الذي نشـره الدكتور عبدالجبار ناجي يبطل كل الحجج التي تجعل منـه رجلا انسانيا ... فهو يحرق نصف الدنيا ويخرب البصرة وينهب البحرين وياخذ اموالها ويستولي على غلمان الناس ، ينهب ويقتل ويعبث ويفسد ويفتك بالخلق الكثير ويستبيح المدن ليومين متتالين .. هذا بعض ما قام به هذا الرجل فهل يجوز ان نظل سائرين في حلقة الانسانية البائسة التي اصبح بطلها صاحب الزنج دون سند علمي ...

اما الجانب الاقتصادي فيحدثنا النص الذي اعتمد عليه محقق شعره بانه استأثر بالمال والجواهر واستحوذ عليهـا ووزعها على نسائه (وهم كثر) واولاده وعندمـا انكر عليـه جماعته قال : نسائي ليس كنسائكم .. وهذا يعني انه اباح لنفسه ما حرمه على الاخرين .. وعندما كثرت حاشيته كف ايدي الزنج عن النخل والمزارع وجبى الخراج منهم والصدقة وصرفه الى اصحابه فتفلتت قلوب الزنج فساءت احوالهـم وهموا بالوثوب عليه ...

هذا ما حدثنا به النص ، وهذا ما حدثتنا به الكتب .. فاي ثائر بعد كل هذا ... واي قائد بعد كل هذا الاستحواذ ... هو صاحب الزنج .

ان صفحات التاريخ ستبقى تحدثنا بهذه الاخبار،وسيبقى قسم من الباحثين غارقين في اوهام ثورة صاحب الزنج وغارقين في اساطير صاحب الزنج .. تمر عليهم النصوص فيطبقـون اجفانهم حرصا على الثائر المزعوم ، ويشيحون بوجوههم عـن كل القصص والآلام التي خلفها هذا البطل ، ويطمســون كـل السطور الدامية التي كتبها هـذا (الثائر) ويقفون معجبين امام السنة النار التي حرقت الشيوخ والاطفال والمدن والقرى وتلد لهم روافد الدم والعبرات وهي تروي الارض العربيـة اعجابا بهذا الثائر البطل ..

ان صاحب الزنج سيظل بطلا وقائدا وثائرا في عرف بعض الدارسين ، ولكن كيف تكون البطولة ، وكيف تكون القيادة ، وكيف تكون الثورة .. هذه الاسئلة ستبقى اجوبتها محصورة في اذهان هؤلاء الدارسين الذين لم يجدوا لها من الاســانيد مـا يؤكدها .. ان الاساليب الانشائية التي غلبت على هذا النفر لا يمكن ان تشكل بعدا في عصر الحقائق العلمية .. فـاذا كان صاحب الزنج قائدا فكيف يكون ...؟ واذا كان صاحب الزنج ثائرا فما هو بُعد الثورة التي نادى بها ... ؟

ان استباحة الدماء العربية فوق ثرى الارض العربيـة لا يشكل ثورة تستحق مثل هذا التبجيل ، وان انفلات المرتزقة الحاقدين على اصالة هذه الامة لا تستاهل هذا التقدير .. فاذا قدر لكل الغارقين في حقدهم ان يوضعوا في مثل هـــذه المواضع فتلك اكذوبة كبرى من اكاذيب التاريخ . وقد آن لاجيال الامة الصابرة ، ولحملة تراثها الخير ان يبصروا الناس بامثال هذه الحقائق ليكونوا على معرفة بها ...

قد تكون هذه المقدمة لها صلة ولو من بعيد بما كتبه السيد احمد النجدي عن اشعار صاحب الزنج ، فالدافع الحقيقي الذي دفعني هو هذا الخلط الذي وقفت عليه في هذه الاشــعار .. وساكتفي بالاشارة الى خطأ النسبة وبيان المواضع التي وردت فيها الابيات منسوبة لغير صاحب الزنج ..

١ ـ القطعة الثانية الصفحة /١٦٨ بيت واحد وضـع في اشعار صاحب الزنج نقلا عن المختار من شعر بشار /٨٠ ، وعند مراجعتي لكتاب المختار وجدت البيت منسوبا للعلوي البصري . والمعروف ان اشعار صاحب الزنج تميز عن غيرهـا في النسبة فيقال لعلي بن محمد صاحب الزنج ... وقد وجدت البيت المنسوب لصاحب الزنج من قصيدة ثبتها السيد محمد حسين الاعرجي ناشر ديوان علي بن محمد الحماني (المورد ـ العدد الثاني ـ المجلد الثالث / ١٣٩٤ـ١٩٧٤) ضمن قصيدة ثابتة النسبة للحماني وقد خرجها المحقق بمـا يثبت صحـة نسبتها للحماني وليست لصاحب الزنج .

٢ ـ القطعة الرابعة ، خمسة ابيات ، اشار المحقق الى نقلها عن الوافي الذي نشر في مجلة المورد .. ومن الغريب ان تترك الابيات على هيئتها ويسلم المحقق بنسبتها دون الرجوع

الى المصادر القديمة .. والابيات من قطعة مشهورة لسعد بن ناشب المازني فهي من تسعة أبيات في حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٦٧/١ وعيون الاخبار ١٨٧/١ ومن سبعة أبيات في الشعر والشعراء/٥٨٥ والقسم المخطوط من كتاب الزهرة الورقة/١٨٢ ومن خمسة ابيات في امالي القالي ١٧٥/٢ ومجموعة المعاني/٢٣ ومن بيتين في بهجة المجالس ٤٥٧/١ ونسبت في كل المصادر الى سعد بن ناشب المازني الا في عيون الاخبار حيث جاءت بلا عزو ونسبها المحقق في الهامش الى سعد بن ناشب .. ومن الغريب ان يغفل المحقق هذه القصيدة وهي على شهرتها فينسبها الى صاحب الزنج مكتفيا باشارة واحدة ظفر بها في الدراسة التي قدمها الدكتور عبدالجبار ناجي في مقدمة نص الصفدي الذي تحدث فيه عن ثورة الزنج .. واذا رغب في زيادة تخريج البيت الرابع فعليه بقواعد الشعر /٤٩ علما بان البيتين الرابع والخامس وبيتا اخر اوردهما صاحب جمع الجواهر منسوبين الى سعد بن ناشب .

٣ ـ القطعة الثامنة ثلاثة ابيات نسبها المحقق الى صاحب الزنج ومصدره الوحيد فيها ديوان المعاني ١٠٨/١ـ١٠٩ وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الابيات منسوبة الى علي بن محمد البصري وهو غير صاحب الزنج ومما يؤكد نسبتها الى علي ابن محمد العلوي وجودها في النصف الثاني من الزهرة الورقة/ ٥٤ منسوبة اليه وفي رواية بعض أبياتها اختلاف .

٤ ـ القطعة (١٧) سبعة أبيات أشار المحقق الى المراجع التي نسبتها الى صاحب الزنج وهذه المصادر هي الامالي ٤٣/١، عمدة الطالب/٢٨٦ مجموعة المعاني/٣٨ ، صبح الاعشى ٢٠٥/١٣ والمفروض ان هذه المراجع تنسب القطعة الى صاحب الزنج ، لان المحقق لم يشر في تخريجه الى اية ملاحظة تتعلق باختلاف رواية او اختلاف نسبة او زيادة ابيات ، والمفروض أيضا ان هذه الابيات السبعة مذكورة في هذه المصادر دون زيادة أو نقصان .. الا ان الحقيقة تخالف ما ذهبت اليه من مراجع المحقق للاسباب الآتية :

أ ـ الابيات التي ذكرها كتاب الامالي ٤٣/١ هي الرابع والخامس والسادس والسابع وهذا يعني ان اربعة ابيات فقط من القطعة مذكورة في المصدر .

ب ـ في الابيات الاربعة المذكورة في امالي القالي اختلافات لم يتعرض لها المحقق ..

جـ ـ الابيات الاربعة المذكورة في الامالي لم تنسب وانما قدم لها بقوله : ومما اخترته ودفعته الى ابي بكر فقراه علي :

د ـ المعروف ان كثيرا من الابيات التي يذكرها القالي يعرض لها البكري في السمط ليشرح ما اغفله القالي ، ويبين من معاني منظومها ومنثورها ما اشكل ، ويوصل من شواهدها وسائر أبياتها ما قطع ، وينسب من ذلك الى قائله ما اهمل .. وهذا يعني ان البكري سيعرض لهذه الابيات الغفل ، وعند مراجعتي لكتاب السمط وجدت الرابع وبيتا اخر جديدا لم يذكر في ابيات المحقق /١٨٢ وقال البكري بعد ان ذكر البيت الرابع : وهذا الشعر نسب الى ابن المولى محمد بن عبدالله ابن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين ويوصل به بيت خامس وهو :

واذا الفوارس عددت ابطالها
عدوه في ابطالهم بالخنصر

هـ ـ وعند مراجعة ديوان الحماني المنشور في مجلة المورد العدد الثاني ـ المجلد الثاني /٢١٨ وجدت الابيات في اشعاره وتخريجها في عمدة الطالب /٢٨٦ عدا الخامس (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) والبيتان « ٤ ، ٥ » في مجموعة المعاني : ٣٨ (وهذا لم يرد في شعر صاحب الزنج) ونسبا لصاحب الزنج ، والابيات ٤ ، ٥ ، ٢ ، ٣ في اعيان الشيعة /٤٢ : ٥٢ منسوبة للحماني ..

٥ ـ القطعة (٢٥) بيت واحد اشار المحقق الى نسبته لصاحب الزنج نقلا عن بهجة المجالس/٢٩٦ .. فاذا كان المحقق قد انتفع من مجموعة المعاني في تخريج القطعة السابقة فلِمَ لم ينتفع من مجموعة المعاني في هذا البيت وهو مذكور مع بيت اخر في الكتاب /٩٠ وقد نسبا لعلي بن محمد العلوي .. وهما من الابيات التي رجح نسبتهما الى الحماني محقق ديوانه والبيتان مع اختلاف في الرواية في النصف الثاني من الزهرة الورقة /١٦ وفي نسمة السحر ١٥٥/٢ـ١٥٦ ويضاف اليهما تخريجهما في ديوان الحماني .. وهذا يعني ان البيت لعلي بن محمد الكوفي وليس لصاحب الزنج .. علما بان المحقق قد ترك البيت دون ان يشير الى دافع النسبة حوله .

٦ ـ القطعة (٢٨) ثلاثة أبيات أشار المحقق الى ان تخريجها في جمع الجواهر/١٩٢ وشرح نهج البلاغة ١٥/٣ـ١٦ والمعروف ان البيتين الاول والثاني لعلي بن محمد العلوي كما نسبهما صاحب الزهرة الورقة /٥٢ وكذلك نسبهما العسكري في ديوان المعاني ٥٠/٢ للحماني وكذلك هم الى نسمة السحر ١٥٦/٢ .

ورجح نسبتهما للحماني محقق شعره بعد أن اورد قائمة بمواضع التخريج التي تنسبهما له . ولعل صاحب مجموعة المعاني الوحيد الذي رجح نسبةالابيات لصاحب الزنج الىجانب صاحب جمع الجواهر .. وكان الاولى في مثل هذه الاحوال ان يشار الى اختلاف الروايات في النسبة وترجيح النسبة الصحيحة من خلال الاستبطان الداخلي للنص ودراسة النفس الشعري ..

٧ ـ القطعة (٣٧) وهي ستة اشطار من الرجز نسبها السيد المحقق الى صاحب الزنج نقلا عن ديوان المعاني ١٢٠/١ ومجموعة المعاني /٤٧ ، وعند الرجوع الى ديوان المعاني وجدت الاشطار منسوبة لعلي بن محمد وهذا لا يعني انها لصاحب الزنج وانما هي لعلي بن محمد الحماني والذي يؤكد صحة هذه النسبة ورود الاشطار منسوبة الى علي بن محمد العلوي في النصف الثاني من الزهرة الورقة /٥٤ وفي رواية بعض الالفاظ اختلاف ..

انني لم احاول ان اقف مع المحقق لمناقشة المنهج الذي سلكه لانني لم اجد السيد المحقق قد اتبع حتى ابسط المسائل البديهية المعروفة في عملية التحقيق وساكتفي بالاشارة الى هذه البديهيات التي لم يلتزم بها وهي :

١ ـ ان التحقيق خال من الدراسة التي يجب ان يقدم بها لكل شاعر ، حتى يكون القارىء على علم بحياة الشاعر وخصنص شعره واهم الجوانب الشعرية التي عالجها ، وابرز المسائل الادبية التي وقف عندها . وتقويم الظاهرة الشعرية التي استطاع ان يبرزها من خلال وضعه الشعري ومظاهر اخرى قد يقف عندها الباحث .

٢ ـ اغفال الظاهرة المتميزة التي برزت بروزا واضحا في شعر هذا الشاعر ، وهي اختلاط شعره ودراسة اسباب هذه الظاهرة والعوامل التي ادت اليها ، ومحاولة الوقوف عند الاشعار التي يمكن ان تكون له ، او لغيره . وهي ظاهرة يستطع المحقق اعطاء الحكم الصحيح فيها لانه اقدر من غيره على تمييزها .

٣ ـ تثبيت الاختلاف الذي لم يلتفت اليه المحقق واكتفى بايراد المصادر مجردة ، وهذا يعني ان الابيات وردت في كل هذه المصادر متشابهة في الوقت الذي كانت فيه الابيات مختلفة في رواية بعض الفاظها ، وتثبيت الاختلاف اصبح من اصول التحقيق العلمي ، والعمل الذي لا يلتزم به يفقد اهميته العلمية ويخرج عن الاطار التراثي الذي يسعى الى تقديمه المحقق .

٤ ـ تثبيت عدد الابيات في المصادر التي تحتويها .. ان أي بديهية من هذه البديهيات تعد اساسا من اسس التحقيق فكيف يمكننا ان نمر على قصيدة عدد ابياتها تسعة مثلا ، ونكتفي بايراد المصادر التي وردت القصيدة فيها او وردت بعض ابياتها فيها ، دون الاشارة الى عدد الابيات التي وردت في كل مصدر . فربما يكون المصدر قد ذكر تسعة ابيات ومصدر اخر ذكر ستة ابيات وثالث روى اربعة ورابع ذكر خمسة باختلاف وهكذا ... فمن اين يستطيع الباحث او القارىء ادراك هذه الحقيقة اذا كان المحقق قد اجمل المصادر التي اتت على ذكر القصيدة دون ايضاح بعدد الابيات التي احتجنها كل مصدر ... ان العمل العلمي يحتاج الى الدقة والضبط .

٥ ـ تمييز الابيات المنسوبة والابيات غير المنسوبة ، او ايضاح النسبة كما ورد في المصادر وهذه قضية اخرى اغفلها المحقق واكتفى بايراد المصادر ، علما بان بعض الابيات كانت تنسب الى علي بن محمد ، أو علي بن محمد العلوي ، أو علي ابن محمد البصري أو الحماني ، ولكن السيد المحقق لم يشر الى هذه النسبة بعد أن جعلها واحدة ومتساوية في النسبة ، وهي قضية خطيرة في عالم التحقيق لانها تدخل في باب (تحوير النص) ونسبته الى غير صاحبه . وامانة التحقيق الاولى هي اخراج النص كما اراد له المؤلف أن يكون . فكيف بنا ونحن نغفل الاسماء الحقيقية التي صنعت النص ؟ اظن الاخ النجدي يوافقني في ذلك .

٦ ـ الانتفاع من المصادر .. لقد وقفت وانا اتابع بعض القطع عند نص اورده صاحب مجموعة المعاني ولكن الاخ المحقق لم يقف عليه ، في الوقت الذي وجدته ينتفع من الكتاب في موضع اخر ، وهذه آفة اخرى من آفات المحققين .. فالذي نعلمه ان مراجعة المصادر تكون دقيقة ، والوقوف عندها يكون مضبوطا فاذا كانت الطريقة التي سلكها الاخ المحقق بهذه الشاكلة فانها تمثل ظاهرة اخرى من افلات كثير من النصوص التي يمكن الاستفادة منها على الرغم من توفرها في المصدر الذي ظفر به المحقق . ولعل المثال الاخر الذي يؤكد هذه الظاهرة هو ورود البيتين الرابع والخامس من القطعة الرابعة التي نسبها لصاحب الزنج قد وردا في جمع الجواهر /٧٩ ولم يشر اليهما المحقق مع اعتماده المصدر في اكثر من قطعة .

٧ ـ من الغريب ان يكون المحقق جريئا الى الحد الذي يجعله يقدم على اخراج النص وهو لم يستكمل حتى بعض المصادر القريبة .. او بيت في نسبة ابيات دون الرجوع الى بعض المصادر الواقعة في متناول اليد وقد وقع المحقق في كثير من هذا كما ذكرت في عرض للديوان .. وهي جراة ومغامرة في ميدان يحتاج الى كثير من الصبر والجلد والمثابرة .. وهي صفة لو لازمت الفرد لحكم على كثير من اعماله ببعدها عن الاطار العلمي .

٨ ـ ترتيب المصادر ترتيبا زمنيا .. ولعل هذه الظاهرة هي جانب اخر ابتعد عنه المحقق في كثير من اعماله كما وقع في هامش القطعة (١٧) والهامش (٣٧) .

انني كما قلت لا اريد ان اقف طويلا عند منهج الاستاذ المحقق لان العملية تحتاج الى دراسة مفصلة ولكني آثرت ان اضع خطوطا عامة لمنهج التحقيق لتكون نموذجا لمن يريد ان يسلك هذا المسلك حتى تكتمل له اداة العمل وتتوفر له وسيلة التحقيق والسلام .

ملاحظة مهمة ...

لقد نشر الاستاذ مزهر السوداني شعر علي بن محمد الحماني الى جانب نشرة الاستاذ محمد حسين الاعرجي لهذا الديوان ، وكانت اشاراتي في التعقيب مقتصرة على نشرة الاعرجي لانها نشرت في المورد وهذا يسهل تداولها في الايدي ، ومع هذا فساحاول الاشارة الى الابيات المختلطة التي اوردها محقق اشعار الزنج مقابلة مع نشرة الاستاذ مزهر السوداني لينتفع بها من وقعت في يده هذه النسخة كذلك ..

١ ـ البيت في الديوان /٢٩٥ من قصيدة في المحاسن والمساوىء /١٠٣ والمحاسن والاضداد /١٠٤ .

٢ ـ الابيات الثلاثة من القطعة الثامنة ذكرت في الديوان /٢٩٩ نقلا عن الزهرة المخطوط .

٣ ـ القطعة (١٧) الابيات الاربعة الاخيرة منها ذكرت في الديوان /٣١٥ نقلا عن اعيان الشيعة ٥٢/٤٢ ، وعمدة الطالب /٢٢٣ (٢ـ٤) منسوبة لصاحب الزنج علي بن محمد .

٤ ـ القطعة (٢٥) البيت واخر ذكرها في الديوان /٣٢٢ وذكرت مراجعة وقد انفرد صاحب بهجة المجالس بنسبة البيت الى صاحب الزنج .

٥ ـ القطعة (٢٨) ورد البيتان الاول والثاني في الديوان /٣٢٢ وفي جميع مراجع التخريج لم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٦ ـ القطعة (٣٧) ذكرت في الديوان /٣٣٣ نقلا عن الزهرة المخطوط ومجموعة المعدني /٤٧ ولم يشر الى نسبتها الى صاحب الزنج .

٢ـ تعقيب حول كتابين تراثيين ... (١)

من المبهج ان يتابع المهتمون بشؤون التراث ما ينشر من نصوص وما يجمع من دواوين (١) ومن المبهج حقا ان تكون (بعض جوانب) هذه المتابعة متسمة بالدقة والاهتمام والاستقصاء الذي لا ياتي الا نتيجة جهد متواصل ، وانصراف كلي ، واقتدار متمكن . وهاتان الظاهرتان تكفلان للاعمال الادبية النمو ، وتمنحانها الحياة ، وتضفيان عليها رداء القدرة على تقديم كل عطاء وايضاح كل جانب تاهت في طوايا الزمن ابعـــاده ..

كنت احس هذا الاحساس وانا اقرأ تعقيب الاخ محمد جبار المعيبد وهو يكتب عن صنعتي لشعر المرار بن الفقعسي في العدد الثاني (المجلد الثالث) من مجلة المورد ، وهو تعقيب شعرت بما بذله الاستاذ المعيبد ـ وهو يشير في ملاحظاتــه القيمة ـ من عناء كبير ، ومراجعة طويلة ، وكان يودي ان يقع هذا الجهد في الموقع الذي اراده له الاستاذ المعيبد ، ليعطي الفائدة الكاملة ، ولكنه كما يبدو اخفق في جانب كبير مما اراد. وفي هذه الاشارات التي وقفت عندها ايضاح لهذا الاخفاق ، وتبيان لما لم يُفلح تحقيقه ..

١ ـ في اللاحظة الرابعة قال الاستاذ المعقب . قـال : والبيتان (٤ـ٥) في الحماسة البصرية ٣٦٢/٢ . والصواب : الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ...

اقول : البيت السادس الذي اشار اليه الاستاذ المعيبد لم يكن له وجود في الحماسة ، وانما المذكور العاشر.اما الثالث الذي اشار اليه فرواية الحماسة رواية مغايرة له .

٢ ـ في اللاحظة السابعة قال الاستاذ المعقب : وروايــة البيت في المصدر الوحيد الذي خرج فيه ام لعينيك .. »

اقول : ورواية البيت بالشكل الذي اختاره محـــقق حماسة ابن الشجري بعيد عن المعنى ، ولو كلف الاخ المعقب نفسه ونظر الى هامش الحماسة البصرية لوجد فيه روايـة اخرى مطابقة لروايتي التي رجحتها ، وهي رواية ثانية لنسخة اخرى من المخطوطة ، فمحقق الحماسة اختـــار (لعينيك) واخترت (بعينيك) وهي اقرب واوفق . وهذا يعني ان رواية البيت لم تكن في المصدر الوحيد وانما في مصدرين اخذ باحدهما صاحب الحماسة البصرية واخذت بالثاني

٣ ـ في اللاحظة التاسعة قال المعقب : ابياتها الثلاثـــة تنسب للمتوكل الليثي .... وهي بشعر المتوكل الليثي اشبه..

اقول ... ان مصادر التخريج التي ثبتها وهي « بهجة المجالس وحماسة ابن الشجري والصناعتين وصبح الاعشى تجمع على نسبتها الى المرار » وربما اختلف في نسبتها فنسبت الى المتوكل الليثي . او وجدت ضمن قصيدة للمتوكل الليثي ، اما ما ذهب اليه الاستاذ المعقب من انها بشعر المتوكل الليثي اقرب فهو مخالف لاصول البحث التي اجمعت على نسبتها للمرار الفقعسـي .

٤ ـ في اللاحظة الحادية عشرة قال المعقب : ارقام صفحات كتاب الحيوان ... ليست ارقام الطبعة التي اعتمدها (طبعة هارون ـ انظر المصادر) وانما هي ارقام (طبعة الساسي المغربي) التي اعتمدها الميمني في السمط في تخريجة ابيات المرار نقلها عنه المحقق دون مراجعة الحيوان .. ولو رجع الى طبعةهارون ٦٥/٤ لوجد البيتين (٣ـ٤) منسوبين للمرار بن منقذ ..

اقول : من الغريب ان يقع الاخ المعيبد في موقع لا ارتضيه له وهو يعقب مثل هذا التعقيب لان الاولى ان يتاكد مما كتبت ولا يطلق الكلام بهذا الشكل . فالبيتان وردا في موضعين من الحيوان ، الاول في ١٢١/٣ ونسب البيتان الى الاسدي وهو المرار الفقعسي لا العدوي كما وهم الاخ المعقب .. والثاني في ٦٥/٤ واشار محقق الحيوان الى نسبتهما للاسدي في الهامش فهل يعني بعد هذا ان البيتين للعدوي ، وهل يعني اني نقلت الهامش دون المراجعة و ...

٥ ـ في اللاحظة الثانية عشرة قال المعقب : لا معنى لعجز البيت اذا قرأ ..

تزيد لعيني الشخوص السواجع . وصوابه كما في معاني الاشناندانى

ترود لعيني الشخوص الشوافع .. ثم شرح المعنى

ومن الغريب ان يُنكر الاخ المعقب رواية ثعلب التي ثبتها ويرتضى رواية الاشناندانى الذي ثبتها .. والمعنـى الاول موافق تمام الموافقة لما يريده الشاعر لما كان يشـــعر به من هواجس واصبحت هذه النفس تزيد لعينه الشخوص وهو معنى طرقه الشـعراء كثيرا ...

اما اشارة الاستاذ المعقب « لا معنى لعجز البيت .. » ففيه خروج عن الطريقة العلمية في المناقشة .. لان هذا يعني ان لا معنى برواية ثعلب وهو اعلم بالروايات المختلفة لكثير مـن الابيات ، ولكن من الصعب البت في هذا الجزم الذي يوقع صاحبه بالوهم .

٦ ـ في اللاحظة الثالثة عشرة قال الاستاذ المعقب :

آ ـ نسب البيت في المعاني للمرار الفقعسي بهذا الشكل (... وكقول المرار « بن سعيد الفقعسي ») فزاد محقق المعاني (ابن سعيد الفقعسي) بين عضادتين ، دون ان يدل على سبب لهذه الزيادة ثم ذكر في هامشه : (نسبه الزمخشـري الى المرار بن منقذ سهوا) .

ب ـ نسب البيت في اللسان / تشع للمرار مطلقا ، فاذا صحت نسبة البيت للفقعسي نقول (وهم الزمخشري) ولا نقول (سها) فكيف والبيت لم تصح نسبته ..

اقول : ان الاستاذ المعقب وقع في اكثر من وهم في هاتين الفقرتين وساوضح الحقيقة في ذلك ..

١ ـ لو تفضل الاخ المعيبد بقراءة الهامش المثبت تحت القطعة رقم (٦٢) لوجده ينص على ان هذه الابيات وما يليها من ابيات تشكل قصيدة واحدة ـ اجمع الرواة على نسبتها للمرار الفقعسي ـ ولكنني لم اهتد الى مصدر يجمعها او يجمع بعضها ، ولهذا اثرت ان تكتب على هذه الهيئة ولعل مصدرا من المصادر يعثر عليه فيهدينا الى ترتيبها بالشكل الذي نظمت عليه ... وهي اشارة صريحة الى ان هذه الابيات والبيت الذي اشار اليه المعقب يقع ضمن هذا الاطار .

---

(١) نشر الاستاذ محمد جبار المعيبد تعقيبا في العدد الماضي من مجلة المورد حول المرار بن سعيد الفقعسي بتحقيقي .

٢ ــ لو تفضل الاستاذ المعيد بقراءة مقدمة الديــوان (المورد /١٥٨) لوجد نصا يعالج نسبة مثل هذه الابيات وهو « ان ظاهرة اقتصار كثير من كتب الادب عند استشهادها لبعض الابيات على ذكر المرار دون ان تحدد اي المرارين هذا .. تشكل ضياعا لشعر هؤلاء الشعراء واختلاطا في نماذجهم الشعرية ، وفقدانا للخصائص التي يتميز بها كل واحد منهم ، وقداستطعت ان اقتفى هذا الخلط ، واستخلص ــ الى جانب شعره المنسوب صراحة ــ تلك المقطعات التي كانت تكتفي بذكر المرار وأحدد نسبتها الى المرار الفقعسي الاسدي ، مستعينا بالدليل الذي يثبت صحتها كان تكون من ابيات نسبت صراحة اليه ، او تكملة لابيات اجمع رواتها على نسبتها اليه ، او تكملة لابيــات اجمع رواتها على نســبتها اليه ... انتهى النص المثبت في مقدمة الديوان . فماذا يريد الاستاذ المعقب ان اقول .. وما هو عمل المحقق في مثل هذه الاحوال اذا .

٣ ــ القطع (٦١-٧٢) هي قطعة واحدة وقد ثبت هــذا الرأي في المقدمة والهامش المذكور تحت القطعة ، على الرغم من فصلي بينها وقد اجمع القدامى على نسبتها الى المــرار الاســدي .

٤ ــ لم نجد للمرار العدوي قصيدة بهذا الروي حتى نشك في صحة النسبة او نتردد .

٥ ــ اتفاقها في الغرض والمعنى والنفس والصياغة مــع ابيات القطعة التي نسبت ابياتها صراحة اليه ..

٦ ــ ان الاستاذ المستشرق سالم الكرنكوي محقق المعاني الكبير الذي وضع (بن سعيد الفقعسي) لم يكن من الجهــل بحيث يلحق هذه النسبة دون ان يجد ما يعينه عليها . ولعــل احد المخطوطات او المصادر او نسخة من نسخ المعاني الكبير التي كان يستعين بها هي التي صححت هذه النســبة والا فمــا الداعي لاضافة ابن سعيد الفقعسي .

٧ ــ اما محاسبتي على استخدام (سها) ولم استخدم (وهم) فلا اعلق عليه باكثر من قول الشاعر :

وللناس فيما يعشقون مذاهب ..

٧ ــ في الملاحظة الرابعة عشرة قال الاستاذ المعيبد : ذكر البكري في السمط /٧٨٨ البيت الثالث وقال (وهذا البيت ينسب لجرير ..) وقد تجاوزه المحقق مع انه رجع الى الصفحة المذكــورة ..

اقول : يبدو ان الاخ المعيبد كان لا يقرأ الا الاصول ، ويتجاوز الهوامش مع انه رجع الى الاصول المذكورة في الصفحة نفسها ، ولو دقق النظر واخفض طرفه الى الاسفل قليلا لوجد ما كان يبحث عنه ولكفى نفسه جهد المشقة ، وبذل المتاعب فقد كتبت القطعة (٩١) ما يلي : قال صاحب السمط وهذا البيت ينسب الى جرير ، والصحيح انه للمرار الاسدي ، ولم اجده في ديوان جرير (صادر) . (هذا قولي) .. المورد/١٧٤ .

فهل اكون حقا قد تجاوزت ملاحظة صاحب السمط يا اخي الكــريم ...

٨ ــ في الملاحظة الخامسة عشرة قــال الاستاذ المعقب .. « البيت الاول منها نسبه البكري في السمط /٣٠٤ للهذلي ، وقد تجاوز المحقق ايضا مع انه رجع الى الصفحة المذكورة » .

اقول : البيت في السمط لم يكن للهذلي كما قال الاخ المعيبد وان الذي اشار اليه هو ما يلي : نسب يعقــوب (ابن السكيت) هذا البيت الى الهذلي ، ولا اعلمه في اشعار هذيل ، وقد جمعت منها كل رواية الا ان يكون في شعر ابي خراش الذي اوله ...

وقال الاصمعي . بل قالها خراش قال وهي في رواية بعضهم سبعة ابيات وبعضهم يجعلها في قصيدتين ، فلعــل هذا البيت الشاهد في القصيدة الساقطة وهذه القصيدة التي ذكرت اولها ليست فيما رواه ابو علي هي في رواية السكري . وقد روى ابو علي لابي خراش قصيدة اخرى على هذا الروي والعروض ..

انتهى قول البكري .. « الذي في الاصلاح ٢٠٦/١ انــه للاسدي وهو المرار الفقعسي كما في اللسان (غفر) عن ابــن بري .. وهو الذي ثبته في تخريج القطعة . و

فالبيت اذا عند البكري لم يكن منسوبا للهذلي مطلقا لانه نفى الرواية في قوله : ولا اعلمه في اشعار هذيل .. والبيت لم يكن منسوبا الى الهذلي حتى عند ابن الســكيت كمــا ثبتــه الميمني وكما هو مذكور في الاصلاح وهذا ما جعلني اتجــاوز النسبة الى الهذلي لعدم اثباتها فماذا يقول الاخ المعقب بعد كل هذا هل ان صاحب السمط نسبه الى الهذلي ؟ .. وهل ان البيت للهذلي ، واي الهذليين هذا الذي يعنيه الاخ المعيبد ؟ انني لم اتجاوز رواية السمط وانما احلت اليه في التخريج كما مثبت (المورد/١٨٣) نظرا لهذا الخلط والوهم العجيب والنفي القاطع في اخراجه عن دائرة شعر الهذليين . ولكن الاخ المعيبد التبس عليه الامر فتصور التجاوز واقعا .

في الملاحظة العشرين قال الاستاذ المعقب .. « عثرت على ابيات اربت على الخمسين بيتا لم ترد في ما جمعه الدكتــور القيسـي » .

اقول .. من الغريب ان يفتتح الاخ المعيــبد هذه الملاحظـة ــ وهو في صدد الحديث عن الابيات الجديدة التي لم ترد في جمعي .. بهذه العبارة المثيرة التي تجافي الحقيقة العلميــة . ولا اكون مغاليا ــ اذا كانت طريقتي شبيهة بطريقة الاخ المعيبد ــ ان اقول اذا كنت معقبا .. عثرت على خمسمائة بيت لم ترد في ما جمعه الدكتور القيسـي . وربما استطيع ان اتجــاوز هذا العدد الى الضعف اذا كنت اضيف كل شعر المرارين الى المرار الفقعسي واذا كنت اضيف كل اشعار المرار العدوي الذي اجمع الرواة على نسبتها اليه الى المرار الفقعسي ، واذا كنت اضيف كل زعم او افتراض زعمه بعض الضعفاء من الرواة في نسبة قصائد مشهورة الى شعر المرار الفقعسي .. اذا كــان الحديث بهذا الشكل فانا استغرب من الاخ المعيبد ان يكتفي بهذا القدر من الابيات التي عثر عليها ، ولمَ لم يجعل الاخ المعيبد المفضلية التي ذكر ثلاثة ابيات من الابيات التــي استدركها ضمن هذه القائمة ليقفز العدد الى المائة والخمسين، لان المفضلية كما اوردها المفضل تجاوزت التسعين بيتا ..

الاخ المعيبد لم يكن غريبا عن التحقيق ، وقد اصبح الامر في هذه المسائل من البديهيات في موضوع التحقيق ، فما فائدة ابيات اوردها في المجموع واقول عنها انها للمرار العدوي .. الم تصادف الاخ المعيبد مثل هذه المصادفات فيعزف عنها لانهــا واضحة الزيف ، بينة التلفيق ، . ولا اريد ان اذهب بعيدا وانما اقول : ان الاخ المعقب قال وهو يذكر بيتين .. نسبهما البكري في السمط /٨٣٢ للمرار بن منقذ العــدوي . ثم قــال

أو قد نسب هذا الشعر الى المرار بن سعيد الفقعسي الاسدي . وقال المعقب : والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العدوي في المفضليات ..

اقول : ماذا ينتظر مني الاخ المعيبد ان اقول وهـــو يعقب .. والبيتان من قصيدة طويلة للمرار العـــدوي في المفضليات .. فاذا كان المفضل ، وقائمة التخريج المذكورة في المفضليات وهي كبيرة ـ تجزم بنسبتها الى المرار العـدوي فماذا يريد مني ان اقول : هل يريد مني الحاق ابياتها بشعر المرار الاسدي وانا اعلم علم اليقين بتوثيق نسبتها الى المرار العدوي . هذا قولي في الملاحقتين (٣ ، ٤) .

اما القصيدة التي الحقها الاستاذ المعقب وعدتها (٤٣) بيتا من الخمسين التي افتتح بها الاستاذ المعقب ملاحقته فلي عليها اكثر من ملاحظة ..

١ ـ قال الاستاذ المعقب « القصيدة التالية في (٤٣) بيتا، اختلف في نسبتها ، فقد نسبها البغدادي في الخزانة ٢٩٦/٢ للمرار بن سعيد الفقعسي عن شرح ديوان مسلم بن الوليـــد للخالديين » ..

اقول : الذي في الخزانة ٢٩٦/٢ « وزعم الاصفهاني في الاغاني والخالديان في شرح ديوان مسلم بن الوليد ان هـــذه القصيدة للمرار بن سعيد الفقعسي .. وعليه فصاحب الخزانة لم ينسبها الى المرار بن سعيد وانما هو وهم من المعقب .. وان صاحب الخزانة قال بعد هذا الزعم . والصواب انهـــا لزياد بن منقذ العدوي .. فمن اين استطاع التوصل الى ان البغدادي نسبها في الخزانة ٢٩٦/٢ للمرار بن سعيد الفقعسي .

اذا اسقطنا هذه الاشارة التي وهم بها المعقب لم نجـد مصدرا من المصادر تذكر نسبتها الى المرار الفقعسي ، فهل يجوز لنا بعد هذا الوهم ـ وبعد اجماع المصادر على نسبتها الى المرار بن منقذ العدوي والتي اوردها الاستاذ المعقب ان نذهب الى ما ذهب اليه الاخ المعيبد فنحشر في شعر الفقعسي اشعار كل المرارين على الرغم من علمنا بخطا النسبة وخطـل الحاقها بشعره ..

اذا اسقطنا هذه القصيدة (٤٣) بيتا ، واسقطنا الثلاثة الابيات الاخرى التي اجمع الثقاة من الرواة على نسبتها الى العدوي . واسقطنا البيتين اللذين اطلع عليهما الاستاذ المعيبد قبل اطلاعي على مسودة التعقيب فماذا بقي من الخمســـين .. كنت آمل الا يقع الاخ المعيبد ، وهو المحقق الثبت فيهذا الوهم، فيلحق اشعار العدوي بالفقعسي وهو يعلم صحة النسبة .

بعد نهاية التعقيب . اشكر الاخ المعيبد على هذه الدقة في بعض جوانبها ، واشكره على هذه المتابعة في بعض احوالها ، وآمل الا تكون التعقيبات على هذه الشاكلة من الوهم وشكرا .

تعقيب وعرض

بقلم
الدكتورة ابتسام الصفار

(١) تعقيب على شعر الجاحظ

قرات ضمن النصوص المحققة في مجلة المورد العدد الثالث المجلد الثالث شعر الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر للاستاذ محمد جبار المعيبد . وقد اعجبتني الدراسة التي مهد بها الباحث الفاضل لشعر الجاحظ : لانه اوضح لنا ان الجاحظ لم يكن شاعرا — وان قال بعض الشعر — (ولم يبلغ الشاعرية المستوى الذي يجعلنا نعده من شعراء العصر المرموقين) اما الروايات التي نقلها الباحث في نقد شعر الجاحظ فهي مهمة جدا توضح اراء القدماء فيه ، وانهم لم يعتبروه شاعرا مرموقا كان او غير مرموق . انما نبغ الجاحظ نبوغا رائعا في ميدان النثر كتابة وتاليفا حتى الف اسمه عبر العصور وصار امام عصره في البيان ، ويكفينا ما نقله الباحث الفاضل من رواية ابي هفان حين احجم عن هجاء الجاحظ فقال : امثلي يخدع عن عقله ! والله لو وضع رسالة في ارنبة انفه لما طن منها بيت في الف سنة .

اما الاشعار التي اثبتها المحقق الفاضل للجاحظ فهي قليلة لم تتجاوز (٤٢) بيتا متفرقة في القسم الاول ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، البقية متنازع عليها . اما القسم الثاني فلا يمكن ان نطلق عليه اسم الشعر ، لان الجاحظ قاله على السنة بعض الناس مما اقتضته رسالة صناعة القواد التي الفها ، وبما عرف به الجاحظ من قدرة فائقة في الدفاع عن وجهات النظر المختلفة اذا عرض لذكرها او مناقشتها .

قراءة هذا الشعر أثار في نفسي تساؤلا ؟ ما الفائدة من تحقيق الشعر ؟

اعتقد ان تحقيق اشعار القدماء وجمع دواوينهم مساهمة كبيرة في بعث تراثنا العربي القديم ، وبعث جديد للدور الذي قام به رواة الشعر الاوائل . ولكنه بعث ، يجب ان يوجه نحو الشعراء الذين كان لهم دور كبير في اغناء الفكر العربي والانساني ونحو الشعراء الذين كانت لهم مساهمة كبيرة في مجتمعهم واحداث امتهم .

ان ما يتركه شعر الجاحظ اول وهلة هو تشويه الصورة الرائعة التي عرفناها عن الجاحظ لتحل محلها الفاظ سوقية ومعان مبتذلة مثل ما ورد في شعره من ذكر قصاع الاحزان ، ولوزينج النفوس (٢٢) ، وبراغيث الوجد (٢٣) ، ومعلف الكبد (٢٥) ، وبنات وردان ، وبربخ الهوى (٢٨) ، وروث الحب ، وخنافس الهجران ، وسلح البين (٢٩) ، وزنبيل البين وليفة الصد (٧) . الى غير ذلك مما ينبو عن ذكره الذوق السليم والفن الرفيع ، فكيف به وهو ينسب للجاحظ امام النثر والبيان وذواقة الشعر والنثر .

واخيرا اقول يكفي ادبنا العربي فخرا ما قدمه الجاحظ للفكر والادب من نتاج ثر اصيل ، والجاحظ في شموخه الادبي لا يحتاج الى شهادة شعر نثبتها له .

ومعذرة للاستاذ المحقق فهو معروف بتحقيقاته القيمة ، ومزيدا من النتاج الذي يخدم فكرنا وامتنا .

---

(٢) مع كتاب « تحفة الوزراء » للثعالبي

اود ان اتحدث عن كتاب مهم من كتب الثعالبي ابي منصور عبدالملك ابن اسماعيل المتوفى سنة ٤٢٩هـ . والكتاب يعرض جانبا حيا من جوانب الحضارة الاسلامية ، ويعالج قضية مهمة لها مساس مباشر بالحياة السياسية والعامة للمجتمع العربي الاسلامي : وهو موضوع الوزارة وما ينبغي ان تكون عليه او شروطها ، وواجباتها ، ومقوماتها .

الكتاب مخطوط وتوجد منه أربعة نسخ خطية :

الاولى : نسخة مكتبة فيض‌الله رقم ٢١٣٣ وتاريخ نسخها ١٤ رمضان ١٠٢٨ وعنها نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية وتقع هذه النسخة في ٤٠ ورقة .

الثانية : نسخة مكتبة امانة خزينة برقم ١٧٢٦ وهي مكتوبة سنة ١١٣١ هـ بخط يوسف بن محمد بن الوكيل الملوي

وتقع في ٤٤ ورقة وقد نسخها عن الاصل الاستاذ حسين علي الدافوقي للاستاذ حبيب الراوي (١) وعنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية .

الثالثة : نسخة مكتبة غوطا برقم ١٨٨٦ وعليها تملك للفقير احمد الصديقي ثم ملكها ابنه من بعده ، وهي نسخة متاخرة ايضا .

رابعا : نسخة مكررة ايضا كتبت سنة ١٣٠٠ هـ

هذه النسخ الاربعة تبدو منقولة عن اصل واحد ، اذ لا فرق بينها في النصوص والاخبار ، وكل ما نجده من فروق هو في رسم بعض الحروف ، وزيادة بعضها ونقصان الاخر ، او في تحريف بعض مما يقع عادة عند كثير من النساخ .

مادة الكتاب :

رتب كتاب تحفة الوزراء بشكل ابواب خمسة ، وكل باب مقسم على جملة فصول . والابواب هي :

الباب الاول : في اصل الوزارة واشتقاقها

الباب الثاني : في فضائلها ومنافعها

الباب الثالث : في ادابها وحقوقها

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم ونكت ألفاظهم وعفوهم ومدائحهم .

الباب الاول :

تحدث فيه المؤلف عن اشتقاق كلمة الوزارة ، وورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي ، اشدد به أزري واشركه في أمري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ، قال قد اوتيت سؤلك ياموسى .) . ومن هنا يعتبر المؤلف هارون اخا النبي موسى اول وزير سمي بهذا الاسم . ثم يبحث اشتقاق كلمة الوزر فيذكر اشتقاقين : الاول وهو الثقل ، لان الوزير يحمل الثقل عن الملك الموزر له . ومنه قوله تعالى : (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) . اي اثقالا من امتعتهم وحليهم .

اما الاشتقاق الثاني فهو الازر بمعنى المعاونة ، لان الوزير يعين الملك على ما هو بصدده من أعباء السياسة ، ومنه قوله تعالى : (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري) اي اشتد بمعونته ، ومساعدته . ثم يذكر رأيا اخر يعتبر فيه كلمة الوزارة غير عربية وهي من الزور بالفارسية ومعناها عندهم اسم للشدة والقوة فاستعير وعرب . والمعنى فيه انه يشد صاحب الدولة ، ويقويه ويعينه على ما هو بصدده .

ويرجح المؤلف ان يكون اسم الوزارة مشتقا من معنى المساعدة والاعانة . ثم يبدأ بالحديث عن الوزارة عند اليونان والفرس حيث يذكر انه قلما كان من عظماء ملوك الفرس الا وكان له ثلاثة وزراء واكثر الى سبعة او عشرة . واهل الهند يقولون : امثل ما ينبغي ان يكون للملك اربعة وزراء . واخيرا يتحدث عن اهمية الوزراء ، وضرورة وجود الوزراء في تدبير شؤون الممالك متمثلا باقوال البلغاء والمشهورين من الخلفاء والوزراء وبذلك ينتهي الفصل الاول من الباب الاول .

وبعد ذلك يبدا فصل في الوزير الصالح ، وقد افتتحه المؤلف بقول النبي صلى الله عليه وسلم : اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره ، وان نوى خيرا اعانه ، وان اراد شرا كفه .

وعمدة الراي عند المؤلف في استيزار الوزير ان يكون شريفا لا وضيعا مجهولا ويضرب لذلك مثلا بقوله (الورقة ٦) :

وعمدة الامر في الوزارة ان يستوزر الشريف المذكور ، ولا يؤمل لها الوضيع المجهول ، كما فعل غير واحد من الملوك ، فجنوا على ملوكهم ، وأراقوا دماء دولتهم ، وهدموا ركن سياستهم ، ومنهم عزالدين بختيار فانه استوزر صاحب مطبخه ابا طاهر محمد بن بقية ، وكان الى اليوم الذي خلع عليه يقدم الطعام اليه ، ويحمل الغضاير بيديه ، ويتنشح بمناديل الغمر ، ويذوق الالوان عند تقديمه اياها كما يفعل من يتقلد المطبخ ، ولما استوزر عاد يريد الخدمة في ذلك فنهاه بختيار ، وتعجب الناس من وزارته . وقال قائلهم (من الغضارة الى الوزارة) . ولم تكن عينه تقع الا على من كان فوقه من اصاغر القوم . فاما اكابرهم واوساطهم فلم يكن ممن يكلموه . وزادت به دولة بختيار اخلاقا وعارا ، وتضاحك الناس به قربا وبعدا ، وكان كل واحد منهما ساعيا في عاقبة امره ، وسبب هلاكه .

فصل فيما يوجبه حكم السياسة من الاقتصار على وزير واحد . وقد ذكر فيه المؤلف اقوالا وامثالا في هذا الباب تؤيد فكرة الاقتصار على وزير واحد وبذلك يخالف ما ذكره في اول هذا الباب من تعدد الوزراء .

الباب الثاني : في فضائل الوزارة ومنافعها . وقد ذكر فيه ايات واحاديث واقوالا ابتداها بوصايا ملوك الفرس ، ثم ذكر اقوال بعض وزراء بني العباس مبتدا بالفضل بن سهل ، الا انه عاد فتمثل بقول قديم في الوزارة وهو القول المنسوب لارسطو عن الاسكندر الذي انتخب سبعة وزراء يصحبونه ويتكلفون مصالح دولته . ثم يذكر نصيحة الاسكندر لهؤلاء الوزراء .

الباب الثالث : في آداب الوزارة وحقوقها ، ابتداه بقوله (الورقة ٩) :

ينبغي ان يختار للوزارة من اجتمعت فيه الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة ، وعرف بالاراء السديدة ، وجودة التدبير ، وصواب الآراء المفيدة فتكون فيه العدالة والنزاهة والشجاعة والسياسة . واذا كان زمان الصلح والهدنة يصلح ان يكون الوزير حليما ساكنا واذا كان زمان الفتن والحروب يصلح ان يكون شجاعا صارما .

ثم ينقل اقوالا عن بعضهم في شروط الوزير الصالحفينقل خبرا عن ابي زيد البلخي وعن اخر ، وعن بعض الحكماء ، ثم يذكر ما كانت الاكاسرة تشترطه في اتخاذ الوزير الصالح . ويختم حديثه ببيتين من الشعر لبعض الشعراء في من نال الوزارة وهو عري من هذه الخلال (الورقة العاشرة)

لا كمال لا جمال	لا بيان لا عبارة
هكذا الرسم لديكم	اين آلات الوزارة

بعد ذلك يخصص المؤلف فصولا تندرج تحت هذا الباب

(١) لقد اوشكنا على الانتهاء من تحقيق هذا الكتاب بالاشتراك مع الاستاذ حبيب الراوي

فيبدأ بفصل لعمرو ابن مسعدة في وصف الوزير ، ومع ذلك فانه يدرج مع قول ابن مسعدة بيتين لابي الفتح البستي في الصاحب بن عباد ، ثم يذكر فصلا في حق الملك على الوزير . وينتقل في توضيح هذا الحق بين اقوال الحكماء العرب واليونان واقوال بعض الخلفاء من بني امية وبني العباس ثم جـزء لعبدلحميد الكاتب في الوزير ويليه فصل في حقوق الوزراء على الملك . ويضع المؤلف هذه الحقوق في اربعة شروط ينقـل خلالها بعض الاخبار التاريخية . بعد هذا الفصل يذكر فصلا يشمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء . وفيه خبرين الاول عن المامون . والثاني عن الوزير عونالدين ابن هبيرة والخليفة المستنجد (وهذا الخبر موضع شك سنتناوله بالمناقشـة فيما بعد) .

الباب الرابع : في اقسامها ورسومها :

وهذا الباب مهم جدا يوضح اقسام الوزارة وميزاتها فهي تنقسم الى وزارة مطلقة واخرى مقيدة . فاما المطلقة فهي وزارة التفويض وهي اكمل انواع الولايات لاشتمالها النظر في امـور المملكة وهي لا تحتمل الشركة ، لانها وزارة تامة .

ويقسم المؤلف هذا الباب الى فصول ايضا فيذكر فصـلا في الخصال التي ينبغي ان تجتمع في هذا الوزير (وزير التفويض او المطلق) مع ما تقدم وصفه من الشرائط والاداب .

ويخصص فصلا اخر في وزير التفويض الصالح ايضا وما يجب عليه عند توليه الوزارة كضرورة انتدابه الولاة الصالحين ممن يتفقدون احوال الولايات ، دقيقها وجليلها ، وضرورة النظر في الاموال ، وامر الاجناد ، متتبعا امورهم واحوالهم ، معوضا ما تلف من خيلهم وقوتهم .

ثم يتحدث عن النظر في اموال الدولة ، وكيف ان العناية يجب ان تكون بتثمير الاموال اكثر من العناية بجمعها . وعلى وزير التفويض ايضا الا يهمل صغار الامور او لا يخور ، ولا يرتاع اذا دهمه امر عظيم ، وبغته خطب جليل . ويتمثل المؤلف بقول لابي زيد البلخي في الوزير الذي يتصف بالخلال الحميدة التي تؤهله لوزارة التفويض .

بعد هذا الحديث المفصل عن وزير التفويض يختتـم الثعالبي هذا الفصل باربعة اسطر فقط عن الوزير الثاني الذي يسميه بالوزير الخاص او المقيد والذي يعرف بوزير التنفيذ وذلك لانه يتعين عليه ان لا يغيب عن موضع الملك ، لانه يحتاج الى مشورته ومراجعته في اكثر الامور الحوادث فلا يبعد عنـه لا ليلا ، ولا نهارا ... (الورقة ١٥) .

ثم يبدأ فصل في الفرق بين الوزارتين المذكورتين ثم فصل في ذكر رسوم وزارة التفويض فيتحدث فيه عن وظائف هذا الوزير ، وكيف انه يجب ان ينظر في جميع الدواوين يستعرض حساباتهم واعمالهم ، ويقوم معوجهم ، ويصلح فاسـدهم ، ويعرض على الملك الجمل من ذلك ، ولا يعزل الولاة ولا يصرف من كان على رؤوس الدواوين ، والاعمال الجليلة الا بامر الملك، لانه كالواسطة بين الملك والرعية . وبهذا يوضح المؤلف الفرق بين الوزيرين .

بعد ذلك فصل في ذكر المشورة : ويذكر فيه اقوالا مختارة من القران الكريم والسنة النبوية واقـوالا لبعض العلمـاء والحكماء في فضل المشورة .

ثم فصل فيمن ينبغي ان يستشار ومن لا يستشار .

وفصل في كتمان الاسرار ، وكيفية المشورة . وفي هذا الفصل اخبار تاريخية عن الوزراء والحكام العرب .

ثم فصل في احتياج الملك الى معاونة الوزير وفصـل في وجوب النصح بالاستشارة .

الباب الخامس : في ذكر كفاتهم (الوزراء) ونكت الفاظهم

يبتداه بفصل في الكفاءة : تحدث فيه عن الوزراء الذيـن جمعوا بين البلاغة والسياسة ويعدد منهم عمرو بن العاص الذي اشتهر بالدهاء والذكاء والبلاغة والسياسة وتدبير الحروب ، ومنهم زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، ويزيد بن عمر والمهلب بن ابي صفرة ، وابنه يزيد والمختار . أما في الدولة العباسية فيبدأ بذكر ابي مسلم الخراساني ويصفه بانه احـد رجال الدنيا سياسة وهمة وبلاغة ، ثم يذكر من بلغاء الخلفاء وذوي السياسة والتدبير المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد والمامون . ويستطرد فيعدد كفاة الولاة والوزراء من بنـي العباس كأبي سلمة الخلال ، وأبي أيوب المورياني ويعقوب بن داود ، والفضل بن سهل ...

ثم فصل في نبذ ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم . ويكاد أن يكون هذا الفصل أطول الفصول لكثرة الاخبار والاقوال التي نقلها المؤلف عن الوزراء العرب المشهورين .

وبعده فصل في محاسن أبي الفضل بن العميـد ورقعـة استيزاره الى بعض اخوانه . ثم يذكر فصلا اخر علقت هـذه الاحرف حيث ينقل بعد هذه الفقرة اقوالا عن مشهوري الوزراء العرب ، ويستمر بذكر لطائف الوزراء يتبعها بذكر تواقيع الوزراء وفصولهم .

ثم فصل في العفو وما يجري مجراه ، ثم فصل لابن ثوابة من كتاب الى وال ، وفيه يتحدث عن عقاب المجرمين ، وايداعهم السجون ، وعن ضرورة اشراف الوزير على حـال السجنـاء ، وتتبعه لاخبارهم ، ومعرفة من اظهر التوبة والعفو منهم . ويتبعه بفصل لابن ثوابة ايضا من كتب الى وال . ومع انه سمى هـذا الفصل باسم ابن ثوابة فان الكتاب لم يكن مرسلا الى وزير وانما هو مرسل الى وال ولكنه يدخل ضمن السياق العام الذي يتحدث فيه المؤلف ، وهو حديث الجرائم والسجناء ، وفيه يأمر امير المؤمنين باحصاء من في المحبوس من أرباب الجرائم الذين لا يسوغ اخراجهم ولا لهم مال ينفقونه فيثبت اسماءهم ويبتاع لكل رجـل منهم قميصا وسراويل وقلنسوة ، وللمرأة رداء وخمارا وقميصا، على ان يولي الوالي على هذه الامور امناء عارفين بذلك مباشرين له .

وبعد هذا الكتاب يستمر المؤلف ضمن فصل ابن ثوابـة بذكر نكت واخبار من تواقيع الوزراء ، واخبارهم مع السجناء ورعايتهم لهم .

ثم فصل في التهنئة بالخلاص من السجـون والنكبـات . ويبدو هذا الفصل غير منسجم مع الفصول الاخرى ، اذ انـه لا علاقة له بالوزارة والوزراء وكل ما فيه بيتان للمهلبي مـن قصيدة ، وآخران للبحتري حيث يختم الفصل فيليه فصل في استعطاف الملوك والوزراء ، والعفو والرضا ، وما يحسن في ذلك ، ويحمد . ثم يختم الباب بفصل في بعض مدائح الوزراء فيذكر اشعارا لعمر الربيب في مدح آل برمك ، ولابي الحجناء نصيب ولسلم الخاسر ، ولابي الفـرج الببغاء وغـيرهم من الشعراء حيث يكون هذا الفصل خاتمة الكتاب .

نسبة الكتاب :

لابد ان نتساءل عن صحة نسبة الكتاب للثعالبي : ولنبدأ بالهيكل العام الذي استعرضناه قبل قليل لنعرف ما اذا كان منسجما مع طريقة الثعالبي ام لا ! وهل كل ما ورد في الكتاب هو للثعالبي ام لا ؟

ان قراءة الكتاب والاطلاع على منهج المؤلف يعطينا صورة منسجمة مع منهج الثعالبي في تأليفه . فالثعالبي يضع خطة معينة يلتزم بها في كل كتاب فهو يقسم كتبه الى ابواب ثم الى فصول تاركا تسمية بعض الفصول او يسميها باسم من يذكر له خبرا او شعرا ، وقد يسميها باسم الموضوع الذي يتناوله ، وهذا ما وجدناه في الكتاب الذي بين ايدينا .

اما فحص مادة الكتاب والاعلام والاخبار الواردة فيه فانها تضعنا امام احتمالين لكل منهما مبرراته في رفض نسبة الكتاب الى الثعالبي او ترجيح نسبتها اليه .

حين تتصفح الكتاب تجابهك اسماء اعلام لشخصيات متاخرة عن عصر الثعالبي ، واخبار عن حوادث وقعت بعد عصره بقرن او قرنين ومعلوم ان الثعالبي توفي سنة ٤٢٩هـ لذا يجب ان نتتبع هذه الاعلام والاخبار .

١ ـ ينقل المؤلف في الورقة (٨) وضمن الباب الثاني (في فضائلها ومنافعها) ينقل خبرا من كتاب اخبار الدولة السلجوقية يذكر فيه ان السلطان ملكشاه تغير على وزيره نظام الملك الحسن بن علي بن اسحاق وارسل اليه خادمه صندل ليبلغه رأيه فيه ويطلب منه ان يقصر عما هو عليه ويهدده ان لم يستجب له .

ونظام الملك المذكور في النص هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الوزير الاديب المشهور . استوزره السلطان الب ارسلان ، وبقي في خدمته عشر سنين ، ومات الب ارسلان فاستخلفه ولده ملك شاه ، فصار الامر لنظام الملك . واخيرا اغتيل على مقربة من نهاوند سنة ٤٨٥ (٢) .

وفي الورقة ٩ ابيات لابن الموصلايا في مدح نظام الملك مطلعها :

ذراها في ازمتها تهادى	وعاد بها الثنايا والوهادا
ولما أن تفرد بالمعالي	وادرك في مداها ما ارادا

وابن الموصلايا هذا شاعر من كبار الكتاب في العصر العباسي وكان يقال له منشيء دار الخلافة ، خدم الخلفاء خمسا وستين سنة ابتداء من امر القائم بامر الله سنة ٤٣٢ حتى توفى سنة ٤٩٧هـ (٣) . وابياته المذكورة اعلاه تتمة للخبر السابق حيث ان الحديث مستمر عن نظام الملك ووصف اخلاقه ومزاياه فيقول : وكان نظام الملك من نوادر الزمان ... ثم يذكر الابيات .

٢ ـ في الباب الثالث فصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء ويصرح المؤلف بأنه سمع الكمال بن جهير يحكي ان الوزير عون الدين ابن هبيرة كتب الى الخليفة المستنجد بالله يتودد اليه ويشكره بقوله :

اقسمت بالآيات والكلمات في نص الكتاب	
وبباسط الارض القرار	وسامك السبع الصلاب
اني احبك مخلصا	من غير شك وارتياب
واحب ملكك للدنا	ما بين بعد واقتراب
فلانصحنك ما حييت	واجعلن رضاك دابي
ولانفقن فيك الحياة	واشركنك في التراب

وعون الدين ابن هبيرة اسمه يحيى ، وكنيته ابو المظفر وزير للخليفة المقتفي المتوفى سنة ٥٦٠هـ . ولما انقضت أيام المقتفي ، وبويع بالخلافة للخليفة المستنجد اقر ابن هبيرة على وزارته حيث توفى ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ (٤) .

٣ ـ في الورقة ١٧ نص يقول فيه :

سمعت القاضي الفاضل ينشد مذاكرة :

اذا ما انجلى الراي فاحكم به
ولا تحكمنَّ بما يشتبه
ونبِّه فؤادك عن غفلة
فان الموفق من ينتبه

وقال : يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من العلماء ، ولا يستشار اهل الحرب كالزند يستنبط منه النار فانه يصليها ولا يصطليها .

والقاضي الفاضل الذي ينص المؤلف على انه سمعه هو مجيدالدين ابو علي عبدالرحيم المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وكان وزير السلطان صلاح الدين الايوبي وكاتبه (٥) .

بعد هذا الخبر مباشرة وفي نفس الورقة خبر اخر يقول فيه :

وقرات في رسالة كتبها عبدالله بن حمزة العلوي باليمن تتضمن وصيته الى عاملين من عماله ...

وعبدالله بن حمزة العلوي هذا احد ائمة الزيدية ... بويع له سنة ٥٩٣هـ وتوفى سنة ٦١٤هـ (٦) .

٤ ـ في الورقة ٢٥ وضمن الباب الخامس في ذكر كفاة الوزراء ، ونكت الفاظهم يعدد المؤلف الوزراء الكفاة في الدولة الاموية والعباسية . ويعدد من وزراء الدولة العباسية ابا سلمة الخلال ، وأبا أيوب المورياني ، ويعقوب بن داود والبرامكة ... ثم يعدد العوائل التي وليت الوزارة فيذكر بنيالفرات وبنيمقلة ثم يذكر اسمين لعائلتين تولتا الوزارة تستوقف الانتباه وتستدعي المناقشة وهما بنو جهير وبنو رئيس الرؤساء .

ثم يعدد الوزراء الذين وزروا للعجم فيذكر منهم الطغرائي ونظام الملك ويسميهم الذين وزروا للعجم تمييزا لهم عنالوزراء الذين وزروا للخلفاء بينما تولى هؤلاء الوزراء للامراء السلاجقة .

وحين يعدد وزراء ملوك المغرب يذكر ضمنهم ابن حزم وابن زيدون وابن عباد .

---

(٢) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٢٨ـ١٣١

(٣) المنتظم ٩ : ١٤١ ، وفيات الاعيان ٣ : ٢٤٨

(٤) وفيات الاعيان ٦ : ٢٣٠ـ٢٤٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢٢٩ .

(٥) انظر الكنى والالقاب ٣ : ٤٧

(٦) انظر الاعلام ٤ : ٢١٣ .

ونأتي الان لاستعراض هذه الاسماء فنجد ان المؤلف يتتبع اسماء الوزراء تاريخيا ، ويذكرهم بتسلسل من عهد الامويين ثم العباسيين منذ ايام نشوء دعوتهم ودولتهم ، الا ان ذكر بني جهير وبين رئيس الرؤساء هو الذي يثير التساؤل ، لان بني جهير عرفوا بعد وفاة الثعالبي وهم ينسبون الى ابيهم ابن جهير وهو محمد بن محمد بن جهير الملقب بفخر الدولة مؤيد الدين ابو نصر ، استوزره الامير نصر الدين احمد ابن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم استوزره الخليفة وتوفى سنة ٤٩٣هـ .

ومن بني جهير ابو منصور عميد الدولة . ولي الوزارة ببغداد لثلاثة من الخلفاء ، سجنه الخليفة المستظهر بالله ، الى ان امر بقتله سنة ٤٩٣هـ (٧) .

وممن ولي الوزارة من بني جهير ايضا نظام الملك ابو نصر المظفري بن علي ابن محمد وزير المقتفي المتوفى سنة ٥٥٥هـ . ولم تطل ايامه (٨) .

اما بنو رئيس الرؤساء فهم من العوائل التي وليست الوزارة بعد وفاة الثعالبي ايضا وهم ينسبون الى رئيس الرؤساء علي بن الحسين بن احمد بن محمد بن عمر وزير القائم قبل ابن جهير . ومن اجله وقعت فتنة البساسيري حيث قتله البساسيري لما دخل بغداد ومثل به سنة ٤٥٠هـ (٩) .

اما الوزراء الذين وزروا للعجم والذي ذكر منهم اسم نظام الملك والطغرائي فقد مرت بنا ترجمة نظام الملك . اما الطغرائي فانه متاخر وهو اسماعيل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد مؤيد الدين المتوفى سنة ٥١٣ هـ من الوزراء الكتاب المشهورين وصاحب القصيدة المشهورة بلامية العجم والتي مطلعها :

اصالة الراي خانتني عن الخطل(١٠)

اما وزراء المغرب فقد ذكر منهم ابن حزم الوزير والعالم الاندلسي المشهور واسمه علي بن احمد بن سعيد كانت له ولاية الوزارة ثم زهد عنها ، وانصرف الى العلم وتوفى سنة ٤٥٦هـ (١١) .

ومن وزراء المغرب الذي ذكرهم ابن زيدون احمد بن عبدالله بن احمد الشاعر الاندلسي المعروف وكان من اهل قرطبة انقطع الى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالاندلس) ، فكان سفيره الى ملوك الاندلس . ثم اتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه الوزارة الى ان توفى باشبيلية في ايام المعتمد على الله سنة ٤٦٣ (١٢)

٥ ـ في الورقة (٣٦) مقطوعة لابي اسماعيل الطغرائي من قصيدة اولها :

على الالاف الواديين سلام
وبعض تحايا الزائرين غرام
هم شرعوا ان الجفاء محلل
وهم حكموا ان الوفاء حرام

وذكر منها في الاستعطاف :

اجلك ان القاك بالعذر صادقا
وبعض اعتذار المذنبين خصام

وقد مر بنا ان الطغرائي شاعر توفي بعد عصر الثعالبي بقرن حيث توفى سنة ٥١٣هـ .

* * *

هذه هي المآخذ التي تؤخذ على نسبة الكتاب للثعالبي وتشكك فيه لان النصوص المذكورة متعلقة بفترات متاخرة عن عصر الثعالبي . وبعد دراسة هذه النصوص ومكان ورودها مع دراسة نصوص المخطوط ونقدها يتوضح لنا انها زيادات ليست من اصل كتاب تحفة الوزراء ، ذلك ان مقارنة نسخ الكتاب المختلفة تهدينا الى حقيقة كونها عدة نسخ لاصل واحد نسخه ناسخ متاخر ، واضاف اليه هذه الزيادات ودليلنا على هذا القول مستند على دراستين ، الاولى دراسة النصوص المضافة والثانية دراسة النصوص الاخرى الواردة في الكتاب .

ان تتبع هذه الزيادات يبين لنا انها اضيفت في نهايات وخواتيم بعض الفصول وكان الناسخ كان يضيف بعض ما يخطر بباله من نصوص متعلقة بالفصل ناسيا لجهله انها نصوص متاخرة عن عصر الثعالبي الذي ينسخ كتابه .

فالنصان المدرجان تحت رقم (١) اضيفا في خاتمة الفصل الاول من الباب الثاني حيث ياتي بعده الباب الثالث .

اما النص رقم (٢) فانه في خاتمة فصل سماه بفصل يشتمل على نبذ جرت بين الملوك والوزراء حيث لم يذكر المؤلف فيه الا خبرا عن المامون ووزيره الحسن بن سهل وكان الناسخ وقد خطر بباله خبر عن المستنجد بالله اضافه ليزيد طول هذا الفصل بما ينسجم مع الفصول الاخرى . وان كانت مسالة طول الفصول وقصرها عند الثعالبي غير خاضعة لخطة معينة حيث يزيد طول بعضها فيتجاوز الصفحات ، ويقصر بعضها الاخر فلا يتجاوز الخبر الواحد او الشخص الواحد .

اما الخبران المدرجان تحت رقم (٣) فانهما الوحيدان اللذان وجدناهما وسط فصل ، وليس في خاتمته كما افترضنا ان تكون الزيادات . الا ان اقحامها يبدو واضحا وسط اخبار واشعار متناثرة لفترات متقدمة حيث يبدو فيها ورود الخبرين المتاخرين غير منسجم ابدا .

اما مجموعة الاعلام الواردة ضمن الفقرة (٤) فانها تصدق عليها فرضية كونها زيادة من الناسخ ، لانها ايضا وقعت في خاتمة الباب الخامس وكان الناسخ وهو يكتب ويستعرض مع المؤلف اسماء كفاة الوزراء ومشهوريهم والعوائل التي وليت الوزارة اراد لجهله ان يتم الفائدة فاضاف في نهاية الباب ما بلغ علمه من الوزراء الذين تلت فتراتهم فترة حياة الثعالبي المؤلف حيث ياتي بعده فصل جديد في نبذ ونكت لطائف الوزراء ومحاسن الفاظهم .

ورب معترض يعترض على نفي هذه الشكوك ومناقشتها

---

(٧) وفيات الاعيان ٥ : ١٢٧ـ١٣٤ ، الفخري في الاداب السلطانية : ٢١٤ .
(٨) الفخري : ٢١٥
(٩) الفخري : ٢١٥ ، تاريخ الخلفاء : ٤١٨
(١٠) انظر وفيات الاعيان ٢ : ١٨٥ـ١٩٠
(١١) ارشاد الاريب ٥ : ٨٦ـ٩٧ ، وفيات الاعيان ٣ : ٣٢٥ـ٣٣٠ .
(١٢) وفيات الاعيان ١ : ١٣٩ـ١٤١ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية ١ : ١٨٦ .

قائلا : ومن ادراك ان هذه النصوص زيادات وليست اصلا لمؤلف متاخر سمّى كتابه بنفس اسم كتاب الثعالبي ، ثم وهم بعض النساخ فابدلوا اسمه باسم الثعالبي لشهرته !؟

اقول ان هذا الاعتراض مرفوض لادلة اخرى اعتمدنا فيها على دراسة المخطوطة نفسه ، ونقد نصوصه واخباره وهي :

اولا ـ يذكر المؤلف في مقدمة كتابه انه الف هذا الكتاب واهداه الى الوزير ابي عبدالله الحمدوني بعد ان خدم مولاه خوارزمشاه واهداه كتابه الملوكي يقول (الورقة ٢) .

وبعد : فاني حين خدمت مولانا ملك الزمان وفريد العصر والاوان خوارزم شاه ثبت الله ملكه ، وجعل الدنيا كلها ملكه بالكتاب المسمى بالملوكي ، خطر لي ان اخدم وزيره الاعظم، ومشيره الافخم ابي عبدالله الحمدوني بهذا الكتاب في سياسة الوزراء ، وان كان مقامه الشريف مستغن عن ذلك لسلوكه تلك المسالك ، وانما قصدت به استجداء مواهبه الجسام ، ومكارمه العظام . ووسمته بتحفة الوزراء ..

وخوارزمشاه هذا امير اتصل به الثعالبي فاكرمه واثابه وتوطدت العلاقة بينهما فذكره الثعالبي في اكثر من كتاب . قال الثعالبي في مقدمة كتابه نثر النظم وحل العقد(١٣) .

(أيام مولانا الملك المؤيد ، العالم المسدد ، ولي النعم ابي العباس خوارزمشاه ادام الله سلطانه وحرس عزه ومكانه مواقيت الشرف ...) ثم صرح باسمه الكامل في مقدمة كتابه الكناية والتعريض حين قال (عونك اللهم على شكر نعمتك في ملك كملك ، وبحر في قصر ، وبدر في دست ، وغيث يصدر عن ليث ، وعالم في ثوب عالم ، وسلطان بين حسن واحسان :

لولا عجائب صنع الله ما نبتت
تلك الفضائل في لحم ولا عصب

هذه صفة تغني عن التسمية ، ولا تحوج الى التكنية اذ هي مختصة بمولانا الامير السيد الملك المؤيد ولي النعم ابي العباس مامون بن مامون خوارزم شاه مولى امير المؤمنين ادام الله سلطانه ...) (١٤)

وحين نبحث عن ترجمة خوارزم شاه مامون بن مامون نجد ذكر له حيث نقل البيهقي في تاريخه عن كتاب مسامرة خوارزم لابي الريحان البيروني ترجمة خوارزم شاه هذا حيث وصفه بانه كان اخر امراء اسرته حيث انتهت بوفاته دولة المامونيين وانه كان رجلا فاضلا ، شهما ، نشيطا اديبا يرعى الادباء والعلماء . ثم ينقل خبرا (البيروني) عمن حدثه عن الثعالبي يحكي فيه حديثا جرى بينه وبين خوارزم شاه فيصف الثعالبي قبل ذكره لخبره بقوله (وكان قد رحل الى خوارزم شاه فترة والف باسمه كتبا كثيرة سمعته يقول : كنا ذات يوم في مجلس الشراب نتحدث في الادب فجرى الحديث عن نظر ثقال خوارزمشاه .... الى اخر النص) (١٥) .

ثانيا :

ورد في الورقة الرابعة ما يلي :

(وقال لي يوما ابو الفتح البستي الكاتب : لم اعلم الى البارحة ان ابا اسحاق الصابي اكتب الناس وابلغهم ولولا الديانة لقلت اعقلهم فاني عثرت ...)

وابو الفتح هذا اديب معاصر للثعالبي اسمه علي بن محمد ابن الحسين توفى سنة ٤٠٠هـ ، خدم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ثم اخرجه هذا الى ما وراء النهر فمات هناك (١٦) .. وقد ترجم له الثعالبي ترجمة طويلة وذكر كثيرا من اشعاره وغرر اقواله واخباره (١٧) .

ثالثا :

في الورقة (٥) يستمر حديث المؤلف عن ابي الفتح البستي فيقول :

وقال لي يوما بنيسابور وقد اخذنا باطراف الاحاديث بيننا: ما احوج الامير سيف الدولة يعني السلطان المعظم يمين الدولة وامين الملة اعز الله تعالى انصاره ، لانه كان اذ ذاك صاحب الجيش للامير الرضي نوح ابن منصور (الساماني) رضي الله تعالى عنه ـ ويلقب بسيف الدولة ـ الى وزير كما انشدتني لنفسك :

كتب الامير كتائب في المعركة
والرأي منه طبيب داء المملكة
واذا رمى بالظن خطبا مشكلا
اضحت ستورالغيب عنهمهتكة

ومنجم ، كما انشدتني لنفسك :

صديق لنا عالم بالنجوم
يحدثنا بلسان الملك
ويكتم اسرار سلطانه
ولكن ينم بسر الفلك

انتهى النص)

من المعلوم ان يمين الدولة وامين الملة صاحب الجيش هو ابو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين الذي اهدى له كتابه الاقتباس (١٨) .

اما نوح بن منصور فهو امير ما وراء النهر ولي الامارة بعد وفاة ابيه سنة ٣٦٦هـ وهو صبي وتوفى ببخارى سنة ٣٨٧ (١٩) وقد اتصل به الثعالبي ايضا ويصرح النص بسماع المؤلف كلام البستي مباشرة وحديثه عن فترة عاشها الثعالبي ايضا .

والبيتان الاخيران هما للثعالبي نفسه كما ورد في كتبه الاخرى (٢٠) .

---

(١٣) كذا في الاصل ويبدو ان كلمة أو جملة سقطت من أول النص . انظر نثر النظم ص ٢ .
(١٤) الكناية والتعريض : ١
(١٥) تاريخ البيهقي : ٧٣٤

(١٦) انظر وفيات الاعيان ٣ : ٣٧٦-٣٧٨
(١٧) انظر يتيمة الدهر ٤ : ٣٠٣-٣٤٦
(١٨) الورقة (١) من كتاب الاقتباس وقد انتهيت من تحقيق هذا الكتاب واخذ طريقه الى الطبع في مطبعة الحكومة ببغداد .
(١٩) مختصر الدول : ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، البداية والنهاية ١ : ٣٢٣ ، طبقات سلاطين الاسلام : ١٢٨ .
(٢٠) انظر ثمار القلوب : ٦٧٩ ، احسن ما سمعت : ١٦٢ ، من غاب عنه المطرب ٢٢٢ ، خاص الخاص : ٢٤٩ .

ثالثـا :

في الورقة ٢٧ يقول :

(وحدثني عون الهمداني قال : سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استؤذن على فخر الدولـة وهو في مجلس الانس الا انتقل الى مجلس الحشمة ...)

وابو عيسى المنجم احد معاصري الثعـالبي الذين ذكـر لهم شعرا في يتيمته وذكر له قصائد في مدح الصاحب بن عباد ووصف داره التي بناها في اصبهان (٢١) .

رابعـا :

في الورقة ٢٧ نفسها يستمر الحديث عن الصاحب بن عباد فيروي المؤلف رواية عن الهمداني . ويبدو انه يقصد به البديع، لان بديع الزمان من معاصري الثعالبي ايضا وقد لقيه وصحبه ، وكتب عنه ترجمة في اليتيمة (٢٢) ، وقال ياقوت عنه انه لـم يستقص احد خبره احسن مما اقتصه الثعالبي ، وكان قد لقيه وكتب عنه (٢٣) . وكان البديع قد اتصل بالصاحب بن عباد نفسه وعاش في كنفه وظلال كرمه (٢٤) .

خامسـا :

ورد في الورقة ٣٤ وضمن فصل بعنوان (في العفو وما يجري مجراه) :

(ولا ينبغي ان يعلن الوزراء بعقوبة من لم يعلن بذنبه فتكثر اللائمة بل يضع لذنب السر عقوبة السر ، ولعقوبة العلانية عقوبة العلانية ، الا في الحدود المامور باقامتها ، ولتكن عقوبته للادب لا للغضب . وقد ذكرت بعض ما ينبغي من ذلك في كتابي الملوكي المؤلف للملك خوارزم شاه .)

وقد مر بنا الحديث عن خوارزم شاه وصلة الثعالبي به ، واهدائه كتابه الملوكي له .

* * *

واخيرا اقول ان هذه الادلة كلها تؤكد وتثبت نسبة الكتاب الى الثعالبي . اما المآخذ التي ذكرتها فما هي الا مجرد زيادات اضافها ناسخ متاخر وعن نسخته كتبت نسخ اخرى متعـددة فوصلت نسخ الكتاب بشكلها الحالي . وقد وجدت ملاحظـة تؤيد ما ذكرناه من اعتبار هذه النصوص زيادات ليست من الاصل وجدت ملاحظة في هامش الورقة ٣٦ من نسخة فيض‌الله وعند ذكر قصيدة لابي اسماعيل الطغرائي اللاحقة هي ما يلي :

(من هنا الى قول الصابي زيادة ليس من رواية الاصل)

وحين تنتهي قصيدة الطغرائي تؤكد اللاحظـة بهامـش اخر هو :

(الى هنا ليس من رواية الاصل)

وبعدها تاتي ابيات للصابي في اشهار العفو .

ومع كل هذه الزيادات التي يمكن ان يهتدي‌اليها الباحث بالبحث والتمحيص يبقى كتاب تحفة الوزراء للثعالبي ارثا قيما من تراث الثعالبي الضخم ، وجانبا حيا من جوانب الفكـر العربي الاسلامي والحضارة العربية الزاهرة .

---

(٢١) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٢١٣

(٢٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥٦

(٢٣) ارشاد الاريب ١ : ٩٦

(٢٤) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ ، ارشاد الاريب ١ : ٩٦

● ● ●

ملاحظات جديدة عن

الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة

بقلم

عبداللطيف الراوي

اصدرت الدكتورة مليحة رحمةالله كتابها ـ الحالة الاجتماعية فيالعراق في القرنين الثالثوالرابع(١) بعد الهجرة ، والكتاب هو اطروحتها التي نالت بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بدرجة الشرف الاولى ، وقد راينا ان نسجل ملاحظات كثيرة نصحح بها معلومات ، او نوضح حقيقة ، او نعيد حقا (مسلوبا) ، ولقد سبقني الاخ الاستاذ بدري محمد فهد بتسجيل مثل هذه الملاحظات واخرج لها كراسا طبعه قبل فترة قصيرة ومع هذا ظلت هناك ملاحظات اخرى كثيرة فاتت على الاخ بدري او انه ما اراد ان يتعب قراءه لكثرة ما سجل منملاحظات، استغرقت سبعا وعشرين صفحة .

الملاحظة الاولى التي يمكن ان نسجلها هي في منهج البحث، فالسيدة الفاضلة لم تحاول استقصاء ودراسة مكونات الحياة الاجتماعية ، اي لم تتعرض في بداية كلامها للبنيه التحتية للمجتمع (الحياة الاقتصادية) والتي هي اساس البناء الاجتماعي لكل شعوب الارض ، ومن دراستها يمكن استخلاص مجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية ، فقد دخلت الدكتورة في عناصر المجتمع راسا ودون مقدمات ثم انتقلت الى موضوعات اجتماعية واخذتها بمظهرها السطحي ولم تتعمق فيها، كما انها نسيت كثيرا من الموضوعات والجوانب الاجتماعية كعلاقة الناس فيما بينهم ، وعلاقتهم مع الحكام ، ومظاهر المجون واللهو عند العامة والشذوذ الاخلاقي وانتشار الكدية والمكدين ، والتصوف والمتصوفين ... الخ من المسائل الكثيرة .

ومع كل هذا المنهج المضغوط السطحي ، المرتبك ، وقعت الاستاذة مليحة في مجمل تناقضات كما وضعت نفسها مواضع اتهام لا يمكن ان تتبرا منها :

١ ـ تتكلم الاستاذة على استخدام المعتصم للاتراك فتقول : ـ « ... وهناك عامل حمل المعتصم على استخدام الاتراك ، وهو كون امه تركية مما اثر في طباعه وحمله على حب الاتراك وتقريبهم . وقد وصف الجاحظ الاتراك في رسالته مناقب الترك(٧) بانهم بدو العجم وانهم يتميزون بقدرتهم على تحمل المتاعب ، كما اتصفوا بالشجاعة والقوة (٨) والطاعة في خدمة قوادهم (٩) » .

وتحيل القاريء في هامش(٧) الى رسائل الجاحظ ، وفي(٨) الى ابن حسول في تفضيل الاتراك وفي (٩) الى المسالك والممالك.

والقاريء للاسف لا يرى في هذه الاحالات معنى وهو يفهم ان الكلام على الاتراك الذي جاء حشوا هو كلام الجاحظ ولا ندري لماذا تكثر الدكتورة من الاحالة الى مصادر واحد منها يعوض عن البقية ، ثم نسال الدكتورة هل حقا اثر عامل الخؤولة وحده في دفع المعتصم الى تقريب الاتراك او ان هناك عوامل عديدة تحيط بالخلافة وبنائها هي التي دفعت المعتصم الى ذلك ؟

٢ ـ تقول الدكتورة في معرض حديثها عن الفرس « ولا ننسى ان الفرس بالرغم من تمتعهم ببعض الامتيازات ... الا انهم لم ينسوا ان العرب ازالوا مجدهم السابق فاخذوا يدبرون المؤامرات ضدهم وظهر ذلك في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (٢٥) » وهامش (٢٥) يقول (كانت متمثلة في حركات الشعوبية والزندقة) وحبذا لو ذكرت الاستاذة الفاضلة ما هي حركات الشعوبية والزندقة وكيف تفسر وجود مثل هذه الحركات ؟ وهل تؤمن فعلا بان العصر العباسي كان خاليا من بنائه من الشوائب بحيث تكون الحركات المناهضة حتى وان كانت فارسية حركات شعوبية او زندقة ؟

٣ ـ في ص ١٥ـ١٦ ترى الاستاذة ان الفرس اثروا في حياة الخلفاء من حيث البذخ والترف وبناء القصور ... الخ ويقيننا ان حياة البذخ والترف كانت معروفة عند اهل مكة وعند البدو قبل ان يختلطوا بالفرس وهذه الحياة هي خلق الترف المادي وعنف الاستغلال الطبقي ، وقد يكون الفرس اثروا في بعض الامور الحضارية كالبناء وغيره اما في عمليات البذخ وغيرها فاثر الفرس لا اهمية له .

٤ ـ الهامش (٣٩) ص١٧ ، حول اعياد الشيعة ، واثر البويهيين فيها فقد احالتنا المؤلفة الى المنتظم ج/٦ ص٧ وحين رجعنا لم نجد اي خبر في هذا الجزء بمجمله انما وجدناه وباسلوب مختلف في الجزء السابع ص١٥ .

٥ ـ ص٢٥ ، وضعت الدكتورة في كتابها هذا النص (يقول ابو حيان التوحيدي : ٨٧ « واحصينا في بغداد جانب الكرخ ستين وثلثمائة جارية ») ، وتحيلنا الدكتورة في الهامش (٨٧) الى الامتاع والمؤانسه وحين رجعنا اليه وجدنا ابا حيان يقول : بانه احصى ومعه جماعة من اهل الكرخ ، المغنيين والمغنيات الذين عرفوا في بغداد كلها فوجدوا « اربعمائة وستين جارية في

الجانبين ومائة وعشرين حرة وخمسة وتسعين من الصبيان البدور » !

٦ ــ ص٢٥ تقول الدكتورة « وكان للجارية التي تنصف بالجمال الف دينار » وتحيلنا الى ادم متز والذي يفهم من هذا الكلام انه كان يعطى للجارية على غنائها الف دينار بينما ادم متز يقول ان الالف دينار هي ثمن شرائها .

٧ ــ ص٣٠ : ظهر في العصر العباسي جماعة من المسلمين تفتخر بقرابتها من الرسول وبنسبها القرشي ...الخ هكذا تقول المؤلفة ، ولا اظن القاريء مهما كان بسيطا يوافقها على هذا الراي ، اذ ان هذه الجماعة لم تظهر في العصر العباسي طارئة ، فهي امتداد لما سبق ولم تكن تشكل ظاهرة اجتماعية متميزة .

٨ ــ ص٣٢ تقول المؤلفة « وكان الاشراف من بني هاشم باعتبارهم اقرباء الرسول يأخذون راتبا معينا من الحكومة الاسلامية وقد حرمت عليهم الصدقة » لم تشر المؤلفة من اين اخذت هذا الكلام وهو معلومات خبريه وليس انشاء وقد رجعت الى ادم متز فوجدت ان الكلام له ، وانه اعتمد على مصادر عديدة يراجع ادم متز ٢٦٢/١ .

٩ ــ ص٣٣ : تقول « وكانت تحدث في بعض الاحيان فتن بين الطالبيين والعباسيين فينحاز الى كل فريق اتباعه ١٣٨ » وترجعنا الى ابن الاثير وابن الجوزي ، وابن الجوزي اقدم من ابن الاثير والمفروض ان يقدم في التسطير وقد راجعت ابن الجوزي فرأيت ان خبره يتحدث عن فتنة حدثت بين الديلم والاتراك لا بين العباسيين والطالبيين .

١٠ ــ ص٣٥ الهامش١٤٩ ارجعتنا به الى ادم متز ٦٠/١ ولا وجود لمثل هذا النص الذي ذكرته المؤلفة في ادم متز .

١١ ــ ص٣٨ : ذكرت المؤلفة هذا الكلام « ولم يكن النصراني يرث اليهودي ، ولا اليهودي يرث النصراني ، كما لم يكن النصراني او اليهودي يرث المسلم ، ولا المسلم يرث غير المسلم ، يهوديا كان ام نصرانيا » (١٦٤) ، واحالتنا في الهامش ١٦٤ الى كتاب استاذها محمد جمال سرور (الحضارة الاسلامية في الشرق) وقد وجدت « ومن حسن حظ المؤلفة » ان هذا الكلام هو كلام ادم متز بحذافيره وقد جاء في الجزء الاول ص٥٩ .

١٢ ــ ص٣٨ : بعد النص ١٦٤ تقول المؤلفة « وان ترد تركة من مات من اهل الذمة ولم يخلف وارثا على اهل ملته » ولقد اوردت المؤلفة هذا الكلام بما يوحي انه لها والحقيقة انه نص من كتاب اصدره الخليفة المقتدر في المواريث عام ٣١١هـ (ينظر متز ٥٩/١) .

١٣ ــ ص٤١ : تقول المؤلفة (وقد كتب للصابئين في منتصف القرن الرابع كتاب عن امير المؤمنين (المطيع لله) أقر فيه الى جانب صيانتهم وحراستهم والذب عن حريمهم ... الخ) وقد ظهر للقاريء ان هذا من انشاء المؤلفة والحقيقة ان هذا الكلام ما عدا (المطيع لله) هو من كلام ادم متز ٦٠/١ .

١٤ ــ ص٤٢ : تقول المؤلفة (ويقول هلال الصابي ١٨٦ «ان صابئه حران تعبد الكواكب الخ النص الذي فتحت له قوسا ولم تقفله ولم تنهه ، وارجعتنا الى رسوم دار الخلافة مرتين ص٦ ، ص٧ .

ولعلم المؤلفة الفاضلة ان ص٦ ، ص٧ تقع ضمن المقدمة الطويلة التي كتبها محقق رسوم دار الخلافة الاستاذ ميخائيل عواد ، وان هذا الكلام الذي نسبته الى الصابي هو كلام المحقق على نسب الصابي .

١٥ ــ ص٤٧ : في حديث المؤلفة عن العلماء تقول (ومنهم من لعب دورا كبيرا في توجيه العامة كأبي حيان التوحيدي ٢١٤) وترجعنا الى احمد امين في ظهر الاسلام ، ونحن لا ندري مثل المؤلفة تماما الى اي شيء يوجه العلماء العامة وماذا كان دور ابي حيان في عملية التوجيه هذه .

١٦ ــ ص٥٤ : في حديث المؤلفة عن العيارين ، ترجعنا في الهامش ٢٦٨ في جملة مصادرها الى تلبيس ابليس ص٣٧٨ ولا وجود لنص في هذه الصفحة يسند قول المؤلفة .

١٧ ــ ص٥٤ــ٥٥ : وفي الحديث ايضا عن هذه الفئة تقول (وتميزت حركاتها بالطابع الثوري ٢٦٩) وترجعنا الى المسعودي ج٣١٥/٢ ، والمسعودي بريء من هذا النص وهذه اللفظة (لاحظ الثوري) .

١٨ ــ ص٥٦ : الهامش ٢٨٣ ترجعنا فيه الى الاوراق ، والاوراق اجزاء كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط ومنها ما هو مفقود فالى اي كتاب من الاوراق نرجع ياترى ؟! .

١٩ ــ ص٥٩ : تقول (فحدد معزالدولة راتبا قدره خمسة الاف دينار شهريا للمستكفي ، وكذلك الحال مع المطيع والطائع وغير هؤلاء ...) ، ويفهم من هذا الكلام ان معز الدولة حدد للمطيع والطائع وغيرهما راتبا بقدر راتب المستكفي ، والحقيقة ان راتب المستكفي الغي ، واقطع المطيع ومن بعده الطائع (ولم يعاصر غيرهما) قطعة ارض للعيش على وارداتها .

٢٠ ــ ص٦٥ : كان الاجدر ان تضع حكاية الصولي عن بذخ الراضي وقد نقلتها نصا بين قوسين .

٢١ ــ ص٦٨ : في حديثها عن الالبسة النسائية ارجعتنا الى الف ليلة وليلة ، والى مصادر اخرى ، وهذا المصدر لا علاقة له بالحياة الاجتماعية في العراق ابدا ، فالف ليلة متاخر عن العصر الذي تتكلم عليه المؤلفة ولم ترجع الى حكاية ابي القاسم البغدادي ففيها ما يغني عن الرجوع الى مصادر كثيرة .

٢٢ ــ ص٧٤ : تقول المؤلفة (وكان للوزير ابن مقلة قصر كبير انفق على بنائه مائة الف دينار الحق به بستانا كبيرا (١١١) والهامش (١١١) يرجعنا الى المنتظم ٢٣١/٦ ، وحين فتشنا هذه الصفحة لم نجد مثل هذا النص ولا ما يشبهه وقد وجدنا في صفحة ٢١٠ في الجزء نفسه قول ابن الجوزي (وكان له بستان عدة اجربة ... الخ) ولم يقل انه ملحق بالدار .

٢٣ ــ ص٧٧ : تذكر المؤلفة ان المقتدر صادر في جملة من صادر علي بن عيسى وترجعنا الى المنتظم والى البداية والنهاية ولم يذكر صاحب المنتظم في الصفحة التي اشارت اليها ٢٨٩/٦ أي شيء عن المقتدر ومصادرته لعلي بن عيسى انما (ذكر ان الخليفة الراضي قد عرض على علي بن عيسى الوزارة فابي واحاله الى اخيه عبدالرحمن بن عيسى الذي عجز فقبض عليه ... ويبدو ان المؤلفة لم تفرق بين المقتدر وابنه الراضي وبين علي واخيه عبدالرحمن .

٢٤ ــ ص٨٩ : لا حاجة للتمثيل بالغناء في عصر الرشيد وجعله نموذجا .

٢٥ ـ ص٩٢ : في الحديث عن مجالس الغناء تقدم وتؤخر فتذكر مجالس ابن الفرات ثم تعود وتذكر مجالس الوزير قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد وابن الفرات متاخر عن قاسم ابن عبيدالله وزير المعتضد ...

٢٦ ـ ص٩٤ : لا داعي للتركيز على المغني الموصلي وعهد الرشيد لان هذا العصر بعيد عن دراستها .

٢٧ ـ ص٩٤ : تقول المؤلفة (اما مجالس الطرب والغناء عند العامة فعلى الرغم من انه لم يرد في كتب التاريخ والادب معلومات وفيرة عن مثل هذه المجالس فانه مما لا شك فيه ان بعض العامة من المسلمين كانوا يحضرون حفلات تتناسب مع مستوى معيشتهم «٧٢») ، والهامش ٧٢ يرجعنا الى نشوار المحاضرة ولا ندري ماذا يقول صاحب نشوار المحاضرة عن هذا الذي يلصق به .

اننا ننبه المؤلفة الى ان العامة كانت لهم المجالس العديدة ولو راجعت سجل المغنيات عند ابي حيان في الامتاع لعرفت ولع العامة بالغناء وكذلك الامر في حكاية ابي القاسم وهنا لابد ان اتساءل لم خصت بعض العامة من المسلمين ، والكتاب عام عن المسلمين وغيرهم من الملل والطوائف ..

٢٨ ـ ص ٩٧ : تقول في حديثها عن القصاص (واصبحت مجالسهم عامرة في المساجد ٩٢ او الطرقات ٩٣ او الاسواق ٩٤ بل وفي المقابر ايضا ٩٥) ، وللتاريخ نقول ان المصادر التي اشارت اليها في ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، لم تقل ولم تقرر مثل هذه الاشياء بالصورة الحاسمة التي قررتها المؤلفة الفاضلة لناخذ مثلا الهامش ٩٢ والذي ارجعتنا فيه المؤلفة الى ابن الجوزي في المنتظم ١٠/٨ وحين رجعنا الى ابن الجوزي وجدناه يقول في حديثه عن علي بن هلال المعروف بابن البواب انه كان (يقص بجامع المدينة) ولم يشر الى ان مجلسه كان عامرا من بعيد او قريب .

٢٩ ـ ص٩٩ ، ١٠٠ : شوهت كلام متز عن الوعاظ (ينظر متز ١١١/٢)

٣٠ ـ ص١٠٠ : تقول المؤلفة (وكذلك ابن سمعون الواعظ الذي كان مترفا في حياته ١١٤) والهامش ١١٤ يرجعنا الى المنتظم ١٩٨/٧ والمنتظم لم يذكر حين ترجم لابن سمعون انه كان مترفا .

٣١ ـ ص١٠١ تقول المؤلفة (واتخذ الوعاظ في مجالسهم في اماكن متعددة غير المساجد منها المقابر ١١٦ وبعض المحال العامة) (١١٧) ويرجعنا الهامش ١١٦ الى ابن الجوزي في المنتظم ٨٩/٩ ، وحين راجعنا المنتظم في الجزء والصفحة المشار اليهما، وجدنا ابن الجوزي يقول في ترجمته لرزق الله بن عبدالوهاب (وكان يمضي في السنة اربع دفعات في رجب وشعبان وعرفه وعاشوراء الى مقبرة الامام احمد ويعقد هناك مجلسا للوعظ) .

واذا علمنا ان هذا الواعظ قد توفي عام ٤٨٨هـ ادركنا البون الشاسع بين عصر المؤلفة وزمن الواعظ ، نضيف الى هذا ان مبادرة هذا الواعظ كانت فردية لا تعمم بهذا الشكل ..

اما الهامش ١١٧ فيرجعنا الى المنتظم ٣٠/١٠ والمنتظم هنا يتكلم على شيوخ ووعاظ عاشوا سنة ٥٢٧هـ فانظروا الدقة في البحث .

٣٢ ـ ص١٠٢ : تتكلم على المراسيم التي عرفت بالاعتقاد والقادري وتنسبها الى ابن الجوزي في المنتظم وابن الجوزي في الموضع الذي اشارت اليه المؤلفة يتكلم على حوادث سنة ٤٢٠ واظن ان هذه السنة بعيدة عن عصر المؤلفة نوعا ما . وكذلك تتحدث عن الاعتقاد القائمي وتقول انه اذيع سنة ٤٢٢هـ وتنسب ذلك الى ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الجوزي في المكان الذي اشارت اليه المؤلفة يتحدث عن اخبار سنة ٤٦٠ للهجرة واظن ايضا ان المؤلفة قد ابتعدت كثيرا عن عصرها .

٣٣ ـ ص١١١ : تقول المؤلفة (اما عادات الحزن على الموتى فقد سادت مدن العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء ، فيروى ان ام المقتدر حزنت حزنا شديدا على وفاة ابنها الخليفة المقتدر) بالله ، ما هذا الاكتشاف الخطير حول الحزن ؟! اما كان الاجدر بالمؤلفة الفاضلة ان تحدثنا عما يفعلون في المآتم من لطم مثلا او قراءة قرآن او اقامة الفواتح او غير ذلك ، بعد هذا نتساءل ما معنى هذه العبارة (وشملت جميع طبقات المجتمع حتى نساء الخلفاء) ايمكن ان يكون الحزن غريزة انسانية بعيدة عن مجتمع نساء الخلفاء فجاءت وشملتهن في هذين القرنين ؟ يجوز !! .

٣٤ ـ ص١١١ : ايضا تقول المؤلفة (اما عن ثياب العزاء فان المؤرخين لم يمدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها على اننا نستطيع ان نقول ! انه كان يغلب عليها اللون الاسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر سنة ٦٤٠ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء في يوم وفاة هذا الخليفة «٣١»)

والهامش «٢١» يرجعنا الى ابن الجوزي في المنتظم ٢٩٥/٨ ولعلم القراء نقول : ان ابن الجوزي توفي سنة (٥٩٧هـ) اي قبل وفاة الخليفة الذي ذكرته بثلاث واربعين سنة فكيف تسنى لابن الجوزي الميت ان يؤرخ للمستنصر ، ربما هذه عجيبة جديدة !! ، ومع هذا رجعنا الى المنتظم ٢٩٥/٨ فوجدنا ان ابن الجوزي يتحدث عن وفاة الخليفة القائم بامر الله سنة ٤٦٧ هـ ، ولم يذكر ايضا ان رجال الدولة قد لبسوا ثيابا يغلب عليها اللون الاسود ، اظن ان الامر لا يحتاج الى محاججة ..

٣٥ ـ ص١١١ : الاقوال التي ذكرتها المؤلفة حول العادات الفارسية ، والتي اعطتها رقم ٢٣٦ ورقم ٣٧ ونسبتها الى البيروني والثعالبي ، وكانت والحقيقة عملية نقل مشوه عن آدم متز ٢٩٠/٢ ولم تعتمد المؤلفة كما رايت على البيروني ولا على الثعالبي ابدا ، اشارت الى المصادر نفسها التي اشار اليها متز ، وحبذا لو تركتها كما وضعها متز ولكنها للاسف غيرت فشوهت ، فقد ذكر متز انه راجع البيروني في الآثار الباقية ص ٢٢٣ وجاءت المؤلفة وقالت انها راجعتها ص ٢٢٢ وذكر متز النهادي واشار الى اليتيمة ٦٥/٤ فجاءت المؤلفة وابدلت ٦٥/٤ ب ٢٨١/٢ وشستان بين الرقمين ، حتى وان اختلفت الطبعات .

٣٦ ـ ص١١٥ : تقول المؤلفة (كانت مظاهر الاسلام تتجلى في الاحتفال بعيدي الفطر والاضحى في جميع البلاد الاسلامية وبخاصة طرسوس حيث يتوافد اليها غزاة المسلمين من انحاء الدولة الاسلامية ٥٧) .

وترجعنا في هامشها «٥٧» الى استاذها محمد جمال سرور، واذا كان الامر كذلك ، ولا اظنه كذلك فقد توهمت هي واستاذها،

فلم يكن هناك بلدة اسمها طرسوس ، انما هي طرطوس وهي في سوريا على الساحل وهذا الكلام على ما رايته منقول نقلا مشوها من آدم متز ٢٩٢/٢ .

ثم لم تبين لنا المؤلفة ما علاقة العراق بطرطوس وحتى ان كانت هناك علاقة فلماذا كانت طرطوس مركزا لابهة هذين العيدين لماذا لم تفسر ذلك ؟

٣٧ ـ ص١١٦ : الهامش ٦٥ اعتمدت فيه على المنتظم ٣٥/١٠ والجزء العاشر يتكلم فيه ابن الجوزي على حوادث القرن السادس ، فلماذا تستند المؤلفة على اخبار القرن السادس في استخلاص قضايا اجتماعية المفروض انها تسجلها للقرنين الثالث والرابع للهجرة .

٣٨ ـ ص١٢٣،١٢١ : الهوامش ١٠٣،١٠٤،١٤٥ ، والتي تنسب اقوالها الى تلبيس ابليس لم اجدها في هذا الكتاب بالرغم من مراجعتي الطبعة التي اعتمدتها المؤلفة ، ومحاولتي ايجاد تعليل لما وقعت فيه بان أقلب ارقام الهوامش أو ابدلها لعل الطباع سها او أغفل لكن هيهات .. وهناك هوامش غير هذه كثيرة نسبتها المؤلفة الى كتب لم اجدها ، وعزوت ذلك الى خطا مطبعي او سهو ، او غير ذلك .

هذه ملاحظات قصيرة اردت ان اسجلها على المؤلفة الفاضلة راجيا من عملي خدمة الحقيقة التاريخية آملا ان تكون البحوث الادبية والتاريخية الاكاديمية بمستوى المسؤولية .

* * *

الأدب العـراقي القـديم
ومصـادر رسـالة الغفـران

بقـــلم
طراد الكبيسي

يحتل الادب العراقي القديم (اساطير وملاحم وقصـــائد غنائية ..) مكانة خاصة من بين التراث العربي والانساني . لدى بعض الشعراء العراقيين المعاصرين (البياتي ـ السياب ـ حسب الشيخ جعفر) وقبلهم بزمن طويل : ابو العلاء المعري في رسالة الغفران .

والذي نعتقده اولا ، ان تأثر المعري بهذا الادب كان تأثرا غير مباشر ، من خلال الموروث الشعبي الشائع . ذلك ان هذا الادب ، لابد انه كان شائعا ـ دون ان تعرف اصوله ـ على شكل حكايات واساطير وخرافات ، ومتداخلا مع مصادر التراث الانساني الاخرى : اليوناني والفارسي خاصة .

وقد يبدو وهذا الزعم غريبـا ، خاصـة وان الدراسـات التي تناولت رسالة الغفران وكشفت مصادرها ، تجاهلت هذا الادب تماما ـ جهلا به او تجاهلا له ـ واعتبرت الكثير من الاساطير والصور التي تضج بها رسالة الغفران ، على انهـــا يونانية . .

(دراسات لويس عوض مثلا) بينما هي في حقيقتها ليست سوى اساطير وصور عراقية شائعة في الموروث الشـــعبي الشفاهي ، او متحولة من صيغتها العراقية الى صيغـــة يونانية او فينيقية ، وربما فرعونية . فادونيس مثلا وانيرورس ليسا الا رموز البابلي .

واوديسيوس ليس الا صورة متحولة لجلجامش بطل الملحمة المشهورة باسمه . وفينوس هي عشتار ... ونحن هنا ، وان كنا لا نجزم بتأثر المعري بالادب العراقي القديم الا بقدر ما يرد الشيء الى اهله ولكن اذا كان البعض يفترض تأثر المعـري بالاداب اليونانية القديمة استنادا الى اصول القصائد والخرافات والصور ، واذا كانت هذه الصور والمعتقدات عراقية ، واقدم وجودا من متشابهاتها في الاداب الاخرى ، واكثر شـــيوعا .. فالاولى اذن ان نفترض تأثر المعري بها لاسباب تاريخية وحضارية وبيئية بحيث يبدو الفرض اكثر واقعية من ارجاعه الـــــى متشابهات ابعد .. دون ان ننكر امكان تأثر المعري بتلك الاداب، بل انه ليبدو في كثير من الصور الاخرى والتي اشار اليهاالدكتور لويس عوض في كتابه وعلى هامش الغفران) (١) اكثر قربا الى نان من اي مصدر اخر .

* * *

يفترض الدكتور عوض ان المعري حين يحدثنا عن (طعام الخلود) وشراب الخلود او « ماء الحيوان » كما جاء في رسالة الغفران اذ نرى ابن القارح يتنزه في ريـــاض الجنة على نجيب من در وياقوت ومعه شيء من طعـــام الخلود ، ذخر لوالد سعد او مولود (٢) ومثل هذا شراب الخلود او شراب « النكتار » كمـا يسـميه القدمـــاء ،

قال المعري :

« وتجري في اصول ذلك الشجر ، انهار تختلج من ماء الحيوان والكوثر يمدها في كل اوان ، من شرب منها النغبة فلا موت ، قد امن هنالك الفوت ... » (ص١٤١) .

يفترض الدكتور عوض ان « طعام الخلود » وشراب الخلود هذا ، وهـو مـا كـان يسـمى في الاداب القديمـــة « الامبروزيا » (العنبر) قد استقاه المعري من الاداب اليونانية طالما انه ذكر له في المصادر الاسلامية (ص ١٢٤) .

وقد يكون حقا لا ذكر لهذا في المصادر الاسلامية ولكن له ذكرا في المصادر العراقية القديمة ، وهي اقدم بكثير من المصادر اليونانية ، ونجد ذلك في قصة ـ آدابا ـ السومرية ، التـي تروي ان ـ آدابا ـ كان صيادا معنيا بتزويد الالهة بالسمك ، وبينما كان يصطاد السمك ذات يوم ، هبت الرياح الجنوبيـة فقلبت قاربه ، فضربها وكسر جناحها فلم تهب لسبعة ايام ، مما لفت نظر الاله آنو ، فارسل في طلب آدابا واستكشف خبره، وتقبل اعتذاره ، واراد ان ينعم عليه بالخلود فقدم له خبـز الحياة وماء الحياة ، فرفضه تنفيذا لوصية ابيه (ايا) خشية ان يكون ما قدم له هو ماء الموت وخبز الموت ، وبذلك اضاع آدابا فرصة الحصول على الخلود .

---

(١) كتاب الهلال . ع (١٨١) ابريل ١٩٦٦ .

(٢) رسالة الغفران : ت : بنت الشاطىء ـ دار المعـــارف ط ٤ ـ ص ١٧٦ .

٢ ـ ويفترض الدكتور عوض ان حالة الارتداد الى الشباب وارتداء حلة الشباب الدائم التي اشار اليها المعري في اكثر من موضع ، حيث نرى الاعشى مثلا وقد ارتد شابا وسيما . او بلغة المعري :

« فيبتدىء بزهير فيجده شابا كالزهرة الجنية قد وهب له قصر من ونية ، كانه ما لبس جلباب هرم ، ولا تافف من التبرم ، وكانه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولا ، لا أبالك يسـام !

(ص ١٨٢)

ومثل هذا ما حدث لبعض النسوة في الجنة كحمدونـه وتوفيق السوداء حيث تستحيل القبيحة الى حسناء ، والسوداء الى بيضاء ..

ان الدكتور عوض يفترض ان حالة الارتداد الى الشباب الدائم والى الفتوة الفارعة بفضل شراب العشب السحري ، انما هي مستقاة من الاداب القديمة ـ والاداب القديمة لا تعني للدكتور عوض الا الاداب اليونانية ! ـ كما حدث لاوديسيوس ورجاله في نعيم الحورية كيركا وحورها . طالما ان هذه الحالة ـ حالة ارتداد البشر في الجنة الى حالة الشباب الدائم ـ ليس لها سند في ابن عباس ولا في المصادر الاسلامية المعتمـدة (ص ١٢٦)

ولكننا نجد قبل اوديسيوس الذي صنعـه هوميروس في ملحمته ، ان جلجامش في رحلته التي قام بها لزيارة جده اوتونبشتم ، تمكن من العثور على « عشب الشباب » ثم عـاد ففقده . اذ التهمته منه الحية ، جاء في الملحمة :

سافتح لك ، ياجلجامش ، سرا خفيا

اجل ! ساكشف لك عن سر من اسرار الالهة !

يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه

انه كالورد شوكه يخز يديك كما يفعل الورد فاذا ماحصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة الخالدة .

وما ان سمع جلجامش هذا القول حتى فتح المجرى الذي اوصله الى الحياة العميقة .

وربط بقدميه احجارا ثقيلة

ونزل الى اعماق المياه حيث ابصر النبات

فاخذ النبات الذي يخز يديه

وقطع الاحجار الثقيلة من قدميه

فخرج من الاعماق الى الشاطىء

ثم قال جلجامش لاور ـ شنابي الملاح :

« يا اور ـ شنابي ـ ان هذا النبات نبات عجيب

يستطيع المرء ان يطيل به حياته

لاحملنه معي الى اوروك الحمى والسور

واشرك معي الناس لياكلوه

وسيكون اسمه : يعود الشيخ الى صباه كالشباب

وانا ساكله في آخر ايامي حتى يعود شبابي .

٣ ـ اما افتراض شجر الصفصاف باللات ـ الذي هو من جملة شجر الجنة ، انه لابد ان يكون من رواسب ثقافة المعري اليونانية (ص ٢٦١) فالاولى به أن يكون من « رواسب المعتقدات الفولكلورية الشائعة في زمانه » سواء اكانت من مصدر محلي ام عالمي خاصة واننا نعلم ايضا ان شجر الصفصاف من الاشجار التي ورد ذكرها كثيرا في الاداب العراقية القديمة . وقد صنعت منها عشتار اداتين (بكي ومكي) كما جاء في الاسطورة. وهكذا ايضا شجر الحور .

اذن لا يمكن الا ان تكون لهذه الشجرة مكانة مقدسة او خاصة لدى العراقيين القدماء .

تعقيب على «أشعار صاحب الزنج»

بقلــم

علي حسن

في العدد الفائت من « المورد » ظهرت مجموعة اشعار علي بن محمد ، المعروف بصاحب الزنج ، والتي قام بجمعها وتحقيقها احمد جاسم النجدي ، وكنت قد اطلعت قبلها على مقال عبدالجبار ناجي ، (المورد : المجلد الاول ، العددان : الثالث والرابع) ـ صاحب الزنج الثائر الشاعر ـ ، وعنت لي وقتها بضع ملاحظات جعلتها هامشا جانبيا ، ولم اشأ ـ وقتها ـ ان ازيل وهم عبدالجبار ناجي ، عن ايراده قطعة شعرية ، منسوبة لصاحب الزنج ، لولا ان وردت اشعار الاخير ، مجموعة (ومحققة) ومن قبل احمد جاسم النجدي ، وبضمنها القطعة التي اشرت اليها سابقا .

وظهر لي ان النجدي قد اعتمد على مقالة ناجي ، فيما يخص الشعر .. وعلل النجدي ذلك بانه لم يتح له الاطلاع على مخطوطة الوافي للصفدي ، بجزئها العشرين (١) .. لذلك كان جل اعتماده على ناجي فيما اورد من الاشعار ، نقلا عن مخطوطة الوافي . وهذا القول لا يجرد جامع (ومحقق) اشعار صاحب الزنج ، من تبعية الخطأ ، الذي قد يقع فيه عبدالجبار ناجي ، بل يشترك فيه ، ويقاسمه اياه ، ان لم تكن مسؤوليته فيه اعظم ، لانه (يحقق) شعرا ينبغي الوقوف عليه طويلا قبل تسجيله ونشره بين الناس .

والنص الشعري الذي ضمنه (المحقق) ، مع اشعار صاحب الزنج ، هو النص الرابع ، واليكه ، كما اورده (المحقق) :

ساغسل عني العار بالسيف جالبا
على قضاء الله ما كان جالبـــا (٢)
واذهـل عن داري واجعـل نهبهـا
لعرضي من باقي المذلة حاليـــا
فان تهدموا بالغـدر داري فانهـا
تـراث كريم لا يبالـي العواقبـا
اذا هـم القى بين عينيه عزمــه
وتكب عن ذكر العــواقب جانبـا
ولم يستشـر في رأيـه غير نفسـه
ولم يرض الا قـائم السيف صاحبا

وايراد (المحقق) لهذا النص ، وهم منه ، اذ ان هـذه الابيات مضافة اليها ابيات اخرى ، وقد وردت في مجموعـة ابي تمام الطائي ، والمعروفة باسم « الحماسة » (٣) لشاعر اخر ، هو : سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر اسلامي ، ومن شياطين العرب « انظر : الشعر والشـعراء ، ٦٧٧ ، والخزانة (٣ : ٤٤٤ـ٤٤٦) .... » وقد شرحهـا المرزوقي مع ما شرحه من اشعار « الحماسة » ، وابيات النص الشعري ، الذي وهم فيه احمد جاسم النجدي ، هي هذه :

ساغسل عني العار بالسيف جالبا
علي قضاء الله ما كان جالبـــا
واذهل عن داري واجعـل هدمهـا
لعرضي من باقي المذمــة حاجبـا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت
يميني بادراك الذي كنت طالبـــا
فـان تهدموا بالغـدر داري فانهـا
تراث كـريم لا يبالي العواقبـــا
أخي عزمـات لا يريـد على الذي
يهـم به من مقطـع الامـر صاحبا
اذا هـم لم تـردع عزيمـة همــه
ولـم يأت ما يأتي من الامر هائبـا
فيال رزام رشـحوا بن مقدمـــا
الى المـوت خواضـا اليه الكتائبا
اذا هـم القى بين عينيه عزمــه
ونكب عن ذكـر العواقب جانبـــا
ولم يستشر في أمـره غير نفســه
ولم يرض الا قائم السيف صاحبـا

وبعــد ،

فان الذي حدا بي الى هذا الامر ، هو كون هذا النص ، ضمن اشعار لشاعر اخر ، هو صاحب الزنج ، في الوقت الذي هو للشاعر الاسلامي سعد بن ناشب ، لذا اقتضى ازالة الوهم ، ...

---

(١) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ص١٦٧ ، هامش ٣ .

(٢) المورد : المجلد الثالث ، العدد الثالث ، ص ١٦٨ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ، لابي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، طبعة احمد امين وعبدالسلام هارون . الطبعة الثانية ـ ١٦٦٧م ـ القاهرة/ص٦٧ .

تصحيح وشكر . .

بقلم

هاشم الطعان

في المورد – المجلد الثالث ، العدد الثاني – كنت قد نشرت رسالة في (مراتب النحويين) عنونتها ل (مخطوط فريد نفيس عن مراتب النحويين) .

وفي خلال ما ورد في هذه الرسالة عن النضر بن شميل جاء ص١٤٢–١٤٣ « ولم نجد على النضر سقطا في العربية الا شيئا يزعم اهل الحديث انه اخطأ فيه ويزعمون انه خالف فيه سائر الرواة وهو قوله : العبرية فيرده اهل الحديث بغير بينـــه . والصواب في كلام العرب ما جاء به النضر وذلك ان العبرية عند العرب الاخذ بجفاء وغلظ وشـــدة . وذهب اهل الحديث الى انه بغير بينه وحجة نقـــل ما نقل .

ومن قال : القبربينة اي تأخذه بجفاف وعنف وليس من اخلاق اهل العقل . كأنه قال عليك بالرفق به والتؤدة . هذا كلام العرب » .

وعلقت في الهامش على (العبرية) : لم أجد في المعجمات وكتب اللغة هذه الكلمة بهذا المعنى .

وعلقت على (القبربينة) : كذا في الاصل ولم اهتد لصوابها .

وكان ذلك عذري .

* * *

وفي المامة باستاذنا محمود محمد شاكر في داره بمصر الجديدة ، خلال زيارتي لمصر ، جلست اليه فيمن يجلس مستفيدا من علمه الجم وخلقه الحميد فاشار الى انه قرأ نشرتي لهذه الرسالة وكان من عنايته بها وبي ان لفت نظره اللفظتان المستعصيتان فادارهما في ذهنه النير واقترح ان تكونا (العترسة) . وهي من الفاظ الحديث .

وقد عدت بعد هذه الاشارة الكريمة الى الفائق في غريب الحديث الزمخشري (تح علي محمـــد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم – الطبعـــة الثانية) فوجدت في الجـــزء الثاني منه ص ٣٠٥ « عمر رضي الله عنه – قال عبدالله بن ابي عمار : كنت في سفر فسرقت عيبتي ، ومعنا رجل يتهم ، فاستعديت عليه عمر بن الخطاب وقلت : لقد اردت والله يا أمير المؤمنين ان آتي به مصفودا ، فقال : تأتيني به مصفودا تعترسه ! فغضب ولم يقض له بشيء .

اي مقيـــدا .

والعترسة : الاخذ بالجفاء والغلظة .

ويحتمل ان يقضي بزيادة التاء وتكون مـــن العراس ، وهو ما يوثق به اليدان الى العنق : يقال : عرست البعير عرسا .

وقد روي : بغير بينة . وقيل : انه تصحيف ، والصواب تعترسه .

ويكون النص قد استقام بهذا وزال التصحيف شكرا لابي فهر هذه اليد . .

المحتوى

Page

V. REVIEW, CRITICISM AND INTRODUCTION

CONTENTS

AL-MAWRID

A QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY MINISTRY OF INFORMATION

Baghdad – IRAQ

Rending a Nation Service is a Result of the Profit Gained from Books that Preserve the National Heritage and Procreate our Ancestors, Glories.

Ahmed Hasan Al-Bakr